١٠

893.712 I b 53
Columbia University
in the City of New York
LIBRARY



Bought from the
Alexander I. Cotheal Fund
for the
Increase of the Library
1896

K 10

(فهرسة الجزء العاشر من تاريخ الكامل)

صحيفة	
٢	(سنة احدى وخمسين وأربعمائة)
٢	ذكر وفاة فرخزاد صاحب غزنة وملك أخيه ابراهيم
٢	ذكر الصلح بين الملك ابراهيم وجغرى بك داود
٣	ذكر وفاة داود وملك ابنه ألب ارسلان
٣	ذكر حريق ببغداد
٣	ذكر انحدار السلطان الى واسط وما فعل العسكر واصلاح دبيس
٤	ذكر عدة حوادث
٤	(سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة)
٤	ذكر عود ولى العهد الى بغداد مع أبى الغنائم بن الهلبان
٥	ذكر ملك محمود بن شبل الدولة حلب
٥	ذكر عدة حوادث
٥	(سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة)
٥	ذكر وزارة ابن دارست للخليفة
٦	ذكر موت المعز بن باديس وولاية ابنه تميم
٧	ذكر وفاة قريش صاحب الموصل وامارة ابنه شرف الدولة
٧	ذكر وفاة نصر الدولة بن مروان
٧	ذكر عدة حوادث
٨	(سنة أربع وخمسين وأربعمائة)
٨	ذكر نكاح السلطان طغرلبك ابنة الخليفة
٩	ذكر عزل ابن دارست ووزارة ابن جهير
٩	ذكر عدة حوادث
٩	(سنة خمس وخمسين وأربعمائة)

صحيفة	
٩	ذكر ورود السلطان بغداد ودخوله بابنة الخليفة
١٠	ذكر وفاة السلطان طغرلبك
١١	ذكر شئ من سيرته
١١	ذكر ملك السلطان ألب ارسلان
١٢	ذكر خروج جموع طاعة تميم بن المعز بافريقية
١٢	ذكر عدة حوادث
١٢	(سنة ست وخمسين وأربعمائة)
١٢	ذكر القبض على عميد الملك وقتله
١٣	ذكر ملك ألب ارسلان خلاط وهراة وصغانيان
١٤	ذكر عود ابنة الخليفة الى بغداد والخطبة للسلطان ألب ارسلان ببغداد
١٤	ذكر الحرب بين ألب ارسلان وقتلمش
١٥	ذكر فتح ألب ارسلان مدينة آنى وغيرها من بلاد النصرانية
١٧	ذكر عدة حوادث
١٨	(سنة سبع وخمسين وأربعمائة)
١٨	ذكر الحرب بين بنى حماد والعرب
١٩	ذكر بناء مدينة بجاية
٢٠	ذكر ملك ألب ارسلان جند وصيران
٢٠	ذكر عدة حوادث
٢٠	(سنة ثمان وخمسين وأربعمائة)
٢٠	ذكر عهد ألب ارسلان بالسلطنة لابنه ملكشاه
٢١	ذكر استيلاء تميم على مدينة تونس
٢١	ذكر ملك شرف الدولة الانبار وهيت وغيرهما
٢١	ذكر عدة حوادث
٢٢	(سنة تسع وخمسين وأربعمائة)

893.712
I h53
v.10

صحيفة	
٢٢	ذكر عصيان ملك كرمان على الب ارسلان وعوده الى طاعته
٢٢	ذكر عدة حوادث
٢٢	(سنة ستين وار بعمائة)
٢٣	ذكر عدة حوادث
٢٤	(سنة احدى وستين وار بعمائة)
٢٤	ذكر عدة حوادث
٢٤	(سنة اثنتين وستين وار بعمائة)
٢٤	ذكر عدة حوادث
٢٦	(سنة ثلاث وستين وار بعمائة)
٢٦	ذكر الخطبة للقائم بامر الله والسلطان بحلب
٢٦	ذكر استيلاء السلطان الب ارسلان على حلب
٢٦	ذكر خروج ملك الروم الى خلاط واسره
٢٨	ذكر ملك اتسز الرملة وبيت المقدس
٢٨	ذكر عدة حوادث
٢٨	(سنة أربع وستين وار بعمائة)
٢٨	ذكر ولاية سعد الدولة كوهرائين شحنكية بغداد
٢٩	ذكر تزويج ولى العهد بابنة السلطان
٢٩	ذكر ولاية أبى الحسن بن عمار طرابلس
٢٩	ذكر ملك السلطان الب ارسلان قلعة قضلون بفارس
٢٩	ذكر عدة حوادث
٣٠	(سنة خمس وستين وار بعمائة)
٣٠	ذكر قتل السلطان الب ارسلان
٣٠	ذكر نسب الب ارسلان وبعض سيرته
٣١	ذكر ملك السلطان ملكشاه
٣١	ذكر ملك صاحب سمرقند مدينة ترمذ
٣٢	ذكر قصد صاحب غزنة سكلكند
٣٢	ذكر الحرب بين السلطان ملكشاه وعمه قاورت بك

صحيفة	
٣٢	ذكر تفويض الامور الى نظام الملك
٣٣	ذكر قتل ناصر الدولة بن حمدان
٣٦	ذكر عدة حوادث
٣٧	(سنة ست وستين وار بعمائة)
٣٧	ذكر تقليد السلطان ملكشاه السلطنة والخلع عليه
٣٧	ذكر غرق بغداد
٣٨	ذكر ملك السلطان ملكشاه ترمذ والهدنة بينه وبين صاحب سمرقند
٣٨	ذكر عدة حوادث
٣٩	(سنة سبع وستين وار بعمائة)
٣٩	ذكر وفاة القائم بامر الله وذكر بعض سيرته
٣٩	ذكر خلافة المقتدى بامر الله
٤٠	ذكر عدة حوادث
٤١	(سنة ثمان وستين وار بعمائة)
٤١	ذكر ملك الاقسيس دمشق
٤١	ذكر عدة حوادث
٤٢	(سنة تسع وستين وار بعمائة)
٤٢	ذكر حصر اقسيس مصر وعوده عنها
٤٣	ذكر عدة حوادث
٤٤	(سنة سبعين وار بعمائة)
٤٤	ذكر عدة حوادث
٤٤	(سنة احدى وسبعين وأر بعمائة)
٤٤	ذكر عزل ابن جهير من وزارة الخليفة
٤٥	ذكر استيلاء تتش على دمشق
٤٥	ذكر عدة حوادث
٤٦	(سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة)
٤٦	ذكر فتوح ابراهيم صاحب غزنة فى بلاد الهند
٤٦	ذكر ملك شرف الدولة مسلم مدينة حلب
٤٧	ذكر مسير ملكشاه الى كرمان

صحيفة	
٤٧	ذكر عدة حوادث
٤٨	(سنة ثلاث وسبعين وار بعمائة)
٤٨	ذكر استيلاء تكش على بعض خراسان واخذها منه
٤٨	ذكر عدة حوادث
٤٨	(سنة أربع وسبعين وار بعمائة)
٤٨	ذكر خطبة الخليفة ابنة السلطان ملكشاه
٤٩	ذكر وفاة نور الدولة بن مزيد وامارة ولده منصور
٤٩	ذكر محاصرة تميم بن المعز مدينة قابس
٤٩	ذكر عدة حوادث
٥٠	(سنة خمس وسبعين وار بعمائة)
٥٠	ذكر وفاة جمال الملك بن نظام الملك
٥٠	ذكر الفتنة ببغداد بين الشافعية والحنابلة
٥٠	ذكر مسير الشيخ أبي اسحق الى السلطان في رسالة
٥١	ذكر حصر شرف الدولة دمشق وعوده عنها
٥١	ذكر عدة حوادث
٥٢	(سنة ست وسبعين وار بعمائة)
٥٢	ذكر عزل عميد الدولة بن جهير عن وزارة الخليفة ومسير والده فخر الدولة الى ديار بكر
٥٢	ذكر عصيان أهل حران على شرف الدولة وفتحها
٥٢	ذكر وزارة أبي شجاع محمد بن الحسين للخليفة
٥٣	ذكر قتل أبي الهاسن بن أبي الرضا
٥٣	ذكر استيلاء معالك بن علوى على القيروان واخذها منه
٥٣	ذكر عدة حوادث

صحيفة	
٥٣	(سنة سبع وسبعين وار بعمائة)
٥٣	ذكر الحرب بين فخر الدولة بن جهير وابن مروان وشرف الدولة
٥٤	ذكر استيلاء عميد الدولة على الموصل
٥٥	ذكر عصيان تكش على أخيه السلطان ملكشاه
٥٥	ذكر فتح سليمان بن قتلمش انطاكية
٥٦	ذكر قتل شرف الدولة وملك أخيه ابراهيم
٥٧	ذكر عدة حوادث
٥٧	(سنة ثمان وسبعين وار بعمائة)
٥٧	ذكر استيلاء الفرنج على مدينة طليطلة
٥٨	ذكر استيلاء ابن جهير على آمد
٥٨	ذكر ملكه أيضا ميافارقين
٥٨	ذكر ملك جزيرة ابن عمر
٥٩	ذكر عدة حوادث
٦٠	(سنة تسع وسبعين وار بعمائة)
٦٠	ذكر قتل سليمان بن قتلمش
٦٠	ذكر ملك السلطان حلب وغيرها
٦١	ذكر وفاة بهاء الدولة منصور بن مزيد وولاية ابنه صدقة
٦٢	ذكر وقعة الزلاقة بالاندلس وهزيمة الفرنج
٦٤	ذكر دخول السلطان الى بغداد
٦٤	ذكر عدة حوادث
٦٥	(سنة ثمان وار بعمائة)
٦٥	ذكر زفاف ابنة السلطان الى الخليفة
٦٦	ذكر عدة حوادث
٦٧	(سنة احدى وثمانين وار بعمائة)
٦٧	ذكر الفتنة ببغداد
٦٧	ذكر اخراج الاتراك من حريم الخلافة
٦٨	ذكر ملك الروم مدينة زويلة وعودهم عنها

صحيفة	
٦٨	ذكر وفاة الناصر بن علناس وولاية ولده المنصور
٦٨	ذكر وفاة ابراهيم ملك غزنة وملك ابنه مسعود
٦٩	ذكر عدة حوادث
٦٩	(سنة اثنتين وثمانين واربعمائة)
٦٩	ذكر الفتنة ببغداد بين العامة
٦٩	ذكر ملك السلطان ملكشاه ماوراء النهر
٧٠	ذكر عصيان سمرقند
٧١	ذكر فتح سمرقند الفتح الثاني
٧٢	ذكر عودة ابنة السلطان زوجة الخليفة الى أبيها
٧٢	ذكر فتح عسكر مصر عكا وغيرها من الشام
٧٢	ذكر الفتنة بين أهل بغداد ثانية
٧٣	ذكر حيلة لامير المسلمين ظهرت ظهورا غريبا
٧٣	ذكر ملك العرب مدينة سوسة وأخذها منهم
٧٤	ذكر عدة حوادث
٧٤	(سنة ثلاث وثمانين واربعمائة)
٧٤	ذكر وفاة فخر الدولة أبي نصر بن جهير
٧٥	ذكر نهب العرب البصرة
٧٦	ذكر عدة حوادث
٧٦	(سنة أربع وثمانين واربعمائة)
٧٦	ذكر عزل الوزير ابي شجاع ووزارة عميد الدولة بن جهير
٧٦	ذكر ملك امير المسلمين بلاد الاندلس التي للمسلمين
٧٩	ذكر ملك الفرنج جزيرة صقلية
٨٢	ذكر وصول السلطان الى بغداد
٨١	ذكر عدة حوادث

صحيفة	
٨٣	(سنة خمس وثمانين واربعمائة)
٨٣	ذكر الحرب بين المسلمين والفرنج بجيان
٨٣	ذكر استيلاء تتش على حمص وغيرها من ساحل الشام
٨٤	ذكر ملك السلطان اليمن
٨٤	ذكر مقتل نظام الملك
٨٥	ذكر ابتداء حاله وشيء من اخباره
٨٦	ذكر وفاة السلطان وذكر بعض سيرته
٨٨	ذكر ملك ابنه الملك محمود وما كان من حال ابنه الاكبر بركيارق الى ان ملك
٨٩	ذكر قتل تاج الملك
٨٩	ذكر ما فعله العرب بالحجاج والكوفة
٩٠	ذكر عدة حوادث
٩٠	(سنة ست وثمانين واربعمائة)
٩٠	ذكر وزارة عز الملك بن نظام الملك لبركيارق
٩٠	ذكر حال تتش بن الب ارسلان
٩١	ذكر وقعة المضيع واخذ الموصل من العرب
٩١	ذكر ملك تتش ديار بكر واذربيجان وعوده الى الشام
٩٢	ذكر حصر عسكر مصر صور وملكهم لها
٩٢	ذكر قتل اسمعيل بن ياقوتي خال بركيارق
٩٢	ذكر اخذ الحجاج
٩٣	ذكر عدة حوادث
٩٤	(سنة سبع وثمانين واربعمائة)
٩٤	ذكر الخطبة للسلطان بركيارق
٩٤	ذكر وفاة المقتدي بامر الله
٩٥	ذكر خلافة المستظهر بالله
٩٥	ذكر قتل قسيم الدولة آقسنقر وملك

صحيفة

تتش حلب والجزيرة وديار بكر واذربيجان وهمذان والخطبة له ببغداد ٩٦
ذكر انهزام بركيارق من عمه تتش وملكه أصبهان بعد ذلك ٩٧
ذكر وفاة أمير الجيوش بمصر ٩٨
ذكر وفاة المستنصر وولاية ابنه المستعلى ٩٨
ذكر عدة حوادث ٩٨
(سنة ثمان وثمانين وار بعمائة) ٩٩
ذكر دخول جمع من الترك افريقية وما كان منهم ٩٩
ذكر قتل احمد خان صاحب سمرقند ١٠٠
ذكر ما فعله يوسف بن ابق ببغداد ١٠١
ذكر الحرب بين بركيارق وتتش وقتل تتش ١٠١
ذكر حال الملك رضوان وأخيه دقاق بعد قتل ابيهما ١٠١
ذكر وفاة المعتمد بن عباد ١٠٣
ذكر وفاة الوزير أبي شجاع ١٠٣
ذكر الفتنة بنيسابور ١٠٤
ذكر عدة حوادث ١٠٤
(سنة تسع وثمانين وار بعمائة) ١٠٥
ذكر قتل يوسف بن ابق والمجن الحلبي ١٠٥
ذكر وفاة منصور بن مروان ١٠٦
ذكر ملك تميم مدينة قابس ايضا ١٠٦
ذكر ملك كربوقا الموصل ١٠٦
ذكر عدة حوادث ١٠٧
(سنة تسعين وار بعمائة) ١٠٨
ذكر قتل ارسلان ارغون ١٠٨
ذكر اسئيلا عسكر مصر على مدينة صور ١٠٩
ذكر ملك بركيارق خراسان وتسليمها الى أخيه سنجر ١٠٩
ذكر خروج أمير أميران بخراسان مخالفا ١١٠
ذكر عصيان الامير قودن ويارقطاش على السلطان واستعمال حبشي على خراسان ١١٠
ذكر ابتداء دولة محمد بن خوارزمشاه ١١١
ذكر الحرب بين رضوان وأخيه دقاق ١١١
ذكر الخطبة للعلوي المصري بولاية رضوان ١٢٢
ذكر عدة حوادث ١١٢
(سنة احدى وتسعين وار بعمائة) ١١٢
ذكر ملك الفرنج مدينة انطاكية ١١٤
ذكر مسير المسلمين الى الفرنج وما كان منهم ١١٥
ذكر ملك الفرنج معرة النعمان ١١٥
ذكر الحرب بين الملك سنجر ودقاق شاه ١١٥
ذكر عدة حوادث ١١٥
(سنة اثنتين وتسعين وار بعمائة) ١١٦
ذكر عصيان الامير انز وقتله ١١٦
ذكر ملك الفرنج لعنهم الله البيت المقدس ١١٧
ذكر الحرب بين المصريين والفرنج ١١٨
ذكر ابتداء ظهور السلطان محمد بن ملكشاه ١١٩
ذكر الخطبة ببغداد للملك محمد ١١٩
ذكر قتل مجد الملك البلاساني ١٢٠
ذكر عدة حوادث ١٢٠
(سنة ثلاث وتسعين وار بعمائة) ١٢١
ذكر اعادة خطبة السلطان بركيارق ببغداد ١٢١
ذكر الوقعة بين السلطانين بركيارق ١٢٢

صحيفة	
	ومحمد واعادة خطبة محمد ببغداد
١٢٢	ذكر قتل سعد الدولة كوهرائين
١٢٢	ذكر حال السلطان بركيارق بعد الهزيمة وانهزامه من اخيه سنجر ايضا وقتل اميرداذ حبشي
١٢٣	ذكر فتح تميم بن المعز مدينة سفاقس
١٢٤	ذكر عزل عميد الدولة من وزارة الخليفة ووفاته
١٢٤	ذكر ظفر المسلمين بالفرنج
١٢٤	ذكر عدة حوادث
١٢٥	(سنة اربع وتسعين وأربعمائة)
١٢٥	ذكر الحرب بين السلطان بركيارق ومحمد وقتل مؤيد الملك
١٢٦	ذكر حال السلطان محمد بعد الهزيمة واجتماعه باخيه الملك سنجر
١٢٦	ذكر ما فعله السلطان بركيارق ودخوله بغداد
١٢٧	ذكر خلاف صدقة بن مزيد على بركيارق
١٢٨	ذكر وصول السلطان محمد الى بغداد ورحيل السلطان بركيارق عنها
١٢٨	ذكر حال قاضي جبلة
١٢٩	ذكر قتل الباطنية
١٣٠	ذكر ما فعل بهم العامة باصبهان
١٣١	ذكر قلاعهم التي استولوا عليها ببلاد العجم
١٣٢	ذكر ما فعله جاولي سقاو وبالباطنية
١٣٣	ذكر قتل صاحب كرمان الباطني وملك غيره
١٣٣	ذكر السبب في قتل بركيارق الباطنية
١٣٤	ذكر حصر الامير برغش قهستان وطبس
١٣٥	ذكر ما ملك الفرنج من الشام
١٣٥	ذكر عدة حوادث
١٣٦	(سنة خمس وتسعين وأربعمائة)
١٣٦	ذكر وفاة المستعلي بالله وولاية الآمر باحكام الله
١٣٦	ذكر الحرب بين السلطان بركيارق والسلطان محمد والصلح بينهما
١٣٧	ذكر الحرب بين السلطان بركيارق ومحمد وانفساخ الصلح بينهما
١٣٨	ذكر حصار السلطان باصبهان
١٣٩	ذكر قتل الوزير الاعز ووزارة الخطير أبي منصور
١٤٠	حادثة يعتبر بها
١٤٠	ذكر الفتنة بين ايلغازي وعامة بغداد
١٤٠	ذكر قصد صاحب البصرة مدينة واسط وعوده عنها
١٤٢	ذكر وفاة كربوقا وملك موسى التركماني الموصل وحكمش بعده وملك سقمان الحصن
١٤٣	ذكر حال صنجيل الفرنجي وما كان منه في حصار طرابلس
١٤٣	ذكر ما فعله الفرنج
١٤٤	ذكر عود قلعة خفتيذ كان الى سرخاب بن بدر
١٤٤	ذكر قتل قدرخان صاحب سمرقند
١٤٦	ذكر ملك محمد خان سمرقند
١٤٦	ذكر عدة حوادث
١٤٧	(سنة ست وتسعين وأربعمائة)
١٤٧	ذكر استيلاء ينال على الري وأخذها منه ووصوله الى بغداد
١٤٧	ذكر ما فعله ينال بالعراق
١٤٨	ذكر وصول كمشتكين القيصري شحنة الى بغداد والفتنة بينه وبين ايلغازي وسقمان وصدقة
١٤٩	ذكر استيلاء صدقة على هيت

صحيفة	
١٥٠	ذكر الحرب بين بركيارق ومحمد
١٥١	ذكر عزل سديد الملك وزير الخليفة ونظر أبي سعد بن الموصلايا في الوزارة
١٥١	ذكر ملك الملك دقاق مدينة الرحبة
١٥٢	ذكر اخبار الفرنج بالشام
١٥٣	ذكر عدة حوادث
١٥٣	(سنة سبع وتسعين واربعمائة)
١٥٣	ذكر ملك بلك بن بهرام بن ارتق مدينة عانة
١٥٤	ذكر غارة الفرنج على الرقة وقلعة جعبر
١٥٤	ذكر الصلح بين السلطان بركيارق ومحمد
١٥٥	ذكر ملك الفرنج جبيل وعكا من الشام
١٥٥	ذكر غزو سقمان وجكرمش الفرنج
١٥٦	ذكر وفاة دقاق وملك ولده
١٥٧	ذكر استيلاء صدقة على واسط
١٥٧	ذكر عدة حوادث
١٥٨	(سنة ثمان وتسعين واربعمائة)
١٥٨	ذكر وفاة السلطان بركيارق
١٥٩	ذكر عمره وشيء من سيرته
١٥٩	ذكر الخطبة للمكشاه بن بركيارق
١٥٩	ذكر حصر السلطان محمد جكرمش بالموصل
١٦٠	ذكر وصول السلطان الى بغداد وصلحه مع اخيه والامير اياز
١٦١	ذكر قتل الامير اياز
١٦٢	ذكر وفاة سقمان بن ارتق
١٦٤	ذكر حال الباطنية هذه السنة بخراسان
١٦٤	ذكر حال الفرنج هذه السنة مع المسلمين بالشام

صحيفة	
١٦٤	ذكر حرب الفرنج والمصريين
١٦٥	ذكر عدة حوادث
١٦٦	(سنة تسع وتسعين واربعمائة)
١٦٦	ذكر خروج منكبرس على السلطان محمد
١٦٦	ذكر الحرب بين طغتكين والفرنج
١٦٧	ذكر الحرب بين عبادة وخفاجة
١٦٧	ذكر ملك صدقة البصرة
١٦٩	ذكر حصر رضوان نصيبين وعوده عنها
١٧٠	ذكر ملك طغتكين بصرى
١٧٠	ذكر ملك الفرنج حصن افامية
١٧٢	ذكر نهب العرب البصرة
١٧٢	ذكر حال طرابلس الشام مع الفرنج
١٧٣	ذكر عدة حوادث
١٧٤	(سنة خمسمائة)
١٧٤	ذكر وفاة يوسف بن تاشفين وملك ابنه علي
١٧٤	ذكر قتل فخر الملك بن نظام الملك
١٧٥	ذكر ملك صدقة بن مزيد تكريت
١٧٦	ذكر الحرب بين عبادة وخفاجة
١٧٦	ذكر مسير جاولي سقاوو الى الموصل واسر صاحبها جكرمش
١٧٧	ذكر حصر جاولي سقاوو الموصل وموت جكرمش
١٧٨	ذكر الحرب بين ملك القسطنطينية والفرنج
١٧٨	ذكر ملك قلج ارسلان الموصل
١٧٩	ذكر قتل قلج ارسلان وملك جاولي الموصل
١٨٠	ذكر احوال الباطنية باصبهان وقتل ابن عطاش
١٨٢	ذكر الخلف بين سيف الدولة صدقة

صحيفة

ومهذب الدولة صاحب البطيحة
١٨٣ ذكر قتل وزير السلطان ووزارة أحمد ابن نظام الملك
١٨٤ ذكر عدة حوادث
١٨٤ (سنة احدى وخمسمائة)
١٨٤ ذكر قتل صدقة بن مزيد
١٨٩ ذكر وفاة تميم بن المعز صاحب افريقية وولاية ابنه يحيى
١٩٠ ذكر ملك يحيى قلعة قليبية
١٩٠ ذكر قدوم ابن عمار بغداد مستنفرا
١٩١ ذكر عدة حوادث
١٩٢ (سنة اثنتين وخمسمائة)
١٩٢ ذكر استيلاء مودود وعسكر السلطان على الموصل وولاية مودود
١٩٣ ذكر حال جاولى مدة الحصار
١٩٣ ذكر اطلاق جاولى للقمص الفرنجى
١٩٤ ذكر ما جرى بين هذا القمص وبين صاحب انطاكية
١٩٥ ذكر حال جاولى بعد اطلاق القمص
١٩٦ ذكر الحرب بين جاولى والفرنج
١٩٦ ذكر عود جاولى الى السلطان
١٩٧ ذكر الحرب بين طغتكين والفرنج والهدنة بعدها
١٩٧ ذكر انهزام طغتكين من الفرنج
١٩٨ ذكر صلح السنية والشيعة ببغداد
١٩٨ ذكر عدة حوادث
٢٠٠ (سنة ثلاث وخمسمائة)
٢٠٠ ذكر ملك الفرنج طرابلس وبيروت من الشام
٢٠١ ذكر ملك الفرنج جبيل وبانياس
٢٠١ ذكر الحرب بين محمد خان وساغربك
٢٠٢ ذكر عدة حوادث

صحيفة

٢٠٢ (سنة أربع وخمسمائة)
٢٠٢ ذكر ملك الفرنج مدينة صيدا
٢٠٣ ذكر استيلاء المصريين على عسقلان
٢٠٣ ذكر ملك الفرنج حصن الاثارب وغيره
٢٠٤ ذكر عدة حوادث
٢٠٥ (سنة خمس وخمسمائة)
٢٠٥ ذكر مسير العساكر الى قتال الفرنج
٢٠٦ ذكر حصر الفرنج مدينة صور
٢٠٧ ذكر انهزام الفرنج بالاندلس
٢٠٧ (سنة ست وخمسمائة)
٢٠٨ (سنة سبع وخمسمائة)
٢٠٨ ذكر قتال الفرنج وانهزامهم وقتل مودود
٢٠٩ ذكر الخلف بين السلطان سنجر ومحمد خان والصلح بينهما
٢٠٩ ذكر عدة حوادث
٢١١ (سنة ثمان وخمسمائة)
٢١١ ذكر مسير آقسنقر البرسقى الى الشام لحرب الفرنج
٢١١ ذكر طاعة صاحب مرعش وغيرها البرسقى
٢١١ ذكر الحرب بين البرسقى وايلغازى وأسر ايلغازى
٢١٢ ذكر وفاة علاء الدولة بن سبكتكين وملك ابنه وما كان منه مع السلطان سنجر
٢١٤ ذكر عدة حوادث
٢١٤ (سنة تسع وخمسمائة)
٢١٤ ذكر انهزام عسكر السلطان من الفرنج
٢١٦ ذكر ملك الفرنج رفنية وأخذها منهم
٢١٦ ذكر وفاة يحيى بن تميم وولاية ابنه على

صحيفة

٢١٦ ذكر عدة حوادث
٢١٧ (سنة عشر وخمسمائة)
٢١٧ ذكر قتل أحمديل بن وهسوذان
٢١٧ ذكر وفاة جاولى سقاوو وحال بلاد فارس معه
٢١٩ ذكر فتح جبل وسلات وتونس
٢٢٠ ذكر الفتنة بطوس
٢٢٠ ذكر عدة حوادث
٢٢١ (سنة احدى عشرة وخمسمائة)
٢٢١ ذكر وفاة السلطان محمد وملك ابنه محمود
٢٢١ ذكر بعض سيرته
٢٢٢ ذكر حال الباطنية أيام السلطان محمد
٢٢٣ ذكر حصار قابس والمهدية
٢٢٣ ذكر الوحشة بين وجار والامير على
٢٢٣ ذكر قتل صاحب حلب واستيلاء ايلغازى عليها
٢٢٤ ذكر عدة حوادث
٢٢٤ (سنة اثنتى عشرة وخمسمائة)
٢٢٤ ذكر ما فعله السلطان محمود بالعراق وولاية البرسقى شحنكية بغداد
٢٢٥ ذكر وفاة المستظهر بالله
٢٢٥ ذكر بعض أخلاقه وسيرته
٢٢٦ ذكر خلافة الامام المسترشد بالله
٢٢٦ ذكر هرب الامير أبى الحسن أخى المسترشد وعوده
٢٢٧ ذكر مسير الملك مسعود وجيوش بك الى العراق وما كان بينهما وبين البرسقى وديبس
٢٢٩ ذكر وفاة ملك الفرنج وما كان بين الفرنج وبين المسلمين
٢٣٠ ذكر عدة حوادث
٢٣١ (سنة ثلاث عشرة وخمسمائة)
٢٣١ ذكر عصيان الملك طغرل على أخيه

صحيفة

السلطان محمود

٢٣١ ذكر الحرب بين سنجر والسلطان محمود
٢٣٤ ذكر غزاة ايلغازى بلاد الفرنج
٢٣٥ ذكر وقعة أخرى مع الفرنج
٢٣٥ ذكر قتل منكوبرس
٢٣٥ ذكر قتل الامير على بن عمر
٢٣٦ ذكر الفتنة بين المرابطين وأهل قرطبة
٢٣٦ ذكر ملك على بن سكمان البصرة
٢٣٧ ذكر عدة حوادث
٢٣٨ (سنة أربع عشرة وخمسمائة)
٢٣٨ ذكر عصيان الملك مسعود على أخيه السلطان محمود والحرب بينهما
٢٣٩ ذكر حال ديبس وما كان منه
٢٤٠ ذكر خروج الكرج الى بلاد الاسلام وملك تفليس
٢٤٠ ذكر غزوات ايلغازى هذه السنة
٢٤١ ذكر ابتداء أمر محمد بن تومرت وعبد المؤمن وملكهما
٢٤٥ ذكر وفاة المهدى وولاية عبد المؤمن
٢٤٧ ذكر ملك عبد المؤمن مدينة مراكش
٢٤٩ ذكر ظفر عبد المؤمن بدكالة
٢٤٩ ذكر حصر مدينة كتندة
٢٤٩ ذكر عدة حوادث
٢٥٠ (سنة خمس عشرة وخمسمائة)
٢٥٠ ذكر اقطاع البرسقى الموصل
٢٥٠ ذكر وفاة الامير على وولاية ابنه الحسن افريقية
٢٥٠ ذكر قتل أمير الجيوش
٢٥١ ذكر عصيان سليمان بن ايلغازى على أبيه
٢٥٢ ذكر اقطاع ميافارقين ايلغازى
٢٥٢ ذكر حصر بلك بن بهرام الرها وأسر صاحبها

صحيفة	
٢٥٢	ذكر عدة حوادث
٢٥٤	(سنة ست عشرة وخمسمائة)
٢٥٤	ذكر طاعة الملك طغرل لاخيه السلطان محمود
٢٥٤	ذكر حال دبيس بن صدقة وما كان منه
٢٥٥	ذكر قتل السميرمى
٢٥٦	ذكر القبض على ابن صدقة وزير الخليفة ونيابة على بن طراد
٢٥٧	ذكر قتل جيوش بك
٢٥٧	ذكر وفاة ايلغازى وأحوال حلب بعده
٢٥٧	ذكر عدة حوادث
٢٥٨	سنة سبع عشرة وخمسمائة
٢٥٨	ذكر مسير المسترشد بالله لحرب دبيس
٢٦٠	ذكر ملك الفرنج حصن الاثارب
٢٦٠	ذكر ملك بلك حران وحلب
٢٦٠	ذكر الحرب بين الفرنج والمسلمين بافريقية
٢٦١	ذكر استيلاء الفرنج على بونة وتبرت وأخذها منهم
٢٦١	ذكر قتل وزير السلطان وعود ابن صدقة الى وزارة الخليفة
٢٦٢	ذكر ظفر السلطان محمود بالكرج
٢٦٢	ذكر الحرب بين المغاربة وعسكر مصر
٢٦٢	ذكر عدة حوادث
٢٦٣	(سنة ثمان عشرة وخمسمائة)
٢٦٣	ذكر قتل بلك بن بهرام بن ارتق وملك تمرتاش حلب
٢٦٣	ذكر ملك الفرنج مدينة صور بالشام
٢٦٥	ذكر عزل البرسقى عن شحنكية العراق وولاية برنقش الزكوى
٢٦٥	ذكر ملك البرسقى مدينة حلب
٢٦٦	ذكر عدة حوادث
٢٦٦	(سنة تسع عشرة وخمسمائة)

صحيفة	
٢٦٦	ذكر وصول الملك طغرل ودبيس بن صدقة الى العراق وعودهما عنه
٢٦٧	ذكر فتح البرسقى كفرطاب وانهزام من الفرنج
٢٦٨	ذكر قتل المامون بن البطائحى
٢٦٨	ذكر عدة حوادث
٢٦٨	(سنة عشرين وخمسمائة)
٢٦٨	ذكر حرب الفرنج والمسلمين بالاندلس
٢٦٩	ذكر قصد بلاد الاسماعيلية بخراسان
٢٦٩	ذكر ملك الاسماعيليه قلعة بانياس
٢٦٩	ذكر قتل البرسقى وملك ابنه عز الدين مسعود
٢٧٠	ذكر الاختلاف الواقع بين المسترشد بالله والسلطان محمود
٢٧٢	ذكر مصاف بين طغتكين اتابك والفرنج بالشام
٢٧٣	ذكر عدة حوادث
٢٧٣	(سنة احدى وعشرين وخمسمائة)
٢٧٣	ذكر ولاية الشهيد اتابك زنكى شحنكية العراق
٢٧٣	ذكر عود السلطان عن بغداد ووزارة انوشروان بن خالد
٢٧٤	ذكر وفاة عز الدين بن البرسقى وولاية عماد الدين زنكى الموصل واعمالها
٢٧٦	ذكر عدة حوادث
٢٧٦	(سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة)
٢٧٦	ذكر ملك اتابك عماد الدين زنكى مدينة حلب
٢٧٧	ذكر قدوم السلطان سنجر الى الرى
٢٧٨	ذكر عدة حوادث
٢٧٨	(سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة)
٢٧٨	ذكر قدوم السلطان محمود الى بغداد
٢٧٨	ذكر ما فعله دبيس بالعراق وعوده

صحيفة	
	السلطان الى بغداد
٢٧٩	ذكر قتل الاسماعيلية بدمشق
٢٨٠	ذكر حصر الفرنج دمشق وانهزامهم
٢٨٠	ذكر ملك عماد الدين زنكى مدينة حماة
٢٨١	ذكر عدة حوادث
٢٨٢	(سنة اربع وعشرين وخمسمائة)
٢٨٢	ذكر ملك السلطان سنجر مدينة سمرقند من محمد خان وملك محمود بن محمد خان المذكور
٢٨٢	ذكر فتح عماد الدين زنكى حصن الاثارب وهزيمة الفرنج
٢٨٣	ذكر ملك عماد الدين زنكى ايضا مدينة سرجى ودارا
٢٨٣	ذكر وفاة الآمر وخلافة الحافظ العلوى
٢٨٣	ذكر عدة حوادث
٢٨٤	(سنة خمس وعشرين وخمسمائة)
٢٨٤	ذكر اسر دبيس بن صدقة وتسليمه الى عماد الدين زنكى
٢٨٥	ذكر وفاة السلطان محمود وملك ابنه داود
٢٨٥	ذكر عدة حوادث

صحيفة	
٢٨٦	(سنة ست وعشرين وخمسمائة)
٢٨٦	ذكر قتل أبى على وزير الحافظ ووزارة يانس ومونته
٢٨٧	ذكر حال السلطان مسعود والملكين سلجوق شاه وداود واستقرار السلطنة بالعراق لمسعود
٢٨٨	ذكر الحرب بين السلطان مسعود وعمه السلطان سنجر
٢٨٩	ذكر مسير عماد الدين زنكى الى بغداد وانهزامه
٢٨٩	ذكر حال دبيس بعد الهزيمة
٢٨٩	ذكر وفاة تاج الملوك صاحب دمشق
٢٩٠	ذكر ملك شمس الملوك حصن اللبوة وحصن رأس وحصره بعلبك
٢٩٠	ذكر الحرب بين السلطان طغرل والملك داود
١٩١	ذكر عدة حوادث
١٩١	(سنة سبع وعشرين وخمسمائة)
٢٩	ذكر ملك شمس الملوك بانياس
٢٩١	ذكر حرب بين المسلمين والفرنج
٢٩٣	ذكر عود السلطان مسعود الى السلطنة وانهزام الملك طغرل

(تمت)

(فهرست الجزء العاشر من تاريخ العلامة الجبرتى)

صحيفة	
٨	جمادى الاولى
١٢	جمادى الآخرة
١٧	رجب
٢١	شعبان
٢٣	رمضان
٢٤	شوال
٢٥	القعدة
٢٩	الحجة
٣٣	(ذكر من مات فى هذه السنة)
٨٤	(سنة اثنتين وعشرين ومائتين

صحيفة

وألف)

١٠١ صفر

١٢٠ ربيع الاول

١٢٤ ربيع الثانى

١٣٠ جمادى الاولى

١٣٢ جمادى الثانية

١٤٠ رجب

١٤٢ شعبان

١٥٣ رمضان

١٥٩ شوّال

١٦٣ القعدة

١٦٥ الحجة

١٦٧ (ذكر من توفى فى هذه السنة)

١٧٢ (سنة ثلاث وعشرين ومائتين وألف)

١٧٤ ربيع الثانى

١٧٥ جمادى الاولى

١٧٥ جمادى الثانية

١٧٥ (عزل السلطان سليم وتولية السلطان مصطفى)

١٧٧ (عزل السلطان مصطفى وتولية السلطان محمود)

١٧٩ رجب وشعبان

١٨٢ رمضان

١٨٤ شوّال

١٨٥ القعدة

١٨٦ الحجة

١٨٩ حوادث عامة

١٩٤ (ذكر من توفى فى هذه السنة)

١٩٨ (سنة اربع وعشرين ومائتين وألف)

٢٠٠ صفر

٢٠٦ ربيع الاول

٢٠٨ ربيع الثانى

صحيفة

٢١٠ جمادى الاولى

٢٢٠ جمادى الثانية

٢٢٤ ذكر نفى السيد عمر النقيب الى دمياط

٢٢٦ رجب

٢٢٨ شعبان

٢٢٩ ذكر عزل السيد أحمد الطحطاوى من الافتاء وتولية الشيخ المنصورى

٢٣١ رمضان

٢٣٢ شوّال

٢٣٣ القعدة

٢٣٥ الحجة

٢٣٥ (ذكر حوادث هذه السنة)

٢٣٩ (ذكر من مات فى هذه السنة وتراجمهم)

٢٤٦ (سنة خمس وعشرين ومائتين وألف)

٢٥٠ صفر

٢٥٥ ربيع الاول

٢٥٨ ربيع الثانى

٢٦٦ جمادى الاولى

٢٧٥ جمادى الثانية

٢٧٥ (تقليد ديوان أفندى ناظر مهمات الحرمين وسفره لمحاربة الوهابية)

٢٧٧ رجب

٢٧٧ ورود قزلار أغا المسمى بعيسى أغا من طرف الدولة لمحاربة الوهابية

٢٨٢ شعبان

٢٨٥ رمضان

٢٨٦ شوّال

٢٨٩ القعدة

٢٩٠ الحجة

٢٩١ (ذكر جملة حوادث)

(تمت)

(ما شاء الله كان)

الجزء العاشر من تاريخ الكامل للعلامة أبي الحسن علي بن أبي
الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد
الشيباني المعروف بابن الاثير الجزري
الملقب بعز الدين رحمه الله تعالى

وبهامشه التاريخ المسمى عجائب الآثار في التراجم والاخبار للوذعي
العلامة الشيخ عبد الرحمن الجبرتي الحنفي رحمة الله تعالى عليه

الطبعة الاولى بالمطبعة الازهرية
المصرية سنة ١٣٠١ هجرية

(وصورته بالحرف)
بسم الله الرحمن الرحيم الرؤف الحليم الحمد لله ذى الجلال على جميع الشؤن والاحوال نرفع اليك اكفا من بحر جودك مغترفة ونتوجه الى كعبة فضلك بقلوب بخالص الوحدانية معترفة ان تديم بهجة الزمان ورونق عنوان اليمن والامان بدوام وزير تخضع لمهابته الرقاب وتدنو لهمة سطوته المهمات الصعاب منتهى آمال المقاصد والوسائل ومحط رحال المطالب من كل سائل حضرة صدر الصدور ومدبر مهمات الامور الصدر الاعظم محمد على باشا أدام الله دعائم العز بقيامه ونسخ للانام فى ايامه محفوفا بعناية الرب الكريم محفوظا بآيات القرآن العظيم آمين اما بعد رفع اكف القصد والرجاء ومد سواعد الخضوع والالتجاء فاننا ننهى لمسامعكم العلية وشيم اخلاقكم المرضية بانه قد قدم حضرة الدستور المكرم والمشير المفخم مدبر مهمات الاسكلات البحرية خادم الدولة العلية الوزير قبودان

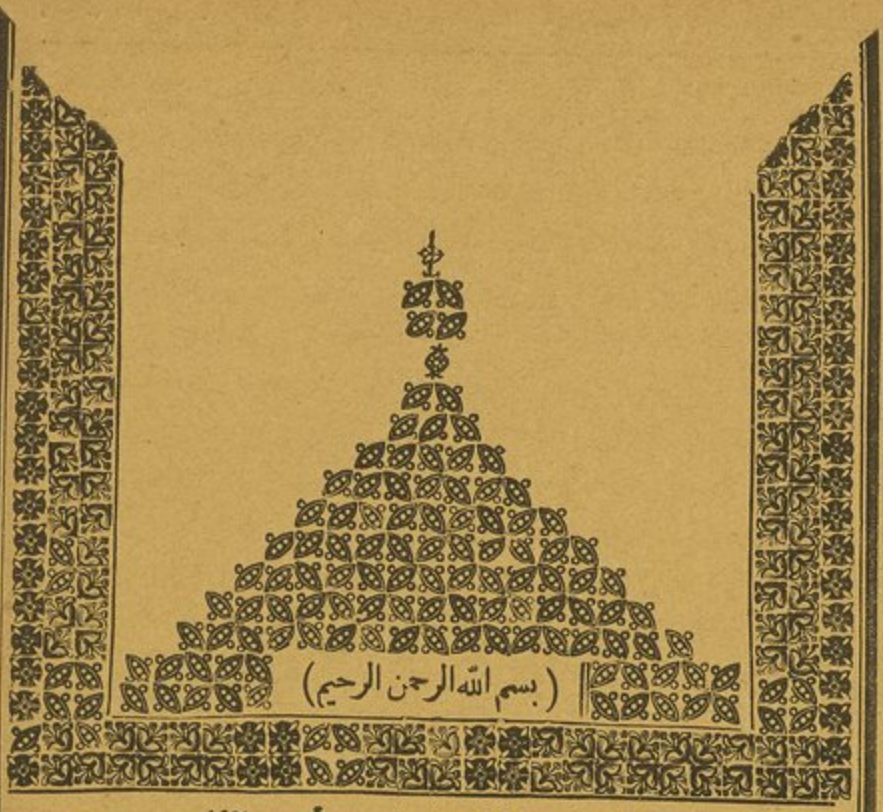

(ثم دخلت سنة احدى وخمسين وأربعمائة)

*(ذكر وفاة فرخ زاد صاحب غزنة وملك أخيه ابراهيم)

فى هذه السنة فى صفر توفى الملك فرخ زاد بن مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة وكان قد ثار به مماليكه سنة خمسين واتفقوا على قتله فقصدوه وهو فى الحمام وكان معه سيف فاخذه وقاتلهم ومنعهم عن نفسه حتى أدركه أصحابه وخلصوه وقتلوا أولئك الغلمان وصار بعد أن نجا من هذه الحادثة يكثر ذكر الموت ويحتقر الدنيا ويزدريها وبقى كذلك الى هذه السنة فاصابه قولنج فمات منه وملك بعده أخوه ابراهيم ابن مسعود بن محمود فاحسن السيرة فاستعد لجهاد الهند ففتح حصونا امتنعت على أبيه وجده وكان يصوم رجبا وشعبان ورمضان

(ذكر الصلح بين الملك ابراهيم وجغرى بك داود)

فى هذه السنة استقر الصلح بين الملك ابراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين وبين داود بن ميكائيل بن سلجوق صاحب خراسان على أن يكون كل واحد منهما على ما بيده ويترك منازعة الآخر فى ملكه وكان سبب ذلك ان العقلاء من الجانبين نظروا فرأوا ان كل واحد من الملكين لا يقدر على أخذ ما بيد الآخر وليس يحصل غير انفاق الاموال واتعاب العساكر وذهاب البلاد وقتل النفوس فسعوا فى الصلح فوقع الاتفاق واليمين وكتبت النسخ بذلك فاستبشر الناس وسرهم لما أشرفوا عليه من العافية

باشا الى ثغر سكندرية فارسل كتخدا البوابين سعيد اغا وصحبته الامر الشريف ٣ الواجب القبول والتشريف المعنون بالرسم الهمايونى العالى دامت مسراته على مر الدهور والاعوام والايام والليالى فاوضح مكنونه وافصح مضمونه بانه قد تطاولت العداوة بين الوزير محمد على باشا وبين الامراء المصريين فتعطلت مهمات الحرمين الشريفين من غلال ومرتبات وتنظيم امير الحاج على حكم سوابق العادات والحال انه ينبغى تقديم ذلك على سائر المطلوبات وان هذا التاخير سببه كثرة العساكر والعلوفات وترتب على ذلك اكمال الرعية بالاقاليم المصرية الدمار والاضمحلال وانهت الامراء المصرية هذه الكيفية لحضرة السدة السنية وانهم يتعهدون بالتزام جميع مرتبات الحرمين الشريفين من غلال وعوائد ومهمات واخراج امير الحاج على حكم اسلوب المتقدمين مع الامتثال لاكمال مايرد من الاوامر الشريفة الى ولاة الامور بالديار المصرية وانهم يقومون فى كل سنة بدفع الاموال الميرية الى خزينة الدولة العلية ان حصل لهم العفو عن جرائمهم الماضية والرضا بدخولهم مصر المحمية والتمسوا من حضرة الدولة العلية قبول ذلك منهم وبلوغهم مامولهم فاصدر تم لهم الامر الهمايونى الشريف المطاع المنيف بعزل الوزير المشار اليه لتقرير العداوة معه ووجهتم له ولاية سلانيك

(ذكر وفاة داود وملك ابنه الب ارسلان)

فى هذه السنة فى رجب توفى جغرى بك داود بن ميكائيل بن سلجوق اخو السلطان طغرلبك وقيل كان موته فى صفر سنة اثنتين وخمسين وعمره نحو سبعين سنة وكان صاحب خراسان وهو مقابل آل سبكتكين ومقاتلهم ومانعهم عن خراسان فلما توفى ملك بعده خراسان ابنه السلطان الب ارسلان وخلف داود عدة أولاد ذكور منهم السلطان ألب ارسلان و ياقوتى وسليمان وقاروت بك فتزوج أم سليمان السلطان طغرلبك بعد أخيه داود ووصى له بالملك بعده وكان من أمره مانذكره وكان خيرا عادلا حسن السيرة معترفا بنعمة الله تعالى عليه شاكرا عليها فمن ذلك انه أرسل الى أخيه طغرلبك مع عبد الصمد قاضى سرخس يقول له بلغنى اخرابك البلاد التى فتحتها وملكتها وجلاء أهلها عنها وهذا مالا اخفاء به فى مخالفة أمر الله تعالى فى عباده وبلاده وأنت تعلم مافيه من سوء السمعة وايحاش الرعية وقد علمت اننا لقينا أعداءنا ونحن فى ثلاثين رجلا وهم فى ثلثمائة فغلبناهم وكنا فى ثلثمائة وهم فى ثلاثة آلاف فغلبناهم وكنا فى ثلاثة آلاف وهم فى ثلاثين ألفا فدفعناهم وقاتلنا بالامس شاه ملك وهو فى اعداد كثيرة متوافرة فقهرناه وأخذنا مملكته بخوارزم وهرب من بين أيدينا الى خمسمائة فرسخ من موضعه فظفرنا به وأسرناه وقتلناه واستولينا على ممالك خراسان وطبرستان وسجستان وصرنا ملوكا متبوعين بعد ان كنا أصاغر تابعين وما تقتضى نعم الله علينا ان نقابلها هذه المقابلة فقال طغرلبك قل له فى الجواب يا أخى أنت ملكت خراسان وهى بلاد عامرة تفخر بتها ووجب عليك مع استقرار قدمك عمارتها وانا وردت بلاد اخربها من تقدمنى واجتاحها من كان قبلى فما أتمكن من عمارتها والاعداء محيطة بها والضرورة تقود الى طرقها بالعساكر ولا يمكن دفع مضرتها عنها ولد مناقب كثيرة تركناها خوف التطويل

(ذكر حريق بغداد)

فى هذه السنة احترقت بغداد السكرخ وغيره وبين السورين واحترقت فيه خزانة الكتب التى وقفها ابو نصر شابور الوزير ونهبت بعض كتبها وجاء عميد الملك الكندرى فاختار من الكتب خيرها وكان بها عشرة آلاف مجلد وأربعمائة مجلد من اصناف العلوم منها مائة مصحف بخطوط بنى مقلة وكان العامة قد نهبوا بعضها الماوقع الحريق فازالهم عميد الملك وقد يختارها فنسب ذلك الى سوء سيرته وفساد اختياره وشتان بين فعله وفعل نظام الملك الذى عمر المدارس ودون العلم فى بلاد الاسلام جميعها ووقف الكتب وغيرها

(ذكر انحدار السلطان الى واسط وما فعل العسكر واصلاح دبيس)

فى هذه السنة انحدر السلطان طغرلبك الى واسط بعد فراغه من امر بغداد فرآها قد نهبت وحضر عنده هزارسب بن بنكير واصلح معه حال دبيس بن مزيد واحضره معه الى

والوجهاء بالديار المصرية الداعين لحضرة مولانا الخنكار ببلوغ المأمولات المرضية ان تعهدوا بهم وكفلوهم يحصل لهم المساعدة الكلية حكم التماسهم من أعتاب حضرة الدولة العلية فامركم مطاع وواجب القبول والاتباع غير اننا نلتمس من شيم الاخلاق المرضية والمراحم العلية العفو عن تعهدنا وكفالتنا لهم فان شرط الكفيل قدرته على المكفول ونحن لا قدرة لنا على ذلك لما تقدم من الافعال الشهيرة والاحوال والتطورات الكثيرة التي منها خيانة المرحوم السيد على باشا والى مصر سابقا بعد واقعة ميرميران طاهر باشا وقتل الحجاج القادمين من البلاد الرومية وسلب الاموال بغير اوجه شرعية والصغير لا يسمع كلام الكبير والكبير لا يستطيع تنفيذ الامر على الصغير وغير ذلك مما هو معلوم منا ومشاهد تناخصوصا ما وقع في العام الماضي من اقدامهم على مصر المحمية وهجومهم عليها في وقت الفجرية فجلاهم عنها عضرة المشار اليه وقتل منهم جملة كثيرة فكانت واقعة شهيرة فهذا شئ لا ينكر فحينئذ لا يمكننا التكفل والتعهد لانا لا نطلع على ما في السرائر وما هو مستكن في الضمائر فنرجو عدم المؤاخذة قصد

خدمة السلطان واصعد في صحبته الى بغداد وكذلك صدقة بن منصور بن الحسين وضمن واسطا ابو علي بن فضلان بمائتي الف دينار وضمن البصرة الاغر ابو سعد سابور ابن المظفر وعبر السلطان الى الجانب الشرقي من دجلة وسار الى قرب البطائح فنهب العسكر ما بين واسط والبصرة والاهواز واصعد السلطان الى بغداد في صفر سنة اثنتين وخمسين ومعه ابو الفتح بن ورام وهزارسب بن بنكير بن عياض ودبيس بن مزيد وابو علي ابن الملك ابي كاليجار وصدقة بن منصور بن الحسين وغيرهم واجتمع السلطان بالخليفة وامر الخليفة بعمل طعام كثير حضره السلطان والامراء واصحابهم وعمل السلطان ايضا سماطا احضر فيه الجماعة وخلع عليهم وسار الى بلاد الجبل في شهر ربيع الاول سنة اثنتين وخمسين وجعل ببغداد شحنة الامير برسق وضمنها ابو الفتح المظفر بن الحسين ثلاث سنين بار بعمائة الف دينار

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة عزل ابو الحسين بن المهتدي من الخطابة بجامع المنصور لانه خطب للعلوي ببغداد في الفتنة واقيم مقامه بها الشريف ابو علي الحسن بن عبد الودود بن المهتدي بالله وفيها توفي علي بن محمود بن ابراهيم الزوزني ابو الحسن صحب ابا الحسن الحصري وروى عن ابي عبد الرحمن السلمي وهو الذي نسب اليه رباط الزوزني المقابل لجامع المنصور وفيها في جمادى الاولى توفي محمد بن علي بن الفتح بن محمد بن علي ابو طالب العشاري ومولده في المحرم سنة ست وستين وثلثمائة وسمع الدارقطني وغيره

(ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين وار بعمائة)

(ذكر عود ولي العهد الى بغداد مع ابي الغنائم بن المحلبان)

في جمادى الآخرة ورد عدة الدين ابو القاسم المقتدي بامر الله ولي العهد ومعه جدته أم الخليفة وخرج الناس لاستقباله وجلس في الزبزب وعلى رأسه أبو الغنائم بن المحلبان وقدم له بباب الغربة فرس فحمله ابن المحلبان على كتفه واركبه وسلمه الى مجلس الخليفة فشكره وخرج ابن المحلبان فركب في الزبزب وانحدر الى داره فردت له بباب المراتب ودخل الى الخليفة واجتمع به وكان سبب مسير ولي العهد مع ابن المحلبان انه دخل داره فوجد زوجة رئيس الرؤساء وأولاده بها وهم مطلوبون من البساسيري فعرفوه ان رئيس الرؤساء أمرهم بقصده فادخلهم الى أهله وأقام لهم من حملهم الى ميافارقين فسار وامع قراوش لما أصعد من بغداد ولم يعلم بهم ثم لقيه أبو الفضل محمد بن عامر الوكيل وعرفه ما عليه ولي العهد ومن معه من ايثار الخروج من بغداد وما هم عليه من تناقص الحال فبعث ابن المحلبان زوجته فأتمته بهم سرا فتركهم عنده ثمانية أشهر وكان يحضر ابن البساسيري وأصحابه ويعمل لهم الدعوات وولي العهد ومن معه مستترون عنده يسمعون ما يقول اولئك فيهم ثم اكترى لهم وسار هو في صحبتهم الى قريب سنجار ثم حملوا الى حران وسار مع صاحبها أبي الزمام منيع بن وثاب النميري حين

فى الامور التى لاقدرة لنا عليها الا نحن الا نقدر على دفع المفسدين والطغاة ٥ والمتمردين الذين اهلكوا الرعايا ودمروهم فانتم خلفاء الله على خليقته وامناؤه على بريته ونحن ممتثلون لولاة اموركم فى جميع ماهو موافق للشريعة المحمدية على حكم الامر من رب البرية فى قوله سبحانه وتعالى يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم فلا تسعنا المخالفة فيما يرضى الله ورسوله فان حصل منهم خلاف ذلك نكل الامر فيهم الى مالك الممالك لان أهل مصر قوم ضعاف وقال عليه الصلاة والسلام أهل مصر الجند الضعيف فاكادهم أحد الا كفاهم الله مؤنته وقال أيضا وكل راع مسئول عن رعيته يوم القيامة ونفيد أيضا حضرة المسامع العلية من خصوص الفرض والسلف التى حصل منها الثقلة للاهالى من حضرة محسوبكم الوزير محمد على باشا فانه اضطر اليها لاجل اغراء العساكر وتقويتهم على دفع الاشقياء والمفسدين والطغاة المتمردين امتثالا لاوامر الدولة العلية فى دفعهم والخروج من حقهم واجتهد فى ذلك غاية الاجتهاد رغبة فى حلول انظار الدولة العلية فالامر مفوض اليكم والملك امانة الله تحت ايديكم نسال الله الكريم المنان أن يديم العز والامتنان لسدة السلطان مع رفعة تترشح بها فى النفوس عظمته وسطوة تسرى بها فى القلوب مهابته وان

قصد الرحبة وفتح قرقيسيا وعقد اعدة الدين على بنت منيع وانحدروا الى بغداد

٭(ذكر ملك محمود بن شبل الدولة حلب)٭

فى هذه السنة فى جمادى الآخرة حصر محمود بن شبل الدولة بن صالح بن مرداس الكلابى مدينة حلب وضيق عليها واجتمع مع جمع كثير من العرب فاقام عليها فلم يتسهل له فتحها فرحل عنها ثم عاودها فحصرها فملك المدينة عنوة فى جمادى الآخرة بعد ان حصرها وامتنعت القلعة عليه وأرسل من بها الى المستنصر بالله صاحب مصر ودمشق يستنجدونه فامر ناصر الدولة أبا محمد الحسين بن الحسن بن حمدان الامير بدمشق ان يسير بمن عنده من العساكر الى حلب يمنعها من محمود فسار الى حلب فلما سمع محمود بقربه منه خرج من حلب ودخلها عسكر ناصر الدولة فنهبوها ثم ان الحرب وقعت بين محمود وناصر الدولة بظاهر حلب واشتد القتال بينهم فانهزم ناصر الدولة وعاد مقهورا الى مصر وملك محمود حلب وقتل عمه معز الدولة واستقام أمره بها وهذه الوقعة تعرف بوقعة الفنيدق وهى مشهورة

٭(ذكر عدة حوادث)٭

فى هذه السنة خلع السلطان طغرلبك على محمود بن الاخرم الخفاجى وردت اليه امارة بنى خفاجة وولاية الكوفة وسقى الفرات وضمن خواص السلطان هناك باربعة آلاف دينار كل سنة وصرف عنها رجب بن منيع وفيها توفى أبو محمد النسوى صاحب الشرطة ببغداد وقد جاوز ثمانين سنة وفيها سد بنو وارام بثق النهروانات وشرع العميد أبو الفتح فى عمارة بثوق السكر خ وفيها فى ذى القعدة توفيت خاتون زوجة السلطان طغرلبك بزنجان فوجد عليها وجدا شديدا وحمل تابوتها الى الرى فدفنت بها وفيها ثالث جمادى الآخرة انقض كوكب عظيم القدر عند طلوع الفجر من ناحية المغرب الى ناحية المشرق فطال لبثه وفيها جمع عطية بن صالح بن مرداس جمعا وحصر الرحبة وضيق على أهلها فملكها فى صفر من هذه السنة وفيها توفيت والدة الخليفة القائم بامر الله واسمها قطر الندى وقيل بدر الدجى وقيل علم وهى جارية أرمينية وفيها توفى محمد بن الحسين بن محمد بن الحسن أبو على المعروف بالجازرى النهروانى وكان مكثرا من الرواية (الجازرى بالجيم وبعد الالف زاى ثم راء) وفيها توفى باى أبو منصور الفقيه الجيلى بالباء الموحدة وبعد الالف ياء تحتها نقطتان ومحمد بن عبيد بن أحمد بن محمد أبو عمرو بن أبى الفضل الفقيه المالكى

٭(ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة)٭

٭(ذكر وزارة ابن دارست للخليفة)٭

لما عاد الخليفة الى بغداد استخدم أبا تراب الاتيرى فى الانهاء وحضور المواكب ولقبه حاجب الحجاب وكان قد خدمه بالحديثة وقرب منه فخاطب الشيخ أبو منصور بن يوسف فى وزارة ابى الفتح منصور بن أحمد بن دارست وقال انه يخدم بغير اقطاع ويحمل مالا

فاجيب الى ذلك فاحضر من الاهواز الى بغداد وخلع عليه خلعة الوزارة منتصف ربيع الآخر وجلس فى منصبه ومدحه الشعراء فمن مدحه وهناه أبو الحسن الخباز بقصيدة منها

امن الملك بالامين أبى الفتـ * ـح وصدت عن صفوه الاقذاء
دولة أصبحت وأنت ولى الـ * ـرأى فيها لدولة غـراء

وهى طويلة وكان ابن دارست فى أول أمره تاجرا للملك أبى كاليجار

(ذكر موت المعز بن باديس وولاية ابنه تميم)

فى هذه السنة توفى المعز بن باديس صاحب افريقية من مرض أصابه وهو ضعف الكبد وكانت مدة ملكه سبعا وأربعين سنة وكان عمره لما ملك احدى عشرة سنة وقيل ثمان سنين وستة أشهر وكان رقيق القلب خاشعا متجنبا لسفك الدماء الا فى حد حليما يتجاوز عن الذنوب العظام حسن الصحبة مع عبيده وأصحابه مكرما لاهل العلم كثير العطاء لهم كريما وهب مرة مائة ألف دينار للمستنصر الزناتى وكان عنده وقد جاءه هذا المال فاستكثره فامر به فافرغ بين يديه ثم وهبه له فقيل له لم أمرت باخراجه من أوعيته قال لئلا يقال لو رآه ما سمحت نفسه به وكان له شعر حسن ولما مات رثاه الشعراء فمنهم أبو الحسن بن رشيق فقال

لكل حى وان طال المدى هلك * لاعز مملكة يبقى ولا ملك
ولى المعز على اعقابه فرمى * أو كاد ينهد من أركانه الفلك
مضى فقيدا وأبقى فى خزائنه * هام الملوك وما أدراك ما ملكوا
ما كان الاحساما سله قدر * على الذين بغوا فى الارض وانهمكوا
كانه لم يخض للموت بحر وغى * خضر البحار اذا قيست به برك
ولم يجد بقناطير مقنطرة * قد أرعيت باسمه ابريزها السكك
روح المعز وروح الشمس قد قبضا * فانظر باى ضياء يصعد الفلك

ولما توفى ملك بعده ابنه تميم وكان مولد تميم بالمنصورية التى هى مقره منتصف رجب سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة وولاه المهدية فى صفر سنة خمس وأربعين فاقام بها الى ان وافاه أبوه المعز لما انتزح عن القيروان من العرب وقام بخدمة أبيه وأظهر من طاعته وبره ما بان به كذب ما كان ينسب اليه ولما استبد بالملك بعد أبيه سلك طريقه فى حسن السيرة ومحبة أهل العلم الا انه كان أصحاب البلاد قد طمعوا بسبب العرب وزالت الهيبة والطاعة عنهم فى أيام المعز فلما مات ازداد طمعهم واظهر كثير منهم الخلاف فمن أظهر الخلاف القائد حمو بن مليك صاحب سفاقس واستعان بالعرب وقصد المهدية ليحاصرها فخرج اليه تميم وصافه فاقتتلوا فانهزم حمو وأصحابه وكثر القتل فيهم ومضى حمو ونجا بنفسه وتفرقت خيله ورجاله وكان ذلك سنة خمس وخمسين وسار تميم الى سوسة وكان أهلها قد خالفوا أباه المعز وعصوا عليه فملكها وعفا

يبقى دولته على الانام وان يحسن البدء والختام بجاه سيدنا محمد خير البرية وآله وصحبه ذوى المناقب الوفية انتهى

وكتبوا من ذلك نسختين احداهما الى القبطان وأخرى الى السلطان وكتبوا عليهما الامضاء والختوم وأرسلوهما (وفى ليلة الاثنين ثالث عشرينه) وصل شاكر أغا سلحدار الوزير الى بولاق فتلقوه وأركبوه الى بيت الباشا فلما أصبح النهار أرسلوا أوراقا وصلت صحبة السلحدار المذكور احداها خطابا للمشايخ وأخرى الى شيخ السادات وثالثة الى السيد عمر النقيب وكلها على نسق واحد وهى من قبودان باشا وعليها الختم الكبير وهى بالعربى وفرمان رابع باللغة التركية خطابا للجميع ومضمون الكل الاخبار بعزل محمد على باشا عن ولاية مصر وولايته سلانيك وولاية السيد موسى باشا المنفصل عنها مصر وان يكون الجميع تحت الطاعة والامتثال للاوامر والاجتهاد فى المعاونة وتسهيل محمد على باشا فيما يحتاج اليه من السفن ولوازم السفر ليتوجه هو وحسن باشا والى جرجا من طريق دمياط بالاعزاز والاكرام وصحبتهما جميع العساكر من غير تاخير حسب الاوامر السلطانية ثم انهم اجتمعوا فى عصر ذلك اليوم بمنزل السيد عمر وركبوا الى الباشا فلما استقروا بالمجلس قال لهم وصلت اليكم المراسلات الواردة صحبة السلحدار قالوا نعم

عن

عن أهلها

* (ذكر وفاة قريش صاحب الموصل وامارة ابنه شرف الدولة) *

في هذه السنة توفي قريش بن بدران صاحب الموصل ونصيبين أصابه خروج الدم من فيه وأنفه وعينيه وأذنيه فحمله ابنه شرف الدولة الى نصيبين حتى حفظ خزانته بها وتوفي هنالك وسمع فخر الدولة أبو نصر محمد بن محمد بن جهير حاله فسار من دارا الى نصيبين وجمع بني عقيل على ان يؤمروا ابنه أبا المكارم مسلم بن قريش عليهم وكان القائم بامره جابر بن ناشب فزوجه فخر الدولة باخت مسلم وزوج مسلما بابنة نصر بن منصور

* (ذكر وفاة نصر الدولة بن مروان) *

في هذه السنة توفي نصر الدولة أحمد بن مروان الكردي صاحب ديار بكر ولقبه القادر بالله نصر الدولة وكان عمره نيفا وثمانين سنة وامارته اثنتين وخمسين سنة واستولى على الامور ببلاده استيلاء تاما وعمر الثغور وضبطها وتنعم تنعما لم يسمع بمثله عن أحد من أهل زمانه وملك من الجواري المغنيات ما اشترى بعضهن بخمسة آلاف دينار وأكثر من ذلك وملك خمسمائة سرية سوى توابعهن وخمسمائة خادم وكان في مجلسه من الآلات ما تزيد قيمته على مائتي ألف دينار وتزوج من بنات الملوك جملة وأرسل طباخين الى الديار المصرية وغرم على ارسالهم جملة وافرة حتى تعلموا الطبخ من هناك وأرسل الى السلطان طغرلبك هدايا عظيمة من جملتها الجبل الياقوت الذي كان لبني بويه اشتراه من الملك العزيز أبي منصور بن جلال الدولة وأرسل معه مائة ألف دينار سوى ذلك ووزر له أبو القاسم بن المغربي وفخر الدولة بن جهير ورخصت الاسعار في ايامه وتظاهر الناس بالاموال ووفد اليه الشعراء وأقام عنده العلماء والزهاد وبلغه ان الطيور في الشتاء تخرج من الجبال الى القرى فتصاد فامر ان يطرح لها الحب من الاهراء التي له فكانت في ضيافته طول عمره ولما مات اتفق وزيره فخر الدولة بن جهير وابنه نصر فرتب نصرا في الملك بعد أبيه وجرى بينه وبين أخيه سعيد حروب شديدة كان الظفر في آخرها النصر فاستقر في الامارة بميافارقين وغيرها وملك أخوه سعيد آمد

* (ذكر عدة حوادث) *

في رجب خلع على الكامل أبي الفوارس طراد بن محمد الزينبي وقلد نقابة النقباء ولقب الكامل ذا الشرفين وفيها تولى شمس الدين أسامة بن أبي عبد الله بن علي نقابة العلويين ببغداد ولقب المرتضى وفيها في جمادى الاولى انكسفت الشمس جميعها فظهرت الكواكب واظلمت الدنيا وسقطت الطيور الطائرة وفيها في شهر رمضان توفي شكر العلوي الحسيني أمير مكة وله شعر حسن فمنه

قوض خيامك عن أرض تضام بها * وجانب الذل ان الذل مجتنب
وارحل اذا كان في الاوطان منقصة * فالمندل الرطب في أوطانه حطب

وفيها توفي أبو القاسم علي بن محمد بن يحيى الشمشاطي بدمشق وكان عالما بالهندسة

على رأيك فقال لهم في غد أبعث اليكم صورة تكتبونها في رد الجواب وأرسل اليهم من الغد صورة مضمونها ان الاوامر الشريفة وصلت الينا وتلقيناها بالطاعة والامتثال الا ان أهل مصر ورعيتها قوم ضعاف ورب ما عصت العساكر عن الخروج فيحصل لاهل البلدة الضرر وخراب الدور وهتك الحرمات وأنتم أهل للشفقة والرحمة والتلطف ونحو ذلك من التزويقات والتمويهات وأصدروها اليه وفي اثناء ذلك محمد علي باشا آخذ في الاهتمام والتشهيل واظهار الحركة والخروج لمحاربة الالفي وبرزت العساكر الى ناحية بولاق وخارج البلدة وعدوا بالخيام الى البر الغربي وتقدم الى مشايخ الحارات بالتعريف على كل من كان متصفا بالجندية ويكتبوا اسماءهم ومحل سكنهم ففعلوا ذلك ثم كتبت لهم أوراق بالامر بالخروج وعليها ختم الباشا ومسطور في ورقة الامر بان المامور يذهب معه شخصين أو ثلاثة على ان أكثرهم لا يملك حمارا يركبه ولا ما يحمل عليه متاعه ولا ما يصرفه على نفسه فضلا عن غيره وكذلك أمر الوجاقلية جليلهم وحقيرهم بالخروج للمحاربة (وفيه)

شرع الباشا في تقرير فرضة على البلاد البحرية وهي القليوبية والمنوفية والغربية والدقهلية والمزاحمتين الى

آخر مجرى النيل ورتبوها أعلى وأدنى وأوسط وهى غلال الاعلى ثلاثون اردبا وثلاثون وأسا من الغنم واردب أرز وثلاثون رطلا من الجبن ومن السمن كذلك وغير هذه الاصناف كالتبن والجلة وغير ذلك والاوسط عشرون اردبا وما يتبعها مما ذكر والادنى اثنا عشر ومع ذلك القبض والطلب مستمر فى فائظ الملتزمين بعضه من ذواتهم وبعضه من فلاحيهم مع ما يتبع ذلك من حق الطرق والخدم وتوالى الاستحالات (وفى ليلة الثلاثاء ثامن عشرينه) سافر شاكر أغا السلحدار بالاجوبة

(شهر جمادى الاولى سنة ١٢٢١)

استهل يوم الخميس فى ثانيه احترق معمل البارود بناحية المدابغ فحصل منه رجة عظيمة وصوت هائل مثل المدفع العظيم سمعه القريب والبعيد ومات به عدة أشخاص ويقال انهم رموا بنبقة من القلعة بقصد التجربة على جهة بولاق فسقطت فى المعمل المذكور وحصل ما ذكر (وفى ثالثه) يوم السبت وقت الزوال ركب الباشا من داره يريد السفر لمحاربة الالفى ونزل الى بولاق وعدى الى بر انبابة لتجهيز العرضى وأرسل أوزاقا لتجمع العربان وعين لذلك حسن أغا محرم وعلى كاشف الشرقية (وفى ليلة الاثنين خامسه) حضر سليم أغا قابجى كتخدا الذى تقدم سفره صحبة سعيد أغا كتخدا البوابين مرسلا الى ابراهيم

والرياضيات من علوم الفلاسفة واليه ينسب الرباط الذى عند جامع دمشق

(ثم دخلت سنة أربع وخمسين وأربعمائة)

(ذكر نكاح السلطان ظاهر لبك ابنة الخليفة)

فى هذه السنة عقد للسلطان ظاهر لبك على ابنة الخليفة القائم بامر الله وكانت الخطبة تقدمت سنة ثلاث وخمسين مع أبى سعد قاضى الرى فانزعج الخليفة من ذلك وأرسل فى الجواب أبا محمد التميمى وأمره ان يستعفى فان أعفى والاتمم الامر على ان يحمل السلطان ثلثمائة ألف دينار ويسلم واسطا واعمالها فلما وصل الى السلطان ذكر لعميد الملك الوزير ما ورد فيه من الاستعفاء فقال لا يحسن أن يرد السلطان وقد سال وتضرع ولا يجوز مقابلته ايضا بطلب الاموال والبلاد فهو يفعل اضعاف ما طلب منه فقال التميمى الامر لك ومهما فعلته فهو الصواب فبنى الوزير الامر على الاجابة وطالع به السلطان فسر به وجمع الناس وعرفهم ان همته سمت به الى الاتصال بهذه الجهة النبوية وبلغ من ذلك ما لم يبلغه سواه من الملوك وتقدم الى عميد الملك الوزير ان يسير ومعه ارسلان خاتون زوجة الخليفة وان يصحبها مائة ألف دينار برسم الجمل وماشاكلها من الجواهر وغيرها ووجه معه فراميز بن كاكويه وغيره من وجوه الامراء واعيان الرى فلما وصل الى الامام القائم بامر الله وأوصل خاتون زوجة الخليفة الى دارها وأنهى حضوره وحضور من معه وذكر حال الوصلة فامتنع الخليفة من الاجابة اليها وقال ان اعفيناه والا خرجنا من بغداد فقال عميد الملك كان الواجب الامتناع من غير اقتراح وعند الاجابة الى ما طلب فالامتناع سعى على دم وأخرج خيامه الى النهروان فاستوقفه قاضى القضاة والشيخ أبو منصور بن يوسف وانهيا الى الخليفة عاقبة انصرافه على هذا الوجه وصنع له ابن دارست وزير الخليفة دعوة فحضر عنده فرأى على مسجد مكتوبا معاوية خال على فامر بحكه وكتب من الديوان الى خمارتكين الطغرائى كتابا يتضمن الشكوى من عميد الملك فورد الجواب عليه بالرفق وكتب الخليفة الى عميد الملك نحن نرد الامر الى رأيك ونعول على امانتك ودينك فحضر يوما عند الخليفة ومعه جماعة من الامراء والحجاب والقضاة والشهود فاخذ المجلس لنفسه ولم يتكلم سواه وقال للخليفة اسال مولانا امير المؤمنين التطول بذكر ما شرف به العبد المخلص شاهنشاه ركن الدين فيما رغب فيه ليعرفه الجماعة فغالطه وقال قد سطر فى المعنى ما فيه كفاية فانصرف عميد الملك مغيظا ورحل فى السادس والعشرين من جمادى الآخرة واخذ المال معه الى همذان وعرف السلطان ان السبب فى اتفاق الحال من خمارتكين الطغرائى فتغير السلطان عليه فهرب فى ستة غلمان وكتب السلطان الى قاضى القضاة والشيخ أبى منصور بن يوسف يعتب ويقول هذا جزائى من الخليفة الذى قتلت أخى فى خدمته وانفقت أموالى فى نصرته واهلكت خواصى فى محبته وأطال العتاب وعاد الجواب اليه بالاعتذار واما الطغرائى فانه أدرك ببروجرد فقال أولاد

قبوذان باشا من طرف محمد على باشا فرجع بجواب الرسالة ومحصلها ان القبودان لم يقبل هذه الاعذار ولا ما تفوه من

ابراهيم ينسال للسلطان ان هذا قتل أبانا ونسال ان نمكن من قتله واعانهم عميد الملك فاذن لهم فى قتله فساروا الى طريقه وقتلوه وجعل مكانه ساوتكين وبسط السكندرى لسانه وطلب طغرلبك ابنة اخيه زوجة الخليفة لتعاد اليه وجرى ما كان يفضى الى الفساد الكلى فلما راى الخليفة شدة الامر أذن فى ذلك وكتب الوكالة باسم عميد الملك وسيرت الكتب مع ابى الغنائم بن الحلبان وكان العقد فى شعبان سنة اربع وخمسين بظاهر تبريز وهذا لم يجر للخلفاء مثله فان بنى بويه مع تحكمهم ومخالفتهم لعقائد الخلفاء لم يطمعوا فى مثل هذا ولا ساموهم فعله وحمل السلطان أموالا كثيرة وجواهر نفيسة للخليفة ولولى العهد وللجهة المطلوبة ولوالدتها وغيرهم وجعل بعقوبا وما كان بالعراق للخاتون زوجة السلطان التى توفيت للسيدة ابنة الخليفة

(ذكر عزل ابن دارست ووزارة ابن جهير)

فى هذه السنة عزل ابو الفتح محمد بن منصور بن دارست من وزارة الخليفة وسببه انه وصل معه انسان يهودى يقال له ابن عدلان فضمن اعمال الوكلاء التى لخاص الخليفة بستة آلاف كرغلة ومائة ألف دينار فصح منها الفاكر وثلاثون ألف دينار وانكسر الباقى فظهر عجز ابن دارست ووهنه فعزل وعاد الى الاهواز فتوفى بها سنة سبع وستين وكان فخر الدولة ابو نصر بن جهير وزير نصر الدولة بن مروان قد راسل يخطب الوزارة وبذل فيها بذولا كثيرة فاجيب اليها وأرسل كامل طراد الزينبى الى ميافارقين كانه رسول فلما عاد سار معه ابن جهير كالمودع له فتمم السير معه وخرج ابن مروان فى اثره فلم يدركه فلما وصل الى بغداد خرج الناس الى استقباله وخلع عليه خلع الوزارة يوم عرفة ولقب فخر الدولة واستقر فى الوزارة ومدحه وهناه ابن الفضل وغيره من الشعراء

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة عم الرخص جميع الاصقاع فبيع بالبصرة الف رطل من التمر بثمانية قراريط وفيها توفى القاضى ابو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعى بمصر وفيها سار السلطان طغرلبك الى قلعة الطرم من بلاد الديلم وقرر على مسافر ملكها مائة الف دينار والف ثوب وفيها مات ابو على الحسن بن ثمال بن صالح بن مرداس الملقب معز الدولة بحلب وقام اخوه عطية مقامه وتوفى الحسن بن على بن محمد ابو محمد الجوهرى ومولده سنة ثلاث وستين وثلثمائة وكان من الائمة المكثرين من سماع الحديث وروايته وهو آخر من حدث عن ابى بكر القطيعى والابهرى وابن شاذان وغيرهم

(ثم دخلت سنة خمس وخمسين واربعمائة)

(ذكر ورود السلطان بغداد ودخوله بابنة الخليفة)

فى هذه السنة فى المحرم توجه السلطان طغرلبك من ارمينية الى بغداد واراد الخليفة ان يستقبله فاستعفاه من ذلك وخرج الوزير ابن جهير فاستقبله وكان مع السلطان من الامراء ابو على ابن الملك ابى كاليجار وسرخاب بن بدوهزارسب وابو منصور فرامرز بن

التمويهات التى لا أصل لها ولابد من تنفيذ الاوامر وسفر الباشا ونزوله هو وحسن باشا وعساكرهما وخروجهم من مصر وذهابهم الى ناحية دمياط وسفرهم الى الجهة المامورين بالذهاب اليها ولا شئ غير ذلك أبدا (وفى ليلة الخميس ثامنه) حضر على كاشف الشرقية وذلك انه تقنطر من فوق جواده وكسرت رجله وأحضروه محمولا (وفى يوم الخميس المذكور) وصل الكثير من طوائف عرب الحويطات ونصف حرام من ناحية شبرا الى بولاق وضربوا الحضورهم مدافع (وفيه) ركب طوائف الدلاتية وتقدموا الى الجهة بحرى واشيع ركوب محمد على باشا ذلك اليوم فلم يركب (وفى ثانى عشره) ورد الخبر بوصول موسى باشا الى ثغر سكندرية يوم الاحد حادى عشره والمذكور ارسل من طرفه قاصدا وعلى يده مرسوم خطابا لاحد افندى الدفتردار بان يكون قائما مقامه ويباشره بضبط الايراد والمصرف فلم يقبل الدفتردار ذلك وقال لم يكن بيدى قبض ولا صرف ولا علاقة لى بذلك (وفى يوم الاحد) طافت جماعة قواسة على بيوت الاعيان يبشروهم بان العساكر الكائنين بناحية الرحمانية ركبوا على عرضى الالفى

فجن عجلة بالاموال ورجعت العساكر ومعهم نحو الثمانين رأسا ومائة اسير وغير ذلك وان الالفى هرب بمفرده الى ناحية الجبل وقيل الى الاسكندرية فكانوا يطوفون على الاعيان بهذا الكلام ويأخذون منهم البقاشيش ثم ظهر ان هذا الكلام لا اصل له وتبين ان طائفة من العرب يقال لهم الجوابيص وهم طائفة مرابطون ليس يقع منهم اذية ولا ضرر لاحد مطلقا نزلوا بالجبل بتلك الناحية فذهبهم العسكر وخطفوا منهم ابلا واغناما وقتل فيما بينهم انفار من الفريقين لمدافعتهم عن انفسهم (وفى ذلك اليوم) أيضا ركب حسن اغا الشماشير حتى الى المنصورية قرية بالجيزة ومعه طائفة من العسكر وهى بالقرب من الاهرام فضربوا القرية ونهبوا منها أغناما ومواشى واحضروها الى العرضى بانبابة وحضر خلفهم أصحاب الاغنام وفيهم نساء يصرخن ويصحن وصادف ذلك ان السيد عمر النقيب عدى الى العرضى فشاهدهم على هذه الحالة فكلم الباشا فى شانهم فامر برد الاغنام التى للنساء والفقراء الصارخين وذهبوا بالباقى للطابخ (وفى ثانى عشره) وردت الاخبار بان العساكر الكائنين بالرحمانية ومرقص رجعوا الى النجيلة ونصبوا عرضيهم ديوان

كاكويه فنزل عسكره فى الجانب الغربى فزادهم اذى ووصل عميد الملك الى الخليفة وطالب بالجهة وبات بالدار فقيل له خطك موجود بالشرط وان المقصود بهذه الوصلة الشرف لا الاجتماع وانه ان كانت مشاهدة فتكون فى دار الخلافة فقال السلطان نفعل هذا ولكن نفرد له من الدور والمساكن ما يكفيه ومعه خواصه وحجابه وعماليكه فانه لا يمكنه مفارقتهم فحينئذ نقلت الى دار المملكة فى منتصف صفر فجلست على سرير ملبس بالذهب ودخل السلطان اليها وقبل الارض وخدمها ولم تكشف الخمار عن وجهها ولا قامت هى له وحمل لها شيئا كثيرا من الجواهر وغيرها وبقى كذلك يحضر كل يوم يخدم وينصرف وخلع على عميد الملك وعمل السماط عدة ايام وخلع على جميع الامراء وظهر عليه سرور عظيم وعقد ضمان بغداد على ابى سعيد القايني بمائة وخمسين الف دينار فاعادها كان اطلقه رئيس العراقيين من المواريث والمكوس وقبض على الاعرابى سعد ضامن البصرة وعقد ضمان واسط على ابى جعفر بن صقالب بمائتى الف دينار

(ذكر وفاة السلطان طغرلبك)

فى هذه السنة سار السلطان من بغداد فى ربيع الاول الى بلد الجبل فوصل الى الرى واستصحب معه ارسلان خاتون ابنة اخيه زوجة الخليفة لانها شكت اطراح الخليفة لها فاخذها معه فمرض وتوفى يوم الجمعة ثامن شهر رمضان وكان عمره سبعين سنة تقريبا وكان عقيما لم يلد ولدا وكان وزيره الكندرى على سبعين فرسخا فاتاه الخبر فسار ووصل اليه فى يومين وهو بعد لم يدفن فدفنه وجلس له الوزير فخر الدولة بن جهير ببغداد للعزاء حكى عنه الكندرى انه قال رأيت وأنا بخراسان فى المنام كانى رفعت الى السماء وأنا فى ضباب لا أبصر معه شيئا غير انى أشم رائحة طيبة وانى أنادى انك قريب من البارى جلت قدرته فاسال حاجتك لتقضى فقلت فى نفسى اسال طول العمر فقيل لك سبعون سنة فقلت يا رب ما يكفينى فقيل لك سبعون سنة فقلت يا رب لا يكفينى فقيل لك سبعون سنة فلما مات حسب عميد الملك عمره على التقريب فكان سبعين سنة وكانت مملكته بحضرة الخلافة سبع سنين وأحد عشر شهرا واثنى عشر يوما وأما الاحوال بالعراق بعد وفاته فانه كتب من ديوان الخلافة الى شرف الدولة مسلم بن قريش صاحب الموصل الى نور الدولة دبيس بن مزيد والى هزارسب والى بنى ورام والى بدر بن مهلهل بالاستدعاء الى بغداد وأرسل لشرف الدولة تشريفا وعمل أبو سعد القايني ضامن بغداد سورا على قصر عيسى وجمع الغلات فانحدر ابراهيم بن شرف الدولة الى أوانا وتسلم أصحابه الانبار وانتشرت البادية فى البلاد وقطعوا الطرقات وقدم الى بغداد دبيس بن مزيد وخرج الوزير ابن جهير لاستقباله وقدم أيضا ورام وتوفى ببغداد أبو الفتح بن ورام مقدم الاكراد الجاوانية فحمل الى جرجرايا وفارق شرف الدولة مسلم بغداد وذهب النواحى فسار نور الدولة والاكراد وبنو خفاجة الى قتاله ثم أرسل اليه من

هنالك وحضر الالفى تجاههم فركبوا لمحاربته وكانوا جمعا عظيما فركب الالفى ١١ بجيوشه وحاربهم ووقع بينه وبينهم

وقعة عظيمة انجلت عن نصرته عليهم وانهزام العسكر وقتل من الدلاة وغيرهم مقتلة عظيمة ولم يزالوا فى هزيمتهم الى البحر وألقوا بانفسهم فيه وامتلأ البحر من طراطير الدلاتية وهرب كتخدا بك وطاهر باشا الى برالمنوفية وعدوا فى المراكب واستولى الالفى وجيوشه على خيولهم وخيامهم وحملاتهم وجبخاناتهم وأرسل برؤس القتلى والاسرى الى القبودان وأشيع خبر هذه الواقعة فى الناس وتحدثوا بها وانزعج الباشا والعسكر انزعاجا عظيما وعدى الى بر بولاق وطاف الوالى واصحاب الدرك ينادون على العساكر بالخروج الى العرضى ويكتبون أسماءهم وحضر الباشا الى داره وأكثر من الركوب والذهاب والمجىء والطواف حول المدينة والشوارع ويذهب الى بولاق ومصر القديمة ويرجع ليلا ونهارا وهو راكب رهوانا تارة أو فرسا أو بغلة ومرتد ببرنس ابيض مثل المغاربة والعسكر امامه وخلفه ووصل مجاريح كثيرة واخبروا بالواقعة المذكورة ومات من جماعة الالفى أحمد بك الهنداوى فقط وانجرح امين بك وغيره جرح سلامة (وفى يوم الاربعاء حادى عشر ينه) وصلت العساكر المهزومة وكبراؤهم الى بولاق وفيهم مجاريح

ديوان الخليفة رسول معه خلعة له وكوتب بالرضا عنه والتحذر اليه نور الدولة دبيس فعمل له شرف الدولة سماطا كثيرا وكان فى الجماعة الاشرف أبو الحسين بن فخر الملك أبى غالب بن خلف كان قصد شرف الدولة مستجديا فضغ لقمة فمات من ساعته وحكى عنه بعض من صحبه انه سمعه ذلك اليوم يقول اللهم اقبضنى فقد ضجرت من الاضاقة فلما توفى ورفع من السماط خاف شرف الدولة ان يظن من حضر أنه تناول طعاما مسموما قصد به غيره فقال يامعشر العرب لا يرح منكم أحد ونهض وجلس مكان ابن فخر الملك المتوفى وجعل يأكل من الطعام الذى بين يديه فاستحسن الجماعة فعله وعادوا عنه وخلع على دبيس وولده منصور وعاد الى حلته ولما رأى الناس ببغداد انتشار الاعراب فى البلاد ونهبها حملوا السلاح لقتالهم وكان ذلك سببا لكثرة العيارين وانتشار المفسدين

(ذكر شئ من سيرته)

كان عاقلا حليما من اشد الناس احتمالا وأكثرهم كتمانا لسره ظفر بمطالعات كتبها بعض خواصه الى الملك أبى كاليجار فلم يطلعه على ذلك ولا تغير عليه حتى أظهره بعد مدة طويلة لغيره وحكى عنه اقضى القضاة الماوردى قال لما أرسلنى القائم بامر الله اليه سنة ثلاث وثلاثين كتبت كتابا الى بغداد اذكر فيه سيرته وخراب بلاده واطعن عليه بكل وجه فوقع الكتاب من غلامى فحمل اليه فوقف عليه وكتمه ولم يحدثنى فيه بشئ ولا تغير عما كان عليه من اكرامى وكان رحمه الله يحافظ على الصلوات ويصوم الاثنين والخميس وكان لبسه الثياب البياض وكان ظلوما غشوما قاسيا وكان عسكره يغصبون الناس اموالهم وأيديهم مطلقة فى ذلك نهارا وليلا وكان كريما فمن كرمه ان أخاه ابراهيم ينال اسرى من الروم لما غزاهم بعض ملوكهم فبذل فى نفسه اربعمائة ألف دينار فلم يقبل ابراهيم منه وحمله الى طغرلبك فارسل ملك الروم الى نصر الدولة بن مروان حتى خاطب طغرلبك فى فكاكه فلما سمع طغرلبك رسالته أرسل الروم الى ابن مروان بغير فداء وسير معه رجلا علويا فنفذ ملك الروم الى طغرلبك مالم يحمل فى الزمان المتقدم وهو الف ثوب ديباج وخمسمائة ثوب أصناف وخمسمائة رأس من الكراع الى غير ذلك وأنفذ مائتى ألف دينار ومائة لبنة فضة وثلثمائة شهرى وثلثمائة حمار مصرية والف عنز بيض الشعور سود العيون والقرون وأنفذ الى ابن مروان عشرة أمناء مسكا وعمر ملك الروم الجامع الذى بناه مسلمة بن عبد الملك بالقسطنطينية وعمر منارته وعلق فيه القناديل وجعل فى محرابه قوسا ونشابة وأشاع المهادنة

(ذكر ملك السلطان الب ارسلان)

لما مات السلطان طغرلبك أجلس عميد الملك الكندرى فى السلطنة سليمان بن داود جغرى بك أخى السلطان طغرلبك وكان طغرلبك قد عهد اليه بالملك وكانت والدة سليمان عند طغرلبك فلما خطب له بالسلطنة اختلف الامراء فمضى باغى سيان واردم

كثيرة وهم فى اسواحال فمنعهم الباشا ١٢ من طلوع البر وردهم بمراكبهم الى برانبابة واستمروا هناك الى

آخر النهار وهم عدد كثير وقد انضاف اليهم من كان ببر المنوفية ولم يحضر المعركة لما دخلهم من الخوف ثم انهم طلعوا الى بولاق وانتشروا فى النواحى وذهب منهم الكثير الى مصر القديمة وحضر كثير منهم ودخلوا المدينة ودخلوا البيوت وازعجوا كثيرا من الناس الساكنين بنواحية قناطر السباع وسويقة العزلا والناصرية وغير ذلك من النواحى واخرجوهم من دورهم وقد كانت الناس استراحت منهم مدة غيابهم (وفى يوم الاربعاء ثامن عشرينه) الموافق لثامن مسرى القبطى أوفى النيل أذرعه وركب الباشا فى صبيحة يوم الخميس الى قنطرة السد وحضر القاضى والسيد عمر النقيب وكسر الجسر بحضرتهم وجرى الماء فى الخليج جريانا ضعيفا بسبب علو ارضه وعدم تنظيفه من الاتربة المتراكمة فيه ويقال انهم فتحوه قبل الوفاء لاشتغال بال الباشا وتطيره وخوفه من حادثة تحدث فى مثل يوم هذا الجمع وخصوصا وقد وصل الى برالجيزة الكثير من اجناد الالفى

*(شهر جمادى الآخرة سنة ١٢٢١) *استهل بيوم السبت فى سادسه حضر طاهر باشا الى برانبابة ويكون

الى قزوين وخطبا لعضد الدولة الب ارسلان محمد بن داود جغرى بك وهو حينئذ صاحب خراسان ومعه نظام الملك وزيره والناس مائلون اليه فلما رأى عميد الملك الكندرى انعكاس الحال عليه امر بالخطبة بالرى للسلطان الب ارسلان وبعده لاخيه سليمان

(ذكر خروج حمو عن طاعة تميم بن المعز بافريقية)

فى هذه السنة خالف حمو بن مليك صاحب مدينة سفاقس بافريقية على الامير تميم بن المعز ابن باديس فجمع اصحابه واستعان بالعرب وسار الى المهدية فسمع تميم الخبر فسار اليه بعساكره ومعه ايضا طائفة من العرب من زغبة ورياح ووصل حمو الى سلقطة والتقى الفريقان بها وكان بينهما حرب شديدة فانهزم حمو ومن معه واخذتهم السيوف فقتل أكثر حماته واصحابه ونجا بنفسه وتفرقت رجاله وعاد تميم مظفرا منصورا ثم قصد بعد هذه الحادثة مدينة سوسة وكان اهلها قد خالفوا عليه فملكها وعفا عنهم وحقن دماءهم

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى المحرم قبض بمصر على الوزير أبى الفرج بن المغربى وفيها دخل الصليحى صاحب اليمن الى مكة مالكا لها فاحسن السيرة فيها وجلب اليها الاقوات ورفع جور من تقدم وظهرت منه أفعال جميلة وفيها فى ربيع الآخر انقض كوكب عظيم وكان له ضوء كثير وفيها فى شعبان كان بالشام زلزلة عظيمة خرب منها كثير من البلاد وانهدم سور طرابلس وفيها ملك أمير الجيوش بدر دمشق للمستنصر صاحب مصر فوصل اليها فى الثالث والعشرين من ربيع الآخر واقام بها واختلف هو والجند فثاروا به ووافقهم العامة فضعف عنهم ففارقها فى رجب سنة ست وخمسين وفيها توفى سعيد بن نصر الدولة ابن مروان صاحب آمد من ديار بكر وزهير بن الحسين بن على ابو نصر الجذامى الفقيه الشافعى تفقه على ابى حامد الاسفرايينى وسمع الحديث الكثير ورواه وكان موته بسرخس

(ثم دخلت سنة ست وخمسين واربعمائة)

(ذكر القبض على عميد الملك وقتله)

فى هذه السنة قبض السلطان الب ارسلان على الوزير عميد الملك أبى نصر منصور بن محمد الكندرى وزير طغرلبك وسبب ذلك ان عميد الملك قصد خدمة نظام الملك وزير الب ارسلان وقدم بين يديه خمسمائة دينار واعتذر وانصرف من عنده فسار اكثر الناس معه فخوف السلطان من غائلة ذلك فقبض عليه وانفذه الى مرو الروذ واتى عليه سنة فى الاعتقال ثم نفذ اليه غلامين فدخلا عليه وهو محموم فقال لا له تب مما انت عليه ففعل ودخل فودع اهله وخرج الى مسجد هناك فصلى ركعتين واراد الغلامان خنقه فقال لست بلص وخرق خرقة من طرف كمه وعصب عينيه فضربوه بالسيف وكان قتله فى ذى الحجة والف فى قميص دبيقى من ملابس الخليفة وخرقة كانت البردة التى عند الخلفاء فيها وحملت جثته الى كندر فدفن عند ابيه وكان عمره يوم قتل نيفا واربعين سنة وكان سبب اتصاله بالسلطان طغرلبك ان السلطان لما ورد نيسابور طلب رجلا يكتب له

ويكون فصيحا بالعربية فدل عليه الموفق والد أبى سهل وأعطته السعادة وكان فصيحا فاضلا وانتشر من شعره ماقاله فى غلام تركى صغير السن كان واقفا على رأسه يقطع بالسكين قصبة فقال عميد الملك فيه

أنا مشغول بحبه * وهو مشغول بلعبه لو أراد الله خيرا * وصلا لحبه

نقلت رقة خديه الى قسوة قلبه صانه الله فما أكثر اعجابى بحبه

ومن شعره ان كان بالناس ضيق من مناقشتى * فالموت قد وسع الدنيا على الناس

مضيت والشامت المغبون يتبعنى * كل لكاس المنايا شارب حاسى

وقال أبو الحسن الباخرزى يخاطب الب ارسلان عند قتل الكندرى

وعمك أدناه وأعلى محله * وبوأه من ملكه كنف رحبا

قضى كل مولى منكما حق عبده * فخوله الدنيا وخولته العقبى

وكان عميد الملك خصيا قد خصاه طغرلبك لانه أرسله يخطب عليه امرأة ليتزوجها فتزوجها هو وعصى عليه فظفر به وخصاه وأقره على خدمته وقيل بل أعداؤه أشاعوا عنه انه تزوجها فخصى نفسه ليخلص من سياسة السلطنة فقال فيه على بن الحسن الباخرزى

قالوا محا السلطان عنه تعززة * سمة الفحول وكان قرما صائلا

قلت اسكتوا فالآن زاد فحولة * لما اغتدى عن أنثييه عاطلا

فالفحل يانف أن يسمى بعضه * أنثى لذلك جده مستأصلا

يعنى بالانثى واحدة الانثيين وكان شديد التعصب على الشافعية كثير الوقيعة فى الشافعى رضى الله تعالى عنه بلغ من تعصبه انه خاطب السلطان فى لعن الرافضة على منابر خراسان فاذن فى ذلك فامر بلعنهم وأضاف اليهم الاشعرية فانف من ذلك أئمة خراسان منهم الامام أبو القاسم القشيرى والامام أبو المعالى الجوينى وغيرهما ففارقوا خراسان وأقام امام الحرمين بمكة أربع سنين الى ان انقضت دولته بدرس ويفتى فلهذا لقب امام الحرمين فلما جاءت الدولة النظامية أحضر من انتزح منهم واكرمهم وأحسن اليهم وقيل انه تاب من الوقيعة فى الشافعى فان صح فقد أفلح والافعلى نفسها براقش تجنى ومن العجب ان ذكره دفن بخوارزم لما خصى ودمه مسفوح بمرو وجسده مدفون بكندر ورأسه ما عدا قحفه مدفون بنيسابور ونقل قحفه الى كرمان لان نظام الملك كان هناك فاعتبروا يا أولى الابصار ولما قرب للقتل قال للقاصد اليه قل لنظام الملك بئسما عودت الاتراك قتل الوزراء وأصحاب الديوان ومن حفر قليبا وقع فيه ولم يخلف عميد الملك غير بنت

(ذكر ملك الب ارسلان خلاطا وهراة وصغانيا)

لما توفى طغرلبك وملك الب ارسلان عصى عليه أمير خلاط بقلعته ومنع الخراج فقصده السلطان فرأى الحصن منيعا على شاهق فاقام عليه وقاتله فلم يصل منه الى

فذهب الى المنوفية وقد اغتاظ عليه الباشا وأرسل يقول له لاترينى وجهك بعد الذى حصل وترددت بينهما الرسل ثم أرسل اليه يامره بالذهاب الى رشيد فذهب الى فوه ثم حضر شاهين بك الالفى الى الرحمانية فارسل الباشا الى طاهر باشا يامره بالذهاب الى شاهين بك ويطرده من الرحمانية فذهب اليه فى المراكب فضرب عليه شاهين بك بالمدافع فكسر بعض مراكبه فرجع على اثره وركب من البر حتى عدى بحر الرحمانية ثم حضر الى مصر ووصل بعده الكثير من العسكر فامرهم الباشا بالعود فعاد الكثير منهم فى المراكب وحضر ايضا اسمعيل اغا الطوبجى كاشف المنوفية وقد داخل الجميع الخوف من الالفى واما الالفى فانه بعد انفصال الحرب من الجيزة رجع الى حصار دمنهور وذلك بعد ان ذهب اعيانها الى قبودان باشا وقابلوه وامنهم ورجعوا على امانه فافترقوا فرقتين فرقة منهم اطمأنت ورضيت بالامان والاخرى لم تطمئن بذلك وارسلوا الى السيد عمر والباشا فرجع اليهم الجواب يامرونهم باستمرارهم على الممانعة ومحاربة من

الالفى عليهم فلم يرضوا بذلك فعند ذلك استفتى العلماء فى جواز حربهم حتى يذعنوا للطاعة فافتوه بذلك فعند ذلك ارسل الى الالفى يامره بحربهم فحاصرهم وحاربهم واستمر ذلك (وفى يوم الجمعة سابعه) ورد الخبر بموت المكاشف الذى بدمنهور (وفى يوم الخميس ثالث عشره) وصلت قافلة من السويس وصحبتها المحمل فادخلوه وشقوا به من المدينة وخلفه طبل وزمر وأمامه أكابر العسكر وأولاد الباشا ومصطفى جاويش المتسفر عليه ولقد أخبرنى مصطفى جاويش المذكور انه لما ذهب الى مكة وكان الوهابى حضر الى الحج واجتمع به فقال له الوهابى ماهذه العويدات التى تاتون بها وتعظمونها بينكم يشير بذلك القول الى المحمل فقال له جرت العادة من قديم الزمان بها يجعلونها علامة واشارة لاجتماع الحجاج فقال لاتفعلوا ذلك ولا تاتوا به بعد هذه المرة وان أتيتم به مرة أخرى فانى أكسره (وفى ليلة الاربعاء) حضر الافندى المكتوبجى من طرف القبودان الى بولاق فارسل اليه الباشا حصانا فركبه وحضر الى بيت الباشا بالازبكية فى صبح يوم الاربعاء المذكور فاحضر الباشا الدفتردار وسعيد اغا واختلوا مع بعضهم ولم يعلم ما دار بينهم (وفى يوم الخميس عشرينه) ارتحل من بالجيزة من الامراء المصريين وعدتهم ستة من المتاخرين الجدد الذين أمرهم الالفى ويامره

مراده ففى بعض الايام باشر الب ارسلان القتال بنفسه وترجل وصعد فى الجبل فتبعه الخلق وتقدموا عليه فى الموقف وألحوا فى الزحف والقتال وكان صاحب القلعة على شرافة من سورها يحرض الناس على القتال فاتته نشابة من العسكر فقتلته وتسلم الب ارسلان القلعة وصارت فى جملة ممالكه وكان عمه قفز الملك بيغو بن ميكائيل فى هراة فعصى أيضا عليه وطمع فى الملك لنفسه فسار اليه الب ارسلان فى العساكر العظيمة فحصره وضيق عليه وادام القتال ليلا ونهارا فتسلم المدينة وخرج عمه اليه فابقى عليه واكرمه واحسن صحبته وسار من هناك الى صغانيان وأميرها اسمه موسى وكان قد عصى عليه فلما قاربه الب ارسلان صعد موسى الى قلعة على رأس جبل شاهق ومعه من الرجال المكماة جماعة كثيرة فوصل السلطان اليه وباشر الحرب لوقته فلم ينتصف النهار حتى صعد العسكر الجبل وملكوا القلعة قهرا وأخذ موسى اسيرا فامر بقتله فبذل فى نفسه أموالا كثيرة فقال السلطان ليس هذا أوان تجارة واستولى على تلك الولاية باسرها وعاد الى مرو ثم منها الى نيسابور

(ذكر عود ابنة الخليفة الى بغداد والخطبة للسلطان الب ارسلان ببغداد)

فى هذه السنة أمر السلطان الب ارسلان السيدة ابنة الخليفة بالعود الى بغداد وأعلمها انه لم يقبض على عميد الملك الا لما اعتمده من نقلها من بغداد الى الرى بغير رضا الخليفة وأمر الامير ايتكين السليمانى بالمسير فى خدمتها الى بغداد والمقام بها شحنة وانفذ اباسهل محمد بن هبة الله المعروف بابن الموفق للمسير فى الصحبة وأمر بالخاطبة فى اقامة الخطبة له فمات فى الطريق بحدراوهذا ابوسهل من رؤساء اصحاب الشافعى بنيسابور وكان يحضر طعامه فى رمضان كل ليلة اربعمائة متفقه ويصلهم ليلة العيد بكسوة ودنانير لعمهم فلما سمع بموته ارسل العميد ابا الفتح المظفر بن الحسين فمات ايضا فى الطريق فالزم السلطان رئيس العراقين بالمسير فوصلوا بغداد منتصف ربيع الآخر وخرج عميد الدولة ابن الوزير فخر الدولة بن جهير لتلقيهم واقترح السلطان ان يخاطب بالولد المؤيد فاجيب الى ذلك ولقب ضياء الدين عضد الدولة وجلس الخليفة جلوسا عاما سابع جمادى الاولى وشافه الرسل بتقليد الب ارسلان للسلطنة وسلمت الخلع بمشهد من الخلق وارسل اليه من الديوان لاخذ البيعة النقيب طراد الزينبى فوصلوا اليه وهو بنقجوان من اذربيجان فلبس الخلع وبايع للخليفة

(ذكر الحرب بين الب ارسلان وقتلمش)

سمع الب ارسلان ان شهاب الدولة قتلمش وهو من السلجوقية ايضا وهو جد الملوك اصحاب قونية وقيصرية واقصرا وملطية يومئذ قد عصى عليه وجمع جموعا كثيرة وقصد الرى ليستولى عليها فجهز الب ارسلان جيشا عظيما وسيرهم على المفازة الى الرى فسبقوا قتلمش اليها وسار الب ارسلان من نيسابور اول المحرم من هذه السنة فلما وصل الى دامغان ارسل الى قتلمش ينكر عليه فعله وينهاه عن ارتكاب هذه الحال

ويامره بتركها فانه يرعى له القرابة والرحم فاجاب قتلمش جواب مغتر بمن معه من الجموع ونهب قرى الرى واجرى الماء على وادى الملح وهى سبخة فتعذر سلوكها فقال نظام الملك قد جعلت لك من خراسان جندا ينصرونك ولا يخذلونك ويرمون دونك بسهام لا تخطى وهم العلماء والزهاد فقد جعلتهم بالاحسان اليهم من اعظم اعوانك وقرب السلطان من قتلمش فلبس نظام الملك السلاح وعبى الكتائب واصطف العسكران وكان قتلمش يعلم علم النجوم فوقف ونظر فراى ان طالعه فى ذلك اليوم قد قارنه نحوس لا يرى معها ظفرا فقصد المحاجزة وجعل السبخة بينه وبين الب ارسلان ليمتنع من اللقاء فسلك الب ارسلان طريقا فى الماء وخاض غمرته وتبعه العسكر فطلع منه سالما هو وعسكره فصاروا مع قتلمش واقتتلوا فلم يثبت عسكر قتلمش لعسكر السلطان وانهزموا لساعتهم ومضى منهزما الى قلعة كردكوه وهى من جملة حصونه ومعاقله واستولى القتل والاسر على عسكره فاراد السلطان قتل الاسرى فشفع فيهم نظام الملك فعفا عنهم واطلقهم ولما سكن الغبار ونزل العسكر وجد قتلمش ميتا ملقى على الارض لا يدرى كيف كان موته قيل انه مات من الخوف والله اعلم فبكى السلطان لموته وقعد لعزائه وعظم عليه فقده فسلاه نظام الملك ودخل الب ارسلان الى مدينة الرى آخر المحرم من السنة ومن العجب ان هذا قتلمش كان يعلم علم النجوم قد أتقنه مع انه تركى ويعلم غيره من علوم القوم ثم ان اولاده من بعده لم يزالوا يطلبون هذه العلوم الاولية ويقربون اهلها فنالهم بهذا غضاضة فى دينهم وسيرد من اخبارهم ما يعلم منه ذلك وغيره من احوالهم

(ذكر فتح الب ارسلان مدينة آنى وغيرها من بلاد النصرانية)

ثم سار السلطان من الرى اول ربيع الاول وسار الى اذربيجان فوصل الى مرند عازما على قتال الروم وغزوهم فلما كان بمرند اتاه أمير من أمراء التركمان كان يكثر غزو الروم اسمه طغدكين ومعه من عشيرته خلق كثير قد ألفوا الجهاد وعرفوا تلك البلاد وحثه على قصد بلادهم وضمن له سلوك الطريق المستقيم اليها فسار معه فسلك بالعساكر فى مضايق تلك الارض ومخارمها فوصل الى نقجوان فامر بعمل السفن لعبور نهر أرس فقيل له ان سكان خوى وسلماس من اذربيجان لم يقوموا بواجب الطاعة وانهم قد امتنعوا ببلادهم فسير اليهم عميد خراسان ودعاهم الى الطاعة وتهددهم ان امتنعوا فاطاعوا وصاروا من جملة حزبه وجنده واجتمع عليه هناك من الملوك والعساكر ما لا يحصى فلما فرغ من جمع العساكر والسفن سار الى بلاد الكرج وجعل مكانه فى عسكره ولده ملكشاه ونظام الملك وزيره فسار ملكشاه ونظام الملك الى قلعة فيها جمع كثير من الروم فنزل أهلها منها وتخطفوا من العسكر وقتلوا منهم فئة كثيرة فنزل نظام الملك وملكشاه وقاتلوا من بالقلعة وزحفوا اليهم فقتل امير القلعة وملكها المسلمون وساروا منها الى قلعة سرمارى وهى قلعة فيها المياه الجارية والبساتين فقاتلوها

فذهبوا عند استاذهم بناحية دمنهور ونزلوا بالقرب منه (وفى خامس عشرينه) مر سليمان أغا صالح من ناحية الجيزة راجعا من عند الامراء القبالى وصحبته هدايا من طرفهم للقبودان وفيها خيول وعبيد وطواشية وسكر ولم يجيبوا الى الحضور لممانعة عثمان بك البرديسى وحقده الكامن للالفى ولكون هذه الحركة وهى مجىء القبودان وموسى باشا باجتهاده وسفارته وتدبيره كما سيتلى عليك فيما بعد وفيه ظهرت فحوى النتيجة القياسية وانعكاس القضية وهو أن القبودان لما لم يجد فى المصرلية الاسعاف وتحقق ما هم عليه من التنافر والخلاف وتكررت ما بينه وبين الفريقين المراسلات والمكاتبات فعند ذلك استانف مع محمد على باشا المصادقة وعلم ان الاروج له معه الموافقة فارسل اليه المكتوبجى واستوثق منه والتزم له باضعاف ما وعد به من الكذابين معجلا ومؤجلا على ممر السنين والالتزام بجميع المامورات والعدول عن المخالفات فوقع الاتفاق على قدر معلوم وارسل الى محمد على باشا يامره بكتابة عرضحال خلاف الاولين ويرسله صحبة ولده على يد القبودان فعند ذلك لخصوا عرضحال وختم عليه الاشياخ والاختيارية والوجاقلية وارسله صحبة ابنه ابراهيم بك وأصحب معه هدية حافلة وخيولا واقمشة هندية وغير ذلك وتلفت طبخة

ومؤمن سبله وقامع المعتدين
وان الكافة من الخاصة
والعامة والرعية راضية
بولايته واحكامه وعدله
والشريعة مقامة فى ايامه ولا
يرتضون خلافة لما رأوا فيه
من عدم الظلم والرفق بالضعفاء
واهل القرى والارياف
وعمارها باهلها ورجوع
الشاردين منها فى ايام المماليك
المصرية المعتدين الذى كانوا
يتعدون عليهم ويسلبون
أموالهم ومزارعهم ويكلفونهم
باخذ الفرض والكلف
الخارجة عن الحد واما الآن
فجميع أهل القطر المصرى
آمنون مطمئنون بولاية هذا
الوزير وير جون من مراحم
الدولة العلية ان يبقيه
والياعليهم ولا يعزله عنهم
لما تحققوه فيه من العدل
وانصاف المظلومين وايصال
الحقوق لاربابها ومنع
المفسدين من العربان الذين
كانوا يقطعون الطرقات على
المسافرين ويتعدون على
أهل القرى ويأخذون
مواشيهم وزرعهم ويقتلون
من يعصى عليهم منهم واما
الآن فلم يكن شئ من ذلك
وجميع اهل البلاد فى غاية
من الراحة والامن براويحرا
بحسن سياسته وعدله وامتثاله
للاحكام الشرعية ومحبته
للعلماء واهل الفضائل والاذعان لقولهم ونصحهم ونحو ذلك من الكلمات التى عنها يسئلون

وملكوها وانزلوا منها أهلها وكان بالقرب منها قلعة أخرى ففتحها ملكشاه وأراد تخريبها
فنهاه نظام الملك عن ذلك وقال هى ثغر للمسلمين وشحنها بالرجال والذخائر والاموال
والسلاح وسلم هذه القلاع الى امير نقجوان وسار ملكشاه ونظام الملك الى مدينة قريم
نشين وفيها كثير من الرهبان والقسيسين وملوك النصارى وعامتهم يتقربون الى أهل
هذه البلدة وهى مدينة حصينة سورها من الاحجار الكبار الصلبة المشدودة بالرصاص
والحديد وعندها نهر كبير فاعد نظام الملك لقتالها ما يحتاج اليه من السفن وغيرها
وقاتلها وواصل قتالها ليلا ونهارا وجعل العساكر عليها يقاتلون بالنوبة فضجر الكفار
وأخذهم الاعياء والكلال فوصل المسلمون الى سورها ونصبوا عليه السلالم وصعدوا
الى اعلاه لان المعاول كانت عن يقبه لقوة حجره فلما رأى أهلها المسلمين على السور فت
ذلك فى أعضادهم وسقط فى ايديهم ودخل ملكشاه البلد ونظام الملك وأحرقوا البيع
وخربوها وقتلوا كثيرا من أهلها وأسلم كثير فنجوا من القتل واستدعى الب ارسلان
اليه ابنه ونظام الملك وفرح بما يسره الله من الفتح على يد ولده وفتح ملكشاه فى طريقه
عدة من القلاع والحصون واسر من النصارى ما لا يحصون كثرة وساروا الى سبيذ شهر
فجرى بين اهلها وبين المسلمين حروب شديدة استشهد فيها كثير من المسلمين ثم ان الله
تعالى يسر فتحها فملكها الب ارسلان وسار منها الى مدينة اعال لال وهى حصينة عالية
الاسوار شاهقة البنيان وهى من جهة الشرق والغرب على جبل عال وعلى الجبل عدة
من الحصون ومن الجانبين الآخرين نهر كبير لا يخاض فلما رآها المسلمون علموا عجزهم
عن فتحها والاستيلاء عليها وكان ملكها من الكرج وهكذا ما تقدم من البلاد التى
ذكرنا فتحها وعقد السلطان جسرا على النهر عريضا واشتد القتال وعظم الخطب فخرج
من المدينة رجلان يستغيثان ويطلبان الامان والتمسا من السلطان ان يرسل معهما
طائفة من العسكر فسير جماعة الحافلما جازوا الفصيل أحاط بهم الكرج من أهل المدينة
وقاتلوهم فاكثروا القتل فيهم ولم يتمكن المسلمون من الهزيمة لضيق المسلك وخرج
الكرج من البلد وقصدوا العسكر واشتد القتال وكان السلطان ذلك الوقت يصلى
فاتاه الصريخ فلم يبرح حتى فرغ من صلاته وركب وتقدم الى الكفار فقاتلهم وكبر
المسلمون عليهم فولوا منهزمين فدخلوا البلد والمسلمون معهم ودخلها السلطان وملكها
واعتصم جماعة من أهلها فى برج من ابراج المدينة فقاتلهم المسلمون فامر السلطان بالقاء
الحطب حول البرج واحراقه ففعل ذلك وأحرق البرج ومن فيه وعاد السلطان الى
خيامه وغنم المسلمون من المدينة ما لا يحد ولا يحصى ولما جن الليل عصفت ريح شديدة
وكان قد بقى من تلك النار التى احرق بها البرج بقية كثيرة فاطارتها الريح فاحترقت
المدينة باسرها وذلك فى رجب سنة ست وخمسين وملك السلطان قلعة حصينة كانت
الى جانب تلك المدينة وأخذها وسار منها الى ناحية قرس ومدينة آنى وبالقرب منها
ناحيتان يقال لهما دسل ورده ونورة فخرج أهلهما مذعنين بالاسلام وخربوا البيع
وبنوا المساجد وسار منها الى مدينة آنى فوصل اليها فرآها مدينة حصينة شديدة

الامتناع لاتزام ثلاثة أرباعها على نهر ارس والربع الآخر نهر عميق شديد الجرية لو طرحت فيه الحجارة الكبار لدحاها وحملها والطريق اليها على خندق عليه سور من الحجارة الصم وهي بلدة كبيرة عامرة كثيرة الاهل فيها ما يزيد على خمسمائة بيعة فحصرها وضيق عليها الا ان المسلمين قد أيسوا من فتحها لما رأوا من حصانتها فعمل السلطان برجا من خشب وشحنه بالمقاتلة ونصب عليه المنجنيق ورماة النشاب فكشفوا الروم عن السور وتقدم المسلمون اليه لينقبوه فاتاهم من لطف الله ما لم يكن في حسابهم فانهدمت قطعة كبيرة من السور بغير سبب فدخلوا المدينة وقتلوا من اهلها ما لا يحصى بحيث ان كثيرا من المسلمين عجزوا عن دخول البلد من كثرة القتلى وأسر وا نحو اما قتلوا وسارت البشرى بهذه الفتوح في البلاد فسر المسلمون وقرئ كتاب الفتح ببغداد في دار الخلافة فبرز خط الخليفة بالثناء على الب ارسلان والدعاء له ورتب فيها أميرا في عسكر جرار وعاد عنها وقد راسله ملك الكرج في الهدنة فصالحه على اداء الجزية كل سنة فقبل ذلك ولما رحل السلطان عائدا قصد اصبهان ثم سار منها الى كرمان فاستقبله أخوه قاورت بك بن جغري بك داود ثم سار منها الى مرو فزوج ابنه ملكشاه بابنة خاقان ملك ماوراء النهر وزفت اليه في هذا الوقت وزوج ابنه ارسلان شاه بابنة صاحب غزنة واتحد البيتان البيت السلجوقي والبيت المحمودي واتفقت الكلمة

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في ربيع الاول ظهر بالعراق وخوزستان وكثير من البلاد جماعة من الاكراد خرجوا يتصيدون فرأوا في البرية خيما سودا وسمعوا منها الطما شديدا وعويلا كثيرا وقائلا يقول قدمات سيدنا ملك الجن واي بلد لم يلطم اهله عليه ويعملون له العزاء قلع اصله وأهلك اهله فخرج كثير من النساء في البلاد الى المقابر يلطمن وينحن وينشرن شعورهن وخرج رجال من سفلة الناس يفعلون ذلك وكان ذلك ضحكة عظيمة ولقد جرى في ايامنا نحن في الموصل وما والاها من البلاد الى العراق وغيرها نحو هذا وذلك ان الناس سنة سبعمائة أصابهم وجع كثير في حلوقهم ومات منه كثير من الناس فظهر ان امراة من الجن يقال لها ام عنقود ماتت ابنها عنقود وكل من لا يعمل له ماتما اصابه هذا المرض فكثر فعل ذلك وكانوا يقولون يا ام عنقود اعذرينا قدمات عنقود مادرينا وكان النساء يلطمن وكذلك الاوباش وفيها ولى أبو الغنائم المعمر بن محمد بن عبيد الله العلوي نقابة العلويين ببغداد وامارة الموسم ولقب بالطاهر ذي المناقب وكان المرتضى أبو الفتح أسامة قد استعفى من النقابة وصاهر بني خفاجة وانتقل معهم الى البرية وتوفي اسامة بمشهد أمير المؤمنين علي عليه السلام في رجب سنة اثنتين وسبعين وفيها في جمادى الآخرة توفي ابو القاسم عبد الواحد بن علي بن برهان الاسدي النحوي المتكلم كان له اختيار في الفقه وكان عالما بالنسب ويمشي في الاسواق مكشوف الراس ولم يقبل من أحد شيئا وكان موته في جمادى الآخرة وقد جاوز ثمانين سنة وكان يميل

(شهر رجب سنة ١٢٢١)

استهل بيوم الاحد فيه وصل القاضي الجديد ويسمى عارف أفندي وهو ابن الوزير خليل باشا المقتول وانفصل محمد أفندي سعيد حفيد علي باشا المعروف بحكيم أوغلي وكان انسانا لا باس به مهذبا في نفسه وسافر الى قضاء المدينة المنورة

ويكتب كاتبه جميع الاسماء تحته بخطه ولا يمكنون البواقي الذين يضعون امضاءهم واسماءهم من قراءته بل يطلب منهم الخاتم فيختمون به تحت اسمه اذ لا يمكنه الشذوذ والمخالفة لحرصه على دوام ناموسه وقبوله عند سلطانه ودائرة أهل دولته وان كان متورعا وليس له كبير صورة فيهم ولا صدارة مثلهم وابى ان يسلم خاتمه ليفعل به كغيره ختموه بخاتم موافق لاسمه تحت امضائه وهذا هو السبب في عدم نقل هذه الصورة بل فهمت المضمون فقط والله ولي التوفيق (وفي هذه الايام) تخاصم عرب الحويطات والعيايدة وتجمع الفريقان حول المدينة وتحاربوا مع بعضهم مرارا وانقطعت السبل بسبب ذلك وانتصر الباشا للحويطات وخرج بسببهم الى العادلية ثم رجع ثم انهم اجتمعوا عند السيد عمر النقيب وأصلح بينهم

بالهدية وسافر صحبته محمد أغا لاظ الذى كان ١٨ سلحدار محمد باشا خسرو (وفى يوم السبت) أرسل الباشا الى الشيخ عبد الله

الشرقاوى ترجمانه يامره بلزوم داره وانه لا يخرج منها ولا الى صلاة الجمعة وسبب ذلك امور وضغائن ومنافسات بينه وبين اخوانه كالسيد محمد الدواخلى والسيد سعيد الشامى وكذلك السيد عمر النقيب فاغروا به الباشا ففعل به ماذكر فامتثل الامر ولم يجد ناصرا ولا أهمل أمره

(وفيه) تواترت الاخبار بوقوع معركة عظيمة بين العسكر والالفى وذلك أن الالفى لم يزل محاصرا دمنهور وهم ممتنعون عليه الى الآن وسد خليج الاشرفية ومنع الماء عن البحيرة والاسكندرية لضرورة مرور الماء من ناحية دمنهور ليعطل عليهم المراد من الحصار فارسل الباشا بربر باشا الخازندار ومعه عثمان أغا ومعهما عدة كثيرة من العساكر فى المراكب فوصلوا الى خليج الاشرفية من ناحية الرحمانية وعليه جماعة من الالفية فحاربوهم حتى اجلوهم عنها وفتحوا فم الخليج فجرى فيه الماء ودخلوا فيه بمراكبهم فسد الالفية الخليج من أعلى عليهم وحضر شاهين بك فسد مع الالفية فم الخليج باعدال القطن والمشاق ثم فتحوه من اسفل فسال الماء فى السبخ ونضب الماء من الخليج ووقفت السفن على الارض ووصلتهم الالفية فاوقعوا معهم وقعة عظيمة وذلك عند قرية العساكر

الى مذهب مرجئة المعتزلة ويعتقد أن الكفار لا يخلدون فى النار وفيها انقض كوكب عظيم وكثر نوره فصار أكثر من نور القمر وسمع له دوى عظيم ثم غاب

(ثم دخلت سنة سبع وخمسين وار بعمائة)

(ذكر الحرب بين بنى حماد والعرب)

فى هذه السنة كانت حرب بين الناصر بن علناس بن حماد ومن معه من رجال المغاربة من صنهاجة ومن زناتة ومن العرب عدى والاثبج وبنى رياح وزغبة وسليم ومع هؤلاء المعز بن زيرى الزناتى على مدينة سبتة وكان سببها ان حماد بن بلكين جد الناصر كان بينه وبين باديس بن المنصور من الخلف وموت باديس محاصرا قلعة حماد ما هو مذكور ولولا تلك القلعة لاخذ سريعا وانما امتنع هو واولاده بعده بها وهى من امنع الحصون وكذلك ما استمر بين حماد والمعز بن باديس ودخول حماد فى طاعته ما تقدم ذكره وكذلك أيضا ما كان بين القائد بن حماد وبين المعز وكان القائد يضمر الغدر وخلع طاعة المعز والعجز يمنعه من ذلك فلما رأى القائد قوة العرب وما نال المعز منهم خلع الطاعة واستبد بالبلاد وبعده ولده محسن وبعده ابن عمه بلكين بن محمد بن حماد وبعده ابن عمه الناصر بن علناس بن محمد بن حماد وكل منهم متحصن بالقلعة وقد جعلوها دار ملكهم فلما رحل المعز من القيروان وصبرة الى المهدية تمكنت العرب ونهبت الناس وخربت البلاد وانتقل كثير من اهلها الى بلاد بنى حماد لكونها جبالا وعرة يمكن الامتناع بها من العرب فعمرت بلادهم وكثرت أموالهم وفى نفوسهم الضغائن والحقود من باديس ومن بعده من اولادهم بر ثه صغير عن كبير وولى تميم بن المعز بعد ابيه فاستبد كل من هو ببلد وقلعة بمكانه وتميم صابر يداري ويتجلد واتصل بتميم ان الناصر بن علناس يقع فيه فى مجلسه ويذمه وانه عزم على المسير اليه ليحاصره بالمهدية وانه قد حالف بعض صنهاجة وزناتة وبنى هلال ليعينوه على حصار المهدية فلما صح ذلك عنده ارسل الى امراء بنى رياح فاحضرهم اليه وقال انتم تعلمون ان المهدية حصن منيع اكثره فى البحر لا يقاتل منه فى البر غير اربعة ابراج يحميها اربعون رجلا وانما جمع الناصر هذه العساكر اليكم فقالوا له الذى تقوله حق ونحب منك المعونة فاعطاهم المال والسلاح من الرماح والسيوف والدروع والدرق فجمعوا قومهم وتحالفوا واتفقوا على لقاء الناصر وارسل الى من مع الناصر من بنى هلال يقبحون عندهم مساعدتهم للناصر ويخوفونهم منه ان قوى وانه يهلكهم بمن معه من زناتة وصنهاجة وانهم انما يستمر لهم المقام والاستيلاء على البلاد اذا تم الخلف وضعف السلطان فاجابهم بنو هلال الى الموافقة وقالوا اجعلوا اول حملة تحملونها علينا فنحن ننهزم بالناس ونعود عليهم ويكون لنا ثلث الغنيمة فاجابهم الى ذلك واستقر الامر وارسل المعز بن زيرى الزناتى الى من مع الناصر من زناتة يعدهم ذلك فوعدوه ايضا ان ينهزموا فحينئذ رحلت رياح وزناتة جميعها وسار اليهم الناصر بصنهاجة وزناتة وبنى هلال فالتقت

العساكر بمدينة سبتة فخمات رياح على بنى هلال وحمل المعز على زناتة فانهزمت الطائفتان وتبعهم عساكر الناصر منهزمين ووقع فيهم القتل فقتل فيمن قتل القاسم بن علناس اخو الناصر وكان مبلغ من قتل من صنهاجة وزناتة اربعة وعشرين الفا وسلم الناصر فى نفر يسير وغنمت العرب جميع ما كان فى العسكر من مال وسلاح ودواب وغير ذلك فاقتسموها على ما استقر بينهم وبهذه الوقعة تم للعرب ملك البلاد فانهم قد موها فى ضيق وفقر وقلة دواب فاستغنوا وكثرت دوابهم وسلاحهم وقل الحامى عن البلاد وارسلوا الالوية والطبول وخيم الناصر بدوابها الى تميم فردها وقال يقبح بى ان آخذ سلب ابن عمى فارضى العرب بذلك

(ذكر بناء مدينة بجاية)

لما كانت هذه الوقعة بين بنى حماد والعرب وقويت العرب فاهتم تميم بن المعز لذلك واصابه حزن شديد فبلغ ذلك الناصر وكان له وزيرا اسمه ابو بكر بن ابى الفتوح وكان رجلا جيدا يحب الاتفاق بينهم ويهوى دولة تميم فقال للناصر الم اشر عليك ان لا تقصد ابن عمك وان تتفقوا على العرب فانكم لو اجتمعتما العرب فقال الناصر لقد صدقت ولكن لا مرد لما قدر فاصلح ذات بيننا فارسل الوزير رسولا من عنده الى تميم يعتذر ويرغب فى الاصلاح فقبل تميم قوله واراد ان يرسل رسولا الى الناصر فاستشار اصحابه فاجتمع رأيهم على محمد بن البعبع وقالوا له هذا رجل غريب وقد احسنت اليه وحصل له منك الاموال والاملاك فاحضره واعطاه مالا ودواب وعبيدا وارسله فسار مع الرسول حتى وصل الى بجاية وكانت حينئذ منزلا فيه رعية من البربر فنظر اليها محمد بن البعبع وقال فى نفسه ان هذا المكان يصلح ان يكون به مرسى ومدينة وسار حتى وصل الى الناصر فلما وصل الكتاب وادى الرسالة قال للناصر مهما وصية اليك واحب ان تخلى لمجلس فقال الناصر انا لا اخفى عن وزيرى شيئا فقال بهذا امرنى الامير تميم فقام الوزير ابو بكر وانصرف فلما خرج قال الرسول يا مولاى ان الوزير مخامر عليك هواه مع الامير تميم لا يخفى عنه من امورك شيئا وتميم مشغول مع عبيده قد استبد بهم واطرح صنهاجة وغيرهؤلاء ولو وصلت بعسكرك ما بت الا فيها لبغض الجند والرعية لتميم وانا اشير عليك بما تملك به المهدية وغيرها وذكر له عمارة بجاية واشار عليه ان يتخذها دار ملك ويقرب من بلاد افريقية وقال له انا انتقل اليك باهلى وادبر دولتك فاجابه الناصر الى ذلك وارتاب بوزيره وسار مع الرسول الى بجاية وترك الوزير بالقلعة فلما وصل الناصر والرسول الى بجاية أراه موضع الميناء والبلد والدار السلطانية وغير ذلك فامر الناصر من ساعته بالبناء والعمل وسر بذلك وشكره وعاهده على وزارته اذا عاد اليه ورجعا الى القلعة فقال الناصر لوزيره ان هذا الرسول محب لنا وقد اشار ببناء بجاية ويريد الانتقال اليها فكتب له جواب كتبه ففعل وسار الرسول وقد ارتاب به تميم حيث تجدد بناء بجاية عقيب مسيره اليهم وحضوره مع الناصر فيها وكان الرسول قد طلب

فيما بعد (وفيه) ايضا وصلت الاخبار بان ياسين بك لم يزل يحارب من بمدينة الفيوم حتى ملكها وقتل من بها ولم ينج منهم الا القليل وكانوا ارسلوا يستنجدون بارسال العسكر فلم يلحقوهم (وفيه) وردت الاخبار من الجهة القبلية بان الامراء المصريين اخلوا منفلوط وملوى وترفعوا الى اسيوط وجزيرة منقباط وتحصنوا بهما وذلك لما أخذ النيل فى الزيادة وخشوا من ورود العساكر عليهم بتلك النواحى فلا يمكنهم التحصن فيها فترفعوا الى اسيوط فلما فعلوا ذلك اشاعوا هروبهم وذكروا ان عاد بدين بك وحسن بك حاربا هم وطرداهم الى ان هربوا الى اسيوط ولما خلت تلك النواحى منهم رجع كاشف منفلوط وملوى وخلافهما الذين كانوا طردوهم فى العام الماضى وفروا من مقاتلتهم (وفيه) شرع الباشا فى تجهيز عساكر وتسفيرهم الى جهة بحرى وقبلى وجهزوا المراكب للعسكر فانقطعت سبل المسافرين وذلك عندما أطمأن خاطره من قضية القبودان والعزل (وفيه) شرع ايضا فى تقرير فرضة عظيمة على البلاد والقرى والنجارونصارى الارواموالاقباط والشوام ومساتير الناس ونساء الاعيان والملتزمين وغيرهم وقدرها ستة آلاف

كيس وذلك برسم مصلحة القبودان وذكروا ٢٠ انها سلفة لمدة ستة أيام ثم ترد الى اربابها ولا صحة لذلك (وفى ليلة الاثنين)

وصل كتخدا القبودان الى ساحل بولاق فضربوا لقدومه مدافع وعملوا له شنكا وارسل له فى صبحها خيول صحبة ابنه طوسون ومعهم اكابر الدولة والاغا والوالى والاغوات فركب فى موكب عظيم ودخلوا به من باب النصر وشق من وسط المدينة وعمل الباشا الديوان واجتمع عنده السيد عمر والمشايخ المتصدرون ماعدا الشيخ عبد الله الشرقاوى ومن يلوذ به فسال عليه القاضى وعلى من تاخر فقيل له الآن يحضر ولعل الذى اخره ضعفه ومرضه ثم انهم انتظروا باقى الوجاهات وارسلوا لهم جملة مراسيل فلما حضروا قرؤا المرسوم الوارد صحبة الكتخدا المذكور (ومضمونه) ابقاء محمد على باشا واستمراره على ولاية مصر حيث ان الخاصة والعامة راضية باحكامه وعدله بشهادة العلماء واشراف الناس وقبلنا رجاءهم وشهادتهم وانه يقوم بالشروط التى منها طلوع الحج ولوازم الحرمين وايصال العلائف والغلال لاربابها على النسق القديم وليس له تعلق بثغر رشيد ولا دمياط ولا اسكندرية فانه يكون ايرادها من الجمارك يضبط الى الترسخانه السلطانية باسلامبول ومن الشروط أيضا ان يرضى خواطر الامراء المصريين ويمتنع من محاربتهم البلاد

من الناصر ان يرسل معه بعض ثقاته ليشاهد الاخبار ويعود بها فارسل معه رسولا يثق به فكتب معه انى لما اجتمعت بتميم لم يسالنى عن شئ قبل سؤاله عن بنائه بجاية وقد عظم امرها عليه واتهمنى فانظر الى من تثق به من العرب ترسلهم الى موضع كذا فانى سائر اليوم مسرعا وقد اخذت عهود زويلة وغيرها على طاعتك وسير الكتاب فلما قرأه الناصر سلمه الى الوزير فاستحسن الوزير ذلك وشكره واثنى عليه وقال لقد نصح وبالغ فى الخدمة فلا تؤخر عنا نفاذ العرب ليحضر معهم ومضى الوزير الى داره وكتب نسخة الكتاب وارسل الكتاب الذى بخط الرسول الى تميم وكتابا منه يذكر له الحال من اوله الى آخره فلما وقف تميم على الكتاب عجب من ذلك وبقى يتوقع له سببا ياخذه به الا انه جعل عليه من يحرسه فى الليل والنهار من حيث لا يشعر فاتى بعض أولئك الحرس الى تميم واخبره ان الرسول صنع طعاما واحضر عنده الشريف الفهرى وكان هذا الشريف من رجال تميم وخواصه فاحضره تميم فقال كنت واصلا اليك وحدثه ان ابن البعبع الرسول دعانى فلما حضرت عنده قال انا فى ذمامك احب ان تعرفنى مع من أخرج من المهدية فمنعته من ذلك وهو خائف فاوقفه تميم على الكتاب الذى بخطه وامره باحضاره فاحضره الشريف فلما وصل الى باب السلطان لقيه رجل بكتاب العرب الذين سيرهم الناصر ومعهم كتاب الناصر اليه يامره بالحضور عنده فاخذ الكتاب وخرج الامير تميم فلما رآه ابن البعبع سقطت الكتب منه فاذا عنوان احدها من الناصر بن علناس الى فلان فقال له تميم من ابن هذه الكتب فسكت فاخذها وقرأها فقال الرسول ابن البعبع العفو يا مولانا فقال لا عفا الله عنك وامر به فقتل وغرقت جثته

(ذكر ملك الب ارسلان جند وصيران)

فى هذه السنة عبر الب ارسلان جيحون وسار الى جند وصيران وهما عند بخارا وقبر جده سلجوق بجند فلما عبر النهر استقبله ملك جند واطاعه واهدى له هدايا جليلة فلم يغير الب ارسلان عليه شيئا واقره على ما بيده وعاد عنه بعد أن احسن اليه واكرمه ووصل الى كركانج خوارزم وسار منها الى مرو

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة ابتدئ بعمارة المدرسة النظامية ببغداد وفيها انقض كوكب عظيم وصار له شعاع كثير أكثر من شعاع القمر وسمع له صوت مفزع وفيها توفى محمد بن أحمد ابو الحسين بن الآبنوسى روى عن الدارقطنى وغيره

(ثم دخلت سنة ثمان وخمسين واربعمائة)

(ذكر عهد الب ارسلان بالسلطنة لابنه ملكشاه)

فى هذه السنة سار الب ارسلان من مرو الى رايكان فنزل بظاهرها ومعه جماعة امراء دولته فاخذ عليهم العهود والمواثيق لولده ملكشاه بانه السلطان بعده واركبه ومشى بين يديه يحمل الاغاشية وخلع السلطان على جميع الامراء وأمرهم بالخطبة له فى جميع

البلاد التى يحكم عليها ففعل ذلك واقطع البلاد فاقطع ماذندران للامير اينانج بيغو و بلخ لاخيه سليمان بن داود جغرى بك وخوارزم لاخيه ارسلان ارغو ومرو لابنه الآخر ارسلان شاه رصغانيان وطخارستان لاخيه الياس وولاية بغشور ونواحيها لمسعود بن ارتاش وهو من اقارب السلطان وولاية اسفزار لمودود بن ارتاش

(ذكر استيلاء تميم على مدينة تونس)

فى هذه السنة سير تميم صاحب افريقية عسكرا كثيفا الى مدينة تونس و بها احمد بن خراسان قد اظهر عليه الخلاف وسبب ذلك ان المعز بن باديس اباتميم لما فارق القيروان والمنصورية ورحل الى المهدية على ماذكرناه استخلف على القيروان وعلى قابس قائد بن ميمون الصنهاجى واقام بها ثلاث سنين ثم غلبته هوارة عليها فسلمها اليهم وخرج الى المهدية فلما ولى الملك تميم بن المعز بعد ابيه رده اليها واقام عليها الى الآن ثم اظهر الخلاف على تميم والتجا الى طاعة الناصر بن علناس بن حماد فسير اليه تميم الآن عسكرا كثيرا فلما سمع بهم قائد بن ميمون علم انه لا طاقة له بهم فترك القيروان وسار الى الناصر فدخل عسكر تميم القيروان وخربوا دور القائد وسار العسكر الى قابس و بها ابن خراسان فحصروه بها سنة وشهرين ثم اطاع ابن خراسان تميما وصالحه واما قائد فانه اقام عند الناصر ثم ارسل الى امراء العرب فاشترى منهم امارة القيروان فاجابوه الى ذلك فعاد اليها فبنى سورها وحصنها

(ذكر ملك شرف الدولة الانبار وهيت وغيرهما)

فى هذه السنة سار شرف الدولة مسلم بن قريش بن بدران صاحب الموصل الى السلطان الب ارسلان فاقطعه الانبار وهيت وحربى والسن والبوازيج ووصل الى بغداد فخرج الوزير فخر الدولة بن جهير فى الموكب فالقيه ونزل شرف الدولة بالحريم الطاهرى وخلع عليه الخليفة

(ذكر عدة حوادث)

فى العشر الاول من جمادى الاولى ظهر كوكب كبير له ذؤابة طويلة بناحية المشرق عرضها نحو ثلاث اذرع وهى ممتدة الى وسط السماء و بقى الى السابع والعشرين من الشهر وغاب ثم ظهر ايضا آخر الشهر المذكور عند غروب الشمس كوكب قد استدار نوره عليه كالقمر فارتاع الناس وانزعجوا ولما اظلم الليل صار له ذوائب نحو الجنوب و بقى عشرة ايام ثم اضمحل وفيها فى جمادى الآخرة كانت بخراسان والجبال زلزلة عظيمة بقيت تتردد اياما تصدعت منها الجبال واهلكت خلقا كثيرا وانخسف منها عدة قرى وخرج الناس الى الصحراء فاقاموا هناك وفيها فى جمادى الاولى وقع حريق بنهر معلى فاحترق من باب المربد الى آخر السوق الجديد من الجانبين وفيها ولدت صبية بباب الازج ولها براسين ورقبتين ووجهين وار بع ايد على بدن واحد وفى جمادى الآخرة توفى الامام ابو بكر احمد بن الحسين بن على البيهقى ومولده سنة سبع وثمانين

والازبكية وبولاق واشيع عمل زينة بالبلدة وشرع الناس فى اسبابها و بعضهم علق على داره تعاليق ثم بطل ذلك وطاف المبشرون من اتباعهم على بيوت الاعيان لاخذ البقاشيش وأذن الباشا بدخول المراكب الى الخليج والازبكية ثم عملوا شنكا وحراقات وسواريخ ثلاثة أيام بليليها بالازبكية

(شهر شعبان سنة ١٢٢١)

فيه تكلم القاضى مع الباشا فى شان الشيخ عبد الله الشرقاوى والافراج عنه ويأذن له فى الركوب والخروج من داره حيث يريد فقال أنا لا اذنب لى فى التحجير عليه وانما ذلك من تناقضهم مع بعضهم فاستأذنه فى مصالحتهم فاذن له فى ذلك فعمل القاضى لهم وليمة ودعاهم وتغدوا عنده وصالحهم وقرؤا بينهم الفاتحة وذهبوا الى دورهم والذى فى القلب مستقر فيه (وفيه) وردت الاخبار من الديار الرومية بقيام الروملى وتعصبهم على منع النظام الجديد والحوادث فوجهوا عليهم عسكر النظام فتلاقوا معهم وتحاربوا فكانت الهزيمة على النظام وهلك بينهم خلائق كثيرة ولم يزالوا فى اثرهم حتى قربوا من دار السلطنة فترددت بينهم الرسل

وصانعوهم وصالحوهم على شروط منها عزل أشخاص من مناصبهم ونفى آخرين ومنهم الوزير وشيخ الاسلام والمكتخد

وثلثمائة وكان اماما في الحديث والفقه على مذهب الشافعي وله فيه مصنفات احداها السنن الكبير عشر مجلدات وغيره من التصانيف الحسنة كان عفيفا زاهدا ومات بنيسابور وفي شهر رمضان منها توفي ابو يعلى محمد بن الحسين بن الفراء الحنبلي ومولده سنة ثمانين وثلثمائة وعنه انتشر مذهب احمد رضي الله عنه وكان اليه قضاء الحريم ببغداد بدار الخلافة وهو مصنف كتاب الصفات أتى فيه بكل عجيبة وترتيب ابوابه يدل على التجسيم المحض تعالى الله عن ذلك وكان ابن تيمي الحنبلي يقول لقد خرى ابو يعلى الفراء على الحنابلة خرية لا يغسلها الماء

(ثم دخلت سنة تسع وخمسين وار بعمائة)

(ذكر عصيان ملك كرمان على الب ارسلان وعوده الى طاعته)

في هذه السنة عصى ملك كرمان وهو قرا ارسلان على السلطان الب ارسلان وسبب ذلك انه كان له وزير جاهل سولت له نفسه الاستبداد بالبلاد عن السلطان وأن صاحبه اذا عصى احتاج الى التمسك به فحسن لصاحبه الخلاف على السلطان فاجاب الى ذلك وخلع الطاعة وقطع الخطبة فسمع الب ارسلان فسار الى كرمان فلما قارب بها وقعت طليعته على طليعة قرا ارسلان فانهزمت طليعة قرا ارسلان بعد قتال فلما سمع قرا ارسلان وعسكره بانهزام طليعتهم خافوا وتحيروا فانهزموا الا بلوى احد على آخر فدخل قرا ارسلان الى جيرفت وامتنع بها وارسل الى السلطان الب ارسلان يظهر الطاعة و يسال العفو عن زلته فعفا عنه وحضر عند السلطان فاكرمه و بكى وابكى من عنده فاعاده الى مملكته ولم يغير عليه شيئا من حاله فقال للسلطان ان لي بنات تجهيزهن اليك و امورهن اليك فاجابه الى ذلك واعطى كل واحدة منهن مائة الف دينار سوى الثياب والاقطاعات ثم سار منها الى فارس فوصل الى اصطخر وفتح قلعتها واستنزل واليها فحمل اليه الوالي هدايا عظيمة جليلة المقدار من جملتها قدح فيروزج فيه منوان من المسك مكتوب عليه اسم جمشيد الملك واطاعه جميع حصون فارس و بقي قلعة يقال لها بهنزاد فسار نظام الملك اليها وحصرها تحت جبلها واعطى كل من رمى بسهم واصاب قبضة من الدنانير ومن رمى حجرا او بانفيسا ففتح القلعة في اليوم السادس عشر من نزوله ووصل السلطان اليه بعد الفتح فعظم محل نظام الملك عنده فاعلى منزلته وزاد في تحكيمه

(ذكر عدة حوادث)

في المحرم منها توفي الاغر ابو سعد ضامن البصرة على باب السلطان بالري وعقدت البصرة وواسط على هزار سب بثلثمائة الف دينار وفي صفر منها وصل الى بغداد شرف الملك ابو سعد المستوفي وبنى على مشهد ابي حنيفة رضي الله عنه مدرسة لاصحابه وكتب الشريف ابو جعفر بن البياضي على القبة التي احدثها

المرء ان العلم كان مشتتا * فجمعه هذا المغيب في اللحد
كذلك كانت هذه الارض ميتة * فانشرها فضل الحميد ابي سعد

(وفيه) حضر عابدين بك أخو حسن باشا من الجهة القبلية (وفي عاشره) تواترت الاخبار بوقوع وقائع بالناحية القبلية واختلاف العساكر ورجوع من كان بناحية منفلوط وعصيان المقيمين بالمنية بسبب تاخر علائفهم ورجع حسن باشا الى ناحية المنية فضرب عليه من بها فانحدر الى بني سويف (وفيه) حضر اسمعيل الطوبجي كاشف المنوفية باستدعاء فارسله الباشا بمال الى الجهة القبلية لصالح العساكر (وفيه) وردت الاخبار من ثغر الاسكندرية بسفر قبودان باشا وموسى باشا الى اسلامبول واخذ القبودان صحبته ابن محمد علي باشا وكان نزولهم وسفرهم في يوم السبت خامسه واستمر كتخدا القبودان بمصر متخلفا حتى يستغلق مال المصالحة (وفيه) شرعوا في تقرير فرضة على البلاد ايضا (وفيه) حضر محمود بك من ناحية قبلي (وفي سادس عشره) سافر كتخدا القبودان بعدما استغلق المطلوب (وفيه) وصل الى ثغر بولاق قابجي وعلى يده تقرير لمحمد علي باشا بالاستمرار على ولاية مصر وخلعة وسيف فاركبوه من بولاق الى الازبكية في موكب حفل وشقوا به من وسط المدينة وحضر المشايخ والاعيان والاختيارية ونصب الباشا

وفيها فى جمادى الاولى وصلت ارسلان خاتون اخت السلطان الب ارسلان وهى زوجة الخليفه الى بغداد واستقبلها فخر الدولة بن جهير الوزير على فراسخ وفيها فى ذى القعدة احترقت تربة معروف الكرخى رحمة الله عليه وسبب حريقها ان قيمها كان مريضا فطبخ لنفسه ماء الشعير فاتصلت النار بخشب وبوارى كانت هناك فاحرقته واتصل الحريق فامر الخليفة اباسعد الصوفى شيخ الشيوخ بعمارتها وفيها فى ذى القعدة فرغت عمارة المدرسة النظامية وتقرر التدريس بها للشيخ ابى اسحق الشيرازى فلما اجتمع الناس لحضور الدرس وانتظروا مجيئه تاخر فطلب فلم يوجد وكان سبب تاخره انه لقيه صبى فقال له كيف تدرس فى مكان مغصوب فتغيرت نيته عن التدريس بها فلما ارتفع النهار وايس الناس من حضوره اشار الشيخ ابو منصور بن يوسف بابى نصر بن الصباغ صاحب كتاب الشامل وقال لايجوز ان ينفصل هذا الجمع الاعن مدرس ولم يبق ببغداد من لم يحضر غير الوزير فجلس ابو نصر للدرس وظهر الشيخ ابو اسحق بعد ذلك ولما بلغ نظام الملك الخبر اقام القيامة على العميد ابى سعد ولم يزل يرفق بالشيخ ابى اسحق حتى درس بالمدرسة وكان مدة تدريس ابن الصباغ عشرين يوما وفيها فى ذى القعدة قتل الصليحى امير اليمن بمدينة المهجم قتله احد امرائها واقيمت الدعوة العباسية هناك وكان قد ملك مكة على ماذكرناه سنة خمس وخمسين وامن الحاج فى ايامه فاثنوا عليه خيرا وكسا البيت بالحرير الابيض الصينى وردحلى البيت اليه وكان بنو حسن قد اخذوه وحملوه الى اليمن فابتاعه الصليحى منهم وفيها توفى عمر بن اسمعيل بن محمد ابو على الطوسى قاضيها وكان يلقب العراقى لطول مقامه ببغداد وتفقه على ابى طاهر الاسفرايينى الشافعى وابى محمد الشاشى وغيرهما

(ثم دخلت سنة ستين واربعمائة)

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة كانت حرب بين شرف الدولة بن قريش وبين بنى كلاب بالرحبة وهم فى طاعة العلوى المصرى فكسرهم شرف الدولة واخذ اسلابهم وارسل اعلاما كانت معهم عليها اسمات المصرى الى بغداد وكسرت وطيف بها فى البلد وارسلت الخلع الى شرف الدولة وفيها فى جمادى الاولى كانت بفلسطين ومصر زلزلة شديدة خربت الرملة وملح الماء من رؤس الآبار وهلك من اهلها خمسة وعشرون الف نسمة وانشقت الصخرة بالبيت المقدس وعادت باذن الله تعالى وعاد البحر من الساحل مسيرة يوم فنزل الناس الى ارضه يلتقطون منه فرجع الماء عليهم فاهلك منهم خلقا كثيرا وفيها فى رجب ورد ابو العباس الخوافى بغداد رسولا من جهة السلطان وفيها عزل فخر الدولة ابن جهير من وزارة الخليفة فخرج من بغداد الى نور الدولة دبيس بن مزيد بالفلوجة وارسل الخليفة الى ابى يعلى والد الوزير ابى شجاع يستحضره ليوليه الوزارة وكان يكتب لهزارسب بن بنكير فسار فادركه اجله فى الطريق فمات ثم شفع نور الدولة فى فخر الدولة

ولاية مصر بقبول شفاعة أهل البلدة والمشايخ والاشراف والثانى يتضمن الاوامر السابقة وباجراء لوازم الحرمين وطلوع الحج وارسال غلال الحرمين والوصية بالرعية وتسهيل غلال وقدرها ستة آلاف أردب وتسفيرها على طريق الشام معونة للعساكر المتوجهين الى الحجاز (وفيه) الامر ايضا بعدم التعرض للامراء المصريين وراحتهم وعدم محاربتهم لانه تقدم العفو عنهم ونحو ذلك وانقضى المجلس وضربوا مدافع كثيرة من القلعة والازبكية

(واستهل شهر رمضان بيوم الاربعاء سنة ١٢٢١)

وانقضى بخير ولم يقع فيه من الحوادث سوى توالى الطلب والفرض والسلف التى لاترد وتجريد العسكر الى محاربة الالفى واستمرار الالفى بالجيزة ومحاصرة دمنهور واستمرار أهل دمنهور على الممانعة وصبرهم على المحاصرة وعدم الطاعة مع متاركة المحاربة (وفيه) ورد الخبر بموت عثمان بك البرديسى فى أوائل رمضان بمنفلوط وكذلك سليم بك أبو دياب ببنى عدى (وفى أواخره) تقدم

محمد على باشا الى السيد عمر النقيب بتوزيع جملة اكياس على أناس من مياسير الناس على سبيل السلفة

*(واستهل شهر شوال بيوم الجمعة) *ولم يقع فى شهر رمضان هذا الرتبالك فى هلاله أولا وآخرا

كما حصل فيما تقدم وكذلك حصل به سكون وطمانينة من عربدة العساكر ولا توالى الطلب والسلف والدعاوى الباطلة فى المدينة والارياف وعسف ارباب المناصب فى القرى وعملوا شنكا للعيد بمدافع كثيرة فى الاوقات الخمسة ثلاثة أيام العيد (وفيه) فتحوا طلب الميرى على السنة القابلة وجدوا فى التحصيل ووجهوا بالطلب العساكر والقواسة والاتراك بالعصى المفضضة وضيقوا على الملتزمين (وفى عاشره) أخرج الباشا خيامه ونصب عرضى بناحية شبرا ومنية السيرج والتمس من السيد عمر توزيع اربعمائة كيس برأيه ومعرفته فضاق صدره وشرع فى توزيعها على التجار ومساتير الناس حيث لم يمكنه التخلف ولا التباعد عن ذلك (وفى يوم الجمعة) ثانى عشر ينه وصل حسن باشا طاهر من الجهة القبلية ودخل داره وخرج محمد على باشا الى جهة الحلى يريد السفر الى الالفى ووصلت عربان الالفى وعساكره الى بر الجيزة وطلبوا الكلف من البلاد (وفى يوم الاحد) رابع عشر ينه عدى محمد على باشا الى برانبابة (وفى يوم الاثنين) خامس عشر ينه عدى محمد على باشا وغالب العسكر الى بر بولاق واشاعوا ان الاخصام

ابن جهير فاعيد الى الوزارة سنة احدى وستين فى صفر وفيها كان بمصر غلاء شديد وانقضى سنة احدى وستين واربعمائة وفيها حاصر الناصر بن علناس مدينة الاربس بافريقية ففتحها وامن أهلها وفيها فى المحرم توفى الشيخ ابو منصور بن عبد الملك بن يوسف ورثاه ابن الفضل وغيره من الشعراء وعم مصابه المسلمين وكان من اعيان الزمان فمن افعاله انه تسلم المارستان العضدى وكان قد دثر واستولى عليه الخراب فجدد فى عمارته وجعل فيه ثمانية وعشرين طبيبا وثلاثة من الخزان الى غير ذلك واشترى له الاملاك النفيسة بعد ان كان ليس به طبيب ولا دواء وكان اكثير المعروف والصلات والخير ولم يكن يلقب فى زمانه احد بالشيخ الاجل سواه وفى المحرم أيضا توفى ابو جعفر الطوسى فقيه الامامية بمشهد امير المؤمنين على بن ابى طالب عليه السلام

(ثم دخلت سنة احدى وستين واربعمائة)

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى صفر اعيد فخر الدولة بن جهير الى وزارة الخليفة على ماذكرناه فلما عاد مدحه ابن الفضل فقال

قد رجع الحق الى نصابه * وانت من كل الورى اولى به
ما كنت الا السيف سلته يد * ثم اعادته الى قرابه

وهى طويلة وفى شعبان احترق جامع دمشق وكان سبب احتراقه انه وقع بدمشق حرب بين المغاربة أصحاب المصريين والمشارقة فضربوا دارا مجاورة للجامع بالنار فاحترقت واتصلت بالجامع وكانت العامة تعين المغاربة فتركوا القتال واشتغلوا باطفاء النار من الجامع فعظم الخطب واشتد الامر واتى الحريق على الجامع فدثرت محاسنه وزال ماكان فيه من الاعمال النفيسة

(ثم دخلت سنة اثنتين وستين واربعمائة)

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة اقبل ملك الروم من القسطنطينية فى عسكر كثيف الى الشام ونزل على مدينة منبج ونهبها وقتل اهلها وهزم محمود بن صالح بن مرداس وبنى كلاب وابن حسان الطائى ومن معهما من جموع العرب ثم ان ملك الروم ارتحل وعاد الى بلاده ولم يمكنه المقام لشدة الجوع وفيها سار امير الجيوش بدر من مصر فى عساكر كثيرة الى مدينة صور وحصرها وكان قد تغلب عليها القاضى عين الدولة بن ابى عقيل فلما حصره أرسل القاضى الى الامير قرلو امقدم الاتراك المقيمين بالشام يستنجده فسار فى اثنى عشر ألف فارس فحصر مدينة صيدا وهى لامير الجيوش بدر فرحل حينئذ بدر فعاد الاتراك فعاود بدر حصر صور براو بحرا سنة وضيق على أهلها حتى أكلوا الخبز كل رطل بنصف دينار ولم يبلغ غرضه فرحل عنها وفيها صارت دار ضرب الدنانير ببغداد فى يد وكلاء الخليفة وسبب ذلك ان البهرج كثر فى أيدى الناس على السكك السلطانية وضرب

اسم ولى العهد على الدينار وسمى الاميرى ومنع من التعامل بسواه وفيها ورد رسول صاحب مكة محمد بن أبى هاشم ومعه ولده الى السلطان ألب ارسلان يخبره باقامة الخطبة للخليفة القائم بامر الله وللسلطان بمكة واسقاط خطبة العلوى صاحب مصر وترك الاذان بحى على خير العمل فاعطاه السلطان ثلاثين ألف دينار وخلعا نفيسة واجرى له كل سنة عشرة آلاف دينار وقال اذا فعل امير المدينة مهنا كذلك اعطيناه عشرين ألف دينار وكل سنة خمسة آلاف دينار وفيها تزوج عميد الدولة بن جهير بابنة نظام الملك بالرى وعاد الى بغداد وفيها فى شهر رمضان توفى تاج الملوك هزارسب بن بنكير بن عياض باصبهان وهو عائد من عند السلطان الى خوزستان وكان قد علا أمره وتزوج باخت السلطان وبغى على نور الدولة دبيس بن مزيد وأغرى السلطان به ليأخذ بلاده فلما مات سار دبيس الى السلطان ومعه شرف الدولة مسلم صاحب الموصل فخرج نظام الملك فلقيهما وتزوج شرف الدولة باخت السلطان التى كانت امرأة هزارسب وعاد الى بلادهما من همذان وفيها كان بمصر غلاء شديد ومجاعة عظيمة حتى أكل الناس بعضهم بعضا وفارقوا الديار المصرية فورد بغداد منهم خلق كثير هربا من الجوع وورد التجار ومعهم ثياب صاحب مصر وآلاته نهبت من الجوع وكان فيها أشياء كثيرة نهبت من دار الخلافة وقت القبض على الطائع لله سنة احدى وثمانين وثلثمائة ومما نهب أيضا فى فتنة البساسيرى وخرج من خزائنهم ثمانون الف قطعة بلور كبار وخمسة وسبعون ألف قطعة من الديباج القديم واحد عشر ألف كزاغند وعشرون الف سيف محلى وقال ابن الفضل يمدح القائم بامر الله ويذكر الحال بقصيدة فيها

قد علم المصرى ان جنوده * سنو يوسف منها وطاعون عمواس
أقامت به حتى استراب بنفسه * وأوجس منه خيفة أى ايجاس

فى ابيات وفيها توفى أبو الجوائز الحسن بن على بن محمد الواسطى كان اديبا شاعرا حسن القول فمن قوله

واحسرتى من قولها * خان عهودى ولها
وحق من صيرنى * وقفا عليها ولها
ماخطرت بخاطرى * الا كستنى ولها

وتوفى محمد بن احمد ابو غالب بن بشران الواسطى الاديب وانتهت الرحلة اليه فى الادب وله شعر فمنه فى الزهد

ياشائد القصور كهلا * أقصر فقصر الفتى الممات
لم يجتمع شمل أهل قصر * الا قصار اهم الشتات
وانما العيش مثل ظل * منتقل ماله ثبات

وفيها توفى القاضى أبو الحسين محمد بن ابراهيم بن حزم قاضى دمشق وأبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن ابى النجائز الخطيب بدمشق

والبنات والصبيان والمواشى ودخلوا بهم الى بولاق والقاهرة و يبيعونهم فيما بينهم من غير تحاش كانهم سبايا الكفار (واستهل شهر القعدة سنة ١٢٢١ بيوم السبت) ووصل الحجاج الطرابلسية وعدوا الى بر مصر (وفى يوم الاحد) ثانيه وصلت قوافل الصعيد من ناحية الجبل و بها أحمال كثيرة و بضائع مع عرب المعازة وغيرهم فركب الباشا ليلا وكبسهم على حين غفلة ونهبهم وأخذ جمالهم واحمالهم ومتاعهم حتى اولاد العربان والنساء والبنات ودخلوا بهم الى المدينة يقودونهم اسرى فى ايديهم و يبيعونهم فيما بينهم كما فعلوا باهل كفر حكيم وماحوله (وفى ذلك اليوم) ضربوا مدافع كثيرة من القلعة بورود اشخاص من الططر بشارة الى الباشا وتقريره على السنة الجديدة (وفى يوم السبت) ثامنه اداروا كسوة الكعبة والمحمل وركب معها المتسفر عليها من القلزم وهو شخص يقال له محمود أغا الجزيرى وركب امامه الاغا والوالى والمحتسب وطائفة الدلاة وكثير من العسكر (وفى يوم الاثنين) عاشره وصلت الاخبار بوصول

(ثم دخلت سنة ثلاث وستين واربعمائة)

(ذكر الخطبة للقائم بامر الله والسلطان بحلب)

فى هذه السنة خطب محمود بن صالح بن مرداس بحلب لامير المؤمنين القائم بامر الله وللسلطان الب ارسلان وسبب ذلك انه رأى اقبال دولة السلطان وقوتها وانتشار دعوتها فجمع أهل حلب وقال هذه دولة جديدة ومملكة شديدة ونحن تحت الخوف منهم وهم يستحلون دماءكم لاجل مذاهبكم والرأى ان نقيم الخطبة قبل ان ياتى وقت لا ينفعنا فيه قول ولا بذل فاجاب المشايخ ذلك ولبس المؤذنون السواد وخطبوا للقائم بامر الله والسلطان فاخذت العامة حصر الجامع وقالوا هذه حصر على بن أبى طالب فليات أبو بكر بحصر يصلى عليها بالناس وأرسل الخليفة الى محمود الخلع مع نقيب النقباء طراد بن محمد الزينبى فلبسها ومدحه ابن سنان الخفاجى وأبو الفتيان بن حيوس وقال أبو عبد الله بن عطية يمدح القائم بامر الله ويذكر الخطبة بحلب ومكة والمدينة

كم طائع لك لم تجلب عليه ولم * تعرف لطاعته غير التقى سببا
هذا البشير باذعان الحجاز وذا * داعى دمشق وذا المبعوث من حلبا

(ذكر استيلاء السلطان ألب ارسلان على حلب)

فى هذه السنة سار السلطان الب ارسلان الى حلب وجعل طريقه على ديار بكر فخرج اليه صاحبها نصر بن مروان وخدمه بمائة ألف دينار وحمل اليه اقامة عرف السلطان أنه قسطها على البلاد فامر بردها ووصل الى آمد فرآها ثغرا منيعا فتبرك به وجعل يمر يده على السور ويمسح بها صدره وسار الى الرها فحصرها فلم يظفر منها بطائل فسار الى حلب وقد وصلها نقيب النقباء أبو الفوارس طراد بالرسالة القائمية والخلع فقال له محمود صاحب حلب اسألك الخروج الى السلطان واستعفاءه لى من الحضور عنده فخرج نقيب النقباء وأخبر السلطان بانه قد لبس الخلع القائمية وخطب فقال أى شئ تساوى خطبتهم وهم يؤذنون حى على خير العمل ولابد من الحضور ودوس بساطى فامتنع محمود من ذلك فاشتد الحصار على البلد وغلت الاسعار وعظم القتال وزحف السلطان يوما وقرب من البلد فوقع حجر منجنيق فى فرسه فلما عظم الامر على محمود خرج ليلا ومعه والدته منيعة بنت وثاب النميرى فدخلا على السلطان وقالت له هذا ولدى فافعل به ما تحب فتلقاهما بالجميل وخلع على محمود واعاده الى بلده فانفذ الى السلطان مالا جزيلا

(ذكر خروج ملك الروم الى خلاط واسره)

فى هذه السنة خرج ارمانوس ملك الروم فى مائتى الف من الروم والفرنج والغرب والروس والبجناك والكرج وغيرهم من طوائف تلك البلاد فجاؤا فى تجمل كثير وزى عظيم وقصد بلاد الاسلام فوصل الى ملازكرد من اعمال خلاط فبلغ السلطان الب ارسلان الخبر وهو بمدينة خوى من اذربيجان قد عاد من حلب وسمع ما فيه ملك

اليوم عند سعودى الحناوى بسوق الزلط وحارة المقس وركب قبيل العصر وذهب الى بولاق وأمر العساكر بالخروج ولا يتخلف أحد لخامس ساعة من الليل وعدى بمن معه الى برانبابة (وفى ليلة الاربعاء) وقع بين الالفى والعسكر معركة وانحاز العسكر وتترسوا بداخل الكفور والبلاد ووصل منهم جرحى الى البلد واستمر الامر على ذلك وهم يهابون البروز الى الميدان وأخصامهم لا يحاربون المتاريس والحيطان (وفى يوم الثلاثاء) ثامن عشره ركب الالفى بجيوشه وتوجه الى ناحية قناطر شبرامنت فلما عاينهم الباشا ومن معه مارين ركب بعسكره من ناحية كفر حكيم وما حوله وساروا الى جهة الجيزة ونصب وطاقه بحريها وباتوا تلك الليلة وعملوا شنكا فى صبحها وهم يشيعون هروب الالفى والحال انه مر فى جيش كثيف وصورة هائلة وقد رتب جنوده وعساكره طوابير وبين يديه النظام الذى رتبه على هيئة عسكر الفرنسيس ومعهم طبول بكيفية خرعت عقولهم والباشا واقف بجيوشه ينظر اليه تارة بعينه وتارة بالنظارة ويقول هذا طهماز الزمان ويتعجب وقال لطائفة الدلاة تقدموا لمحاربته وأنا أعطيكم كذا وكذا من المال فلم يجسروا على التقدم لما سبق لهم معه (وفى يوم الخميس) حضر اشخاص من العرب الى الباشا واخبروه بان الالفى قد مات يوم وصوله الى

الروم

الروم من كثرة الجموع فلم يتمكن من جمع العساكر له بعدها وقرب العدو فسير الاثقال مع زوجته ونظام الملك الى همذان وسار وفيمن عنده من العساكر وهم خمسة عشر الف فارس وجد فى السير وقال لهم انى اقاتل محتسبا صابرا فان سلمت فنعمة من الله تعالى وان كانت الشهادة فان ابنى ملكشاه ولى عهدى فساروا فلما قارب العدو جعل له مقدمة فصادفت مقدمته عند خلاط مقدم الروسية فى نحو عشرة آلاف من الروم فاقتتلوا فانهزمت الروسية واسر مقدمهم وحمل الى السلطان فجدع انفه وانفذ بالسلب الى نظام الملك وامره ان يرسله الى بغداد فلما تقارب العسكران ارسل السلطان الى ملك الروم يطلب منه المهادنة فقال لا هدنة الا بالرى فانزعج السلطان لذلك فقال له امامه وفقيهه أبو نصر محمد بن عبد الملك البخارى الحنفى انك تقاتل عن دين وعد الله بنصره واظهاره على سائر الاديان وارجو ان يكون الله تعالى قد كتب باسمك هذا الفتح فالقهم يوم الجمعة بعد الزوال فى الساعة التى تكون الخطباء على المنابر فانهم يدعون للمجاهدين بالنصر والدعاء مقرون بالاجابة فلما كان تلك الساعة صلى بهم وبكى السلطان فبكى الناس لبكائه ودعا ودعوا معه وقال لهم من اراد الانصراف فلينصرف فها هنا سلطان يامر وينهى والقى القوس والنشاب واخذ السيف والدبوس وعقد ذنب فرسه بيده وفعل عسكره مثله ولبس البياض وتحنط وقال ان قتلت فهذا كفنى وزحف الى الروم وزحفوا اليه فلما قاربهم ترجل وعفر وجهه على التراب وبكى واكثر الدعاء ثم ركب وحمل وحملت العساكر معه فحصل المسلمون فى وسطهم وحجز الغبار بينهم فقتل المسلمون فيهم كيف شاؤا وانزل الله نصره عليهم فانهزم الروم وقتل منهم ما لا يحصى حتى امتلأت الارض بجثث القتلى واسر ملك الروم اسره بعض غلمان كوهرائين فاراد قتله ولم يعرفه فقال له خادم مع الملك لا تقتله فانه الملك وكان هذا الغلام قد عرضه كوهرائين على نظام الملك فرده استحقارا له فاثنى عليه كوهرائين فقال نظام الملك عسى ان ياتينا بملك الروم اسيرا فكان كذلك فلما اسر الغلام الملك احضره عند كوهرائين فقصد السلطان واخبره باسر الملك فامر باحضاره فلما احضر ضربه السلطان الب ارسلان ثلاثة مقارع بيده وقال له الم ارسل اليك فى الهدنة فابيت فقال دعنى من التوبيخ وافعل ما تريد فقال السلطان ما عزمت ان تفعل بى ان اسرتنى فقال افعل القبيح قال له فما تظن انى افعل بك قال اما ان تقتلنى واما ان تشهرنى فى بلاد الاسلام والاخرى بعيدة وهى العفو وقبول الاموال واصطناعى اياك عنك قال ما عزمت على غير هذا فافداه بالف الف دينار وخمسمائة الف دينار وان يرسل اليه عساكر الروم اى وقت طلبها وان يطلق كل اسير فى بلاد الروم واستقر الامر على ذلك وانزله فى خيمة وارسل اليه عشرة آلاف دينار يتجهز بها فاطلق له جماعة من البطارقة وخلع عليه من الغد فقال ملك الروم اين جهة الخليفة فدل عليها فقام وكشف رأسه واومأ الى الارض بالخدمة وهادنه السلطان خمسين سنة وسيره الى بلاده وسير معه عسكرا أوصلوه الى مأمنه وشيعه السلطان فرسخا وأما الروم

دهشوروان عماليكه اجتمعوا وامروا عليهم شاهين بك وذلك باشارة استاذهم وان طائفة اولاد على انفصلوا عنهم ورجعوا الى بلادهم وآخرين يطلبون الامان فاشتبه الحال وشاع الخبر وصارت الناس ما بين مصدق ومكذب واستمر الاشتباه والاضطراب أياما حتى ان الباشا خلع على ذلك المخبر بعد ان تحقق خبره فروه سعور وركب بها وشق من وسط المدينة والناس ما بين مصدق ومكذب ويظنون ان ذلك من مكايده وتحيلاته لامور يدبرها الى ان حضر بعض الخدم الى دوره واخبروا بحقيقة الحال كما ذكر فعند ذلك زال الاشتباه وعد ذلك من تمام سعد محمد على باشا الدنيوى حتى انه قال فى مجلس خاصته الآن ملكت مصر ولما مات الالفى ارتحلت اجناده وعماليكه وأمراؤه وارتفعوا الى ناحية قبلى فسبحان الحى الذى لا يموت قال الشاعر

فقل للشامتين بنا أفيقوا
سيلقى الشامتون كما لقينا

ثم ان الباشا ارسل الى امرائه مكاتبة يستميلهم ويطلبهم للصلح ويدعوهم للانضمام اليه ويعدهم ان يعطيهم فوق ما سألوهم ونحو ذلك وارسل

تلك المكاتبة صحبة قادرى اغا الذى كان طرده الالفى ونفاه واخذ محمد على باشا فى الاهتمام والركوب واللحوق بهم وفى

كل يوم ينادى على العسكر بالمدينة بالخروج وقوى نشاطهم ورفعوا رؤسهم وسعوا فى قضاء اشغالهم وخطفوا الجمال والحمير وحضر الباشا الى بيته بالازبكية وبات به ليلة الاحد وصرح بسفره يوم الخميس وخرج الى العرضى ثانيا وطلب السلف والمال ومضى الخميس والجمعة ولم يسافر (وفى ليلة السبت تاسع عشرينه) نزل به حادر وتحرك عنده خلط وحصل له اسهال وقئ واشاع الناس موته يوم السبت وتناقلوه وكاد العسكر ينهبون العرضى ثم حصلت له افاقة وخرج السيد عمر والمشايخ للسلام عليه يوم الاحد وليهنؤه بالعافية وكذلك خرجوا لوداعه قبل ذلك مرارا (وفيه) حضر قادرى بجوابات الرسالة من امراء الالفى احدها للباشا وعليه ختم شاهين بك وباقى خشداشينه الكبار وآخر خطابا لمصطفى كاشف اغا الوكيل وعلى كاشف الصابونجى ومن كان كاتبهم بالمعنى السابق يذكرون فى جوابهم ان كان سيدهم قد مات وهو شخص واحد فقد خلف رجالا وأمراء وهم على طريقة أستاذهم فى الشجاعة والرأى والتدبير ونحو ذلك وليس كل مدع تسلم له دعواه ومن امثال المغاربة ما كل حمراء لحمة ولا كل بيضاء شحمة وذكروا فى الجواب ايضا انه ان اصطلح مع كبراتهم الكائنين بقبلى وهم ابراهيم بك فكوتب

فلما بلغهم خبر الوقعة وثب ميخائيل على المملكة فملك البلاد فلما وصل ارمانوس الملك الى قلعة دوقية بلغه الخبر فلبس الصوف واظهر الزهد وأرسل الى ميخائيل يعرفه ما تقرر مع السلطان وقال ان شئت ان تفعل ما استقر وان شئت امسكت فاجابه ميخائيل بايثار ما استقر وطلب وساطته وسؤال السلطان فى ذلك وجمع ارمانوس ما عنده من المال فكان مائتى ألف دينار وفارسله الى السلطان وطيبقاذ هبا عليه جواهر بتسعين الف دينار وحلف له انه لا يقدر على غير ذلك ثم ان ارمانوس استولى على اعمال الارمن وبلادهم ومدح الشعراء السلطان وذكروا هذا الفتح فاكثروا

(ذكر ملك التتر الرملة وبيت المقدس)

فى هذه السنة قصد التتر بن اوق الخوارزمى وهو من أمراء السلطان ملكشاه بلد الشام لجمع الاتراك وسار الى فلسطين ففتح مدينة الرملة وسار منها الى البيت المقدس وحصره وفيه عساكر المصريين ففتحه وملك ما يجاورهما من البلاد ما عدا عسقلان وقصد دمشق فحصرها وتابع النهب لاعمالها حتى خربها وقطع الميرة عنها فضاق الامر بالناس فصبروا ولم يمكنوه من ملك البلد فعاد عنه وادام قصد أعماله وتخريبها حتى قلت الاقوات عندهم

*(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة توفى ابو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن فوران الفورانى الفقيه الشافعى مصنف كتاب الابانة وغيرها وفى هذه السنة فى ذى الحجة توفى الخطيب ابو بكر احمد بن على بن ثابت البغدادى صاحب التاريخ والمصنفات الكثيرة ببغداد وكان امام الدنيا فى زمانه وممن حمل جنازته الشيخ ابو اسحق الشيرازى وتوفى ايضا فيها فى شهر رمضان ابو يعلى محمد بن الحسين بن حمزة الجعفرى فقيه الامامية وحسان بن سعيد بن حسان بن محمد بن عبد الله المنيعى المخزومى من اهل مرو الروذ كان كثير الصدقة والمعروف والعبادة والتنوع بالقليل من القوت والاعراض عن زينة الدنيا وبهجتها وكان السلاطين يزورونه ويتبركون به واكثر من بناء المساجد والخانقاهات والقناطر وغير ذلك من مصالح المسلمين وتوفيت ايضا كريمة بنت أحمد بن محمد المروزية وهى التى تروى صحيح البخارى توفيت بمكة واليها انتهى علو الاسناد للصحيح الى ان جاء ابو الوقت

(ثم دخلت سنة اربع وستين واربعمائة)

(ذكر ولاية سعد الدولة كوهرائين شحنكية بغداد)

فى ربيع الاول من هذه السنة ورد اينكين السليمانى شحنة بغداد من عند السلطان الى بغداد فقصد دار الخلافة وسال العفو عنه واقام أياما فلم يجب الى ذلك وكان سبب غضب الخليفة عليه انه كان قد استخلف ابنه عند مسيره الى السلطان وجعله شحنة ببغداد فقتل أحد المماليك الدارية فأنفذ قميصه من الديوان الى السلطان ووقع الخطاب فى عزله وكان نظام الملك يعنى بالسليمانى فاضاف الى أقطاعه تكريت

فكوتب واليها من ديوان الخلافة بالتوقف عن تسليمها فلما رأى نظام الملك والسلطان اصرار الخليفة على الاستقالة من ولايته شحنكية بغداد سير سعد الدولة كوهرائين الى بغداد شحنة وعزل السليمانى عنها اتباعا لما امر به الخليفة القائم بامر الله ولما ورد سعد الدولة خرج الناس لتلقيه وجلس له الخليفة

(ذكر تزويج ولى العهد بابنة السلطان)

فى هذه السنة ارسل الامام القائم بامر الله عميد الدولة بن جهير ومعه الخلع للسلطان ولولده ملكشاه وكان السلطان قد ارسل يطلب من الخليفة ان ياذن فى ان يجعل ولده ملكشاه ولى عهده فاذن وسيرت له الخلع مع عميد الدولة وأمر عميد الدولة ان يخطب ابنة السلطان الب ارسلان من سفرى خاتون لولى العهد المقتدى بامر الله فلما حضر عند السلطان خطب ابنته فاجيب الى ذلك وعقد النكاح بظاهر نيسابور وكان عميد الدولة الوكيل فى قبول النكاح ونظام الملك الوكيل من جهة السلطان فى العقد وكان النثار جواهر وعاد عميد الدولة من عند السلطان الى ملكشاه وكان ببلاد فارس فلقيه باصبهان فافاض عليه الخلع فلبسها وسار الى والده وعاد عميد الدولة الى بغداد فدخلها فى ذى الحجة

(ذكر ولاية أبى الحسن بن عمار طرابلس)

فى هذه السنة فى رجب توفى القاضى أبو طالب بن عمار قاضى طرابلس وكان قد استولى عليها واستبد بالامر فيها فلما توفى قام مكانه ابن اخيه جلال الملك ابو الحسن بن عمار وضبط البلد احسن ضبط ولم يظهر لفقد عمه اثرا لكفايته

(ذكر ملك السلطان الب ارسلان قلعة فضلون بعارس)

فى هذه السنة سير السلطان الب ارسلان وزيره نظام الملك فى عسكر الى بلاد فارس وكان بها حصن من أمنع الحصون والمعاقل وفيه صاحبه فضلون وهو لا يعطى الطاعة فنازله وحصره ودعاه الى طاعة السلطان فامتنع فقاتله فلم يبلغ بقتاله غرضا لعلو الحصن وارتفاعه فلم يطل مقامهم عليه حتى نادى أهل القلعة بطلب الامان ليسلموا الحصن اليه فعجب الناس من ذلك وكان السبب فيه ان جميع الآبار التى بالقلعة غارت مياهها فى ليلة واحدة فعادتهم ضرورة العطش الى التسليم فلما طلبوا الامان امنهم نظام الملك وتسلم الحصن والتجا فضلون الى قلة القلعة وهى أعلى موضع فيها وفيه بناء مرتفع فاحتمى فيها فسير نظام الملك طائفة من العسكر الى الموضع الذى فيه أهل فضلون وأقاربه ليحملوهم اليه وينهبوا اموالهم فسمع فضلون الخبر ففارق موضعه مستخفيا فمن عنده من الجند وسار ليمنع عن أهله فاستقبله طلائع نظام الملك فخافهم فتفرق من معه واختفى فى نبات الارض فوقع فيه بعض العسكر فاخذه اسيرا وحمله الى نظام الملك فاخذه وسار به الى السلطان فامنه واطلقه

(ذكر عدة حوادث)

من الاقاليم ونحو ذلك

(واستهل شهر ذى الحجة يوم الاثنين سنة ١٢٢١)

فيه ارتحل الباشا بالعرضى الى ساقية مكى بالجيزة متوجها لقبلى (وفيه) طلبوا المراكب من كل ناحية وعزوجودها وامتنعت الواردون ومراكب المعاشات والتجارات مع استمرار الطلب للغارم والسلف ونحو ذلك وفى منتصفه وردت مكاتبات من وزير الدولة العثمانية وفيها الخبر بوقوع الغزو بين العثمانى والموسكوب والامر بالتيقظ والتحفظ وتحصين الثغور فربما اغاروا على بعضها على حين غفلة وكذلك وردت أخبار بمعنى ذلك من حاكم ازميروحاكم رودس وان الانكليز معاونون لطائفة الموسكوب لاستمرار عداوتهم مع الفرنساوية لكون الفرانساوية متصادقين مع العثمانى والخبر عن مجمل القضية ان بونابارته أمير جيش الفرانساوية وعساكرهم خرجوا فى العام الماضى واغاروا على القرانات والممالك الافرنجية واستولوا على النيمسة التى هى اعظم القرانات وبينهم وبين الموسكوب مصادقة ونسب فارسل الموسكوب جندا كثيفا مساعدة للنيمساوية مع كبير من قرابة قرانهم فتلاقوا مع بونابارته بعد استيلائه على تخت النيمسة فهزمهم أيضا وأمر

في هذه السنة توفي القاضي أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبد الصمد بن المهتدي بالله الخطيب بجامع المنصور وكان قد أضر ومولده سنة أربع وثمانين وثلثمائة وكان اليه قضاء واسط وخليفته عليها ابو محمد بن السمال

(ثم دخلت سنة خمس وستين وار بعمائة)

(ذكر قتل السلطان الب ارسلان)

في اول هذه السنة قصد السلطان الب ارسلان واسمه محمد وانما قلب عليه الب ارسلان ماوراء النهر وصاحبه شمس الملك تكين فعقد على جيحون جسرا وعبر عليه في نيف وعشرين يوما وعسكره يزيد على مائتي الف فارس فاتاه اصحابه بمستحفظ قلعة يعرف بيوسف الخوارزمي في سادس شهر ربيع الاول وحمل الى قرب سريره مع غلامين فتقدم ان تضرب له أربعة اوتاد وتشد اطرافه اليها فقال له يوسف يا مخنث مثلي يقتل هذه القتلة فغضب السلطان الب ارسلان وأخذ القوس والنشاب وقال للغلامين خليا ورماه السلطان بسهم فاخطاه ولم يكن يخطئ سهمه فوثب يوسف يريده والسلطان على سدة فلما رأى يوسف يقصده قام عن السدة ونزل عنها فعثر فوقع على وجهه فبرك عليه يوسف وضربه بسكين كانت معه في خاصرته وكان سعد الدولة واقفا فجرحه يوسف ايضا جراحات ونهض السلطان فدخل الى خيمة أخرى وضرب بعض الفراشين يوسف بمرزبة على رأسه فقتله وقطعه الاتراك وكان اهل سمرقند لما بلغهم عبور السلطان النهر وما فعل عسكره بتلك البلاد لا سيما بخارا اجتمعوا وختموا اختمات وسألوا الله ان يكفيهم أمره فاستجاب لهم ولما جرح السلطان قال ما من وجه قصدته وعدو اردته الا استعنت بالله عليه ولما كان أمس صعدت على تل فارتجت الارض بحتى من عظم الجيش وكثرة العسكر فقلت في نفسي انا ملك الدنيا وما يقدر احد علي فعجزني الله تعالى باضعف خلقه وانا استغفر الله تعالى واستقيله من ذلك الخاطر فتوفي عاشر ربيع الاول من السنة فحمل الى مرو ودفن عند ابيه ومولده سنة اربع وعشرين وار بعمائة وبلغ من العمر اربعين سنة وشهورا وقيل كان مولده سنة عشرين وأربعمائة وكانت مدة ملكه منذ خطب له بالسلطنة الى ان قتل تسع سنين وستة اشهر وايام وما وصل خبر موته الى بغداد جلس الوزير فخر الدولة بن جهير للعزاء به في صحن السلام

(ذكر نسب الب ارسلان وبعض سيرته)

هو الب ارسلان محمد بن داود جغري بك بن ميكائيل بن سلجوق وكان كريما عادلا عاقلا لا يسمع السعايات واتسع ملكه جدا وادان له العالم وبحق قيل له سلطان العالم وكان رحيم القلب رفيقا بالفقراء كثير الدعاء بدوام ما انعم الله به عليه اجتاز يوما بمرو على فقراء الخرائين فبكى وسأل الله تعالى ان يغنيه من فضله وكان يكثر الصدقة فيتصدق في رمضان بخمسة عشر الف دينار وكان في ديوانه اسماء خلق كثير من الفقراء في جميع مملكه عليهم الادارات والصلات ولم يكن في جميع بلاده جناية ولا

عظماءهم وسار بجيوشه الى الروسية واستولى على عدة أماكن وكلما استولى على جهة قرر بها احكامها وشرط عليهم شروطه التي منها معاداة الانكليز ومنابذتهم وراسله العثماني وراسله هو أيضا ورأى العثماني قوة باسه فصادقه وأرسل اليه من طرفه الجي الى اسلامبول فدخلها في أبهة عظيمة وأنزلوه منزلا حسنا وأرسل صحبته هدايا وقوبل باعظم منها وكذلك ارسل الى خصوص بونابارته تحفا وهدايا وتاجا من الجوهر فعند ذلك انتبذ الموسكوب ونقض الهدنة بينه وبين العثماني وطلب المحاربة فخافه العثماني لما يعلمه منه من القوة والكثرة وسعى الانكليز بينهما بالصلح واجتهد في ذلك حتى أمضاه بشروط قبيحة وصلت الينا صورتها وظهر لنا منها اثنا عشر شرطا ونصها الاول ان امراء القلاع والبغازات يحتاج ان يتغيروا باذن الانكليز والموسكوب الثاني مشيخة السبع جزائر من الآن فصاعدا لا تكون تابعة غير الموسكوب الثالث تعريفة الديوان في بلاد العثماني هي التي كانوا ياخذونها قبل النظام الجديد الرابع الدولة العلية تسمح للموسكوب في طريق ثلثمائة ألف مقاتل يدخلون الى أي محل أرادوه من بلاد العثماني وذلك مدة اتفاق الانكليز والموسكوب وهو تسعة سنين الخامس يكون مسموحا لعمارة الموسكوب انهم تدخل

مصادرة فقد قنع من الرعايا بالخراج الاصلى يؤخذ منهم كل سنة دفعتين رفقا بهم وكتب اليه بعض السعاة سعاية فى نظام الملك وزيره وذكر ماله فى عمالكه من الرسوم والاموال وتركت على مصلاه فاخذها فقراهاثم سلمها الى نظام الملك وقال له خذ هذا الكتاب فان صدقوا فى الذى كتبوه فهذب اخلاقك واصلح احوالك وان كذبوا فاغفر لهم زلتهم واشغلهم بهم يشتغلون به عن السعاية بالناس وهذه حالة لايذكر عن احد من الملوك احسن منها وكان كثيرا ما يقرأ عليه تواريخ الملوك وآدابهم واحكام الشريعة ولما اشتهر بين الملوك حسن سيرته ومحافظته على عهوده اذعنوا له بالطاعة والموافقة بعد الامتناع وحضروا عنده من اقاصى ماوراء النهر الى اقصى الشام وكان شديد العناية بكف الجند عن اموال الرعية بلغه ان بعض خواص عماليكه سلب من بعض الرستاقية ازارا فاخذ المملوك وصلبه فارتدع الناس عن التعرض الى مال غيرهم ومناقبه كثيرة لايليق بهذا الكتاب اكثر من هذا القدر منها وخلف الب ارسلان من الاولاد ملكشاه وهو الذى صار السلطان بعده وايازو تكش وبورى برش وتتش وارسلان ارغو وسارة وعائشة وبنتا اخرى

(ذكر ملك السلطان ملكشاه)

لما جرح السلطان الب ارسلان اوصى بالسلطنة لابنه ملكشاه وكان معه وامران يحلف له العسكر فحلفوا جميعهم وكان المتولى للامر فى ذلك نظام الملك وارسل ملكشاه الى بغداد يطلب الخطبة له فخطب له على منابرها واوصى الب ارسلان ابنه ملكشاه ايضا ان يعطى اخاه قاورت بك ابن داود اعمال فارس وكرمان وشيئا عينه من المال وان يزوجه بزوجته وكان قاورت بك بكرمان واوصى ان يعطى ابنه ايازبن الب ارسلان ماكان لابيه داود وهو خمسمائة الف دينار وقال كل من لم يرض بما اوصيت له فقاتلوه واستعينوا بما جعلته له على حربه وعاد ملكشاه من بلاد ماوراء النهر فعبر العسكر الذى قطع النهر فى نيف وعشرين يوما فى ثلاثة ايام وقام بوزارة ملكشاه نظام الملك وزاد الاجناد فى معايشهم سبعمائة الف دينار وعادوا الى خراسان وقصدوا نيسابور وراسل ملكشاه جماعة الملوك اصحاب الاطراف يدعوهم الى الخطبة له والانقياد اليه واقام ايازارسلان ببلخ وسار السلطان ملكشاه فى عساكره من نيسابور الى الرى

(ذكر ملك صاحب سمرقند مدينة ترمذ)

فى هذه السنة فى ربيع الآخر ملك التكين صاحب سمرقند مدينة ترمذ وسبب ذلك انه لما بلغه وفاة الب ارسلان وعود ابنه ملكشاه عن خراسان طمع فى البلاد المجاورة له فقصد ترمذ اول ربيع الآخر وفتحها ونقل ما فيها من ذخائر وغيرها الى سمرقند وكان ايازابن الب ارسلان قد سار عن بلخ الى الجوزجان فخاف اهل بلخ فارسلوا الى التكين يطلبون منه الامان فامنهم فخطبوا له فيها وورد اليها فنهب عسكره شيئا من اموال الناس وعاد الى ترمذ فثار اوباش بلخ بجماعة من اصحابه فقتلوهم فعاد اليهم وامر باحراق المدينة

للموسكوب من جديد وقديم لهم الاقامة والتجارة وشراء الاملاك فى كامل بلاد العثمانى فى السابع كامل مراكب الموسكوب التجارية التى كانوا عن بعض الاسباب نزلوا بيارقها يقدرون أن يتوجهوا بها الى قنصولية الموسكوب باسلامبول وحالا تعطى لهم بطانات جديدة الثامن كامل الاروام الموجودين فى بلاد العثمانى ويريدون أن يدخلوا فى حماية الموسكوب يمكنهم بكل حرية التاسع البراتلية والفرماثلية يحصلون على قوتهم التى كانوا بها اسابقا العاشر الجى الفرنساوية ملزوم يسافر من اسلامبول بعد واحد وثلاثين يوما الحادى عشر مراكب الاروام والعثمانى لايسافرون بها لبلاد فرانسا مادام الحرب بين الموسكوب والفرانساوية فلما تقررت هذه الشروط واطلع عليها الفرانساوى فكانه لم يرض بها وقال للعثمانى لم يبق بيدك مملكة وأشار عليه بنقضها وتكفل بمساعدته ومقاومتهم فركن اليه ونقض تلك الشروط فعند ذلك نبذوا صداقة العثمانى واظهروا مخاصمته ووافقهم على ذلك الانكليز لكونه صادق الفرنساوية وأغاروا على بعض النواحى وأخذوا الختن وغيرها وشرع اهل الاسكندرية فى تحصين قلاعها وأبراجها وكذلك أبو

فخرج اليه اعيان اهلها وسالوه الصفح واعتذروا فعفا عنهم لكنه اخذ اموال التجار فغنم شيئا عظيما فلما وصل الخبر الى اياز عاد من الجوزجان الى بلخ فوصل غرة جمادى الاولى فاطاعه اهلها وسار عنها الى ترمذ فى عشرة آلاف فارس فى الثالث والعشرين من جمادى الآخرة فلقيهم عسكر التكين فانهزم اياز فغرق من عسكره فى جيحون اكثرهم وقتل كثير منهم ولم ينج الا القليل

(ذكر قصد صاحب غزنة سكلكند)

وفى هذه السنة ايضا فى جمادى الاولى وردت طائفة كثيرة من عسكر غزنة الى سكلكند وبها عثمان عم السلطان ملكشاه ويلقب بامير الامراء فاخذوه اسيرا وعادوا به الى غزنة مع خزائنه وحشمه فسمع الامير كمشتكين بلكابك وهو من اكابر الامراء فتبع آثارهم وكان معه انوشتكين جد ملوك خوارزم فى زماننا فنهبوا مدينة سكلكند

(ذكر الحرب بين السلطان ملكشاه وعمه قاورت بك)

لما بلغ قاورت بك وهو بكرمان وفاة اخيه الب ارسلان سار طالبا للرى يريد الاستيلاء على الممالك فسبقه اليها السلطان ملكشاه ونظام الملك وسارا منها اليه فالتقوا بالقرب من همذان فى شعبان وكان العسكر يميلون الى قاورت بك فحملت ميسرة قاورت على ميمنة ملكشاه فهزموها وحمل شرف الدولة مسلم بن قريش وبهاء الدولة منصور بن دبيس بن مزيد وهما مع ملكشاه ومن معهما من العرب والاكراد على ميمنة قاورت بك فهزموها وتمت الهزيمة على اصحاب قاورت بك ومضى المنهزمون من اصحاب السلطان ملكشاه الى حلل شرف الدولة وبهاء الدولة فنهبوها غيظا منهم حيث هزموا عسكر قاورت بك ونهبوا ايضا ما كان لنقيب النقباء طراد بن محمد الزينبى رسول الخليفة وجاء رجل سوادى الى السلطان ملكشاه فاخبره ان عمه قاورت بك فى بعض القرى فارسل من اخذه واحضره فامر سعد الدولة كوهرائين فخنقه واقر كرمان بيد اولاده وسير اليهم الخلع واقطع العرب والاكراد اقطاعات كثيرة لما فعلوه فى الوقعة وكان السبب فى حضور شرف الدولة وبهاء الدولة عند ملكشاه ان السلطان الب ارسلان كان ساخطا على شرف الدولة فارسل الخليفة نقيب النقباء طراد بن محمد الزينبى الى شرف الدولة بالموصل فاخذه وسار به الى الب ارسلان ليشفع فيه عند الخليفة فلما بلغ الزاب وقف على ملطفات كتبها وزيره ابو جابر بن صقلاب فاخذها شرف الدولة فغرقها وسار مع طراد فبلغهما الخبر بوفاة الب ارسلان ومسير ابنه ملكشاه فتمما اليه واما بهاء الدولة فانه كان قد سار بمال ارسله به ابوه الى السلطان فحضر الحرب بهذا السبب

(ذكر تفويض الامور الى نظام الملك)

ثم ان عسكر ملكشاه بسطوا ومدوا ايديهم فى اموال الرعية وقالوا ما يمنع السلطان أن يعطينا الاموال الا نظام الملك فنال الرعية اذى شديد فذكر ذلك نظام الملك للسلطان فبين له ما فى هذا الفعل من الوهن وخراب البلاد وذهاب السياسة فقال له افعل فى هذا

قيز وأرسل كتخدا بك من يتقيد ببناء قلعة بالبراس وحصل لمصر قلق ولغط وغلت الاسعار فى البضائع المجلوبة وعملوا جمعيات ببيت كتخدا بك وببيت السيد عمر النقيب واتفقوا على ارسال تلك المراسلات الى محمد على باشا بالجهة القبلية صحبة ديوان افندى (وفى عشرينه) اجتمعوا بالازهر لقراءة صحيح البخارى فى أجزاء صغار (وفيه) حضر ديوان افندى بمكاتبات وفيها طلب جماعة من الفقهاء ليسعوا فى اجراء الصلح بين الامراء المصريين وبين الباشا فوقع الاتفاق على تعيين ثلاثة أشخاص وهم ابن الشيخ الامير وابن الشيخ العروسى والسيد محمد الدواخلى فسافروا فى يوم الاحد سادس عشرينه ووصلت الاخبار بان الانكليز حضروا فى اثنى عشر مركبا وعبروا بغاز اسلامبول وكانوا محترسين فضربوا عليهم بالمدافع من الجهتين فلم يكترثوا ولم يفزعوا ولم يتاخروا ولم يصب الضرب الا مركبا واحدة من الاثنى عشر وعمروا ثلمتها فى الحال ولم يزالوا سائرين حتى رسوا ببر اسلامبول فهاج كل اهلها وصرخوا وانزعجوا انزعاجا عظيما وايقنوا باخذ الانكليز البلدة ولو ارادوا حرقها لاحرقوها عن آخرها فعند ذلك نزل اليهم السيد على باشا القبطان وهو أخو على باشا الذى كان أخذ يسيرا مع البرديسى من برج مغيزل برشيد فتكلم معهم وصالحهم وخرجوا من البغاز سالمين

ما تراه مصلحة فقال له نظام الملك ما يمكنني ان أفعل الا بامرك فقال السلطان قد رددت الامور كلها كبيرها وصغيرها اليك فانت الوالد وحلف له وأقطعه اقطاعا زائدا على ما كان من جملته طوس مدينة نظام الملك وخلع عليه ولقبه القاب من جملتها أتابك ومعناه الامير الوالد فظهر من كفايته وشجاعته وحسن سيرته ما هو مشهور فمن ذلك ان امرأة ضعيفة استغاثت اليه فوقف يكلمها وتكلمه فدفعها بعض حجابه فانكر ذلك عليه وقال انما استخدمتك لامثال هذه فان الامراء والاعيان لا حاجة بهم اليك ثم صرفه عن حجبته

(ذكر قتل ناصر الدولة بن حمدان)

في هذه السنة قتل ناصر الدولة أبو علي الحسن بن حمدان وهو من أولاد ناصر الدولة بن حمدان بمصر وكان قد تقدم فيها تقدما عظيما ونذكر ههنا الاسباب الموجبة لقتله فانها فتبع بعضها بعضا في حروب وتجارب وكان أول ذلك انحلال امر الخلافة وفساد احوال المستنصر بالله العلوي صاحبها وسببه ان والدته كانت غالبة على امره وقد اصطنعت اباسعيد ابراهيم التستري اليهودي وصار وزيرا لها فاشار عليها بوزارة ابي نصر الفلاحي فولته الوزارة واتفقا مدة ثم صار الفلاحي ينفرد بالتدبير فوقع بينهما وحشة فخاف الفلاحي ان يفسد أمره مع أم المستنصر فاصطنع الغلمان الاتراك واستمالهم وزاد في أرزاقهم فلما وثق بهم وضعهم على قتل اليهودي فقتلوه فعظم الامر على أم المستنصر وأغرت به ولدها فقبض عليه وأرسلت من قتله تلك الليلة وكان بينهما في القتل تسعة أشهر ووزر بعده أبو البركات حسن بن محمد فوضعه على الغلمان الاتراك فافسد أحوالهم وشرع يشتري العبيد للمستنصر واستكثر منهم فوضعته أم المستنصر ليغري العبيد المجردين بالاتراك فخاف عاقبة ذلك وعلم انه يورث شرا وفسادا فلم يفعل فتنكرت له وعزلته عن الوزارة وولي بعده الوزارة ابو محمد اليازوري من قرية من قرى الرملة اسمها يازور فامرته أيضا بذلك فلم يفعل واصلح الامور الى ان قتل ووزر بعده ابو عبد الله الحسين بن البابلي فامرته بما أمرت به غيره من الوزراء من اغراء العبيد بالاتراك ففعل فتغيرت نياتهم ثم ان المستنصر ركب ليشيع الحجاج فاجرى بعض الاتراك فرسه فوصل به الى جماعة العبيد المحدثين وكانوا يحيطون بالمستنصر فضربه أحدهم بخرجه فعظم ذلك على الاتراك ونشبت بينهم الحرب ثم اصطلحوا على تسليم الجارح اليهم واستحكمت العداوة فقال الوزير للعبيد خذوا حذركم فاجتمعوا الى محلتهم وعرف الاتراك ذلك فاجتمعوا الى مقدميهم وقصدوا ناصر الدولة بن حمدان وهو أكبر قائد بمصر وشكوا اليه واستمالوا المصامدة وكنامة وتعاهدوا وتعاقدوا فقوي الاتراك وضعف العبيد المحدثون فخرجوا من القاهرة الى الصعيد ليجتمعوا هناك فانضاف اليهم خلق كثير يزيدون على خمسين ألف فارس وراجل فخاف الاتراك وشكوا الى المستنصر فاعادا الجواب انه لا علم له بما فعل العبيد وانه لا حقيقة له فظنوا

مات العمدة الفاضل صدر المدرسين وعمدة المحققين الفقيه الورع الشيخ محمد الخشني الشافعي تخرج على الشيخ عطية الاجهوري وغيره من اشياخ العصر المتقدمين كالحفني والعدوي ومسكنه بخطة السيدة نفيسة ويأتي الى الازهر في كل يوم فيقرأ درسه ثم يعود الى داره متقللا في معيشته منعزلا عن مخالطة غالب الناس وهو آخر الطبقة وتمرض شهورا بمنزله الذي بالمشهد النفيسي وكان دائما يسأل عن الشيخ سليمان البجيرمي وكان يقول لا أموت حتى يموت البجيرمي لانه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وقال له أنت آخر اقرانك موتا ولم يكن من اقرانه سوى البجيرمي فلذلك كان يسأل عنه ثم مات البجيرمي بقرية تسمى مصطبه ومات هو بعده بنحو ثلاثة أشهر وكانت وفاته في يوم الاثنين خامس عشرين ذي الحجة ولم يحضروا بجنازته الى الازهر بل صلي عليه بالمشهد النفيسي ودفن هناك رحمة الله تعالى عليه * ومات الشيخ الفقيه المحدث خاتمة المحققين وعمدة المدققين بقية السلف وعمدة الخلف الشيخ سليمان ابن محمد بن عمر البجيرمي

* يخ مل عا الشافعي الازهري المنتهى نسبه الى الشيخ جمعة الزبدي المدفون ببجيرم نسبة الى زبيدة

بالقرب من منية ابن خصيب وينتهى نسب
الغربية سنة احدى وثلاثين [٣]
ومائة وألف وحضر الى مصر
صغيرا دون البلوغ وبها
قريبه الشيخ موسى البجيرمى
وحفظ القرآن ولازم الشيخ
المذكور حتى تاهل لطلب
العلوم وحضر على الشيخ
العشماوى فى الصحيحين
وأبى داود والترمذى والشفاء
والمواهب وشرح المنهج لشيخ
الاسلام وشرحى المنهاج
لكل من الرملى وابن حجر
وحضر دروس الشيخ الحفنى
وأجازه المذكور والجوهرى
والمدابغى وأخذ عن الديربى
وغيره وحضر أيضا دروس
الشيخ على الصعيدى والسيد
البليدى وشارك كثيرا من
الاشياخ كالشيخ عطية
الاجهورى وغيره وكان
انسانا حسنا جيد الاخلاق
منجمعا عن مخالطة الناس
مقبلا على شانه وقد انتفع
به أناس كثيرون وكف
بصره سنينا وعمر وتجاوز
المائة سنة ومن تاليفه بايدى
الطلبة حاشية على المنهج
وأخرى على الخطيب وغير
ذلك وقبل وفاته سافر الى
مصطيه بالقرب من بجيرم

قوله حيلة عليهم ثم قوى الخبر بقرب العبيد منهم بكثرتهم فاجفل الاتراك وكتامة
والمصامدة وكانت عدتهم ستة آلاف فالتقوا بموضع يعرف بكوم الريش واقتتلوا
فانهزم الاتراك ومن معهم الى القاهرة وكان بعضهم قد كمن فى خمسمائة فارس فلما
انهزم الاتراك خرج الكمين على ساقة العبيد ومن معهم وحملوا عليهم حملة منكرة
وضربت البوقات فارتاع العبيد وظنوها مكيدة من المستنصر وانه قد ركب فى باقى
العسكر فانهزموا وعاد عليهم الاتراك وحكموا فيهم السيوف فقتل منهم وغرق نحو
أربعين ألفا وكان يوما مشهودا وقويت نفوس الاتراك وعرفوا حس رأى المستنصر
فيهم وتجمعوا وحشدوا واقتضاعفت عدتهم وزادت واجباتهم للانفاق فيهم فخلت
الخزائن واضطربت الامور وتجمع باقى العسكر من الشام وغيره الى الصعيد فاجتمعوا
مع العبيد فصاروا خمسة عشر ألف فارس وراجل وساروا الى الجيزة فخرج عليهم
الاتراك ومن معهم واقتتلوا فى الماء عدة أيام ثم عبر الاتراك النيل اليهم مع ناصر الدولة
ابن حمدان فاقتتلوا فانهزم العبيد الى الصعيد وعاد ناصر الدولة والاتراك منصورين ثم
ان العبيد اجتمعوا بالصعيد فى خمسة عشر الف فارس وراجل فلقى الاتراك ذلك فحضر
مقدموهم دار المستنصر لشكوى حالهم فامرت ام المستنصر من عندها من العبيد
بالهجوم على المقدمين والفتك بهم ففعلوا ذلك وسمع ناصر الدولة الخبر فهرب الى ظاهر
البلد واجتمع الاتراك اليه ووقعت الحرب بينهم وبين العبيد ومن تبعهم من مصر
والقاهرة وحلف الامير ناصر الدولة بن حمدان أنه لا ينزل عن فرسه ولا يذوق طعاما حتى
ينفصل الحال بينهم فبقيت الحرب ثلاثة ايام ثم ظفر بهم ناصر الدولة واكثر القتل فيهم
ومن سلم هرب وزالت دولتهم من القاهرة وكان بالاسكندرية جماعة كثيرة من العبيد فلما
كانت هذه الحادثة طلبوا الامان فامنوا واخذت منهم الاسكندرية وبقى العبيد الذين
بالصعيد فلما خلت الدولة للاتراك طمعوا فى المستنصر وقل ناموسه عندهم وطلبوا
الاموال فخلت الخزائن فلم يبق فيها شئ البتة واختل ارتفاع الاعمال وهم يطالبون
واعتذر المستنصر بعدم الاموال عنده فطلب ناصر الدولة العروض فاخرجت اليهم
وقومت بالثمن البخس وصرفت الى الجند قيل ان واجب الاتراك كان فى الشهر عشرين
الف دينار فصار الآن فى الشهر اربعمائة الف دينار واما العبيد بالصعيد فانهم افسدوا
وقطعوا الطريق واخافوا السبيل فسار اليهم ناصر الدولة فى عسكر كثير فمضى العبيد
من بين يديه الى الصعيد الاعلى فادركهم فقاتلهم وقاتلوه فانهزم ناصر الدولة منهم وعاد
الى الجيزة بمصر واجتمع اليه من سلم من أصحابه وشغبوا على المستنصر واتهموه بتقوية
العبيد والميل اليهم ثم جهز واجيشا وسيروه الى طائفة من العبيد بالصعيد وقاتلوهم
فقتل تلك الطائفة من العبيد فوهن الباقون وزالت دولتهم وعظم امر ناصر الدولة
وقويت شوكته وتفرد بالامر دون الاتراك فامتنعوا من ذلك وعظم عليهم وفسدت
نياتهم له فشكوا ذلك الى الوزير وقالوا كلما خرج من الخليفة مال أخذ اكثره له
ولحاشيته ولا يصل الينا منه الا القليل فقال الوزير انما وصل الى هذا وغيره بكم فلو

[٣] قوله سنة احدى وثلاثين الخ
هكذا فى النسخ لكن لا يطابق
قوله الآتى وتجاوز المائة
اذ لا يتاتى مجاوزته المائة الا ان يكون ولد قبل هذا التاريخ بنحو عشر سنوات اه مصحح

فارقتموه لم يتم له أمر فاتفق رأيهم على مفارقة ناصر الدولة واخراجه من مصر فاجتمعوا وشكوا الى المستنصر وسألوه ان يخرج عنهم ناصر الدولة فارسل اليه يامره بالخروج ويتهدده ان لم يفعل فخرج من القاهرة الى الجيزة ونهبت داره ودور حواشيه واصحابه فلما كان الليل دخل ناصر الدولة مستخفيا الى القائد المعروف بتاج الملوك شادى فقبل رجله وقال اصطنعني فقال أفعل فخافه على قتل مقدم من الاتراك اسمه الدكز والوزير الخطير وقال ناصر الدولة لشادى تركب فى اصحابك وتسير بين القصرين فاذا امكنتك الفرصة فيهما فاقتلهما وعاد ناصر الدولة الى موضعه الى الجيزة وفعل شادى ما امره فركب الدكز الى القصر فرأى شادى فى جمعه فانكره واسرع فدخل القصر ففاته ثم اقبل الوزير فى موكبه فقتله شادى وارسل الى ناصر الدولة يامره بالركوب فركب الى باب القاهرة فقال الدكز للمستنصر ان لم تركب والا هلكت انت ونحن فركب ولبس سلاحه وتبعه خلق عظيم من العامة والجند واصطفوا للقتال فحمل الاتراك على ناصر الدولة فانهزم وقتل من اصحابه خلق كثير ومضى منهزما على وجهه لا يلوى على شئ وتبعه فل اصحابه فوصل الى بنى سنبس فاقام عندهم وصاهرهم فقوى بهم وتجهزت العساكر اليه ليبعدوه فساروا حتى قربوا منه وكانوا ثلاث طوائف فاراد أحد المقدمين ان يفرز بالظفر وحده دون اصحابه فعبر فيمن معه الى ناصر الدولة وحمل عليه فقاتله فظفر به ناصر الدولة فاخذه اسيرا واكثر القتل فى اصحابه وعبر العسكر الثانى ولم يشعروا بما جرى على اصحابهم فحمل ناصر الدولة عليهم ورفع رؤس القتلى على الرماح فوقع الرعب فى قلوبهم فانهزموا وقتل اكثرهم وقويت نفس ناصر الدولة وعبر العسكر الثالث فهزمهم واكثر القتل فيهم واسر مقدمهم وعظم أمره ونهب الريف فاقطعه وقطع الميرة عن مصر برا وبحرا فغلت الاسعار بها واكثر الموت بالجوع وامتدت ايدى الجند بالقاهرة الى النهب والقتل وعظم البلاء حتى ان اهل البيت الواحد كانوا يموتون كلهم فى ليلة واحدة واشتد الغلاء حتى حكى ان امرأة اكلت رغيفا بالف دينار فاستبعد ذلك فقيل انها باعت عروضا قيمتها ألف دينار بثلثمائة دينار واشترت بها حنطة وحملها الحمال على ظهره فنهبت الحنطة فى الطريق فنهبت هى مع الناس فكان الذى حصل لها مما حملته رغيفا واحدا وقطع ناصر الدولة الطريق برا وبحرا فهلك العالم ومات اكثر اصحاب المستنصر وتفرق كثير منهم فراسل الاتراك من القاهرة ناصر الدولة فى الصلح فاصطلحوا على ان يكون تاج الملوك شادى نائبا عن ناصر الدولة بالقاهرة يحمل المال اليه ولا يبقى معه لاحد حكم فلما دخل تاج الملوك الى القاهرة تغير عن القاعدة واستبد بالاموال دون ناصر الدولة ولم يرسل اليه منها شيئا فسار ناصر الدولة الى الجيزة واستدعى اليه شادى وغيره من مقدمى الاتراك فخرجوا اليه الا اقلهم فقبض عليهم وكلهم ونهب ناحيتى مصر واحرق كثيرا منها فسير اليه المستنصر عسكرا فكبسوه فانهزم منهم ومضى هاربا بجمع جمعا وعاد اليهم فقاتلهم فهزمهم وقطع خطبة المستنصر بالاسكندرية ودمياط وكاتبه وكذلك جميع الريف وارسل

الاجل العلامة والفاضل الفهامة فريد عصره علما وعملا ووحيد دهره تفصيلا وجملا الشيخ مصطفى العقباوى المالكى نسبة لمنية عقبة بالجيزة حضر الى الازهر صغيرا ولازم السيد حسنا البقلى ثم لشيخ محمد العقاد المالكى ثم الشيخ محمد اعبادة العدوى ملازمة كلية حتى تمهر فى مذهبه فى المنقولات وفى المعقولات وحضر دروس أشياخ العصر كالشيخ الدردير والشيخ محمد البيلى والشيخ الامير وغيرهم وتصدر لالقاء الدروس وانتفع به الطلبة واشتهر فضله وكان انسانا حسن الاخلاق مقبلا على الافادة والاستفادة لا يتداخل فيما لا يعنيه ويأتيه من بلدته ما يكفيه قانعا متورعا متواضعا ومن مناقبه انه كان يحب افادة العوام حتى انه كان اذا ركب مع المكارى يعلمه عقائد التوحيد وفرائض الصلاة الى ان توفى يوم الخميس تاسع عشر جمادى الآخرة ولم يخلف بعده مثله رحمه الله تعالى وعفا عنا وعنه * ومات الاجل المعظم المبجل المحقق المدقق المفضل العالم العامل الفاضل الكامل الشيخ على النجارى المعروف

بالقباني الشافعى مذهبا المكى مولدا المدنى اصلا ابن العالم الفاضل الشيخ احمد تقى الدين ابن السيد تقى الدين المنتهى

نسب أخواله الى السيد احمد الناسك بن عبد الله بن ادريس بن عبد الله بن الحسن الانور ابن سيدنا الحسن السبط رضى الله تعالى عنه ولد المترجم بمكة سنة اربع وثلاثين ومائة وقدم الى مصر مع ابيه وأخيه السيد حسن سنة احدى وسبعين ومائة فاقيلة وصولهم مرض أخوه المذكور وتوفى صبح ثالث يوم فجزع والده لذلك جزعا شديدا وتشاءم به وعزم على السفر الى مكة ثانيا ولم يتيسر له ذلك الا اواخر شوال من السنة المذكورة وبقى المترجم واشتغل بتحصيل العلوم وشراء الكتب النافعة واستكتابها ومشاركة اشياخ العصر فى الافادة والاستفادة مع مباشرة شغل تجارتهم من بيع الارساليات التى ترد اليه من اولاد أخيه من جدة ومكة وشراء ما يشترى وارساله لهم الى ان تمرض وانقطع ببيته الذى بخطة عابدين قريبا من الاستاذ الحنفى سنة تسع ومائتين وكان عالما ماهرا واديبا شاعرا تخرج على والده وعلى غيره بمكة وعلى كثير من اشياخ العصر المتقدمين كالشيخ العشماوى ٣ والشيخ الحفنى والشيخ العدوى

الى الخليفة ببغداد يطلب خلعا ليخطب له بمصر واضمحل أمر المستنصر وبطل ذكره وتفرق الناس من القاهرة وارسل ناصر الدولة اليه ايضا يطلب المال فرآه الرسول جالسا على حصير وليس حوله غير ثلاثة خدم ولم ير الرسول شيأ من آثار المملكة فلما أدى الرسالة قال أما يكفى ناصر الدولة ان اجلس فى مثل هذا البيت على مثل هذا الحصير فبكى الرسول وعاد الى ناصر الدولة فاخبره الخبر فاجرى له كل يوم مائة دينار وعاد الى القاهرة وحكم فيها واذل السلطان واصحابه وكان الذى حمله على ذلك أنه كان يظهر التسنن من بين أهله ويعيب المستنصر وكان المغاربة كذلك فاعانوه على ما اراد وقبض على ام المستنصر وصادرها بخمسين ألف دينار وتفرق عن المستنصر أولاده وكثير من أهله الى الغرب وغيره من البلاد فمات كثير منهم جوعا وانقضت سنة اربع وستين وما قبلها بالفتن والقحط السعر سنة خمس وستين ورخصت الاسعار وبالغ ناصر الدولة فى اهانة المستنصر وفرق عنه عامة اصحابه وكان يقول لاحدهم انى أريد ان أوليك عملا كذا فيسير اليه فلا يمكنه من العمل ويمنعه من العود وكان غرضه بذلك أن يخطب للخليفة القائم بامر الله ولا يمكنه مع وجودهم فبطن لفعله قائد كبير من الاتراك اسمه الدكز وعلم انه متى ما تم ما اراد تمكن منه ومن اصحابه فاطلع على ذلك غيره من قواد الاتراك فاتفقوا على قتل ناصر الدولة وكان قد امن لقوته وعدم عدوه فتواعدوا ليلة على ذلك فلما كان سحر الليلة التى تواعدوا فيها على قتله جاؤا الى باب داره وهى التى تعرف بمنازل العز وهى على النيل فدخلوا من غير استئذان الى صحن داره فخرج اليهم ناصر الدولة فى رداء لانه كان آمنا منهم فلما دنا منهم ضربوه بالسيوف فسبهم وهرب منهم يريد الحرم فلحقوه فضربوه حتى قتلوه وأخذوا رأسه ومضى رجل منهم يعرف بكوكب الدولة الى فخر العرب أخى ناصر الدولة وكان فخر العرب كثير الاحسان اليه فقال للحاجب استاذن لى على فخر العرب وقل صنيعتك فلان على الباب فاستاذن له فاذن له وقال لعله قد دهمه أمر فلما دخل عليه اسرع نحوه كانه يريد السلام عليه وضربه بالسيف على كتفه فسقط الى الارض فقطع رأسه واخذ سيفه وكان ذا قيمة وافرة واخذ جاريته اردفها خلفه وتوجه الى القاهرة وقتل أخوهما تاج المعالى وانقطع ذكر الحمدانية بمصر بالكلية فلما كان سنة ست وستين وار بعمائة ولى الامر بمصر بدر الجمالى اميرا لجيوش وقتل الدكز والوزير ابن كدينة وجماعة من المسلحية وتمكن من الدولة الى ان مات وولى بعده ابنه الافضل وسيرد ذكرهم ان شاء الله تعالى

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة أقيمت الدعوة العباسية بالبيت المقدس وفيها توفى الامير ليث بن منصور صدقة بن الحسين بالدامغان والشريف أبو الغنائم عبد الصمد بن على بن محمد بن المامور ببغداد وكان موته فى شوال ومولده سنة أربع وسبعين وثلثمائة وكان عالى الاسناد فى الحديث وفيها فى ذى الحجة توفى الشريف ابو الحسين محمد بن على بن عبد الله

٣ قوله العشماوى فى بعض النسخ العماوى اه

ابن عبد الصمد بن المهتدي بالله المعروف بابن الغريق وكان يسمى راهب بني العباس وهو آخر من حدث عن الدارقطني وابن شاهين وغيرهما وكان موته ببغداد وفيها قتل ناصر الدولة أبو علي الحسين بن حمدان بمصر قتله الدكز التركي وقد تقدم شرحه مستوفى وفيها توفي الامام ابو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري مصنف الرسالة وغيرها وكان اماما فقيها اصوليا مفسرا كاتبا اديبا فاضلا جمة وكان له فرس قد اهدى اليه فركبه نحو عشرين سنة فلما مات الشيخ لم يأكل الفرس شيئا فعاش اسبوعا ومات وفيها ايضا توفي علي بن الحسن بن علي بن الفضل ابو منصور الكاتب المعروف بابن صربعر وكان نظام الملك قال له انت ابن صربعر لا صربعر فبقي ذلك عليه وهو من الشعراء المجيدين وهجاه ابن البياضي فقال

لئن نبز الناس قدما اباك * فسموه من شعره صربعرا
* فانك تنظم ما صره * عقوقا له وتسميه شعرا

وهذا ظلم من ابن البياضي فانه كان شاعرا محسنا ومن شعر ابن صربعر قوله

ترا ورن عن اذرعات يمينا * نواشز لبس يطعن البرينا
كأفن بنجد كأن الرياض * اخذن لنجد عليها يمينا
واقسمن يحملن الا نحيلا * اليه ويبلغن الاخزينا
فلما استمعن زفير المشوق * ونوح الحمام تركن الحنينا
اذا جئتما بانة الواديين * فارخوا النسوع وحلوا الوضينا
فثم علائق من اجلهن * ملاء الدجى والضحى قد طوينا
وقد انباتهم مياه الجفون * بان بقلبك داء دفينا

(ثم دخلت سنة ست وستين وار بعمائة)

(ذكر تقليد السلطان ملكشاه السلطنة والخلع عليه)

في هذه السنة في صفر ورد كوهرائين الى بغداد من عسكر السلطان وجلس له الخليفة القائم بامر الله ووقف على رأسه ولي العهد المقتدي بامر الله وسلم الخليفة الى كوهرائين عهد السلطان ملكشاه بالسلطنة وقرأ الوزير اوله وسلم اليه ايضا لواء عقده الخليفة بيده ولم يمنع يومئذ احد من الدخول الى دار الخلافة فامتلأ صحن السلام بالعامة حتى كان الانسان تهمه نفسه ليتخلص وهنا الناس بعضهم بعضا بالسلامة

(ذكر غرق بغداد)

في هذه السنة غرق الجانب الشرقي وبعض الغربي من بغداد وسببه ان دجلة زادت زيادة عظيمة وانفتح القورج عند المسناة المعزية وجاء في الليل سيل عظيم وطفح الماء من البرية مع ريح شديدة وجاء الماء الى المنازل من فوق ونبع من البالوعات والآبار بالجانب الشرقي وهلك خلق كثير تحت الهدم وشدت الزواريق تحت التاج خوف الغرق وقام الخليفة يتضرع ويصلي وعليه البردة وبيده القضيب واتى اينكين

وعلى الشيخ عبد الله الاتكاوي وغيرهم وله مؤلفات منها نفع الانام على منظومته في علم الكلام ومنها تقريره على الرملي وهو مجلد ضخم ومنها شرح بديعيته التي سماها مراقي الفرج في مدح عالي الدرج وله ديوان شعر صغير غالبه جيد وكان في مدة انقطاعه لا يشتغل بغير المطالعة وتحصيل الكتب الغريبة وقيد ولده السيد سلامة باشغال تجارتهم وولده السيد أحمد بملازمته واسماعه فيما يريد مطالعته وكانت داره في غالب الاوقات لا تخلو من المترددين الى ان توفي ليلة السابع والعشرين من رجب من السنة المذكورة وعمره سبع وثمانون سنة وصلي عليه بالازهر ودفن بمقبرة اخيه بباب الوزير وخلف ولديه المذكورين وكان وجيها لطيفا محببا للنفوس ورحمة الله تعالى عليه * ومات صاحبنا الاجل المعظم والوجيه المكرم الاميرذو الفقار البكري نسبة ونسابة وهو مملوك السيد محمد ابن علي افندي البكري الصديقي اشتراه سيده المذكور عام احدى وسبعين ومائة وألف ورباه واديه واعتقه وزوجه ابنته ونشأ في عز وفاهية وسيادة وعفة وطيب خيم وعلو همة ولما توفي سيده اتحد بولده السيد محمد افندي وهو اخو زوجته اتحادا كليا بحيث صارا كالاخوين لا يصبر احدهما عن الآخر ساعة واحدة وسكنهما

السليمانى من عكبرا فقال للوزير ان الملاحين يؤذون الناس فى المعابر فاحضرهم وتهددهم بالقتل وامر باخذ ما جرت به العادة وجمع الناس واقيمت الخطبة للجمعة فى الطيار مرتين وغرق من الجانب الغربى مقبرة احمد ومشهد باب التبن وتهدم سوره فاطلق شرف الدولة الف دينار تصرف فى عمارته ودخل الماء من شبابيك البيمارستان العضدى ومن عجيب ما يحكى فى هذا الغرق ان الناس فى العام الماضى كانوا قد انكروا كثرة المغنيات والخمور فقطع بعضهم اوتار عود مغنية كانت عند جندى فثار به الجندى الذى كانت عنده فضربه فاجتمعت العامة ومعهم كثير من الائمة منهم ابو اسحق الشيرازى واستغاثوا الى الخليفة وطلبوا هدم المواخير والحانات وتبطيلها فوعدهم ان يكاتب السلطان فى ذلك فسكنوا وتفرقوا ولازم كثير من الصالحين الدعاء بكشفه فاتفق ان غرقت بغداد ونال الخليفة والجند من ذلك امر عظيم وعمت مصيبته كافة الناس فرأى الشريف ابو جعفر بن موسى بعض الحجاب الذين يقولون نحن نكاتب السلطان ونسعى فى تفريق الناس ويقول اسكنوا الى ان يرد الجواب فقال له ابو جعفر قد كتبنا وكتبتم فما جوابنا قبل جوابكم يعنى انهم شكوا ما حل بهم الى الله تعالى وقد اجابهم بالغرق قبل ورود جواب السلطان

(ذكر ملك السلطان ملكشاه ترمذ والهدنة بينه وبين صاحب سمرقند)

قد ذكرنا ان خاقان التكين صاحب سمرقند ملك ترمذ بعد قتل السلطان الب ارسلان فلما استقامت الامور للسلطان ملكشاه سار الى ترمذ وحصرها وطم العسكر خندقها ورماها بالمجانيق فخاف من بها فطلبوا الامان فامنهم وخرجوا منها وسلموها وكان بها اخ لخاقان التكين فاكرمه السلطان وخلع عليه واحسن اليه واطلقه وسلم قلعة ترمذ الى الامير ساوتكين وامره بعمارتها وتحصينها وعمارة سورها بالحجر المحكم وحفر خندقها وتعميقه ففعل ذلك وسار السلطان ملكشاه يريد سمرقند ففارقها صاحبها وانفذ يطلب المصالحة ويضرع الى نظام الملك فى اجابته الى ذلك ويعتذر من تعرضه الى ترمذ فاجيب الى ذلك واصطلحوا وعاد ملكشاه عنه الى خراسان ثم منها الى الرى واقطع بلخ وطخارستان لاخيه شهاب الدين تكش

(ذكر عدة حوادث)

فيها توفى زعيم الدولة ابو الحسن بن عبد الرحيم بالنيل بخاة وله سبعون سنة وقد تقدم من اخباره ما فيه كفاية وفيها توفى اياز اخو السلطان ملكشاه وكفى شره كما كفى شر عمه قاورت بك وفيها فى ربيع الاول توفى القاضى ابو الحسين بن ابى جعفر السمنانى جد قاضى القضاة ابى عبد الله الدامغانى وولى ابنه ابو الحسن ما كان اليه من القضاء بالعراق والموصل وكان مولده سنة اربع وثمانين وثلثمائة بسمنان وكان هو وابوه من المغالين فى مذهب الاشعرى ولابيه فيه تصانيف كثيرة وهذا مما يستطرف ان يكون حنفى اشعريا وفيها فى جمادى الآخرة توفى عبد العزيز احمد بن محمد بن على

فخرج مع من خرج من مصر الى ناحية الشام ونهبت كتبه وداره ثم رجع بامان فى أيام الفرنساوية فوجد الدار قد سكنها الفرنساوية فاشترى دارا غيرها بخطة عابدين وجدد بها نظامه ولما حصلت حادثة عسكر الاروام العثمانية مع الامراء المصريين التى خرج فيها ابراهيم بك والبرديسى وأمراؤهم نهبت داره المذكورة أيضا فيمن نهب فانتقل الى ناحية الازهر ثم سكن بحارة السبع قاعات بالاجرة واقتنى كتبا شراء واستكتابا وجمع عدة أجزاء متفرقة من تاريخ مرآة الزمان لابن الجوزى وخطط المقريزى وغيرها الى ان اخترمته المنية ومات فجاة يوم الثلاثاء فى ثانى عشرين رجب من السنة قبيل الغروب وصلى عليه فى صبحها بالازهر فى مشهد حافل ودفن بتربة البكرية ظاهر قبة الامام الشافعى وكان انسانا حسنا محبوبا لجميع الناس وجيه الذات مليح الصفات حسن المفاكهة والمعاشرة متوقد الفطنة صادق الفراسة ساكن الجاش وقورا ادوبا محتشما وخلف من بعده السيد محمد المعروف بالغزاوى المرزوق له من ابنة سيده المذكور لسكونه ولد بغزة حين كانوا بالشام أنشاه الله انشاء صالحا وبارك فيه ابو

وألف فاشتراه أحمد جاويش المعروف بالمجنون فاقام ببيته أياما فلم تعجبه أوضاعه لكونه كان مما جنا سفيها مازحا فطلب منه بيع نفسه فباعه لسليم أغا الغزاوى المعروف بتمرلنك فاقام عنده شهورا ثم اهداه الى مراد بك فاعطاه فى نظيره ألف اردب من الغلال فلذلك سمى بالالفى وكان جميل الصورة فاحبه مراد بك وجعله جوخداره ثم أعتقه وجعله كاشفا بالشرقية وعمر دارا بناحية الخطة المعروفة بالشيخ ضلام وانشا هناك حماما بتلك الخطة عرفت به وكان صعب المراس قوى الشكيمة وكان بجواره على اغا المعروف بالتوكلى فدخل عليه وتشفع عنده فى أمر فقبل رجاءه ثم نكث فحنق منه واحتد ودخل عليه فى داره بغادره ويعاتبه فرد عليه بغلظة فامر الخدم بضربه فبطحوه وضربوه بالعصى المعروفة بالنبابيت فتالم لذلك ومات بعد يومين فشكوه الى استاذه مراد بك فنفاه الى بحرى فعسف بالبلاد مثل فوة ومطوبس وبارنبال ورشيد واخذ منهم ارزا واموالا فتشكوا منه الى أستاذه وكان يحبه ذلك وفى اثناء ذلك وقع خلاف بمصر بين الامراء ونفوا سليمان بك الاغا واخاه ابراهيم بك ومصطفى بك كما ذكر ذلك فى محله وارسل اليه مراد بك وأمره ان يتعين

ابو محمد السكتانى الدمشقى الحافظ وكان مكثرا فى الحديث ثقة وممن سمع منه الخطيب ابو بكر البغدادى

* (ثم دخلت سنة سبع وستين وأربعمائة) *
* (ذكر وفاة القائم بامر الله وذكر بعض سيرته) *

فى هذه السنة ليلة الخميس ثالث عشر شعبان توفى القائم بامر الله أمير المؤمنين رضى الله عنه واسمه عبد الله ابو جعفر بن القادر بالله أبى العباس أحمد ابن الامير اسحق بن المقتدر بالله ابى الفضل جعفر بن المعتضد بالله ابى العباس احمد وكان سبب موته انه كان قد اصابه ماشرافا فقصد نام منفردا فانفجر فصاده وخرج منه دم كثير ولم يشعر فاستيقظ وقد ضعف وسقطت قوته فايقن بالموت فاحضر ولى العهد ووصاه بوصايا واحضر النقيبين وقاضى القضاة وغيرهم مع الوزير ابن جهير واشهدهم على نفسه انه جعل ابن ابنه ابا القاسم عبد الله بن محمد بن القائم بامر الله ولى عهده ولما توفى غسله الشريف ابو جعفر ابن ابى موسى الهاشمى وصلى عليه المقتدى بامر الله وكان عمره ستا وسبعين سنة وثلاثة اشهر وخمسة ايام وخلافته اربعا واربعين سنة وثمانية اشهر وايام وقيل كان مولده ثامن عشر ذى الحجة سنة احدى وتسعين وثلثمائة وعلى هذا يكون عمره ستا وسبعين سنة وتسعة اشهر وخمسة وعشرين يوما وامه ام ولد تسمى قطر الندى ارمنية وقيل رومية ادركت خلافته وقيل اسمها علم وماتت فى رجب سنة اثنتين وخمسين واربعمائة وكان القائم جميلا مليح الوجه ابيض مشربا حمرة حسن الجسم ورعا دينا زاهدا عالما قوى اليقين بالله تعالى كثير الصبر وكان للقائم عناية بالادب ومعرفة حسنة بالكتابة ولم يكن يرتضى اكثر ما يكتب من الديوان فكان يصلح فيه اشياء وكان مؤثرا للعدل والانصاف يريد قضاء حوائج الناس لا يرى المنع من شئ يطلب منه قال محمد بن على بن عامر الوكيل دخلت يوما الى المخزن فلم يبق أحد الا اعطانى قصة فامتلأت كمامى منها فقلت فى نفسى لو كان الخليفة أخى لما عرض من هذه كلها فالقيتها فى بركة والقائم ينظر ولا أشعر فلما دخلت اليه أمر الخدم باخراج الرقاع من البركة فاخرجت ووقف عليها ووقع فيها باغراض أصحابها ثم قال لى يا عامى ما حملك على هذا فقلت خوف الضجر منها فقال لا تعد الى مثلها فانا ما أعطيناهم من أموالنا شيئا انما نحن وكلاء ووزراء للقائم أبو طالب محمد بن أيوب وأبو الفتح بن دارست ورئيس الرؤساء وأبو نصر بن جهير وكان قاضيه ابن ماكولا وأبو عبد الله الدامغانى

* (ذكر خلافة المقتدى بامر الله) *

لما توفى القائم بامر الله بويع المقتدى بامر الله عبد الله بن محمد بن القائم بالخلافة وحضر مؤيد الملك بن نظام الملك والوزير فخر الدولة بن جهير وابنه عميد الدولة والشيخ أبو اسحق وأبو نصر بن الصباغ ونقيب النقباء طراد والنقيب الطاهر المعمر بن محمد وقاضى القضاة أبو عبد الله الدامغانى وغيرهم من الاعيان والاماثل فبايعوه وقيل كان

أول من بايعه الشريف أبو جعفر بن ابى موسى الهاشمى فانه لما فرغ من غسل القائم بايعه وأنشده

* اذا سيد منا مضى قام سيد * قؤول بما قال الكرام فعول *

ثم ارتج عليه فقال المقتدى

فلما فرغوا من البيعة صلى بهم العصر ولم يكن للقائم من أعقابه ذكر سواه فان الذخيرة أبا العباس محمد بن القائم توفى ايام أبيه ولم يكن له غيره فايقن الناس بانقراض نسله وانتقال الخلافة من البيت القادرى الى غيره ولم يشكوا فى اختلال الاحوال بعد القائم لان من عدا البيت القادرى كانوا يخالطون العامة فى البلد ويجرون مجرى السوقة فلو اضطر الناس الى خلافة احدهم لم يكن له ذلك القبول ولا تلك الهيبة فقدر الله تعالى ان الذخيرة أبا العباس كان له جارية اسمها ارجوان وكان يلم بها فلما توفى ورأت ما نال القائم من المصيبة واستعظمه من انقراض عقبه ذكرت انها حامل فتعلقت النفوس بذلك فولدت بعد موت سيدها بستة أشهر المقتدى فاشتد فرح القائم وعظم سروره وبالغ فى الاشفاق عليه والمحبة له فلما كان حادثة البساسيرى كان للمقتدى قريب اربع سنين فاخفاه اهله وحمله أبو الغنائم بن المحلبان الى حران كما ذكرنا ولما عاد القائم الى بغداد أعيد المقتدى اليه فلما بلغ الحلم جعله ولى عهد ولما تولى الخلافة اقر فخر الدولة بن جهير على وزارته بوصية من القائم بذلك وسير عميد الدولة بن فخر الدولة ابن جهير الى السلطان ملكشاه لاخذ البيعة وكان مسيره فى شهر رمضان وارسل معه من انواع الهدايا ما يجل عن الوصف

* (ذكر عدة حوادث) *

فى هذه السنة فى شوال وقعت نار ببغداد فى دكان خباز بنهر المعلى فاحترقت من السوق مائة وثمانون دكانا سوى الدور ثم وقعت نار فى المأمونية ثم فى الظفرية ثم فى درب المطبخ ثم فى دار الخليفة ثم فى حمام السمرقندى ثم فى باب الازج ودرب خراسان ثم فى الجانب الغربى فى نهر طابق ونهر القلائين والقطيعة وباب البصرة واحترق ما لا يحصى وفيها ارسل المستنصر بالله العلوى صاحب مصر الى صاحب مكة ابن ابى هاشم رسالة وهدية جليلة وطلب منه ان يعيد له الخطبة بمكة حرسها الله تعالى وقال ان أيمانك وعهودك كانت للقائم وللسلطان الب ارسلان وقد ماتا فخطب له بمكة وقطع خطبة المقتدى وكانت مدة الخطبة العباسية بمكة اربع سنين وخمسة اشهر ثم اعيدت فى ذى الحجة سنة ثمان وستين وفيها كانت حرب شديدة بين بنى رياح وزغبة ببلاد افريقية فقويت بنو رياح على زغبة فهزمهم واخرجوهم من البلاد وفيها جمع نظام الملك والسلطان ملكشاه جماعة من اعيان المنجمين وجعلوا النير وزاول نقطة من الحمل وكان النيروز قبل ذلك عند حلول الشمس نصف الحوت وصار ما فعله السلطان مبدأ التقاويم وفيها أيضا عمل الرصد للسلطان ملكشاه واجتمع جماعة من أعيان المنجمين فى عمله منهم

على مصطفى بك ويذهب به الى سكندرية منفيا ثم يعود هو الى مصر ففعل ورجع المترجم الى مصر فعند ذلك قادوه الصنجقية وذلك فى سنة اثنتين وتسعين ومائة وألف واشتهر بالفجور فخافته الناس وتحاموا شدته وسكن أيضا بدار بناحية قيصون وذلك عندما اتسعت دائرته وهدم داره القديمة ايضا ووسعها وأنشاها انشاء جديدا واشترى المماليك الكثيرة وامر منهم امراء وكشافا فنشؤا على طبيعة استاذهم فى التعدى والعسف والفجور و يخافون من تجبره عليهم والتزم باقطاع فرشوط وغيرها من البلاد القبلية ومن البلاد البحرية محلة دمنة وملبج وزوبر وغيرها وتقلد كشوفية شرقية بلبيس ونزل اليها وكان يغير على ما بتلك الناحية من اقطاعات وغيرها واخاف جميع عربان تلك الجهة وجميع قبائل الناحية ومنعهم من التعدى والجور على الفلاحين بتلك النواحى حتى خافه الكثير من العربان والقبائل وكانوا يخشونه وصادهم باشراك منهم وقبض على الكثير من كبرائهم وسجنهم فى الجنازير وصادرهم فى أموالهم ومواشيهم وفرض عليهم المغارم والجمال ولم يزل على حالته وسطوته الى ان حضر حسن باشا الجزايرلى الى مصر فخرج المترجم مع عشيرته الى ناحية قبلى ثم رجع معهم فى اواخر سنة خمس ومائتين بعد الالف بعد الطاعون الذى مات فيه اسمعيل بك وذلك بعد

عمر بن ابراهيم الخيامى وأبو المظفر الاسفزارى وميمون بن النجيب الواسطى وغيرهم وخرج عليه من الاموال شئ عظيم وبقى الرصد دائرا الى ان مات السلطان سنة خمس وثمانين واربعمائة فبطل بعد موته

(ثم دخلت سنة ثمان وستين واربعمائة)
(ذكر ملك الافسيس دمشق)

قد ذكرنا سنة ثلاث وستين ملك افسيس الرملة والبيت المقدس وحصره مدينة دمشق فلما عاد عنها جعل يقصدها عامها كل سنة عند ادراك الغلات فياخذها فيقوى هو وعسكره ويضعف اهل دمشق وجندها فلما كان رمضان سنة سبع وستين سار الى دمشق فحصرها واميرها المعلى بن حيدرة من قبل الخليفة المستنصر فلم يقدر عليها فانصرف عنها فى شوال فهرب اميرها المعلى فى ذى الحجة وكان سبب هربه انه اساء السيرة مع الجند والرعية وظلمهم فكثر الدعاء عليه وثار به العسكر واعانهم العامة فهرب منها الى بانياس ثم منها الى صور ثم اخذ الى مصر فحبس بها فمات محبوسا فلما هرب من دمشق اجتمعت المصامدة وولوا عليهم انتصار بن يحيى المصمودى المعروف بزرين الدولة وغلت الاسعار بها حتى اكل الناس بعضهم بعضا ووقع الخلف بين المصامدة واحداث البلد وعرف افسيس ذلك فعاد الى دمشق فنزل عليها فى شعبان من هذه السنة فحصرها فعدمت الاقوات فبيعت الغرارة اذا وجدت باكثر من عشرين دينارا فسلموها اليه بامان وعوض انتصار عنها بقلعة بانياس ومدينة يافا من الساحل ودخلها هو وعسكره فى ذى القعدة وخطب بها يوم الجمعة لخمس بقين من ذى القعدة للمقتدى بامر الله الخليفة العباسى وكان آخر ما خطب فيها للعلويين المصريين وتغلب على اكثر الشام ومنع الاذان بحى على خير العمل ففرح اهلها فرحا عظيما وظلم اهلها واساء السيرة فيهم

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة ملك نصر بن محمود بن مرداس مدينة هنيج واخذها من الروم وفيها قدم سعد الدولة كوهرائين شحنة الى بغداد من عسكر السلطان ومعه العميد ابو نصر ناظرا فى اعمال بغداد وفيها وثب الجند بالبطيحة على اميرها ابى نصر بن الهيثم وخالفوا عليه فهرب منهم وخرج من مملكه والذخائر والاموال التى جمعها فى المدة الطويلة ولم يحصل له من ذلك جميعه شئ وصار نزيلا على كوهرائين شحنة العراق وفيها انفجر البثوق بالفلوجة وانقطع الماء من النيل وغيره من تلك الاعمال من بلاد دبيس بن مزيد فخلا اهل البلاد ووقع الوباء فيهم ولم يزل كذلك الى ان سده عميد الدولة بن جهير سنة اثنتين وسبعين وفى هذه السنة توفى ابو على الحسن بن القاسم بن محمد المقرى المعروف بغلام الهراس الواسطى بها وكان محدثا علامة فى كثير من العلوم وفى شعبان توفى القاضى ابو الحسين محمد بن محمد بن البيضاوى الفقيه الشافعى وكان يدرس الفقه بدرب السلول

والنظر فى جزئيات العلوم والفلكيات والهندسيات واشكال الرمل والزايرجات والاحكام النجومية والتقاويم ومنازل القمر وأنوائها ويسال عمن له المام بذلك فيطلبه ليستفيد منه واقتنى كتبا فى انواع العلوم والتواريخ واعتكف بداره القديمة ورغب فى الانفراد وترك الحالة التى كان عليها قبل ذلك واقتصر على مماليكه والاقطاعات التى بيده واستمر على ذلك مدة من الزمان فثقل هذا الامر على أهل دائرته وبدا يصغر فى اعين خشداشينه ويضعف جانبه وطفقوا يابا كتونه وتجاسروا عليه وطمعوا فيما لديه وتطلع أدونهم للترفع عليه فلم يسهل به ذلك واستعمل الامر الاوسط وسكن بدار أحمد جاويش المجنون بدرب سعادة وعمر القصر الكبير بمصر القديمة بشاطئ النيل تجاه المقياس وانشا ايضا قصرا فيما بين باب النصر والدمرداش وجعل غالب اقامته فيهما واكثر من شراء المماليك وصار يدفع فيهم الاموال الكثيرة للجلابين ويدفع لهم اموالا مقدما يشترونهم بها وكذلك الجوارى حتى اجتمع عنده نحو الالف مملوك خلاف

الذى عند كشافه وهم نحو الاربعين كشفا الواحد منهم دائرته قدر دائرة صنجق من

الفاخر ويسكنهم الدور الواسعة ويعطيهم الفائظ والمناصب وقلد كشوفية الشرقية لبعض مماليكه ترفعا لنفسه عن ذلك وينزل هو اليهم ايضا على سبيل التروح وبنى له قصرا خارج بلبيس وآخر بالدمامين واخمد شوكة عربان الشرق وجبى منهم الاموال والجمال واخمد ناموسهم الذى كان يغشى ابدان الفلاحين وارواحهم واضعف شوكتهم واخفى صولتهم وكان يقيم بناحية الشرق شهورا ثلاثة أو اربعة ثم يعود الى مصر واصطنع قصرا من خشب مفصلا قطعا ويركب بشناكل واغر به متينة قوية يحمل على عدة جمال فاذا اراد النزول فى محطة تقدم الفراشون وركبوه خارج الصيوان فيصير مجلسا لطيفا يصعد اليه بثلاث درج مفروش بالطنافس والوسائد يسع ثمانية اشخاص وهو مسقوف وله شبابيك من الاربع جهات تفتح وتغلق بحسب الاختيار وحوله الاسرة من كل جانب وكل ذلك من داخل دهليز الصيوان وكان له داران بالازبكية احداهما كانت لرضوان بك بلغيا والاخرى للسيد احمد بن عبد السلام فبدله فى سنة اثنتى عشرة ومائتين والف ان ينشئ دارا عظيمة خلاف ذلك بالازبكية فاشترى قصر ابن السيد

بالسكرخ وهو زوج ابنة القاضى ابى الطيب الطبرى وعبد الرحمن بن محمد بن محمد بن المظفر بن محمد بن داود ابو الحسن بن ابى طلحة الداودى راوى صحيح البخارى ولد سنة اربع وسبعين وثلثمائة وسمع الحديث وتفقه للشافعى على ابى بكر القفال وابى حامد الاسفرايني وصحب اباعلى الدقاق وابا عبد الرحمن السلمى وكان عابدا خيرا قصده نظام الملك فجاس بين يديه فوعظه وكان فى قوله ان الله تعالى سلطك على عباده فانظر كيف تجيبه اذا سالك عنهم فبكى وكان موته ببوشنج وفيها توفى ابو الحسن على بن احمد بن محمد ابن متويه الواحدى المفسر مصنف الوسيط والبسيط والوجيز فى التفسير وهو نيسابورى امام مشهور وابو الفتح منصور بن أحمد بن دارست وزير القائم توفى بالاهواز ومحمد بن القاسم بن حبيب بن عبدوس أبو بكر الصفار النيسابورى الفقيه الشافعى تفقه على ابى محمد الجوينى وسمع من الحاكم أبى عبد الله وأبى عبد الرحمن السلمى وغيرهما وفيها توفى مسعود بن الحسن بن الحسن بن عبد الرزاق أبو جعفر البياضى الشاعر له شعر مطبوع فمنه قوله

يامن لبست لبعده ثوب الضنا * حتى خفيت به عن العواد
وانست بالسهر الطويل فانسيت * اجفان عينى كيف كان رقادى
ان كان يوسف بالجمال مقطع الأيدى فانت مقتت الا كباد

(ثم دخلت سنة تسع وستين واربعمائة)
(ذكر حصر اقسيس مصر وعوده عنها)

فى هذه السنة سار الاقسيس من دمشق الى مصر وحصرها وضيق على اهلها ولم يبق غير ان يملكها فاجتمع اهلها مع ابن الجوهرى الواعظ فى الجامع وبكوا وتضرعوا ودعوا فقبل الله دعاءهم فانهزم الاقسيس من غير قتال وعاد على اقبح صورة بغير سبب فوصل الى دمشق وقد تفرق اصحابه فرأى اهلها قد صانوا مخلفيه وامواله فشكرهم ورفع عنهم الخراج تلك السنة واتى البيت المقدس فرأى اهله قد قبحوا على اصحابه ومخلفيه وحصروهم فى محراب داود عليه السلام فلما قارب البلد تحصن اهله منه وسبوه فقاتلهم ففتح البلد عنوة ونهبه وقتل من اهله فاكثر حتى قتل من التجا الى المسجد الاقصى وكف عمن كان عند الصخرة وحدها هكذا يذكر الشاميون هذا الاسم اقسيس والصحيح انه اتسز وهو اسم تركى وقد ذكر بعض مؤرخى الشام ان اتسز لما وصل الى مصر جمع امير الجيوش بدر العساكر واستمد العرب وغيرهم من اهل البلاد فاجتمع معه خلق كثير واقتتلوا فانهزم اتسز وقتل اكثر اصحابه وقتل اخ له وقطعت يد اخ آخر وعاد منهزما الى الشام فى نفر قليل من عسكره فوصل الى الرملة ثم سار منها الى دمشق وحكى لى من اثق به عن جماعة من فضلاء مصر ان اتسز لما وصل الى مصر ونزل بظاهر القاهرة اساء اصحابه السيرة فى الناس وظلموهم واخذوا اموالهم وفعلوا الافاعيل القبيحة فارسل رؤساء القرى وقدموها الى الخليفة المستنصر بالله العلوى يشكون اليه ما نزل

بهم فاعاد الجواب بانه عاجز عن دفع هذا العدو فقالوا له نحن نرسل اليك من عندنا من الرجال المقاتلة يكونون معك ومن ليس له سلاح نعطيه من عندك سلاحا وعسكر هذا العدو قد أمنوا وتفرقوا فى البلاد فنثوربهم فى ليلة واحدة ونقتلهم ونخرج أنت اليه فمن اجتمع عندك من الرجال فلا يكون له بك قوة فاجابهم الى ذلك وارسلوا اليه الرجال وثاروا كلهم فى ليلة واحدة بمن عندهم فاوقعوا بهم وقتلوهم عن آخرهم ولم يسلم منهم الا من كان عنده فى عسكره وخرج اليه العسكر الذى عند المستنصر بالقاهرة فلم يقدر على الثبات لهم فولى منهزما وعاد الى الشام وكفى اهل مصر شره وظلمه

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة ورد بغداد ابو نصر ابن الاستاذ ابى القاسم القشيرى حاجا وجلس فى المدرسة النظامية يعظ الناس وفى رباط شيخ الشيوخ وجرى له مع الحنابلة فتن لانه تكلم على مذهب الاشعرى ونصره وكثر اتباعه والمتعصبون له وقصد خصومه من الحنابلة ومن تبعهم سوق المدرسة النظامية وقتلوا جماعة وكان من المتعصبين للقشيرى الشيخ ابو اسحق وشيخ الشيوخ وغيرهما من الاعيان وجرت بين الطائفتين امور عظيمة وفيها تزوج الامير على بن ابى منصور بن فرامرز بن علاء الدولة ابى جعفر بن كاكويه ارسلان خاتون بنت داود عمة السلطان ملكشاه التى كانت زوجة القائم بامر الله وفيها كان بالجزيرة والعراق والشام وباء عظيم وموت كثير حتى بقى من كثير الغلات ليس لها من يعملها لكثرة الموت فى الناس وفيها مات محمود بن مرادس صاحب حلب وملك بعده ابنه نصر فمدحه ابن حيوس بقصيدة يقول فيها

ثمانية لم تفترق مذ جمعتها * فلا افترقت ماذب عن ناظر شعر
ضميرك والتقوى وجودك والغنى * ولفظك والمعنى وعزمك والنصر

وكان لمحمود ابو نصر سيجية * وغالب ظنى ان سيخلفها نصر

فقال والله لو قال سيضعفها نصر لاضعفتها له وأمر له بما كان يعطيه ابوه وهو الف دينار فى طبق فضة وكان على بابه جماعة من الشعراء فقال بعضهم

على بابك المعمور منا عصابة * مفاليس فانظر فى امور المفاليس
وقد قنعت منك العصابة كلها * بعشر الذى اعطيته لابن حيوس
وما بيننا هذا التقارب كله * ولكن سعيد لا يقاس بمنحوس

فقال لو قال بمثل الذى اعطيته لاعطيتهم ذلك وامرلهم بمثل نصفه وفيها توفى اسبهدوست ابن محمد بن الحسن أبو منصور الديلمى الشاعر وكان قد لقى ابن الحجاج وابن نباتة وغيرهما وكان يتشيع وتركه وقال فى ذلك

واذا سئلت عن اعتقادى قلت ما * كانت عليه مذاهب الابرار
وأقول خير الناس بعد محمد * صديقه وانيسه فى الغار

وفيها توفى رئيس العراقين ابو احمد المهاونذى الذى كان عميد بغداد والشريف ابو جعفر

حرمدانات بارزة عن اصل البناء ولا رواشن بل جعله ساذجا حرصا على المتانة وطول البقاء ثم ركبوا على فرجاته

التحف والاشياء والتحف العظيمة التى أهداها اليه الافرنج وعملوا بقاعة الجلوس السفلى فسقية عظيمة بسلسبيل من الرخام قطعة واحدة ونوفرة كبيرة حولها نوفرات من الصفر يخرج الماء من أفواهها وجعل بها حمامين علويا وسفليا وبنوا بدائر حرشه عدة كبيرة من الطباق السكنى المماليك وجعله دورا واحدا ولما تم البناء والبياض والدهان فرشه بانواع الفرش والوسائد والمساند والستائر المقصبات وجعل خلفه بستانا عظيما وانشابه جلونا مستطيلا متسعا به دكك واعمدة وهو من الجهة البحرية ينتهى آخره الى الدور المتصلة بقنطرة الدكة واهدى اليه أيضا الافرنج فسقية رخام فى غاية العظم فيها صورة أسماك مصورة يخرج من افواهها الماء جعلها بالبستان ونجز البناء والعمل وسكن بها هو وعياله وحريمه فى آخر شهر شعبان من سنة اثنتى عشرة واستهل شهر رمضان فاوقدوا فيها الوقدات والاحمال الممثلثة بالقناديل بدائر الحوش والرحبة الخارجة وكذلك بقاعة الجلوس أحمال النجف والشموع والصحب والفنيارات الزجاج وهنئته الشعراء ونظم مولانا الاستاذ الفاضل الشيخ

ابن أبى موسى الهاشمى الحنبلى ورزق الله بن محمد بن احمد بن على ابو سعد الانبارى الخطيب الفقيه الحنفى سمع الحديث الكثير وكان ثقة حافظا وطاهر بن احمد بن باباشاذ النحوى المصرى توفى فى رجب سقط من سطح جامع عمرو بن العاص بمصر فمات لوقته وعبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمر بن احمد المعروف بابن هزارمرد الصريفينى راوية احاديث على بن الجعد وهو آخر من رواها وكان ثقة صالحا ومن طريقه سمعناها

(ثم دخلت سنة سبعين وأربعمائة)

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة ورد مؤيد الملك بن نظام الملك الى بغداد من العسكر وفيها اصطلح تميم بن المعز بن باديس صاحب افريقية مع الناصر بن علناس وهو من بنى حماد عم جده وزوجه تميم ابنته بلارة وسيرها اليه من المهدية فى عسكر واصحبها من الحلى والجهاز مالا يحد وحمل الناصر ثلاثين الف دينار فاخذ منها تميم دينارا واحدا ورد الباقى وفيها استعمل تميم ابنه مقلدا على مدينة طرابلس الغرب وكان ببغداد فى هذه السنة فتنة بين اهل سوق المدرسة وسوق الثلاثاء بسبب الاعتقاد فنهب بعضهم بعضا وكان مؤيد الملك بن نظام الملك ببغداد بالدار التى عند المدرسة فارسل الى العميد والشحنة فحضرا ومعهم الجند فضربوا الناس فقتل بينهم جماعة وانفصلوا وفى هذه السنة فى ربيع الاول توفى القاضى ابو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن البيضاوى الفقيه الشافعى وكان القاضى ابو الطيب الطبرى جده لامه وفيها توفى احمد بن محمد بن محمد بن احمد بن عبد الله بن النقور ابو الحسين البزاز فى رجب وكان مكثرا من الحديث ثقة فى الرواية واحمد بن عبد الملك بن على ابو صالح المؤذن النيسابورى كان يعظ ويؤذن وكان كثير الرواية حافظا ومولده سنة ثمان وثمانين وثلثمائة وعبد الرحمن بن محمد بن اسحق بن محمد بن يحيى بن منده الاصبهانى ابو القاسم بن ابى عبد الله الحافظ له تصانيف كثيرة منها تاريخ اصبهان وله طائفة يقتدون به فى الاعتقاد من اهل اصبهان يقال لهم العبدرحمانية وفى شوال منها توفيت ابنة نظام الملك زوجة عميد الدولة بن جهير نفساء بولد مات من يومه ودفنا بدار الخلافة ولم تجر بذلك عادة لاحد فعل ذلك اكراما لابيها وجلس الوزير فخر الدولة بن جهير وابنه عميد الدولة زوجها للعزاء فى دار بباب العامة ثلاثة ايام

(ثم دخلت سنة احدى وسبعين وأربعمائة)

(ذكر عزل ابن جهير من وزارة الخليفة)

فى هذه السنة عزل فخر الدولة ابو نصر بن جهير من وزارة الخليفة المقتدى بامر الله ووزر بعده ابو شجاع محمد بن الحسين وكان السبب فى ذلك ان ابا نصر بن القشيرى ورد الى بغداد على ما تقدم ذكره وجرى له الفتن مع الحنابلة لما ذكر مذهب الاشعرية ونصره وعاب من سواهم وفعلت الحنابلة ومن معهم ما ذكرناه فنسب اصحاب نظام الملك ما جرى الى الوزير فخر الدولة والى الخدم وكتب ابو الحسن محمد بن على بن ابى الصقر

الواسطى الفقيه الشافعى الى نظام الملك

يا نظام الملك قد حل ببغداد النظام ... وبقى القاطن فيها * مستهان مستضام
وبها اودى له قتـ * ـلى غلام وغلام ... والذى منهم تبقى * سالما فيه سهام
يا قوام الدين لم يبـ * ـق ببغداد مقام ... عظم الخطب وللحر * ب اتصال ودوام
فمتى لم تحسم الدا * ء اياديك الحسام ... ويكف القوم فى بغـ * ـداد قتل وانتقام
فعلى مدرسة فيـ * ـها ومن فيها السلام ... واعتصام بحريم * لك من بعد حرام

فلما سمع نظام الملك ما جرى من الفتن وقصد مدرسته والقتل بجوارها مع ان ابنه مؤيد الملك فيها عظم عليه فاعاد كوهرائين الى شحنكية العراق وحمله رسالة الى الخليفة المقتدى بامر الله تتضمن الشكوى من بنى جهير وسال عزل فخر الدولة من الوزارة وامر كوهرائين باخذ اصحاب بنى جهير وايصال المكروه اليهم والى حواشيهم فسمع بنو جهير الخبر فسار عميد الدولة الى المعسكر يريد نظام الملك ليستعطفه وتجنب الطريق وسلك الجبال خوفا ان يلقاه كوهرائين وينال فيها اذى فلما وصل كوهرائين الى بغداد اجتمع بالخليفة وابلغه رسالة نظام الملك فامر فخر الدولة بلزوم منزله ووصل عميد الدولة الى المعسكر السلطانى ولم يزل يستصلح نظام الملك حتى عاد الى ما الفه منه وزوجه بابنة بنت له وعاد الى بغداد فى العشرين من جمادى الاولى فلم يرد الخليفة اباه الى وزارته وامرهما بملازمة منازلهما واستوزرا باشجاع محمد بن الحسين ثم ان نظام الملك راسل الخليفة فى اعادة بنى جهير الى الوزارة وشفع فى ذلك فاعيد عميد الدولة الى الوزارة واذن لابيه فخر الدولة فى فتح بابه وكان ذلك فى صفر سنة اثنتين وسبعين

(ذكر استيلاء تتش على دمشق)

فى هذه السنة ملك تاج الدولة تتش بن الب ارسلان دمشق وسبب ذلك أن اخاه السلطان ملكشاه اقطعه الشام وما يفتحه فى تلك النواحى سنة سبعين واربعمائة فاتى حلب وحصرها ولحق اهلها مجاعة شديدة وكان معه جمع كثير من التركمان فانفذ اليه الاقسيس صاحب دمشق يستنجده ويعرفه ان عساكر مصر قد حصرته بدمشق وكان امير الجيوش بدر قد سير عسكرا من مصر ومقدمهم قائد يعرف بنصر الدولة فحصر دمشق فارسل اقسيس الى تاج الدولة تتش يستنصره فسار الى نصرة الاقسيس فلما سمع المصريون بقربه اجفلوا من بين يديه شبه المنهزمين وخرج الاقسيس اليه يلتقيه عند سور البلد فاغتاظ منه تتش حيث لم يبعد فى تلقيه وعاتبه على ذلك فاعتذر بامور لم يقبلها تتش فقبض عليه فى الحال وقتله من ساعته وملك البلد واحسن السيرة فى اهله وعدل فيهم وقد ذكر ابن الهمذانى وغيره من العراقيين ان ملك تتش دمشق كان هذه السنة وذكر الحافظ أبو القاسم بن عساكر الدمشقى فى كتاب تاريخ دمشق ان ملكه اياها كان سنة اثنتين وسبعين

(ذكر عدة حوادث)

حسن العطار تاريخ القاعة الجلوس فى بيتين نقشوهما بالازمير على اسكفة باب القاعة وموهوهما بالذهب وهما شموس التهانى قد اضاءت بقاعة محاسنها للعين تزداد بالالف على بابها قال السرور مؤرخا سماء سعاداتى تجدد بالالفى وازدحمت خيول الامراء ببابه فاقام على ذلك الى منتصف شهر رمضان وبداله السفر الى الشرقية فابطلوا الوقدة واطفؤا السرج والشموع فكان ذلك فالا فكانت مدة سكناه به ستة عشر يوما بلياليها وانما اطنبنا فى ذكر ذلك ليعتبر اولوا الالباب ولا يجتهد العاقل فى تعمير الخراب وفى اثناء غيبته بالشرقية وصلت الفرنساوية الى الاسكندرية ثم الى مصر وجرى ما جرى مما سبق ذكره وذهب مع عشيرته الى قبلى وعند وصول الفرنساوية الى برانبابة بالبر الغربى وتحاربوا مع المصريين ابلى المترجم وجنده فى تلك الواقعة بلاء حسنا وقتل من كشافه ومماليكه عدة وافرة ولم يزل مدة اقامة الفرنساوية بمصر ينتقل فى الجهات القبلية والبحرية والشرقية والغربية ويعمل معهم مكايد ويصطاد منهم بالمصايد ولما وصل عرضى الوزير الى ناحية الشام ذهب اليه وقابله وأنعم عليه وكان معه رؤساء من الفرنساويه وعدة أسرى وأسد عظيم اصطاده فى سروحه فشكره الوزير وخلع عليه الخلع السنية وأقام بعرضيه

في هذه السنة ولد الملك بركيارق ابن السلطان ملكشاه وفيها في المحرم وصل سعد الدولة كوهرائين الى بغداد وضرب الطبل على باب داره اوقات الصلاة وكان قد طلب ذلك من قبل فلم يجب اليه لانه لم تجر به عادة وفيها توفي سيف الدولة ابو النجم بدر بن ورام الكردي الجاوانى في شهر ربيع الاول ودفن بطسفونج وفي رجب توفي ابو علي بن البناء المقرى الحنبلي وله مصنفات كثيرة وسليم الجوري بناحية جورمن دجيل وكان زاهدا يعمل ويا كل من كسبه ولم يكلف احدا حاجة وأقام بطترة من ديار بكر وهي كثيرة الفواكه فلم يا كل بها فاكهة البتة

(ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين واربعمائة)

(ذكر فتوح ابراهيم صاحب غزنة في بلاد الهند)

في هذه السنة غزا الملك ابراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين بلاد الهند فحصر قلعة اجود وهي على مائة وعشرين فرسخا من لهاور وهي قلعة حصينة في غاية الحصانة كبيرة تحوى عشرة آلاف رجل من المقاتلة فقاتلوه وصبروا تحت الحصر وزحف اليهم غير مرة فرأوا من شدة حربه ما ملأ قلوبهم خوفا ورعبا فسلموا القلعة اليه في الحادى والعشرين من صفر هذه السنة وكان في نواحي الهند قلعة يقال لها قلعة رو بال على رأس جبل شاهق وتحتها غياض اشبة وخلفها البحر وليس عليها قتال الا من مكان ضيق وهو مملوء بالفيلة المقاتلة وبها من رجال الحرب الوف كثيرة فتابع عليهم الوقائع والحّ عليهم بالقتال بجميع انواع الحرب وملك القلعة واستنزلهم منها وفي موضع يقال له دره نوره أقوام من أولاد الخراسانيين الذين جعل اجدادهم فيها افراسياب التركي من قديم الزمان ولم يتعرض اليهم احد من الملوك فسار اليهم ابراهيم ودعاهم الى الاسلام أولا فامتنعوا من اجابته وقاتلوه فظفر بهم واكثر القتل فيهم وتفرق من سلم في البلاد وسبي واسترق من النسوان والصبيان مائة الف وفي هذه القلعة حوض للماء يكون قطره نحو نصف فرسخ لا يدرك قعره يشرب منه أهل القلعة وجميع ما عندهم من دابة ولا يظهر فيه نقص وفي بلاد الهند موضع يقال له وره وهو بين خليجين فقصده الملك ابراهيم فوصل اليه في جمادى الاولى وفي طريقه عقبات كثيرة وفيها اشجار ملتفة فأقام هناك ثلاثة اشهر ولقي الناس من الشتاء شدة ولم يفارق الغزوة حتى انزل الله نصره على اوليائه وذله على اعدائه وعاد الى غزنة سالما ظافرا وهذه الغزوات لم اعرف تاريخها واما الاولى فكانت هذه السنة فلهذا اوردتها متتابعة في هذه السنة

(ذكر ملك شرف الدولة مسلم مدينة حلب)

في هذه السنة ملك شرف الدولة مسلم بن قريش العقيلي صاحب الموصل مدينة حلب وسبب ذلك ان تاج الدولة تتش بن الب أرسلان حصرها مرة بعد اخرى فاشتد الحصار باهلها وكان شرف الدولة يواصلهم بالغلات وغيرها ثم ان تتش حصرها هذه السنة واقام عليها اياما ورحل عنها وملك بزاعة والبيرة واحرق ر بض عزاز وعاد الى دمشق

الطرق فيزوغ منهم و يكبسهم في غفلاتهم وينال منهم ولما وصل الوزير وحصل انتقاض الصلح وانحصر المصريون والعثمانيون بداخل المدينة وقع له مع الفرنساوية الوقائع الهائلة فكان يكر ويفر هو وحسن بك الجداوى ويعمل الحيل والمكايد وقتل من كشافه في تلك الحروب رجال معدودة منهم اسمعيل كاشف المعروف بابي قطية احترق هو وجنده ببيت أحمد أغا شويكار الذى كان أنشاه برصيف الخشاب وكانت الفرنساوية قد عملوا تحته الغم بارود في أسفل جدرانه ولم يعلم به أحد فلما تترس فيه اسمعيل كاشف ومن معه أرسلوا من ألهمه النار فالتهب على من فيه واحترقوا باجمعهم وتطايروا في الهواء ولما اصطلح مراد بك مع الفرنساوية لم يوافقه على ذلك واعتزله ولما اشتد الامر بين الفريقين وشاطت طبخة العثمانيين ومن تبعهم طفق يسعى بين الفريقين في الصلح ويمشى مع رسل الفرنساوية في دخولهم بين العسكر وخروجهم ليمنع من يتعدى عليهم من أوباش العسكر خوفا من ازدياد الشر الى ان تم الصلح وخرج المترجم مع العثمانية الى نواحي الشام ثم رجع الى جهة الشرقية فحارب من يصادفه من الفرنسيس و يقتل منهم

فاذا جمعوا جيشهم وا توا لحربه لم يجدوه ويمر من خلف الجبل ويمر بالحاج الى الصعيد فلا يعلم أين ذهب ثم يظهر بالبر الغربى ثم يسير مشرقا ويعود الى الشام وهكذا كان دأبه بطول السنة التى تخللت بين الصلحين الى ان نظم العثمانية أمرهم وتعاونوا بالانكليز

فلما رحل عنها تاج الدولة استدعى أهلها اشرف الدولة ليسلموها اليه فلما قاربها امتنعوا من ذلك وكان مقدمهم يعرف بابن الحتيتى العباسى فاتفق أن ولده خرج يتصيد بضيعة له فاسره احد التركمان وهو صاحب حصن بنواحى حلب وارسله الى شرف الدولة فقرر معه أن يسلم البلد اليه اذا اطلقه فاجاب الى ذلك فاطلقه فعاد الى حلب واجتمع بابيه وعرفه ما استقر فاذعن الى تسليم البلد ونادى بشعار شرف الدولة وسلم البلد اليه فدخله سنة ثلاث وسبعين وحصر القلعة واستنزل منها سابقا ووثابا ابنى محمود بن مرداس فلما ملك البلد ارسل ولده وهو ابن عمة السلطان الى السلطان يخبره بملك البلد وأنفذ معه شهادة فيها خطوط المعدلين بحلب بضمانها وسال ان يقرر عليه الضمان فاجابه السلطان الى ما طلب واقطع ابن عمته مدينة بالس

(ذكر مسير ملكشاه الى كرمان)

فى اول هذه السنة سار السلطان ملكشاه الى بلاد كرمان فلما سمع صاحبها السلطان شاه بن قاورت بك وهو ابن عم السلطان بوصوله اليها خرج الى طريقه ولقيه وحمل له الهدايا الكثيرة وخدمه وبالغ فى الخدمة فاقره السلطان على البلاد واحسن اليه وعاد عنه فى المحرم سنة ثلاث وسبعين الى اصبهان

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة ولد للخليفة المقتدى بامر الله امير المؤمنين ولد سماه موسى وكناه ابا جعفر وزينت بغداد سبعة ايام وفيها وصل السلطان ملكشاه الى خوزستان متصيدا فوصل معه خمارتكين وكوهرائين فى قتل ابن علان اليهودى ضامن البصرة وكان ملتجئا الى نظام الملك وكان بين نظام الملك وبين خمارتكين الشرابى وكوهرائين عداوة فسعيا باليهودى لذلك فامر السلطان بتغريقه فغرق وانقطع نظام الملك عن الركوب ثلاثة ايام واغلق بابه ثم اشير عليه بالركوب فركب وعمل السلطان دعوة عظيمة قدم له فيها أشياء كثيرة وعاتبه على فعله فاعتذر اليه وكان امر اليهودى قد عظم الى حد أن زوجته توفيت فمشى خلف جنازتها كل من فى البصرة الا القاضى وكان له نعمة عظيمة واموال كثيرة فاخذ السلطان منه مائة الف دينار وضمن خمارتكين البصرة كل سنة بمائة الف دينار ومائة فرس وفيها زاد الفرات تسعة اذرع فخربت بعض دواليب هيت وخرب فوهة نهر عيسى وزاد تارانيفا وثلاثين ذراعا وعلا على قنطرتى طراستان وخانقين الكسر ويتين فقطعهما وفيها فى ذى الحجة توفى نصر بن مروان صاحب ديار بكر وملك بعده ابنه منصور ودبر دولته ابن الانبارى وفيها توفى ابو منصور محمد بن عبد العزيز العكبرى ومولده سنة اربع وثمانين وثلثمائة وهو من المحدثين المعروفين وكان صدوقا ومحمد بن هبة الله بن الحسن بن منصور ابو بكر بن ابى القاسم الطبرى اللالكائى وولد سنة تسع وار بعمائة وحدث عن هلال الحفار وغيره وتوفى فى جمادى الاولى وفيها توفى ابو الفتيان محمد بن سلطان بن حيوس الشاعر المشهور وحدث عن

ولما أطلق الوزير لابراهيم بك الكبير التصرف والبسه خلعة وجعله شيخ البلد كعادته وان أوراق التصرفات فى الاقطاعات والاطيان وغيرها تكون

وتناقلوا فى الحديث فذكروا ملاطفة الوزير ومحبته لهم واقامته لناموسهم فقال المترجم لاتغتروا بذلك فانما هى حيل ومكايدوكمنها تروج عليكم فانظروا فى أمركم وتفطنوا لما عساه يحصل فان سوء الظن من الحزم فقالوا له وما الذى يكون قال ان هؤلاء العثمانيين لهم السنين العديدة والازمان المديدة يتمنون نفوذ أحكامهم وتملكهم لهذا الاقليم ومضت الاحقاب وأمراء مصر قاهرون لهم وغالبون عليهم ليس لهم معهم الا مجرد الطاعة الظاهرة وخصوصا دولتنا الاخيرة وما كنا نفعله معهم من الاهانة ومنع الخزينة وعدم الامتثال لاوامرهم وكل ذلك مكمون فى نفوسهم زيادة على ماجبلوا عليه من الطمع والخيانة والشره وقد ملكوا البلاد الآن وملكوها على هذه الصورة وتأمروا علينا فلا يرون بهم ان يتركوها لنا كما كانت بايدينا ويرجعوا الى بلادهم بعد ماذاقوا حلاوتها فدبروا رأيكم وتيقظوا من غفلتكم فلما سمعوا منه ذلك صادق عليه بعضهم وقال بعضهم هذا من وساوسك وقال آخر هذا لايكون بعد ما كنا نقاتل معهم ثلاث سنوات وأشهرا بأموالنا وأنفسنا وهم لايعرفون طرائق البلاد ولا سياستها فلا غنى وملوك

جده لامه القاضى ابى نصر محمد بن هرون بن الجندى

(ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين واربعمائة)

(ذكر استيلاء تكش على بعض خراسان واخذها منه)

فى هذه السنة فى شعبان سار السلطان ملكشاه الى الرى وعرض العسكر فاسقط منهم سبعة آلاف رجل لم يرض حالهم فمضوا الى اخيه تكش وهو ببوشنج فقوى بهم واظهر العصيان على اخيه ملكشاه واستولى على مرو الروذ ومرو والشاهجان وترمذ وغيرها وسار الى نيسابور طامعا فى ملك خراسان وقيل بان نظام الملك قال للسلطان لما امر باسقاطهم ان هؤلاء ليس فيهم كاتب ولا تاجر ولا خياط ولا من له صنعة غير الجندية فاذا اسقطوا الا نامن ان يقيموا منهم رجلا وقالوا هذا السلطان فيكون لنا منهم شغل ويخرج عن ايدينا اضعاف مالهم من الجارى الى ان تفقر بهم فلم يقبل السلطان قوله فلما مضوا الى اخيه واظهر العصيان ندم على مخالفة وزيره حيث لم ينفع الندم واتصل خبره بالسلطان ملكشاه فسار مجدا الى خراسان فوصل الى نيسابور قبل ان يستولى تكش عليها فلما سمع تكش بقربه منها سار عنها وتحصن بترمذ وقصده السلطان فحصره بها وكان تكش قد اسر جماعة من اصحاب السلطان فاطلقهم واستقر الصلح بينهما ونزل تكش الى أخيه السلطان ملكشاه ونزل عن ترمذ

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة تسلم مؤيد الملك بن نظام الملك تكريت من صاحبها المهرباط وفيها توفى أبو على بن شبل الشاعر المشهور ومن شعره فى الزهد

اهم بترك الذنب ثم يردنى * طموح شباب بالغرام موكل
فمن لى اذا اخرت ذا اليوم توبة * بان المنايا الى الشيب تعمل
اعجز ضعفا عن أداحق خالقى * واحمل وزرا فوق ما يتحمل

وفيها أيضا توفى العميد أبو منصور بالبصرة وفيها توفى عبد السلام بن احمد بن محمد بن جعفر أبو الفتح الصوفى من أهل فارس سافر الكثير وسمع الحديث بالعراق والشام ومصر واصبهان وغيرها وكانت وفاته بفارس ويوسف بن الحسن بن محمد بن الحسن أبو الهيثم التفكرى الزنجانى ولد سنة خمس وتسعين وثلثمائة وسمع من أبى نعيم الحافظ وغيره وتفقه على أبى اسحق الشيرازى وادرك أبا الطيب الطبرى وكان من العلماء العاملين المشتغلين بالعبادة

(ثم دخلت سنة اربع وسبعين واربعمائة)

(ذكر خطبة الخليفة ابنة السلطان ملكشاه)

فى هذه السنة ارسل الخليفة الوزير فخر الدولة أبا نصر بن جهير الى السلطان يخطب ابنته لنفسه فسار فخر الدولة الى اصبهان الى السلطان يخطب ابنته فامر نظام الملك أن يمضى معه الى خاتون زوجة السلطان فى المعنى فمضيا اليها فخاطباها فقالت ان ملك غزنة

لهم هنا وقال آخر غير ذلك ثم قالوا له وما رأيك الذى تراه فقال الرأى عندى ان قبلتموه ان نعدى باجمعنا الى البر الجزيرة

وملوك الخانية بما وراء النهر طلبوها وخطبوها الاولادهم وبذلوا أربعمائة ألف دينار فان حمل الخليفة هذا المال فهو أحق منهم فعرفتها ارسلان خاتون التى كانت زوجة القائم بامر الله ما يحصل لها من الشرف والفخر بالاتصال بالخليفة وان هؤلاء كلهم عبيده وخدمه ومثل الخليفة لا يطلب منه المال فاجابت الى ذلك وشرطت ان يكون الحمل المعجل خمسين ألف دينار وانه لا يبقى له سرية ولا زوجة غيرها ولا يكون مبيته الا عندها فاجيبت الى ذلك فاعطى السلطان يده وعاد فخر الدولة الى بغداد

(ذكر وفاة نور الدولة بن مزيد وامارة ولده منصور)

فى هذه السنة فى شوال توفى نور الدولة أبو الاغر دبيس بن على بن مزيد الاسدى بطيرابا ذ وكان عمره ثمانين سنة واما رتبه سبعا وخمسين سنة ومازال ممدحا فى كل زمان مذكورا بالتفضل والاحسان ورثاه الشعراء فاكثروا وولى بعده ما كان اليه ابنه أبو كامل منصور ولقبه بهاء الدولة فاحسن السيرة واعتمد الجميل وسار الى السلطان ملكشاه فى ذى القعدة واستقر له الامر وعاد فى صفر سنة خمس وسبعين وخلع الخليفة أيضا عليه

(ذكر محاصرة تميم بن المعز مدينة قابس)

فى هذه السنة حصر الامير تميم بن المعز بن باديس صاحب افريقية مدينة قابس حصارا شديدا وضيق على أهلها وعاث عساكره فى بساتينها المعروفة بالغابة فافسدوها

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة سار تتش بعد عود شرف الدولة عن دمشق وقصد الساحل الشامى فافتتح انطرطوس وبعض امن الحصون وعاد الى دمشق وفيها ملك شرف الدولة صاحب الموصل مدينة حران واخذها من بنى وثاب النميريين وصالحه صاحب الرها ونقش السكة باسمه وفيها سد ظفر القائمى بشق نهر عيسى وكان خرابا منذ ثلاث وعشرين سنة وسد مرارا وتخرب الى ان سده ظفر وفيها ارسل السلطان الى بغداد ليخرج الوزير ابو شجاع الذى وزر للخليفة بعد بنى جهير فارسله الخليفة الى نظام الملك وسير معه رسولا وكتب معه الى نظام الملك كتابا بخطه يامره بالرضا عن ابى شجاع فرضى عنه واعاده الى بغداد وفيها مات ابن السلطان ملكشاه واسمه داود فجزع عليه جزعا شديدا وحزن حزنا عظيما ومنع من اخذه وغسله حتى تغيرت رائحته واراد قتل نفسه مرات فمنعه خواصه ولما دفن لم يطق المقام فخرج يتصيد وامر بالنياحة عليه فى البلد ففعل ذلك عدة ايام جلس له وزير الخليفة فى العزاء ببغداد وفيها توفى عبد الله بن احمد بن رضوان أبو القاسم وهو من اعيان اهل بغداد وكان مرضه شقيقة وبقى ثلاث سنين فى بيت مظلم لا يقدر أن يسمع صوتا ولا يبصر ضوأ وفيها فى ذى الحجة توفى ابو محمد بن ابى عثمان المحدث وكان صالحا يقرئ القرآن بمسجده بنهر القلائين وتوفى على بن احمد بن على أبو القاسم البسرى البندار ومولده سنة ست وثمانين وثلثمائة سمع الخلص وغيره وكان ثقة صالحا وفيها توفى ابو اسحق ابراهيم بن عقيل بن حبش القرشى النحوى

ونتصب خيامنا هناك ونجعل الانكليز واسطة بيننا وبين الوزير والقبطان ونتمم الشروط التى نرتاح نحن وهم عليها بكفالة الانكليز ولا نرجع الى البر الشرقى ولا ندخل مصر حتى يخرجوا منها ويرجعوا الى بلادهم ويبقى منهم من يبقى مثل من يقلدونه الولاية والدفتردارية ونحو ذلك وكان ذلك هو الرأى ووافق عليه البعض ولم يوافق البعض الآخر وقال كيف ننابذهم ولم يظهر لنا منهم خيانة ونذهب الى الانكليز وهم أعداء الدين فيحكم العلماء بردتنا وخيانتنا لدولة الاسلام على انهم ان قصدوا بنا شيئا قاتلناهم باجمعنا عليهم وفينا ولله الحمد الكفاية وعند ذلك تتوسط بيننا وبينهم الانكليز فتكون لنا المندوحة والعذر فقال المترجم أما الاستنكاف من الالتجاء للانكليز فان القوم لم يستنكفوا من ذلك واستعانوا بهم ولولا مساعدتهم لما أدركوا هذا المحصول ولا قدروا على اخراج الفرنساوية من البلاد وقد شاهدنا ما حصل فى العام الماضى لما حضروا بدون الانكليز على ان هذا قياس مع الفارق فان تلك مساعدة حرب وأما هذه ففى وساطة مصلحة لا غير وأما انتظار حصول المنابذة فقد

لا يمكن التدارك بعد الوقوع لا مور والرأى لكم فسكتوا وتفرقوا على كتمان ما دار

بينهم ولما لم يوافقوا المترجم على ما اشار به ٥٠ عليهم اخذ يدبر فى خلاص نفسه فانضم الى محمود افندى رئيس الكتاب لقربه من الوزير وقبوله عنده واوهمه النصيحة للوزير بتحصيل مقادير عظيمة من الاموال من جهة الصعيد ان قلده الوزير امارة الصعيد فانه يجمع له اموالا جمة من تركات الاغنياء الذين ماتوا بالطاعون فى العام الماضى وخلافه ولم يكن لهم ورثة وغير ذلك من الجهات التى لا يحيط بها خلافه والمال والغلال الميرية فلما عرف الرئيس الوزير بذلك لم يكن باسرع من اجابته لوجهين الاول طمعا فى تحصيل المال والثانى لتفريق جمعهم فانهم كانوا يحسبون حسابه دون باقى الجماعة لكثرة جيشه وشدة احترازه فانه كان اذا ذهب عند الوزير لا يذهب فى الغالب الا وحوله جميع جنوده ومماليكه وعند ما اجاب الوزير الى سفره كتب له فرمانا بامارة الجهة القبلية واطلق له الاذن ورخص له فى جميع ما يؤدى اليه اجتهاده من غير معارض وتم الرئيس القصد وفى الوقت حضر المترجم فاخذ المرسوم ولبس الخلعة بنفسه وودع الوزير والرئيس وركب فى الوقت والساعة وخرج مسافرا وجعل رئيس افندى وكيلا عنه وسفيرا بينه وبين الوزير بعد ما أسكنه فى داره ولم يشعر بذلك احد ولم ير للوزير وجها بعد ذلك وعند ما حضرته

(ثم دخلت سنة خمس وسبعين واربعمائة)

(ذكر وفاة جمال الملك بن نظام الملك)

فى هذه السنة فى رجب توفى جمال الملك منصور بن نظام الملك وورد الخبر بوفاته الى بغداد فى شعبان فجلس اخوه مؤيد الملك للعزاء وحضر فخر الدولة بن جهير وابنه عميد الملك معزيين وارسل الخليفة اليه فى اليوم الثالث فاقامه من العزاء وكان سبب موته ان مسخرة كان للسلطان ملكشاه يعرف بجعفرك يحاكى نظام الملك ويذكره فى خلواته مع السلطان فبلغ ذلك جمال الملك وكان يتولى مدينة بلخ واعمالها فسار من وقته يطوى المراحل الى والده والسلطان وهما باصبهان فاستقبله اخواه فخر الملك ومؤيد الملك فاغلظ لهما القول فى اغضائهما على ما بلغه عن جعفرك فلما وصل الى حضرة السلطان رأى جعفرك يساره فانتهره وقال مثلك يقف هذا الموقف وينبسط بحضرة السلطان فى هذا الجمع فلما خرج من عند السلطان أمر بالقبض على جعفرك وامر باخراج لسانه من قفاه وقطعه فمات ثم سار مع السلطان وابيه الى خراسان واقاموا بنيسابور مدة ثم ارادوا العود الى اصبهان وتقدمهم نظام الملك فاحضر السلطان عميد خراسان وقال له ايما احب لك رأسك أم رأس جمال الملك فقال بل رأسى فقال ائن لم تعمل فى قتله لاقتلنك فاجتمع بخادم يختص بخدمة جمال الملك وقال له سرا الاولى ان تحفظوا نعمتكم ومناصبكم وتدبروا فى قتل جمال الملك فان السلطان يريد ان يأخذه ويقتله ولأن تقتلوه انتم سرا اصلح لكم من ان يقتله السلطان ظاهرا فظن الخادم ان ذلك صحيح فعمل له سمانى كوز فقاع فطلب جمال الملك فقاعا فاعطاه الخادم ذلك الكوز فشربه فمات فلما علم السلطان بموته سار مجدا حتى لحق نظام الملك فاعلمه بموت ابنه وعزاه وقال انا ابنك وانت اولى من صبر واحتسب

(ذكر الفتنة ببغداد بين الشافعية والحنابلة)

ورد الى بغداد هذه السنة الشريف ابو القاسم البكرى المغربى الواعظ وكان اشعرى المذهب وكان قد قصد نظام الملك فاحبه ومال اليه وسيره الى بغداد واجرى عليه الجراية الوافرة فوعظ بالمدرسة النظامية وكان يذكر الحنابلة ويعيبهم ويقول وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا والله ما كفر احد ولكن اصحابه كفروا ثم انه قصد يوما دار قاضى القضاة ابى عبد الله الدامغانى بنهر القلائين فجرى بين بعض اصحابه وبين قوم من الحنابلة مشاجرة ادت الى الفتنة وكثر جمعه فكبس دور بنى الفراء واخذ كتبهم واخذ منها كتاب الصفات لابى يعلى فكان يقرأ بين يديه وهو جالس على الكرسى للوعظ فيشنع به عليهم وجرى له معهم خصومات وفتن ولقب البكرى من الديوان بعلم السنة ومات ببغداد ودفن عند قبر ابى الحسن الاشعرى

(ذكر مسير الشيخ ابى اسحق الى السلطان فى رسالة)

فى هذه السنة فى ذى الحجة اوصل الخليفة المقتدى بامر الله الشيخ ابا اسحق الشيرازى الى

حضرته وحمله رسالة الى السلطان ملكشاه ونظام الملك تتضمن الشكوى من العميد أبى الفتح بن ابى الليث عميد العراق وامره ان ينهى ما يجرى على البلاد من النظار فسار فكان كلما وصل الى مدينة من بلاد العجم يخرج اهلها اليه بنسائهم واولادهم يتمسحون بركابه ويأخذون تراب بغلته للبركة وكان فى صحبته جماعة من اعيان بغداد منهم الامام أبو بكر الشاشى وغيره ولما وصل الى ساوة خرج جميع اهلها وسألوه فقهاؤها كل منهم ان يدخل بيته فلم يفعل والقيه اصحاب الصناعات ومعهم ما ينثرونه على محفته فخرج الخبازون ينثرون الخبز وهو ينهاهم فلم ينتهوا وكذلك اصحاب الفاكهة والحلواء وغيرهم وخرج اليه الاساكفة وقد عملوا مداسات لطافا تصلح لارجل الاطفال ونثروها فكانت تسقط على رؤس الناس فكان الشيخ يتعجب ويذكر ذلك لاصحابه بعد رجوعه ويقول ما كان حظكم من ذلك النثار فقال له بعضهم ما كان حظا سيدنا منه فقال اما انا فغطيت بالمحفة وهو يضحك فاكرمه السلطان ونظام الملك وجرى بينه وبين امام الحرمين ابى المعالى الجوينى مناظرة بحضرة نظام الملك وأجيب الى جميع ما التمسه ولما عاد أدنى العميد وكسر عما كان يعتمده ورفعت يده عن جميع ما يتعلق بحواشى الخليفة ولما وصل الشيخ الى بسطام خرج اليه السهلكى شيخ الصوفية بها وهو شيخ كبير فلما سمع الشيخ ابو اسحق بوصوله خرج اليه ماشيا فلما رآه السهلكى ألقى نفسه من دابه كان عليها وقبل يد الشيخ أبى اسحق فقبل أبو اسحق رجله واقعده ووضعه وجلس ابو اسحق بين يديه وأظهر كل واحد منهما من تعظيم صاحبه كثيرا واعطاه شيئا من حنطة ذكر انها من عهد ابى يزيد البسطامى ففرح بها ابو اسحق

(ذكر حصر شرف الدولة دمشق وعوده عنها)

فى هذه السنة جمع تاج الدولة تتش جمعا كثيرا وسار عن بغداد وقصد بلاد الروم انطاكية وما جاورها فسمع شرف الدولة صاحب حلب الخبر فخافه فجمع أيضا العرب من عقيل والاكراد وغيرهم فاجتمع معه جمع كثير فراسل الخليفة بمصر يطلب منه ارسال نجدة اليه ليحصر دمشق فوعده ذلك فسار اليها فلما سمع تتش الخبر عاد الى دمشق فوصلها أول المحرم سنة ست وسبعين ووصل شرف الدولة أواخر المحرم وحصر المدينة وقاتله أهلها وفى بعض الايام خرج اليه عسكر دمشق وقاتلوه وحملوا على عسكره حملة صادقة فانهزم كشفوا وتضعضعوا وانهزمت العرب وثبت شرف الدولة واشرف على الاسر وتراجع اليه اصحابه فلما رأى شرف الدولة ذلك ورأى ايضا ان مصر لم يصل اليه منها عسكر واتاه عن بلاده الخبر ان اهل حران عصوا عليه فرحل عن دمشق الى بلاده واظهر انه يريد البلاد بفلسطين فرحل اولا الى مرج الصفر فارتاع اهل دمشق وتتش واضطربوا ثم انه رحل من مرج الصفر مشرقا فى البرية وجد فى مسيره فهلك من المواشى الكثير مع عسكره ومن الدواب شئ كثير وانقطع خلق كثير

(ذكر عدة حوادث)

تذكره على ظن تاخره فلم يدركوه الا وقد قطع مسافة بعيدة ورجعوا على غير طائل وذهب هو الى اسيوط وشرع فى جبى الاموال وارسل للوزير دفعة من المال واغناما وعبيدا طواشية وغلاما لم يمض على ذلك الا نحو ثلاثة شهور وسافر طائفة من الانكليز الى سكندرية وكذلك حسين باشا القبطان ونصبوا للمصريين الفخاخ وأرسل القبطان يطلب طائفة منهم فاوقع بهم ما اوقع وقبض الوزير على من بمصر من الامراء وحبسهم وجرى ما هو مسطور فى محله وعينوا على المترجم طاهر باشا بعساكر وحصلت المقاتلة وقتل من قتل والتجا من بقى الى الانكليز ولم يندمل الجرح بعد تقريحه وذهب الجميع الى النواحى القبلية وارسلوا لهم التجاريد وتصدى المترجم لحروبهم ثم حضر الى ناحية بحرى ونزل بظاهر الجيزة وسار الى ناحية البحيرة بعد حروب ووقائع فاجتهد محمد باشا خسرو فى اخراج تجريدة عظيمة وسارى عسكرها كتخداه وهو يوسف كتخدا بك وهى التجريدة التى سماها العوام تجريدة الجبير لانهم جمعوا من جملة ذلك جبير الحمارة والتراسين وجبير اللكاف والسقائين وعملوا على اهل بولاق ألف حمار وكذلك مصر ومصر القديمة

ويضع أحدهم فمه عند الباب ويقول زر فيسوق الحمار فيأخذونه فلما تم مرادهم من جمع الحمير اللازمة لهم سافروا الى ناحية البحيرة فكانت بينهم واقعة عظيمة برأى من الانكليز وكانت الغلبة له على العسكر وأخذ منهم جملة أسرى وانهزم الباقون شر هزيمة وحضروا الى مصر في أسوأ حال وهذه الكسرة كانت سببا لحصول الوحشة بين الباشا والعسكر فانه غضب عليهم وأمرهم بالخروج من مصر فطلبوا علائفهم فقال بأى شئ تستحقون العلائف ولم يخرج من ايديكم شئ فامتنعوا من الخروج وكان المشار اليه فيهم محمد على سر شمه فاراد الباشا اصطياده فلم يتمكن منه لشدة احتراسه فخاربه فوقع له ما ذكر في محله وخرج الباشا هاربا الى دمياط ومن ذلك الوقت ظهر اسم محمد على ولم يزل ينمو ذكره بعد ذلك واما المترجم فانه بعد كسرته للعسكر ذهب ناحية دمنهور وذهبت كشافه واحراؤه الى المنوفية والغربية والدقهلية وطلبوا منهم المال والكلف ثم رجعوا الى البحيرة ثم بعد هذه الوقائع سافر المترجم مع الانكليز الى بلادهم واختار من مماليكه خمسة عشر شخصا اخذهم صحبته واقام عوضه احد مماليكه المسمى بشتملي بك وسمى الالفي الصغير فانهل

في هذه السنة قدم مؤيد الملك بن نظام الملك الى بغداد من اصبهان فخرج عميد الدولة ابن جهير الى لقائه ونزل بالمدرسة النظامية وضرب على بابه الطبول اوقات الصلوات الثلاث فاعطى مالا جليلا حتى قطعه وارسل الطبول الى تكريت وفيها توفي ابو عمرو عبد الوهاب بن محمد بن اسحق بن منده الاصبهاني في جمادى الآخرة باصبهان وكان حافظا فاضلا والامير ابو نصر على ابن الوزير ابي القاسم هبة الله بن علي بن جعفر بن ماكولا مصنف كتاب الاكمال ومولده سنة عشرين واربعمائة وكان فاضلا حافظا قتله مماليكه الاتراك بكرمان واخذوا ماله

(ثم دخلت سنة ست وسبعين واربعمائة)

(ذكر عزل عميد الدولة بن جهير عن وزارة الخليفة ومسير والده فخر الدولة الى ديار بكر)

في هذه السنة في صفر عزل عميد الدولة بن جهير عن وزارة الخليفة ووصل يوم عزل رسول من السلطان ونظام الملك الى الخليفة يطلبان ان يرسل اليهما بني جهير فاذن لهما في ذلك وسارا بالجميع اهلهم ونسائهم الى السلطان فصادفوا منه ومن نظام الملك الاكرام والاحترام وعقد السلطان لفخر الدولة بن جهير على ديار بكر وخلع عليه واعطاه الكوسات وسير معه العساكر واوامره ان يقصدها ويأخذها من بني مروان وان يخطب لنفسه ويذكر اسمه على السكة فسار اليها ولما فارق بنو جهير بغداد رتب في الديوان ابو الفتح المظفر بن رئيس الرؤساء وكان قبل ذلك على ابنية الدار وغيرها

(ذكر عصيان اهل حران على شرف الدولة وفتحها)

في هذه السنة عصى اهل حران على شرف الدولة مسلم بن قريش واطاعوا قاضيهم ابن حلبية واراداهم وابن عطير العبري تسليم البلد الى جبق امير التركمان وكان شرف الدولة على دمشق يحاصر تاج الدولة تتش بها فبلغه الخبر فعاد الى حران وصانع ابن ملاعب صاحب حمص واعطاه سلمية ورفنية وبادر بالمسير الى حران فحصرها ورماها بالمنجنيق فخرب من سورها بدنة وفتح البلد في جمادى الاولى واخذ القاضي ومعه ابنين له فصلبهم على السور

(ذكر وزارة ابي شجاع محمد بن الحسين للخليفة)

في هذه السنة عزل الخليفة ابا الفتح بن رئيس الرؤساء من النيابة في الديوان واستوزر ابا شجاع محمد بن الحسين وخلع عليه خلع الوزارة في شعبان ولقبه ظهير الدين ومدحه الشعراء فاكثروا فممن مدحه وهنأه ابو المظفر محمد بن العباس الابيوردي بالقصيدة المشهورة التي اولها

هنيئا مقل الظباء العين * فتسكت بسر فؤادي المكنون

ومنها

فانهل اسراب الدموع كانها * منح يتابعها ظهير الدين

(ذكر قتل ابى المحاسن بن ابى الرضا)

فى هذه السنة فى شوال قتل سيد الرؤساء ابو المحاسن بن كمال الملك ابى الرضا وكان قد قرب من السلطان ملكشاه قربا عظيما وكان ابوه يكتب بالطغراء فقال ابو المحاسن للسلطان سلم الى نظام الملك واصحابه وانا اسلم اليك منهم الف الف دينار فانهم يا كلون الاموال ويقتطعون الاعمال وعظم عنده ذخائرهم فبلغ ذلك نظام الملك فعمل سماطا عظيما واقام عليه مماليكه وهم الوف من الاتراك واقام خيلهم وسلاحهم على حيالهم فلما حضر السلطان قال له انى قد خدمتك وخدمت اباك وجدك ولى حق خدمة وقد بلغك اخذى لعشراء والك وصدق هذا انا آخذه واصرفه الى هؤلاء الغلمان الذين جعتهم لك واصرفه ايضا الى الصدقات والصلات والوقوف التى اعظم ذكرها وشكرها واجرها لك وامواليك وجميع ما املكه بين يديك وانا اقنع بمرقعة وزاوية فامر السلطان بالقبض على ابى المحاسن وان تسمل عيناه وانفذه الى قلعة ساوة وسمع ابوه كمال الملك الخبر فاستجار بدار نظام الملك فسلم وبذل مائتى الف دينار وعزل عن الطغراء ورتب مكانه مؤيد الملك بن نظام الملك

(ذكر استيلاء مالك بن علوى على القيروان واخذها منه)

فى هذه السنة جمع مالك بن علوى الصخرى العرب فاكثر وسار الى المهدية فحصرها فقام الامير تميم بن المعز قياما تاما وحرد له عنها ولم يظفر منها بشئ فسار مالك منها الى القيروان فحصرها وملكها فجرد اليه تميم العساكر العظيمة فحصروه بها فلما رأى مالك انه لا طاقة له بتميم خرج عنها وتركها فاستولى عليها عسكر تميم وعادت الى ملكه كما كانت

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة عم الرخص جميع البلاد فبلغ الكر الحنطة الجيدة ببغداد عشرة دنانير وفيها فى جمادى الآخرة توفى الشيخ ابو اسحق الشيرازى وكان مولده سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة واكثر الشعراء مراثيه فمنهم ابو الحسن الخباز والبندنيجى وغيرهما وكان رحمة الله عليه واحد عصره علما وزهدا وعبادة وسخاء وصلى عليه فى جامع القصر وجلس اصحابه للعزاء فى المدرسة النظامية ثلاثة ايام ولم يتخلف احد عن العزاء وكان مؤيد الملك بن نظام الملك ببغداد فرتب فى التدريس اباسعد عبد الرحمن بن المامون المتولى فلما بلغ ذلك نظام الملك انكره وقال كان يجب ان تغلق المدرسة بعد الشيخ ابى اسحق سنة وصلى عليه بباب الفردوس وهذا لم يفعل على غيره وصلى عليه الخليفة المقتدى بامر الله وتقدم فى الصلاة عليه ابو الفتح بن رئيس الرؤساء وهو ينوب فى الوزارة ثم صلى عليه بجامع القصر ودفن بباب ابرز

(ثم دخلت سنة سبع وسبعين واربعمائة)

(ذكر الحرب بين فخر الدولة بن جهير وابن مروان وشرف الدولة)

منتصف شهر شوال سنة سبع عشرة وحضر فى اول شهر القعدة سنة ثمان عشرة وجرى فى مدة غيابه من الحوادث التى تقدم من ذكرها ما يغنى عن اعادتها من خروج محمد باشا خسرو وتولية طاهر باشا ثم قتله ودخول الامراء المصريين وتحكمهم بمصر سنة ثمان عشرة وتامير صناجق من اتباع المترجم وما جرى بها من الوقائع بتقدير الله تعالى البارز بتدبير محمد على ونفاقه وحيله فانه سعى اولا فى نقض دولة مخدومه محمد باشا خسرو بتواطئه مع طاهر باشا وخازنداره محمد باشا الحافظ للقلعة ثم الاغراء على طاهر باشا حتى قتل ثم معاونته للامراء المصريين ودخولهم وتملكهم واظهار المساعدة الكلية لهم ومصادقتهم وخدمتهم ومعاونتهم والرمح فى غفلتهم وخصوصا عثمان بك البرديسى فانه كان ممخرقا غشوما يحب الترؤس فاظهر له الصداقة والمؤاخاة والمصافاة حتى قضى منهم اغراضه من قتل الدفتردار والكتخدا وعلى باشا الطرابلسى ومحاربة محمد باشا واخذه اسيرا من دمياط واخيه السيد على القبطان برشيد ونسبة جميع هذه الافعال والقبائح اليهم فلما انقضى ذلك كله لم يبق الا الالفى وجماعته والبرديسى الذى

قد تقدم ذكر مسير فخر الدولة بن جهير في العساكر السلطانية الى ديار بكر فلما كانت هذه السنة سير السلطان اليه أيضا جيشا فيهم الامير ارتق بن اكسب وامرهم بمساعدته وكان ابن مروان قد مضى الى شرف الدولة وساله نصرته على ان يسلم اليه آمد وحلف كل واحد لصاحبه وكل منهما يرى ان صاحبه كاذب لما كان بينهما من العداوة المستحكمة واجتمعا على حرب فخر الدولة وسارا الى آمد وقد نزل فخر الدولة بنواحيها فلما رأى فخر الدولة اجتماعهما مال الى الصلح وقال لا أوثر ان يحل بالعرب بلاء على يدي فعرف التركمان ما عزم عليه فركبوا ليلا واتوا الى العرب واحاطوا بهم في ربيع الاول والتحم القتال واشتد فانهزمت العرب ولم يحضر هذه الوقعة الوزير فخر الدولة ولا ارتق وغنم التركمان حال العرب ودوابهم وانهزم شرف الدولة وحمى نفسه حتى وصل الى قصيل آمد وحصره فخر الدولة ومن معه فلما رأى شرف الدولة انه محصور خاف على نفسه فراسل الامير ارتق وبذل له مالا وساله ان يمن عليه بنفسه ويمكنه من الخروج من آمد وكان هو على حفظ الطرق والحصار فلما سمع ارتق ما بذل له شرف الدولة اذن له في الخروج فخرج منها في الحادي والعشرين من ربيع الاول وقصد الرقة وأرسل الى ارتق بما كان وعده به وسار ابن جهير الى ميافارقين ومعه من الامراء الامير بهاء الدولة منصور بن مزيد وابنه سيف الدولة صدقة ففارقوه وعادوا الى العراق وسار فخر الدولة الى خلاط ولما استولى العسكر السلطاني على حلل العرب وغنموا اموالهم وسبوا حريمهم بذل سيف الدولة صدقة بن منصور بن مزيد الاموال وافتك اسرى بني عقيل ونساءهم واولادهم وجهزهم جميعهم ورددهم الى بلادهم ففعل امرا عظيما واسدى مكرمة شريفة ومدحه الشعراء في ذلك فاكثروا فمنهم محمد بن محمد بن خليفة النسبي يذكر ذلك في قصيدة

كما أحرزت شكر بني عقيل * بآمد يوم كظهم الحذار
غداة رمتهم الاتراك طرا * بشهب في حوافلها ازورار
فاجبنوا ولكن فاض بحر * عظيم لا تقاومه البحار
فحين تنازلوا تحت المنايا * وفيهن الرزية والدمار
منحت عليهم وفككت عنهم * وفي اثنا حبلهم انتشار
ولولا انت لم ينفك منهم * اسير حين اعلقه الاسار

في ابيات كثيرة وذكر أيضا البندنيجي أبياتا فاحسن ولولا خوف التطويل لذكرت ابياته

(ذكر استيلاء عميد الدولة على الموصل)

لما بلغ السلطان ان شرف الدولة انهزم وحصر بآمد لم يشك في اسره فخلع على عميد الدولة بن جهير وسيره في جيش كثيف الى الموصل وكاتب امراء التركمان بطاعته وسير معه من الامراء آقسنقر قسيم الدولة جد ملوكنا اصحاب الموصل وهو الذي أقطعه السلطان بعد ذلك حلب وكان الامير ارتق قد قصد السلطان فعاد صحبته عميد الدولة

امر المترجم ويتذاكر اتعاظم وكيله وخشداشينه وتقضهم عليه ما يبرمونه مع غياب استاذهم فكيف بهم اذا حضر ويهمه المساعدة والمعاضدة ويكون خادماله وعساكره جنده الى ان حضر المترجم فاوقعا به ما تقدم ذكره ونجا بنفسه واختفى عند عشيرة البدوي بالوادي فلما خلا الجو من الالفي وجماعته فاوقع محمد على عند ذلك بالبرديسي وعشيرته ما أوقع وظهر بعد ذلك المترجم من اختفائه وذهب الى ناحية قبلي هو وعملوكه صالح بك واجتمعت عليه امراؤه واجناده واستفحل أمره واصطلح مع عشيرته والبرديسي على ما في نفوسهما ومازال منجمعا عن مخالطتهم وجرى ما جرى من مجيئهم حوالي مصر وحروبهم مع العساكر في ايام خورشيد أحمد باشا وانفصالهم عنها بدون طائل لتفاشلهم واختلاف آرائهم وفساد تدبيرهم ورجعوا الى ناحية قبلي ثم عادوا الى ناحية بحري بعد حروب ووقائع مع حسن باشا ومحمد علي وعساكرهم ثم لما حصلت المفاقمة بينهما وبين خورشيد أحمد باشا وانتصر محمد علي بالسيد عمر مكرم النقيب والمشايخ والقاضي واهل البلدة والرعايا وهاجت الحروب بين الباشا وأهل البلدة كما هو مذكور كانت الامراء

من الطريق فسار عميد الدولة حتى وصل الى الموصل فارسل الى اهلها يشير عليهم بطاعة السلطان وترك عصيانه ففتحوا له البلد وسلموه اليه وسار السلطان بنفسه وعساكره الى بلاد شرف الدولة ليملكها فاتاه الخبر بخروج أخيه تكش بخراسان على ماذكره ورأى شرف الدولة قد خلص من الحصر فارسل مؤيد الملك بن نظام الملك الى شرف الدولة وهو مقابل الرحبة فاعطاه العهود والمواثيق واحضره عند السلطان وهو بالبوازيج فخلع عليه آخر رجب وكانت امواله قد ذهبت فاقترض ماخدم به وحمل للسلطان خيلا وافقة من جملتها فرسه بشار وهو فرسه المشهور الذى نجا عليه من المعركة ومن آمد ايضا وكان سابقا لايجارى فامر السلطان بان يسابق به الخيل فجاء سابقا فقام السلطان قائما لما تداخله من العجب وارسل الخليفة النقيب طرادا الزينبى فى لقى شرف الدولة فلقيه بالموصل فزاد أمر شرف الدولة قوة وصالحه السلطان وأقره على بلاده وعاد الى خراسان لحرب أخيه

(ذكر عصيان تكش على اخيه السلطان ملكشاه)

قد تقدم ذكره وذكر مصالحته للسلطان فلما كان الآن ورأى بعد السلطان عنه عاود العصيان وكان أصحابه يؤثرون الاختلاط فحسنوا له مفارقة طاعة أخيه فاجابهم وسار معهم فملك مرو الروذ وغيرها الى قلعة تقارب سرخس وهى لمسعود ابن الامير ياخز وقد حصنها جهده فحصروه بها ولم يبق غير أخذها منه فاتفق أبو الفتوح الطوسى صاحب نظام الملك وهو بنيسابور وعميد خراسان وهو وأبو على على أن يكتب أبو الفتوح ملطفا الى مسعود بن ياخز وكان خط ابى الفتوح اشبه شئ بخط نظام الملك يقول فيه كتبت هذه الرقعة من الرى يوم كذا ونحن سائرون من الغد نحوك فاحفظ القلعة ونحن نكبس العدو فى ليلة كذا واستدعيا فيجابيثقون به واعطياه دنانير صالحة وقالا سر نحو مسعود فاذا وصلت الى المكان الفلانى فاقم به ونم وأخف هذا الملطف فى بعض حيطانه فستأخذك طلائع تكش فلا تعترف لهم حتى يضربوك فاذا فعلوا ذلك وبالغوا فاخرجه لهم وقل انك فارقت السلطان بالرى وملك منا الجماعة والكرامة ففعل ذلك وجرى الامر على ماوصفا واحضر بين يدى تكش وضرب وعرض على القتل فاظهر الملطف وسلمه اليهم واخبرهم انه فارق السلطان ونظام الملك بالرى فى العساكر وهو وسائر فلما وقفوا على الملطف وسمعوا كلام الرجل سارو امن وقتهم وتركوا خيامهم ودوابهم والقدور على النار فلم يصبروا على مافيها وعادوا الى قلعة ونج وكان هذا من الفرج العجيب فنزل مسعود واخذ مافى المعسكر وورد السلطان الى خراسان بعد ثلاثة اشهر ولولا هذا الفعل لنهب تكش الى باب الرى ولما وصل السلطان قصد تكش واخذه وكان قد حلف له بالايمان انه لايؤذيه ولا يناله منه مكروه فافتاه بعض من حضر بان يجعل الامر الى ولده احمد ففعل ذلك فامر احمد بكحله فكحل وسجن

(ذكر فتح سليمان بن قتلمش انطاكية)

عمر يراسله ويعده ويذكر له بان هذا القيام من أجلك واخراج هذه الاوباش ويعود الامر اليكم كما كان وانت المعنى بذلك لظننا فيك الخير والصلاح والعدل فيصدق هذا القول ويساعده بارسال المال ليصرفه فى مصالح المقاتلين والحمار بين ومحمد على يداهن السيد عمر سرا ويتملق اليه ويأتيه ويراسله ويأتى اليه فى اواخر الليل وفى اوساطه متردد اليه فى غالب أوقاته حتى تم له الامر بعد المعاهدة والمعاقدة والايمان الكاذبة على سيره بالعدل واقامة الاحكام والشرائع والاقلاع عن المظالم ولايفعل امرا الا بمشورته ومشورة العلماء وانه متى خالف الشروط عزلوه واخرجوه وهم قادرون على ذلك كما يفعلون الآن فيتوسط المخاطب بذلك القول ويظن صحته وان كل الوقائع زلابية وكل ذلك سر لم يشعر به خلافهم الى ان عقد السيد عمر مجلسا عند محمد على واحضر المشايخ والاعيان وذكر لهم ان هذا الامر وهذه الحروب مادامت على هذه الحالة لاتزداد الا فشلا ولا بد من تعيين شخص من جنس القوم للولاية فانظروا من تحدونه وتختارونه لهذا الامر ليكون قائم مقام حتى يتعين من طرف الدولة من يتعين فقال الجميع الرأى ماتراه فاشار الى محمد على فاظهر التمنع وقال أنا لا أصلح لذلك

ولست من الوزراء ولا من الامراء ولا من أكابر الدولة فقالوا جميعا قد اخترناك لذلك برأى الجميع والكافة والعبرة رضا اهل البلاد وفى الحال احضر وافروة والبسوها له وباركوا له وهنؤه وجهروا بخلع خورشيد أحمد باشا من الولاية واقامة المذكور فى النيابة حتى ياتى المتولى او ياتى له تقرير بالولاية ونودى فى المدينة بعزل الباشا واقامة محمد على فى النيابة الى ان كان ماهو مسطور قبل ذلك فى محله فلما بلغ المترجم ذلك وكان ببر الجيزة ويراسل السيد عمر مكرم والمشايخ فانقبض خاطره ورجع الى البحيرة واراد منهور فامتنع عليه اهلها وحاربوه وحاربهم ولم ينل منهم غرضا والسيد عمر يقويهم ويمدهم ويرسل اليهم البارود وغيره من الاحتياجات وظهر للمترجم تلاعب السيد عمر مكرم معه وكانه كان يقويه على نفسه فقبض على السفير الذى كان بينهما وحبسه وضربه واراد قتله ثم اطلقه ثم عاد الى بر الجيزة وسكنت الفتنة واستقر الامر لمحمد على باشا وحضر قبطان باشا الى ساحل أبى قير ووصل سليمان اغا داره الى مصر وانزل احمد باشا الخلوع عن الولاية من القلعة الى بولاق ليسافر ومنع محمد على من الذهاب والمجئ الى المصريين واوقف اشخاصا براوبحرا يرصدون من ياتى من قبلهم او يذهب اليهم بشئ من متاع وملبوس وسلاح وغير ذلك ومن عثروا فقتل

فى هذه السنة سار سليمان بن قتلمش صاحب قونية واقصراى واعمالها من بلاد الروم الى الشام فملك مدينة انطاكية من ارض الشام وكانت بيد الروم من سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وسبب ملك سليمان المدينة ان صاحبها الفردوس الرومى كان قد سار عنها الى بلاد الروم ورتب بها شحنة وكان الفردوس مسيئا الى اهلها والى جنده ايضا حتى انه حبس ابنه فاتفق ابنه والشحنة على تسليم البلد الى سليمان بن قتلمش وكاتبوه يستدعونه فركب البحر فى ثلثمائة فارس وكثير من الرجالة وخرج منه وسار فى جبال وعرة ومضايق شديدة حتى وصل اليها للوعد فنصب السلالم باتفاق من الشحنة ومن معه وصعد السور واجتمع بالشحنة واخذ البلد فى شعبان فقاتله اهل البلد فهزمهم مرة بعد اخرى وقتل كثيرا من اهلها ثم عفا عنهم وتسلم القلعة المعروفة بالقسيان واخذ من الاموال ما يجاوز الاحصاء واحسن الى الرعية وعدل فيهم وامرهم بعمارة ما خرب ومنع اصحابه من النزول فى دورهم ومخالطتهم ولما ملك سليمان انطاكية ارسل الى السلطان ملكشاه يبشره بذلك وينسب هذا الفتح اليه لانه من اهله وممن يتولى طاعته فاظهر ملكشاه البشارة به وهنأه الناس فمن قال فيه الابيوردى من قصيدة مطلعها

لمعت كناصية الحصان الاشقر * نار بمعتلج الكثيب الاعفر
وفتحت انطاكية الروم التى * نشرت معاقلها على الاسكندر
وطئت مناكبها جيادك فانثنت * تلقى اجنتها بنات الاصفر

وهى طويلة

(ذكر قتل شرف الدولة وملك اخيه ابراهيم)

قد تقدم ذكر ملك سليمان بن قتلمش مدينة انطاكية فلما ملكها ارسل اليه شرف الدولة مسلم بن قريش يطلب منه ما كان يحمله اليه الفردوس من المال ويخوفه معصية السلطان فاجابه اما طاعة السلطان فهى شعارى ودثارى والخطبة له والسكة فى بلادى وقد كاتبته بما فتح الله على يدى بسعادته من هذا البلد واعمال الكفار واما المال الذى كان يحمله صاحب انطاكية قبلى فهو كان كافرا وكان يحمل جزية رأسه واصحابه وانا بحمد الله مؤمن ولا احمل شيئا فنهب شرف الدولة بلد انطاكية فنهب سليمان ايضا بلد حلب فلقيه اهل السواد يشكون اليه نهب عسكره فقال انا كنت اشد كراهية لما يجرى ولكن صاحبكم احوجنى الى ما فعلت ولم تجر عادتى بنهب مال مسلم ولا اخذ ما حرمته الشريعة وامر اصحابه باعادة ما اخذوه منهم فاعاده ثم ان شرف الدولة جمع المجموع من العرب والتركمان وكان ومن معه جبق امير التركمان فى اصحابه وسار الى انطاكية ليحصرها فلما سمع سليمان الخبر جمع عساكره وسار اليه فالتقيا فى الرابع والعشرين من صفر سنة ثمان وسبعين واربعمائة فى طرف من اعمال انطاكية واقتتلوا فمال تركمان جبق الى سليمان فانهزمت العرب وتبعهم شرف الدولة منهزما

فقتل بعد ان صبر وقتل بين يديه اربعمائة غلام من أحداث حلب وكان قتله يوم الجمعة الرابع والعشرين من صفر سنة ثمان وسبعين وذكرته ههنا لتتبع الحادثة بعضها بعضا وكان احول وكان قد ملك من السندية التي على نهر عيسى الى منبج من الشام وما والاها من البلاد وكان في يده ديار ربيعة ومضر من أرض الجزيرة والموصل وحلب وما كان لابيه وعمه قرواش وكان عادلا حسن السيرة والامن في بلاده عام والرخص شامل وكان يسوس بلاده سياسة عظيمة بحيث يسير الراكب والراكبان فلا يخافان شيئا وكان له في كل بلد وقرية عامل وقاض وصاحب خبر بحيث لا يتعدى احد على احد ولما قتل قصد بنو عقيل اخاه ابراهيم بن قريش وهو محبوس فاخرجوه وملكوه امرهم وكان قد مكث في الحبس سنين كثيرة بحيث انه لم يمكنه المشي والحركة لما اخرج ولما قتل شرف الدولة سار سليمان بن قتلمش الى حلب فحصرها مستهل ربيع الاول سنة ثمان وسبعين فاقام عليها الى خامس ربيع الآخر من السنة فلم يبلغ منها غرضا فرحل عنها

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في صفر انقض كوكب من المشرق الى المغرب كان حجمه كالقمر وضوءه كضوئه وسار مدى بعيدا على مهل وتؤدة في نحو ساعة ولم يكن له شبيه من الكواكب وفيها ولد السلطان سنجر بن ملكشاه في الخامس والعشرين من رجب بمدينة سنجار من ارض الجزيرة مقارب الموصل بينهما يوم ان عند نزول السلطان بها وسماه احمد وانما قيل له سنجر باسم المدينة التي ولد فيها وامه ام ولد وفي هذه السنة في جمادى الاولى توفي الشيخ ابو نصر عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد بن الصباغ الفقيه الشافعي صاحب الشامل والكامل وكفاية المسائل وغيرها من التصانيف بعد ان اضر عدة سنين وكان مولده سنة اربعمائة والقاضي ابو عبد الله الحسين بن علي البغدادي المعروف بابن البقال وهو من شيوخ أصحاب الشافعي وكان اليه القضاء بباب الازج وحج لما انقطع الحج على سبيل التجريد واسمعيل بن مسعدة بن اسمعيل بن احمد بن ابراهيم ابو القاسم الاسماعيلي الجرجاني ومولده سنة اربع واربعمائة وكان اماما فقيها شافعيا محدثا اديبا وداره مجمع العلماء

(ثم دخلت سنة ثمان وسبعين واربعمائة)

(ذكر استيلاء الفرنج على مدينة طليطلة)

في هذه السنة استولى الفرنج لعنهم الله على مدينة طليطلة من بلاد الاندلس واخذوها من المسلمين وهي من أكبر البلاد واحصنها وسبب ذلك ان الاذفونش ملك الفرنج بالاندلس كان قد قوي شانه وعظم ملكه وكثرت عساكره مذ تفرقت بلاد الاندلس وصار كل بلد بيد ملك فصار وامثل ملوك الطوائف فحينئذ طمع الفرنج فيهم واخذوا كثيرا من ثغورهم وكان قد خدم قبل ذلك صاحبها القادر بالله بن المامون بن يحيى

فضاق خناق المترجم فاحتال بان ارسل محمد كتخداه يطلب الصلح مع الباشا فانشرح لذلك وفرح واعتقد صحة ذلك وانعم على الكتخدا وعبي هدية جليلة لمخدومه من ملابس وفراوي واسلحة وخيام ونقود وغير ذلك وعند ها قضى الكتخدا اشغاله من مطلوبات مخدومه واحتياجاته له ولاتباعه وامرائه ووسق مراكب وذهب بها جهارا من غير ان يتعرض له احد وذهب صحبته السلحدار وموسى البارودي ثم عاد الكتخدا ثانيا وصحبته السلحدار وموسى البارودي وذكروا انه يطلب كشوفية الفيوم وبني سويف والجيزة والبحيرة ومائتي بلد من الغربية والمنوفية والدقهلية يستغل فائظها ويجعل اقامته بالجيزة ويكون تحت الطاعة فلم يرض الباشا بذلك وقال اننا صالحنا باقي الامراء واعطيناهم من حدود جرجا بالشروط التي شرطناها عليهم وهو داخل في ضمنهم فرجع محمد كتخدا له بالجواب بعد ان قضى اشغاله واحتياجاته ولوازمه من امتعة وخيام وسروج وغير ذلك وتمت حيلته وقضى اغراضه وذهب الى الفيوم وتحارب جنده مع جند ياسين بك وانخذل فيها

ياسين بك ثم عاد شاهين بك الالفي بجند كثير بعد شهور الى بر الجيزة وخرج محمد علي باشا

عليه بشئ قبضوا عليه وأخذوا امامه وعاقبوه فامتنع الباعة والمتسببون وغيرهم من الذهاب اليهم بشئ مطلقا

لمحاربته بنفسه فكانت له الغلبة وقتل فى هذه الواقعة على كاشف الذى كان تزوج بزوجة حسن بك الجداوى وهى بنت حسن بك شنن رآه الاخصام متجملا فظنوه الباشا فاحاطوا به واخذوه اسيرا ثم قتلوه ورجع الباشا الى برمصر واجتهد فى تشهيل تجريدة أخرى وكل ذلك مع طول المدى (وفى اثناء ذلك) مات بشتك بك المعروف بالالفى الصغير مبطونا بناحية قبلى ثم ان المترجم خرج من الفيوم فى اوائل المحرم من السنة المذكورة وكان حسن باشا طاهر بناحية جزيرة الهواء بمن معه من العساكر فكانت بينهما واقعة عظيمة انهزم فيها حسن باشا الى الرقق وادركه أخوه عابدين بك فاقام معه بالرقق كما تقدم وحضر الالفى الى برا الجيزة وانبابة وخرجت اليهم العساكر فكانت بينهم واقعة بسوق الغنم ظهر عليهم فيها ايضا ثم سار مجراوعدى من عسكره وجنده جملة الى السبكية فاخذوا منها ما اخذوه وعادوا الى أستاذهم بالطرانة ثم انه انتقل راحلا الى البحيرة وحرب دمنهور ومحاصرتها وكانوا قد حصنوها غاية التحصين فلم يقدر عليها فعاد الى ناحية وردان ثم رجع الى حوش ابن عيسى لانه بلغه وصول مراكب وبها امين بك قابجه وعدة عساكر من النظام الجديد واشخاص من الانكليز لانه كان مع ماهو فيه من التنقلات والحروب يراسل الدولة والانكليز وارسل بالخصوص امين بك الى صغيرا

ابن ذى النون وعرف من اين يؤتى البلد وكيف الطريق الى ملكه فلما كان الآن جمع الاذفونش عساكره وسار الى مدينة طليطلة فحصرها سبع سنين واخذها من القادر فازداد قوة الى قوته وكان المعتمد على الله ابو عبد الله محمد بن عباد اعظم ملوك الاندلس من المسلمين وكان يملك اكثر البلاد مثل قرطبة واشبيلية وكان يؤدى الى الاذفونش ضريبة كل سنة فلما ملك الاذفونش طليطلة ارسل اليه المعتمد الضريبة على عادته فردها عليه ولم يقبلها منه فارسل اليه يتهدده ويتوعده انه يسير الى مدينة قرطبة ويتملكها الا ان يسلم اليه جميع الحصون التى فى الجبل ويبقى السهل للمسلمين وكان الرسول فى جمع كثير كانوا خمسمائة فارس فانزله محمد بن عباد وفرق اصحابه على قواد عسكره ثم امر كل من عنده منهم رجل ان يقتله واحضر الرسول وصفعه حتى خرجت عيناه وسلم من الجماعة ثلاثة نفر فعادوا الى الاذفونش فاخبروه الخبر وكان متوجها الى قرطبة ليحاصرها فلما بلغه الخبر عاد الى طليطلة ليجمع آلات الحصار ورحل المعتمد الى اشبيلية

(ذكر استيلاء ابن جهير على آمد)

فى المحرم من هذه السنة ملك ابن جهير مدينة آمد وسبب ذلك ان فخر الدولة بن جهير كان قد أنفذ اليها ولده زعيم الرؤساء أبا القاسم ومعه جناح الدولة المعروف بالمقدم السالار واراد واقلاع كرومها وبساتينها ولم يطمع مع ذلك فى فتحها لحصانتها فمع أهلها الجوع وتعذرت الاقوات وكادوا يهلكون وهم صابرون على الحصار غير مكترثين به فاتفق ان بعض الجند نزل من السور لحاجة لهم وتركوا أسلحتهم مكانها فصعد الى ذلك المكان عدد من العامة تقدمهم رجل من السواد يعرف بابى الحسن فلبس السلاح ووقف على ذلك المكان ونادى بشعار السلطان وفعل من معه كفعله وطلبوا زعيم الرؤساء فاتاهم وملك البلد واتفق اهل المدينة على نهب بيوت النصارى لما كانوا يلقون من نواب بنى مروان من الجور والحكم وكان اكثرهم نصارى فانتقموا منهم

(ذكر ملكه ايضا ميافارقين)

وفى هذه السنة ايضا فى سادس جمادى الآخرة ملك فخر الدولة ميافارقين وكان مقيما على حصارها فوصل اليه سعد الدولة كوهرائين فى عسكره فجد له فى القتال فسقط من سورها قطعة فلما رأى اهلها ذلك نادوا بشعار ملكشاه وسلموا البلد الى فخر الدولة واخذ جميع ما استولى عليه من اموال بنى مروان وانفذه الى السلطان مع ابنه زعيم الرؤساء فانحدر هو وكوهرائين الى بغداد وسار زعيم الرؤساء منها الى اصبهان فوصلها فى شوال واوصل ما معه الى السلطان

(ذكر ملك جزيرة ابن عمر)

فى هذه السنة أرسل فخر الدولة جيشا الى جزيرة ابن عمر وهى لبنى مروان أيضا فحصروها فثار دلل بيت من اهلها يقال لهم بنو وهبان وهم من اعيان اهلها وقصدوا بابا للبلد

صغيرا يقال له باب البوبية لا يسلكه الا الرجالة لانه يصعد اليه من ظاهر البلد بدرج فكسروه وادخلوا العسكر فملكه وانقرضت دولة بنى مروان فسبحان من لا يزول ملكه وهؤلاء بنو وهبان الى يومنا هذا كلما جاء الى الجزيرة من يحصرها يخرجون من البلد ولم يبق منهم من له شوكة ولا منزلة يفعل بها شيئا وانما بتلك الحركة يؤخذون الى الآن

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى ربيع الاول وصل أمير الجيوش فى عساكر مصر الى الشام فحصر دمشق وبها صاحبها تاج الدولة تتش فضيق عليه وقاتله فلم يظفر منها بشئ فرحل عنها عائدا الى مصر وفيها كانت الفتنة بين اهل الكرخ وسائر المحال من بغداد وأحرقوا من نهر الدجاج درب الآجر وما قاربه وارسل الوزير أبو شجاع جماعة من الجند ونهاهم عن سفك الدماء تحرجا من الاثم فلم يمكنهم تلافى الخطب فعظم وفيها كانت زلزلة شديدة بخوزستان وفارس وكان أشدها بارجان فسقطت الدور وهلك تحتها خلق كثير وفيها فى ربيع الاول هاجت ريح عظيمة سوداء بعد العشاء وكثر الرعد والبرق وسقط على الارض رمل احمر وتراب كثير وكانت النيران تضطرم فى اطراف السماء وكان اكثرها بالعراق وبلاد الموصل فالقت النخيل والاشجار وسقط معها صواعق فى كثير من البلاد حتى ظن الناس ان القيامة قد قامت ثم انجلى ذلك نصف الليل وفيها فى ربيع الآخر توفى امام الحرمين أبو المعالى عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجوينى ومولده سنة سبع عشرة واربعمائة وهو الامام المشهور فى الفقه والاصولين وغيرهما من العلوم وسمع الحديث من أبى محمد الجوهرى وغيره وفيها فى ذى الحجة توفى محمد بن احمد بن عبد الله بن احمد بن الوليد أبو على المتكلم كان احد رؤسا المعتزلة وائمتهم ولزم بيته خمسين سنة لم يقدر على ان يخرج منه من عامة بغداد وأخذ الكلام عن أبى الحسين البصرى وعبد الجبار الهمذانى القاضى ومن جملة تلاميذه ابن برهان وهو أكبر منه وفى هذه السنة توفى القاضى أبو الحسن هبة الله بن محمد بن السيبى قاضى الحريم بنهر معلى ومولده سنة أربع وتسعين وثلثمائة وكان يذاكر الامام المقتدى بامر الله وولى ابنه أبو الفرج عبد الوهاب بين يدى قاضى القضاة بن الدامغانى وفيها فى جمادى الاولى توفى أبو العز بن صدقة وزير شرف الدولة ببغداد وكان قد قبض عليه شرف الدولة وسجنه بالرحبة فهرب منها الى بغداد فمات بعد وصوله الى مامنه باربعة أشهر وكان كريما متواضعا لم تغيره الولاية عن اخوانه وفيها فى رجب توفى قاضى القضاة أبو عبد الله بن الدامغانى ومولده سنة ثمان وتسعين وثلثمائة ودخل بغداد سنة تسع عشرة وأربعمائة وكان قد صحب القاضى أبا العلاء بن صاعد وحضر ببغداد مجلس أبى الحسين القدورى وولى قضاء القضاة بعده القاضى أبو بكر بن المظفر بن بكران الشامى وهو من أكبر اصحاب القاضى أبى الطيب الطبرى وفيها توفى عبد الرحمن بن مامون بن على

الانكليز فسعوا مع الدولة بمساعدته وحضروا اليه بمطلوبه فعمل لهم بحوش ابن عيسى شنكا وارسلهم مع امين بك الى الامراء القبليين فلما بلغ محمد على باشا ذلك راسل الامراء القبليين وداهنهم وارسل لهم الهدايا فراجت أموره عليهم مع ما فى صدورهم من الغل للمترجم (وفى) اثر ذلك حضر قبطان باشا الى الاسكندرية ووردت السعاة بخبر وروده وان بعده واصل موسى باشا واليا على مصر وبالعفو عن المصريين وكان من خبر هذه القضية والسبب فى حركة القبطان ارساليات الالفى للانكليز ومخاطبة الانكليز الدولة ووزيرها المسمى محمد باشا السلحدار واصله مملوك السلطان مصطفى ولا يخفى الميل الى الجنسية فاتفق انه اختلى بسليمان اغا تابع صالح بك الوكيل الذى كان يوسف باشا الوزير قلده سلحدارا وارسله الى اسلامبول وساله عن المصريين هل بقى منهم غير الالفى فقال له جميع الرؤساء موجودون وعددهم له وهم ومماليكهم يبلغون الفين وزيادة فقال انى ارى تمليكهم ورجوعهم على شروط نشترطها عليهم أولى من تمادى العداوة بينهم وبين هذا الذى ظهر من العسكر وهو رجل جاهل متحيل وهم لا يسهل بهم اجلاؤهم عن أوطانهم وأولادهم وسيادتهم التى ورثوها عن اسلافهم فيتمادى الحال والحروب بينهم وبينه واحتياج الفريقين الى جمع العساكر وكثرة

هذا المتغلب واخراجه وتولية خلافه فما رأيك في ذلك فقال له سليمان لا رأي عندي في ذلك وخاف ان يكون كلامه له باطنا خلاف الظاهر وادرك منه ذلك فحلف له عند ذلك الوزير ان كلامه وخطابه له على ظاهره وحقيقته لكن لابد من مصلحة للخزينة العامرة فقال له سليمان اغا اذا كان كذلك ابعثوا الى الالفي باحضار كتخداه محمد اغا لانه رجل يصلح للمخاطبة لمثل ذلك ففعل وحضر المذكور في اقرب وقت وتمموا الامر على مصلحة ألف وخمسمائة كيس كفلها محمد كتخدا المذكور يدفعها القبطان باشا عند وصوله بيد سليمان أغا المذكور وكفالته أيضا لمحمد كتخدا بعد اتمام الشروط التي قررها له مخدومه ومن جملتها اطلاق بيع المماليك وشرائهم وجلب الجلابين لهم الى مصر كعادتهم فانهم كانوا منعوا ذلك من نحو ثلاث سنوات وغير ذلك وسافر كل من سليمان اغا الوكيل ومحمد كتخدا بهجبة قبودان باشا حتى طلعوا على ثغر سكندرية فركب صحبة سلحدار القبودان فتلاقوا مع المترجم بالبحيرة وأعلموه بما حصل فامتلأ فرحا وسرورا وقال لسليمان أغا اذهب الى اخواننا بقبلي واعرض عليهم الامر ولا يخفى اننا الآن ثلاثة وسار

ابو سعد المتولي مدرس النظامية وهو من اصحاب القاضي حسين المروزي وتم كتاب الابانة

(ثم دخلت سنة تسع وسبعين وأربعمائة)

(ذكر قتل سليمان بن قتلمش)

لما قتل سليمان بن قتلمش شرف الدولة مسلم بن قريش على ما ذكرناه ارسل الى ابن الحتيتي العباسي مقدم اهل حلب يطلب منه تسليمها اليه فانفذ اليه واستمهله الى ان يكاتب السلطان ملكشاه وأرسل ابن الحتيتي الى تتش صاحب دمشق يعده ان يسلم اليه حلب فسار تتش طالبا الحلب فعلم سليمان بذلك فسار نحوه بجدا فوصل الى تتش وقت السحر على غير تعبية فلم يعلم به حتى قرب منه فعبى اصحابه وكان الامير ارتق ابن اكسب مع تتش وكان منصورا لم يشهد حربا الا وكان الظفر له وقد ذكرنا فيما تقدم حضوره مع ابن جهير على آمد واطلاقه شرف الدولة من آمد فلما فعل ذلك خاف ان ينهى ابن جهير ذلك الى السلطان ففارق خدمته ولحق بتاج الدولة تتش فاقطعه البيت المقدس وحضر معه هذه الحرب فابلى فيها بلاء حسنا وحرض العرب على القتال فانهزم اصحاب سليمان وثبت وهو في القلب فلما رأى انهزام عساكره اخرج سكينا معه فقتل نفسه وقيل بل قتل في المعركة واستولى تتش على عسكره وكان سليمان بن قتلمش في السنة الماضية في صفر قد انفذ جثة شرف الدولة الى حلب على بغل ملفوفة في ازار وطلب من اهلها ان يسلموها اليه وفي هذه السنة في صفر ارسل تتش جثة سليمان في ازار ليسلموها اليه فاجابه ابن الحتيتي انه يكاتب السلطان ومهما امره فعل فحصر تتش البلد واقام عليه وضيق على اهله وكان ابن الحتيتي قد سلم كل برج من ابراجها الى رجل من اعيان البلد ليحفظه وسلم برجا فيها الى انسان يعرف بابن الرعوي ثم ان ابن الحتيتي اوحشه بكلام اغلظ له فيه وكان هذا الرجل شديدا لقوة وراى ما الناس فيه من الشدة فدعاه ذلك الى ان ارسل الى تتش يستدعيه ويواعده ليلة يرفع الرجال الى السور في الحبال فاتى تتش للميعاد الذي ذكره فاصعد الرجال في الحبال والسلاليم وملك تتش المدينة واستجار ابن الحتيتي بالامير ارتق فشفع فيه واما القلعة فكان بها سالم بن مالك بن بدران وهو ابن عم شرف الدولة مسلم بن قريش فاقام تتش يحصر القلعة سبعة عشر يوما فبلغه الخبر بوصول مقدمة اخيه السلطان ملكشاه فرحل عنها

(ذكر ملك السلطان حلب وغيرها)

كان ابن الحتيتي قد كاتب السلطان ملكشاه يستدعيه ليسلم اليه حلب لما خاف تاج الدولة تتش فسار اليه من اصبهان في جمادى الآخرة وجعل على مقدمته الامير برسق وبوزان وغيرهما من الامراء وجعل طريقه على الموصل فوصلها في رجب وسار منها فلما وصل الى حران سلمها اليه ابن الشاطر فاقطعها السلطان محمد بن شرف الدولة

وسار الى الرها وهى بيد الروم فحصرها وملكها وكانوا قد اشتروها من ابن عطير وتقدم ذكر ذلك وسار الى قلعة جعبر فحصرها يوما وليلة وملكها وقتل من بها من بنى قشير وأخذ جعبر من صاحبها وهو شيخ أعمى وولدين له وكانت الاذية بهم عظيمة يقطعون الطرق ويلجؤن اليها ثم عبر الفرات الى مدينة حلب فملك فى طريقه مدينة منبج فلما قارب حلب رحل عنها أخوه تتش وكان قد ملك المدينة كما ذكرناه وسار عنها يسلك البرية ومعه الامير أرتق فاشار بكبس عسكر السلطان وقال انهم قد وصلوا وبهم وبدوابهم من التعب ما ليس عندهم معه امتناع ولو فعل لظفر بهم فقال تتش لا أكسر جاه أخى الذى أنا مستظل بظله فانه يعود بالوهن على أولا وسار الى دمشق ولما وصل السلطان الى حلب تسلم المدينة وسلم اليه سالم بن مالك القلعة على ان يعوضه عنها قلعة جعبر وكان سالم قد امتنع بها أولا فامر السلطان ان يرمى اليه رشقا واحدا بالسهام فرمى الجيش فكادت الشمس تحتجب لكثرة السهام فصانع عنها بقلعة جعبر وسلمها وسلم السلطان اليه قلعة جعبر فبقيت بيده وبيد أولاده الى ان أخذها منهم نور الدين محمود بن زنكى على ما نذكره ان شاء الله تعالى وأرسل اليها الامير نصر بن على ابن منقذ الكنانى صاحب شيزر فدخل فى طاعته وسلم اليه لاذقية وكفرطاب وفامية فاجابه الى المسالمة وترك قصده واقر عليه شيزر ولما ملك السلطان حلب سلمها الى قسيم الدولة آقسنقر فعمرها واحسن السيرة فيها وأما ابن الحتيتى فانه كان واثقا باحسان السلطان ونظام الملك اليه فانه استدعاه فلما ملك السلطان البلد طلب أهله ان يعفيهم من ابن الحتيتى فاجابهم الى ذلك واستصحبه معه وأرسله الى ديار بكر فافتقر وتوفى بها على حال شديدة من الفقر وقتل ولده بانطاكية قتله الفرنج لما ملكوها

(ذكر وفاة بهاء الدولة منصور بن نزيد وولاية ابنه صدقة)

فى هذه السنة فى ربيع الاول توفى بهاء الدولة أبو كامل منصور بن دبيس بن على بن نزيد الاسدى صاحب الحلة والنيل وغيرهما على ما يجاورهما ولما سمع نظام الملك خبر وفاته قال مات أجل صاحب عمامة وكان فاضلا قرأ على على بن برهان فبرع بذكائه فى الذى استفاده منه وله شعر حسن فمنه

فان أنالم أحل عظيما ولم أقد ✻ لها ماولم أصبر على فعل معظم
ولم أجر الجانى وأمنع حوزه ✻ علام أنادى للفخار وأنتمى

وله فى صاحب له يكنى ابا مالك يرثيه

فان كان اودى خدننا وند يمنا ✻ ابو مالك فالنائبات تنوب
فكل ابن انثى لامحالة ميت ✻ وفى كل حى للمنون نصيب
ولو ردحزن او بكاء لهالك ✻ بكيناه ماهبت صبا وجنوب

ولما توفى ارسل الخليفة الى ولده سيف الدولة صدقة نقيب العلويين أبا الغنائم يعزيه وسار سيف الدولة الى السلطان ملكشاه فخلع عليه وولاه ما كان لابيه وا كثر الشعراء

كل طائفة خمسمائة كيس فاذا استلمت منهم الالف كيس ورجعت الى سلمتك الخمسمائة كيس فركب المذكور وذهب اليهم واجتمع بهم واخبرهم بصورة الواقع وطلب منهم ذلك القدر فقال البرديسى حيث ان الامر بلغ من قدره انه يخاطب الدول والقرانات ويراسلهم ويتمم اغراضه منهم ويولى الوزراء ويعزلهم بمراده ويتعين قبودان باشا فى حاجته فهو يقوم بدفع المبلغ بتمامه لانه صار الآن هو الكبير ونحن الجميع اتباع له وطوائف خلفه بما فيه والدنا وكبيرنا ابراهيم بك وعثمان بك حسن وخلافه فقال سليمان اغا هو على كل حال واحد منكم واخوكم ثم انه اختلى مع ابراهيم بك الكبير وتكلم معه فقال ابراهيم بك انا ارضى بدخولى اى بيت كان واعيش ما بقى من عمرى مع عيالى واولادى تحت امارة اى من كان من عشيرتنا اولى من هذا الشتات الذى نحن فيه ولكن كيف افعل فى الرفيق المخالف وهذا الذى حصل لنا كله بسوء تدبيره ونحسه وعشت انا ومراد بك المدة الطويلة بعد موت أستاذنا وانا اتغاضى

عن افعاله وافعال اتباعه واساحهم فى زلاتهم كل ذلك حذرا وخوفا من وقوع الشر والقتل والعداوة الى ان مات

مراتى بهاء الدولة

(ذكر وقعة الزلاقة بالاندلس وهزيمة الفرنج)

قد تقدم ذكر ملك الفرنج طليطلة وما فعله المعتمد بن عباد برسول الاذفونش ملك الفرنج وعود المعتمد الى اشبيلية فلما عاد اليها وسمع مشايخ قرطبة بما جرى ورأوا قوة الفرنج وضعف المسلمين واستعانة بعض ملوكهم بالفرنج على بعض اجتمعوا وقالوا هذه بلاد الاندلس قد غلب عليها الفرنج ولم يبق منها الا القليل وان استمرت الاحوال على ما نرى عادت نصرانية كما كانت وساروا الى القاضى عبد الله بن محمد بن ادهم فقالوا له الا تنظر الى ما فيه المسلمون من الصغار والذلة واعطائهم الجزية بعد أن كانوا يأخذونها وقد رأينا رأيا نعرضه عليك قال ما هو قالوا نكتب الى عرب افريقية ونبذل لهم اذا وصلوا الينا قاسمناهم اموالنا وخرجنا معهم مجاهدين فى سبيل الله قال نخاف اذا وصلوا الينا يخربون بلادنا كما فعلوا بافريقية ويتركون الفرنج ويبدؤن بكم والمرابطون اصلح منهم واقرب الينا قالوا له فكاتب امير المسلمين وأرغب اليه ليعبر الينا ويرسل بعض قواده وقدم عليهم المعتمد بن عباد وهم فى ذلك فعرض عليه القاضى ابن ادهم ما كانوا فيه فقال له ابن عباد انت رسولى اليه فى ذلك فامتنع وانما اراد ان يبرئ نفسه من تهمة فالح عليه المعتمد فسار الى امير المسلمين يوسف بن تاشفين فابلغه الرسالة واعلمه ما فيه المسلمون من الخوف من الاذفونش وكان امير المسلمين بمدينة سبتة ففى الحال امر بعبور العساكر الى الاندلس وارسل الى مراكش فى طلب من بقى من عساكره فاقبلت اليه تتلو بعضها بعضا فلما تكاملت عنده عبر البحر وسار فاجتمع بالمعتمد بن عباد باشبيلية وكان قد جمع عساكره ايضا وخرج من اهل قرطبة عسكر كثير وقصده المطوعة من سائر بلاد الاندلس ووصلت الاخبار الى الاذفونش فجمع فرسانه وسار من طليطلة وكتب الى امير المسلمين كتابا كتبه له بعض ادباء المسلمين يغلظ له القول ويصف ما عنده من القوة والعدد والعدد وبالغ الكاتب فى الكتاب فامر امير المسلمين ابا بكر بن القصيرة ان يجيبه وكان كاتبا مفلقا فكتب فاجاد فلما قراه على أمير المسلمين قال هذا كتاب طويل احضر كتاب الاذفونش واكتب فى ظهره الذى يكون ستراه فلما عاد الكتاب الى الاذفونش ارتاع لذلك وعلم انه بلى برجل له عزم وحزم فازداد استعدادا فرأى فى منامه كانه راكب فيل وبين يديه طبل صغير وهو ينقر فيه فقص رؤياه على القسيسين فلم يعرفوا تأويلها فاحضر رجلا مسلما عالما بتعبير الرؤيا فقصها عليه فاستعفاه من تعبيرها فلم يعفه فقال تأويل هذه الرؤيا من كتاب الله العزيز وهو قوله تعالى ألم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل السورة وقوله تعالى فاذا نقر فى الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير ويقتضى هلاك هذا الجيش الذى تجمعه فلما اجتمع جيشه رأى كثرته فاعجبته فاحضر ذلك المعبر وقال له بهذا الجيش ألقى اله محمد صاحب كتابكم فانصرف المعبر وقال لبعض المسلمين هذا الملك هالك وكل من معه

وخلف هؤلاء الجماعة المجانين وترأس البرديسى عليهم مع غياب اخيه الالفى وداخله الغرور وركن الى ابناء جنسه وصادقهم واغتر بهم وقطع رحمه وفعل بالالفى الذى هو خشداشه واخوه ما فعل ولا يستمع لنصح ناصح اولا وآخرا ومازال سليمان اغا يتفاوض معهم فى ذلك اياما الى ان اتفق مع ابراهيم بك على دفع نصف المصلحة ويقوم المترجم بالنصف الثانى فقال سلمونى القدر اذهب به واخبره بما حصل فقالوا حتى ترجع اليه وتعلمه وتطيب خاطره على ذلك لئلا يقبضه ثم يطالبنا بغيره فلما رجع اليه واخبره بما دار بينهم قال أما قولهم انى اكون اميرا عليهم فهذا لا يتصور ولا يصح انى اتعاظم على مثل والدى ابراهيم بك وعثمان بك حسن ولا على من هو فى طبقتى من خشداشينى على ان هذا لا يعيبهم ولا ينقص مقدارهم بان يكون المتامر عليهم واحدا منهم ومن جنسهم وذلك امر لم يخطر لى ببال وارضى بادنى من ذلك ويأخذوا على عهدا بما أشترطه على نفسى اننا اذا عدنا الى اوطاننا ان لا أداخلهم فى شئ ولا اقارشهم فى امر وان يكون كبيرنا والدنا ابراهيم بك على عادته ويسمحوا لى باقامتى بالجيزة ولا اعارضهم فى شئ واقنع بايرادى الذى كان بيدى سابقا فانه يكفينى وان اعتقدوا غدرى لهم فى المستقبل بسبب ما فعلوه معى

وذكر

وذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات الحديث وفيه واعجاب المرء بنفسه وساواه امير المسلمين والمعتمد بن عباد حتى أتوا ارضا يقال لها الزلاقة من بلد بطليوس وأتى الاذفونش فنزل موضعا بينه وبينهم ثمانية عشر ميلا فقيل لامير المسلمين ان ابن عباد رجل ينصح ولا يبذل نفسه دونك فارسل اليه امير المسلمين يأمره ان يكون في المقدمة ففعل ذلك وسار وقد ضرب الاذفونش خيامه في لحف جبل والمعتمد في سفح جبل يتراءون وينزل امير المسلمين وراء الجبل الذي عنده المعتمد وظن الاذفونش ان عساكر المسلمين ليس الا الذي يراه وكان الفرنج في خمسين الفا فتيقنوا الغلب وارسل الاذفونش الى المعتمد في ميقات القتال وقصده الملك فقال غدا الجمعة وبعده الاحد فيكون اللقاء يوم الاثنين فقد وصلنا على حال تعب واستقر الامر على هذا وركب ليلة الجمعة سحرا وصبح بجيشه جيش المعتمد بكرة الجمعة غدرا وظنا منه ان ذلك الخميس هو جميع عسكر المسلمين فوقع القتال بينهم فصبر المسلمون فاشرفوا على الهزيمة وكان المعتمد قد ارسل الى امير المسلمين يعلمه بمجيء الفرنج للحرب فقال احملوني الى خيام الفرنج فسار اليها فبيناهم في القتال وصل امير المسلمين الى خيام الفرنج فنهبها وقتل من فيها فلما رأى الفرنج ذلك لم يتماسكوا أن انهزموا واخذهم السيف وتبعهم المعتمد من خلفهم ولقيهم امير المسلمين من بين يديهم ووضع فيهم السيف فلم يفلت منهم احد ونجا الاذفونش في نفر يسير وجعل المسلمون من رؤس القتلى أكواما كثيرة فكانوا يؤذنون عليها الى ان جيفت فاحرقوها وكانت الوقعة يوم الجمعة في العشر الاول من شهر رمضان سنة تسع وسبعين واصاب المعتمد جراحات في وجهه وظهرت ذلك اليوم شجاعته ولم يرجع من الفرنج الى بلادهم غير ثلثمائة فارس وغنم المسلمون كل مالهم من مال وسلاح ودواب وغير ذلك وعاد ابن عباد الى اشبيلية ورجع امير المسلمين الى الجزيرة الخضراء وعبر الى سبتة وسار الى مراكش فاقام بها الى العام المقبل وعاد الى الاندلس وحضر معه المعتمد بن عباد في عسكره وعبد الله ابن بلكين الصنهاجي صاحب غرناطة في عسكره وساروا حتى نزلوا على ليط وهو حصن منيع بيد الفرنج فحصروه حصرا شديدا فلم يقدروا على فتحه فرحلوا عنه بعد مدة ولم يخرج اليهم احد من الفرنج لما اصابهم في العام الماضي فعاد ابن عباد الى اشبيلية وعاد امير المسلمين على غرناطة وهي طريقه ومعه عبد الله بن بلكين فغدر به امير المسلمين واخذ غرناطة منه واخرجه منها فرأى في قصوره من الاموال والذخائر مالم يحوه ملك قبله بالاندلس ومن جملة ما وجده سجة فيها اربعمائة جوهرة قومت كل جوهرة بمائة دينار ومن الجواهر ماله قيمة جليلة الى غير ذلك من الثياب والعدد وغيرها واخذ معه عبد الله واخاه تميما ابني بلكين الى مراكش فكانت غرناطة اول ماملكه من بلاد الاندلس وقد ذكرنا فيما تقدم سبب دخول صنهاجة الى الاندلس وعود من عاد منهم الى المغرب افريقية وكان آخر من بقي منهم بالاندلس هذا عبد الله واخذت مدينته ورحل الى العدوة ولما رجع امير المسلمين الى مراكش اطاعه من

ذلك كله فان حسين بك المذكور مملوكي وليس هو ابي ولا ابني من صلبي وانما هو مملوكي اشتريته بالدراهم واشتري غيره ومملوكي مملوكهم وقد قتل لي عدة امراء ومماليك في الحروب فافرضه من جملتهم ولا يصيبني ويصيبهم الا ما قدره الله علينا وعلى ان الذي فعلوه بي لم يكن لسابق ذنب ولا جرم حصل مني في حقهم بل كنا جميعا اخوانا وتذكروا اشارتي عليهم السابقة في الالتجاء الى الانكليز وندموا على مخالفتي بعد الذي وقع لهم ورجعوا الى ثم أجمع رأيهم على سفري الى بلاد الانكليز فامتثلت ذلك وتجشمت المشاق وخاطرت بنفسي وسافرت الى بلاد الانكليز وقاسيت أهوال البحار سنة وأشهرا كل ذلك لاجل راحتي وراحتهم وحصل ما حصل في غيابي ودخلوا مصر من غير قياس وبنوا قصورهم على غير اساس واطمانوا الى عدوهم وتعاونوا به على هلاك صديقهم وبعد أن قضى غرضه منهم غدرهم وأحاط بهم وأخرجهم من البلدة وأهانهم وشردهم واحتال عليهم ثانيا يوم قطع الخليج فراجت حيلته عليهم أيضا وارسلت اليهم فنصحتهم فاستغشوني وخالفوني ودخل الكثير منهم البلد وانحصروا في ازقتها وجرى عليهم ما جرى من القتل الشنيع والاسر

ويثبطهم عما فيه النجاح لهم وما أظن ان الغفلة استحكمت فيهم الى هذا الحد فارجع اليهم وذكرهم بما سبق لهم من الوقائع فلعلهم ينتبهون من سكراتهم ويرسلون معك الثلثين أو النصف الذى سمح به والدنا ابراهيم بك وهذا القدر ليس فيه كبير مشقة فانهم اذا وزعوا على كل أمير عشرة أكياس وعلى كل كاشف خمسة اكياس وكل جندى أو مملوك كيسا واحدا اجتمع المبلغ وزيادة وأنا افعل مثل ذلك مع قومى والحمد لله لاسواهم ولانحن مفاليس وثمرة المال قضاء مصالح الدنيا ومانحن فيه الآن من أهم المصالح وقل لهم البدار قبل فوات الفرصة والخصم ليس بغافل ولا مهمل والعثمانيون عبيد الدرهم والدينار فلما فرغ من كلامه ودعه سليمان أغا ورجع الى قبلى فوجد الجماعة أصروا على عدم دفع شئ ورجح ابراهيم بك أيضا الى قولهم ورأيهم ولما ألقى لهم سليمان أغا العبارات التى قالها صاحبهم وانه يكون تحت أمرهم ونهيهم ويرضى بادنى المعاش معهم ويسكن الجيزة الى آخر ما قال قالوا هذا والله كله كلام لا أصل له ولا ينسى ثاره وما فعلناه فى حقه وحق أتباعه ولو اعتزل عنا وسكن قلعة الجبل فهو الالفى الذى

كان لم يطعه من بلاد السوس وورغة وقلعة مهدى وقال له علماء الاندلس انه ليست طاعته واجبة حتى يخطب للخليفة ويأتيه تقليد منه بالبلاد فارسل الى الخليفة المقتدى بامر الله ببغداد فاتاه الخلع والاعلام والتقليد والقب بامير المسلمين وناصر الدين

(ذكر دخول السلطان الى بغداد)

فى هذه السنة دخل السلطان ملكشاه بغداد فى ذى الحجة بعد ان فتح حلب وغيرها من بلاد الشام والجزيرة وهى اول قدمة قدمها ونزل بدار المملكة وركب من الغد الى الحلبة ولعب بالجوكان والكرة وأرسل الى الخليفة هدايا كثيرة فقبلها الخليفة ومن الغد أرسل نظام الملك الى الخليفة خدمة كثيرة فقبلها وزار السلطان ونظام الملك مشهد موسى بن جعفر وقبر معروف واحد بن حنبل وابى حنيفة وغيرها من القبور المعروفة فقال ابن زكرويه الواسطى يهنى نظام الملك بقصيدة منها

زرت المشاهد مزورة * مشهودة ارضت مضاجع من بها مدفون
فكانك الغيث استهل بتربها * وكانها بك روضة ومعين
فازت قداحك بالثواب وانجحت * ولك الالاه على النجاح ضمين

وهى مشهورة وطلب نظام الملك الى دار الخلافة ليلا فمضى فى الزبزب وعاد من ليلته ومضى السلطان ونظام الملك الى الصيد فى البرية فزارا المشهدين مشهد امير المؤمنين على ومشهد الحسين عليهما السلام ودخل السلطان البر فاصطاد شيئا كثيرا من الغزلان وغيرها وامر ببناء منارة القرون بالسبيعى وعاد السلطان الى بغداد ودخل الى الخليفة فخلع عليه الخلع السلطانية ولما خرج من عنده لم يزل نظام الملك قائما يقدم اميرا اميرا الى الخليفة وكلما قدم اميرا يقول هذا العبد فلان بن فلان واقطاعه كذا وكذا وعدة عسكره كذا وكذا الى ان أتى على آخر الامراء وفوض الخليفة الى السلطان امر البلاد والعباد وامره بالعدل فيهم وطلب السلطان ان يقبل يد الخليفة فلم يجبه فسأل ان يقبل خاتمه فاعطاه اياه فقبله ووضعه على عينه وامره الخليفة بالعود فعاد وخلع الخليفة ايضا على نظام الملك ودخل نظام الملك الى المدرسة النظامية وجلس فى خزانة الكتب وطالع فيها كتبا وسمع الناس عليه بالمدرسة جزء حديث واملى جزأ آخر واقام السلطان ببغداد الى صفر سنة ثمانين وسار منها الى اصبهان

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى المحرم جرى بين اهل الكرخ واهل باب البصرة فتنة قتل فيها جماعة من جملتهم القاضى ابو الحسن ابن القاضى ابى الحسين بن الغريق الهاشمى الخطيب اصابه سهم فمات منه ولما قتل تولى ابنه الشريف ابو تمام ما كان اليه من الخطابة وكان العميد كمال الملك الدهستانى ببغداد فسار بخيله ورجله الى القنطرة العتيقة واعان اهل الكرخ ثم جرت بينهم فتنة ثانية فى شوال منها فاعان الحجاج على اهل الكرخ فانهزموا

وبلغ الناس الى درب اللؤلؤ وكاد اهل الكرخ يهلكون فخرج ابو الحسن بن برغوث العلوى الى مقدم الاحداث من السنة فساله العفو فعاد عنهم ورد الناس وفيها زاد الماء بدجلة تاسع عشر حزيران وجاء المطر يومين ببغداد وفيها فى ربيع الاول ارسل العميد كمال الملك الى الانبار فتسلمها من بنى عقيل وخرجت من ايديهم وفيها فى ربيع الآخر فرغت المنارة بجامع القصر واذن فيها وفيها فى جمادى الاولى ورد الشريف أبو القاسم على بن ابى يعلى الحسنى الدبوسى الى بغداد فى تجمل عظيم لم ير مثله لفقيه ورتب مدرسا بالنظامية بعد أبى سعد المتولى وفيها أمر السلطان ان يزاد فى اقطاع وكلاء الخليفة نهر برزى من طريق خراسان وعشرة آلاف دينار من معاملة بغداد وفيها اقطع السلطان ملكشاه محمد بن شرف الدولة مسلم مدينة الرحبة واعمالها وحران وسروج والرقة والخابور وزوجه باخته زليخا خاتون فتسلم البلاد جميعها ما عدا حران فان محمد بن الشاطر امتنع من تسليمها فلما وصل السلطان الى الشام نزل عنها ابن الشاطر فسلمها السلطان الى محمد وفيها وقع ببغداد صاعقتان فكسرت احداهما اسطوانتين وأحرقت قطنا فى صناديق ولم تحترق الصناديق وقتلت الثانية رجلا وفيها كانت زلازل بالعراق والجزيرة والشام وكثير من البلاد فخربت كثيرا من البلاد وفارق الناس مساكنهم الى الصحراء فلما سكنت عادوا وفيها عزل فخر الدولة ابن جهير عن ديار بكر وسلمها السلطان الى العميد أبى على البلخى وجعله عاملا عليها وفيها اسقط اسم الخليفة المصرى من الحرمين الشريفين وذكر اسم الخليفة المقتدى بامر الله وفيها أسقط السلطان المكوس والاجتيازات بالعراق وفيها حصر تميم بن المعز بن باديس صاحب افريقية مدينتى قابس وسفاقس فى وقت واحد وفرق عليها العساكر وفيها فى ربيع الاول توفى أبو الحسن بن فضال المجاشعى النحوى المقرى وفى ربيع الآخر توفى شيخ الشيوخ أبو سعد الصوفى النيسابورى وهو الذى تولى بناء الرباط بنهر المعلى وبنى وقوفه وهو رباط شيخ الشيوخ الآن وبنى وقوف المدرسة النظامية وكان عالى الهمة كثير التعصب لمن يلتجئ اليه وجدد تربة معروف الكرخى بعد ان احترقت وكانت له منزلة كبيرة عند السلطان وكان يقال نحمد الله الذى أخرج رأس ابى سعد من مرقعة ولو اخرجه من قباء لهلكنا وفيها توفى ابو على محمد بن احمد الشيرى البصرى وكان خيرا حافظا للقرآن ذا مال كثير وهو آخر من روى سنن ابى داود السجستانى عن ابى عمر الهاشمى وفيها توفى الشريف ابو نصر الزينبى العباسى نقيب الهاشميين وهو محدث مشهور عالى الاسناد

(ثم دخلت سنة ثمانين واربعمائة)

(ذكر زفاف ابنة السلطان الى الخليفة)

فى المحرم نقل جهاز ابنة السلطان ملكشاه الى دار الخلافة على مائة وثلاثين جملا مجللة بالديباج الرومى وكان أكثر الاحمال الذهب والفضة وثلاث عماريات وعلى اربعة وسبعين

شاع ذكره فى الآفاق ولا تخاطب الدولة غيره وقد كنا فى غيبته لا نطيق عفريتا من عفاريته فكيف يكون هو وعفاريته الجميع ومن ينشئه خلافهم وداخلهم الحقد وزاد فى وساوسهم الشيطان فقال لهم سليمان أغا اقضوا شغلكم فى هذا الحين حتى تنجلى عنكم الاعداء الاغراب ثم اقتلوه بعد ذلك وتستريحوا منه فقالوا هيهات بعد ان يظهر علينا فانه يقتلنا واحدا بعد واحد ويخرجنا الى البلاد ثم يرسل يقتلنا وهو بعيد المكر فلا نامن اليه مطلقا وغرهم الخصم بتمويهاته وارسل اليهم هدايا وخيولا وسروجا واقمشة هذا ورسل القبودان تذهب وتاتى بالمخاطبات والعرضحالات حتى تمموا الامر كما تقدم (وفى اثناء ذلك) ينتظر القبودان جوابا كافيا وسلحداره مقيم أيضا عند المترجم والمترجم يشاغل القبودان بالهدايا والاغنام والذخيرة من الارز والغلال والسمن والعسل وغير ذلك الى ان رجع اليه سليمان أغا بخفى حنين محزونا مهموما متحيرا فيما وقع فيه من الورطة مكسوف البال مع القبودان ووزير الدولة وكيف يكون جوابه للمذكور والقبودان جعل فى الابرة خيطين ليتبع الاروج فلما وصل اليه سليمان أغا واخبره ان الجماعة القبليين لا راحة عندهم وامتنعوا من الدفع ومن الحضور وان المترجم يقوم

وذقن وزير الدولة وقد تحركنا هذه الحركة على ظن ان الجماعة على قلب رجل واحد واذا حصل من المماليك للبلدة عصيان ومخالفة ولم يكن فيهم مكافاة لمقاومته ساعدناهم بجيش من النظام الجديد وغيره وحيث انهم متنافرون ومتحاسدون ومتباغضون فلا خير فيهم وصاحبك هذا لا يكفى فى المقاومة وحده ويحتاج الى كثير المعاونة وهى لا تكون الا بكثرة المصاريف * ولما ظهر لسليمان أغا الغيظ والتغير من القبودان خاف على نفسه ان يبطش به وعرف منه ان المانع له من ذلك غياب السلحدار عند المترجم لانه قال له واين سلحدارى قال هو عند الالفى بالبحيرة فقال اذهب فاتنى به واحضر صحبته وكان موسى باشا المتولى قد حضر أيضا فخاصدق سليمان أغا بقوله ذلك وخلاصه من بين يديه فركب فى الوقت وخرج من الاسكندرية فما هو الا أن بعد عنها مقدار غلوة الا والسلحدار قادم الى سكندرية فساله الى اين يذهب فقال ان مخدومك ارسلنى فى شغل وها أنا راجع اليكم وذهب عند المترجم ولم يرجع (وفى اثناء هذه الايام) كان المترجم يحارب دمنهور وبعث اليه محمد على باشا البعريدة العظيمة التى بذل فيها جهده وفيها جميع عساكر الدلاة

بغلا محملة بانواع الديباج الملكى واجراسها وقلائدها من الذهب والفضة وكان على ستة منها اثنا عشر صندوقا من فضة لا يقدر ما فيها من الجواهر والحلى وبين يدى البغال ثلاثة وثلاثون فرسا من الخيل الرائقة عليها مراكب الذهب مرصعة بانواع الجوهر ومهد عظيم كثير الذهب وسار بين يدى الجهاز سعد الدولة كوهرائين والامير برسق وغيرهما وانثر اهل نهر معلى عليهم الدنانير والثياب وكان السلطان قد خرج عن بغداد متصيدا ثم ارسل الخليفة الوزير ابا شجاع الى تركان خاتون زوجة السلطان وبين يديه نحو ثلثمائة موكبية ومثلها مشاعل ولم يبق فى الحريم دكان الا وقد اشعل فيها الشمعة والاثنتان واكثر من ذلك وارسل الخليفة مع ظفر خادمه محفة لم ير مثلها حسنا وقال الوزير لتركان خاتون سيدنا ومولانا امير المؤمنين يقول ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وقد اذن فى نقل الوديعة الى داره فاجابت بالسمع والطاعة وحضر نظام الملك فمن دونه من اعيان دولة السلطان وكل منهم معه من الشمع والمشاعل الكثير وجاء نساء الامراء الكبار ومن دونهم كل واحدة منهن منفردة فى جماعتها وتحملها وبين ايديهن الشمع الموكبيات والمشاعل يحمل ذلك جميعه الفرسان ثم جاءت الخاتون ابنة السلطان بعد الجميع فى محفة مجللة عليها من الذهب والجواهر اكثر شئ وقد احاط بالمحفة مماليك جاوية من الاتراك بالمراكب العجيبة وسارت الى دار الخلافة وكانت ليلة مشهودة لم ير ببغداد مثلها فلما كان الغد احضر الخليفة أمراء السلطان لسماط امر بعمله حكى ان فيه اربعين الف منا من السكر وخلع عليهم كلهم وعلى كل من له ذكر فى العسكر وارسل الخلع الى الخاتون زوجة السلطان والى جميع الخواتين وعاد السلطان من الصيد بعد ذلك

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة ولد للسلطان ابن من تركان خاتون وسماه محمودا وهو الذى خطب له بالمملكة بعد وفيها سلم السلطان ملكشاه مدينة حلب والقلعة الى مملوكه آقسنقر فوليها واظهر فيها العدل وحسن السيرة وكان زوج دادة السلطان ملكشاه وهى التى تحضنه وتربيه ومات بحلب سنة اربع وثمانين وفيها استبق ساعيان احدهما للسلطان فضلى والآخر للامير قماج مرعوشى فسبق ساعى السلطان وقد تقدم ذكر الفضلى والمرعوشى ايام معز الدولة بن بويه وفيها جعل السلطان ولى عهده ولده ابا شجاع احمد ولقبه ملك الملوك عضد الدولة وتاج الملة عدة امير المؤمنين وارسل الى الخليفة بعد مسيره من بغداد ليخطب له ببغداد بذلك فخطب له فى شعبان ونثر الذهب على الخطباء وفيها فى شعبان انحدر سعد الدولة كوهرائين الى واسط لمحاربة مهذب الدولة بن ابى الجبر صاحب البطائح ولما فارق بغداد كثرت فيها الفتن وفيها فى ذى القعدة ولد للخليفة من ابنة السلطان ولد سماه جعفرا وكناه ابا الفضل وزين البلد لاجل ذلك وفيها استولى العميد كمال الملك ابو الفتح الدهستانى عميد العراق على مدينة هيت اخذها صلحا

صلحا ومضى اليها وعاد عنها فى ذى القعدة وفيها وقعت فتنة بين اهل الكرخ وغيرها من المحال قتل فيها كثير من الناس وفيها كسفت الشمس كسوفا كليا وفيها توفى الامير ابو منصور قتلغ امير الحاج وحج اميرا اثنتى عشرة سنة وكانت له فى العرب عدة وقعات وكانوا يخافونه ولما مات قال نظام الملك مات اليوم الف رجل وولى امارة الحاج نجم الدولة خمارتكين وفيها فى جمادى الاولى توفى اسمعيل بن عبد الله بن موسى بن سعد أبو القاسم الساوى سمع الحديث الكثير من ابى سعيد الصيرفى وغيره وروى عنه الناس وكان ثقة وطاهر بن الحسين ابو الوفاء البندنيجى الهمذانى كان شاعرا اديبا وكان يمدح لاعراض الدنيا ومدح نظام الملك بقصيدتين كل واحدة منهما تزيد على اربعين بيتا احداهما ليس فيها نقطة والاخرى جميع حروفها منقوطة وفيها توفيت فاطمة بنت على المؤدب المعروفة ببنت الاقرع الكاتبة كانت من احسن الناس خطا على طريقة ابن البواب وسمعت الحديث واسمعته وفيها فى ذى القعدة توفى غرس النعمة أبو الحسن محمد بن الصابى صاحب التاريخ وظهر له مال كثير وكان له معروف وصدقة

(ثم دخلت سنة احدى وثمانين واربعمائة)

(ذكر الفتنة ببغداد)

فى هذه السنة فى صفر شرع أهل باب البصرة فى بناء القنطرة الجديدة ونقلوا الآجر فى اطباق الذهب والفضة وبين ايديهم الدبادب واجتمع اليهم أهل المحال وكثر عددهم أهل باب الازج فى خلق لا يحصى واتفق ان كوهرائين سار فى سميرية وأصحابه يسيرون على شاطئ دجلة بسيره فوقف أهل باب الازج على امرأة كانت تسقى الناس من مزملة لها على دجلة فحملوا عليها على عادة لهم وجعلوا يكسرون الجرار ويقولون الماء للسبيل فلما رأت سعد الدولة كوهرائين استغاثت به فامر باعادتهم عنها فضربهم الاتراك بالمقارع فسل العامة سيوفهم وضربوا وجه فرس حاجبه سليمان وهو أخص أصحابه فسقط عن الفرس فحمل كوهرائين الحنق على ان خرج من السميرية اليهم راجلا فحمل أحدهم عليه فطعنه باسفل رمحه فالقاه فى الماء والطين فحمل أصحابه على العامة فقاتلوهم وحرصوا على الظفر بالذى طعنه فلم يصلوا اليه وأخذ ثمانية نفر فقتل أحدهم وقطع اعصاب ثلاثة نفر وأرسل قباءه الى الديوان وفيه اثر الطعنة والطين يستنفر على اهل باب الازج ثم ان اهل الكرخ عقدوا لانفسهم طاقا آخر على باب طاق الحرانى وفعلوا كفعل أهل باب البصرة

(ذكر اخراج الاتراك من حريم الخلافة)

فى هذه السنة فى ربيع الآخر امر الخليفة باخراج الاتراك الذين مع الخاتون زوجته ابنة السلطان من حريم دار الخلافة وسبب ذلك ان تركيا منهم اشترى من طواف فاكهة فقتما كسا فشتم الطواف التركى فاخذ التركى صنجة من الميزان وضرب بها رأس

حتى ألقوا بانفسهم فى البحر ورجعوا فى أسوأ حال فلو تجاسر المترجم وتبعهم لهرب الباقون من البلدة وخرجوا جميعا على وجوههم من شدة ما داخلهم من الرعب ولكن لم يرد الله ذلك ولم يجسروا للخروج عليه بعد ذلك * ولما تحت عنه عشيرته ولم يلبوا دعوته وائتلفوا الطبخة وسافر القبودان وموسى باشا من ثغر سكندرية على الصورة المذكورة استانف المترجم أمرا آخر واسل الانكليز يلتمس منهم المساعدة وان يرسلوا له طائفة من جنودهم ليقوى بهم على محاربة الخصم كما التمس منهم فى العام الماضى فاعتذروا له بانهم صلح مع العثمانى وليس فى قانون الممالك اذا كانوا صلحا ان يتعدوا على المتصادقين معهم ولا يوجهون نحوها عساكر الا باذن منهم أو بالتماس المساعدة فى أمرهم فغاية ما يكون المكالمة والترجى ففعلوا وحصل ما تقدم ذكره ولم يتم الامر فلما خاطبهم بعد الذى جرى صادف ذلك وقوع الغيرة بينهم وبين العثمانى فارسلوا الى المترجم يعدون بانفاذ ستة آلاف لمساعدته فاقام بالبحيرة ينتظر حضورهم نحو ثلاثة شهور وكان ذلك

أوان القيظ وليس ثم زرع ولا نبات فضاقت على جيوشهم النواحى وقد طال انتظاره للانكليز فتشكى العربان

المجتمعون عليه وغيرهم لشدة ما هم فيه من الجهد وفي كل حين يعدهم بالفرج ويقول لهم أصبروا ولم يبق الا القيل فلما اشتد بهم الجهد اجتمعوا اليه وقالوا له اما أن تنتقل معنا الى ناحية قبلي فان ارض الله واسعة واما ان تأذن لنا في الرحيل في طلب القوت فما وسعه الا الرحيل مكظوما مقهورا من معاندة الدهر في بلوغ المآرب الاول مجيء القبودان وموسى باشا على هذه الهيئة والصورة ورجوعهما على غير طائل الثاني عدم ملكه دمنهور وكان قصده ان يجعلها معقلا ويقيم بها حتى تأتيه النجدة الثالث تأخر مجيء النجدة حتى قحطوا واضطروا الى الرحيل الرابع وهو اعظمها مجانبة اخوانه وعشيرته وخذلانهم له وامتناعهم عن الانضمام اليه فارتحل من البحيرة بجيوشه ومن يصحبه من العربان حتى وصل الى الاخصاص فنادى محمد علي باشا على العساكر بالخروج ولا يتأخر منهم واحد فخرجوا أفواجا ليلاقوها راحتى وصلوا الى ساحل بولاق وعدوا الى البر إنبابة وجيشوا بظاهرها وقد وصل المترجم الى كفر حكيم يوم الثلاثاء ثامن عشر القعدة وانتشرت جيوشه بالبر الغربي ناحية انبابة والجيزة وركب الباشا واصناف العساكر ووقفوا على ظهر خيولهم واصطفت الرجالة بينادقهم واسلحتهم ومر المترجم في هيئة عظيمة هائلة وجيوش تسد الفضاء يقول

الطواف فشجعه فاجتمعت العامة وكاد يكون بينهم وبين الاتراك شر واستغاثوا وشنعوا فامر الخليفة باخراج الاتراك فاخرجوا عن آخرهم في ساعة واحدة على اقبح صورة وقت العشاء الآخرة

(ذكر ملك الروم مدينة زويلة وعودهم عنها)

في هذه السنة فتح الروم مدينة زويلة من أفريقية وهي بقرب المهدية وسبب ذلك ان الامير تميم بن المعز بن باديس صاحبها أكثر غزو بلادهم في البحر فخربها وشتت أهلها فاجتمعوا من كل جهة واتفقوا على انشاء الشواني لغزو المهدية ودخل معهم البيسانيون والجنويون وهما من الفرنج فاقاموا يعمرون الاسطول اربع سنين واجتمعوا بجزيرة قوصرة في أربعمائة قطعة فكتب أهل قوصرة كتابا على جناح طائر يذكرون وصولهم وعددهم وحكمهم على الجزيرة فاراد تميم ان يسير عثمان بن سعيد المعروف بالمهر مقدم الاسطول الذي له ليمنعهم من النزول فمنعه من ذلك بعض قواده اسمه عبد الله بن منكوت لعداوة بينه وبين المهر فجاءت الروم وأرسوا وطلعوا الى البر ونهبوا وخربوا وأحرقوا ودخلوا زويلة ونهبوها وكانت عساكر تميم غائبة في قتال الخارجين عن طاعته ثم صالح تميم الروم على ثلاثين ألف دينار ورد جميع ما محوه من السبي وكان تميم يبذل المال الكثير في الغرض الحقير فكيف في الغرض الكبير حكي عنه انه بذل للعرب لما استولوا على حصن له يسمى قناطة ليس بالعظيم اثني عشر الف دينار حتى هدمه فقيل له هذا اسراف في المال فقال هو شرف في الحال

(ذكر وفاة الناصر بن علناس وولاية ولده المنصور)

في هذه السنة مات الناصر بن علناس بن حماد وولي بعده ابنه المنصور فاقتفى آثار ابيه في الحزم والعزم والرياسة ووصله كتب الملوك ورسلهم بالتعزية بابيه والتهنئة بالملك منهم يوسف بن تاشفين وتميم بن المعز وغيرهما

(ذكر وفاة ابراهيم ملك غزنة وملك ابنه مسعود)

في هذه السنة توفي الملك المؤيد ابراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة وكان عادلا كريما مجاهدا وقد ذكرنا من فتوحه ما وصل الينا وكان عاقلا ذا راى متين فمن آرائه ان السلطان ملكشاه بن الب أرسلان السلجوقي جمع عساكره وسار يريد غزنة ونزل باسفرار فكتب ابراهيم بن مسعود كتابا الى جماعة من أعيان أمراء ملكشاه يشكرهم ويعتذر لهم بما فعلوا من تحسين قصد ملكشاه بلاده ليتم لنا ما استقر بيننا من الظفر به وتخليصهم من يده ويعدهم الاحسان على ذلك وأمر القاصد بالكتب ان يتعرض لملكشاه في الصيد ففعل ذلك فاخذوا حضر عند السلطان فسأله عن حاله فانكره فامر السلطان بجلده فجلد فدفع الكتب اليه بعد جهد ومشقة فلما وقف ملكشاه عليها تحيل من أمرائه وعاد ولم يقل لاحد من أمرائه في هذا الامر شيئا خوفا ان يستوحشوا منه وكان يكتب بخطه كل سنة مصحفا ويبعثه مع الصدقات الى مكة وكان

يقول لو كنت موضع أبى مسعود بعد وفاة جدى محمود لما انفصمت عرا مملكتنا ولكنى الآن عاجز عن أن استرد ما أخذوه واستولى عليه ملوك قد اتسعت مملكتهم وعظمت عساكرهم ولما توفى ملك بعده ابنه مسعود ولقبه جلال الدين وكان قد زوجه أبوه بابنة السلطان ملكشاه وأخرج نظام الملك فى هذا الاملاك والزفاف مائة ألف دينار

*(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة حج الوزير أبو شجاع وزير الخليفة واستناب ابنه ربيب الدولة أبا منصور ونقيب النقباء طراد بن محمد الزينبى وفيها أسقط السلطان ما كان يؤخذ من الحجاج من الخفارة وفيها جمع آقسنقر صاحب حلب عسكره وسار الى قلعة شيزر فحصرها وصاحبها ابن منقذ وضيق عليها ونهب ربضها ثم صالحه صاحبها وعاد الى حلب وفيها توفى أبو بكر أحمد بن ابى حاتم عبد الصمد بن أبى الفضل الغورجى الهروى والقاضى محمود بن محمد بن القاسم أبو عامر الازدى المهلبى راوى جامع الترمذى عن أبى محمد الجراحى رواه عنهما ابو الفتح الكروخى وتوفى عبد الله بن محمد بن على بن محمد أبو اسمعيل الانصارى الهروى شيخ الاسلام ومولده سنة خمس وتسعين وثلثمائة وكان شديد التعصب فى المذاهب ومحمد بن اسحق بن ابراهيم بن مخلد الباقرحى ومولده فى شعبان وهو من أهل الحديث والرواية وفى المحرم توفيت ابنة الغالب بالله بن القادر ودفنت عند قبر أحمد وكانت ترجع الى دين ومعروف كثير لم يبلغ أحد فى فعل الخير ما بلغت وفى شعبان توفى عبد العزيز الصراوى الزاهد وفيها توفى الملك أحمد ابن السلطان ملكشاه بمرو وكان ولى عهد أبيه فى السلطنة وكان عمره احدى عشرة سنة وجلس الناس ببغداد للعزاء سبعة أيام فى دار الخلافة ولم يركب احد فرسا وخرج النساء ينحن فى الاسواق واجتمع الخلق الكثير فى الكرخ للتفرج والمناحات وسود اهل الكرخ أبواب عقودهم اظهارا للحزن به

(ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين واربعمائة)

(ذكر الفتنة ببغداد بين العامة)

فى هذه السنة فى صفر كبس أهل باب البصرة الكرخ فقتلوا رجلا وجرحوا آخر فاغلق أهل الكرخ الاسواق ورفعوا المصاحف وحملوا ثياب الرجلين وهى بالدم ومضوا الى دار العميد كمال الملك أبى الفتح الدهستانى مستغيثين فارسل الى النقيب طراد بن محمد يطلب منه احضار القاتلين فقصد طراد دار الامير بوزان بقصر ابن المامون فطالبه بوزان بهم ووكل به فارسل الخليفة الى بوزان يعرفه حال النقيب طراد ومحله ومنزلته فخلى سبيله واعتذر اليه فسكن العميد كمال الملك الفتنة وكف الناس بعضهم عن بعض ثم سار الى السلطان فعاد الناس الى ما كانوا فيه من الفتنة ولم ينقض يوم الا عن قتلى وجرحى

(ذكر ملك السلطان ملكشاه ما وراء النهر)

زائدة والباشا والعسكر وقوف ينظرون اليهم من بعيد وهو يتعجب ويقول هذا طهماز الزمان والا ايش يكون ثم يقول للدلاة والخيالة تقدموا وحاربوا وانا أعطيكم كذا وكذا من المال ويذكر لهم مقادير عظيمة ويرغبهم فلم يتجاسروا على الاقدام وصاروا باهتين ومتعجبين ويتناجون فيما بينهم ويتشاورون فى تقدمهم وتاخرهم وقد أصابوه باعينهم ولم يزل سائرا حتى وصل الى قريب قناطر شبرامنت فنزل على علوة هناك وجلس عليها وزاد به الهاجس والقهر ونظر الى جهة مصر وقال يا مصر انظرى الى أولادك وهم حولك مشتتين متباعدين مشردين واستوطنك اجلاف الاتراك واليهود واراذل الارنؤد وصاروا يقبضون خراجك ويحاربون اولادك ويقاتلون ابطالك ويقاومون فرسانك ويهدمون دورك ويسكنون قصورك ويفسقون بولدانك وحورك ويطمسون بهجتك ونورك ولم يزل يردد هذا الكلام وأمثاله وقد تحرك به خلط دموى وفى الحال تقايا دما وقال قضى الامر وخلصت مصر لمحمد على وما ثم من ينازعه ويغالبه وجرى حكمه على المماليك المصرية فخاف ان تقوم لهم راية بعد اليوم ثم انه احضر امراءه وامر عليهم شاهين بك واوصاه بخشداشينه

والمماليك المصرية فخاف ان تقوم لهم راية بعد اليوم ثم انه احضر امراءه وامر عليهم شاهين بك واوصاه بخشداشينه

مخادعة عدوهم واوصاهم انه اذا مات يحملونه الى وادى البهنسا ويدفنونه بجوار قبور الشهداء فمات فى تلك الليلة وهى ليلة الاربعاء تاسع عشر ذى القعدة فلما مات غسلوه وكفنوه وصلوا عليه وحملوه على بعير وارسلوه الى البهنسا ودفنوه هنالك بجوار الشهداء وانقضى نحبه فسبحان من له سر مدة البقاء وفى الحال حضر المبشر الى محمد على باشا وبشره بموت المترجم فلم يصدقه واستغرب ذلك وحبس البدوى الذى أتاه بالبشارة أربعة أيام وذلك لان اتباعه كانوا كتموا أمر موته ولم يذيعوه فى عرضيه والذى اشاع الخبر واتى بالبشارة رفيق البدوى الذى حمله على بعيره ولما ثبت موته عند الباشا امتلأ فرحا وسرورا وكذلك خاصته ورفعوا رؤسهم واحضر ذلك المبشر فالبسه فروة سمور واعطاه مالا وامره ان يركب بتلك الخلعة ويشق بها من وسط المدينة ليراه اهل البلدة وشاع ذلك الخبر فى الناس من وقت حضور المبشر وهم يكذبون ذلك الخبر ويقولون هذا من جملة تحيلاته فانه لما سافر الى بلاد الانكليز لم يعلم بسفره احد ولم يظهر سفره الا بعد مضى اشهر فلذلك امر الباشا ذلك المبشر ان يركب بالخلعة ويمر بها من وسط المدينة ومع ذلك استمروا فى شكهم نحو واستحضره

فى هذه السنة ملك السلطان ملكشاه ماوراء النهر وسبب ذلك ان سمرقند كان قد ملكها أحمد خان بن خضر خان أخو شمس الملك الذى كان قبله وهو ابن أخى تركان خاتون زوجة السلطان ملكشاه وكان صبيا ظالما قبيح السيرة يكثر مصادرة الرعية فنفروا منه وكتبوا الى السلطان سرا يستغيثون به ويسألونه القدوم عليهم لملك بلادهم وحضر الفقيه أبو طاهر بن علك الشافعى عند السلطان شاكيا وكان يخاف من احمد خان لكثرة ماله فاظهر السفر للتجارة والحج فاجتمع بالسلطان وشكا اليه وأطمعه فى البلاد فتحركت دواعى السلطان الى ملكها فسار من أصبهان وكان قد وصل اليه وهو فيها رسول ملك الروم ومعه الخراج المقرر عليه فاخذه نظام الملك معهم الى ماوراء النهر وحضر فتح البلاد فلما وصل الى كاشغر اذن له نظام الملك فى العود الى بلاده وقال أحب ان يذكر عنا فى التواريخ ان ملك الروم حمل الجزية واوصلها الى باب كاشغر اينهى الى صاحبه سعة ملك السلطان ليعظم خوفه منه ولا يحدث نفسه بخلاف الطاعة وهذا يدل على همة عالية تعلو على العيوق ولما سار السلطان من أصبهان الى خراسان جمع العساكر من البلاد جميعها فعبر النهر بجيوش لا يحصرها ديوان ولا تدخل تحت الاحصاء فلما قطع النهر قصد بخارا وأخذها على طريقه ثم سار اليها وملكها وما جاورها من البلاد وقصد سمرقند ونازلها وكانت الملطفات قد قدمها الى أهل البلد يعدهم النصر والخلاص مما هم فيه من الظلم وحصر البلد وضيق عليه وأعانه أهل البلد بالاقامات وفرق أحمد خان صاحب سمرقند ابراج السور على الامراء ومن يثق اليه من اهل البلد وسلم برجا يقال له برج العيارة الى رجل علوى كان مختصا به فنصح فى القتال فاتفق ان ولد لهذا العلوى أخذ أسيرا ببخارا فهدد الاب بقتله فتراخى عن القتال فسهل الامر على السلطان ملكشاه ورمى من السور عدة ثلم بالمنجنيقات وأخذ ذلك البرج فلما صعد عسكر السلطان الى السور هرب أحمد خان واختفى فى بيوت بعض العامة فعثر عليه وأخذ وحمل الى السلطان وفى رقبته حبل فاكرمه السلطان واطلقه وأرسله الى اصبهان ومعه من يحفظه ورتب بسمرقند الامير العميد أبا طاهر عميد خوارزم وسار السلطان قاصدا الى كاشغر فبلغ الى بوزكند وهو بلد يجرى على بابه نهر وأرسل منها رسلا الى ملك كاشغر يامره باقامة الخطبة وضرب السكة باسمه ويتوعده ان خالف بالمسير اليه ففعل ذلك وأطاع وحضر عند السلطان فاكرمه وعظمه وتابع الانعام عليه واعاده الى بلده ورجع السلطان الى خراسان فلما بعد عن سمرقند لم يتفق اهلها وعسكرها المعروفون بالجكلية مع العميد ابى طاهر نائب السلطان عندهم حتى كادوا يثبون عليه فاحتال حتى خرج من عندهم ومضى الى خوارزم

(ذكر عصيان سمرقند)

كان مقدم العسكر المعروف بالجكلية واسمه عين الدولة قد خاف السلطان لهذا الحادث فكاتب يعقوب تكين اخا ملك كاشغر وملكته تعرف بآب نباشى وبيده قلعتها

واستحضره فحضر عنده بسمرقند واقام ثم ان يعقوب علم ان امره لا يستقيم معه فوضع عليه الرعية الذين كان اساء اليهم حتى ادعوا عليه دما قوم كان قتلهم واخذ الفتاوى عليه وقتله واتصلت الاخبار بالسلطان ملكشاه بذلك فعاد الى سمرقند

(ذكر فتح سمرقند الفتح الثاني)

لما اتصلت الاخبار بعصيان سمرقند بالسلطان ملكشاه وقتل عين الدولة مقدم الجكلية عاد الى سمرقند فلما وصل الى بخارا هرب يعقوب المستولي على سمرقند ومضى الى فرغانة ولحق بولايته ووصل جماعة من عسكره الى السلطان مستامنين فلقوه بقرية تعرف بالطواويس ولما وصل السلطان الى سمرقند ملكها ورتب بها الامير ابرسار في اثر يعقوب حتى نزل بيوزكند وارسل العساكر الى سائر الاكناف في طلبه وارسل السلطان الى ملك كاشغر وهو اخو يعقوب ليجد في امره ويرسله اليه فاتفق ان عسكر يعقوب شغبوا عليه ونهبوا خزائنه واضطروه الى ان هرب على فرسه ودخل الى اخيه بكاشغر مستجيرا به فسمع السلطان بذلك فارسل الى ملك كاشغر يتوعده ان لم يرسله اليه ان يقصد بلاده ويصير هو العدو فخاف ان يمنع السلطان وانف ان يسلم اخاه بعد ان استجار به وان كانت بينهما عداوة قديمة ومنافسة في الملك عظيمة لما يلزمه فيه العار فاداه اجتهاده الى ان قبض على اخيه يعقوب واظهر انه كان في طلبه فظفر به وسيره مع ولده وجماعة من اصحابه وكلهم بيعقوب وارسل معهم هدايا كثيرة للسلطان وامر ولده انه اذا وصل الى قلعة بقرب السلطان أن يسمل يعقوب ويتركه فان رضي السلطان بذلك والا سلمه اليه فلما وصلوا الى القلعة عزم ابن ملك كاشغر ان يسمل عمه وينفذ فيه ما امره به ابوه فتقدم فكتفه والقاه على الارض ليفعلوا به ذلك فبينما هم على تلك الحال وقد احوجوا الميل ليسملوه اذ سمعوا ضجة عظيمة فتركوه وتشاوروا بينهم وظهر عليهم انكسار ثم ارادوا بعد ذلك سمله ومنع منه بعض فقال لهم يعقوب اخبروني عن حالكم وما يفوتكم الذي تريدونه مني واذا فعلتم بي شيئا ربما ندمتم عليه فقيل له ان طغرل بن ينال اسرى من ثمانين فرسخا في عشرات الوف من العساكر وكبس اخاك بكاشغر فاخذه اسيرا ونهب عسكره وعاد الى بلاده فقال لهم هذا الذي تريدون تفعلونه بي ليس مما تتقربون به الى الله تعالى وانما تفعلونه اتباعا لامر اخي وقد زال امره ووعدهم الاحسان فاطلقوه فلما رأى السلطان ذلك ورأى طمع طغرل ابن ينال ومسيره الى كاشغر وقبض صاحبها وملكه لما مع قربه منه خاف ان ينحل بعض امره وتزول هيبته وعلم انه متى قصد طغرل سار من بين يديه فان عاد عنه رجع الى بلاده وكذلك يعقوب اخو صاحب كاشغر وانه لا يمكنه المقام لسعة البلاد وراءه وخوف الموت بها فوضع تاج الملك على أن يسعى في اصلاح امر يعقوب معه ففعل ما امره به السلطان فاتفق هو ويعقوب وعاد الى خراسان وجعل يعقوب مقابل طغرل يمنعه من القوة وملك البلاد وكل منهما يقوم في وجه الآخر

وبعضهم ارسل يطلب امانا من الباشا وغير ذلك مما تقدم ذكره وخبره في ضمن ما تقدم وكان محمد علي باشا يقول مادام هذا الالتي موجودا لا يهنا لي عيش ومثالي انا وهو مثال بهلوانين يلعبان على الحبل لكن هو في رجليه قبقاب فلما اتاه المبشر بموته قال بعد ان تحقق ذلك الآن طابت لي مصر وما عدت احسب لغيره حسابا (وكان المترجم) اميرا جليلا مهيبا محتشما مدبرا بعيد الفكر في عواقب الامور صحيح الفراسة اذا نظر في سحنة انسان عرف حاله واخلاقه بمجرد النظر اليه قوي الشكيمة صعب المراس عظيم البأس ذا غيرة حتى على من ينتمي اليه او ينسب الى طرفه يحب علو الهمة في كل شئ حتى ان التجار الذين يعاملهم في المشتروات لا يساومهم ولا يفاصلهم في اثمانها بل يكتبون الاثمان بانفسهم كما يحبون ويريدون في قوائم ويأخذها الكاتب ليعرضها عليه فيمضي عليها ولا ينظر فيها ويرى أن النظر في مثل ذلك اولها فقة فيه عيب ونقص يخل بالامرية ولا تمضي السنة الا والجميع قد استوفوا حقوقهم وبستانفوا احتياجات العام الجديد ولذلك راج حال المعاملين له رواجا عظيما لكثرة ربحهم عليه ومكاسبهم

ومع ذلك يواسيهم في جملة أحبابه والمنتسبين اليه بارسال الغلال لمؤنة بيوتهم وعيالهم وكساوى العيد وينتصر لاتباعه ولمن انتمى اليه ويحب لهم رفعة القدر عن غيرهم مع انه اذا حصل من احدهم هفوة تخل بالمروءة عنفه وزجره فترى كشافه وعماليكه مع شدة مراسهم وقوة نفوسهم وصعوبتهم يخافونه خوفا شديدا ويهابون خطابه * ومن عجيب أمره ومناقبه التي انفرد بها عن غيره امتثال جميع قبائل العربان الكائنين بالقطر المصري لامره وتسخيرهم وطاعتهم له لا يخالفونه في شئ وكان له معهم سياسة غريبة ومعرفة باحوالهم وطبائعهم فكأنما هو مربي فيهم او ابن خليفتهم أو صاحب رسالتهم يقومون ويقعدون لامره مع انه يصادرهم في اموالهم وجمالهم ومواشيهم ويحبسهم ويطلقهم ويقتل منهم ومع ذلك لا ينفرون منه وقد تزوج كثيرا من بناتهم فالتي تعجبه يبقيها حتى يقضي وطره منها والتي لا توافق مزاجه يسرحها الى اهلها ولم يبق في عصمته غير واحدة وهي التي أعجبته فمات عنها فلما بلغ العرب موته اجتمعت بنات العرب وصرن يندبنه بكلام عجيب تناقلته أرباب المغاني يغنون به على آلات اللهو المطربة وركبوا عليه ادوارا وقوافي وغير ذلك والعجب منه رحمه الله انه لما كان في دولتهم السابقة وينزل في كل سنة الى

* (ذكر عود ابنة السلطان زوجة الخليفة الى ابيها) *

وفي هذه السنة ارسل السلطان الى الخليفة يطلب ابنته طلبا لا بد منه وسبب ذلك انها ارسلت تشكو من الخليفة وتذكر انه كثير الاطراح لها والاعراض عنها فاذن لها في المسير فسارت في ربيع الاول وسار معها ابنها من الخليفة ابو الفضل جعفر بن المقتدي بامر الله ومعهما سائر اراد باب الدولة ومشى مع محفتها سعد الدولة كوهرائين وخدم دار الخلافة الاكابر وخرج الوزير وشيعهم الى النهروان وعاد وسارت الخاتون الى اصبهان فاقامت بها الى ذي القعدة وتوفيت وجلس الوزير ببغداد للعزاء سبعة ايام واكثر الشعراء مراثيها ببغداد وبعسكر السلطان

* (ذكر فتح عسكر مصر عكا وغيرها من الشام) *

في هذه السنة خرجت عساكر مصر الى الشام في جماعة من المقدمين فحصر وا مدينة صور وكان قد تغلب عليها القاضي عين الدولة بن أبي عقيل وامتنع عليهم ثم توفي وواليها أولاده فحصرهم العسكر المصري فلم يكن لهم من القوة ما يمتنعون بها فسلموها اليهم ثم سار العسكر عنها الى مدينة صيدا ففعلوا بها كذلك ثم ساروا الى مدينة عكا فحصروها وضيقوا على اهلها فافتتحوها وقصدوا مدينة جبيل فملكوها أيضا واصلحوا أحوال هذه البلاد وقرروا قواعدها وساروا عنها الى مصر عائدين واستعمل امير الجيوش على هذه البلاد الامراء والعمال

* (ذكر الفتنة بين أهل بغداد ثانية) *

وفي هذه السنة في جمادى الاولى كثرت الفتن ببغداد بين اهل الكرخ وغيرهم من المحال وقتل بينهم عدد كثير واستولى اهل المحال على قطعة كبيرة من نهر الدجاج فنهبوها واحرقوها فنزل شحنة بغداد وهو خمارتكين النائب عن كوهرائين على دجلة في خيله ورجله ليكف الناس عن الفتنة فلم ينتهوا وكان أهل الكرخ يجرون عليه وعلى اصحابه الجرايات والاقامات وفي بعض الايام وصل اهل باب البصرة الى سويقة غالب فخرج من اهل الكرخ من لم تجر عادته بالقتال فقاتلوهم حتى كشفوهم فركب خدم الخليفة والحجاب والنقباء وغيرهم من اعيان الحنابلة كابن عقيل والكلوذاني وغيرهما الى الشحنة وساروا معه الى اهل الكرخ فقرأ عليهم مثالا من الخليفة يأمرهم بالكف ومعاودة السكون وحضور الجماعة والجمعة والتدين بمذهب اهل السنة فاجابوا الى الطاعة فبينما هم كذلك اتاهم الصارخ من نهر الدجاج بان اهل السنة قد قصدوهم والقتال عندهم فمضوا مع الشحنة ومنعوا من الفتنة وسكن الناس وكتب اهل الكرخ على ابواب مساجدهم خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ومن عند هذا اليوم ثار اهل الكرخ وقصدوا شارع ابن ابي عوف ونهبوه وفي جملة ما نهبوا دار ابي الفضل بن خيرون المعدل فقصد الديوان مستنفرا ومعه الناس ورفع العامة الصلبان وهجموا على الوزير في حجرته واكثروا من الكلام الشنيع

وقتل

منهم بالبعض الآخر ويأخذ منهم الاموال والخيول والاباعر والاغنام ويفرض عليهم القرض الزائدة ويمنعهم من التسلط على فلاحى البلاد ثم انه لما رجع من بلاد الانكليز وتعصب عليه العربيسى والعسكر واحاطوا به من كل جانب فاختفى منهم وهرب الى الوادى عند عشيرة البدوى فآواه وأخفاه وكتم أمره والبربيسى ومن معه يبالغون فى الفحص والتفتيش وبذل الاموال والرغائب لمن يدل عليه او ياتى به فلم يطمعوا فى شئ من ذلك ولم يفشوا سره وقيدوا بالطرق الموصلة له انفارا منهم تحرس الطريق من طارق يأتى على حين غفلة وهذا من العجائب حتى كان كثير من الناس يقولون انه يسخرهم أو معه سر يسخرهم به فلما مات تفرق الجميع ولم يجتمعوا على احد بعده وذهبوا الى اماكنهم وبعضهم طلب من الباشا الامان واما مماليكه واتباعه فلم يفلحوا بعده وذهبوا الى الامراء القبليين فوجدوا طباعهم متنافرة عنهم ولم يحصل بينهم التئام ولا صفا كدر الفريقين من الآخر فانعزلوا عنهم الى ان جرى ما جرى من صلحهم مع الباشا واوقع بهم ما سيتلى عليك بعد ان شاء الله تعالى وبعد موت

وقتل ذلك اليوم رجل هاشمى من اهل باب الازج يسوم اصابه فثاروا العامة هناك بعلوى كان مقيما بينهم فقتلوه وحرقوه وجرى من النهب والقتل والفساد امور عظيمة فارسل الخليفة الى سيف الدولة صدقة بن مزيد فارسل عسكرا الى بغداد فطلبوا المفسدين والعيارين فهربوا منهم فهدمت دورهم وقتل منهم ونفى وسكنت الفتنة وامن الناس

(ذكر حيلة لامير المسلمين ظهرت ظهورا غريبا)

كان بالمغرب انسان اسمه محمد بن ابراهيم الكزولى سيد قبيلة كزولة ومالك جبلها وهو جبل شامخ وهى قبيلة كبيرة وبينه وبين امير المسلمين يوسف بن تاشفين مودة واجتماع فلما كان هذه السنة ارسل يوسف الى محمد بن ابراهيم يطلب الاجتماع به فركب اليه محمد فلما قاربه خافه على نفسه فعاد الى جبله واحتاط لنفسه فكتب اليه يوسف وحلف له انه ما اراد به الا الخير ولم يحدث نفسه بغدر فلم يركن محمد اليه فدعا يوسف حجاما واعطاه مائة دينار وضمن له مائة دينار اخرى ان هو سار الى محمد بن ابراهيم واحتال على قتله فسار الحجام ومعه مشارط مسمومة فصعد الجبل فلما كان الغد خرج ينادى لصناعته بالقرب من مساكن محمد فسمع محمد الصوت فقال هذا الحجام من بلدنا فقيل انه غريب فقال اراه يكثر الصياح وقد ارتبت بذلك ائتونى به فاحضر عنده فاستدعى حجاما آخر وامره ان يحجمه بمشارطه التى معه فامتنع الحجام الغريب فامسك وحجم فمات وتعجب الناس من فطنته فلما بلغ ذلك يوسف ازداد غيظه وبالغ فى السعى فى اذى يوصله اليه فاستمال قوما من اصحاب محمد فقالوا اليه فارسل اليهم جرارا من عسل مسموم فحضروا عند محمد وقالوا قد وصل الينا قوم معهم جرار من عسل احسن ما يكون واردنا تحافك به واحضروها بين يديه فلما رآها أمر باحضار خبز وامر اولئك الذين اهدوا اليه العسل ان ياكلوا منه فامتنعوا واستعفوه من اكله فلم يقبل منهم وقال من لم ياكل قتل بالسيف فاكلوا فماتوا عن آخرهم فكتب الى يوسف بن تاشفين انك قد اردت قتلى بكل وجه فلم يظفرك الله بذلك فكف عن شرك فقد اعطاك الله المغرب باسره ولم يعطنى غيره هذا الجبل وهو فى بلادك كالشامة البيضاء فى الثور الاسود فلم تقنع بما اعطاك الله عز وجل فلما رأى يوسف ان سره قد انكشف وانه لا يمكنه فى امره شئ لحصانة جبله اعرض عنه وتركه

(ذكر ملك العرب مدينة سوسة وأخذها منهم)

فى هذه السنة نقض ابن علوى ما بينه وبين تميم بن المعز بن باديس امير افريقية من العهد وسار فى جمع من عشيرته العرب فوصل الى مدينة سوسة من بلاد افريقية واهلها غارون لم يعلموا به فدخلها عنوة وجرى بينه وبين من بها من العسكر والعامة قتال قتل من الطائفتين جماعة وكثر القتل فى اصحابه والاسر وعلم انه لا يتم له مع تميم حال ففارقها وخرج منها الى حلته من الصحراء وكان بافريقية هذه السنة غلاء شديد وبقى

المذكور فلم يسهل بهم الرجوع فارسلوا رسلهم الى الجماعة المصريين ظانين أن فيهم أثر الهمة والنخوة يطلبونهم للحضور ويساعدهم الانكاير على ردهم لمملكتهم وأوطانهم وكان محمد على باشا حين ذاك بناحية قبلى يحاربهم فطلبهم للصلح معه وأرسل اليهم بعض فقهاء الازهر وخادعهم وثبطهم فقعدوا عن الحركة وجرى ما جرى على طائفة الانكاير كما سيتلى عليك خبره ثم عليهم بعد ذلك وكان أمر الله مفعولا (وكان للمترجم) ولوع ورغبة فى مطالعة الكتب خصوصا العلوم الغريبة مثل الجغرافيات والجغرافيا والاسطرنوميا والاحكام النجومية والمناظرات الفلكية وما تدل عليه من الحوادث الكونية ويعرف أيضا مواضع المنازل واسماءها وطبائعها والخمسة المتحيرة وحركات الثوابت ومواقعها كل ذلك بالنظر والمشاهدة والتلقى على طريقة العرب من غير مطالعة فى كتاب ولا حضور درس واذا طالع أحد بحضرته فى كتاب أو أسمعه فاضله مناضلة متضلع وناقشه مناقشة متطلع وله أيضا معرفة بالاشكال الرملية واستخراجات الضمائر بالقواعد الجرفية وكان له فى ذلك اصابات ومنها ما اخبرنى به بعض اتباعه انه لما وصل الى ثغر سكندرية راجعا من بدران

كذلك الى سنة اربع وثمانين وصلحت احوال اهلها واخصبت البلاد ورخصت الاسعار واكثر اهلها الزرع

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة قطعت الحرامية الطريق على قفل كبير بولاية حلب فركب آقسنقر فى جماعة من عسكره وتبعهم ولم يزل حتى اخذهم وقتلهم فامنت الطرق بولايته وفيها ورد العميد الاغر ابو المحاسن عبد الجليل بن على الدهستانى الى بغداد عميدا وعزل اخوه كمال الملك على ما ذكرناه وفيها درس الامام ابو بكر الشاشى فى المدرسة التى بناها تاج الملك مستوفى السلطان بباب ابرز من بغداد وهى المدرسة التاجية المشهورة وفيها عمرت منارة جامع حلب وفيها توفى الخطيب ابو عبد الله الحسين بن احمد بن عبد الواحد بن ابى الحديد السلمى خطيب دمشق فى ذى الحجة وفيها توفى احمد بن محمد بن صاعد بن محمد ابو نصر النيسابورى رئيسها ومولده سنة عشر وار بعمائة وكان من العلماء وعاصم بن الحسن بن محمد بن على بن عاصم العاصمى البغدادى من اهل الكرخ كان ظريفا كيسا له شعر حسن فمنه

ماذا على متلون الاخلاق * لو زارنى فابثه اشواقى
وابوح بالشكوى اليه تذللا * وافض ختم الدمع من آماقى
فعساه يسمح بالوصال لمدنف * ذى لوعة وصبابة مشتاق
اسر الفؤاد ولم يرق لموثق * ماضره لو جاد بالاطلاق
ان كان قد لسبت عقارب صدغه * قلبى فان رضابه درياقى

وقال أيضا

فديت من ذبت شوقا من محبته * وصرت من هجره فوق الفراش لقا
سمعته يتغنى وهو مصطبح * افديه مصطبحا منه ومغتبقا
واخلفتك ابنة البكرى ما وعدت * واصبح الحبل منها واهيا خلقا

والصحيح انه توفى سنة ثلاث وثمانين وفيها فى جمادى الآخرة توفى الشريف ابو القاسم العلوى الدبوسى المدرس بالنظامية ببغداد وكان فاضلا فصيحا

(ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وار بعمائة)

(ذكر وفاة فخر الدولة ابى نصر بن جهير)

فى هذه السنة فى المحرم توفى فخر الدولة ابو نصر محمد بن محمد بن جهير الذى كان وزيرا للخليفة بمدينة الموصل ومولده بها سنة ثمان وتسعين وثلثمائة وتزوج الى ابى العقارب شيخها ونظر فى أملاك جارية قرواش المعروفة بسرهنك ثم خدم بركة بن المقلد حتى قبض على اخيه قرواش وحبسه ومضى بهدايا الى ملك الروم فاجتمع هو ورسول نصر الدولة ابن مروان فتقدم فخر الدولة عليه فنازعه رسول ابن مروان فقال فخر الدولة لملك الروم انا استحق التقدم عليه لان صاحبه يؤدى الخراج الى صاحبى فلما عاد الى قريش بن

بدران اراد القبض عليه فاستجار بابى الشداد وكانت عقيل تجير على امرائها وسار الى حلب فوزر لمعز الدولة ابى ثمال بن صالح ثم مضى الى ملطية ومنها الى ابن مروان فقال له كيف امنتنى وقد فعلت برسولى ما فعلت عند ملك الروم فقال حملنى على ذلك نصح صاحبى فاستوزره فعمر بلاده ووزر بعد نصر الدولة لولده ثم سار الى بغداد وولى وزارة الخليفة على ما ذكرناه وتولى اخذ ديار بكر من بنى مروان على ما ذكرناه ايضا ثم أخذها منه السلطان فسار الى الموصل فتوفى بها

(ذكر نهب العرب البصرة)

وفى هذه السنة فى جمادى الاولى نهب العرب البصرة نهبا قبيحا وسبب ذلك انه ورد الى بغداد فى بعض السنين رجل اشقر من سواد النيل يدعى الادب والنجوم ويستجرى الناس فلقبه اهل بغداد تليا وكان نازلا فى بعض الخانات فسرق ثيابا من الديباج وغيره واخفاها فى حلفاء وسار بها فرآها الذين يحفظون الطريق فمنعوه من السفر اتهاما له وحملوه الى المقدم عليهم فاطلقه لحرمة العلم فسار الى أمير من امراء العرب من بنى عامر وبلاده متاخمة الاحساء وقال له أنت تملك الارض وقد فعل اجدادك بالحاج كذا وكذا وافعالهم مشهورة مذكورة فى التواريخ وحسن له نهب البصرة واخذها فجمع من العرب ما يزيد على عشرة آلاف مقاتل وقصد البصرة وبها العميد عصمة وليس معه من الجند الا اليسير لكون الدنيا آمنة من ذاعر ولان الناس فى جنة من هيبة السلطان فخرج اليهم فى أصحابه وحاربهم ولم يمكنهم من دخول البلد فاتاه من اخبره ان اهل البلد يريدون ان يسلموه الى العرب فخاف ففارقهم وقصد الجزيرة التى هى مكان القلعة بنهر معقل فلما علم أهل البلد بذلك فارقوا ديارهم وانصرفوا ودخل العرب حينئذ البصرة وقد قويت نفوسهم وملكوها ونهبوا ما فيها نهبا شنيعا فكانوا ينهبون نهارا واصحاب العميد عصمة ينهبون ليلا وأحرقوا مواضع عدة وفى جملة ما أحرقوا داران للكتب احداهما وقفت قبل ايام عضد الدولة بن بويه فقال عضد الدولة هذه مكرمة سبقنا اليها وهى أول دار وقفت فى الاسلام والاخرى وقفها الوزير أبو منصور بن شاه مردان وكان بها نفائس الكتب واعيانها واحرقوا أيضا النحاسين وغيرها من الاماكن وخربت وقوف البصرة التى لم يكن لها نظير من جملتها وقوف على الجمال الدائرة على شاطئ دجلة وعلى الدواليب التى تحمل الماء وترقيه الى قنى الرصاص الجارية الى المصانع وهى على فراسخ من البلد وهى من عمل محمد بن سليمان الهاشمى وغيره وكان فعل العرب بالبصرة أول خرق جرى فى أيام السلطان ملكشاه فلما فعلوا ذلك وبلغ الخبر الى بغداد انحدر سعد الدولة كوهرائين وسيف الدولة صدقة بن مزيد الى البصرة لاصلاح امورها فوجدوا العرب قد فارقوها ثم ان تليا اخذ بالبحرين وارسل الى السلطان فشهره ببغداد سنة اربع وثمانين على جمل وعلى راسه طرطور وهو يصفع بالدرة والناس يشتمونه ويسبهم ثم امر به فصلب

بلاد الانكليز رسم شكلا وتامل فيه وقطب وجهه ثم قال انى ارى حادثا فى ٧٥ طريقنا وربما انى افترق منكم واغيب عنكم نحو اربعين يوما فلذلك احب ان يخفى امره وياتى على حين غفلة وكان البرديسى قد اقام بالثغر رقيبا يوصل خبر وروده فلما وصل ارسل ذلك الرقيب ساعيا فى الحال وكان ما ذكرناه فى سياق التاريخ من غدرهم وقتلهم حسين بك ابوشاش بالبر الغربى وهروب بشتك بك من القصر وارسال العسكر لملاقاة المترجم على حين غفلة ليقتلوه وهروبه واختفاؤه ثم ظهوره واجتماعهم عليه بعد انقضاء تلك المدة او قريب منها وكان رحمه الله اذا سمع بانسان فيه معرفة بمثل هذه الاشياء احضره ومارسه فيها فان راى فيه فائدة او مزية اكرمه وواساه وصاحبه وقربه اليه وادناه وكان له مع جلسائه مباسطة مع الحشمة والترفع عن الهذيان والمجون وكان غالب اقامته بقصوره التى عمرها خارج مصر وهو القصر الكبير بمصر القديمة تجاه المقياس بشاطئ النيل والقصر الآخر الكائن بالقرب من زاوية الدمرداش والقصر الذى بجانب قنطرة المغربى على الخليج الناصرى وكان اذا خرج من داره لبعض تلك القصور لا يمر من وسط المدينة واذا رجع كذلك فسئل عن سبب ذلك فقال استحى ان امر من وسط الاسواق واهل الحوانيت والمارة

وقائعه وسياحته ثلاث سنوات وثلاثة اشهر ايام أقام الفرنساوية بالقطر المصري ورحلته بعد ذلك الى بلاد الانكليز وغيابه بها سنة وشهورا وقد تهذبت اخلاقه بما اطلع عليه من عمارة بلادهم وحسن سياسة احكامهم وكثرة اموالهم ورفاهيتهم وصنائعهم وعدلهم في رعيتهم مع كفرهم بحيث لا يوجد فيهم فقير ولا مستجد ولا ذو فاقة ولا محتاج وقد اهدوا له هدايا وجواهر وآلات فلكية واشكال هندسية واسطرلابات وكرات ونظارات وفيها ما اذا نظر الانسان فيها في الظلمة يرى اعيان الاشكال كما يراها في النور ومنها خصوص النظر في الكواكب فيرى بها الانسان الكوكب الصغير عظيم الجرم وحوله عدة كواكب لا تدرك بالبصر المجرد ومن انواع الاسلحة الحربية اشياء كثيرة واهدوا له آلة موسيقى تشبه الصندوق بداخله اشكال تدور بحركات فيظهر منها اصوات مطربة على ايقاع الانغام وضروب الالحان وبها نشانات وعلامات لتبديل الانغام بحسب ما يشتهي السامع الى غير ذلك ثم ذهب ذلك جميعه العسكر الذين أرسلهم اليه البرديسي ليقتلوه وطفقوا يبيعونه في اسواق البلدة واغلبه تكسر وتلف وتبدد (واخبرني) بعض هرون

* (ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة قدم الامام ابو عبد الله الطبري بغداد في المحرم بمنشور من نظام الملك بتوليته تدريس المدرسة النظامية ثم ورد بعده في شهر ربيع الآخر من السنة ابو محمد عبد الوهاب الشيرازي وهو ايضا معه منشور بالتدريس فاستقر أن يدرس يوما والطبري يوما

* (ثم دخلت سنة اربع وثمانين واربعمائة) *

* (ذكر عزل الوزير ابي شجاع ووزارة عميد الدولة بن جهير) *

في هذه السنة في ربيع الاول عزل الوزير ابو شجاع من وزارة الخليفة وكان سبب عزله ان انسانا يهوديا ببغداد يقال له ابو سعد بن سمحا كان وكيل السلطان ونظام الملك فلقيه انسان يبيع الحصر فصفعه صفعة ازالت عمامته عن راسه فاخذ الرجل وحمل الى الديوان وسئل عن السبب في فعله فقال هو وضعني على نفسه فسار كوهرائين ومعه ابن سمحا اليهودي الى العسكر يشكيان وكانا متفقين على الشكاية من الوزير ابي شجاع فلما سارا خرج توقيع الخليفة بالزام اهل الذمة بالغيار وليس ما شرط عليهم امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فهربوا كل مهرب واسلم بعضهم فممن اسلم ابو سعد العلاء بن الحسن بن وهب بن موصلايا الكاتب وابن اخيه ابو نصر هبة الله ابن الحسن بن علي صاحب الخبر اسلما على يدي الخليفة وقيل ايضا عنه الى السلطان ونظام الملك انه يكسر اغراضهم ويقبح افعالهم حتى انه لما ورد الخبر بفتح السلطان سمرقند قال وما هذا مما يشرب به كانه قد فتح بلاد الروم هل أتى الا الى قوم مسلمين موحدين فاستباح منهم ما لا يستباح من المشركين فلما وصل كوهرائين وابن سمحا الى العسكر وشكيا من الوزير الى السلطان ونظام الملك واخبراهما بجميع ما يقول عنهما ويكسر من اغراضهما ارسلا الى الخليفة في عزله فعزله وامره بلزوم بيته وكان عزله يوم الخميس فلما أمر بذلك أنشد

تولاها وليس له عدو * وفارقها وليس له صديق

فلما كان الغد يوم الجمعة خرج من داره الى الجامع راجلا واجتمع الخلق العظيم عليه فامر ان لا يخرج من بيته ولما عزل استناب في الوزارة ابو سعد بن موصلايا كاتب الانشاء وارسل الخليفة الى السلطان ونظام الملك يستدعي عميد الدولة بن جهير ليستوزره فسير اليه فاستوزره في ذي الحجة من هذه السنة وركب اليه نظام الملك فهناه بالوزارة في داره واكثر الشعراء تهنئته بالعود الى الوزارة

* (ذكر ملك امير المسلمين بلاد الاندلس التي للمسلمين) *

في هذه السنة في رجب ملك امير المسلمين يوسف بن تاشفين صاحب بلاد المغرب من بلاد الاندلس ما هو بيد المسلمين قرطبة واشبيلية وقبض على المعتمد بن عباد صاحبها وملك غيرها من الاندلس ولقد جرى للرشيد بن المعتمد حادثة شبيهة بحادثة الامين محمد بن

هرون الرشيد قال أبو بكر عيسى بن اللبانة الدانى من مدينة دانية كنت يوما عند الرشيد ابن المعتمد فى مجلس أنسه سنة ثلاث وثمانين وار بعمائة فجرى ذكر غرناطة وملك امير المسلمين لها وقد ذكرنا أخذها فى وقعة الزلاقة فلما ذكرناها تفجع وتلهف واسترجع وذكر قصرها فدعونا لقصره بالدوام وللملكه بتراخى الايام فامر عند ذلك أبا بكر الاشبيلى بالغناء فغنى

يادارمية بالعليا فالسند * أقوت وطال عليها سالف الابد

فاستحالت مسرته وتجهمت أسرته ثم أمر بالغناء من ستارته فغنى

ان شئت ان لاترى صبرا لمصطبر * فانظر الى أى حال اصبح الطلل

فتاكد تطيره واشتد ارباد وجهه وتغيره وامر مغنية اخرى بالغناء فغنت

يالهف نفسى على مال افرقه * على المقلين من اهل المروآت

ان اعتذارى الى من جاء يسالنى * ماليس عندى من احدى المصيبات

قال ابن اللبانة فتلافيت الحال بان قمت فقلت

محل مكرمة لاهد مبناه * وشمل ماثرة لاشتته الله

البيت كالبيت لكن زاد ذا شرفا * ان الرشيد مع المعتد ركناه

ثاو على أنجم الجوزاء مقعده * وراحل فى سبيل الله مثواه

حتم على الملك ان يقوى وقد وصلت * بالشرق والغرب يمناه ويسراه

باس توقد فاحجرت لواحظه * ونائل شب فاخضرت عذاراه

فلعمرى قد بسطت من نفسه واعدت عليه بعض انسه على انى وقعت فيما وقع فيه الكل بقولى البيت كالبيت واثر ذلك بالغناء فغنى

ولما قضينا من منى كل حاجة * ولم يبق الا أن تزم الركائب

فايقنا ان هذه الطير تعقب الغير فلما اراد امير المسلمين ملك الاندلس سار من مراكش الى سبتة وأقام بها وسير العساكر مع سير بن أبى بكر وغيره الى الاندلس فعبروا الخليج فاتوا مدينة مرسية فملكوها واعمالها واخرجوا صاحبها أبا عبد الرحمن بن طاهر منها وساروا الى مدينة شاطبة ومدينة دانية فملكوهما وكانت بلنسية قد ملكها الفرنج قديما بعد ان حصروها سبع سنين فلما سمعوا بوقعة الزلاقة فارقوها فملكها المسلمون أيضا وعمروها وسكنوها فصارت الآن للمرابطين وكانوا قد ملكوا غرناطة نوبة الزلاقة فقصدوا مدينة اشبيلية وبها صاحبها المعتمد بن عباد فحصروه بها وضيقوا عليه فقاتل أهلها قتالا شديدا وظهر من شجاعة المعتمد وشدة باسه وحسن دفاعه عن بلده مالم يشاهد من غيره ما يقاربه فكان يلقى نفسه فى المواقف التى لا يرجى خلاصه منها فيسلم بشجاعته وشدة نفسه ولكن اذا انفدت المدة لم تغن العدة وكانت الفرنج قد سمعوا بقصد عساكر المرابطين بلاد الاندلس فخافوا ان يملكوها ثم يقصدوا بلادهم فجمعوا فاكثروا وساروا ليساعدوا المعتمد و يعينوه على المرابطين فسمع سير بن أبى بكر مقدم المرابطين بمسيرهم ففارق اشبيلية وتوجه الى لقاء الفرنج فلقيهم وقاتلهم وهزمهم وعاد الى

بلغه كافة افعاله بالمنوفية من العسف والتكاليف وكذا باقى اخوانه وافعالهم بالاقاليم فكان مسامرتهم معه تلك الليلة فى ذكر العدالة الموجبة لعمار البلاد و يقول لسليمان بك فى التمثيل الانسان الذى يكون له ماشية يقتات هو وعياله من لبنها ومنها وجبنها يلزمه أن يرفق بها فى العلف حتى تدر وتسمن وتنتج له النتاج بخلاف ما اذا أجاعها واجحفها واتعبها واشقاها واضعفها حتى اذا ذبحها لا يجد بها لحما ولا دهنا فقال هذا ما اعتدناه و ربينا عليه فقال ان اعطانى الله سيادة مصر والامارة فى هذا القطر لامنعن هذه الوقائع واجرى فيه العدل ليكثر خيره وتعمر بلاده وترتاح اهله و يكون احسن بلاد الله ولكن الاقليم المصرى ليس له بخت ولا سعد واهله تراهم مختلفين فى الاجناس متنافرى القلوب منحرفى الطباع فلم يمض على هذا الكلام الا بقية الليل وساعات من النهار حتى احاطوا به وفر هاربا و نجا بنفسه وجرى ما تقدم ذكره من اختفائه وظهوره وانتقاله الى الجهة القبلية واجتماع الجيوش عليه وحكمت عليه الصورة التى

ظهر فيها وحصل له ما حصل (واخبرنى) من اجتمع عليه فى البحيرة وساءره فقال يا فلان والله يخيل لى ان اقتل نفسى

اشبيلية فحصرها ولم يزل الحصار دائما والقتال مستمرا الى العشرين من رجب من هذه السنة فعظم الحرب ذلك اليوم واشتد الامر على أهل البلد ودخله المرابطون من واديه ونهب جميع ما فيه ولم يبقوا على سبد ولا لبد وسلبوا الناس ثيابهم فخرجوا من مساكنهم يستترون عوراتهم بايديهم وسبي المخدرات وانتهكت الحرمات فاخذ المعتمد أسيرا ومعه أولاده الذكور والاناث بعد ان استاصلوا جميع مالهم فلم يصحبهم من ملكهم بلغة زاد وقيل ان المعتمد سلم البلد بامان وكتب نسخة الامان والعهد واستحلفهم به لنفسه وأهله وماله وعبيده وجميع ما يتعلق باسبابه فلما سلم اليهم اشبيلية لم يفوا له وأخذوهم أسرا ومالهم غنيمة وسير المعتمد وأهله الى مدينة اغمات فحبسوا فيها وفعل أمير المسلمين بهم أفعالا لم يسلكها احد ممن قبله ولا يفعلها أحد ممن يأتي بعده الامن رضي لنفسه بهذه الرذيلة وذلك أنه سجنهم فلم يجر عليهم ما يقوم بهم حتى كان بنات المعتمد يغزلن للناس باجرة ينفقونها على أنفسهم وذكر ذلك المعتمد في أبيات ترد عند ذكر وفاته فابان أمير المسلمين بهذا الفعل عن صغر نفس ولؤم قدرة وهذه اغمات مدينة في سفح جبل بالقرب من مراكش وسير من ذكر المعتمد عند موته سنة ثمان وثمانين ما يعرف به محله قال أبو بكر بن اللبانة زرت المعتمد بعد أسره باغمات وقلت أبيات عند دخولي اليه منها

لم أقل في الثقاف كان ثقافا * كنت قلبا به وكان شغافا
يمكث الزهر في الكمام ولكن * بعد مكث الكمام يدنو قطافا
واذا الهلال غاب بغيم * لم يكن ذلك المغيب انكسافا
* انما أنت درة للمعالي * وكب الدهر فوقها اصدافا
حجب البيت منك شخصا كريما * مثل ما تحجب الدنان السلافا
أنت للفضل كعبة ولو أني * كنت استطيع لالتزمت الطوافا

قال وجرت بيني وبينه مخاطبات الذمن غفلات الرقيب وأشهى من رشفات الحبيب وأدل على السماح من فجر على صباح ولما أخذ المعتمد وأهله قتل ولداه الفتح ويزيد بين يديه صبرا فقال في ذلك

يقولون صبرا لا سبيل الى الصبر * سابكي وأبكي ما تطاول من عمري
أفتح لقد فتحت لي باب رحمة * كما بيزيد الله قد زاد في أجري
هوى بكما المقدار عني ولم أمت * فادعى وفيا قد نكصت الى الغدر
ولو عدتما لاخترتما العود في الثرى * اذا أنعما أبصرتماني في الاسر
أبا خالد أورثتني البث خالدا * أبا نصر مذ ودعت ودعني نصري

وكان المعتمد يكاتبه فضلاء البلاد وهو محبوس بالنثر والنظم يتوجعون له ويذمون الزمان وأهله حيث مثله منكوب فمن ذلك ما قاله عبد الجبار بن أبي بكر بن حديس وكتبه اليه يذكر مسيرهم عن اشبيلية الى أغمات

جرى لك جد بالكرام عثور * وجار زمان كنت منه تجير

وعادوني من غير جرم ولا ذنب سبق مني في حقهم واشقوني واشقوا انفسهم وملكوا البلاد لاعدائي واعدائهم وسعيت واجتهدت في مراضاتهم ومصالحتهم والنصح لهم فلم يزدهم ذلك الا نفورا وتباعدا عني ثم هذه الجنود ورئيسهم الذين ولجوا البلاد وذاقوا احلاوتها وشبعوا بعد جوعهم وترفهوا بعد ذلهم يجيشون علي ويحاربوني ويكيدوني ويقاتلوني ثم ان هؤلاء العربان المجتمعين على اصانعهم واسوسهم واغاضبهم واراضيهم وكذلك جندي ومماليكي وكل منهم يطلب مني رياسة وامارة ويظنون بغفلتهم ان البلاد تحت حكمي ويظنون اني مقصر في حقهم فتارة اعاملهم باللطف وتارة ازجرهم بالعنف فانا بين الكل مثل الفريسة والجميع حولي مثل الكلاب الجياع يريدون نهشي واكلي وليس بيدي كنوز قارون فانفق على هؤلاء الجوع منها فيضطرني الحال الى التعدي على عباد الله واخذ أموالهم واكل مزارعهم ومواشيهم فان قدر الله لي بالظفر عوضت عليهم ذلك ورفقت بحالهم وان كانت الاخرى فالله يلطف بنا وبهم ولا بد ان يترحموا علينا ويسترضوا عن ظلمنا وجورنا بالنسبة لما يحل بهم بعدنا

لقد اصبحت بيض الظبا فى غمودها * انائا لترك الضرب وهى ذكور
ولما رحلتم بالندى فى أكفكم * وقلقل رضوى منكم وثبير
رفعت لسانى بالقيامة قد أتت * الا فانظروا كيف الجبال تسير

وقال شاعره ابن اللبانة فى حادثته أيضا

تبكى السماء بدمع رائح غادى * على البها ليل من أبناء عباد
على الجبال التى هدت قواعدها * وكانت الارض منها تحت أوتاد
عريسة دخلتها النائبات على * اساود منهم فيها وآساد
وكعبة كانت الآمال تعمرها * فاليوم لا عاكف فيها ولا بادى

ولما استقصى عسكر أمير المسلمين ملوك الاندلس وأخذ بلادهم جمع ملوكهم وسيرهم الى بلاد بالغرب وفرقهم فيها ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة اهلها اذلة ولما فرغ سير من اشبيلية سار الى المرية فنازلها وكان صاحبها محمد بن معن بن صمادح فقال لولده مادام المعتمد باشبيلية فلا نبالى بالمرابطين فلما سمع بملكهم لها وما جرى للمعتمد مات فى تلك الايام غما وكمدا فلما مات سار ولده الحاجب واهله فى مراكب ومعهم كل مالهم وقصدوا بلاد بنى حماد فاحسنوا اليهم وكان عمر بن الافطس صاحب بطليوس ممن اعان سيرا على المعتمد فلما فتحت اشبيلية رجع ابن الافطس الى بلده فسار اليه سير وحاربه فغلبه واخذ بلده منه واخذه اسيرا هو وولده الفضل فقتلهما فقال عمر حين ارادوا قتله قدموا ولدى قبلى للقتل ليكون فى صحيفتى فقتل ولده قبله وقتل هو بعده واحتوى سير على ذخائرهم واموالهم ولم يترك من ملوك الاندلس سوى بنى هود فانه لم يقصد بلادهم وهى شرق الاندلس وكان صاحبها حينئذ المستعين بالله بن هود وهو من الشجعان الذين يضرب المثل بهم وكان قد اعد كل ما يحتاج اليه فى الحصار وترك عنده ما يكفيه عدة سنين بمدينة روطة وكانت قلعة حصينة وكانت رعيته تخافه ولم يزل يهادى امير المسلمين قبل ان يقصد بلاد الاندلس ويملكها ويواصله ويكثر مراسلته فرعى له ذلك حتى انه اوصى ابنه على بن يوسف عند موته بترك التعرض لبلاد بنى هود وقال اتركهم بينك وبين العدو فانهم شجعان

(ذكر ملك الفرنج جزيرة صقلية)

فى هذه السنة استولى الفرنج لعنهم الله على جميع جزيرة صقلية اعادها الله تعالى الى الاسلام والمسلمين وسبب ذلك ان صقلية كان الامير عليها سنة ثمان وثمانين وثلثمائة ابا الفتوح يوسف بن عبد الله بن محمد بن ابى الحسين ولاه عليها العزيز العلوى صاحب مصر وافريقية فاصابه هذه السنة فالج فتعطل جانبه الايسر وضعف الجانب الايمن فاستناب ابنه جعفرا فبقى كذلك ضابطا للبلاد حسن السيرة فى اهلها الى سنة خمس واربعمائة فخالف عليه اخوه على واعانه جمع من البربر والعبيد فاخرج اليه أخوه جعفر جندا من المدينة فاقتتلوا سابع شعبان وقتل من البربر والعبيد خلق كثير

(وبالجملة) فكان آخر من ادركنا من الامراء المصريين شهامة وصرامة ونظرا فى عواقب الامور وكان وحيدا فى نفسه فريدا فى ابناء جنسه وبموته اضمحلت دولتهم وتفرقت جمعيتهم وانكسرت شوكتهم وزادت نفرتهم ومازالوا فى نقص وادبار وذلة وهوان وصغار ولم تقم لهم بعده راية وانقرضوا وطردوا الى اقصى البلاد فى النهاية * واما مماليكه وصناجقه فانهم تركوا نصيحته ونسوا وصيته وانضموا الى عدوهم وصادقوه ولم يزل بهم حتى قتلهم وابادهم عن آخرهم كما سيتلى عليك خبر ذلك فيما بعد (وكانت) صفة المترجم معتدل القامة ابيض اللون مشربا بحمرة جميل الصورة مدور اللحية أشقر الشعر قد وخطه الشيب مليح العينين مقرون الحاجبين معجبا بنفسه مترفها فى زيه وملبسه كثيرا الفكر كتوما لا يبيح بسر ولا لاعز أحبابه الا انه لم يسعفه الدهر وجنى عليه بالقهر وخاب أمله وانقضى أجله وخانه الزمان وذهب فى خبر كان ومات وله من العمر نحو الخمسة والخمسين سنة غفر الله له * ومات الامير عثمان بك البرديسى المرادى وسمى البرديسى لانه تولى كشوفية برديس بقبلى فعرف بذلك واشتهر به تقلد الامرية والصنجقية فى سنة عشر ومائتين والف وتزوج ببنت احمد كتخدا على وهى اخت على كاشف الشرقية وعمل لها مهما وذلك قبل ان

يتقلد الصنجقية وسكن بدا رعلى كتخدا الطويل بالازبكية واشتهر ذكره وصار معدودا من جملة الامراء ولما قتل عثمان بك البرديسى المرادى بساحل ابوقير ورجع من رجع الى قبلى كان الالفى هو المتعين بالرياسة على المرادية فلما سافر الالفى الى بلاد الانكليز تعين المترجم بالرياسة على خشداشينه مع مشاركة بشتك بك الذى عرف بالالفى الصغير فلما حضروا الى مصر فى سنة ثمان عشرة بعد خروج محمد باشا خسرو وقتل طاهر باشا انضم اليه محمد على باشا وكان اذذاك سر شمة العساكر وتوانى معه وصادقه ورمح فى ميدان غفلته وتحالفا وتعاهدا وتعاقدا على المحبة والمصافاة وعدم خيانة احدهما للآخر وان يكون محمد على باشا وعساكره الاروام اتباعا له وهو الامير المتبوع فانتفخ جاشه لانه كان طائش العقل مقتبل الشبيبة فاغتر بظاهر محمد على باشا لانه حين عمل شغله فى مخدومه محمد باشا وبعده طاهر باشا دعا الامراء المصريين وأدخلهم الى مصر وانتسب الى ابراهيم بك الكبير لكونه رئيس القوم وكبيرهم وعين لابراهيم بك خرجاوعلوفة مثل اتباعه وسبروا اختبره فلم ترج سلعته عليه ووجده حريصا على دوام التراحم والالفة والمحبة وعدم التفاشل فى عشيرته وابناء جنسه محترزا من وقوع مايوجب التقاطع والتنافر فى قبيلته فلما أيس منه مال

وهرب من بقى منهم واخذ على اسير افقتله اخوه جعفر وعظم قتله على ابيه فكان بين خروجه وقتله ثمانية ايام وامر جعفر حينئذ ان ينفى كل بربرى بالجزيرة فنفوا الى افريقية وامر بقتل العبيد فقتلوا عن آخرهم وجعل جنده كلهم من اهل صقلية فقل العسكر بالجزيرة وطمع اهل الجزيرة فى الامراء فلم يمض الا يسير حتى ثاربه اهل صقلية واخرجوه وخلعوه وارادوا قتله وسبب ذلك انه ولى عليهم انسانا صادرهم واخذ الاعشار من غلاتهم واستخف بقوادهم وشيوخ البلد وقهر جعفر اخوته واستطال عليهم فلم يشعر الا وقد زحف اليه أهل البلد كبيرهم وصغيرهم فحصروه فى قصره فى المحرم سنة عشر وار بعمائة واشرفوا على اخذه فخرج اليهم ابوه يوسف فى محفة وكانوا له محبين فلطف بهم ورفق فبكوا رحمة له من مرضه وذكروا له ما احدث ابنه عليهم وطلبوا ان يستعمل ابنه أحمد المعروف بالاكحل ففعل ذلك وخاف يوسف على ابنه جعفر منهم فسيره فى مركب الى مصر وسار أبوه يوسف بعده ومعهما من الاموال ستمائة ألف دينار وسبعون ألفا وكان ليوسف من الدواب ثلاثة عشر ألف جرة سوى البغال وغيرها ومات بمصر وليس له الا ابنة واحدة ولما ولى الاكحل أخذ امره بالحزم والاجتهاد وجمع المقاتلة وبث سراياه فى بلاد الكفرة فكانوا يحرقون ويغنمون ويسبون ويخربون البلاد واطاعه جميع قلاع صقلية التى للمسلمين وكان للاكحل ابن اسمه جعفر كان يستنيبه اذا سافر فخالف سيرة ابيه ثم ان الاكحل جمع اهل صقلية وقال احب ان اشليكم على الافريقيين الذين قد شاركوكم فى بلادكم والراى اخراجهم فقالوا قد صاهرناهم وصرنا شيئا واحدا نصرفهم ثم ارسل الى الافريقيين فقال لهم مثل ذلك فاجابوه الى ما اراد فجمعهم حوله فكان يحمى املاكهم ويأخذ الخراج من املاك اهل صقلية فسار من اهل صقلية جماعة الى المعز بن باديس وشكوا اليه ما حل بهم وقالوا نحب ان نكون فى طاعتك والاسلمنا البلاد الى الروم وذلك سنة سبع وعشرين وار بعمائة فسير معهم ولده عبد الله فى عسكر فدخل المدينة وحصر الاكحل فى الخالصة ثم اختلف اهل صقلية واراد بعضهم نصرة الاكحل فقتله الذين احضروا عبد الله بن المعز ثم ان الصقليين رجع بعضهم على بعض وقالوا أدخلتم غيركم علينا والله لا كانت عاقبة امركم فيه الى خير فعزموا على حرب عسكر المعز فاجتمعوا وزحفوا اليهم فاقتتلوا فانهزم عسكر المعز وقتل منهم ثمانمائة رجل ورجعوا فى المراكب الى افريقية وولى اهل الجزيرة عليهم حسنا الصمصام اخا الاكحل فاضطربت احوالهم واستولى الاراذل وانفرد كل انسان ببلد واخرجوا الصمصام فانفرد القائد عبد الله بن منكوت بمازر وطرابنش وغيرهما وانفرد القائد على بن نعمة المعروف بابن الحواس بقصريانة وجرجنت وغيرهما وانفرد ابن الثمنة بمدينة سرقوسة وقطانية وتزوج باخت ابن الحواس ثم انه جرى بينها وبين زوجها كلام اغاظ كل منهما الصاحبه وهو سكران فامر ابن الثمنة بقصدها فى عضديها وتركها لتموت فسمع ولده ابراهيم فحضر واحضر الاطباء وعالجها الى ان عادت قوتها ولما اصبح ابوه ندم واعتذر اليها بالسكر فاظهرت قبول عذره ثم انها طلبت منه بعد

عنه وانضم الى المترجم واستخفه واحتوى على عقله وصاحبه وصادقه وصار يختلى معه ويتعاقر معه الشراب ويساره ويساير حتى باح له بما في ضميره من الحقد لاخوانه وتطلب الانفراد بالرياسة فصار يقوى عزمه ويزيد في اغرائه ويعده بالمعاونة والمساعدة على اتمام قصده ولم يزل به حتى رسخ في ذهن المترجم نصحه وصدقه كل ذلك توصلا لما هو كامن في نفسه من اهلاك الجميع ثم أشار عليه ببناء ابراج حول داره التي سكن بها بالناصرية فلما اتمها اسكن بها طائفة من عساكره كانهم محافظون لما عساه أن يكون ثم سار معه الى حرب محمد باشا خسرو بدمياط فحاربوه وأتوا به أسيرا وحبسوه ثم فعلوا بالسيد على القبطان مثل ذلك ثم كائنة على باشا الطرابلسي وقتله وقد تقدم خبر ذلك كله وجميعه ينسب فعله للصريين ولم يبق الا الايقاع بينهم فكان وصول الالفي عقب ذلك فاوقعوا به وبجنده ما تقدم ذكره وتفاشلوا وتفرقوا بعد جمعهم وقلوا بعد الكثرة ثم أشار على المترجم الصادق الناصح بتفريق أكثر الجمع الباقي في النواحي والجهات البعض منهم لرصد الالفي والقبض عليه وعلى جنده والبعض الآخر لظلم الفلاحين في البلاد ولم يبق

مدة ان تزور اخاها فاذن لها وسير معها التحف والهدايا فلما وصلت ذكرت لاخيها ما فعل بها خلف انه لا يعيدها اليه فارسل ابن الثمنة يطلبها فلم يردها اليه فجمع ابن الثمنة عسكره وكان قد استولى على أكثر الجزيرة وخطب له بالمدينة وسار وحصر ابن الحواس بقصريانة فخرج اليه فقاتله فانهزم ابن الثمنة وتبعه الى قرب مدينة قطانية وعاد عنه بعد ان قتل من أصحابه فاكثر فلما رأى ابن الثمنة ان عساكره قد تمزقت سولت له نفسه الانتصار بالكفار ولما يريده الله تعالى فسار الى مدينة مالطة وهي بيد الفرنج قد ملكوها لما خرج بردويل الفرنجي الذي تقدم ذكره سنة اثنتين وسبعين وثلثمائة واستوطنها الفرنج الى الآن وكان ملكها حينئذ رجار الفرنجي في جمع الفرنج فوصل اليهم ابن الثمنة وقال انا املككم الجزيرة فقالوا ان فيها جندا كثيرا ولا طاقة لنا بهم فقال انهم مختلفون واكثرهم يسمع قولي ولا يخالفون أمري فساروا معه في رجب سنة اربع وأربعين وأربعمائة فلم يقاوموا من يدافعهم فاستولوا على ما مروا به في طريقهم وقصد بهم الى قصريانة فحصروها فخرج اليهم ابن الحواس فقاتلهم فهزمه الفرنج فرجع الى الحصن فرحلوا عنه وساروا في الجزيرة واستولوا على مواضع كثيرة وفارقها كثير من اهلها من العلماء والصالحين وسار جماعة من اهل صقلية الى المعز بن باديس وذكروا له ما الناس فيه بالجزيرة من الخلف وغلبة الفرنج على كثير منها فعمر اسطولا كبيرا وشحنه بالرجال والعدد وكان الزمان شتاء فساروا الى قوصرة فهاج عليهم البحر فغرق أكثرهم ولم ينج الا القليل وكان ذهاب هذا الاسطول مما أضعف المعز وقوى عليه العرب حتى اخذوا البلاد منه فلذلك حينئذ الفرنج أكثر البلاد على مهل وتؤدة لا يمنعهم أحد واشتغل صاحب افريقية بمعاداتهم من العرب ومات المعز سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة وولى ابنه تميم فبعث أيضا اسطولا وعسكرا الى الجزيرة وقدم عليه ولده أيوب وعليا فوصلوا الى صقلية فنزل أيوب والعسكر المدينة ونزل علي جرجنت ثم انتقل ايوب الى جرجنت فامر علي بن الحواس ان ينزل في قصره وارسل هدية كثيرة فلما اقام ايوب فيها احبه أهلها فحسده ابن الحواس فكتب اليهم ليخرجوه فلم يفعلوا فسار اليه في عسكره وقاتله فشد اهل جرجنت من ايوب وقاتلوا معه فبينما ابن الحواس يقاتل أتاه سهم غرب فقتله فلما رأى العسكر عليهم ايوب ثم وقع بعد ذلك بين اهل المدينة وبين عبيد تميم فتنة ادت الى القتال ثم زاد الشر بينهم فاجتمع ايوب وعلي أخوه ورجعا في الاسطول الى افريقية سنة احدى وستين وصحبهم جماعة من اعيان صقلية والاسطولية ولم يبق للفرنج ممانع فاستولوا على الجزيرة ولم يثبت بين ايديهم غير قصريانة وجرجنت فحصرهما الفرنج وضيقوا على المسلمين بهما فضاق الامر على اهلهما حتى أكلوا الميتة ولم يبق عندهم ما يأكلونه فاما اهل جرجنت فسلموها الى الفرنج وبقيت قصريانة بعدها ثلاث سنين فلما اشتد الامر عليهم اذعنوا الى التسليم فتسلمها الفرنج لعنهم الله سنة أربع وثمانين وأربعمائة وملك رجار جميع الجزيرة واسكنها الروم والفرنج مع المسلمين ولم يترك لاحد من اهلها حاما ولا ولادكانا ولا طاحونا ومات رجار بعد ذلك قبل التسعين

١١ يخ مل عا بالمدينة غير المترجم وابراهيم بك الكبير وبعض أمراء فعند ذلك سلط محمد علي

العساكر بطلب علائقهم المنكسرة فعجزوا عنها فاراد المترجم أن يفرض على فقراء البلدة فرضة بعد أن استشار

الاخ النصوح وطافت الكتاب في الحارات والازقة يكتبون اسماء الناس ودورهم ففزعوا وصرخوا في وجوه العسكر فقالوا نحن ليس لنا عندكم شئ ولا نرضى بذلك وعلائقنا عند امرائكم ونحن مساعدون لكم فعند ذلك قاموا على ساق وخرجت نساء الحارات وبايديهم الدفوف يغنون ويقولون ايش تاخذ من تفليسي يا بردسي وصاروا يسخطون على المصريين ويترضون عن العسكر وفي الحال أحاطت العسكر ببيوت الامراء ولم يشعر البرديسي الا والعسكر الذين اقامهم بالابراج التي بناها حوله ليكونوا له عزا ومنعة يضربون عليه ويحاربونه ويريدون قتله وتسلقوا عليه فلم يسع الجميع الا الهروب والفرار وخرجوا خروج الضب من الوجار وذهب المترجم الى الصعيد مذؤما مدحورا مذموما مطرودا وجوزي مجازاة من ينتصر بعدوه ويعول عليه ويقص اجنحته برجليه وكالباحث على حتفه بظلفه والجادع بظفره مارن انفه ولم يزل في هياج وحروب كما سطر في السياق ولم ينتصر في معركة ولم يزل مصرا على معاداة اخيه الاانفي وحاقد اعليه وعلى اتباعه حريصا على زلاته واعظمها قضية القبودان وموسى باشا الى تحتها

والار بعمائة وملك بعده ولده وجار فسلك طريق ملوك المسلمين من الجنائب والحجاب والسلاحية والجاندارية وغير ذلك وخالف عادة الفرنج فانهم لا يعرفون شيئا منه وجعل له ديوان المظالم ترفع اليه شكوى المظلومين فينصفهم ولو من ولده واكرم المسلمين وقربهم ومنع عنهم الفرنج فاحبوه وعمر اسطولا كبيرا وملك الجزائر التي بين المهدية وصقلية مثل مالطة وقوصرة وجربة وقرقنة وتطاول الى سواحل افريقية فكان منه ماذكرناه ان شاء الله

(ذكر وصول السلطان الى بغداد)

في هذه السنة في شهر رمضان وصل السلطان الى بغداد وهي المرة الثانية ونزل بدار المملكة ونزل أصحابه متفرقين ووصل اليه أخوه تاج الدولة تتش وقسيم الدولة آقسنقر صاحب حلب وغيرهما من زعماء الاطراف وعمل الميلاد ببغداد وتانقوا في عمله فذكر الناس انهم لم يروا ببغداد مثله ابدا واكثر الشعراء وصف تلك الليلة فمن قال المطرز

وكل نار على العشاق مضرمة * من نار قلبي اومن ليلة السذق
نار تجلت بها الظلماء واشتبهت * بسدفة الليل فيه غرة الغلق
وزارت الشمس فيها البدر واصطلحا * على الكواكب بعد الغيظ والحنق
مدت على الارض بسطا من جواهرها * ما بين مجتمع وار ومفترق
مثل المصابيح الا انها نزلت * من السماء بلا رجم ولا حرق
* أعجب بنار ورضوان يسعرها * ومالك قائم منها على فرق *
في مجلس ضحكت روض الجنان له * لما جلى ثغره عن واضح يقق
وللشموع عيون كلما نظرت * تظلمت من يديها النجم الغسق
من كل مرهفة الاعطاف كالغصن الـ * ـمياد لكنه عار من الورق
اني لاعجب منها وهي وادعة * تبكي وعيشتها من ضربة العنق

وفي هذه المرة أمر بعمارة جامع السلطان فابتدئ في عمارته في المحرم سنة خمس وثمانين واربعمائة وعمل قبلته بهرام منجمه وجماعة من أصحاب الرصد وابتدأ بعده نظام الملك وتاج الملك والامراء الكبار بعمل دورلهم يسكنونها اذا قدموا بغداد فلم تطل مدتهم بعدها وتفرق شملهم بالموت والقتل وغير ذلك في باقي سنتهم ولم تغن عنهم عساكرهم وما جمعوا شيئا فسبحان الدائم الذي لا يزول أمره

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة رحل ابن أبي هاشم من مكة مستغيثا من الترکمان وفي آخرها مرض نظام الملك ببغداد فعالج نفسه بالصدقة فكان يجتمع بمدرسته من الفقراء والمساكين من لا يحصى وتصدق عنه الاعيان والامراء من عسكر السلطان فعوفي وأرسل له الخليفة خلعا نفيسة وفيها في تاسع شعبان كان بالشام وكثير من البلاد زلازل كثيرة وكان أكثرها بالشام ففارق الناس مساكنهم وانهدم بانطاكية كثير من المساكن وهلك

تحتها عالم كثير وخرب من سورها تسعون برجا فامر السلطان ملكشاه بعمارتها وفيها في شوال توفي أبو طاهر عبد الرحمن بن محمد بن علك الفقيه الشافعي وهو من رؤساء الفقهاء الشافعية وهو الذي تقدم ذكره في فتح سمرقند ومشى أرباب الدولة السلطانية كلهم في جنازته الا نظام الملك فانه اعتذر بعلو السن وأكثر البكاء عليه ودفن عند الشيخ أبي اسحق بباب أبرزوزار السلطان قبره وتوفي محمد بن عبد الله بن الحسين ابو بكر الناصح الحنفي قاضي الري وكان من اعيان الفقهاء الحنفية يميل الى الاعتزال وكان موته في رجب وفيها في شعبان توفي ابو الحسن علي بن الحسين بن طاوس المقرى بمدينة صور

(ثم دخلت سنة خمس وثمانين واربعمائة)

(ذكر الحرب بين المسلمين والفرنج بجيان)

في هذه السنة جمع اذفونش عساكره وجموعه وغزا بلاد جيان من الاندلس فلقيه المسلمون وقاتلوه واشتد الحرب فكانت الهزيمة اولا على المسلمين ثم ان الله تعالى رد لهم الكرة على الفرنج فهزموهم واكثروا القتل فيهم ولم ينج الا الاذفونش في نفر يسير وكانت هذه الوقعة من اشهر الوقائع بعد الزلاقة واكثر الشعراء ذكرها في اشعارهم

(ذكر استيلاء تتش على حمص وغيرها من ساحل الشام)

لما كان السلطان ببغداد قدم اليه اخوه تاج الدولة تتش من دمشق وقسيم الدولة آقسنقر من حلب وبوزان من الرها فلما اذن لهم السلطان في العود الى بلادهم امر قسيم الدولة وبوزان ان يسيرا معساكرهما في خدمة اخيه تاج الدولة حتى يستولي على ما للخليفة المستنصر العلوي بساحل الشام من البلاد ويسيروهم معه الى مصر ليملكها فساروا اجمعون الى الشام ونزل على حمص وبها ابن ملاعب صاحبها وكان الضرر به وباولاده عظيما على المسلمين فحصروا البلد وضيقوا على من به فملكه تاج الدولة واخذ ابن ملاعب وولديه وسار الى قلعة عرقة فملكها عنوة وسار الى قلعة افامية فملكها ايضا وكان بها خادم للمصري فنزل بالامان فامنه ثم سار الى طرابلس فنازلها فرأى صاحبها جلال الملك بن عمار جيشا لا يدفع الا بحيلة فارسل الى الامراء الذين مع تاج الدولة واطمعهم ان يصلحوا حاله فلم يرفيهم مطمعا وكان مع قسيم الدولة آقسنقر وزيره اسمه زرين كمر فراسله ابن عمار فرأى عنده لينا فاتحفه واعطاه فسعى مع صاحبه قسيم الدولة في اصلاح حاله ليدفع عنه وحمل له ثلاثين الف دينار وتحفا بمثلها وعرض عليه المناشير التي بيده من السلطان بالبلد والتقدم الى النواب بتلك البلاد بمساعدته والشد معه والتحذير من محاربته فقال آقسنقر لتاج الدولة تتش لا اقاتل من هذه المناشير بيده فاغلظ له تاج الدولة وقال هل انت الا تابع لي فقال آقسنقر انا اتابعك الا في معصية السلطان ورحل من الغد عن موضعه فاضطر تاج الدولة الى الرحيل فرحل غضبان وعاد بوزان ايضا الى بلاده فانتقض هذا الامر

واختلال أمرهم وخراب دورهم وهتك اعراضهم ومذلتهم وتشتيت جمعهم ولم يزل على خبثه حتى مرض ومات بمنفلوط ودفن هناك * ومات الامير بشتك بك وهو الملقب بالالفي الصغير وهو مملوك محمد بك الالفي الكبير أمره وجعله وكيلا عنه مدة غيابه في بلاد الانكليز وكان قبل ذلك سلحداره وامر كشافه ومماليكه وجنده بطاعته وامتثال أمره فلما حضر الامراء المصريون في سنة ثمان عشرة اقام هو بقصر مراد بك بالجيزة فلم يحسن السياسة وداخله الغرور واعجب بنفسه وشمخ على نظرائه وعلى اعمامه الذين هم خشداشون لاستاذه بل وعلى ابراهيم بك الكبير الذي هو بمنزلة جده وكان مراد بك الذي هو استاذ استاذه يراعي حقه ويتادب معه ويقبل يده في مثل الاعياد ويقول هو اميرنا وكبيرنا وكذلك استاذ المترجم كان اذا دخل على ابراهيم بك قبل يده ولا يجلس بحضرته الا بعد أن يأذن له فلم يقتف المترجم في ذلك اسلافه بل سلك مسلك التعاظم والتكبر على الجميع واستعمل العسف في اموره مع الترفع على الجميع واذا عقدوا أمرا بدونه حله

أو حلوا شيئا بدونه عقده فضاق لذلك خناق الجميع منه وكرهوه وكرهوا استاذه وكان هو من جملة اسباب

ثغورهم من استاذه وانحراف قلوبهم عنه فلما رجع استاذه وظهر من اختفائه وبلغه افعاله مقتوه وابعده

ولم يزل ممقوتا عنده حتى مات مبطونا فى حياه استاذه بناحية قبلى فى تلك السنة

*ومات غير هؤلاء ممن له ذكر مثل سليمان بك المعروف بابو دياب بناحية قبلى أيضا ومات أيضا أحمد بك المعروف بالهندا وى الالفى فى واقعة النجيلة ومات أيضا صالح بك الالفى وهو أيضا ممن تامر فى غياب أستاذه وعند حضور أستاذه من بلاد الافكليز كان هو متوليا كشوفية الشرقية وغائبا هناك فارسلوا له تجريدة ليقتلوه وكان بناحية شلشلمون فوصله الخبر فترك خيامه وأحماله وأثقاله وهرب واختفى فلما وقعت حادثة الامراء مع العسكر وخرجوا من مصر هاربين وظهر الالفى من الوادى ذهب اليه وامده بما معه من الاموال وذهب مع أستاذه الى قبلى ولم يزل حتى مات أيضا فى هذه السنة وغير أولئك كثير لم تحضرنى اسماؤهم ولا وفاتهم

(ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين ومائتين والف) وكان ابتداء المحرم يوم الاربعاء فيه وصل القابجى الذى على يده التقرير لمحمد على باشا على ولاية مصر وطلع الى بولاق (وفيه) وردت مكاتبات من الجهة القبلية فيها انهم كبسوا على عرضى الالفية وصحبتهم سليمان بك البواب وحاربوهم وهزموهم بهذه

(ذكر ملك السلطان اليمن)

وكان ممن حضر أيضا عند السلطان ببغداد جبق أمير التركمان وهو صاحب قرميسين وغيرها فامره السلطان أن يسير هو وجماعة من امراء السلطان كانوا معه الى الحجاز واليمن ويكون أمرهم الى سعد الدولة كوهرائين ليفتحوا البلاد هناك فاستعمل عليهم سعد الدولة أميرا اسمه ترشك فساروا حتى وردوا اليمن فاستولوا عليها وأساؤا السيرة فى أهلها ولم يتركوا فاحشة ولا سيئة الا ارتكبوها وملكوا عدن وظهر على ترشك الجدرى فتوفى فى سابع يوم من وصوله اليها وكان عمره سبعين سنة فعاد أصحابه الى بغداد وحملوه ودفنوه عند قبر أبى حنيفة رحمة الله عليه

(ذكر مقتل نظام الملك)

فى هذه السنة عاشر رمضان قتل نظام الملك أبو على الحسن بن على بن اسحق الوزير بالقرب من نهاوند وكان هو والسلطان فى اصبهان وقد عادا الى بغداد فلما كان بهذا المكان بعد ان فرغ من افطاره وخرج فى محفته الى خيمة حرمه اتاه صبى ديلمى من الباطنية فى صورة مستميح أو مستغيث فضربه بسكين كانت معه فقضى عليه وهرب فعثر بطنب خيمة فادركوه فقتلوه وركب السلطان الى خيمه فسكن عسكره وأصحابه وبقى وزير السلطان ثلاثين سنة سوى ما وزر للسلطان الب ارسلان صاحب خراسان أيام عمه طغرلبك قبل أن يتولى السلطنة وكان قد علت سنه فانه كان مولده سنة ثمان واربعمائة وكان سبب قتله ان عثمان بن جمال الملك بن نظام الملك كان قد ولاه جده نظام الملك رياسة مرو وأرسل السلطان اليها شحنة يقال له قودن وهو من أكبر مماليكه ومن أعظم الامراء فى دولته فجرى بينه وبين عثمان منازعة فى شئ فحملت عثمان حداثة سنه وتمكنه وطمعه بجده على ان قبض عليه واخرق به ثم أطلقه فقصد السلطان مستغيثا شاكيا فارسل السلطان الى نظام الملك رسالة مع تاج الدولة ومجد الملك البلاسانى وغيرهما من أرباب دولته يقول له ان كنت شريكى فى الملك ويدك مع يدى فى السلطنة فلذلك حكم وان كنت نائبى وبحكمى فيجب ان تلزم حد التبعية والنيابة وهؤلاء أولادك قد استولى كل واحد منهم على كورة عظيمة وولى ولاية كبيرة ولم يقنعهم ذلك حتى تجاوزوا أمر السياسة وطمعوا الى ان فعلوا كذا وكذا وأطال القول وأرسل معهم الامير يلبرد وكان من خواصه وثقاته وقال له تعرفنى ما يقول فربما كتم هؤلاء شيئا فحضروا عند نظام الملك وأوردوا عليه الرسالة فقال لهم قولوا للسلطان ان كنت ما علمت انى شريكك فى الملك فاعلم فانك ما تملت هذا الامر الا بتدبيرى ورأيى أما تذكر حين قتل أبوه فقمت بتدبير أمره ووقعت الخوارج عليه من أهله وغيرهم منهم فلان وفلان وذكر جماعة ممن خرج عليه وهو ذلك الوقت يتمسك بى و يلزمنى ولا يخالفنى فلما قدت الامور اليه وجمعت الكلمة عليه وفتحت له الامصار القريبة والبعيدة وأطاعه القاصى والدانى أقبل يتجنى لى الذنوب و يسمع فى السعايات قولوا له عنى ان ثبات تلك القلنسوة معذوق

بهذه الدواة وان اتفاقهما رباط كل رغيبة وسبب كل غنيمة ومتى أطبقت هذه زالت تلك فان عزم على تغيير فليتزود للاحتياط قبل وقوعه وليأخذ الحذر من الحادث امام طروقه واطال فيما هذا سبيله ثم قال لهم قولوا للسلطان عني مهما أردتم فقد أهمني ما لحقني من توبيخه وفت في عضدي فلما خرجوا من عنده اتفقوا على كتمان ما جرى من السلطان وان يقولوا له ما مضمونه العبودية والتنصل ومضوا الى منازلهم وكان الليل قد انتصف ومضى يلبرد الى السلطان فاعلمه ما جرى وبكر الجماعة الى السلطان وهو ينتظرهم فقالوا له من الاعتذار والعبودية ما كانوا اتفقوا عليه فقال لهم السلطان انه لم يقل هذا وانما قال كيت وكيت فاشاروا حينئذ بكتمان ذلك رعاية لحق نظام الملك وسابقته فوقع التدبير عليه حتى تم عليه من القتل ما تم ومات السلطان بعده بخمسة وثلاثين يوما وانحلت الدولة ووقع السيف وكان قول نظام الملك شبه الكرامة له وأكثر الشعراء مراثيه فمن جيد ما قيل فيه قول شبل الدولة مقاتل بن عطية

كان الوزير نظام الملك لؤلؤة * يتيمة صاغها الرحمن من شرف
عزت فلم تعرف الايام قيمتها * فردها غيرة منه الى الصدف

ورأى بعضهم نظام الملك بعد قتله في المنام فسأله عن حاله فقال كان يعرض على جميع عملي لولا الحديدة التي أصبت بها يعني القتل

(ذكر ابتداء حاله وشيء من أخباره)

اما ابتداء حاله فكان من ابناء الدهاقين بطوس فزال ما كان لابيه من مال وملك وتوفيت امه وهو رضيع فكان ابوه يطوف به على المرضعات فيرضعنه حسبة حتى شب وتعلم العربية وسر الله فيه يدعوه الى علو الهمة والاشتغال بالعلم فتفقه وصار فاضلا وسمع الحديث الكثير ثم اشتغل بالاعمال السلطانية ولم يزل الدهر يعلو به ويخفض حضرا وسفرا وكان يطوف بلاد خراسان ووصل الى غزنة في صحبة بعض المتصرفين ثم لزم أبا علي بن شاذان متولي الامور ببلخ لداود والد السلطان الب ارسلان فحسنت حاله معه وظهرت كفايته وامانته وصار معروفا عندهم بذلك فلما حضرت ابا علي بن شاذان الوفاة اوصى الملك الب ارسلان به وعرفه حاله فولاه شغله ثم صار وزيرا له الى ان ولي السلطنة بعد عمه طغرلبك واستمر على الوزارة لانه ظهرت منه كفاية عظيمة وآراء سديدة قادت السلطنة الى الب ارسلان فلما توفي الب ارسلان قام بامر ابنه ملكشاه وقد تقدم ذكر هذه الجمل مستوفى مشروحا وقيل ان ابتداء امره انه كان يكتب للامير تاجر صاحب بلخ وكان الامير يصادره في راس كل سنة ويأخذ ما معه ويقول له قد سمنت يا حسن ويدفع اليه فرسا ومقرعة ويقول هذا يكفيك فلما طال ذلك عليه اخفى اولاده فخر الملك ومؤيد الملك وهرب الى جغري بك داود والد الب ارسلان فوقف فرسه في الطريق فقال اللهم اني اسالك فرسا تخلصني عليه فسار غير بعيد فلقيه تركماني وتحته فرس جواد فقال لنظام الملك انزل عن فرسك فنزل عنه فاخذه التركماني

ونهبوا حملاتهم وقطعوا منهم عدة رؤس وهي واصلة في طريق البحر وصادفت هذه البشارة مع بشارة ورود القابجي ووصوله فعمل لذلك شنك وضربت لذلك مدافع كثيرة من القلعة في كل وقت من الاوقات الخمسة ثلاثة أيام آخرها الجمعة ثم انه مضى عدة أيام ولم تحضر الرؤس التي اخبروا عنها واختلفت الروايات في ذلك (وفي يوم الثلاثاء سابعه) عملوا جمعية ببيت القاضي حضرها المشايخ والاعيان وذكروا انه لما وردت الاوامر بتحصين الثغور فارسل الباشا سليمان أغا ومعه طائفة من العسكر وأرسل الى اهالي الثغور والمحافظين عليها مكاتبات بانهم ان كانوا يحتاجون الى عساكر فيرسل لهم الباشا عساكر زيادة على الذين أرسلهم فاجابوا بان فيهم الكفاية ولا يحتاجون الى عساكر زيادة تأتيهم من مصر فانهم اذا كثروا في البلد تأتي منهم الفساد والافساد فعملوا هذه الجمعية لاثبات هذا القول ولخلاص عهدة الباشا لئلا يتوجه عليه اللوم من السلطنة وينسب اليه التفريط (وفي تاسعه) وردت مكاتبات مع السعاة من ثغر سكندرية وذلك يوم الخميس وقت العصر وفيها الاخبار بورود مراكب الانكليز وعدتها اثنان واربعون مركبا فيها عشرون قطعة كبارا والباقي صغار فطلبوا الحاكم والقنصل وتكلموا معهم وطلبوا الطلوع الى الثغر فقالوا لهم

واعطاه فرسه فركبه وقال له لا تنسني يا حسن قال نظام الملك فقويت نفسي بذلك وعلمت انه ابتداء سعادة فسار نظام الملك الى مرو ودخل على داود فلما رآه اخذ بيده وسلمه الى ولده الب ارسلان وقال له هذا حسن الطوسي فتسلمه واتخذه والدا لا تخالفه وكان الامير تاجر لما سمع بهرب نظام الملك سار في اثره الى مرو فقال لداود هذا كاتبي ونائبي قد اخذ اموالي فقال له داود حديثك مع محمد يعني الب ارسلان وكان اسمه محمدا فلم يتجاسر تاجر على خطابه فتركه وعاد * واما اخباره فانه كان عالما دينا جوادا عادلا حليما كثير الصفح عن المذنبين طويل الصمت كان مجلسه عامرا بالقراء والفقهاء وائمة المسلمين واهل الخير والصلاح امر ببناء المدارس في سائر الامصار والبلاد واجرى لها الجرايات العظيمة واملى الحديث بالبلاد ببغداد وخراسان وغيرها وكان يقول اني لست من اهل هذا الشان لما تولاه ولكني احب ان اجعل نفسي على قطار نقلة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اذا سمع المؤذن امسك عن كل ما هو فيه وتجنبه فاذا فرغ لا يبدا بشئ قبل الصلاة وكان اذا غفل المؤذن ودخل الوقت يامره بالاذان وهذا غاية حال المنقطعين الى العبادة في حفظ الاوقات ولزوم الصلوات واسقط المكوس والضرائب وازال لعن الاشعرية من المنابر وكان الوزير عميد الملك الكندري قد حسن للسلطان طغرلبك التقدم بلعن الرافضة فامره بذلك فاضاف اليهم الاشعرية ولعن الجميع فلهذا فارق كثير من الائمة بلادهم مثل امام الحرمين وابي القاسم القشيري وغيرهما فلما ولي الب ارسلان السلطنة اسقط نظام الملك ذلك جميعه واعاد العلماء الى اوطانهم وكان نظام الملك اذا دخل عليه الامام ابو القاسم القشيري والامام ابو المعالي الجويني يقوم لهما ويجلس في مسنده كما هو واذا دخل ابو علي الفارمذي يقوم اليه ويجلسه في مكانه ويجلس هو بين يديه فقيل له في ذلك فقال ان هذين وامثالهما اذا دخلوا علي يقولون لي أنت كذا وكذا يثنون علي بما ليس في فيزيدني كلامهم عجبا وتيها وهذا الشيخ يذكر لي عيوب نفسي وما أنا فيه من الظلم فتنكسر نفسي لذلك وارجع عن كثير مما أنا فيه وقال نظام الملك كنت أتمنى أن يكون لي قرية خالصة ومسجد أتفرد فيه لعبادة ربي ثم بعد ذلك تمنيت أن يكون لي قطعة أرض اتقوت بريعها ومسجدا عبد الله فيه وأما الآن فانا أتمنى ان يكون لي رغيف كل يوم ومسجد أعبد الله فيه وقيل كان ليلة يأكل الطعام وبجانبه اخوه ابو القاسم وبالجانب الآخر عميد خراسان والى جانب العميد انسان فقير مقطوع اليد فنظر نظام الملك فراى العميد يتجنب الاكل مع المقطوع فامره بالانتقال الى الجانب الآخر وقرب المقطوع اليه فاكل معه وكانت عادته ان يحضر الفقراء طعامه ويقربهم اليه ويدنيهم وأخباره مشهورة كثيرة قد جمعت لها المجاميع السائرة في البلاد

(ذكر وفاة السلطان وذكر بعض سيرته)

سار السلطان ملكشاه بعد قتل نظام الملك الى بغداد ودخلها في الرابع والعشرين من

لا نمكنكم من الطلوع الا بمرسوم سلطاني فقالوا لم يكن معنا مراسيم وانما مجيئنا لمحافظة الثغر من الفرنسيس فانهم ربما طرقوا البلاد على حين غفلة وقد أحضرنا صحبتنا خمسة آلاف من العسكر نقيمهم بالابراج لحفظ البلدة والقلعة والثغر فقالوا لهم لم يكن معنا اذن وقد أتتنا مراسيم بمنع كل من وصل عن الطلوع من أي جنس كان فقالوا لا بد من ذلك فاما ان تسمحوا لنا في الطلوع بالرضا والتسليم واما بالقهر والحرب والمهلة في رد الجواب باحد الامرين أربعة وعشرون ساعة ثم تندمون على الممانعة فكتبوا بذلك الى مصر فلما وصلت تلك المكاتبات اجتمع كتخدا بك وحسن باشا وبونابارته الخازندار وطاهر باشا والدفتردار والروزنامجي وباقي اعيانهم وذلك بعد الغروب وتشاوروا في ذلك ثم أجمع رأيهم على ارسال الخبر بذلك الى محمد علي باشا ويطلبونه للحضور هو ومن بصحبته من العساكر ليستعدوا لما هو أولى واحق بالاهتمام ففعلوا ذلك وانصرفوا الى منازلهم بعد حصة من الليل وارسلوا تلك المكاتبة اليه في صبح يوم الجمعة صحبة هجانين وشاع الخبر وكثر لغط الناس في ذلك ولما انقضت الاربعة وعشرون ساعة التي جعلها الانكليز أجلا بينهم وبين أهل الاسكندرية وهم في الممانعة ضربوا عليهم بالقنابر والمدافع الهائلة من البحر فهدموا جانبا

شهر رمضان ولقبه وزير الخليفة عميد الدولة بن جهير وظهرت من تاج الملك كفاية عظيمة وكان السلطان قد أمر ان تفصل خلع الوزارة لتاج الملك وكان هو الذى سعى بنظام الملك فلما فرغ من الخلع ولم يبق غير لبسها والجلوس فى الدست اتفق ان السلطان خرج الى الصيد وعاد ثالث شوّال مريضا وأنشب الموت اظفاره فيه ولم يمنع عنه سعة ملكه وكثرة عساكره وكان سبب مرضه انه أكل لحم صيد فحم وافتصد ولم يستوف اخراج الدم فثقل مرضه وكانت حمى محرقة فتوفى ليلة الجمعة النصف من شوّال ولما ثقل نقل ارباب دولته أموالهم الى حريم دار الخلافة ولما توفى سترت زوجته تركان خاتون المعروفة بخاتون الجلالية موته وكتمته وأعادت جعفر ابن الخليفة من ابنة السلطان الى أبيه المقتدى بامر الله وسارت من بغداد والسلطان معها محمولا وبذلت الاموال للامراء سرا واستحلفتهم لابنها محمود وكان تاج الملك يتولى ذلك لها وارسلت قوام الدولة كربوقا الذى صار صاحب الموصل الى اصبهان بخاتم السلطان فاستنزل مستحفظ القلعة وتسلمها وأظهر ان السلطان أمره بذلك ولم يسمع بسلطان مثله لم يصل عليه احد ولم يلطم عليه وجه وكان مولده سنة سبع وأربعين واربعمائة وكان من أحسن الناس صورة ومعنى وخطب له من حدود الصين الى آخر الشام ومن أقاصى بلاد الاسلام فى الشمال الى آخر بلاد اليمن وحمل اليه ملوك الروم الجزية ولم يفته مطلب وانقضت ايامه على امن عام وسكون شامل وعدل مطرد ومن أفعاله انه لما خرج عليه أخوه تكش بخراسان اجتاز بمشهد على بن موسى الرضا بطوس فزاره فلما خرج قال لنظام الملك باى شئ دعوت قال دعوت الله ان ينصرك فقال اما أنا فلم ادع بهذا بل قلت اللهم انصر اصلحنا للمسلمين وانفعنا للرعية وحكى عنه ان سواديا لقيه وهو يبكى فاستغاث به وقال كنت ابتعت بطيخا بدريهمات لا املك سواها فغلبنى عليه ثلاثة نفر من الاتراك فاخذوه منى فقال السلطان له اقعد ثم أحضر فراشا وقال قد اشتهيت بطيخا وكان ذلك عند أوّل استوائه وأمره بطلبه من العسكر فغاب ثم عاد ومعه البطيخ فامره باحضار من وجده عنده فاحضره فساله السلطان من أين لك ذلك البطيخ فقال غلمانى جاؤنى به فامر ان يجىء بهم اليه فمضى وأمرهم بالهرب وعاد فقال لم أجدهم فقال للسواد خذ هذا مملوكى قد وهبته لك عوضا عن بطيخك أو يحضر الذين أخذوه والله لئن اطلقته لاضربن عنقك فاخذه السوادى فاشترى الغلام نفسه منه بثلثمائة دينار فعاد السوادى الى السلطان وقال قد بعته نفسه بثلثمائة دينار فقال ارضيت بذلك قال نعم قال امض مصاحبا للسلامة وقال عبد السميع بن داود العباسى شاهدت ملكشاه وقد اتاه رجلان من أرض العراق السفلى من قرية الحدادية يعرفان بابنى غزال فلقياه فوقف لهما فقالا ان مقطعنا الامير خمارتكين قد صادرنا بالف وستمائة دينار وقد كسر ثنيتى أحدنا وأراهما السلطان وقد قصدناك لتقتص لنا منه فان أخذت بحقنا كما أوجب الله عليك والا فالله يحكم بيننا قال فرأيت السلطان وقد نزل عن دابته وقال ليمسك كل واحد منكما بطرف كمى واستحبانى الى خواجه حسن يعنى نظام الملك فامتنعا من ذلك

من البرج الكبير وكذلك الابراج الصغار والسور فعند ذلك طلبوا الامان فرفعوا عنهم الضرب ودخلوا البلدة وذلك يوم الجمعة التالى (وفى ليلة الاثنين ثالث عشره) وردت مكاتبة من رشيد بذلك الخبر على سبيل الاجمال من غير معرفة حقيقة الحال بل بالعلم بانهم طلعوا الى الثغر ودخلوا البلدة وعدم علمهم بالكيفية وتغيب الحال واشتبه الامر (وفيه حضر) قنصل الفرنساوية الى مصر وكان بالاسكندرية فلما وردت مراكب الانكليز انتقل الى رشيد فلما بلغه طلوعهم الى البر حضر الى مصر وذكر انه يريد السفر الى الشام هو وباقى الفرنساوية القاطنين بمصر (وفى ليلة الخميس سادس عشره) وردت مكاتبة من الباشا يذكر فيها انه تحارب مع المصريين وظهر عليهم واخذ منهم اسيوط وقبض على انفار منهم وقتل فى المعركة كثير من كشافهم ومماليكهم فعملوا فى ذلك اليوم شنكا وضربوا مدافع كثيرة من القلعة والازبكية ثلاثة ايام فى الاوقات الخمسة آخرها السبت واشاعوا أيضا ان الاسكندرية ممتنعة على الانكليز وانهم طلعوا الى رأس التين والعجمى فخرج عليهم أهل البلاد والعساكر وحاربوهم وأجلوهم عن البر ونزلوا الى المراكب مهزومين وأحرقوا منهم مركبين وانه وصل اليهم عمارة العثمانيين والفرنساوية

واعتذرا فاقسم عليهما الا فعلا فاخذ كل واحد منهما بكم من كميه ومشى معهما الى نظام الملك فبلغه الخبر فخرج مسرعا فلقيه وقبل الارض وقال ياسلطان العالم ما حملك على هذا فقال كيف يكون حالى غدا عند الله اذا طولبت بحقوق المسلمين وقد قلدتك هذا الامر لتكفينى مثل هذا الموقف فان نال الرعية اذى فانت المطالب فانظر لى ولنفسك فقبل الارض ومشى فى خدمته وعاد من وقته وكتب بعزل الامير خمارتكين عن اقطاعه ورد المال عليهما واعطاهما مائة دينار من عنده وأمرهما باثبات البينة انه قلع ثنيتيه ليقلع ثنيتيه عوضهما فرضيا وانصرفا وقيل انه ورد بغداد ثلاث دفعات فخافه الناس من غلاء الاسعار وتعدى الجند فكانت الاسعار أرخص منها قبل قدومه وكان الناس يخترقون عساكره ليلا ونهارا فلا يخافون أحدا ولم يتعد عليهم احد واسقط المكوس والمؤن من جميع البلاد وعمر الطرق والقناطر والربط التى فى المفاوز وحفر الانهار الخراب وعمر الجامع ببغداد وعمل المصانع بطريق مكة وبنى البلد باصبهان وبنى منارة القرون بالسبيعى بطريق مكة وبنى مثلها بما وراء النهر واصطاد مرة صيدا كثيرا فامر بعده فكان عشرة آلاف رأس فامر بصدقة عشرة آلاف دينار وقال اننى خائف من الله تعالى كيف ازهقت ارواح هذه الحيوانات بغير ضرورة ولا ماكلة وفرق من الثياب والاموال بين أصحابه مالا يحصى وصار بعد ذلك كلما صاد شيئا تصدق بعدده دنانير وهذا فعل من يحاسب نفسه على حركاته وسكناته وقد أكثر الشعراء مراثيه أيضا وقيل ان بعض امراء السلطان كان نازلا بهراة مع بعض العلماء اسمه عبد الرحمن فى داره فقال يوما ذلك الامير للسلطان وهو سكران ان عبد الرحمن يشرب الخمر ويعبد الاصنام من دون الله تعالى ويحلل الحرام فلم يجبه ملكشاه فلما كان الغد صحا ذلك الامير فاخذ السلطان السيف وقال له اصدقنى عن فلان والا قتلتك فطلب منه الامان فامنه فقال ان عبد الرحمن له دار حسناء وزوجة جميلة فاردت ان تقتله فافوز بداره وزوجته فابعده السلطان وشكر الله تعالى على التوقف عن قبول سعايته وتصدق باموال جليلة المقدار

(ذكر ملك ابنه الملك محمود وما كان من حال ابنه الاكبر بركيارق الى ان ملك)

لما مات السلطان ملكشاه كتمت زوجته تركان خاتون موته كما ذكرناه وأرسلت الى الامراء سرا فارضتهم واستحلفتهم لولدها محمود وعمره اربع سنين وشهور وأرسلت الى الخليفة المقتدى فى الخطبة لولدها أيضا فاجابها وشرط أن يكون اسم السلطنة لولدها والخطبة له ويكون المدبر لزعامة الجيوش ورعاية البلد هو الامير أنز ويصدر عن راى تاج الملك ويكون ترتيب العمال وجباية الاموال الى تاج الملك أيضا وكان تاج الملك هو الذى يدبر الامر بين يدى خاتون فلما جاءت رسالة الخليفة الى خاتون بذلك امتنعت من قبوله فقيل لها ان ولدك صغير ولا يجيز الشرع ولايته وكان المخاطب لها فى ذلك الغزالى فاذعنت له واجابت اليه فخطب لولدها ولقب ناصر الدنيا والدين وكانت الخطبة يوم الجمعة الثانى والعشرين من شوال من السنة وخطب له بالحرمين الشريفين

وحاربوهم فى البحر واحرقوا مراكبهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ولم يبق منهم الا القليل واستمر الامر فى هذا الخلط القبلى والبحرى عدة ايام ولم يات من الاسكندرية سعاة ولا خبر صحيح (وفيه) وصل الكثير من اهالى الفيوم ودخلوا الى مصر وهم فى اسوا حال من الشتات والعرى مما فعل بهم ياسين بك فخرجوا على وجوههم وجلوا عن أوطانهم ولم يمكنهم الخروج من بلادهم حتى ارتحل عنهم المذكور يريد الحضور الى ناحية مصر عندما بلغه خبر حضور الانكليز الى ثغر سكندرية (وفى سابع عشره) وصل ياسين بك المذكور الى ناحية دهشور وأرسل مكاتبة خطابا للسيد عمر والقاضى وسعيد أغا يذكر فيها انه لما بلغه وصول الانكليز أخذته الحمية الاسلامية وحضر وصحبته ستة آلاف من العسكر ليرابط بهم بالجيزة أو بقليوب ويجاهد فى سبيل الله فكتبوا له أجوبة مضمونها ان كان حضوره بقصد الجهاد فينبغى ان يتقدم بمن معه الى الاسكندرية واذا حصل له النصر تكون له اليد البيضاء والمنقبة والذكر والشهرة الباقية فانه لا فائدة باقامته بالجيزة او قليوب وخصوصا قليوب بالبر الشرقى وكان حسن باشا خرج بعرضيه فى موكب الى ناحية الحلى قبل ذلك بايام ويرجع الى داره آخر النهار فيبيت بها ثم يخرج فى الصباح وعساكره واوباشه ينتشرون بتلك النواحى يعبثون ويخطفون

ولما

ولما مات السلطان ملكشاه ارسلت تركان خاتون الى اصبهان فى القبض على بركيارق ابن السلطان وهو اكبر اولاده خافته ان ينازع ولدها فى السلطنة فقبض عليه فلما ظهر موت ملكشاه وثب المماليك النظامية على سلاح كان لنظام الملك باصبهان فاخذوه وثاروا فى البلد واخرجوا بركيارق من الحبس وخطبوا له باصبهان وملكوه وكانت والدة بركيارق زبيدة ابنة ياقوتى بن داود وهى ابنة عم ملكشاه خاتفة على ولدها من خاتون أم محمود فاتاها الفرج بالمماليك النظامية وسارت تركان خاتون من بغداد الى اصبهان فطالب العسكر تاج الملك بالاموال فوعدهم فلما وصلوا الى قلعة برجين صعد اليها ليستنزل الاموال منها فلما استقر فيها عصى على خاتون ولم ينزل خوفا من العسكر فساروا عنه ونهبوا خزائنه فلم يجدوا بها شيئا فانه كان قد علم ما جرى فاستظهر واخفاه ولما وصلت تركان خاتون الى اصبهان لحقها تاج الملك واعتذر بان مستحفظا القلعة حبسه وانه هرب منه اليها فقبلت عذره واما بركيارق فانه لما قاربت خاتون وابنها محمود اصبهان خرج منها هو ومن معه من النظامية وساروا نحو الرى فلقيهم ارغش النظامى فى عساكره ومعه جماعة من الامراء وصاروا يدا واحدة وانما حمل النظامية على الميل الى بركيارق كراهتهم لتاج الملك لانه كان عدو نظام الملك والمتهم بقتله فلما اجتمعوا حصروا قلعة طبرك واخذوها عنوة فسيرت خاتون العساكر الى قتال بركيارق فالتقى العسكران بالقرب من بروجرد فانحاز جماعة من الامراء الذين فى عسكر خاتون الى بركيارق منهم الامير يلبرد وكشتكين الجاندار وغيرهما فقوى بهم وجرى الحرب بينهم أواخر ذى الحجة واشتد القتال فانهزم عسكر خاتون وعادوا الى اصبهان وسار بركيارق فى اثرهم فحصرهم باصبهان

(ذكر قتل تاج الملك)

كان تاج الملك مع عسكر خاتون وشهد الوقعة فهرب الى نواحى بروجرد فاخذ وحمل الى عسكر بركيارق وهو يحاصر اصبهان وكان يعرف كفايته فاراد ان يستوزره فشرع تاج الملك فى اصلاح كبار النظامية وفرق فيهم مائتى الف دينار سوى العروض فزال ما فى قلوبهم فلما بلغ عثمان نائب نظام الملك الخبر ساءه فوضع الغلمان الاصاغر على الاستغاثة وان لا يقنعوا الا بقتل قاتل صاحبهم ففعلوا فانفسخ ما دبره تاج الملك وهجم النظامية عليه فقتلوه وفصلوه اجزاء وكان قتله فى المحرم سنة ست وثمانين وحمل الى بغداد احدى اصابعه وكان كثير الفضائل جم المناقب وانما غطى جميع محاسنه مساءته على قتل نظام الملك وهو الذى بنى تربة الشيخ ابى اسحق الشيرازى وعمل المدرسة التى الى جانبها ورتب بها الشيخ ابا بكر الشاشى وكان عمره حين قتل سبعا واربعين سنة

(ذكر ما فعله العرب بالحجاج والكوفة)

سار الحجاج هذه السنة من بغداد فقدموا الكوفة ورحلوا منها فخرجت عليهم خفاجة

ورد خبر مجىء ياسين بك تاخر عن السفر وعملوا مشورة فاقتضى رايهم ان حسن باشا يعدى الى البر الغربى ويقيم بالجيزة لشلايانى ياسين بك ويملكها فعدى حسن باشا فى يوم الاثنين عشرينه واقام بها واعرض عن السفر الى جهة البحيرة (وفيه) وردت الاخبار الصحيحة باخذ الاسكندرية واستيلاء الانكليز عليها يوم الخميس المتقدم تاسع الشهر ودخلوها وملكوا الابراج يوم الاحد صبيحة النهار وسكن ساری عسكرهم بوكالة القنصل وشرطوا معاهالى البلد شروطا منها انهم لا يسكنون البيوت قهرا عن اصحابها بل بالمؤاجرة والتراضى ولا يمتهنون المساجد ولا يبطلون منها الشعائر الاسلامية واعطوا امين اغا الحاكم امانا على نفسه وعلى من معه من العسكر واذنوا لهم بالذهاب الى اى محل ارادوه ومن كان له دين على الديوان ياخذ نصفه حالا والنصف الثانى مؤجلا ومن اراد السفر فى البحر من التجار وغيرهم فليسافر فى خفارتهم الى اى جهة اراد ما عدا اسلامبول واما الغرب والشام وتونس وطرابلس ونحوها فضاق السراح لاحرج ذهابا وايابا ومن شروطهم التى

شرطوها مع اهل البلد انهم ان احتاجوا الى قومانية او مال لا يكلفون اهل

دعوى عند الانكليز بغير رضاهم والحمايات من اى بندرة تكون مقبولة عند الانكليز الموجودين فى الاسكندرية ويقيمون مامونين رعاية لخاطر أهل الاسكندرية ولم يحصل لهم شئ من المكروه من كامل الوجوه حتى الفرنساوية والجمارك من كل الجهات على كل مائة اثنان ونصف وعلى ذلك انتهت الشروط وليعلم ان هذه الطائفة من الانكليز ومن انضم اليهم وعدتهم على ما قيل ستة آلاف لما تاتى الى الثغر طمعا فى اخذ مصر بل كان ورودهم ومجيئهم مساعدة ومعاونة للالفى على أخصامه باستدعائه لهم واستنجاده بهم قبل تاريخه وسبب تاخرهم فى المجئ لما بينهم وبين العثمانى من الصلح فلا يتعدون على مماليكه من غير اذنه لمحافظتهم على القوانين فلما وقعت الغيرة بينهم وبينه بما تقدم فعند ذلك انتهزوا الفرصة وأرسلوا هذه الطائفة وكان الالفى ينتظر حضورهم بالبحيرة فلما طال عليه الانتظار وضاقت عليه البحيرة ارتحل بجيوشه مقبلا وقضى الله موته باقليم الجيزة وحضر الانكليز بعد ذلك الى الاسكندرية فوجدوه قد مات فلم يسعهم الرجوع فارسلوا الى الامراء القبليين يستدعونهم ليكونوا مساعدين لهم على عدوهم ويقولون لهم انما جئنا الى بلادكم باستدعاء صاحبه

وقد طمعوا بموت السلطان وبعد العسكر فاوقعوا بهم وقتلوا اكثر الجند الذين معهم وانهزم باقيهم ونهبوا الحجاج وقصدوا الكوفة فدخلوها وأغاروا عليها وقتلوا فى أهلها فرماهم الناس بالنشاب فخرجوا بعد ان نهبوا واخذوا ثياب من لقوه من الرجال والنساء فوصل الخبر الى بغداد فسيرت العساكر منها فلما سمع بهم بنو خفاجة انهزموا فادركهم العسكر فقتل منهم خلق كثير ونهبت أموالهم وضعفت خفاجة بعد هذه الوقعة

(ذكر عدة حوادث)

فيها فى ربيع الاول عاد السلطان من بغداد الى أصبهان وأخذ معه الامير أبا الفضل جعفر ابن الخليفة المقتدى بامر الله من ابنة السلطان وتفرق الامراء الى بلادهم ثم عاد الى بغداد فتوفى كما ذكرناه وفيها فى جمادى الاولى احترق نهر المعلى فاحترق عقد الحديد الى خربة الهراس الى باب دار الضرب واحترق سوق الصاغة والصيارف والمخلطين والريحانيين وكان الحريق من الظهر الى العصر فاحترق منها الامر العظيم فى الزمان القليل واحترق من الناس خلق كثير ثم ركب عميد الدولة بن جهير وزير الخليفة وجمع السقائين ولم يزل راكبا حتى طفئت النار وفى هذه السنة توفى عبد الباقى بن محمد بن الحسين بن ناقيا الشاعر البغدادى سمع الحديث وكان يتهم بانه يطعن على الشرائع فلما مات كانت يده مقبوضة فلم يطق الغاسل فتحها فبعد جهد فتحت فاذا فيها مكتوب

نزلت بجار لا يخيب ضيفه * ارجى نجاتى من عذاب جهنم
وانى على خوفى من الله واثق * بانعامه والله اكرم منعم

وفيها توفى هبة الله بن عبد الوارث بن على بن احمد ابو القاسم الشيرازى الحافظ احد الرحالين فى طلب الحديث شرقا وغربا وقدم الموصل من العراق وهو الذى اظهر سماع الجعديات لابى محمد الصريفينى ولم يكن يعرف ذلك

(ثم دخلت سنة ست وثمانين واربعمائة)

(ذكر وزارة عز الملك بن نظام الملك ابركيارق)

كان عز الملك ابو عبد الله الحسين بن نظام الملك مقيما بخوارزم حاكما فيها وفى كل ما يتعلق بها اليه المرجع فى كل امورها السلطانية فلما كان قبل ان يقتل ابوه حضر عنده خدمة له وللسلطان فقتل ابوه ومات السلطان فاقام باصبهان الى الآن فلما حصرها بركيارق وكان اكثر عسكره النظامية خرج من اصبهان هو وغيره من اخوته فلما اتصل ببركيارق احترمه واكرمه وفوض امور دولته اليه وجعله وزيره

(ذكر حال تتش بن الب ارسلان)

كان تتش بن الب ارسلان صاحب دمشق وما جاورها من بلاد الشام فلما كان قبل موت اخيه السلطان ملكشاه سار من دمشق اليه ببغداد فلما كان بهيت بلغه موته فاخذ هيت واستولى عليها وعاد الى دمشق يتجهز لطلب السلطنة فجمع العساكر واخرج الاموال وسار نحو حلب وبها قسيم الدولة آقسنقر فرأى قسيم الدولة اختلاف اولاد

صاحبه ملكشاه وصغرهم فعلم انه لا يطيق دفع تتش فصالحه وصار معه وارسل الى باغى سيان صاحب انطاكية والى بوزان صاحب الرها وحران يشير عليهما بطاعه تاج الدولة تتش حتى يروا ما يكون من اولاد ملكشاه ففعلوا وصاروا معه وخطبوا له فى بلادهم وقصدوا الرحبة فحصروها وملكوها فى المحرم من هذه السنة وخطب لنفسه بالسلطنه ثم ساروا الى نصيبين فحصروها فسب اهلها تاج الدولة ففتحها عنوة وقهرا وقتل من اهلها خلقا كثيرا ونهبت الاموال وفعل فيها الافعال القبيحة ثم سلمها الى الامير محمد بن شرف الدولة العقيلى وسار يريد الموصل واتاه الكافى بن فخر الدولة بن جهير وكان فى جزيرة ابن عمر فاكرمه واستوزره

(ذكر وقعة المضيع واخذ الموصل من العرب)

كان ابراهيم بن قريش بن بدران امير بنى عقيل قد استدعاه السلطان ملكشاه سنة اثنتين وثمانين واربعمائة ليحاسبه فلما حضر عنده اعتقله وانفذ فخر الدولة بن جهير الى البلاد فملك الموصل وغيرها وبقى ابراهيم مع ملكشاه وسار معه الى سمرقند وعاد الى بغداد فلما مات ملكشاه اطلقته تركان خاتون من الاعتقال فسار الى الموصل وكان ملكشاه قد اقطع عمته صفية مدينة بلد وكانت زوجة شرف الدولة ولها منه ابنها على وكانت قد تزوجت بعد شرف الدولة باخيه ابراهيم فلما مات ملكشاه قصدت الموصل ومعها ابنها على فقصدها محمد بن شرف الدولة واراد اخذ الموصل فافترقت العرب فرقتين فرقة معه واخرى مع صفية وابنها على واقتتلوا بالموصل عند الكناسة فظفر على وانهزم محمد وملك على الموصل فلما وصل ابراهيم الى جهينة وبينه وبين الموصل اربعة فراسخ سمع ان الامير على ابن اخيه شرف الدولة قد ملكها ومعه امه صفية عمة ملكشاه فاقام مكانه وراسل صفية خاتون وترددت الرسل فسلمت البلد اليه فاقام به فلما ملك تتش نصيبين ارسل اليه يامره ان يخطب له بالسلطنة ويعطيه طريقا الى بغداد لينحدر ويطلب الخطبة بالسلطنة فامتنع ابراهيم من ذلك فسار تتش اليه وتقدم ابراهيم ايضا نحوه فالتقوا بالمضيع من اعمال الموصل فى ربيع الاول وكان ابراهيم فى ثلاثين الفا وكان تتش فى عشرة آلاف وكان آقسنقر على ميمنته وبوزان على ميسرته فحمل العرب على بوزان فانهزم وحمل آقسنقر على العرب فهزمهم وتمت الهزيمة على ابراهيم والعرب واخذ ابراهيم اسيرا وجماعة من امراء العرب فقتلوا صبرا ونهبت اموال العرب وما معهم من الابل والغنم والخيل وغير ذلك وقتل كثير من نساء العرب انفسهن خوفا من السبى والفضيحة وملك تتش بلادهم الموصل وغيرها واستناب بها على بن شرف الدولة مسلم وامه صفية عمة تتش وارسل الى بغداد يطلب الخطبة وساعده كوهرائين على ذلك فقيل لرسوله انا انتظر وصول الرسل من العسكر فعاد الى تتش بالجواب

(ذكر ملك تتش ديار بكر واذربيجان وعوده الى الشام)

فلما فرغ تاج الدولة تتش من امر العرب وملك الموصل وغيرها من بلادهم سار الى

الالفى لمساعدته ومساعدتكم فوجدنا الالفى قد مات وهو شخص واحد منكم وأنتم جمع فلا يكون عندكم تاخير فى الحضور لقضاء شغلكم فانكم لا تجدون فرصة بعد هذه وتندمون بعد ذلك ان تلكأتم فلما وصلتهم مراسلة الانكليز تفرق رأيهم وكان عثمان بك حسن منعزلا عنهم وهو يدعى الورع وعنده جيش كبير فارسلوا اليه يستدعونه فقال أنا مسلم هاجرت وجاهدت وقاتلت فى الفرنساوية والآن أختم عملى والتجئ الى الافرنج وانتصر بهم على المسلمين أنا لا أفعل ذلك وعثمان بك يوسف كان بناحية الهو وكان الباشا يحارب الذين بناحية أسيوط وهم المرادية والابراهيمية والالفى والتقى معهم وانكسروا منه وقتل منهم أشخاصا فلما ورد عليه خبر الانكليز انفعل لذلك وداخله وهم كبير وأرسل اليهم المشايخ وخلافهم يطلبهم للصلح وكان ما سيتلى عليك قريبا وما كان الا ما أراده المولى جل جلاله من تعسة الانكليز والقطر وأهله الا أن يشاء الله (وفيه) وصل مكتوب من محمد على باشا بطلب مصطفى أغا الوكيل وعلى كاشف الصابونجى ليرسلهم الى الامراء القبالى فتراخوا فى الذهاب لكونهم وجدوا تاريخ المكتوب حادى عشر الشهر فعلموا ان ذلك قبل تحقق خبر الانكليز (ثم ورد) منه مكتوب آخر يذكر فيه عزمه على الرجوع الى مصر قريبا فان العساكر يطالبونه بالعلائف ويامرهم فيه بتحصيل ذلك

وتنظيمه ليستلموها عند حصولهم بمصر ٩٢ ويتجهزوا لمحاربة الانكليز (وفي ثالث عشرينه) ورد مكتوب من أهالي دمنهور خطابا الى السيد عمر النقيب مضمونه انه لما دخلت المراكب الانكليزية الى سكندرية هرب من كان بها من العساكر وحضروا الى دمنهور فعند ما شاهدهم الكاشف الكائن بدمنهور ومن معه من العسكر انزعجوا انزعاجا شديدا وعزموا على الخروج من دمنهور فخاطبهم أكابر الناحية قائلين لهم كيف تتركونا وتذهبوا ولم تروا منا خلافا وقد كنا فيما تقدم من حروب الافنجي من اعظم المساعدين لكم فكيف لا نساعدكم الآن بعضنا بعضا في حروب الانكليز فلم يستمعوا لقولهم لشدة ما داخلهم من الخوف وعبوا امتاعهم واخرج الكاشف أثقاله وجبخانته ومدافعه وتركها وعدى وذهب الى فوة من ليلته ثم ارسل في ثاني يوم من اخذ الاثقال فهذا ما حصل اخبرنا كم به واما بونابارته الخازندار الذي سافر لحرب الانكليز فانه نزل على القليوبية وفعل ما أمكنه وقدر عليه بالبلاد من السلب والنهب والجور والكلف والتساويف حتى وصل الى المنوفية وكذلك طاهر باشا الذي سافر في اثره واسمعيل كاشف المعروف بالطوبجي فرض على البلاد جمالا وخيولا وابقارا وغير ذلك ومن جملة افاعيلهم انهم يوزعون الاغنام المنهوبة على البلاد ويلزمونهم بعلفها

ديار بكر في ربيع الآخر فلما فارقهم وسائر ديار بكر من ابن مروان وسار منها الى اذربيجان فانتهى خبره الى ابن اخيه ركن الدين بركيارق وكان قد استولى على كثير من البلاد منها الري وهمذان وما بينهما فلما تحقق الحال سار في عساكره ليمنع عمه عن البلاد فلما تقارب العسكران قال قسيم الدولة آقسنقر لبوزان انما اطعنا هذا الرجل لننتظر ما يكون من اولاد صاحبنا والآن فقد ظهر ابنيه ونريد أن نكون معه فاتفقا على ذلك وفارقا تتش وصارا مع بركيارق فلما راى تاج الدولة تتش ذلك علم انه لا قوة له بهم فعاد الى الشام واستقامت البلاد لبركيارق فلما قوى امره سار كوهرائين الى العسكر يعتذر من مساعدته لتاج الدولة تتش واعانه برسق وتعصب عليه كمشتكين الجاندار فاخذ اقطاعه واعطى الامير يلبرد زيادة وولي شحنكية بغداد عوض كوهرائين وتفرق عن كوهرائين اصحابه فكان ما ياتي ذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر حصر عسكر مصر صور وملكهم لها)

في هذه السنة في جمادى الآخرة ملك عسكر المستنصر بالله العلوي صاحب مصر مدينة صور وسبب ذلك ما ذكرناه سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة أن أمير الجيوش بدرا وزير المستنصر سير العساكر الى مدينة صور وغيرها من ساحل الشام وكان من بها قد امتنع من طاعتهم فملكها وقرر أمورها وجعل فيها الامراء وكان قد ولي مدينة صور امير يعرف بمنير الدولة الجيوشي فعصى على المستنصر وأمير الجيوش وامتنع بصور فسيرت العساكر من مصر اليه وكان أهل صور قد أنكروا على منير الدولة عصيانه على سلطانه فلما وصل العسكر المصري الى صور وحصروها وقاتلوها ثار أهلها ونادوا بشعائر المستنصر وأمير الجيوش وسلموا البلد وهجم العسكر المصري بغير مانع ولا مدافع ونهب من البلد شئ كثير وأسر منير الدولة ومن معه من أصحابه وحملوا الى مصر وقطع على أهل البلد ستون ألف دينار فاجحفت بهم ولما وصل منير الدولة الى مصر ومعه الاسرى قتلوا جميعهم ولم يعف عن واحد منهم

(ذكر قتل اسمعيل بن ياقوتي خال بركيارق)

في هذه السنة في شعبان قتل اسمعيل بن ياقوتي بن داود وهو خال بركيارق وابن عم ملكشاه وسبب قتله انه كان باذربيجان أمير اعليها فارسلت اليه تركان خاتون زوجة ملكشاه تطمعه ان تتزوج به وتدعوه الى محاربة بركيارق فاجابها الى ذلك وجمع خلقا كثيرا من التركمان وغيرهم وصار أصحاب سرهنك ساوتكين في خيله وأرسلت اليه تركان خاتون كربوقا وغيره من الامراء في عسكر كثير مددا له فجمع بركيارق عساكره وسار الى حرب خاله اسمعيل فالتقوا عند اسكرج فانحاز الامير يلبرد الى بركيارق وصار معه فانهزم اسمعيل وعسكره وتوجه الى اصبهان فاكرمته تركان خاتون وخطبت له وضربت اسمه على الدينار بعد ابنها محمود بن ملكشاه وكاد الامر في الوصلة يتم بينهما فامتنع الامراء من ذلك لاسيما الامير أنز وهو مدبر الامر وصاحب الجيش وآثروا خروج

وكلفهم ثم يطلبون أثمانها مضاعفة بما يضاف الى ذلك من حق طرق المعينين وامثال ذلك (وفى يوم الجمعة رابع عشرينه) وردت اخبار من ثغر رشيد يذكرون بان طائفة من الانكليز وصلت الى رشيد فى صبح يوم الثلاثاء حادى عشرينه ودخلوا الى البلد وكان اهل البلدة ومن معهم من العساكر منتبهين ومستعدين بالازقة والعطف وطيقان البيوت فلما حصلوا بداخل البلدة ضربوا عليهم من كل ناحية فالقوا ما بايديهم من الاسلحة وطلبوا الامان فلم يلتفتوا والذلك وقبضوا عليهم وذبحوا منهم جملة كثيرة واسروا الباقين وفر طائفة الى ناحية دمنهور وكان كاشفها عندما بلغه ما حصل برشيد اطمان خاطره ورجع الى ناحية ديبى ومحلة الامير وطلع بمن معه الى البر فصادف تلك الشرذمة فقتل بعضهم واخذ ما بقى منهم اسرى وارسلوا السعاة الى مصر بالبشارة فضربوا مدافع وعملوا شنكا وخلع كتخدا بك على السعاة الواصلين واسرعت المبشرون من اتباع العثمانيين وهم القواسة الاتراك بالسعى الى بيوت الاعيان يبشرونهم ويأخذون منهم البقاشيش والخلع وصار الناس ما بين مصدق ومكذب فلما كان يوم الاحد سادس عشرينه أشيع وصول رؤس القتلى ومن معهم من الاسرى الى بولاق فهرع الناس بالذهاب للفرجة ووصل الكثير منهم الى ساحل بولاق وركب

اسمعيل عنهم وخافوه وخاف هو أيضا منهم ففارقهم وراسل أخته زبيدة والدة بركيارق فى اللحاق بهم فاذنت له فى ذلك فوصل اليهم وأقام عندهم اياما يسيرة ثم غلا به كشتكين الجاندار وآقسنقر وبوزان وبسطوه فى القول فاطلعهم على سره وانه يريد السلطنة وقتل بركيارق فوثبوا عليه فقتلوه واعلموا أخته خبره فسكتت عنه

﴿ذكر أخذ الحاج﴾

فى هذه السنة انقطع الحج من العراق لاسباب أوجبت ذلك وسار الحاج من دمشق مع امير أقامه تاج الدولة تتش صاحبها فلما قضوا حجهم وعادوا سار بن سير امير مكة وهو محمد بن أبى هاشم عسكرا فلحقوهم بالقرب من مكة ونهبوا كثيرا من اموالهم وجمالهم فعادوا اليها ولقوه وسألوه ان يعيد عليهم ما أخذ منهم وشكوا اليه بعد ديارهم فاعاد بعض ما اخذ منهم فلما ايسوا منه سارو امن مكة عائدين على اقبح صورة فلما ابعدوا عنها ظهر عليهم جموع من العرب فى عدة جهات فصانعوهم على مال أخذوه من الحاج بعد ان قتل منهم جماعة وافرة وهلك فيه بالضعف والانقطاع وعاد السالم على أقبح صورة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة فى جمادى الاولى قدم الى بغداد اردشير بن منصور ابو الحسين الواعظ العبادى واكثر الوعظ بالمدرسة النظامية وهو مروزى وقدم بغداد قاصدا للحج وكان له قبول عظيم بحيث ان الغزالى وغيره من الائمة ومشايخ الصوفية الكبار يحضرون مجلسه وذرع فى بعض المجالس الارض التى فيها الرجال فكان طولها مائة وخمسة وسبعين ذراعا وعرضها مائة وعشرين ذراعا وكانوا يزدحمون ازدحاما كثيرا وكان النساء اكثر من ذلك وكان له كرامات ظاهرة وعبادات كثيرة وكان سبب منعه من الوعظ انه نهى ان يتعامل الناس ببيع القراضة بالصحيح وقال هو ربا فمنع من الوعظ وأخرج من البلد وفيها وقعت الفتنة ببغداد بين العامة وقصد كل فريق الفريق الآخر وقطعوا الطرقات بالجانب الغربى وقتل أهل النصرية مصلحيا فارسل كوهرائين أحرقها واتصلت الفتنة بين أهل السكر خ وباب البصرة وكان للعميد الاغر أبى المحاسن الدهستانى فى اطفاء هذه الفتنة أثر حسن وفيها فى شعبان سار سيف الدولة صدقة بن مزيد الى السلطان بركيارق فلقيه بنصيبين وسار معه الى بغداد على الموصل فوصلها فى ذى القعدة ومعه وزيره عز الملك بن نظام الملك وخرج عميد الدولة والناس الى لقائه من عقر قوف وفيها ولد للمستظهر بالله ولد سمى الفضل وكنى أبا منصور ولقب عمدة الدين وهو المسترشد بالله وفيها فى رمضان قتل الامير يلبرد قتله بركيارق وكان من الامراء الكبار مع أبيه فزاده بركيارق اقطاع كوهرائين وشحنكية بغداد فلما وصل الى دقوقا أعيد منها لانه تكلم فيما يتعلق بوالدة السلطان بركيارق بكلام شنيع فلما وصل اليه اصبح مقتولا وفيها فى المحرم توفى على بن أحمد بن يوسف أبو الحسن القرشى الهكارى المعروف بشيخ الاسلام وكان عاضدا للاعابد كثير السماع الا ان الغرائب فى

ايضا كبار العسكر ومعهم طوائفهم الاقاتهم فطلعوا بهم الى البر وصحبتهم جماعة العسكر المتسفرين معهم فاتوا بهم من خارج مصر ودخلوا بهم من باب النصر وشقوا بهم من وسط المدينة وفيهم فسيال كبير وآخر كبير فى السن وهما راكبان على حمارين والبقية مشاة فى وسط العسكر ورؤس القتلى معهم على نبابيت وقد تغيرت وانتنت رائحتها وعدتها أربعة عشر راسا والاحياء خمسة وعشرون ولم يزالوا سائرين بهم الى بركة الازبكية وضربوا عند وصولهم شنكا ومدافع وطلعوا بالاحياء مع فسيالهم الى القلعة

(وفيه) نبه السيد عمر النقيب على الناس وأمرهم بحمل السلاح والتاهب للجهاد فى الانكليز حتى مجاورى الازهر وأمرهم بترك حضور الدروس وكذلك أمر المشايخ المدرسين بترك القاء الدروس

(وفيه) وصل عابدين بك وعمر بك وأحمد اغا لاظ أوغلى من ناحية قبلى واشيع وصول الباشا بعد يومين

(وفى يوم الاثنين) وصل ايضا جملة من الرؤس والاسرى الى بولاق فطلعوا بها على الرسم المذكور وعدتها مائة راس واحد وعشرون راسا وثلاثة عشر اسيرا وفيهم جرحى ومات احدهم على بولاق فقطعوا راسه وشقوها مع الرؤس وشقوا بها من وسط المدينة آخر النهار (وفى يوم الثلاثاء) حصلت جمعية ببيت القاضى وحضر حسن باشا وسقط

حديثه كثيرة لا يدرى ما سببها والامير أبو نصر على بن هبة الله بن على بن جعفر الجملى المعروف بابن ماكولا مصنف كتاب الاكمال قتله غلمانه الاتراك بكرمان ومولده سنة اثنتين وأربعمائة وكان حافظا وفيها فى صفر توفى أبو محمد عامر الضرير وكان فقيها شافعيا مقرئا نحويا وكان يصلى فى رمضان بالامام المقتدى بامر الله وفى جمادى الاولى توفى الامير أبو الفضل جعفر بن المقتدى وأمه ابنة السلطان ملكشاه ومولده فى ذى القعدة سنة ثمانين واليه تنسب الجعفريات وفى رجب توفى الشيخ أبو سعد عبد الواحد ابن أحمد بن المحسن الوكيل بالمخزن وكان فقيها شافعيا كثير الاحسان الى أهل العلم وكان محمودا فى ولايته وفيها توفى كمال الملك الدهستانى الذى كان عميد بغداد وفى رمضان توفى المشطب بن محمد الحنفى بالكهيل من أرض الموصل وكان الخليفة قد ارسله الى بركيارق وكان بالموصل ومعه تاج الرؤساء أبو نصر بن الموصلايا وكان شيخا كبيرا عالما مكرما عند الملوك وحمل الى العراق ودفن عند أبى حنيفة وفيه توفى القاضى أبو على يعقوب بن ابراهيم المرزبانى قاضى باب الازج وولى مكانه القاضى ابو المعالى عزيزى وكان ابو المعالى شافعيا اشعريا مغاليا وله مع اهل باب الازج اقاصيص وحكايات عجيبة وفيها توفى نصر بن الحسن بن القاسم بن الفضل ابو الليث وابو الفتح التنكتى له كنيتان سافر البلاد شرقا وغربا روى صحيح مسلم وغيره وكان ثقة ومولده سنة ست وار بعمائة وفى ذى الحجة منها توفى ابو الفرج عبد الواحد بن محمد بن على الحنبلى الفقيه وكان وافر العلم غزير الدين حسن الوعظ والسمت

(ثم دخلت سنة سبع وثمانين وار بعمائة)

(ذكر الخطبة للسلطان بركيارق)

فى هذه السنة يوم الجمعة رابع عشر المحرم خطب ببغداد للسلطان بركيارق بن ملكشاه وكان قدمها او اخر سنة ست وثمانين وارسل الى الخليفة المقتدى بامر الله يطلب الخطبة فاجيب الى ذلك وخطب له ولقب ركن الدين وحمل الوزير عميد الدولة بن جهير الخلع الى بركيارق فلبسها وعرض التقليد على الخليفة ليعلم عليه فعلم فيه وتوفى فجاة على مانذكره ان شاء الله تعالى وولى ابنه الامام المستظهر بالله الخلافة فارسل الخلع والتقليد الى السلطان بركيارق فاقام ببغداد الى ربيع الاول من السنة وسار عنها الى الموصل

(ذكر وفاة المقتدى بامر الله)

فى هذه السنة يوم السبت خامس عشر المحرم توفى الامام المقتدى بامر الله ابو القاسم عبد الله بن الذخيرة بن القائم بامر الله امير المؤمنين فجاة وكان قد احضر عنده تقليد السلطان بركيارق ليعلم فيه فقرأه وتدبره وعلم فيه ثم قدم اليه طعام فاكل منه وغسل يديه وعنده قهرمانته شمس النهار فقال لها ما هذه الاشخاص التى دخلت على بغير اذن قالت فالتفت فلم ار شيئا ورأيته قد تغيرت حالته واسترخت يداه ورجلاه وانحلت قوته

وعمر بك والدفتردار وكتخدا بك والسيد عمر النقيب والشيخ الشرقاوى ٩٠ والشيخ الامير وباقى المشايخ فتكلموا فى شان

وسقط الى الارض فظننتها غشية قد لحقته فحللت ازرار ثوبه فوجدته قد ظهرت عليه أمارات الموت ومات لوقته قالت فتماسكت وقلت لجارية عندى ليس هذا وقت اظهار الجزع والبكاء فان صحت قتلتك وأحضرت الوزير فاعلمته الحال فشرعوا فى البيعة لولى العهد وجهزوا المقتدى وصلى عليه ابنه المستظهر بالله ودفنوه وكان عمره ثمانا وثلاثين سنة وثمانية أشهر وسبعة أيام وكانت خلافته تسع عشرة سنة وثمانية أشهر غير يومين وأمه ام ولد اسمها ارجوان وتدعى قرة العين ادركت خلافته وخلافة ابنه المستظهر بالله وخلافة ابن ابنه المسترشد بالله ووزر له فخر الدولة ابو نصر بن جهير ثم ابو شجاع ثم عميد الدولة ابو منصور بن جهير وقضاته ابو عبد الله الدامغانى ثم ابو بكر الشامى وكانت ايامه كثيرة الخير واسعة الرزق وعظمت الخلافة اكثر مما كان من قبله وانعمرت ببغداد عدة محال فى خلافته منها البصلية والقطيعة والحلبة والمقتدية والاجمة ودرب القيار وخربة ابن جردة وخربة الهراس والخانوتيتين وامر بنفى المغنيات والمفسدات من بغداد وبيع دورهن فنفين ومنع الناس ان يدخل احد الحمام الا بمئزر وقلع الهرادى والابراج التى للطيور ومنع من اللعب بها لاجل الاطلاع على حرم الناس ومنع من اجراء ماء الحمامات الى دجلة والزم اربابها بحفر آبار للمياه وامر ان من يغسل السمك المالح يعبر الى النجمى فيغسله هناك ومنع الملاحين ان يحملوا الرجال والنساء مجتمعين وكان قوى النفس عظيم الهمة من رجال بنى العباس

(ذكر خلافة المستظهر بالله)

لما توفى المقتدى بامر الله احضر ولده ابو العباس احمد المستظهر بالله واعلم بموته وحضر الوزير فبايعه وركب الى السلطان بركيارق فاعلمه الحال واخذ بيعته للمستظهر بالله فلما كان اليوم الثالث من موت المقتدى اظهر ذلك وحضر عز الملك بن نظام الملك وزير بركيارق واخوه بهاء الملك وامراء السلطان وجميع ارباب المناصب النقيبان طراد العباسى والمعمر العلوى فى اصحابهما وقاضى القضاة والغزالى والشاشى وغيرهما من العلماء فجلسوا فى العزاء وبايعوا وكان للمستظهر بالله لما بويع ست عشرة سنة وشهران

(ذكر قتل قسيم الدولة آقسنقر وملك تتش حلب والجزيرة وديار بكر وأذربيجان وهمذان والخطبة له ببغداد)

فى هذه السنة فى جمادى الاولى قتل قسيم الدولة آقسنقر حد ملوكنا بالموصل الآن اولاد الشهيد زنكى بن آقسنقر وسبب قتله ان تاج الدولة تتش لما عاد من اذربيجان منهزما لم يزل يجمع العساكر فكثرت جموعه وعظم حشده فسار فى هذا التاريخ عن دمشق نحو حلب ليطلب السلطنة فاجتمع قسيم الدولة آقسنقر وبوزان وامدهما ركن الدين بركيارق بالامير بوقا الذى صار بعد صاحب الموصل فلما اجتمعوا ساروا الى طريقه فلقوه عند نهر سبعين قريبا من تل السلطان بينه وبين حلب ستة

حادثة الانكليز والاستعداد لحربهم وقتالهم وطردهم فانهم اعداء الدين والملة وقد صاروا ايضا اخصاما للسلطان فيجب على المسلمين دفعهم ويجب ايضا ان يكون الناس والعسكر على حال الالفة والشفقة والاتحاد وان تمتنع العساكر عن التعرض للناس بالايذاء كما هو شانهم وان يساعدوا بعضهم بعضا على دفع العدو ثم تشاوروا فى تحصين المدينة وحفر خنادق فقال بعضهم ان الانكليز لا ياتون الا من البر الغربى والنيل حاجز بين الفريقين وان الفرنساوية كانوا اعلم بامر الحروب وانهم لم يحفروا الا الخندق المتصل من الباب الحديد الى البر فينبغى الاعتناء باصلاحه ولو لم يكن كوضعهم واتقانهم اذ لا يمكن فعل ذلك واتفقوا على ذلك (وفيه) حضر مكتوب من ثغر رشيد عليه امضاء على بك حاكم رشيد واحد بك المعروف ببونابارته مؤرخ بيوم الجمعة رابع عشرينه يذكرون فيه ان الانكليز لما حضروا الى رشيد وحصل لهم ما حصل من القتل والاسر رجعوا خائبين حصل لباقيهم غيظ عظيم وهم شارعون فى الاستعداد للعود والمحاربة والقصد أن تسعفونا وتمدونا بارسال الرجال والمحاربين والاسلحة والجبخانه بسرعة وعجلة والا فلا لوم علينا

بعد ذلك وقد اخبرناكم وعرفناكم بذلك فارسلوا في ذلك اليوم عدة من المقاتلين وكتبوا مكاتبات الى البلاد والعربان الساكنين ببلاد الجزيرة يدعونهم للمحاربة والمجاهدة وكذلك ارسلوا في ثاني يوم عدة من العسكر (وفي يوم الاربعاء تاسع عشرينة) ركب السيد عمر النقيب والقاضي والاعيان المتقدم ذكرهم ونزلوا الى ناحية بولاق لترتيب امر الخندق المذكور وصحبتهم قنصل الفرنساوية وهو الذي أشار عليهم بذلك وصحبتهم الجمع الكثير من الناس والاتباع والكل بالاسلحة (وفيه) وصل المشايخ الثلاثة الذين كانوا ذهبوا لاجراء الصلح بين الباشا والامراء القبالي وذهبوا الى دورهم وكان من خبرهم انهم لما وصلوا الى الباشا بناحية ملوى استاذنوه في الذهاب فيما أتوا بسببه من السعي في الصلح فاستمهلهم وتركهم بناحية ملوى واستعد وذهب الى أسيوط وأودع الجماعة بمنفلوط وتلاقى مع الامراء وحاربهم وظهر عليهم وقتل من الامراء في تلك المعركة سليمان بك المرادي المعروف بريحة بتشديد الياء وسليمان بك الاغا ورجع الامراء القبالي الى ناحية بحري فعند ذلك حضر المشايخ وكتب مكاتبات الى الامراء وارسلها صحبة المشايخ المذكورين الى الامراء وكانوا بالجانب الغربي بناحية ملوى فتفاوضوا الطبيب

فراسخ واقتتلوا واشتد القتال فحامر بعض العسكر الذين معه قسنقر فانهزموا وتبعهم الباقون فتمت الهزيمة وثبت قسنقر فاخذ اسيرا واحضر عند تنش فقال له لو ظفرت بي ماكنت صنعت قال كنت اقتلك فقال له انا احكم عليك بما كنت تحكم على فقتله صبرا وسار نحو حلب وكان قد دخل اليها كربوقا وبوزان فحفظاها منه وحصرها تنش وهج في قتالها حتى ملكها واسلمها اليه المقيم بقلعة الشريف ومنها دخل البلد واخذهما اسيرين وارسل الى حران والرها ليسلمها من بهما وكانتا لبوزان فامتنعوا من التسليم اليه فقتل بوزان وارسل رأسه اليهم وتسلم البلدين واما كربوقا فانه ارسله الى حمص فسجنه بها الى ان اخرجه الملك رضوان بعد قتل ابيه تنش وكان قسيم الدولة احسن الامراء سياسة لرعيته وحفظا لهم وكانت بلاده بين رخص عام وعدل شامل وامن واسع وكان قد شرط على اهل كل قرية من بلاده متى اخذ عندهم قفل أو احد من الناس غرم اهلها جميع ما يؤخذ من الاموال من قليل وكثير فكانت السيارة اذا بلغوا قرية من بلاده القوار حالهم وناموا وحرسهم اهل القرية الى ان يرحلوا فامنت الطرق واماوفاؤه وحسن عهده فيكفيه فخرا انه قتل في حفظ بيت صاحبه وولي نعمته فلما ملك تنش حران والرها سار الى الديار الجزريه فملكها جميعها ثم ملك ديار بكر وخلاط وسار الى اذربيجان فملك بلادها كلها ثم سار منها الى همذان فملكها وراى بها فخر الملك بن نظام الملك وكان بخراسان فسار منها الى السلطان بركيارق ليخدمه فوقع عليه الامير قماج وهو من عسكر محمود ابن السلطان ملكشاه باصبهان فنهب فخر الملك فهرب منه ونجا بنفسه فجاء الى همذان فصادفه تنش بها فاراد قتله فشفع فيه باغيسيان واشار عليه ان يستوزره لميل الناس الى بيته فاستوزره وارسل الى بغداد يطلب الخطبة من الخليفة المستظهر بالله وكان شحنته ببغداد ايتكين جب فلازم الخدمة بالديوان واح في طلبها فاجيب الى ذلك بعد ان سمعوا ان بركيارق قد انهزم من عسكر عمه تنش على ماذكره

(ذكر انهزام بركيارق من عمه تنش وملكه اصبهان بعد ذلك)

في هذه السنة في شوال انهزم بركيارق من عسكر عمه تنش وكان بركيارق بنصيبين فلما سمع بسير عمه الى اذربيجان سار هو من نصيبين وعبر دجلة من بلد من فوق الموصل وسار الى اربل ومنها الى بلد سرخاب بن بدر الى ان بقي بينه وبين عمه تسعة فراسخ ولم يكن معه غير الف رجل وكان عمه في خمسين الف رجل فسار الامير يعقوب بن ابق من عسكر عمه فكبسه وهزمه ونهب سواده ولم يبق معه الا برسق وكشتكين الجاندار واليارق وهم من الامراء الكبار فسار الى اصبهان وكانت خاتون أم اخيه محمود قد ماتت على ماذكره فمنعه من بها من الدخول اليها ثم اذنوا له خديعة منهم ليقبضوا عليه فلما قارب بها خرج اخوه الملك محمود فلقيه ودخل البلد واحتاطوا عليه فاتفق ان اخاه محمودا حم وجد فاراد الامراء ان يكحلوا بركيارق فقال لهم امين الدولة ابن التلميذ

الطبيب ان الملك محمودا قد جدر وما كانه يسلم منه وارا كم تكرهون ان يليكم ويملك
لبلاد تاج الدولة فلا تجعلوا على بركيارق فان مات محمودا قيموه ملكا وان سلم محمود فانتم
تقدرون على خلعه فات محمود وسلخ شوال فكان هذا من الفرج بعد الشدة وجلس بركيارق
للعزاء باخيه وكان مولد محمود فى صفر سنة ثمانين وار بعمائة وقصده مؤيد الملك بن
نظام الملك فاستوزره فى ذى الحجة وكان اخوه عز الملك بن نظام الملك قد مات لما كان
مع بركيارق بالموصل وحمل الى بغداد فدفن بالنظامية وكان اصبح الناس وجها
واحسنهم خلقا وسيرة وكان قد اجرى الناس على ما بايديهم من توقيعات ابيه فى
الاطلاقات من خاصه منها ببغداد مائتا كر غلة وثمانية عشر الف دينار اميرى ثم ان
بركيارق جدر بعد اخيه وعوفى وسلم فلما عوفى كاتب مؤيد الملك وزيره الامراء
العراقيين والخراسانيين واستمالهم فعادوا كلهم الى بركيارق فعظم شانه وكثر عسكره

(ذكر وفاة امير الجيوش بمصر)

فى هذه السنة فى ذى القعدة توفى امير الجيوش بدر الجمالى صاحب الجيش بمصر وقد
جاوز ثمانين سنة وكان هو الحاكم فى دولة المستنصر والمرجوع اليه وكان قد استعمله
على الشام سنة خمس وخمسين وار بعمائة وجرى بينه وبين الرعية والجند بدمشق
ما خاف على نفسه فخرج عنها هاربا وجمع وحشد وقدم الى الشام فاستولى عليه باسره
سنة ست وخمسين ثم خالفه اهل دمشق مرة اخرى فهرب منهم سنة ستين وخرب العامة
والجند قصر الامارة ثم مضى امير الجيوش الى مصر وتقدم بها وصار صاحب الامر قال
علقمة بن عبد الرزاق العليمى قصدت بدرا الجمالى بمصر فرأيت اشراف الناس
وكبراءهم وشعراءهم على بابه قد طال مقامهم ولم يصلوا اليه قال فبينا انا كذلك اذ خرج
بدر يريد الصيد فخرج علقمة فى اثره واقام الى ان رجع من صيده فلما قارب
وقف على نشز من الارض واومأ برفعة فى يده وانشا يقول

نحن التجار وهذه اعلاقنا * درو جود يمينك المبتاع
قلب وفتشها بسمعك انما * هى جوهر يختاره الاسماع
كسدت علينا بالشآم وكلما * قل النفاق تعطل الصناع
فاتاك يحملها اليك تجارها * ومطيها الآمال والاطماع
حتى اناخوها ببابك والرجا * من دونك السمار والبياع
فوهبت مالم يعطه فى دهره * هرم ولا كعب ولا القعقاع
وسبقت هذا الناس فى طلب العلا * فالناس بعدك كلهم اتباع
يا بدر أقسم لو بك اعتصم الورى * ولجوا اليك جميعهم ما ضاعوا

وكان على يد بدر بازى فالقاه وانفرد عن الجيش وجعل يسترد الابيات وهو ينشدها الى
ان استقر فى مجلسه ثم قال لجماعة غلمانه وخاصته من احبنى فليخلع على هذا الشاعر
فخرج من عنده ومعه سبعون بغلا يحمل الخلع والتحف وامر له بعشرة آلاف درهم

١٣ يخ مل عا

بالمشايخ وقالوا لهم ما المراد بهذا الصلح فقالوا المراد منه راحة الطرفين ورفع الحروب

سكندرية ودخلتها وقصدهم اخذ الاقليم المصرى كما فعل الفرنساوية فقالوا انهم اتوا باستدعاء الالفى لنصرتنا ومساعدتنا فقالوا لاتصدقوا اقوالهم فى ذلك واذا تملكوا البلاد لايبقون على احد من المسلمين وحالهم ليس كحال الفرنساوية فان الفرنساوية لايتدينون بدين ويقولون بالحرية والتسوية واما هؤلاء الانكليز فانهم نصارى على دينهم ولاتخفى عداوة الاديان ولايصح ولا ينبغى منكم الانتصار بالكفار على المسلمين ولا الالتجاء اليهم ووعظوهم وذكروا لهم الآيات القرآنية والاحاديث النبوية وان الله هداهم فى طفوليتهم واخرجهم من الظلمات الى النور وقد نشؤا فى كفالة اسيادهم وتربوا فى حجور الفقهاء وبين اظهر العلماء وقرؤا القرآن وتعلموا الشرائع وقطعوا ما مضى من اعمارهم فى دين الاسلام واقامة الصلوات والحج والجهاد ثم يفسدون آخر امرهم ويوادون من حاد الله ورسوله ويستعينون بهم على اخوانهم المسلمين ويملكونهم بلاد الاسلام يتحكمون فى اهلها فالعياذ بالله من ذلك وكان بصحبة المشايخ مصطفى افندى كتخدا قاضى العسكر يكلمهم باللغة التركية ويترجم لهم ذلك وهو فصيح مكالم فقالوا كل ما قلتموه وابديتموه

نخرج من عنده وفرق كثيرا من ذلك على الشعراء ولمسامات بدر وقام بما كان اليه ابنه الافضل

(ذكر وفاة المستنصر وولاية ابنه المستعلى)

فى هذه السنة ثامن عشر ذى الحجة توفى المستنصر بالله ابو تميم معد بن ابى الحسن على الظاهر لاعزاز دين الله العلوى صاحب مصر والشام وكانت خلافته ستين سنة واربعة اشهر وكان عمره سبعا وستين سنة وهو الذى خطب له البساسيرى ببغداد وقد ذكرنا ذلك وكان الحسن بن الصباح رئيس هذه الطائفة الاسماعيلية قد قصده فى زى تاجر واجتمع به وخاطبه فى اقامة الدعوة له ببلاد العجم فعاد ودعا الناس اليه سرا ثم اظهرها وملك القلاع كما ذكرناه وقال للمستنصر من امامى بعدك فقال ابنى نزار وهو اكبر اولاده والاسماعيلية الى يومنا هذا يقولون بامامة نزار ولقى المستنصر شدائد واهوالا وانفتقت عليه الفتوق بديار مصر فاخرج فيها امواله وذخائره الى ان بقى لايملك غير سجادته التى يجلس عليها وهو مع هذا صابر غير خاشع وقد اتينا على ذكر هذا سنة سبع وستين واربعمائة وغيرها ولمسامات ولى بعده ابنه ابو القاسم احمد المستعلى بالله ومولده فى المحرم سنة سبع وستين واربعمائة وكان قد عهد فى حياته بالخلافة لابنه نزار فخلعه الافضل وبايع المستعلى بالله وسبب خلعه ان الافضل ركب مرة ايام المستنصر ودخل دهليز القصر من باب الذهب راكبا ونزار خارج والجهاز مظلم فلم يره الافضل فصاح به نزار انزل يا ارمنى كاب عن الفرس ما اقل ادبك فحقدها عليه فلما مات المستنصر خلعه خوفا منه على نفسه وبايع المستعلى فهرب نزار الى الاسكندرية وبها ناصر الدولة فاقطعين فبايعه اهل الاسكندرية وسموه المصطفى لدين الله فخطب الناس ولعن الافضل واعانه ايضا القاضى جلال الدولة بن عمار قاضى الاسكندرية فسار اليه الافضل وحاصره بالاسكندرية فعاد عنه مقهورا ثم ازداد عسكرا وسار اليه فحصره واخذه واخذ فاقطعين فقتله وتسلم المستعلى نزارا فبنى عليه حائطا فمات وقتل القاضى جلال الدولة بن عمار ومن اعانه

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى ربيع الآخر راى بعض اليهود بالغرب رؤيا انهم سيطيرون فاخبر اليهود بذلك فوهبوا اموالهم وذخائرهم وجعلوا ينتظرون الطيران فلم يطيروا وصاروا ضحكة بين الامم وفى هذا الشهر كانت بالشام زلازل كثيرة متتابعة يطول مكثها الا انها لم يكن الهدم كثيرا وفيها كانت الفتنة بين اهل نهر طابق واهل باب الارحاء فاحترقت نهر طابق وصارت تلولا فلما احترقت عبر يمن صاحب الشرطة فقتل رجلا مستورا فنفر الناس منه وعزل فى اليوم الثالث وفيها توفى محمد بن ابى هاشم الحسينى امير مكة وقد جاوز سبعين سنة ولم يكن له مايمدح به وكان قد نهب بعض الحجاج سنة ست وثمانين وقتل منهم خلقا كثيرا وفيها فى ربيع الاول قتل السلطان بركيارق

ولا بوعد ولا يبر في يمين ولا يصدق في قول وقد تقدم انه يصطلح معنا وفي اثر ذلك ياتي تحربنا ويقتلنا ويمنع عنا من ياتي الينا باحتياجاتنا من مصر ويعاقب على ذلك حتى من ياتي من الباعة والمتسببين الى الناحية التي نحن فيها ولا يخفاكم انه لما اتى القبودان ومعه الاوامر بالرضا والعفو الكامل عنا والامر له بالخروج فلم يمتثل وارسل الينا وخدعنا وتحيل علينا بارسال الهدايا وصدقناه واصطلحنا معه فلما تم له الامر غدر بنا وما مراده بصلحنا الا تاخرنا عن ذهابنا الى الانكليز فلا نذهب اليهم ولا نستعين بهم وان كان مراده يعطينا بلادا يصالحنا عليها فهاهي البلاد بايدينا وقد عمها الخراب باستمرار الحروب من الفريقين وقد تفرق شملنا وانهدمت دورنا ولم يبق لنا ما نأسف عليه أو نتحمل المذلة من اجله وقد مات اخواننا ومما ليكنا فنحن نستمر على ما نحن معه عليه حتى نموت عن آخرنا ويرتاح قلبه من جهتنا فقال لهم الجماعة هذه المرة هي الاخرى وليس بعدها شر ولا حرب بل بعدها الصداقة والمصافاة ويعطيكم كل ما طلبتموه من بلاد وغيرها فلو طلبتم من الاسكندرية الى اسوان لا يمنع ذلك بشرط أن تكونوا معنا بالمساعدة في حرب الانكليز

عمه تكش وغرقه وقتل ولده معه وكان ملكشاه قد اخذه لما خرج عليه وكحله وحبسه بقلعة تكريت فلما ملك بركيارق احضره اليه ببغداد وسار بمسيره فظفر بملطفات اليه من أخيه تنش يحثه على اللحاق به وقيل انه اراد المسير الى بلخ لان امها كانت تريد ونه فقتله فلما غرق بقي بسر من رأى فحمل الى بغداد فدفن عند قبر أبي حنيفة وفيها في جمادى الآخرة كانت وقعة بين الامير انز وتورانشاه بن قاورت بك وكانت تركان خاتون الجلالية والدة محمود بن ملكشاه قد ارسلته في عسكر لياخذ بلاد فارس من تورانشاه ولم يحسن الامير انز تدبير بلاد فارس فاستوحش منه الاجناد واجتمعوا مع تورانشاه وهزموا انزو مات تورانشاه بعد الكسرة بشهر من سهم اصابه فيها وفيها استولى اصبهبذ بن ساوتكين على مكة حرسها الله تعالى وهرب منها الامير قاسم بن ابي هاشم العلوي صاحبها واقام بها الى شوال وجمع الامير قاسم وكبسه بعسفان وجرى بينهما حرب في شوال من هذه السنة فانهزم اصبهبذ ودخل قاسم الى مكة ومضى اصبهبذ الى الشام وقدم الى بغداد وفيها في رجب احرق شحنة بغداد وهو ايتكين جب باب البصرة وسبب ذلك ان النقيب طراد الزينبي كان له كاتب يعرف بابن سنان فقتل فانفذ النقيب الى الشحنة يستدعي منه من يقيم السياسة فانفذ حاجبه محمدا فرجمه اهل باب البصرة وأدموه فرجع الى صاحبه فشكا اليه منهم فامر أخاه بقصدهم ومعاقبتهم على فعلهم فسار اليهم في جماعة كثيرة وتبعهم اهل السوق فاحرقوا ونهبوا فارسل الخليفة الى الشحنة يامره بالكف عنهم فكف وفيها في رمضان توفيت تركان خاتون الجلالية باصبهان وهي ابنة طغاج خان وهو من نسل فراسياب التركي وكانت قد برزت من اصبهان لتسير الى تاج الدولة تتش لتتصل به فمرضت وعادت وماتت واوصت الى الامير انز والى الامير سرخ شحنة اصبهان بحفظ المملكة على ابنها محمود ولم يكن بقي بيدها سوى قصبة اصبهان ومعها عشرة آلاف فارس اتراك وفيها في ذي القعدة توفي ابو الحسين بن الموصلايا كاتب ديوان الزمام ببغداد

(ثم دخلت سنة ثمان وثمانين واربعمائة)
(ذكر دخول جمع من الترك افريقية وما كان منهم)

في هذه السنة غدر شاهملك التركي بيحيى بن تميم بن المعز بن باديس وقبض عليه وكان هذا شاهملك من اولاد بعض الامراء الاتراك ببلاد الشرق فناله في بلده امر اقتضى خروجه منه فسار الى مصر في مائة فارس فاكرمه الافضل امير الجيوش واعطاه اقطاعا ومالا ثم بلغه عنه اسباب اوجبت اخراجه من مصر فخرج هو واصحابه هاربين فاحتالوا حتى اخذوا سلاحا وخيلا وتوجهوا الى المغرب فوصلوا الى طرابلس الغرب واهل البلد كارهون لوليهما فاذا خلوهم البلد واخرجوا الوالي وصار شاهملك امير البلد فسمع تميم الخبر فارسل العساكر اليها فحصرها واضيق عليها فتحوها ووصل شاهملك

ودفعهم عن البلاد وايضا تسيرون باجمعكم من البر الغربى والباشا وعساكره من البر الشرقى وعند انقضاء امر الانكليز ورجوعكم الى بر الجيزة ينعقد مجلس الصلح بحضرة المشايخ الكبار والنقيب والوجاقلية وأكابر العسكر وان شئتم عقدنا مجلس الصلح بالجيزة قبل التوجه لمحاربة الانكليز ولا شر بعد ذلك أبدا فانخدعوا لذلك وكتبوا أجوبة ورجع بها مصطفى افندى كتخدا القاضى وصحبته يحيى كاشف ثم رجع اليهم ثانيا وسار الفريقان الى جهة مصر وحضر المشايخ وأخبروا بما حصل (وفيه) شرعوا فى حفر الخندق المذكور ووزعوا حفره على مياسير الناس واهل الوكائل والخانات والتجار وارباب الحرف والروزنامجى وجعلوا على البعض أجرة مائة رجل من الفعلة وعلى البعض أجرة خمسين وعشرين وكذلك أهل بولاق ونصارى ديوان المكس والنصارى الاروام والشوام والاقباط واشتروا المقاطف والغلقان والقفوس والقزم وآلات الحفر وشرعوا فى بناء حائط مستدير أسفل تل قلعة السبتية (وفى يوم الخميس غايته) ورد مكتوب من السيد حسن كريت نقيب الاشراف برشيد والمشار اليه بهايذكر فيه ان الانكليز لما وقع لهم ما وقع برشيد ورجعوا فى هزيمتهم الى الاسكندرية استعدوا وحضروا الى ناحية الحماد قبلى رشيد ومعهم معهم الى المهدية فسر به تميم وبمن معه وقال ولد لى مائة ولد انتفع بهم وكانوا لا يخطئ لهم سهم فلم تطل الايام حتى جرى منهم أمر غير تميما عليهم فعلم شاهملك ذلك وكان داهيا خبيثا فخرج يحيى بن تميم الى الصيد فى جماعة من اعيان اصحابه نحو مائة فارس ومعه شاهملك وكان ابو تميم قد تقدم اليه ان لا يقرب شاهملك فلم يقبل فلما ابعد وافى طلب الصيد غدر به شاهملك فقبض عليه وسار به وبمن اخذ معه من اصحابه الى مدينة سفاقس وبلغ الخبر تميما فركب وسير العساكر فى اثرهم فلم يدركوهم ووصل شاهملك بيحيى بن تميم الى سفاقس فركب صاحبها واسمه حمو وكان قد خالف على تميم ولقى يحيى ومشى فى ركابه راجلا وقبل يده وعظمه واعترف له بالعبودية فاقام عنده اياما ولم يذكره ابوه بكلمة وكان قد جعله ولى عهده فلما اخذ اقام أبو مقامه ابنه الآخر اسمه مثنى ثم ان صاحب سفاقس خاف يحيى على نفسه ان يثور معه الجند واهل البلد ويملكوه عليهم فارسل الى تميم كتابا يساله فى انفاذ الاتراك وأولادهم اليه ليرسل ابنه يحيى ففعل ذلك بعد امتناع وقدم يحيى فحبه ابوه عنه مدة ثم اعاده الى حاله ورضى عنه ثم جهز تميم عسكرا الى سفاقس ويحيى معهم فساروا اليها وحصروها برا وبحرا وضيقوا على الاتراك بها واقاموا عليها شهرين واستولوا عليها وفارقها الاتراك الى قابس وكان تميم لما رضى عن ابنه يحيى عظم ذلك على ابنه الآخر المثنى وداخله الحسد فلم يملك نفسه فنقل عنه الى ابيه ما غير قلبه عليه فامر باخراجه من المهدية بادله واصحابه فركب فى البحر ومضى الى سفاقس فلم يمكنه عامله من الدخول اليها وقصد مدينة قابس وبها امير يقال له مكين بن كامل الدهمانى فانزله واكرمه فحسن له مثنى الخروج معه الى سفاقس والمهدية واطمعه فيهما وضمن الانفاق على الجند من ماله فجمع مكين من يمكنه جمعه وسار الى سفاقس ومعهما شاهملك التركى واصحابه فنزلوا على سفاقس وقاتلوها وسمع تميم فجرد اليها جندا فلما علم المثنى ومن معه انهم لا طاقة لهم بهم ساروا عنها الى المهدية فنزلوا عليها وقاتلوها وكان الذى يتولى القتال من المهدية يحيى بن تميم وظهرت منه شهامة وشجاعة وحزم وحسن تدبير فلم يبلغ أولئك منها غرضا فعادوا خائبين وقد تلف ما كان مع المثنى من مال وغيره وعظم امر يحيى وصار هو المشار اليه

(ذكر قتل احمد خان صاحب سمرقند)

فى هذه السنة فى المحرم قتل احمد خان صاحب سمرقند وكان قد كره عسكره واتهموه بفساد الاعتقاد وقالوا هو زنديق وكان سبب ذلك ان السلطان ملكشاه لما فتح سمرقند واسر هذا احمد خان قد وكل به جماعة من الديلم فحسنوا له معتقدهم واخرجوه الى الاباحة فلما عاد الى سمرقند كان يظهر منه اشياء تدل على انحلاله من الدين فلما كرهه اصحابه وعزموا على قتله قالوا للمستحفظ قلعة كاسان وهو طغرل ينال بك ليظهر العصيان ليسير احمد خان معهم من سمرقند الى قتاله فيتمكنوا من قتله فعصى طغرل ينال بك فسار أحمد خان والعسكر الى قتاله فلما نازل القلعة تمكن العسكر منه وقبضوا عليه وعادوا الى

الى سمرقند واحضروا القضاة والفقهاء واقاموا خصوما ادعوا عليه الزندقة فجهد فشهد عليه جماعة بذلك فافتى الفقهاء بقتله فخنقوه واجلسوا ابن عمه مسعودا مكانه واطاعوه

(ذكر ما فعله يوسف بن ابق ببغداد)

فى هذه السنة فى صفر سير الملك تتش يوسف بن ابق التركمانى شحنة لبغداد ومعه جمع من التركمان فمنع من دخول بغداد وورد اليه صدقة بن مزيد صاحب الحلة وكان يكره تتش ولم يخطب له فى بلاده فلما سمع ابن ابق بوصوله عاد الى طريق خراسان وذهب باجسر اوقاتله العسكر بيعقوبا فهزمهم ونهبهم الخيش نهب واكثر معه من التركمان وعاد الى بغداد وكان صدقة قد رجع الى الحلة فدخل يوسف بن ابق الى بغداد واراد نهبها والايقاع باهلها فمنعه امير كان معه من ذلك ثم وصل اليه الخبر بقتل تتش فرحل عن بغداد الى الموصل وسار من هناك الى حلب

(ذكر الحرب بين بركيارق وتتش وقتل تتش)

فى هذه السنة فى صفر قتل تتش بن الب ارسلان وكان سبب ذلك انه لما هزم السلطان بركيارق كما ذكرناه سار من موضع الوقعة الى همذان وقد تحصن بها امير آخر فرحل تتش عنها فتبعه امير آخر لاجل اثقاله فعاد عليه تتش فكسره فعاد الى همذان واستامن اليه وصار معه وبلغ تتش مرض بركيارق فسار الى اصبهان فاستاذنه امير آخر فى قصد جرباذقان لاقامة الضيافة وما يحتاج اليه فاذن له فسار اليها ومنها الى اصبهان وعرفهم خبر تتش وعلم تتش خبره فنهب جرباذقان وسار الى الرى وارسل الى الامراء الذين باصبهان يدعوهم الى طاعته ويبذل لهم البذول الكثيرة وكان بركيارق مريضا بالجدرى فاجابوه يعدونه بالانحياز اليه وهم ينتظرون ما يكون من بركيارق فلما عوفى ارسلوا الى تتش ليس بيننا غير السيف وسار وامع بركيارق من اصبهان وهم فى نفير يسير فلما بلغوا جرباذقان اقبلت اليهم العساكر من كل مكان حتى صاروا فى ثلاثين الفا فالتقوا بموضع قريب من الرى فانهزم عسكر تتش وثبت هو فقتل قيل قتله بعض اصحاب آقسنقر صاحب حلب اخذا بثار صاحبه وكان قد قبض على فخر الملك بن نظام الملك وهو معه فاطلق واستقام الامر والسلطنة لبركيارق واذا اراد الله امرا هيا اسبابه بالامس ينهزم من عمه تتش ويصل الى اصبهان فى نفير يسير فلا يتبعه احد ولو تبعه عشرون فارسا لاخذوه لانه بقى على باب اصبهان عدة ايام ثم لما دخلها اراد الامراء كحله فاتفق ان اخاه حم ثانى يوم وصوله وجدرفات فقام فى الملك مقامه ثم جدر هو واصابه معه سرسام فعوفى وبقى مذ كسره عمه الى ان عوفى وسار عن اصبهان اربعة اشهر لم يتحرك عمه ولا عمل شيئا ولو قصده وهو مريض اووقت مرض اخيه لملك البلاد

ولله سر فى علاك وانما * كلام العدا ضرب من الهذيان

(ذكر حال الملك رضوان واخيه دقاق بعد قتل ابيهما)

ما حصل أخبرناكم به ونرجو الاسعاف والامداد بالرجال والجبخانه والعدة والعدد وعدم التانى والاهمال فلما وصل ذلك الجواب قرأه السيد عمر النقيب على الناس وحثهم على التاهب والخروج للجهاد فامتثلوا ولبسوا الاسلحة وجمع اليه طائفة المغاربة واتراك خان الخليلى وكثير من العدوية والاسيوطية واولاد البلد وركب فى صبحها الى كنخدا بك واستاذنه فى الذهاب فلم يرض وقال حتى ياتى افندينا الباشا ويرى رأيه فى ذلك فسافر من سافر وبقى من بقى وانقضى الشهر وحوادثه (وفيه) ورد الخبر بان ركب الحاج الشامى رجع من منزلة هدية ولم يحج فى هذا العام وذلك انه لما وصل الى المنزلة المذكورة أرسل الوهابى الى عبد الله باشا امير الحاج يقول له لاتات الا على الشرط الذى شرطناه عليك فى العام الماضى وهو ان ياتى بدون الحمل وما يصحبهم من الطبل والزمر والاسلحة وكل ما كان مخالفا للشرع فلما سمعوا ذلك رجعوا من غير حج ولم يتركوا منا كيرهم

(واستهل شهر صفر بيوم الجمعة سنة ١٢٢٢)

فيه كتبوا مراسلة الى الامراء القبالى وختم عليها كثير من مشايخ الازهر وغيرهم وارسلوها اليهم (وفى يوم السبت ثانيه) وردت مكاتبة

أيضا من ثغر رشيد وعليها امضاء على

مكتوب السيد حسن السابق ويذكرون فيه ان الانكليز ملكوا أيضا كوم الافراح وابو منضور ويستحصلون النجدة (وفى ثالث الليلة) اعنى ليلة الاحد وصل محمد على باشا ودخل الى داره بالازبكية فى سادس ساعة من الليل وكان اشيع وصوله قبل ذلك اليوم وخرج السيد عمر النقيب والمشايخ والمحروقى الملاقاته يوم الجمعة فبعضهم ذهب الى الاثار وبعضهم بات بالقرافة بضريح الامام الشافعى ورجعوا فى ثانى يوم ولم يحصل لهم ملاقاة فلما طلع نهار ذلك اليوم وأشيع حضوره الى داره ركب الجميع وذهبوا للسلام عليه ودار بينهم الكلام فى أمر الانكليز فاظهر الاهتمام وأمر كتخداه وحسن باشا بالخروج فى ذلك اليوم فاخرجوا مطلوباتهم وغازتهم الى بولاق وسخط على أهل الاسكندرية والشيخ المسيرى وأمين أغا حيث مكنوا الانكليز من الثغر وملكوهم البلدة ولم يقبل لهم عذرا فى ذلك ثم قالوا له انا نخرج جميعا للجهاد مع الرعية والعسكر فقال ليس على رعية البلد خروج وانما عليهم المساعدة بالمال لعلائف العسكر وانفض المجلس وركبوا الى دورهم (وفيه) وصل حجاج المغاربة الى مصر من طريق البر واخبروا أنهم حجوا وقضوا

كان تاج الدولة تنش قد أوصى اصحابه بطاعة ابنه الملك رضوان وكتب اليه من بلد الجبل قبل المصاف الذى قتل فيه يامره ان يسير الى العراق ويقيم بدار المملكة فسار فى عدد كثير منهم ايلغازى بن ارتق وكان قد سار الى تنش فتركه عند ابنه رضوان ومنهم الامير وثاب بن محمود بن صالح بن مرداس وغيرهما فلما قارب هيت بلغه قتل ابيه فعاد الى حلب ومعه والدته فملكها وكان بها ابو القاسم الحسن بن على الخوارزمى قد سلمها اليه تنش وحكمه فى البلد والقلعة ولحق برضوان زوج امه جناح الدولة الحسين بن ايتكين وكان مع تنش فسلم من المعركة وكان مع رضوان أيضا أخواه الصغيران أبو طالب وبهرام وكانوا كلهم مع ابى القاسم كالاضياف لتحكمه فى البلد واستمال جناح الدولة المغاربة وكانوا أكثر جند القلعة فلما انتصف الليل نادوا بشعار الملك رضوان واحتاطوا على أبى القاسم وارسل اليه رضوان يطيب قلبه فاعتذر فقبل عذره وخطب لرضوان على منابر حلب واعمالها ولم يكن يخطب له بل كانت الخطبة لابيه بعد قتله نحو شهرين وسار جناح الدولة فى تدبير المملكة سيرة حسنة وخالف عليهم الامير باغيسيان بن محمد بن الب التركمانى صاحب انطاكية ثم صالحهم واشار على الملك رضوان بقصد ديار بكر لخلوها من وال يحفظها فساروا جميعا وقدم عليهم امراء الاطراف الذين كان تنش رتبهم فيها وقصدوا سروج فسبقهم اليها الامير سقمان بن ارتق جد اصحاب الحصن اليوم واخذها ومنعهم عنها واهل البلد فخرجوا الى رضوان وتظلموا اليه من عساكره وما يفسدون من غلاتهم ويسالونه الرحيل فرحل عنهم الى الرها وكان بها رجل من الروم يقال له الفارقليط وكان يضمن البلد من بوزان فقاتل المسلمين بمن معه واحتمى بالقلعة وشاهدوا من شجاعته ما كانوا لا يظنونه ثم ملكها رضوان وطلب باغيسيان القلعة من رضوان فوهبها له فتسلمها وحصنها ورتب رجالها وارسل اليهم أهل حران يطلبونهم ليسلموا اليهم حران فسمع ذلك قراجة أميرها فاتهم ابن المفتى وكان هذا ابن المفتى قد اعتمد عليه تنش فى حفظ البلد فاخذه وأخذ معه بنى اخيه فصلبهم ووصل الخبر الى رضوان وقد اختلف جناح الدولة وباغيسيان واضمر كل واحد منهما الغدر بصاحبه فهرب جناح الدولة الى حلب فدخلها واجتمع بزوجته ام الملك رضوان وسار رضوان وباغيسيان فعبرا الفرات الى حلب فسمعوا بدخول جناح الدولة اليها ففارق باغيسيان الملك رضوان وسار الى انطاكية ومعه ابو القاسم الخوارزمى وسار رضوان الى حلب واما دقاق بن تنش فانه كان قد سيره ابوه الى عمه السلطان ملكشاه ببغداد وخطب له ابنة السلطان وسار بعد وفاة السلطان مع خاتون الجلالية وابنها محمود الى أصبهان وخرج الى السلطان بركيارق سرا وصار معه ثم لحق بابيه وحضر معه الوقعة التى قتل فيها فلما قتل أبوه أخذه غلام لابيه اسمه ايتكين الحاجب وسار به الى حلب وأقام عند اخيه الملك رضوان فراسله الامير سار وتكين الخادم الوالى بقلعة دمشق سرا يدعوه لتملكه دمشق فهرب من حلب سرا وجد فى السير فارسل أخوه رضوان عدة من الخيالة فلم يدركوه فلما وصل الى دمشق فرح به

الخادم

الخادم واظهر الاستبشار ولقيه فلما دخلها ارسل اليه باغيسيا ان يشير عليه بالتغرد بملك دمشق عن اخيه رضوان واتفق وصول معتمد الدولة طغدكين الى دمشق ومعه جماعة من خواص تتش وعسكره وقد سلموا فانه كان قد شهد الحرب مع صاحبه واسر فبقي الى الآن وخلص من الاسر فلما وصل الى دمشق لقيه الملك دقاق وارباب دولته وبالغوا في اكرامه وكان زوج والدة دقاق فمال اليه لذلك وحكمه في بلاده وعملوا على قتل الخادم ساوتكين فقتلوه وسارا اليهم باغيسيان من انطاكية ومعه ابو القاسم الخوارزمي فجعله وزير الدقاق وحكمه في دولته

(ذكر وفاة المعتمد بن عباد)

في هذه السنة توفي المعتمد بن عباد الذي كان صاحب الاندلس مسجونا باغمات من بلاد المغرب وقد ذكرنا كيف اخذت بلاده منه سنة اربع وثمانين واربعمائة فبقي مسجونا الى الآن وتوفي وكان من محاسن الدنيا كرما وعلما وشجاعة ورياسة تامة واخباره مشهورة وآثاره مدونة وله أشعار حسنة فمنها ما قاله لما أخذ ملكه وحبس

سلت على يد الخطوب سيوفها * فجذذن من جسدي الحصيف الامتنا
ضربت بها ايدي الخطوب وانما * ضربت رقاب الآملين بها المنى
يا آملي العادات من نفحاتنا * كفوا فان الدهر كف اكفنا

وله من قصيدة يصف القيد في رجله

تعطف في ساقي تعطف ارقم * يساورها عضابا نياب ضيغم
واني من كان الرجال بسيفه * ومن سيفه في جنة وجهنم

وقال في يوم عيد

فيما مضى كنت بالاعياد مسرورا * فصرت كالعبد في اغمات ماسورا
قد كان دهرك ان تأمره ممتثلا * فردك الدهر منهيا وما مورا
من بات بعدك في ملك يسر به * فانما بات بالاحلام مسرورا

وكان شاعره أبو بكر بن اللبانة ياتيه وهو مسجون فيمدحه لا لجدوى ينالها منه بل رعاية لحقه واحسانه القديم اليه فلما توفي أتاه فوقف على قبره يوم عيد والناس عند قبور اهليهم وانشد بصوت عال

ملك الملوك اسامع فانادي * ام قد عداك عن الجواب عوادي
لما خلت منك القصور ولم تكن * فيها كما قد كنت في الاعياد
فمثلت في هذا الثرى لك خاضعا * وتخذت قبرك موضع الانشاد

واخذ في اتمام القصيدة فاجتمع الناس كلهم عليه يبكون ولو اخذنا في تفصيل مناقبه ومحاسنه لطال الامر فلنقف عند هذا

(ذكر وفاة الوزير ابي شجاع)

في هذه السنة توفي الوزير ابو شجاع محمد بن الحسين بن عبد الله وزير الخليفة في جمادى

وأحضر مصطفى جاويش أمير الركب المصري وقال له ما هذه العويدات والطبول التي معكم يعني بالعويدات الهمل فقال هو اشارة وعلامة على اجتماع الناس بحسب عادتهم فقال لا تات بذلك بعد هذا العام وان اتيت به احرقته وانه هدم القباب وقبة آدم وقباب ينبع والمدينة وابطل شرب التنباك والنارجيلة من الاسواق وبين الصفا والمروة وكذلك البدع (وفي تلك الليلة) أرسل الباشا وطلب السيد عمر في وقت العشاء الاخيرة والزمه بتحصيل الف كيس لنفقة العسكر وان يوزعها بمعرفته (وفي يوم الاثنين رابعه) دخلت طوائف العسكر الواصلين من الجهة القبلية الى المدينة وطلبوا سكنى البيوت كعادتهم ولم يرجعوا الى الدور التي كانوا ساكنين بها واخربوها (وفي يوم الثلاثاء) وردت مكاتبة من رشيد وعليها امضاء السيد حسن كريت يخبر فيها بان الانكليز محتاطون بالثغر ومتحلقون حوله ويضربون على البلد بالمدافع والقنابر وقد تهدم الكثير من الدور والابنية ومات كثير من الناس وقد ارسلنا لكم قبل تاريخه نطلب الاغاثة والنجدة فلم تسعفونا بارسال شيء وما عرفنا الى شيء هذا الحال وما هذا الاهمال فالله الله في

الاسعاف فقد ضاق الخناق و بلغت القلوب الحناجر من توقع المكروه وملازمة المرابطة والسهر على المتاريس

ونحو ذلك من الكلام وهى خطاب للسيد عمر النقيب والمشايخ ومؤرخة فى ثانى شهر صفر (وفى ذلك اليوم) اهتم الباشا وعزم على السفر بنفسه وركب الى بولاق وصحبته حسن باشا وعابدين بك وعمر بك فسافروا فى تلك الليلة (وفى يوم الاربعاء) سافر ايضا حجوبك وخرج معه بعض المتطوعة من الاتراك وغيرهم تهيؤا واتفقوا مع المسافرين معهم وامدهم الكثير من اخوانهم بالاحتياجات والذخيرة والمؤن ونصبوا لهم بيرقا وخرجوا ومعهم طبل وزمر (وفى يوم الجمعة) ركب ايضا احمد اغا لاظ وشق بعساكره الذين كان بهم بالمنيه وتداخل فيهم الكثير من أجناسهم وغيرهم من مغاربة وأتراك بلدية ومر الجميع من وسط المدينة فى عدة وافرة ويذهب الجميع الى بولاق يوهمون انهم مسافرون على قدم الاستعجال بهمة ونشاط واجتهاد فاذا وصلوا الى بولاق تفرقوا ويرجع الكثير منهم ويراهم الناس فى اليوم الثانى والثالث بالمدينة ومن تقدم منهم وسافر بالفعل ذهب فريق منهم الى المنوفية وفريق الى الاربية ليجمعوا فى طريقهم من أهل البلاد والقرى ما تصل اليه قدرة عسفهم من المال والمغارم والكلف وخطف البهائم وصلت

الآخرة واصله من روذروار وولد بالاهواز وقرأ الفقه على الشيخ أبى اسحق الشيرازى وكان عالما بالعربية وله تصانيف منها ذيل تجارب الامم وكان عفيفا عادلا حسن السيرة كثير الخير والمعروف وكان موته بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مجاورا فيها ولما حضره الموت أمر فحمل الى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم فوقف بالحضرة وبكى وقال يارسول الله قال الله عزوجل ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وقد جئت معترفا بذنوبى وجرائمى ارجو شفاعتك وبكى فاكثر وتوفى من يومه ودفن عند قبر ابراهيم ابن النبى صلى الله عليه وسلم

(ذكر الفتنة بنيسابور)

فى هذه السنة فى ذى الحجة جمع أمير كبير من أمراء خراسان جمعا كثيرا وسار بهم الى نيسابور فحصرها فاجتمع أهلها وقاتلوه أشد قتال ولازم حصارهم نحو أربعين يوما فلما لم يجد له مطمعا فيها سار عنها فى المحرم سنة تسع وثمانين فلما فارقها وقعت الفتنة بها بين الكرامية وسائر الطوائف من أهلها فقتل بينهم قتلى كثيرة وكان مقدم الشافعية ابا القاسم بن امام الحرمين أبى المعالى الجوينى ومقدم الحنفية القاضى محمد بن احمد بن صاعد وهما متفقان على الكرامية ومقدم الكرامية محمد شاد فكان الظفر للشافعية والحنفية على الكرامية فخربت مدارسهم وقتل كثير منهم ومن غيرهم وكانت فتنة عظيمة

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى ربيع الآخر شرع الخليفة فى عمل سور على الحريم واذن الوزير عميد الدولة بن جهير للعامة فى التفرج والعمل فزينوا البلد وعملوا القباب وجدوا فى عمارته وفيها فى شهر رمضان جرح السلطان بركيارق جرحه انسان سيرله من أهل سجستان فى عضده ثم أخذ الرجل واعانه رجلان أيضا من أهل سجستان فلما ضرب الرجل الجارح اعترف ان هذين الرجلين وضعاه واعترفا بذلك فضربا الضرب الشديد ليقرا على من امرهما بذلك فلم يقرا فقربا الى الفيل ليجعلا تحت قوائمه وقدم احدهما فقال اتركونى وأنا أعرفكم فتركوه فقال لصاحبه يا أخى لابد من هذه القتلة فلا تفضح أهل سجستان بافشاء الاسرار فقتلا وفيها توجه الامام أبو حامد الغزالى الى الشام وزار القدس وترك التدريس فى النظامية واستناب أخاه وتزهد ولبس الخشن وأكل الدون وفى هذه السفرة صنف احياء علوم الدين وسمعه منه الخلق الكثير بدمشق وعاد الى بغداد بعد ما حج فى السنة التالية وسار الى خراسان وفيها فى ربيع الاول خطب لولى العهد أبى الفضل منصور بن المستظهر بالله وفيها عزل بركيارق وزيره مؤيد الملك ابن نظام الملك واستوزر أخاه فخر الملك وسبب ذلك ان بركيارق لما هزم عمه تتش وقتله ارسل خادما ليحضر والدته زبيدة خاتون من أصبهان فاتفق مؤيد الملك مع جماعة من الامراء واشاروا عليه بتركها فقال لا أريد الملك الا لها وبوجودها عندى فلما

ورعى المزارع وخطف النساء والبنات والصبيان وغير ذلك (وفيه) سافر ١٠٥ أيضا حسن باشا طاهر وفيه نزل الدالاتية

وصلت اليه وعلمت الحال تذكرت على مؤيد الملك وكان مجد الملك أبو الفضل البلاساني قد صحبها في طريقها وعلم أنه لا يتم له أمر مع مؤيد الملك وكان بين مؤيد الملك واخيه فخر الملك تباعد بسبب جواهر خلفها ابوهما نظام الملك فلما علم فخر الملك تنكر ام السلطان على اخيه مؤيد الملك ارسل وبذل اموالا جزيلة في الوزارة فاجيب الى ذلك وعزل اخوه وولي هو وفي هذه السنة في جمادى الاولى توفي ابو محمد رزق الله ابن عبد الوهاب التميمي الفقيه الحنبلي وكان عارفا بعدة علوم وكان قريبا من السلاطين وفيها في رجب توفي ابو الفضل احمد بن الحسن بن خيرون المعروف بابن الباقلاني وهو مشهور ومولده سنة ست واربعمائة وفيها في شعبان توفي قاضي القضاة ابو بكر محمد بن المظفر الشامي وكان من اصحاب أبي الطيب الطبري ولم يأخذ على القضاء اجرا واقر الحق مقره ولم يحاب احدا من خلق الله ادعى عنده بعض الاتراك على رجل شيأ فقال الك بينة قال نعم فلان والمشطب الفقيه الفرغاني فقال لا اقبل شهادة المشطب لانه يلبس الحرير فقال التركي فالسلطان ونظام الملك يلبسان الحرير فقال لو شهدا عندي على باقة بقل لم اقبل شهادتهما وولي القضاء بعده أبو الحسن علي بن قاضي القضاة أبي عبد الله محمد الدامغاني وفيها مات القاضي أبو يوسف عبد السلام بن محمد القزويني ومولده سنة احدى عشرة واربعمائة وكان مغاليا في الاعتزال وقيل كان زيدي المذهب وفيها توفي القاضي أبو بكر بن الرطبي قاضي دجيل وكان شافعي المذهب وولي بعده أخوه أبو العباس أحمد بن الحسن بن أحمد أبو الفضل الحداد الاصفهاني صاحب أبي نعيم الحافظ روى عنه حلية الاولياء وهو أكبر من أخيه أبي المعالي وأبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن حميد الحميدي الاندلسي ولد قبل العشرين وأربعمائة وسمع الحديث ببلده ومصر والحجاز والعراق وهو مصنف الجمع بين الصحيحين وكان ثقة فاضلا وتوفي في ذي الحجة ووقف كتبه فانتفع بها الناس

(ثم دخلت سنة تسع وثمانين وأربعمائة)

* (ذكر قتل يوسف بن ابق والجن الحلبي) *

في هذه السنة في المحرم قتل يوسف بن ابق الذي ذكرنا انه سيره تاج الدولة تتش الى بغداد ونهب سوادها وكان سبب قتله انه كان بحلب بعد قتل تاج الدولة وكان بحلب انسان يقال له الجن وهو رئيس الاحداث بها وله اتباع كثير فحضر عند جناح الدولة حسين وقال له ان يوسف بن أبق يكاتب باغيسيان وهو على عزم الفساد واستاذنه في قتله فاذن له وطلب ان يعينه بجماعة من الاجناد ففعل ذلك فقصد الجن الدار التي بها يوسف فكبسها من الباب والسطح وأخذ يوسف فقتله ونهب كل ما في داره وبقي بحلب حاكما فحدثته نفسه بالتفرد بالحكم عن الملك رضوان فقال لجناح الدولة ان الملك رضوان أمرني بقتلك فخذ لنفسك فهرب جناح الدولة الى حمص وكانت له فلما انفرد الجن بالحكم تغير عليه رضوان وأراد منه ان يفارق البلد فلم يفعل وركب في أصحابه

الى بولاق وكذلك الكثير من العسكر وحصل منهم الازعاج في أخذ الجمير والجمال قهرا من أصحابها ونزلوا بخيولهم على رب البرسيم والغلال الطائبة التي بناحية بولاق وجزيرة بدران وخلافها فرعتها واكلتها بهائمهم في يوم واحد ثم انتقلوا الى ناحية منية السيرج وشبرا والزاوية الحمراء والمطرية والاميرية فاكلوا زروعات الجميع وخطفوا مواشيهم وفجروا بالنساء وافتضوا الابكار ولاطوا بالغلمان وأخذوهم وباعوهم فيما بينهم حتى باعوا البعض بسوق مسكة وغيره وهكذا تفعل الجاهدون ولشدة قهر الخلائق منهم وقبيح أفعالهم تمنوا مجيء الافرنج من أي جنس كان وزوال هؤلاء الطوائف الخاسرة الذين ليس لهم ملة ولا شريعة ولا طريقة يمشون عليها فكانوا يصرخون بذلك بمسمع منهم فيزداد حقدهم وعداوتهم ويقولون أهل هذه البلاد ليسوا مسلمين لانهم يكرهون تناويحون النصارى ويتوعدونهم اذا خلصت لهم البلاد ولا ينظرون لقبيح أفعالهم (وفي يوم الاثنين حادي عشره) حضر جماعة من الططر الذين من عادتهم يأتون بالاخبار والبشارات بالمناصب وقد وصلوا من طريق الشام يبشرون بولاية

فلوهم بالمحاربة ففعل ثم أمر اصحابه ان ينهبوا اماله واثاثه ودوابه ففعلوا ذلك واختفى فطلب فوجد بعد ثلاثة أيام فاخذوه وعذب وعذب ثم قتل هو وأولاده وكان من السواد يشق الخشب ثم بلغ هذه الحالة

(ذكر وفاة منصور بن مروان)

فى هذه السنة فى المحرم توفى منصور بن نظام الدين بن ناصر الدولة بن مروان صاحب ديار بكر وهو الذى انقرض أمر بنى مروان على يده حين حاربه فخر الدولة بن جهير وكان جكرمش قد قبض عليه بالجزيرة وتركه عند رجل يهودى فمات فى داره وحملته زوجته الى تربة آبائه فدفنته ثم رجعت وعادت الى بلد البشنوية فابتاعت ديرا من بلد فنك بقرب جزيرة بن عمر وأقامت فيه تعبد الله وكان منصور شجاعا شديد البخل له فى البخل حكايات عجيبة فتعسا لطالب الدنيا المعرض عن الآخرة الناظر الى فعلها بابنائها بينما هذا منصور ملك من بيت ملك آل أمره الى ان مات فى بيت يهودى نسأل الله تعالى ان يحسن اعمالنا ويصلح عاقبة أمرنا فى الدنيا والآخرة بمنه وكرمه

(ذكر ملك تميم مدينة قابس أيضا)

فى هذه السنة ملك تميم بن المعز مدينة قابس واخرج منها اخاه عمرا وسبب ذلك انها كان بها انسان يقال له قاضى بن ابراهيم بن يلونه فمات فولى اهلها عليهم عمرو بن المعز فساء السيرة وكان قاضى بن ابراهيم عاصيا على تميم وتميم يعرض عنه فسلك عمرو طريقه فى ذلك فاخرج تميم العساكر الى أخيه عمرو ليأخذ المدينة منه فقال له بعض اصحابه يا مولانا لما كان فيها قاضى توانيت عنه وتركته فلما وليها أخوك جردت اليه العساكر فقال لما كان فيها غلام من عبيدنا كان زواله سهلا علينا واما اليوم وابن المعز بالمهدية وابن المعز بقابس هذا ما لا يمكن السكوت عليه وفى فتحها يقول ابن خطيب سوسة القصيدة المشهورة التى أولها

ضحك الزمان وكان يلفى عابسا * لما فتحت بحد سيفك قابسا
الله يعلم ما حويت ثمارها * الا وكان أبوك قبل الغارسا
من كان فى زرق الاسنة خاطبا * كانت له قبل البلاد عرائسا
فابشر تميم بن المعز بفتكة * تركتك من اكناف قابس قابسا
ولواقكم تركوا هناك مصانعا * ومقاصرا ومخالدا ومجالسا
فكأنها قلب وهن وساوس * جاء اليقين فذاد عنه وساوسا

(ذكر ملك كربوقا الموصل)

فى هذه السنة فى ذى القعدة ملك قوام الدولة أبو سعيد كربوقا مدينة الموصل وقد ذكرنا ان تاج الدولة تتش أسره لما قتل آقسنقر وبوزان فلما أسره أبقى عليه طمعا فى استصلاح حمية الامير أنر ولم يكن له بلد يملكه اذا قتله كما فعل بالامير بوزان فانه قتله واستولى على بلاده الرها وحران ولم يزل قوام الدولة محبوسا بحلب الى ان قتل تتش

بالعمارة وصحبته عدة مراكب فرنساوية قاصدين جهة مالطة ليقطعوا على الانكليز الطرق وان هؤلاء الططر الواصلين لم يعلموا بورود الانكليز الى الاسكندرية الا عند وصولهم صيدا وذكروا ان سبب عزل صالح القبودان ان الانكليز وردوا بغازا سلامبول باثنى عشر مركبا وقيل أربعة عشر وظلوا داخلين والمدافع تضرب عليهم من القلاع المتقابلة فلم يبالوا بذلك حتى حصلوا بداخل المينة تجاه البلد فانزعج أهالى البلد انزعاجا شديدا وصرخت النساء وهاجت المدينة وماجت باناسها ولو ضرب عليها الانكليز لاحترقت عن آخرها لكنهم لم يفعلوا بل استمروا يومهم رموا مراسيهم ثم اخذوها وولوا راجعين ولسان حالهم يقول هانحن وجدنا بغازكم الذى تزعمون انه لا أحد يقدر على عبوره وقدرنا عليكم وعفونا عنكم ولو شئنا اخذ دار سلطنتكم لاخذناها أو احرقناها وعند ما فعلوا ذلك طلب السلطان قبودان باشا فوجدوه يتعاطى الشراب فى بعض الاماكن فعند ذلك احضروا السيد على وقلدوه رياسة الدونانمه ونزل الى الانكليز وتكلم معهم الى ان خرجوا من البغاز واخرجوا صالح وملك

وملك ابنه الملك رضوان حلبا فارسل السلطان بركيارق رسولا يامره باطلاقه واطلاق اخيه التونتاش فلما أطلقا سارا واجتمع عليهما كثير من العساكر البطالين فاتيا حران فتسلماها وكاتبهما محمد بن شرف الدولة مسلم بن قريش وهو بنصيبين ومعه ثروان بن وهيب وأبو الهيجاء الكردى يستنصرون بهما على الامير على بن شرف الدولة وكان بالموصل قد جعله بها تاج الدولة تتش بعد وقعة المضيع فسار كربوقا اليهم فلقيه محمد بن شرف الدولة على مرحلتين من نصيبين واستخلفهما لنفسه فقبض عليه كربوقا بعد اليمين وحمله معه وأتى نصيبين فامتنعت عليه فحصرها أربعين يوما وتسلمها وسار الى الموصل فحصرها فلم يظفر منها بشئ فسار عنها الى بلد وقتل بها محمد بن شرف الدولة وغرقه وعاد الى حصار الموصل ونزل على فرسخ منها بقرية باحلا وترك التونتاش شرقى الموصل فاستنجد على بن مسلم صاحبها بالامير جكرمش صاحب جزيرة ابن عمر فسار اليه نجدة له فلما علم التونتاش بذلك سار الى طريقه فقاتله فانهزم جكرمش وعاد الى الجزيرة منهزما وصار فى طاعة كربوقا واعانه على حصر الموصل وعدمت الاقوات بها وكل شئ حتى ما يوقدونه فاوقدوا القير وحب القطن فلما ضاق بصاحبها على الامر فارقها وسار الى الامير صدقة بن مزيد بالحلة وتسلم كربوقا البلد بعد ان حصره تسعة أشهر وخافه اهله لانه بلغهم ان التونتاش يريد نهبهم وان كربوقا يمنعه من ذلك فاشتغل التونتاش بالقبض على اعيان البلد ومطالبتهم بودائع البلد واستطال على كربوقا فامر بقتله فقتل فى اليوم الثالث وأمن الناس شره وأحسن كربوقا السيرة فيهم وسار نحو الرحبة فمنع عنها فاحكمها ونهبها واستناب بها وعاد

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة اجتمع ستة كواكب فى برج الحوت وهى الشمس والقمر والمشترى والزهرة والمريخ وعطارد فحكم المنجمون بطوفان يكون فى الناس يقارب طوفان نوح فاحضر الخليفة المستظهر بالله ابن عيسون المنجم فساله فقال ان طوفان نوح اجتمعت الكواكب السبعة فى برج الحوت والآن فقد اجتمع ستة منها وليس منها زحل فلو كان معها لكان مثل طوفان نوح ولكن أقول ان مدينة او بقعة من الارض يجتمع فيها عالم كثير من بلاد كثيرة فيغرقون فخافوا على بغداد لكثرة من يجتمع فيها من البلاد فاحكمت المسنيات والمواضع التى يخشى منها الانفجار والغرق فاتفق ان الحجاج نزلوا بوادى المياقت بعد نخلة فاتاهم سيل عظيم فاغرق أكثرهم ونجا من تعلق بالجبال وذهب المال والدواب والازواد وغير ذلك فخلع الخليفة على المنجم وفيها فى صفر درس الشيخ أبو عبد الله الطبرى الفقيه الشافعى بالمدرسة النظامية ببغداد رتبه فيها فخر الملك بن نظام الملك وزير بركيارق وفيها اغارت خفاجة على بلد سيف الدولة صدقة بن مزيد فارسل فى اثرهم عسكرا مقدمه ابن عمه قريش بن بدران ابن دبيس بن مزيد فاسرته خفاجة وأطلقوه وقصدوا مشهد الحسين بن على عليهما

معه الاماكن ومواطن الحصار والقنصل المذكور مظهر الاهتمام والاجتهاد ويسهل الامر ويبذل النصح ويكثر من الركوب والذهاب والاياب وامامه الخدم وبايديهم الحراب المفضضة وخلفه ترجمانه واتباعه (وفيه) ارسل الامراء القبليون جوابا عن جواب ارسل اليهم قبل ذلك وعليه ختوم كثيرة باستدعائهم واستحضارهم للحضور فارسلوا هذا الجواب يعتذرون فيه بان السبب فى تاخرهم انهم لم يتكاملوا وان اكثرهم متفرقون بالنواحى مثل عثمان بك حسن وغيره وانهم الى الآن لم يثبت عندهم حقيقة الامر لان من الثابت عندهم صداقة الانكليز مع العثمانى من قديم الزمان وان المراسيم التى وردت بالتحذير والتحفظ من الموسكوب ولم يذكر الانكليز فاتفق الحال بان يرسلوا لهم جوابا بالحقيقة صحبة مصطفى افندى كتخدا القاضى ويصحب معه المراسيم التى وردت فى شان ذلك وفيها ذكر الانكليز ومناببتهم للدولة فسافر الكتخدا المذكور فى صبحها اليهم وكانوا حضروا الى ناحية المنية واما ياسين بك فانه اذعن للصلح على ان يعطيه الباشا أربعمائة كيس بعد تردد المراسلات بينه وبين الباشا ثم انه عدى الى ناحية شرق اطفيح وفرض

عليهم الاموال الجسيمة وكان اهل ثلاث عليهم وطلب منهم الاموال فعصوا عليه فاوقد فيهم النيران وحرق جرونهم ونهبهم (وفى عصر يوم الثلاثاء) حضر جماعة من العرب وصحبتهم ثلاثة انفار من الانكليز قبضوا عليهم من البرية واحضروهم الى مصر فمثلوا بين يدى الباشا وكلمهم ثم امر بطلوعهم الى القلعة وفيهم شخص كبير يقال انه من قباطينهم (وفى يوم الخميس رابع عشره) عملوا ديوانا ببيت القاضى اجتمع فيه الدفتردار والمشايخ والوجاقلية وقرؤا مرسوما تقدم حضوره قبل وصول الانكليز الى الاسكندرية مضمونه ضبط تعلقات الانكليز وما لهم من المال والودائع والشركات مع التجار بمصر والثغور (وفى ذلك اليوم) حضر شخصان من السعاة واخبرا بالنصر على الانكليز وهزيمتهم وذلك انه اجتمع الجم الكثير من اهالى بلاد البحيرة وغيرها واهالى رشيد ومن معهم من المتطوعة والعساكر واهل دمنهور وصادف وصول كتخدا بك واسمعيل كاشف الطوبجى الى تلك الناحية فكان بين الفريقين مقتلة كبيرة واسروا من الانكليز طائفة وقطعوا منهم عدة رؤس فلما الباشا على الساعيين جوخة وفى اثر ذلك وصل ايضا شخصان من الاتراك بمكاتبات بتحقيق ذلك الخبر وبالغا فى

السلام فتظاهر رواقيه بالفساد والمنكر فوجه اليهم صدقة جيشا فكبسوهم وقتلوا منهم خلقا كثيرا فى المشهد حتى عند الضريح والقى رجل منهم نفسه وهو على فرسه من على السور فسلم هو والفرس وفى هذه السنة فى صفر توفى القاضى ابو مسلم وادع بن سليمان قاضى معرة النعمان والمستولى على أمورها وكان رجل زمانه همة وعلما وفيها فى ربيع الاول توفى أبو بكر محمد بن عبد الباقى المعروف بابن الخاضبة المحدث وكان عالما وفيها فى رمضان توفى أبو بكر عمر بن السمرقندى ومولده سنة ثمان وثمانين وثلثمائة وفيها فى رمضان توفى أبو الفضل عبد الملك بن ابراهيم المقدسى المعروف بالهمذانى وكان عالما فى عدة علوم وقد قارب ثمانين سنة

(ثم دخلت سنة تسعين واربعمائة)

(ذكر قتل ارسلان ارغون)

فى هذه السنة فى المحرم قتل ارسلان ارغون بن الب ارسلان أخو السلطان ملكشاه بمرو وكان قد ملك خراسان وسبب قتله انه كان شديدا على غلمانه كثير الاهانة لهم والعقوبة وكانوا يخافونه خوفا عظيما فاتفق انه الآن طاب غلام اله فدخل عليه وليس معه أحد فانكر عليه تاخره عن الخدمة فاعتذر فلم يقبل عذره وضربه فاخرج الغلام سكينا معه وقتله وأخذ الغلام فقيل له لم فعلت هذا فقال لاريح الناس من ظلمه وكان سبب ملكه خراسان انه كان له أيام أخيه ملكشاه من الاقطاع ما مقداره سبعة آلاف دينار وكان معه ببغداد لما مات فسار الى همذان فى سبعة غلمان واتصل به جماعة فسار الى نيسابور فلم يجد فيها مطمعا فسار الى مرو وكان شحنة مرو أمير اسمه قودن من مماليك ملكشاه وهو الذى كان سبب تنكر السلطان ملكشاه على نظام الملك وقد تقدم ذلك فى قتل نظام الملك فمال الى ارسلان أرغون وسلم اليه البلد اليه فاقبلت العساكر اليه وقصد بلخ وبها فخر الملك بن نظام الملك فسار عنها ووزر لتاج الدولة تتش على ما ذكرناه وملك ارسلان ارغون بلخ وترمذ ونيسابور وعامة خراسان وارسل الى السلطان بركيارق والى وزيره مؤيد الملك بن نظام الملك يطلب ان يقر عليه خراسان كما كانت بيده داود ما عدا نيسابور ويبذل الاموال ولا ينازع فى السلطنة فسكت عنه بركيارق لاشتغاله باخيه محمود وعمه تتش فلما عزل السلطان بركيارق مؤيد الملك عن وزارته وولاها أخوه فخر الملك واستولى على الامور مجد الملك البلاسانى قطع ارسلان ارغون مراسلة بركيارق وقال لا أرضى لنفسى مخاطبة البلاسانى فندب بركيارق حينئذ عمه بورسق بن الب ارسلان وسيره فى العساكر لقتاله وكان قد اتصل بارسلان عماد الملك أبو القاسم بن نظام الملك ووزر له فلما وصلت العساكر الى خراسان لقيهم ارسلان ارغون وقاتلهم وانهزم منهم وسار منهزما الى بلخ واقام بورسق والعساكر التى معه بهراة ثم جمع ارغون عساكر جمة وسار الى مرو فحصرها اياما وفتحها عنوة وقتل فيها واكثر وقلع ابواب سورها وهدمه فسار اليه بورسق من هراة فالتقيا وتصافا فانهزم

بور برس سنة ثمان وثمانين وسبب هزيمته انه كان معه من جملة العساكر الذين سيرمعه بركيارق اميرآخر ملكشاه وهو من اكابر الامراء والاميرمسعود بن ناجر وكان ابوه مقدم عسكر داود جد ملكشاه ولمسعود منزلة كبيرة ومحل عظيم عند كافة الناس وكان بين امير آخر وبين ارسلان مودة قديمة فارسل اليه ارسلان ارغون يستميله ويدعوه الى طاعته فاجابه الى ذلك ثم ان مسعود بن ناجر قصد اميرآخر زائر اله ومعه ولده فاخذهما وقتلهما فضعف امر بور برس وانهزم من أرسلان ارغون وتفرق عسكره واسر وحمل الى ارسلان ارغون وهو واخوه فحبسه بترمذ ثم امر به فخنق بعد سنة من حبسه وقتل اكابر عسكر خراسان ممن كان يخافه ويخشى تحكمه عليه وصادر وزيره عماد الملك بثلثمائة الف دينار وقتله وخرب اسوار مدن خراسان منها سرخس وسبزوار وسورمرو الشاهجان وقلعة سرخس وقهندز نيسابور وسور شهرستان وغير ذلك خرب به جميعه سنة تسع وثمانين ثم انه قتل هذه السنة كما ذكرنا

(ذكر استيلاء عسكر مصر على مدينة صور)

في هذه السنة في ربيع الاول وصل عسكر كثير من مصر الى ثغر صور بساحل الشام فحصرها وملكها وسبب ذلك ان الوالي بها ويعرف بكتيلة اظهر العصيان على المستعلي صاحب مصر والخروج عن طاعته فسير اليه جيشا فحصروه بها وضيقوا عليه وعلى من معه من جندي وعامي ثم انتحها عنوة بالسيف وقتل بها خلق كثير ونهب منها المال الجزيل واخذ الوالي اسيرا بغير امان وحمل الى مصر فقتل بها

(ذكر ملك بركيارق خراسان وتسليمها الى اخيه سنجر)

كان بركيارق قد جهز العساكر مع اخيه الملك سنجر وسيرها الى خراسان لقتال عمه ارسلان ارغون وجعل الامير قماج اتابك سنجر ورتب في وزارته ابا الفتح علي بن الحسين الطغرائي فلما وصلوا الى الدامغان بلغهم خبر قتله فاقاموا حتى تحققهم السلطان بركيارق وساروا الى نيسابور فوصل اليها خامس جمادى الاولى من السنة وملكها بغير قتال وكذلك سائر البلاد الخراسانية وساروا الى بلخ وكان عسكر ارسلان ارغون قد ملكوا بعد قتله ابنا له صغيرا عمره سبع سنين فلما سمعوا بوصول السلطان ابعدوا الى جبال طخارستان وارسلوا يطلبون الامان فاجابهم الى ذلك فعادوا ومعهم ابن ارسلان ارغون فاحسن السلطان لقاءه واعطاه ما كان لابيه من الاقطاع ايام ملكشاه وكان وصوله الى السلطان في خمسة عشر الف فارس فانقضى بومهم حتى فارقوه واتصلت كل طائفة منهم بامير تخدمه وبقي وحده مع خادم لابيه فاخذته والدة السلطان بركيارق اليها واقامت له من يتولى خدمته وتربيته وسار بركيارق الى ترمذ فسلمت اليه واقام عند بلخ سبعة اشهر وارسل الى ماوراء النهر فاقيمت له الخطبة بسمرقند وغيرها ودانت له البلاد

(ذكر خروج اميرامير ار بخراسان مخالفا)

الاخبار وان الانكليز انجلوا عن مدائن رشيد وابي منضور والحماد ١٠٩ ولم تزل المقاتلون من اهل القرى خلفهم الى ان توسطوا البرية وغنموا جخاناتهم واسلحتهم ومدافعهم ومهراسين عظيمين وذكرا انه واصل خلفهم اسرى ورؤس قتلى كثيرة في عدة مراكب وانه وصل معهما من جملة المتطوعين رجلان من اهل مكة التجار المقيمين بمصر كانا في الواقعة بنحو مائة من البدو والمغاربة وغيرهم ينفقان عليهم ويحرضانهم على القتال ويعينان المقاتلين من الاهالي بما في ايديهما ويقاتلان بانفسهما وبذلا جهدهما في ذلك وانهما بعد هزم الانكليز وسلبهم فرقا ما غنماه وما بقي معهما من الاشياء على من خرج خلف الانكليز وحضرا معهما وهما السيد احمد التجاري واخوه السيد سلامة فطلبهما الباشا وسالهما عن الخبر فاخبراه بخبر التركيين فانسر الباشا لذلك سرورا عظيما وشكر فعلهما وانعم عليهما وخلع عليهما ورتب لهما مرتبا ووعدهما بالاستخدام في مصالحه وخلع على ذينك التركيين فروتي سمور وحضرا بهجبة الساعيين الى منزل السيد عمر النقيب بعد الغروب وتعشوا عنده وطلبوا البقشيش وبعدان اخذوه توسل التركيان به بان يسعى لهما عند الباشا في انه ينعم عليهما بمناصب فوعدهما بذلك وترجى الباشا لهما اضاعف مرتبهما وضربوا في

الجمعة خامس عشره) حضروا باسرى وعدتهم تسعة عشر شخصا وعدة رؤس فروا بهم من وسط الشارع الاعظم واما الرؤس فروا بها من طريق باب الشعرية وعدتها نيف وثلاثون رأسا موضوعة على نبابيت رشقوها بوسط بركة الازبكية مع الرؤس الاولى صفين على يمين السالك من باب الهواء الى وسط البركة وشماله (وفيه) وصل ثلاث داوات من جدة الى ساحل السويس فيها أتراك وشوام وأجناس آخرون وذكروا ان الوهابى نادى بعد انقضاء الحج ان لا يأتى الى الحرمين بعد هذا العام من يكون حليق الذقن وتلا فى المناداة قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا واخرجوا هؤلاء الواصلين الى مصر (وفى يوم السبت) وصل ايضا تسعة اشخاص أسرى من الانكليز وفيهم فسيال (وفى يوم الاحد) وصل أيضا نيف وستون وفيهم راس واحدة مقطوعة فروا بهم على طريق باب النصر من وسط المدينة وهرع الناس للتفرج عليهم وبعد الظهر أيضا مروا بثلاثة وعشرين أسيرا وثمانية رؤس وبعد العصر بثلاثة وعشرين رأسا واربعة وارابعين أسيرا من ناحية باب الشعرية وطلعوا على

فى هذه السنة لما كان السلطان بركيارق بخراسان خالف عليه اميرا اسمه محمد بن سليمان ويعرف بأمير اميران وهو ابن عم ملكشاه وتوجه الى بلخ واستمد من صاحب غزنة فامده بجيش كثير وفيلة وشرط عليه أن يخطب له فى جميع ما يفتحه من خراسان فقويت شوكته ومد يده فى البلاد فسير اليه الملك سنجر بن ملكشاه جريدة ولا يعلم به أمير اميران فكبسه بغرى بينهما فاقتتال ساعة ثم أسر وحمل الى بين يدى سنجر فامر به فسجن

(ذكر عصيان الامير قودن ويارقطاش على السلطان واستعمال حبشى على خراسان)

فى هذه السنة عصى يارقطاش وقودن على السلطان بركيارق وسبب ذلك ان الامير قودن كان قد صار فى جملة الامير قماج فتوفى والسلطان بمرو فاستوحش قودن واظهر المرض وتاخر بمرو بعد مسير السلطان الى العراق وكان من جملة أمراء السلطان أمير اسمه اكنجى وقد ولاه السلطان خوارزم ولقبه خوارزمشاه فجمع عساكره وسار فى عشرة آلاف فارس ليلحق السلطان فسبق العسكر الى مرو فى ثلثمائة فارس وتشاغل بالشرب فاتفق قودن وأمير آخر اسمه يارقطاش على قتله فجمعا خمسمائة فارس وكبسوه وقتلوه وساروا الى خوارزم واظهروا ان السلطان قد استعملهما عليها فتسلماها وبلغ الخبر الى السلطان فتمم المسير الى العراق لما بلغه من خروج الامير انر ومؤيد الملك عن طاعته واعاد أمير داذ حبشى بن التوفتاق فى جيش الى خراسان لقتالهما فسار الى هراة وأقام ينتظر اجتماع العساكر معه فعاجلاه فى خمسة عشر الفا فعلم أمير داذ أنه لا طاقة له بهما فعبر جيحون فسارا اليه وتقدم يارقطاش ليلحقه قودن فعاجله يارقطاش وحده وقاتله فانهزم يارقطاش واخذ أسيرا وبلغ الخبر الى قودن فثار به عسكره ونهبوا خزائنه ومامعه فبقى فى سبعة نفر فهرب الى بخارا فقبض عليه صاحبها ثم أحسن اليه وبقى عنده وسار من هناك الى الملك سنجر ببلخ فقبله أحسن قبول وبذل له قودن ان يكفيه أموره ويقوم بجمع العساكر على طاعته فقدر انه مات عن قريب واما يارقطاش فبقى اسيرا الى ان قتل لمير داذ وكان من امره ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر ابتداء دولة محمد بن خوارزمشاه)

فى هذه السنة أمر بركيارق الامير حبشى بن التوفتاق على خراسان كما ذكرناه فلما صفت له وقتل قودن كما ذكرناه قبل ولى خوارزم الامير محمد بن انوشتكين وكان أبوه أنوشتكين مملوك أمير من السلجوقية اسمه بلكباك قد اشتراه من رجل من غرشستان فقيل له أنوشتكين غرشحه فكبر وعلا امره وكان حسن الطريقة كامل الاوصاف وكان مقدما مرجوعا اليه وولد له ولدسماه محمدا وهو هذا وعلمه وخرجه وأحسن تاديبه وتقدم بنفسه وبالعناية الازلية فلما ولى أمير داذ حبشى خراسان كان خوارزمشاه اكنجى قد قتل وقد تقدم ذكره ونظر الامير حبشى فيمن يوليه خوارزم فوقع اختياره

على محمد بن أنوشتكين فولاه خوارزم ولقبه خوارزمشاه فقصر أوقاته على معدلة ينشرها ومكرمة يفعلها وقرب أهل العلم والدين فازداد ذكره حسنا ومحله علوا ولما ملك السلطان سنجر خراسان أقر محمدا خوارزمشاه على خوارزم وأعجلها فظهرت كفايته وشهامته فعظم سنجر محله وقدره ثم ان بعض ملوك الاتراك جمع جموعا وقصد خوارزم ومحمد غائب عنها وكان طغرلتكين بن انكجى الذى كان أبوه خوارزمشاه قبل عند السلطان سنجر فهرب منه والتحق بالاتراك على خوارزم فلما سمع خوارزمشاه محمد الخبر بادر الى خوارزم وأرسل الى سنجر يستمده وكان بنيسابور فسار فى العساكر اليه فلم ينتظر محمد فلما قارب خوارزم هرب الاتراك الى منقشلاغ وطغرلتكين أيضا رحل الى خندخان وكفى خوارزمشاه شرهم ولما توفى خوارزمشاه ولى بعده ابنه اتسز فدظلال الامن وأفاض العدل وكان قد قادا لجيوش أيام أبيه وقصد بلاد الاعداء وباشر الحروب فملك مدينة منقشلاغ ولما ولى بعد أبيه قربه السلطان سنجر وعظمه واعتضد به واستصحبه معه فى أسفاره وحروبه فظهرت منه الكفاية والشهامة فزاده تقدما وعلوا وهو ابتداء ملك بيت خوارزمشاه تكش وابنه محمد الذى ظهرت التتر عليه على ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر الحرب بين رضوان وأخيه دقاق)

فى هذه السنة سار الملك رضوان الى دمشق وبها أخوه دقاق عازما على اخذها منه فلما قارب بها ورأى حصانتها وامتناعها علم عجزه عنها فرحل الى نابلس وسار الى القدس ليأخذه فلم يمكنه وانقطعت العساكر عنه فعاد ومعه باغيسيان صاحب انطاكية وجناح الدولة ثم ان باغيسيان فارق رضوان وقصد دقاق وحسن له محاصرة أخيه بحلب جزاء لما فعله بجمع عساكر كثيرة وسار ومعه باغيسيان فارسل رضوان رسولا الى سقمان بن ارتق وهو بسروج يستنجده فاتاه فى خلق كثير من التركمان فسار نحو أخيه فالتقيا بقنسرين فاقتتلا فانهزم دقاق وعسكره ونهبت خيامهم وجميع مالهم وعاد رضوان الى حلب ثم اتفقا على ان يخطب لرضوان بدمشق قبل دقاق وبانطاكية وقيل كانت هذه الحادثة سنة تسع وثمانين

(ذكر الخطبة للعلوى المصرى بولاية رضوان)

فى هذه السنة خطب الملك رضوان فى كثير من ولايته للمستعلى بامر الله العلوى صاحب مصر وسبب ذلك انه كان عنده الامير جناح الدولة وهو زوج أمه فرأى من رضوان تغيرا فسار الى حمص وهى له فلما رأى باغيسيان بعده عن رضوان صالحه وقدم اليه بحلب ونزل بظاهرها وكان لرضوان منجم يقال له الحكيم اسعد وكان يميل اليه فقدمه بعد مسير جناح الدولة فحسن له مذاهب العلويين المصريين واتته رسل المصريين يدعونه الى طاعتهم ويبذلون له المال وانفاذ العساكر اليه ليملك دمشق فخطب لهم بشيزر وجميع الاعمال سوى انطاكية وحلب والمعرة اربع جمع ثم حضر عنده

بهم الى البرواسار وابهم على طريق باب النصر وشقوا بهم من وسط المدينة الى الازبكية فرشقوا الرؤس بالازبكية مع الرؤس الاول وهى نحو المائة واثنين وار بعين والاحياء والجاريح نحو المائتين وعشرين فطلعوا بهم الى القلعة عند اخواتهم فكان مجموع الاسرى أربعمائة اسير وستة وستين أسيرا والرؤس ثلثمائة ونيف وار بعون وفى الاسرى نحو العشرين من فسيالاتهم وهذه الواقعة حصلت على غير قياس وصادف بناؤها على غير اساس وقد افسد الله رأى كل من طائفة الانكليز والامراء المصرية واهل الاقليم المصرى لبروز ما كتبه وقدره فى مكنون غيبه على اهل الاقليم من الدمار الحاصل وما سيكون بعد كما ستسمع به ويتلى عليك بعضه أما فساد رأى الانكليز فلتعديهم الاسكندرية مع قلتهم وسماعهم بموت الالفى وتغريرهم بانفسهم واما الامراء المصريون فلا يخفى فساد رايهم بحال واما اهالى الاقليم فلا نتصارهم لمن يضرهم ويسلب نعمهم وما اصاب من مصيبة فبما كسبت أيدى الناس وما اصابك من سيئة فمن نفسك ولم يخطر فى الظن حصول هذا الواقع ولا ان الرعايا والعسكر لهم قدرة على حروب الانكليز

شاع) اخذهم الاسكندرية داخل العسكر والناس وهم عظيم وعزم اكثر العسكر على الفرار الى جهة الشام وشرعوا فى قضاء اشغالهم واستخلاص أموالهم التى اعطوها للمتقايضين والمستقرضين بالربا وابدال مابايديهم من الدراهم والقروش والفرانسه التى يثقل حملها بالذهب البندقى والمحبوب الزر الخفة حملها حتى انها زادت فى المصارفة بسبب كثرتها لطلب لها وبلغ صرف البندقى المشخص الناقص فى الوزن أربعمائة وعشرين نصفا والزر مائتين وعشرين والفرانسه مائتين واستمرت تلك الزيادة بعد ذلك وسيزيد الامر فحشا وسعوا فى مشترى أدوات الارتحال والامور اللازمة لسفر البر وفارق الكثير منهم النساء وباعوا ما عندهم من الفرش والامتعة حتى ان محمد على باشا لما بلغه حصولهم بالاسكندرية وكان يحاربهم ويشدد عليهم فعند ذلك انحلت عزائمه وارسل بصالحهم على مايريدونه ويطلبونه وثبت فى يقينه استيلاء الانكليز على الديار المصرية وعزم على العود متملكا فى السير يظن سرعة ورودهم الى المدينة فيسير مشرقا على طريق الشام ويكون له عذر بغيبته فى الجملة فلما وصلت الشرذمة ما يصل

سقمان بن ارتق وباغيسيان صاحب انطاكيه فانكر ذلك واستعظماه فاعاد الخطبة العباسية فى هذه السنة وارسل الى بغداد يعتذر مما كان منه وسار باغيسيان الى انطاكية فلم يقم بها غير ثلاثة ايام حتى وصل الفرنج اليها وحصروها وكان ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة كانت فتنة عظيمة بخراسان بين اهل سبزوار واهل خسروجرد وقتال عظيم قتل بينهم جماعة كثيرة وانهزم اهل خسروجرد وفيها قتل عثمان وكيل دار نظام الملك وكان سبب قتله انه كان كاتب صاحب غزنة بالاخبار من قبل السلطان فاخذ وحبس بترمذ مدة ثم اطلع عليه وهو فى الحبس انه كان يكاتبها يضا فقتل وفى صفر منها قتل عبد الرحمن السميرمى وزير ام السلطان بركيارق قتله باطنى غيلة وقتل الباطنى بعده وفيها فى شعبان ظهر كوكب كبير له ذؤابة واقام يطلع عشرين يوما ثم غاب ولم يظهر وفيها توفى النقيب الطاهر ابو الغنائم محمد بن عبد الله وكان دينا سخيا كريما متعصبا حنفى المذهب وولى النقابة بعده ولده ابو الفتوح حيدرة وفيها توفى ابو القاسم يحيى بن احمد السيبى وهو ابن مائة سنة وسنتين وهو صحيح الحواس وكان مقرئا محدثا حاضر القلب وفيها قتل ارغش النظامى مملوك نظام الملك بالرى وكان قد بلغ مبلغا عظيما بحيث انه تزوج ابنة ياقوتى عم السلطان بركيارق قتله باطنى وقتل قاتله وقتل برسق فى شهر رمضان وهو من اكابر الامراء قتله باطنى وكان برسق من اصحاب السلطان طغرلبك وهو اول شحنة كان ببغداد

(ثم دخلت سنة احدى وتسعين واربعمائة)

(ذكر ملك الفرنج مدينة انطاكية)

كان ابتداء ظهور دولة الفرنج واشتداد امرهم وخروجهم الى بلاد الاسلام واستيلائهم على بعضها سنة ثمان وسبعين واربعمائة فملكوا مدينة طليطلة وغيرها من بلاد الاندلس وقد تقدم ذكر ذلك ثم قصدوا سنة اربع وثمانين واربعمائة جزيرة صقلية وملكوها وقد ذكرته ايضا وتطرقوا الى اطراف افريقية فملكوا منها شيئا واخذ منهم ثم ملكوا غيره على ماتراه فلما كان سنة تسعين واربعمائة خرجوا الى بلاد الشام وكان سبب خروجهم ان ملكهم بردويل جمع جمعا كثيرا من الفرنج وكان نسيب رجار الفرنجى الذى ملك صقلية فارسل الى رجار يقول له قد جمعت جمعا كثيرا وانا واصل اليك وسائر من عندك الى افريقية افتحها واكون مجاورا لك فجمع رجار اصحابه واستشارهم فى ذلك وقالوا وحق الانجيل هذا جيد لنا ولهم وتصبح البلاد بلاد النصرانية فرفع رجله وحبق حبقة عظيمة وقال وحق دينى هذه خير من كلامكم قالوا وكيف ذلك قال اذا وصلوا الى احتاج الى كلفة كثيرة ومراكب تحملهم الى افريقية وعساكر من عندى ايضا فان فتحوا البلاد كانت لهم وصارت المؤنة لهم من صقلية وينقطع عنى

ما يصل من المال من ثمن الغلات كل سنة وان لم يفلحوا رجعوا الى بلادى وتاذيت بهم ويقول تميم غدرت بى ونقضت عهدى وتنقطع الوصلة والاسفار بيننا وبلاد افريقية باقية لنا متى وجدنا قوة اخذناها واحضر رسوله وقال له اذا عزمتم على جهاد المسلمين فافضل ذلك فتح بيت المقدس تخلصونه من ايديهم ويكون لكم الفخر واما افريقية فبينى وبين اهلها أيمان وعهود فتجهزوا وخرجوا الى الشام وقيل ان اصحاب مصر من العلويين لما رأوا قوة الدولة السلجوقية وتمكنها واستيلاءها على بلاد الشام الى غزة ولم يبق بينهم وبين مصر ولاية أخرى تمنعهم ودخول الاقسيس الى مصر وحصرها فخافوا وارسلوا الى الفرنج يدعونهم الى الخروج الى الشام ليملكوه ويكون بينهم وبين المسلمين والله اعلم فلما عزم الفرنج على قصد الشام ساروا الى القسطنطينية ليعبروا المجاز الى بلاد المسلمين ويسيروا فى البر فيكون اسهل عليهم فلما وصلوا اليها منعهم ملك الروم من الاجتياز ببلاده وقال لا امكنكم من العبور الى بلاد الاسلام حتى تحلفوا لى انكم تسلمون الى انطاكية وكان قصده يحثهم على الخروج الى بلاد الاسلام ظنا منه ان الاتراك لا يبقون منهم احدا لما رأى من صرامتهم وملكهم البلاد فاجابوه الى ذلك وعبروا الخليج عند القسطنطينية سنة تسعين ووصلوا الى بلاد قلج ارسلان بن سليمان ابن قتلمش وهى قونية وغيرها فلما وصلوا اليها لقيهم قلج ارسلان فى جموعه ومنعهم فقاتلوه فهزموه فى رجب سنة تسعين واجتازوا فى بلاده الى بلاد ابن الارمنى فسلكوها وخرجوا الى انطاكية فحصروها ولما سمع صاحبها باغيسيان بتوجههم اليها خاف من النصارى الذين بها فاخرج المسلمين من أهلها ليس معهم غيرهم وأمرهم بحفر الخندق ثم اخرج من الغد النصارى لعمل الخندق أيضا ليس معهم مسلم فعملوا فيه الى العصر فلما أرادوا دخول البلد منعهم وقال لهم انطاكية لكم تهبوها لى حتى أنظر ما يكون منا ومن الفرنج فقالوا له من يحفظ ابناءنا ونساءنا فقال انا اخلفكم فيهم فامسكوا وأقاموا فى عسكر الفرنج فحصروها تسعة أشهر وظهر من شجاعة باغيسيان وجودة رأيه وحزمه واحتياطه ما لم يشاهد من غيره فهلك أكثر الفرنج موتا ولو بقوا على كثرتهم التى خرجوا فيها لطبقوا بلاد الاسلام وحفظ باغيسيان أهل نصارى انطاكية الذين اخرجهم وكف الايدى المتطرقة اليهم فلما طال مقام الفرنج على انطاكية راسلوا احد المستحفظين للابراج وهو زراد يعرف بروزبه وبذلوا له مالا واقطاعا وكان يتولى حفظ برج يلى الوادى وهو مبنى على شباك فى الوادى فلما تقرر الامر بينهم وبين هذا الملعون الزراد جاؤا الى الشباك ففتحوه ودخلوا منه وصعد جماعة كثيرة بالحبال فلما زادت عدتهم على خمسمائة ضربوا البوق وذلك عند السحر وقد تعب الناس من كثرة السهر والحراسة فاستيقظ باغيسيان فسال عن الحال فقيل ان هذا البوق من القلعة ولا شك انها قد ملكت ولم يكن من القلعة وانما كان من ذلك البرج فدخله الرعب وفتح باب البلد وخرج هاربا فى ثلاثين غلاما على وجهه فجاء نائبه فى حفظ البلد فسال عنه فقيل انه هرب فخرج من باب آخر هاربا وكان ذلك معونة للفرنج ولو ثبت ساعة

الاولى من الانكليز الى رشيد ودخلوها من غير مانع وحبسوا انفسهم فيها فقتلوا واسروا وهرب من هرب ووصلت الرؤس والاسرى واسرعت المبشرون الى الباشا بالخبر فعند ذلك تراجعت اليه نفسه واسرع فى الحضور وتراجعت نفوس العساكر وطمعوا عند ذلك فى الانكليز وتجاسروا عليهم وكذلك اهل البلاد قويت هممهم وتاهبوا للبروز والمحاربة واشتروا الاسلحة ونادوا على بعضهم بالجهاد وكثر المتطوعون ونصبوا لهم بيارق واعلاما وجمعوا من بعضهم دراهم وصرفوا على من انضم اليهم من الفقراء وخرجوا فى مواكب وطبول وزمور فلما وصلوا الى متاريس الانكليز دهموهم من كل ناحية على غير قوانين حروبهم وترتيبهم وصدقوا فى الحملة عليهم والقوا انفسهم فى النيران ولم يبالوا برميهم وهجموا عليهم واختلطوا بهم وأدهشوهم بالتكبير والصياح حتى أبطلوا رميهم ونيرانهم فالقوا سلاحهم وطلبوا الامان فلم يلتفتوا لذلك وقبضوا عليهم وذبحوا الكثير منهم وحضروا بالاسرى والرؤس على الصور المذكورة وفر الباقون الى من بقى بالاسكندرية وليت العامة شكروا على ذلك او نسب اليهم فعل بل نسب كل ذلك للباشا وعساكره وجوزيت العامة بضد الجزاء بعد ذلك ولما اصعدوا الاسرى الى القلعة طلع اليهم قنصل

بهم وفرش لهم فرشات ورتب لهم تراتيب وصرف عليهم نفقات ولوازم واستمر يتعاهدهم فى غالب الايام والجراحية يترددون اليهم فى كل يوم لمداواتهم كما هى عادة الافرنج مع بعضهم اذا وقع فى ايديهم جرحى من المحاربين لهم فعلوا بهم ذلك واكرموا الاسرى واما من وقع منهم فى ايدى العسكر من المردان فانهم اختصوا بهم والبسوهم من ملابسهم وباعوهم فيما بينهم ومنهم من احتال على الخلاص من يد الفاسق بحيلة لطيفة فمن ذلك ان غلاما منهم قال للذى هو عنده ان لى بواصة عند قنصل الفرنساوية وهى مبلغ عشرون كيسا ففرح وقال له ارنيها فاخرج له ورقة بخطهم وهو لا يعرف ما فيها فاخذها منه طمعا فى احرازها لنفسه وذهب مسرعا الى القنصل واعطاها له فلما قرأها قال له لا اعطيك هذا المبلغ الا بيد الباشا ويعطينى بذلك رجعة بختمه لتخلص ذمتى فلما صار وابين يدى الباشا اخبره القنصل فامر باحضار الغلام فلما حضر سأله الباشا فقال اريد الخلاص منه واحتلت عليه بهذه الحيلة لاتوصل اليك فطيب الباشا خاطر العسكرى بدراهم وارسل الغلام الى اصحابه بالقلعة ولما انقضى امر الحرب من ناحية رشيد وانجلت الانكليز من

لملكوا ثم ان الفرنج دخلوا البلد من الباب ونهبوه وقتلوا من فيه من المسلمين وذلك فى جمادى الاولى واما باغيسيان فانه لما طلع عليه النهار رجع اليه عقله وكان كالولهان فرأى نفسه وقد قطع عدة فراسخ فقال لمن معه أين انا فقيل على أربعة فراسخ من انطاكية فندم كيف خلص سالما ولم يقاتل حتى يزيلهم عن البلد أو يقتل وجعل يتلهف ويسترجع على ترك اهله واولاده والمسلمين فاشتد ما لحقه سقط عن فرسه مغشيا عليه فلما سقط الى الارض أراد أصحابه ان يركبوه فلم يكن فيه مسكة قد قارب الموت فتركوه وساروا عنه واجتاز به انسان ارمنى كان يقطع الحطب وهو بآخر رمق فقتله واخذ راسه وحمله الى الفرنج بانطاكية وكان الفرنج قد كاتبوا صاحب حلب ودمشق بانا لا نقصد غير البلاد التى كانت بيد الروم لا نطلب سواها مكرا منهم وخديعة حتى لا يساعدوا صاحب انطاكية

(ذكر مسير المسلمين الى الفرنج وما كان منهم)

لما سمع قوام الدولة كربوقا بحال الفرنج وملكهم انطاكية جمع العساكر وسار الى الشام واقام بحمص ج دابق واجتمعت معه عساكر الشام تركها وعربها سوى من كان بحلب فاجتمع معه دقاق بن تتش وطغتكين اتابك وجناح الدولة صاحب حمص وارسلان تاش صاحب سنجار وسلمان بن أرتق وغيرهم من الامراء ممن ليس مثلهم فلما سمعت الفرنج عظمت المصيبة عليهم وخافوا مما هم فيه من الوهن وقلة الاقوات عندهم وسار المسلمون فنازلوهم على انطاكية وأساءوا كربوقا السيرة فيمن معه من المسلمين واغضب الامراء وتكبر عليهم ظنا منه انهم يقيمون معه على هذه الحال فاغضبهم ذلك واضمروا له فى انفسهم الغدر اذا كان قتال وعزموا على اسلامه عند المصدوقة واقام الفرنج بانطاكية بعد ان ملكوها اثنى عشر يوما ليس لهم مما يا كلونه وتقوت الاقوياء بدوابهم والضعفاء بالميتة وورق الشجر فلما رأوا ذلك أرسلوا الى كربوقا يطلبون منه الامان ليخرجوا من البلد فلم يعطهم ما طلبوا وقال لا تخرجوا الا بالسيف وكان معهم من الملوك بردويل وصنجيل وكندفرى والقمص صاحب الرها وبيمند صاحب انطاكية وهو المقدم عليهم وكان معهم راهب مطاع فيهم وكان داهية من الرجال فقال لهم ان المسيح عليه السلام كان له حربة مدفونة بالقسيان الذى بانطاكية وهو بناء عظيم فان وجدتموها فانكم تظفرون وان لم تجدوها فالهلاك متحقق وكان قد دفن قبل ذلك حربة فى مكان فيه وعفا اثرها وامرهم بالصوم والتوبة ففعلوا ذلك ثلاثة ايام فلما كان اليوم الرابع ادخلهم الموضع جميعهم ومعهم عامتهم والصناع منهم وحفروا فى جميع الاماكن فوجدوها كما ذكر فقال لهم ابشروا بالظفر فخرجوا فى اليوم الخامس من الباب متفرقين من خمسة وستة ونحو ذلك فقال المسلمون لكربوقا ينبغى أن نقف على الباب فنقتل كل من يخرج فان امرهم الآن وهم متفرقون سهل فقال لا تفعلوا أمهلوهم حتى يتكامل خروجهم فنقتلهم ولم يمكن من معاجلتهم فقتل قوم

من المسلمين جماعة من الخارجين فجاء اليهم هو بنفسه ومنعهم ومنهاهم فلما تكامل خروج الفرنج ولم يبق بانطاكية احد منهم ضربوا مصافا عظيما فولى المسلمون منهزمين لما عاملهم به كربوقا اولا من الاستهانة لهم والاعراض عنهم وثانيا من منعهم عن قتل الفرنج وتمت الهزيمة عليهم ولم يضرب أحد منهم بسيف ولا طعن برمح ولا رمى بسهم وآخر من انهزم سقمان بن ارتق وجناح الدولة لانهما كانا في الكمين وانهزم كربوقا معهم فلما راى الفرنج ذلك ظنوه مكيدة اذ لم يجر قتال ينهزم من مثله وخافوا ان يتبعوهم وثبت جماعة من المجاهدين وقاتلوا احسبة وطلبا للشهادة فقتل الفرنج منهم الوفا وغنموا ما في العسكر من الاقوات والاموال والاثاث والدواب والاسلحة فصلحت حالهم وعادت اليهم قوتهم

(ذكر ملك الفرنج معرة النعمان)

لما وصل الفرنج بالمسلمين ما فعلوا ساروا الى معرة النعمان فنازلوها وحصروها وقاتلهم أهلها قتالا شديدا واراى الفرنج منهم شدة ونكاية ولقوا منهم الجد في حربهم والاجتهاد في قتالهم فعملوا عند ذلك برجا من خشب يوازي سور المدينة ووقع القتال عليه فلم يضر المسلمين ذلك فلما كان الليل خاف قوم من المسلمين وتداخلهم الفشل والهلع وظنوا انهم اذا تحصنوا ببعض الدور الكبار امتنعوا بها فنزلوا من السور واخلوا الموضع الذي كانوا يحفظونه فرآهم طائفة أخرى ففعلوا كفعلهم فخلا مكانهم ايضا من السور ولم تزل تتبع طائفة منهم التي تليها في النزول حتى خلا السور فصعد الفرنج اليه على السلاليم فلما علوه تحير المسلمون ودخلوا دورهم فوضع الفرنج فيهم السيف ثلاثة أيام فقتلوا ما يزيد على مائة الف وسبوا السبي الكثير وملكوه واقاموا اربعين يوما وساروا الى عرقة فحصروها أربعة أشهر ونقبوا سورها عدة نقوب فلم يقدروا عليها وراسلهم منقذ صاحب شيزر فصالحهم عليها وساروا الى حمص وحصروها فصالحهم صاحبها جناح الدولة وخرجوا على طريق النواقير الى عكا فلم يقدروا عليها

(ذكر الحرب بين الملك سنجر ود ولتشاه)

كان دولتشاه من ابناء الملوك السلجوقية فاجتمع عليه جمع من عساكر بيغو أخي طغرلبك وكان بطخارستان فاخذوا والواليج وكمنج فسار اليهم السلطان سنجر وعساكره فوصل الى بلخ فدخلها في رجب من هذه السنة وخرج منها لقتال دولتشاه فلم يكن له من الجموع ما ثبت مقابل عسكر سنجر فقاتلوا شيئا من قتال وانهزموا واخذوا دولتشاه اسيرا واحضر عند سنجر فعفا عنه من القتل وحبسه ثم بعد ذلك كحله وسير سنجر جيشا الى مدينة ترمذ فملكوها وسلمها الى طغرل تكين

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة فتح تميم بن المعز بن باديس صاحب افريقية جزيرة جربة وجزيرة قرقنة ومدينة تونس وكان بافريقية غلاء شديد هلك فيه كثير من الناس وفيها ارسل

زاعمين انها صارت دار حرب بنزول الانكليز عليها وتملكها حتى ان بعض الظاهرين كلمهم في ذلك فرد عليه بذلك الجواب فارسلوا الى مصر بذلك وكتبوا في خصوص ذلك سؤالا وكتب عليه المفتون بالمنع وعدم الجواز وحتى باقي الترياق من العراق يموت الملسوع ومن يقرأ ومن يسمع وعلى انه لم يرجع طالب الفتوى بل أهملت عند المفتي وتركها المستفتي ثم احاطت العساكر ورؤساؤهم برشيد وضربوا على اهلها الضرائب وطلبوا منها الاموال والتكلف الشاقة واخذوا ما وجدوه بها من الارز للعليق فخرج كبيرها السيد حسن كريت الى حسن باشا وكتخدا بك وتكلم معهما وشفع عليهما وقال اما كفانا ما وقع لنا من الحروب وهدم الدور وكلف العسكر ومساعدتهم ومحاربتنا معهم ومعكم وما قاسيناه من التعب والسهر وانفاق المال ونجازي منكم بعدها بهذه الافاعيل فدعونا نخرج باولادنا وعيالنا ولا تاخذ معنا شيئا ونترك لكم البلدة افعلوا بها ما شئتم فلاطفوه في الجواب واظهروا له الاهتمام بالمناداة والمنع وكتب المذكور ايضا مكاتبات بمعنى ذلك وارسلها الى الباشا والسيد عمر بمصر فكتبوا فرمانا وارسلوه اليهم بالكف والمنع وهيهات ولما وصل من وصل بالقملي والاسرى

انعم الباشا على الواصلين منهم بالخلع والبقاشيش والبسهم شلنجات فضة على رؤسهم فازداد جبروتهم وتعديهم ولما رجع الانكليز الى ناحية الاسكندرية قطعوا السد فسالت المياه وغرقت الاراضي حول الاسكندرية (وفي يوم الاحد سابع عشره) وصل ياسين بك الى ناحية طرا وحضر ابوه الى مصر ودخل كثير من اتباعه الى المدينة وهم لابسون زي المماليك المصرية (وفيه) دفنوا رؤس القتلى من الانكليز وكانوا قطعوا آذانهم ودبغوها وملحوها ايرسلوها الى اسلامبول (وفيه) أرسل الباشا فسيالا كبيرا من الانكليز الى الاسكندرية بدلا عن ابن أخي عمر بك وقد كان المذكور سافر الى الاسكندرية قبل الحادثة ليذهب الى بلاده بما معه من الاموال فعوقه الانكليز فارسلوا هذا الفسيال ليرسلوا بدله ابن أخي عمر بك (وفي يوم الاثنين ثامن عشره) وصلت خيام ياسين بك وجملاته ونصبوا وطاقه جهة شبرا ومنية السيرج (وفي سادس عشرينه) وصل ياسين بك المذكور وصحبته سليمان أغا صالح وكيل دار السعادة سابقا وهو الذي كان باسلامبول وحضر بصحبته القبودان في الحادثة السابقة وتاخر عنه واستمر مع الالفي ثم مع أمرائه بعد موته وكان الباشا قد أرسل له يستدعيه بامان فاجاب الى الحضور بشرط أن يجري عليه الباشا مرتبه بالضربخانه وقدر

الخليفة رسولا الى السلطان بركيارق مستنفرا على الفرنج ومبالغا في تعظيم الامر وتداركه قبل ان يزداد قوة وفي هذه السنة في شعبان توفي ابو الحسن احمد بن عبد القادر ابن محمد بن يوسف ومولده سنة اثنتي عشرة واربعمائة وكان فاضلا في الحديث وفيها توفي ابو الفضل عبد الوهاب بن ابي محمد التميمي الحنبلي وكان فاضلا فصيحا وفيها في شوال توفي طراد بن محمد الزينبي وهو عالي الاسناد في الحديث وولي نقابة العباسيين من بعده ابنه شرف الدين علي بن طراد وفيها في ذي القعدة توفي ابو الفتح المظفر بن رئيس الرؤساء ابي القاسم بن المسلمة وكان بيته مجمع الفضلاء واهل الدين ومن جملة من كان عنده الى أن توفي الشيخ ابو اسحق الشيرازي وفيها توفي ابو الفرج سهل بن بشر ابن أحمد الاسفرايني وهو من أعيان المحدثين

(ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين واربعمائة)

(ذكر عصيان الامير أنز وقتله)

لما سار السلطان بركيارق الى خراسان ولى الامير أنز بلاد فارس جميعها وكانت قد تغلب عليها الشواتكارة على اختلاف بطونهم وقبائلهم واستعانوا بصاحب كرمان ايران شاه بن قاورت فاجتمعوا وصافوا الامير أنز وكسروه وعاد مفلولا الى اصبهان وأرسل الى السلطان يستاذنه في اللحاق به الى خراسان فامره بالمقام ببلد الجبل وولاه امارة العراق وكاتب العساكر المجاورة له بطاعته فاقام باصبهان وسار منها الى أقطاعه باذربيجان وعاد وقد انتشر أمر الباطنية باصبهان فندب نفسه لقتالهم وحصر قلعة على جبل أصبهان واتصل به مؤيد الملك بن نظام الملك وكان ببغداد فسار منها الى الحلة فاكرمه صدقة وسار من عنده الى الامير انز فلما اجتمع بالامير أنز خوفه هو وغيره من السلطان بركيارق وعظموا عليه الاجتماع به وحسنوا له البعد عنه وأشاروا عليه بمكاتبة غياث الدين محمد بن ملكشاه وهو اذ ذاك بكنجة فعزم على مخالفة السلطان وتحدث فيه فظهر ذلك فزاد خوفه من السلطان فجمع من العساكر المعروفين بالشجاعة نحو عشرة آلاف فارس وسار من اصبهان الى الري وأرسل الى السلطان يقول انه مملوك ومطيع ان سلم اليه مجد الملك البلاساني وان لم يسلمه فهو عاص خارج عن الطاعة فبينما هو يفطر وكانت عادته يصوم أياما من الاسبوع فلما قارب الفراغ من الافطار هجم عليه ثلاثة نفر من الاتراك المولدين بخوارزم وهم من جملة خيله فصدم أحدهم المشعل فالقاه وصدم الآخر الشمعة فاطفاها وضربه الثالث بالسكين فقتله وقتل معه جاندار واختلط الناس في الظلمة وتبعوا خزائنه وتفرق عسكره وبقي ملقى فلم يوجد ما يحمل عليه ثم حمل الى داره باصبهان ودفن بها ووصل خبر قتله السلطان بركيارق وهو بخوار الري قد خرج من خراسان عازما على قتاله وهو على غاية الحذر من قتاله وعاقبة أمره وفرح مجد الملك البلاساني بقتله وكان له مثل يومه عن قريب وكان عمر أنز سبعا وثلاثين سنة وكان كثير الصوم والصلاة والخير والمحبة للصالحين

(ذكر

ولعب مع اجنادهما بوسط البركة بالرماح وظهر من حسن رماحة سليمان اغا ما اعجب الباشا ومن حوله من الاتراك بل اصابوه باعينهم لانه بعد انقضاء ذلك سار مع ياسين بك الى ناحية بولاق يتراهنون ويتلاعبون فاخرج طبنجته بيده اليمنى والرمح فى يده اليسرى وكان زنادها مرفوعا فانطلقت رصاصتها وخرقت كفه اليسار القابض به على سرع الجواد ونفذت من الجهة الاخرى فرجع الى داره بجراحته واذن له برد جلته وذهب ياسين بك الى بولاق فبات بها فى دار حسن الطويل بساحل النيل (وفيه) سافر المتسفر باذان قتلى الانكليز وقد وضعوها فى صندوق وسافر بها على طريق الشام وصحبته ايضا شخصان من اسرى فسيالات الانكليز وكتبوا عرضا بصورة الحال من انشاء السيد اسمعيل الخشاب وبالغوا فيه (وفيه) حضر اسمعيل كاشف الطوبجى من ناحية بحرى ليقضى بعض الاغراض ثم يعود (وفى يوم الخميس ثامن عشرينه) سافر عمر بك تابع عثمان بك الاشقر وعلى كاشف بن احمد كتخدا الى ناحية القليوبية لاجل القبض على ايوب فوده بسبب رجل يسمى زغلول ينسب اليه بانه يقطع الطريق على المسافرين فى البحر وكلما مرت بناحية مركب حاربها

(ذكر ملك الفرنج لعنهم الله البيت المقدس)

كان البيت المقدس لتاج الدولة تتش واقطعه للامير سقمان بن ارتق التركمانى فلما ظفر الفرنج بالاتراك على انطاكية وقتلوا فيهم ضعفوا وتفرقوا فلما رأى المصريون ضعف الاتراك ساروا اليه ومقدمهم الافضل بن بدر الجمالى وحصروه وبه الامير سقمان وايلغازى ابنا ارتق وابن عمهما سونج وابن أخيهما ياقوتى ونصب عليه نيفا واربعين منجنيقا فهدموا مواضع من سوره وقاتلهم أهل البلد قدام القتال والحصار نيفا وأربعين يوما وملكوه بالامان فى شعبان سنة تسع وثمانين وأربعمائة وأحسن الافضل الى سقمان وايلغازى ومن معهما واجزل لهم العطاء وسيرهم فساروا الى دمشق ثم عبروا الفرات فاقام سقمان ببلد الرها وسار ايلغازى الى العراق واستناب المصريون فيه رجلا يعرف بافتخار الدولة وبقى فيه الى الآن فقصده الفرنج بعد ان حصروا عكا فلم يقدروا عليها فلما وصلوا اليه حصروه نيفا واربعين يوما ونصبوا عليه برجين أحدهما من ناحية صهيون واحرقه المسلمون وقتلوا كل من به فلما فرغوا من احراقه أتاهم المستغيث بان المدينة قد ملكت من الجانب الآخر وملكوها من جهة الشمال منه ضحوة نهار يوم الجمعة اسبع بقين من شعبان وركب الناس السيف ولبث الفرنج فى البلدة اسبوعا يقتلون فيه المسلمين واحتمى جماعة من المسلمين بمحراب داود فاعتصموا به وقاتلوا فيه ثلاثة أيام فبذل لهم الفرنج الامان فسلموه اليهم ووفى لهم الفرنج وخرجوا ليلا الى عسقلان فاقاموا بها وقتل الفرنج بالمسجد الاقصى ما يزيد على سبعين الفا منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزهادهم ممن فارق الاوطان وجاور بذلك الموضع الشريف واخذوا من عند الصخرة نيفا واربعين قنديلا من الفضة وزن كل قنديل ثلاثة آلاف وستمائة درهم وأخذوا تنورا من فضة وزنه أربعون رطلا بالشامى واخذوا من القناديل الصغار مائة وخمسين قنديلا نقرة ومن الذهب نيفا وعشرين قنديلا وغنموا منه ما لا يقع عليه الاحصاء وورد المستنفرون من الشام فى رمضان الى بغداد صحبة القاضى أبى سعد الهروى فاوردوا فى الديوان كلاما أبكى العيون واوجع القلوب وقاموا بالجامع يوم الجمعة فاستغاثوا وبكوا وأبكوا واذكروا ما دهم المسلمين بذلك الشريف المعظم من قتل الرجال وسبى الحريم والاولاد ونهب الاموال فلشدة ما اصابهم افطروا فامر الخليفة ان يسير القاضى أبو محمد الدامغانى وأبو بكر الشاشى وأبو القاسم الزنجانى وأبو الوفا بن عقيل وأبو سعد الحلوانى وأبو الحسين بن سماك فساروا الى حلوان فبلغهم قتل محمد الملك البلاسانى على ما ذكره فعادوا من غير بلوغ ارب ولا قضاء حاجة واختلف السلاطين على ما ذكره فتمكن الفرنج من البلاد فقال أبو المظفر الابيوردى فى هذا المعنى أبياتا منها

مزجنا دماء بالدموع السواجم * فلم يبق منا عرضة للمراحم
وشر سلاح المرء دمع يفيضه * اذا الحرب شبت نارها بالصوارم
فيا بنى الاسلام اورا ءكم * وقائع يلحقن الذرى بالمناسم

وذهب ما فيها من بضائع التجار واموالهم أو انهم يفتدون انفسهم منه بما يرضيه من المال فكثر تشكى الناس منه فيرسلون الى ايوب فوده كبير الناحية فيتبرأ منه فلما زاد الحال عينوا من ذكر للقبض عليه وقتله فبلغه الخبر فهرب من بلده ابناس فلما وصلوا الى محله فلم يجدوه فاحاطوا بموجوداته وغلاله وبهائمه وماله من المواشي والودائع بالبلاد فلما جرى ذلك حضر الى السيد عمر وصالح على نفسه بثلثمائة كيس ورجع الحال الى حاله وذلك خلاف ما أخذه المعينون من الكلف والمغارم من البلاد التي مر واعليها واقاموا فيها واحتجوا عليها (وفيه) حضر الكثير من اهل رشيد بحريمهم واولادهم ورحلوا عنها الى مصر (وفيه) حضر كتخدا القاضي من عند الامراء القبالي واخبرانهم محتاجون الى مراكب لحمل الغلال الميرية والذخيرة فهيا الباشا عدة مراكب وارسلها اليهم ومع هذه الصورة واظهار المصالحة والمسالمة يمنعون ويحجزون من يذهب اليهم من دورهم بثياب ومتاع وكذلك يمنعون المتسببين والباعة الذين يذهبون بالمتاجر والامتعة التي يبيعونها عليهم واذا وقعوا بشخص اوغمزوا عليه عند الحاكم اوصادفه بعض العيون المترقبة عليه قبضوا عليه ونهبوا امامعه وعاقبوه وحبسوه بل ونهبوا داره وغرموه ولا

اتهو يمة في ظل امن وغبطة * وعيش كنوار الخميلة ناعم
وكيف تنام العين ملء جفونها * على هفوات ايقظت كل نائم
واخوانكم بالشام يضحى مقيلهم * ظهور المذاكي أو بطون القشاعم
تسومهم الروم الهوان وانتم * تجرون ذيل الخفض فعل المسالم
وكم من دماء قد ابيحت ومن دمى * توارى حياء حسنها بالمعاصم
بحيث السيوف البيض محمرة الظبا * وسمر العوالي داميات اللهاذم
وبين اختلاس الطعن والضرب وقفة * تظل لها الولدان شيب القوادم
وتلك حروب من يغب عن غمارها * ليسلم يقرع بعدها سن نادم
سلان بايدي المشركين قواضبا * ستغمد منهم في الظبى والجماجم
يكاد لهن المستجن بطيبة * ينادي باعلى الصوت يا آل هاشم
أرى أمتي لا يشرعون الى العدا * رماحهم والدين واهي الدعائم
ويجتنبون النار خوفا من الردى * ولا يحسبون العار ضربة لازم
أترضى صناديد الاعاريب بالاذى * ويغضى على ذل كماة الاعاجم

ومنها

فليتهم اذ لم يذودوا حمية * عن الدين ضنوا غيرة بالمحارم
وان زهدوا في الاجر اذ حس الوغى * فهلا أتوه رغبة في الغنائم
لئن اذعنت تلك الخياشيم للبرى * فلا عطسوا الا بجدع راغم
دعونا كم والحرب ترنو بلحظة * الينا بالحاظ النسور القشاعم
تراقب فينا غارة عربية * تطيل عليها الروم عض الابا هم
فان أنتم لم تغضبوا بعد هذه * رمينا الى أعدائنا بالجرائم

(ذكر الحرب بين المصريين والفرنج)

في هذه السنة في رمضان كانت وقعة بين العساكر المصرية والفرنج وسببها ان المصريين لما بلغهم ماتم على أهل القدس جمع الافضل أمير الجيوش العساكر وحشد وسار الى عسقلان وأرسل الى الفرنج ينكر عليهم ما فعلوا ويتهددهم فاعادوا الرسول بالجواب ورحلوا على اثره وطلعوا على المصريين عقيب وصول الرسول ولم يكن عند المصريين خبر من وصولهم ولا من حركتهم ولم يكونوا على أهبة القتال فنادوا الى ركوب خيولهم ولبسوا أسلحتهم وأعجلهم الفرنج فهزموهم وقتلوا منهم من قتل وغنموا ما في العسكر من مال وسلاح وغير ذلك وانهزم الافضل فدخل عسقلان ومضى جماعة من المنهزمين فاستتروا بشجر الجميز وكان هناك كثيرا فاحرق الفرنج بعض الشجر حتى هلك من فيه وقتلوا من خرج منه وعاد الافضل في خواصه الى مصر ونازل الفرنج عسقلان وضايقوها فبذل لهم أهلها قطيعة اثني عشر ألف دينار وقيل عشرين ألف

دينار

دينارا ثم عادوا الى القدس

(ذكر ابتداء ظهور السلطان محمد بن ملكشاه)

كان السلطان محمد وسنجر أخوين لام واب أمهما أم ولد ولما مات أبوه ملكشاه كان محمد معه ببغداد فسار مع أخيه محمود وترك خاتون زوجة والده الى أصبهان ولما حصر بركيارق أصبهان خرج محمد مختفيا ومضى الى والدته وهي في عسكر أخيه بركيارق وقصد أخاه السلطان بركيارق وسار معه الى بغداد سنة ست وثمانين وأربعمائة وأقطعه بركيارق كنجة وأعمالها وجعل معه أتابكا له الامير قتلغ تكين فلما قوى محمد قتله واستولى على جميع أعمال اران الذي من جملته كنجة فعرف ذلك الوقت شهامة محمد وكان السلطان ملكشاه قد أخذ تلك البلاد من فضلون بن أبي الاسوار الروادي وسلمها الى سرهنك ساوتكين الخادم واقطع فضلون استراباذ وعاد فضلون ضمن بلاده ثم عصى فيها لما قوى فارسل السلطان اليه الامير بوزان فحاربه واسره واقطع بلاده لجماعة منهم باغيسيان صاحب انطاكية ولما مات باغيسيان عاد ولده الى ولاية أبيه في هذه البلاد وتوفي فضلون ببغداد سنة أربع وثمانين وهو على غاية من الاضاقة في مسجد على دجلة وقد ذكرنا فيما تقدم تنقل الاحوال بمؤيد الملك عبيد الله بن نظام الملك وانه كان عند الامير انز فحسن له عصيان السلطان بركيارق فلما قتل أنز سار الى الملك محمد فاشار عليه بمخالفة أخيه والسعي في طلب السلطنة ففعل ذلك وقطع خطبة بركيارق من بلاده وخطب لنفسه بالسلطنة واستوزر مؤيد الملك واتفق قتل مجد الملك البلاساني واستيحاش العسكر من السلطان بركيارق وفارقوه وساروا نحو السلطان محمد فلقوه بخرقان فصاروا معه وساروا نحو الري وكان السلطان بركيارق لما فارقه عسكره سار مجدا الى الري فاتاه بها الامير ينال بن أنوشتكين الحسامي وهو من أكابر الامراء ووصل اليه أيضا عز الملك منصور بن نظام الملك وأمه ابنة ملك الابخاز ومعه عسكر جة فبلغه مسير أخيه محمد اليه في العساكر فسار من الري الى اصبهان فلم يفتح أهلها له الابواب فسار الى خوزستان على ما ذكره وورد السلطان محمد الى الري ثاني ذي القعدة فوجد زبيدة خاتون والدة أخيه السلطان بركيارق قد تخلفت بعد ابنها فاخذها مؤيد الملك وسجنها في القلعة واخذ خطها بخمسة آلاف دينار وارادقتلها واشار عليه ثقاته ان لا يفعل ذلك فلم يقبل منهم وقالوا له العسكر محبون لولدها وانما استوحشوا منه لاجلها ومتى قتلت عدلوا اليه فلا تغتر بهؤلاء الجند فانهم غدروا بمن احسن اليهم أوثق ما كان بهم فلم يصغ الى قولهم ورفعها الى القلعة وخنقت وكان عمرها اثنتين واربعين سنة فلما أسر السلطان بركيارق مؤيد الملك رأى خطه في تذكرته بخمسة آلاف دينار فكان اعظم الاسباب في قتله

(ذكر الخطبة ببغداد للملك محمد)

لما قوى أمر السلطان محمد سار اليه سعد الدولة كوهرائين من بغداد وكان قد استوحش

وصل مكتوب من كبير الانكليز الذي بالاسكندرية مضمونه طلب اسماء الاسرى من الانكليز والوصية بهم

على القلعات الذين يسمونهم الضوابط المتقيدين بابواب المدينة مثل باب النصر وباب الفتوح والبرقية والباب الحديد بمنع النساء عن الخروج خوفا من خروج النساء القبالى وذهابهن الى ازواجهن واتفق انهم قبضوا على شخص في هذه الايام يريد السفر الى ناحية قبلي ومعه تليس ففتحوه فوجدوا بداخله مراكيب ونعالات مصرية ومغربية التي تسمى بالبلغ فقبضوا عليه واتهموه انه يريد الذهاب بذلك الى الامراء واتباعهم فنهبوا منه ذلك وغيره وقبضوا عليه وحبسوه واستمر محبوسا وكذلك اتفق ان الوالي ذهب الى جهة القرافة وقبض على اشخاص من التربية الذين يدفنون الموتى واتهمهم بان بعض اتباع الامراء القبالى يخرجون اليهم بالامتعة لاسيادهم ويخفونها عندهم بداخل القبور حتى يرسلوها الى اسيادهم في الغفلات وضربهم وهجم على دورهم فلم يجد بها شيئا واجتمع عليه خدام الاضرحة واهل القرافة وشنعوا عليه وكادوا يقتلونه فهرب منهم وحضروا في صبحها عند السيد عمر والمشايخ يشكون من الوالي وما فعله مع الحفارين ونحو ذلك فاعجب لهذا التناقض (وفيه)

واكرامهم كما هم يفعلون بالاسرى من العسكر ١٢٠ فانهم لما دخلوا الى الاسكندرية اكرموا من كان بها منهم واذنوا لهم بالسفر بمتاعهم واحوالهم الى حيث شاؤا وكذلك من اخذوه أسيرا في حرابة رشيد

(واستهل شهر ربيع الاول بيوم السبت سنة ١٢٢٢) فيه كتبوا الكبير الانكليز جوابا عن رسالته (وفي يوم السبت خامس عشره) حضر على كاشف الكبير الالفي بكلام من طرف شاهين بك الالفي يعتذر عن التاخير الى هذا الوقت وانهم على صلحهم واتفاقهم الاول وحضورهم الى ناحية الجيزة وبات تلك الليلة في بيته بمصر ثم أقام ثلاثة أيام ورجع الى مرسله وصحبته سليمان أغا الوكيل (وفيه) حضر عابدين بك أخو حسن باشا من ناحية بحري وحضر أيضا في اثره أحمد أغا لاظ وغيره من ناحية بحري وذلك أنهم ذهبوا خلف الانكليز الى قرب معدية البحيرة فخرج عليهم طائفة الانكليز من البر والبحر وضربوا عليهم مدافع ونيرانا كثيرة فولوا راجعين وحضروا الى مصر (وفيه) حضر ايضا الفسيال الكبير الانكليزي الذي كان أرسل بدلا عن ابن أخي عمر بك وقيل انه ابن أخي صالح قوش فلما وصل اليهم اجابوا بان المذكور سافر مع من سافر الى الروم

من السلطان بركيارق فاجتمع هو وكربوقا صاحب الموصل وجكرمش صاحب الجزيرة وسرخاب بن بدر صاحب كنكور وغيرها فساروا الى السلطان محمد فلقوه بقم فرد سعد الدولة الى بغداد وخلع عليه وسار كربوقا وجكرمش في خدمته الى اصبهان ولما وصل كوهرائين الى بغداد خاطب الخليفة في الخطبة للسلطان محمد فاجاب الى ذلك وخطب له يوم الجمعة سابع عشر ذي الحجة ولقب غياث الدنيا والدين

(ذكر قتل مجد الملك البلاساني)

قد ذكرنا تحكم مجد الملك ابي الفضل اسعد بن محمد في دولة السلطان بركيارق وتمكنه منها فلما بلغ الغاية التي لا مزيد عليها جاءته نكبات الدنيا ومصائبها من حيث لا يحتسب واما سبب قتله فان الباطنية لما توالى منهم قتل الامراء الاكابر من الدولة السلطانية نسبوا ذلك اليه وانه هو الذي وضعهم على قتل من قتلوه وعظم ذلك قتل الامير برسق فانهم أولاده زنكي واقبوري وغيرهما مجد الملك بقتله وفارقوا السلطان وساروا السلطان الى زنجان لانه بلغه خروج السلطان محمد عليه على ما ذكرناه فطمع حينئذ الامراء فارسل امير آخور بلكابك وطغايرك بن ايزن وغيرهم الى الامراء بني برسق يستحضرونهم اليهم ليتفقوا معهم على مطالبة السلطان بتسليم مجد الملك اليهم ليقتلوه فحضروا عندهم فارسلوا الى السلطان بركيارق وهم بسجاس مدينة قريبة من همذان يلتمسون تسليمه اليهم ووافقهم على ذلك العسكر جميعه وقالوا ان سلم الينا فنحن العبيد الملازمون للخدمة وان منعنا فارقنا وأخذناه قهرا فمنع السلطان منه فارسل مجد الملك الى السلطان يقول له المصلحة ان تحفظ أمراء دولتك وتقتلني انت لئلا يقتلني القوم فيكون فيه وهن على دولتك فلم تطب نفس السلطان بقتله وارسل اليهم يستحلفهم على حفظ نفسه وحبسه في بعض القلاع فلما حلفوا سلمه اليهم فقتلوه الغلمان قبل ان يصل اليهم فسكنت الفتنة ومن العجب انه كان لا يفارقه كفنه سفرا وحضرا وفي بعض الايام فتح خازنه صندوقا فرأى الكفن فقال وما اصنع بهذا ان امري لا يؤول الى كفن والله ما ابقى الاطر يحا على الارض فكان كذلك ورب كلمة تقول لقائلها دعني ولما قتل حمل رأسه الى مؤيد الملك بن نظام الملك وكان مجد الملك خيرا كثير الصلاة بالليل كثير الصدقة لاسيما على العلويين وارباب البيوتات وكان يكرم سفك الدماء وكان يتشيع الا انه كان يذكر الصحابة ذكرا حسنا ويلعن من يسبهم ولما قتل ارسل الامراء يقولون للسلطان المصلحة ان تعود الى الري ونحن نمضي الى اخيك فنقاتله ونقضي هذا المهم فسار بعد امتناع وتبعه مائتا فارس لا غير ونهب العسكر سرادق السلطان ووالدته وجميع اصحابه وعاد الى الري وسار العسكر الى السلطان محمد

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في شعبان وصل الكيا أبو الحسن علي بن محمد الطبري المعروف بالهراس الفقيه الشافعي ولقبه عماد الدين شمس الاسلام برسالة من السلطان بركيارق الى

الخليفة وحيث لم يكن المطلوب موجودا فلا وجه لابقاء الانكليزي المذكور فردوه

الخليفة وهو من اصحاب امام الحرمين ابى المعالى الجوينى ومولده سنة خمسين واربعمائة واعتنى بامره مجد الملك البلاسانى وقام له الوزير عميد الدولة بن جهير لما دخل عليه وفيها قتل أبو القاسم بن امام الحرمين ابى المعالى الجوينى بنيسابور وكان خطيبها واتهم العامة أبا البركات الثعلبى بانه هو الذى سعى فى قتله فوثبوا به فقتلوه واكلوا لحمه وفيها كان بخراسان غلاء شديد تعذرت فيه الاقوات ودام سنتين وكان سببه ان البرد اهلك الزروع جميعها ولحق الناس بعده وباء حارف فمات منهم خلق كثير عجزوا عن دفنهم لكثرتهم وفيها فى شعبان توفى ابو الغنائم الفارقى الفقيه الشافعى بجزيرة ابن عمر وكان اماما فاضلا زاهدا وفيها فى صفر توفى ابو عبد الله الحسين بن طلحة النعالى وعمره نحو تسعين سنة وكان عالى الاسناد فى الحديث وقيل توفى سنة ثلاث وتسعين وفيها فى شعبان توفى ابو غالب محمد بن على بن عبد الواحد بن الصباغ الفقيه الشافعى تفقه على ابن عمه ابى نصر وكان حسن الخلق متواضعا

(ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين واربعمائة)

*(ذكر اعادة خطبة السلطان بركيارق ببغداد)

فى هذه السنة اعيدت الخطبة للسلطان بركيارق ببغداد وسبب ذلك ان بركيارق سار فى العام الماضى من الرى الى خوزستان فدخلها وجميع من معه على حال سيئة وكان امير عسكره حينئذ ينال بن انوشتكين الحسامى واتاه غيره من الامراء وسار الى واسط فظلم عسكره الناس ونهبوا البلاد واتصل به الامير صدقة بن مزيد صاحب الحلة ووثب على السلطان قوم ليقتلوه فاخذوا واحضروا بين يديه فاعترفوا ان الامير سرمز شحنة اصبهان وضعهم على قتله فقتل احدهم وحبس الباقون وسار الى بغداد فدخلها سابع عشر صفر وخطب له ببغداد يوم الجمعة منتصف صفر قبل وصوله بيومين وكان سعد الدولة كوهرائين بالشفيعى وهو فى طاعة السلطان محمد فسار الى داى مرج ومعه ايلغازى بن ارتق وغيره من الامراء فارسل الى مؤيد الملك والسلطان محمد يستحثهما على الوصول اليه فارسلا اليه كربوقا صاحب الموصل وجكرمش صاحب جزيرة ابن عمر فلما جكرمش فاستاذن كوهرائين فى العود الى بلده وقال انه قد اختلت الاحوال فاذن له وبقى مع كوهرائين جماعة من الامراء فاتفقوا على ان يصدروا عن رأى واحد ولا يختلفوا ثم اتفقت آراؤهم على ان كتبوا الى السلطان بركيارق يقولون له اخرج الينا فاننا فاقمنا من يقاتلك وكان الذى أشار بذلك كربوقا وقال لكوهرائين انا لم نظفر من محمد ومؤيد الملك بطائل وكان منحرفا عن مؤيد الملك فسار بركيارق اليهم فترجلوا وقبلوا الارض وعادوا معه الى بغداد واعاد الى كوهرائين جميع ما كان اخذ له من سلاح ودواب وغير ذلك واستوزر بركيارق ببغداد الامزا با المحاسن عبد الجليل بن على بن محمد الدهستانى وقبض على عميد الدولة بن جهير وزير الخليفة وطالبه بالحاصل من ديار بكر والموصل لما تولاها هو وابوه ايام ملكشاه فاستقر الامر على مائة الف دينار وستين الف دينار

الاذن أيضا فى الرجوع الى الاسكندرية أو الى بلاده متى أحب واختار (وفى منتصفه) استوحش الباشا من ياسين بك وضاق خناقه منه وذلك انه لما حضر الى مصر وخلع عليه الباشا ودفع اليه ما كان وعده به من الاكياس وقدم له تقادم واقعامات على انه يسافر الى الاسكندرية لمحاربة الانكليز وطلب مطالب كثيرة له ولاتباعه وأخذ لهم الكساوى والسراويلات وأخذ جميع ما كان عند جبجى باشا من الاقمشة والخيام والجبخانه والاحتياجات من القرب وروايا الماء ولوازم العسكر فى سفر البر والاقامة والمحاصرة الى غير ذلك وقلد أباه كشوفية الشرقية وخرج هو بعرضيه وخيامه الى ناحية الحلى ببولاق فانضم اليه الكثير من العسكر والدلاتية وغيرهم وصار كل من ذهب اليه يكتبه فى جملة عسكره فاجتمع عليه كل عاص وأزعر ومخالف وعاق وصرح بالخلاف وقطعت نفسه للرياسة وكلما أرسل اليه الباشا يرده وينهاه عن فعله يعرض عن ذلك وداخله الغرور وانتشرت اوباشه يعيثون فى النواحى ويبث اكابر جنده فى القرى والبلدان

١٦ يخ مل عا وعينهم بجمع الاموال والمغارم الخارجة عن المعقول ومن خالفهم نهبوا قريته وأحرقوها وأخذوا أهلها

يحملها اليه وخلع الخليفة على السلطان بركيارق

(ذكر الوقعة بين السلطانين بركيارق ومحمد واعادة خطبة محمد ببغداد)

فى هذه السنة سار بركيارق من بغداد الى شهرزور فاقام بها ثلاثة ايام والتحق به عالم كثير من التركمان وغيرهم فسار نحو اخيه السلطان محمد ليحاربه فكاتبه رئيس همذان ليسير اليه ويأخذ اقطاع الامراء الذين مع اخيه فلم يفعل وسار نحو أخيه فوقع الحرب بينهم رابع رجب وهو المصاف الاول بين بركيارق واخيه السلطان محمد باسبيذروز ومعناه النهر الابيض وهو على عدة فراسخ من همذان وكان مع محمد نحو عشرين الف مقاتل وكان محمد فى القلب ومعه الامير سرخاب على ميمنته أمير آخر وابنه ايازو على ميسرته مؤيد الملك والنظامية وكان السلطان بركيارق فى القلب ووزيره الاعز ابو المحاسن وعلى ميمنته كوهرائين وعز الدولة بن صدقة بن مزيد وسرخاب بن بدر وعلى ميسرته كربوقا وغيره فحمل كوهرائين من ميمنة بركيارق على ميسرة محمد وبها مؤيد الملك والنظامية فانهزموا ودخل عسكر بركيارق فى خيامهم فنهبوها وحملت ميمنة محمد على ميسرة بركياق فانهزمت الميسرة وانضافت ميمنة محمد اليه فى القلب على بركيارق ومن معه فانهزم بركيارق ووقف محمد مكانه وعاد كوهرائين من طلب المنهزمين الذين انهزموا بين يديه وكبا به فرسه فاتاه خراسانى فقتله واخذ رأسه وتفرقت عساكر بركيارق وبقى فى خمسين فارسا واما وزيره الاعز ابو المحاسن فانه اخذ اسيرا فاكرمه مؤيد الملك بن نظام الملك وفصد له خمسا وخرکاه وحمل اليه الفرش والكسوة وضمنه عمادة بغداد واعاده اليها وأمره بالمخاطبة فى اعادة الخطبة للسلطان محمد ببغداد فلما وصل اليها خاطب فى ذلك فاجيب اليه وخطب له يوم الجمعة رابع عشر رجب

(ذكر قتل سعد الدولة كوهرائين)

فى هذه السنة فى رجب قتل سعد الدولة كوهرائين فى الحرب المذكورة قبل وكان ابتداء امره انه كان خادما للملك أبى كاليجار بن سلطان الدولة بن بويه انتقل اليه من امرأة من قرقوب بخوزستان وكان اذا توجه الى الاهواز حضر عندها واستعرض حوائجها واصاب اهلها منه خيرا كثيرا فارسله أبو كاليجار مع ابنه أبى نصر الى بغداد فلما قبض عليه السلطان طغرلبك مضى معه الى قلعة طبرك فلما مات ابو نصر انتقل الى خدمة السلطان الب ارسلان ووقاه بنفسه لما جرحه يوسف الخوارزمى وكان ألب ارسلان قد اقطعه واسط وجعله شحنة لبغداد فلما قتل الب ارسلان أرسله ابنه ملكشاه الى بغداد فاحضر له الخلع والتقليد ورأى مالم يره خادم قبله من نفوذ الامر وتمام القدرة وطاعة أعيان الامراء وخدمتهم اياه وكان حليما كريما حسن السيرة لم يصادر أحدا من اهل ولايته ومناقبه كثيرة

(ذكر حال السلطان بركيارق بعد الهزيمة وانهزامه من أخيه سنجر أيضا وقتل أمير داذ حبشى)

الار بعاء تاسع عشره امر عساكر الارنؤد بالاجتماع والخروج الى ناحية بولاق فخرجوا باجمعهم الى نواحى السبتية والخندق وأحالوا بينه وبين بولاق ومصر (وفى ليلة السبت) ركب الباشا بجنوده وخرج الى تلك الناحية وحصن أبواب المدينة بالعساكر وايقن الناس بوقوع الحرب بين الفريقين وأرسل الباشا الى ياسين بك يقول له ان تستمر على الطاعة وتطرد عنك هذه اللموم وتكون من جملة كبار العسكر والا تذهب الى بلادك والا فانا واصل اليك ومحاربك فعند ذلك داخله الخوف وانحلت عزائم جيوشه وتفرق الكثير منهم فلما كان بعد الغروب طلب الركوب ولم يعلم عسكره أين يريد فركب الجميع وهم ثلاثة طوابير واشتبهت عليهم الطرق فى ظلام الليل فسار هو بفريق منهم الى ناحية الجبل على طريق حلق الجرة وفرقة سارت الى ناحية بركة الحاج والثالثة ذهبت على طريق القليوبية وفيهم ابوه فلما علم الباشا بركوبهم ركب خلفهم وذهب خلف الطائفة التى توجهت الى ناحية البركة حصة فلما علموا انفرادهم عن اميرهم رجعوا متفرقين فى النواحى ورجع الباشا الى داره ولم يزل ياسين بك فى سيره حتى نزل بمن معه فى القبين لما

فروة وأمره ان يلحق بابنه فنزل الى بولاق ونزل فى مركب مسافرا (وفى يوم الاثنين رابع عشرينه) عين الباشا عسكرا ورؤساء عساكر وخيالة واصحب معهم شديدا وجملة من مرب الحويطات للحوق بياسين بك ومحاربته ولما نزل ياسين بك بناحية التبين نهب قرى الناحية باسرها مثل التبين وحلوان وطرا والمعصرة والبساتين وفعلوا بها افاعيلهم الشنيعة من السلب والنهب وأخذ النساء ونهب الاجران والغلال والاتبان والمواشى واخذ الكلف الشاقة ومن عجز عن شئ من مطلوباتهم احرقوه بالنار (وفى يوم الخميس) رجع العسكر والعربان الذين كانوا ذهبوا لمحاربة ياسين بك وذلك انهم لما قربوا من وطاقهم ارتحل الى صول والبرنبل فولوا راجعين وتمموا فى ذهابهم وايابهم تدمير القرى (وفيه) ورد قاصد قابجى من اسلامبول وعلى يده مرسوم بالبشارة بولاية السيد على باشا قبودان الدونمه وتاريخه نحو ثلاثة أشهر فضربوا القدومه المدافع من القلعة (وفى يوم السبت تاسع عشرينه) رجع سليمان اغا من قبلى الى مصر واخبر بقرب قدوم الامراء المصريين وان شاهين بك وصل الى زاوية المحلوب وابراهيم بك جهة قن العروس وانهم يستدعون

لما انهزم السلطان بركيارق من أخيه السلطان محمد سار قليلا وهو فى خمسين فارسا ونزل عمقة واستراح وقصد الرى وارسل الى من كان يعلم انه يريده ويؤثر دولته فاستدعاه فاجتمع معه جمع صالح فسار الى اسفراين وكاتب أمير داذ حبشى بن التونتاق وهو بدامغان يستدعيه فاجابه يشير عليه بالمقام بنيسابور حتى ياتيه وكان بيده حينئذ أكثر خراسان وطبرستان وجرجان فلما وصل بركيارق الى نيسابور قبض على رؤسائها وخرج بهم واطلقهم بعد ذلك وتمسك بعميد خراسان أبى محمد والى القاسم بن أبى المعالى الجوينى فاما أبو القاسم فمات مسموما فى قبضه وقد تقدم انه قتل سنة اثنتين وتسعين وعاد بركيارق فاستدعى أمير داذ فاعتذر بقصد السلطان سنجر بلاده فى عساكر بلخ ويسأل السلطان بركيارق ان يصل اليه ليعينه على الملك سنجر فسار اليه فى ألف فارس فلم يعلم بقدومه الا الامراء الكبار من أصحاب سنجر ولم يعلم الاصاغر لئلا ينهزموا وكان مع الامير داذ عشرون ألف فارس فيهم من رجالة الباطنية خمسة آلاف ووقع المصاف بين بركيارق وأخيه سنجر خارج النوشجان وكان الامير برغش فى ميمنة سنجر والامير كند كز فى ميسرته والامير رستم فى القلب فحمل بركيارق على رستم فطعنه فقتله وانهزم اصحابه وأصحاب سنجر واشتغل العسكر بالنهب فحمل عليهم برغش وكند كز فقتلا المنهزمين وانهزم الرجالة الى مضيق بين جبلين فارسل عليهم الماء فاهلكهم ووقعت الهزيمة على اصحاب بركيارق وكان قد اخذ والدة اخيه سنجر لما انهزم اصحابه اولا فخافت ان يقتلها بامه فاحضرها وطيب قلبها وقال انما أخذتك حتى يطلق اخى سنجر من عنده من الاسرى ولست كفؤا لوالدتى حتى اقتلك فلما اطلق سنجر الاسرى اطلقها بركيارق وهرب امير داذ الى بعض القرى واخذه بعض التركمان فاعطاه فى نفسه مائة الف دينار فلم يطلقه وحمله الى برغش فقتله وسار بركيارق الى جرجان ثم الى دامغان وسار فى البرية ورؤى فى بعض المواضع ومعه سبعة عشر فارسا وجارية واحدة ثم كثر جمعه وصار معه ثلاثة آلاف فارس منهم جاولى سقاوه وغيره وسارا الى اصبهان بمكاتبة من اهلها فسمع السلطان محمد فسبقه اليها فعاد الى سميرم

(ذكر فتح تميم بن المعز مدينة سفاقس)

فى هذه السنة فتح تميم بن المعز مدينة سفاقس وكان صاحبها حمو قد عاد فتغلب عليها واستدامره بوزير كان عنده قد قصده وهو من كتاب المعز كان حسن الراى والتدبير فاستقامت به دولته وعظم شانه فارسل اليه تميم يطلبه ليستخدمه ووعده وبالغ فى استمالته فلم يقبل فسير تميم جيشا الى حصار سفاقس وامر الامير الذى جعله مقدم الجيش ان يهدم ما حول المدينة ويحرقه ويقطع الاشجار سوى ما يتعلق بذلك الوزير فانه لا يتعرض اليه ويبالغ فى صيانته ففعل ذلك فلما راى حمو ما فعل باملاك الناس ما عدا الوزير اتهمه فقتله فانحل نظام دولته وتسلم عسكر تميم المدينة وخرج حمو منها وقصد مكان بن كامل الدهمانى فاقام عنده فاحسن اليه ولم يزل عنده حتى مات

فيه سافر مصطفى أغا والصابونجى الى جهة قبلى وصحبتهما كتخدا القاضى (وفى سادسه) وصل شخص ططرى وعلى يده مرسوم فعمل الباشا ديوانا وقرأ المرسوم بحضرة الجمع مضمونه ان العرضى الهمايونى الموجه لحرب الموسكوب خرج من اسلامبول وذهب الى ناحية أدرنه وان العساكر سارت لمحاربة الاعداء ويذكرون فيه أن بشائر النصر حاصلة وقد وصل رؤس قتلى واسرى كثيرة وانه بلغ الدولة ورود نحو الاربع عشرة قطعة من المراكب الى ثغر الاسكندرية وان الكائنين بالثغر تراخوا فى حربهم حتى طلعوا الى الثغر فمن اللازم الاهتمام وخروج العساكر لمحاربتهم ودفعهم وطردهم عن الثغر وقد ارسلنا البيورلديات الى سليمان باشا والى صيدا والى يوسف باشا والى الشام بتوجيه العساكر الى مصر للمساعدة وان لزم الحال لحضور المذكورين لتمام المساعدة على دفع العدو الى آخر ما نقوه وسطروه ومحل القصد من ورود هذه البيورلديات والفرمانات والاغوات والقبيجيات انما هو جر المنفعة لهم بما يأخذونه من خدمهم وحق طريقهم من الدراهم والتقادم والهدايا فان القادم منهم اذا ورد استعد والقدومه فان كان وفيها

(ذكر عزل عميد الدولة من وزارة الخليفة ووفاته)

لما اطلق مؤيد الدولة وزير السلطان محمد الاعزا بالمحاسن وزير بركيارق وضمنه عمادة بغداد امره ان يخاطب الخليفة بعزل وزيره عميد الدولة بن جهير فسار من العسكر وسمع عميد الدولة الخبر فامر الاصبهبذ صباوة بن خمارتكين بالخروج الى طريق الاعزو قتله وكان الاصبهبذ قد حضر الحرب مع بركيارق ولما انهزم العسكر قصد بغداد فخرج الى طريق الاعزا بى المحاسن فلقيه قريبا من بعقوبا فاوقع بمن معه والتجا الاعز الى القرية واحتمى فلما رأى الاصبهبذ صباوة ذلك ارسل اليه يقول له انك وزير السلطان بركيارق وأنا مملوكه فان كنت على خدمته فاخرج الينا حتى نسير الى بغداد ونقيم الخطبة للسلطان وانت الصاحب الذى لا يخالف وان لم تجب الى هذا فبيننا غير السيف فاجابه الاعز الى ذلك واجتمعا فغدره صباوة الذى امره به عميد الدولة من قتله وباتا تلك الليلة وارسل الاعز الى الامير ايلغازى بن ارتق وكان قد ورد فى صحبته وفارقه نحو الزاذان فحضر فى الليل فانقطع حينئذ امل صباوة منه وفارقه وسار الاعز الى بغداد وخاطب فى عزل عميد الدولة فعزل فى رمضان واخذ من ماله خمسة وعشرون الف دينار وقبض عليه وعلى اخوته وبقى معز ولا الى سادس عشر شوال فتوفى محبوسا فى دار الخلافة ومولده فى المحرم سنة خمس وثلاثين واربعمائة وكان عاقلا كريما حليما الا انه كان عظيم الكبر يكاد يعد كلامه عدا وكان اذا كلم انسانا كلمات يسيرة هنئ ذلك الرجل بكلامه

(ذكر ظفر المسلمين بالفرنج)

فى ذى القعدة من هذه السنة لقى كشتكين بن الدانشمند طايلو وانما قيل له ابن الدانشمند لان اباه كان معلما للاتراك وتقلبت به الاحوال حتى ملك وهو صاحب ملطية وسيواس وغيرهما بيمندا الفرنجى وهو من مقدمى الفرنج قريب ملطية وكان صاحبها قد كاتبه واستقدمه اليه فورد عليه فى خمسة آلاف فلقيهم ابن الدانشمند فانهزم بيمند واسر ثم وصل من البحر سبعة قامصة من الفرنج واراد وا تخليص بيمند فاتوا الى قلعة تسمى انكورية فاخذوها وقتلوا من بها من المسلمين وساروا الى قلعة أخرى فيها اسمعيل بن الدانشمند وحصروها فجمع ابن الدانشمند جمعا كثيرا ولقى الفرنج وجعل له كمينا وقاتلهم وخرج الكمين عليهم فلم يفلت احد من الفرنج وكانوا ثلثمائة الف غير ثلاثة آلاف هربوا ليلا وافلتوا بحر وحين وسار ابن الدانشمند الى ملطية فملكها واسر صاحبها ثم خرج اليه عسكر الفرنج من انطاكية فلقيهم وكسرهم وكانت هذه الوقائع فى شهور قريبة

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة زاد امر العيارين بالجانب الغربى من بغداد فى شعبان وعظم ضررهم فامر الخليفة كمال الدولة يمن بتهذيب البلد فاخذ جماعة من اعيانهم وطلب الباقين فهربوا

وفيها أيضا انحلت الاسعار بالعراق وكان السكر الحطنة قد بلغ سبعين دينارا ورخص زاد كثيرا فى بعض الاوقات وانقطعت الامطار ويبست الانهار وكثر الموت حتى عجزوا عن دفن الموتى فحمل فى بعض الاوقات ستة اموات على نعش واحد وعدمت الادوية والعقاقير وفيها فى رجب سار يمند الفرنجى صاحب انطاكية الى قلعة قامية فحصرها وقاتل أهلها اياما وافسدزروعها ثم رحل عنها وفيها فى آخر رمضان قتل الامير بلكابك سرخ باصبهان بدار السلطان محمد وكان كثير الاحتياط من الباطنية لا يفارقه لبس الدرع ومن يمنع عنه ففى ذلك اليوم لم يلبس درعا ودخل دار السلطان فى قلة فقتله الباطنية فقتل واحد ونجا آخر وفيها توفى أبو الحسن البسطامى الصوفى ورباطه مشهور على دجلة غربى بغداد بناه أبو الغنائم بن المحلبان وفيها مات أبو نصر بن ابى عبد الله بن جردة واصله من عكبرا والبه ينسب مسجد ابن جردة وخرابة ابن جردة ببغداد وفيها توفى أبو على يحيى بن جزلة الطبيب وكان نصرانيا فاسلم وهو مصنف كتاب المنهاج وفيها فى شوال توفى عبد الرزاق الصوفى الغزنوى المقيم برباط عتاب وحج عدة حجات على التجريد ولم يخلف ما يكفن فيه فقالت زوجته اذا مت افتضحنا قال لم نفتضح قالت لانك ليس لك ما تكفن فيه فقال انما افتضح اذا خلفت ما اكفن فيه وفيها فى رمضان توفى عز الدولة أبو المكارم محمد بن سيف الدولة صدقة بن مزيد

(ثم دخلت سنة أربع وتسعين وار بعمائة)

(ذكر الحرب بين السلطان بركيارق ومحمد وقتل مؤيد الملك)

فى هذه السنة ثالث جمادى الآخرة كان المصاف الثانى بين السلطان بركيارق والسلطان محمد وقد ذكرنا سنة ثلاث وتسعين انهزام السلطان بركيارق من اخيه السلطان محمد وتنقله فى البلاد الى اصبهان وانه لم يدخلها وسار منها الى خوزستان واتى عسكر مكرم فاتاه الامير ان زنكى والبكى ابنا برسق وصارا معه واقام بهما شهرين وسار منها الى همذان فاتصل به الاميرايا ز وكان سبب ذلك ان اميرا آخر قدمات مذ قريب فاتهم ايازو يدا الملك بانه سقاه السم وقوى ذلك عنده ان وزير اميرا آخر هرب عقيب موته فازداد ظن ايا ز باتهامه فظفر بالوزير فقتله وكان ايا ز قد اتخذه أمير آخر ولدا واتصل به العسكر ووصى له بجميع ماله فحين استوحش لهذا السبب كاتب السلطان بركيارق واتصل به ومعه خمسة آلاف فارس وصار من جملة عسكره وسار السلطان محمد الى لقاء أخيه فلما تقارب العسكران استامن الامير سرخاب بن كيخسرو صاحب آوة الى السلطان بركيارق فاكرمه ووقع المصاف ثالث جمادى الآخرة وكان مع السلطان بركيارق خمسون الفا ومع أخيه السلطان محمد خمسة عشر الفا فالتقوا فاقتتلوا يومهم اجمع وكان النفر يستامنون من عسكر محمد الى بركيارق فيحسن اليهم ومن العجب الدال على الظفر ان رجالة بركيارق احتاجوا الى تراس فوصل اليه يوم المصاف بكرة اثنا عشر حملا سلاحا من همذان منها ثمانية أحمال تراس ففرقت فيهم

لتقرير المتولى على السنة الجديدة او بهجبته خلع رضا وهدايا فانه يقابل بالاعزاز الكبير ويشاع خبره قبل وروده الى الاسكندرية وتاتى المبشرون بوروده من الططر قبل خروجه من دار السلطنة بخوشهر اوشهرين ويا خذون خدمتهم وبشارتهم بالاكياس واذا وصل هو ادخلوه فى موكب جليل وعملوا له ديوانا ومدافع وشنكا وانزل فى المنزل المعد له واقبلت عليه التقادم والهدايا من المتولى واعيان دولته ورتب له الرواتب والمصاريف لما كله هو واتباعه لمطبخه وشراب حانته ايام مكثه شهرا اوشهورا ثم يعطى من الاكياس قدرا عظيما وذلك خلاف هدايا الترحيلة من قدور الشربات المتنوعة والسكر المكرر وانواع الطيب كالعود والعنبر والاقمشة الهندية والمقصبات لنفسه ورجال دولته وان كان دون ذلك انزلوه بمنزل بعض الاعيان باتباعه وخدمه ومتاعه فى اعز مجلس ويقوم رب المنزل بمصرفهم ولوازمهم وكافهم وما تستدعيه شهواتهم انفسهم ويرون ان لهم المنة عليه بنزولهم عنده ولا يرون له فضلا بل ذلك واجب عليه وفرض يلزمه القيام به مع التامر عليه وعلى اتباعه ويمكث على ذلك شهورا حتى ياخذ خدمته ويقبض الكياسه وبعد ذلك كله يلزم

العقل والنقل فى تصورها
(وفى يوم الاحد سابعه)
وصلت القافلة والحجاج من
ناحية القلزم على مرسى
السويس وحضر فيها اغوات
الحرم والقاضى الذى توجه
لقضاء المدينة وهو المعروف
بسعديك وكذلك خدام الحرم
المكى وقد طردهم الوهابى
جميعا واما القاضى المنفصل
فنزل فى مركب ولم يظهر خبره
وقاضى مكة توجه بصحبة
الشاميين واخبر الواصلون
انهم منعوا من زيارة المدينة
وان الوهابى اخذ كل ما كان
فى الحجرة النبوية من الذخائر
والجواهر وحضر ايضا الذى
كان اميرا على ركب الحاج
وصحبته مكاتبة من مسعود
الوهابى ومكتوب من شريف
مكة واخبروا انه امر بحرق
المحمل واضطربت أخبار
الاخبار بين عن الوهابى
بحسب الاغراض ومكاتبة
الوهابى بمعنى الكلام السابق
فى نحو الكراسة وذكر
فيها ما ينسبونه الناس اليه من
الاقوال المخالفة لقواعد الشرع
ويتبرأ عنها (وفيه ورد
الخبر) بان ابراهيم بك وصل
الى بنى سويف وان شاهين
بك ذهب الى الفيوم
لاختلاف وقع بينهم وان أمين
بك واحمد بك الالفيين ذهبا
الى ناحية الاسكندرية للانكياز (وفيه) كمل تحرير دفاتر الفرضة والمظالم التى ابتدعوها فى العام الماضى لما

فلما وصلت نزل السلطان بركيارق وصلى ركعتين شكر الله تعالى ولم يزل القتال بينهم
الى آخر النهار فانهزم السلطان محمد وعسكره وأسر مؤيد الملك أسره غلام لمحمد الملك
البلاسانى وأحضر عند السلطان بركيارق فسبه واوقفه على ما اعتمده معه من سب
والدته مرة ونسبته الى مذهب الباطنية اخرى ومن حمل اخيه محمد على عصيانه والخروج
عن طاعته الى غير ذلك ومؤيد الملك ساكت لا يعيد كلمة فقتله بركيارق بيده والقى
على الارض عدة ايام حتى سأل الامير ايازى فى دفنه فاذن فيه فحمل الى تربة ابيه باصبهان
فدفن معه وكان بخيلا سيئ السيرة مع الامراء الا انه كان كثير المكر والحيل فى اصلاح
امر الملك وكان عمره لما قتل نحو خمسين سنة وكان السلطان بركيارق قد استوزر فى صفر
الاعز ابا المحاسن عبد الجليل بن على الدهستانى فلما قتل مؤيد الملك أرسل الوزير
أبو المحاسن رسولا الى بغداد وهو وابو ابراهيم الاستراباذى لاخذ مال مؤيد الملك فنزل
ببغداد بدار مؤيد الملك وسلم اليه محمد الشرابى وهو وابن خالة مؤيد الملك فاخذت منه
الاموال والجواهر بعد مكروه اصابه وعذاب نالة واخذ له ذخائر من مواضع اخر ببلاد
العجم منها قطعة بلخش وزنها احد وار بعون مثقالا ولما فرغ السلطان بركيارق من
هذه الوقعة سار الى الرى فوصل اليه هناك قوام الدولة كربوقا صاحب الموصل ونور
الدولة دبيس بن صدقة بن مزيد

(ذكر حال السلطان محمد بعد الهزيمة واجتماعه باخيه الملك سنجر)

لما انهزم السلطان محمد سار طالبا خراسان الى اخيه سنجر وهما لا م واحدة فاقام
بجرجان وراسل اخاه يطلب منه مالا وكسوة وغير ذلك فسير اليه ما طلب وترددت
الرسل بينهما حتى تحالفا واتفقا ولم يكن بقى مع السلطان محمد غير امير ين فى نحو ثلثمائة
فارس فلما استقرت القواعد بينهما سارا الملك سنجر من خراسان فى عساكره نحو اخيه
السلطان محمد فاجتمعا بجرجان وسار منها الى دامغان فخربها العسكر الخراسانى ومضى
اهلها هاربين الى قلعة كردكوه وخرب العسكر ما قدر واعليه من البلاد وعم الغلاء
تلك الاصقاع حتى اكل الناس الميتة والكلاب واكل الناس بعضهم بعضا وساروا
الى الرى فلما وصلوا اليها انضم اليهم النظامية وغيرهم فكثر جمعهم وعظمت شوكتهم
وتمكنت من القلوب هيبتهم

(ذكر ما فعله السلطان بركيارق ودخوله بغداد)

لما كان السلطان بركيارق بالرى بعد انهزام اخيه محمد اجتمعت عليه العساكر
الكثيرة فصار معه نحو مائة الف فارس ثم انهم ضاقت عليهم الميرة فتفرقت العساكر
فعاد دبيس بن صدقة الى ابيه وخرج الملك ودود بن اسمعيل بن ياقوتى باذربيجان فسير
اليه قوام الدولة كربوقا فى عشرة آلاف فارس واستاذن الامير ايازى أن يقصد
داره بهمذان يصوم بها شهر رمضان ويعود بعد الفطر فاذن له وتفرقت العساكر لمثل
ذلك وبقى فى العدد القليل فلما بلغه ان أخويه قد جمعا الجموع وحشدا الجنود وانهما

لما بلغهما قلة من معه جدا في المسير اليه وطويا المنازل ليعاجلاه قبل ان يجمع جموعه وعساكره فلما قارباه سار من مكانه وقد طمع فيه من كان يهابه وايس منه من كان يرجوه فقصد نحو همذان ليجتمع هو واياز فبلغه ان اياز قد راسل السلطان محمدا ليكون معه ومن جملة أعوانه خوفا على ولايته وهي همذان وغيرها فلما سمع ذلك عاد عنها وقصد خوزستان فلما قرب من تستر كاتب الامراء بني برسق يستدعيهم اليه فلم يحضروا لما علموا ان اياز لم يحضر وللخوف من السلطان محمد فسار نحو العراق فلما بلغ حلوان اتاه رسول الامير اياز يسال التوقف ليصل اليه وسبب ذلك أن اياز راسل السلطان محمدا في الانضمام اليه والمصير في جملة عسكره فلم يقبله وسير العساكر الى همذان ففارقها منهزما ولحق بالسلطان بركيارق فاقام السلطان بركيارق بحلوان ووصل اليه اياز وساروا جميعهم الى بغداد واخذ عسكر محمد ما تخلف للامير اياز بهمذان من مال ودواب وبرك وغير ذلك فانه اعجل عنه وكان من جملته خمسمائة حصان عربية قيل كان يساوي كل حصان منها ما بين ثلثمائة دينار الى خمسمائة دينار ونهبوا داره وصادروا جماعة من اصحابه وصودر رئيس همذان بمائة الف دينار ولما وصل اياز الى بركيارق تكاملت عدتهم خمسة آلاف فارس وقد ذهبت خيامهم وثقلهم ووصل بركيارق الى بغداد سابع عشر ذي القعدة وأرسل الخليفة الى طريقه امين الدولة بن موصلايا يلتقيه في الموكب ولما كان عيد الاضحى أنفذ الخليفة منبرا الى دار السلطان وخطب عليه الشريف أبو الكرم وصلى صلاة العيد ولم يحضر بركيارق لانه كان مريضا وضاقت الاموال على بركيارق فلم يكن عنده ما يخرجه على نفسه وعلى عساكره فارسل الى الخليفة يشكو الضائقة وقلة المال ويطلب ان يعان بما يخرجه فتقرر الامر بعد المراجعات على خمسين ألف دينار حملها الخليفة اليه ومد بركيارق وأصحابه أيديهم الى أموال الناس فعم ضررهم وتمنى أهل البلاد زوالهم عنهم ودعتهم الضرورة الى ان ارتكبوا خطة شنعاء وذلك انه قدم عليهم أبو محمد عبيد الله بن منصور المعروف بابن صليحة قاضي جبلة من بلاد الشام وصاحبها منهزما من الفرنج على ما نذكره ومعه أموال جليلة المقدار فاخذوها منه

(ذكر خلاف صدقة بن مزيد على بركيارق)

في هذه السنة خرج الامير صدقة بن منصور بن دبيس بن مزيد صاحب الحلة عن طاعة السلطان بركيارق وقطع خطبته من بلاده وخطب فيها للسلطان محمد وسبب ذلك ان الوزير الاعز أبا المحاسن الدهستاني وزير السلطان بركيارق أرسل الى صدقة يقول له قد تخلف عندك لخزانة السلطان ألف ألف دينار وكذا وكذا دينار السنين كثيرة فان أرسلتها والا سيرنا العساكر الى بلادك وأخذناها منك فلما سمع هذه الرسالة قطع الخطبة وخطب لمحمد فلما وصل السلطان بركيارق الى بغداد على هذه الحال ارسل اليه مرة بعد مرة يدعوه الى الحضور عنده فلم يجب الى ذلك فارسل اليه الامير اياز يشير

على القراريط واقطاعات الاراضي وكذلك أخذ نصف فائظ الملتزمين ١٢٧ وعينوا المعينين لتحصيله من المزارعين وذلك خلاف ما فرضوه على البنادر من الاكياس الكثيرة المقادير (وفي ذلك اليوم) أرسل الاغا ووالي الشرطة اتباعهما لارباب الصنائع والحرف والبوابين بالوكائل والخانات يامرونهم بالحضور من الغد الى بيت القاضي فانزعجوا من ذلك ولم يعلموا لاي شئ هذا الطلب وهذه الجمعية وباتوا متفكرين ومتوهمين فلما اصبح يوم الاثنين واجتمع الناس ابرزوا لهم مرسوما قرئ عليهم بسبب زيادة صرف المعاملة وذلك ان الريال الفرانسه وصلت مصارفته الى مائتين وعشرة من الانصاف العددية والمحبوب الى مائتين وعشرين واكثر والمشخص البندقي وصل الى اربعمائة واربعين فضة ونحو ذلك فلما قرؤا عليهم المرسوم وامروهم بعدم الزيادة وان يكون صرف الفرانسه بمائتين فقط والمحبوب بمائتين وعشرين فضة والبندقي باربعمائة وعشرين فلما سمعوا ذلك قالوا نحن ليس لنا علاقة بذلك هذا امر منوط بالصيارف وانفض المجلس (وفيه) وصلت مكاتبة من ابراهيم بك ومن الرسل مضمونها الاخبار بقدومهم وأرسل ابراهيم بك يستدعي اليه ابنه الصغير وولد ابنته المسمى نور الدين ويطلب بعض لوازم وامتعة (وفي يوم السبت

(وفى يوم الاثنين) ورد سلحدار موسى باشا وعلى يده مرسوم بالعربى وآخر بالتركى مضمونهما جواب رسالة ارسلت الى سليمان باشا بعكا يخبر حادثة الانكليز وملخصها انه ورد علينا جواب من سليمان باشا يخبر فيه بوصول طائفة الانكليز الى ثغر سكندرية ودخولهم اليها بمخامرة أهلها ثم زحفهم الى رشيد وقد حاربتهم أهل البلاد والعساكر وقتلوا الكثير منهم وأسروا منهم كذلك ونوكد على محمد باشا والعلماء وأكابر مصر بالاستعداد والمحافظة وتحصين الثغور مثل السويس والقصير ومحاربة الكفار واخراجهم وابعادهم عن الثغر وقد وجهنا الكل من سليمان باشا وجنج يوسف باشا بتوجيه ما تريدون من العساكر للمساعدة ونحو ذلك (وفيه) احضروا أربعة رؤس من الانكليز وخمسة أشخاص أحياء فروا بهم من وسط المدينة ذكروا ان كاشف دمنهور حارب ناحية الاسكندرية فقتل منهم وأسر هؤلاء وقيل انهم كانوا يسيرون لبعض أشغالهم نواحى الريف فبلغ الكاشف خبرهم فاحاط بهم وفعل بهم ما فعل وارسلهم الى مصر وهم ليسوا من المعتبرين وكانهم مالطية وقيل انهم سألوهم فقالوا نحن متسببون طلعنا ناحية أبى قير وتهنا عن الطريق فصادفونا ونحن فقرر

عليه بقصد خدمة السلطان ويضمن له كل ما يريده فقال لا أحضر ولا أطيع السلطان الا اذا سلم وزيره أبا الحاسن الى وان لم يفعل فلا يتصور منى الحضور عنده أبدا ويكون فى ذلك ما يكون فان سلمه الى فانا العبد المخلص فى العبودية بالحسن والطاعة فلم يجب الى ذلك فتم على مقاطعته وارسل الى الكوفة وطرد عنها النائب بها عن السلطان واستضافها اليه

(ذكر وصول السلطان محمد الى بغداد ورحيل السلطان بركيارق عنها)

فى هذه السنة فى السابع والعشرين من ذى الحجة وصل السلطان محمد وسنجر الى بغداد وكان السلطان محمد لما استولى على همذان وغيرها سار الى بغداد فلما وصل الى حلوان سار اليه ايلغازى بن ارتق فى عساكره وخدمه واحسن فى الخدمة وكان عسكر محمد يزيد على عشرة آلاف فارس سوى الاتباع فلما وصلت الاخبار بذلك كان بركيارق على شدة من المرض يرجف عليه خواصه بكرة وعشيا فماج أصحابه وخافوا واضطربوا وحاروا وعبروا به فى محفة الى الجانب الغربى فنزلوا بالرملة ولم يبق فى بركيارق غير روح يتردد وتيقن اصحابه موته وتشاوروا فى كفنه وموضع دفنه فبينما هم كذلك اذ قال لهم انى اجد نعمى قد قويت وحركتى قد تزايدت فطابت نفوسهم وساروا وقد وصل العسكر الآخر فتراءى الجمعان بينهما دجلة وجرى بينهما مراماة وضباب وكان أكثر ما يسبهم عسكر محمد يا باطنية يعيرونهم بذلك ونهبوا البلاد فى طريقهم الى ان وصلوا الى واسط ووصل السلطان محمد الى بغداد فنزل بدار المملكة فبرز اليه توقيع الخليفة المستظهر بالله يتضمن الامتعاض من سوء سيرة بركيارق ومن معه والاستبشار بقدومه وخطاب له بالديوان ونزل الملك سنجر بدار كوهرائين وكان محمد قد استوزر بعد مؤيد الملك خطير الملك أبا منصور محمد بن الحسين وقدم اليه فى المحرم سنة خمس وتسعين الامير سيف الدولة صدقة وخرج الخلق كلهم الى لقائه

(ذكر حال قاضى جبلة)

هو أبو محمد عبيد الله بن منصور المعروف بابن صليحة وكان والده وثيبها ايام كان الروم بالكبز لها على المسلمين يقضى بينهم فلما ضعف أمر الروم وملكها المسلمون وصارت تحت حكم جلال الملك ابى الحسن على بن عمار صاحب طرابلس كان منصور على عادته فى الحكم فيها فلما توفى منصور قام ابنه أبو محمد مقامه واحب الجندية واختار الجند فظهرت شهامته فاراد ابن عمار ان يقبض عليه فاستشعر منه وعصى عليه واقام الخطبة العباسية فبذل ابن عمار لدقاق بن تتش مالا ليقصده ويحصره ففعل وحصره فلم يظفر منه بشئ واصيب صاحبه أتابك طغتكين بنشابة فى ركبته وبقى أثرها وبقى أبو محمد بها مطاعا الى ان جاء الفرنج لعنهم الله فحصروها فاظهر ان السلطان بركيارق قد توجه الى الشام وشاع هذا فرحل الفرنج فلما تحققوا اشتغال السلطان عنهم عادوا واحصاره فاظهر ان المصريين قد توجه والحربهم فرحلوا ثانيا ثم عادوا

فقرر مع النصارى الذين بها ان يراسلوا الفرنج ويواعدوهم الى برج من أبراج البلد ليسلموه اليهم ويملكوا البلد فلما اتتهم الرسالة جهزوا نحو ثلثمائة رجل من أعيانهم وشجعانهم فتقدموا الى ذلك البرج فلم يزالوا يرقون فى الحبال واحدا بعد واحد وكلما صار عند ابن صليحة وهو على السور رجل منهم قتله الى ان قتلهم أجمعين فلما أصبحوا رمى الرؤس اليهم فرحلوا عنه وحصروه مرة أخرى ونصبوا على البلد برج خشب وهدموا برجا من ابراجه وأصبحوا وقد بناه أبو محمد ثم نقب فى السور نقوبا وخرج من الباب وقاتلهم فانهزم منهم وتبعوه فخرج أصحابه من تلك النقوب فاتوا الفرنج من ظهورهم فولوا منهزمين وأسر مقدمهم المعروف بكند اصطيل فافتدى نفسه بمال جزيل ثم علم انهم لا يقعدون عن طلبه وليس له من يمنعهم عنه فارسل الى طغتكين أتابك يلتمس منه انفاذ من يثق به ليسلم اليه ثغر جبلة ويحميه ليصل هو الى دمشق بماله وأهله فاجابه الى ما التمس وسير اليه ولده تاج الملوك بورى فسلم اليه البلد ورحل الى دمشق وساله ان يسيره الى بغداد ففعل وسيره ومعه من يحميه الى ان وصل الى الانبار ولما صار بدمشق أرسل ابن عمار صاحب طرابلس الى الملك دقاق وقال سلم الى ابن صليحة عريانا وخذ منه اجمع وانا أعطيك ثلثمائة ألف دينار فلم يفعل فلما وصل الى الانبار أقام بها أياما ثم سار الى بغداد وبها السلطان بركيارق فلما وصل أحضره الوزير الاعز أبو المحاسن عنده وقال له السلطان محتاج والعساكر يطالبونه بما ليس عنده ونريد منك ثلاثين ألف دينار وتكون لك منة عظيمة تستحق بها المكافاة والشكر فقال السمع والطاعة ولم يطلب ان يحط شيئا وقال ان رحلى ومالى فى الانبار بالدار التى نزلتها فارسل الوزير اليها جماعة فوجدوا فيها مالا كثيرا واعلاقا نفيسة فمن جملة ذلك الف ومائة قطعة مصاغا عجيب الصنعة ومن الملابس والعمائم التى لا يوجد مثلها شئ كثير

* كان ينبغى ان نذكر هذه الحوادث التى بعد انهزام السلطان محمد الى ههنا بعد قتل الباطنية فانها كانت أواخر السنة وكان قتلهم فى شعبان وانما قدمناها لتتبع بعض الحادثة بعضا لا يفصل بينها شئ وأما تاج الملوك بورى فانه لما ملك جبلة وتمكن منها أساء السيرة هو وأصحابه مع أهلها وفعلوا بهم أفعالا أنكروها فراسلوا القاضى فخر الملك اباء لى عمار بن محمد بن عمار صاحب طرابلس وشكوا اليه ما يفعل بهم وطلبوا منه ان يرسل اليهم بعض أصحابه ليسلموا اليه البلد ففعل ذلك وسيرا اليهم عسكرا فدخلوا جبلة واجتمعوا باهلها وقاتلوا تاج الملوك ومن معه فانهزم الاتراك وملك عسكر ابن عمار جبلة واخذوا تاج الملوك اسيرا وحملوه الى طرابلس فاكرمه ابن عمار واحسن اليه وسيره الى أبيه بدمشق واعتذر اليه وعرفه صورة الحال وانه خاف أن يملك الفرنج جبلة

(ذكر قتل الباطنية)

فى هذه السنة فى شعبان أمر السلطان بركيارق بقتل الباطنية وهم الاسماعيلية وهم الذين كانوا قديما يسمون قراطة ونحن نبتدئ أولا أمرهم الآن ثم بسبب قتلهم فاول

صحبة انسان يسمى شريف أغا (وفى يوم الثلاثاء ثالث عشرينه) وردت اخبار من ناحية الشام بانه وقع باسلامبول فتنة بين الينكجرية والنظام الجديد وكانت الغلبة للينكجرية (وعزلوا) السلطان سليم وولوا السلطان مصطفى ابن عمه وهو ابن السلطان عبد المجيد بن أحمد وخطب له ببلاد الشام (وفى يوم الخميس) وصل ططرى من طريق البر بتحقق ذلك الخبر وخطب الخطباء للسلطان مصطفى على منابر مصر وبلاد مصر وبولاق وذلك يوم الجمعة سادس عشرينه (وفى اواخره) أحدثوا طلب مال الاطيان المسموح الذى لمشايخ البلاد وحرروا به دفترا وشرعوا فى تحصيله وهى حادثة لم يسبق مثلها اضرت بمشايخ البلاد وضيقت عليهم معايشهم ومضايفهم (وفيه) كتبوا أوراقا للبلاد والاقاليم بالبشارة بتولية السلطان الجديد وعينوا بها المعينين وعليها حق الطرق مبالغ لها صورة وكل ذلك من التحيل على سلب اموال الناس (وفيه) كتبوا مراسلة الى الامراء القبليين بالصلح وارسلوا بها ثلاثة من الفقهاء وهم الشيخ سليمان الفيومى والشيخ ابراهيم السجينى والسيد محمد الدواخلى وذلك انه لما رجع شريف اغا الذى كان توجه اليهم بمراسلتهم

الثلاثة المذكورين بدلا عنهم (وفى هذه الايام) كثر خروج العساكر والدلاة وهم يعدون الى البر الغربى وعدى الباشا بحر النيل الى برانبابة واقام هناك اياما

(واستهل شهر جمادى الاولى سنة ١٢٢٢)

فيه شرع الباشا فى تعمير القلاع التى كانت انشاتها الفرنساوية خارج بولاق وعمل متاريس بناحية منية عقبة وغيرها ووزع على الجيارة جيرا كثيرا ووسق عدة مراكب وارسلها الى ناحية رشيد ليعمروا هناك سورا على البلد وابراجا وجمعوا البنائين والفعلة والنجارين وانزلوهم فى المراكب قهرا (وفى منتصفه) وصل الى مصر نحو الخمسمائة من الدلاتية أتوا من ناحية الشام ودخلوا الى المدينة (وفيه) طلب الباشا من التجار نحو الالفى كيس على سبيل السلفة فوزعت على الاعيان وتجار البن واهل وكالة الصابون ووكالة التفاح ووكالة القرب وخلافها وحجزوا البضائع وأجلسوا العساكر على الحواصل والوكائل يمنعون من يخرج من حاصله او مخزنه شيئا الا بقصد الدفع من اصل المطلوب منهم ثم اردفوا ذلك بمطلوبات من افراد الناس المستورين فيكون الانسان جالسا فى بيته فما يشعر الا والمعينون واصلون اليه فيلقون

ما عرف من احوالهم أعنى هذه الدعوة الاخيرة التى اشتهرت بالباطنية والاسماعيلية فى أيام السلطان ملكشاه فانه اجتمع منهم ثمانية عشر رجلا فصلوا صلاة العيد فى ساوة فقبض بهم الشحنة فاخذهم وحبسهم ثم سئل فيهم فاطلقهم فهذا أول اجتماع كان لهم ثم انهم دعوا مؤذنا من أهل ساوة كان مقيما باصبهان فلم يجبهم الى دعوتهم فخافوه أن ينم عليهم فقتلوه فهو أول قتيل لهم وأول دم أراقوه فبلغ خبره الى نظام الملك فامر باخذ من يتهم بقتله فوقعت التهمة على نجار اسمه طاهر فقتل ومثل به وجروا برجله فى الاسواق فهو أول قتيل منهم وكان والده واعظا وقدم الى بغداد مع السلطان بركيارق سنة ست وثمانين فحظى منه ثم قصد البصرة فولى القضاء بها ثم توجه فى رسالة الى كرمان فقتله العامة فى الفتنة التى جرت وذكروا انه باطنى ثم ان الباطنية قتلوا نظام الملك وهى اول فتكة مشهورة كانت لهم وقالوا قتل نجارا فقتلناه به واول موضع غلبوا عليه وتحصنوا به بلد عند قاين كان مقدمه على مذهبهم فاجتمعوا عنده وقووا به فاجتازت بهم قافلة عظيمة من كرمان الى قاين فخرج عليهم ومعه أصحابه والباطنية فقتل أهل القفل اجمعين ولم ينج منهم غير رجل تركمانى فوصل الى قاين فاخبر بالقصة فتسارع أهلها مع القاضى الكرمانى الى جهادهم فلم يقدروا عليهم ثم قتل نظام الملك ومات السلطان ملكشاه فعظم أمرهم واشتدت شوكتهم وقويت اطماعهم وكان سبب قوتهم باصبهان ان السلطان بركيارق لما حصر أصبهان وبها أخوه محمود وأمه خاتون الجلالية وعاد عنهم ظهرت مقالة الباطنية بها وانتشرت وكانوا متفرقين فى الهال فاجتمعوا وصاروا يسرقون من قدروا عليه من مخالفيهم ويقتلونهم فعلوا هذا بخلق كثير وزاد الامر حتى ان الانسان كان اذا تاخر عن بيته عن الوقت المعتاد تيقنوا قتله وقعدوا للعزاء به فحذر الناس وصاروا لا ينفرد احد واخذوا فى بعض الايام مؤذنا أخذه جار له باطنى فقام أهله للنياحة عليه فاصعده الباطنية الى سطح داره وأروه اهله كيف يلطمون ويبكون وهو لا يقدر ان يتكلم خوفا منهم

(ذكر ما فعل بهم العامة باصبهان)

لما عمت هذه المصيبة الناس باصبهان اذن الله تعالى فى هتك استارهم والانتقام منهم فاتفق ان رجلا دخل دار صديق له فراى فيها ثيابا ومداسات وملابس لم يعهدها فخرج من عنده وتحدث بما كان فكشف الناس عنها فعلموا انه من المقتولين وثار الناس كافة يبحثون عمن قتل منهم ويستكشفون فظهروا على الدروب التى هم فيها وانهم كانوا اذا اجتاز بهم انسان أخذوه الى دار منها وقتلوه وألقوه فى بئر فى الدار قد صنعت لذلك وكان على باب درب منها رجل ضرير فاذا اجتاز به انسان يساله ان يقوده خطوات الى باب الدرب فيفعل ذلك فاذا دخل الدرب أخذ وقتل فتجرد للانتقام منهم أبو القاسم مسعود بن محمد الخجندى الفقيه الشافعى وجمع الجم الغفير بالاسلحة وأمر بحفر أخاديد واوقد فيها النيران وجعل العامة يأتون بالباطنية افواجا ومنفردين

فيلقون فى النار وجعلوا انسانا على اخاديد النيران وسدوها بالكافة فقتلوا منهم خلقا كثيرا

(ذكر قلاعهم التى استولوا عليها ببلاد العجم)

واستولوا على عدة حصون منها قلعة اصبهان وهذه القلعة لم تكن قديما وانما بناها السلطان ملكشاه وسبب بنائها انه كان قد اتاه رجل من مقدمى الروم فاسلم وصار معه فاتفق انه سار يوما الى الصيد فهرب منه كلب حسن الصيد وصعد هذا الجبل فتبعه السلطان والرومى معه فوجده موضع القلعة فقال له الرومى لو ان عندنا مثل هذا الجبل لجعلنا عليه حصنا ننتفع به فامر ببناء القلعة ومنع منها نظام الملك فلم يقبل قوله فلما فرغت جعل فيها دزدارا فلما انقضت ايام السلطان ملكشاه وصارت اصبهان بيد خاتون ازالت الدزدار وجعلت غيره فيها وهو انسان ديلمى اسمه زيارفات وصار بالقلعة انسان خوزى فاتصل به أحمد بن عطاش وكان الباطنية قد ابسوه تاجا وجمعوا له اموالا وقدموه عليهم مع جهله وانما كان أبوه مقدما فيهم فلما اتصل بالدزدار بقى معه ووثق به وقلده الامور فلما توفى الدزدار استولى أحمد بن عطاش عليها ونال المسلمين منه ضرر عظيم من اخذ الاموال وقتل النفوس وقطع الطريق والخوف الدائم فكانوا يقولون ان قلعة يدل عليها كلب ويشير بها كافر لابد وان يكون خاتمة أمرها الشر * ومنها ألموت وهى من نواحى قزوين قيل ان ملكا من ملوك الديلم كان كثير التصيد فارسل يوما عقابا وتبعه فرآه قد سقط على موضع هذه القلعة فوجده موضعا حصينا فامر ببناء قلعة عليه فسماها ألموت ومعناه بلسان الديلم تعليم العقاب ويقال لذلك الموضع وما يجاوره طالقان وفيها اقلاع حصينة أشهرها ألموت وكانت هذه النواحى فى ضمان شرفشاه الجعفرى وقد استناب فيها رجلا علويا فيه بله وسلامة صدر وكان الحسن بن الصباح رجلا شهما كافيا عالما بالهندسة والحساب والنجوم والسحر وغير ذلك وكان رئيس الرى انسان يقال له ابو مسلم وهو صهر نظام الملك فاتهم الحسن بن الصباح بدخول جماعة من دعاة المصريين عليه فخافه ابن الصباح وكان نظام الملك يكرمه وقال له يوما من طريق الفراسة عن قريب يضل هذا الرجل ضعفاء العوام فلما هرب الحسن من ابى مسلم طلبه فلم يدركه وكان الحسن من جملة تلامذة ابن عطاش الطبيب الذى ملك قلعة اصبهان ومضى ابن الصباح فطاف البلاد ووصل الى مصر ودخل على المستنصر صاحبها فاكرمه واعطاه مالا وامره ان يدعو الناس الى امامته فقال له الحسن فمن الامام بعدك فاشار الى ابنه نزار وعاد من مصر الى الشام والجزيرة ودبار بكر والروم ورجع الى خراسان ودخل كاشغر وماوراء النهر يطوف على قوم يضلهم فلما رأى قلعة ألموت واختبر أهل تلك النواحى أقام عندهم وطمع فى اغوائهم ودعاهم فى السر واظهر الزهد ولبس المسح فتبعه أكثرهم والعلوى صاحب القلعة حسن الظن فيه يجلس اليه يتبرك به فلما احكم الحسن أمره دخل يوما على العلوى بالقلعة فقال له ابن الصباح اخرج من هذه القلعة فتبسم العلوى وظنه يمزح فامر ابن

السجن فيحبس ويعاقب حتى يتم المطلوب منه فنزل بالناس امر عظيم وكرب جسيم وفى الناس من كان تاجرا ووقف حاله بتوالى الفتن والمغارم وانقطاع الاسباب والاسفار وافلس وصار يتعيش بالكد والقرض وبيع متاعه واساس داره وعقاره واسمه باق فى دفاتر التجار فما يشعر الا والطلب لاحقه بنحو ما تقدم لكونه كان معروفا فى التجار فيؤخذ ويحبس ويستغيث فلا يغاث ولا يجد شافعا ولا راحما وهذا الشئ خلاف الفرض المتوالية على البلاد والقرى فى خصوص هذه الحادثة وكذلك على البنادر مقادير لها صورة وما يتبعها من حق طرق المعينين والمباشرين وتوالى مرور العساكر آناء الليل واطراف النهار بطلب المكلف واللوازم واشياء يكل القلم عن تسطيرها ويستحى الانسان من ذكرها ولا يمكن الوقوف على بعض جزئياتها حتى خربت القرى وافتقر أهلها وجلوا عنها فكان يجتمع أهل عدة من القرى فى قرية واحدة بعيدة عنهم ثم يلحقها وبالهم فتخرب كذلك وأما غالب بلاد السواحل فانها خربت وهرب

اهلها وهدموا دورها ومساجدها واخذوا اخشابها ومن جملة افاعيلهم الشنيعة التى لم يطرق الاسماع نظيرها

انهم قرروا فرضة من فرض المغارم على البلاد فكتبوا أوراقا وسموها بشارة الفرضة يتولاها بعض من يكون متطلعا لمنصب أو منفعة ثم يرتب له خداما وأعوانا ثم يسافر الى الاقليم المعين له وذلك قبل منصب الاصل وفى مقدمته يبعث أعوانه الى البلاد يبشرونهم بذلك ثم يقبضون ما رسم لهم فى الورقة من حق الطريق بحسب ما أدى اليه اجتهاده قليلا أو كثيرا وهذه لم يسمع بما يقارب بها فى ملة ولا ظلم ولا جور وسمعت من بعض من له خبرة بذلك ان المغارم التى قررت على القرى بلغت سبعين ألف كيس وذلك خلاف المصادرات الخارجة (وفى) أواخره قوى عزم الباشا على السفر لناحية الاسكندرية وأمر باحضار اللوازم والخيام وما يحتاج اليه الحال من روايا الماء والقرب وباقى الادوات

(واستهل شهر جمادى الثانية بيوم الخميس سنة ١٢٢٢)

فى ثانيه وهو يوم الجمعة ركب الباشا الى بولاق وعدى الى ناحية برانبابة ونصبوا وطاقه هناك وخرجت طوائف العسكر الى ناحية بولاق وساحل البحر وطفقوا ياخذون ما يجدونه من البغال والحمير والجمال واستمروا على الدخول والخروج والذهاب والمجىء والرجوع والتعدية اياما وهم على ذلك النسق من خطف البهائم وامتنعت السقاؤن من نقل الماء من البحر حتى شح الماء وغلا سعره وعطشت الناس وامتنع حمل

الصباح بعض اصحابه باخراج العلوى فاخرجوه الى دامغان واعطاه ماله وملك القلعة ولما بلغ الخبر الى نظام الملك بعث عسكرا الى قلعة ألموت فحصروه فيها واخذوا عليه الطرق فضاق ذرعه بالحصر فارسل من قتل نظام الملك فلما قتل رجع العسكر عنها ثم ان السلطان محمد بن ملكشاه جهز نحوها العساكر فحصرها وسيرد ذكر ذلك ان شاء الله تعالى * ومنها طبس وبعض قهستان وكان سبب ملكهم لها ان قهستان كان قد بقى فيها بقايا من بنى سيمجور امراء خراسان ايام السامانية وكان قد بقى من نسلهم رجل يقال له المنور وكان رئيسا مطاعا عند الخاصة والعامة فلما ولى كاسارغ قهستان ظلم الناس وعسفهم واراد اختا للمنور بغير حل فحمل ذلك المنور على ان التجا الى الاسماعيلية وسار معهم فعظم حالهم فى قهستان واستولوا عليها * ومن جملتها خور وخوسف وزوزن وقاين وتون وتلك الاطراف المجاورة لها * ومنها قلعة وسنمكوه ملكوها وهى بقرب ابهر سنة اربع وثمانين وتاذى بهم الناس لاسيما اهل ابهر فاستغاثوا بالسلطان بركيارق فجعل عليها من يحاصرها فحوصرت ثمانية اشهر وأخذت منهم سنة تسع وثمانين وقتل كل من بها عن آخرهم * ومنها قلعة خالنجان على خمسة فراسخ من اصبهان كانت لمؤيد الملك بن نظام الملك وانتقلت الى جاولى سقاووا فجعل بها انسانا تركيا قصاد قه نجار باطنى واهدى له هدية جميلة ولزمه حتى وثق به وسلم اليه مفاتيح القلعة فعمل دعوة للتركى واصحابه فسقاهم الخمر فاسكرهم واستدعى ابن عطاش فجاء فى جماعة من أصحابه فسلم اليهم القلعة فقتلوا من بها سوى التركى فانه هرب وقوى ابن عطاش بها وصار له على اهل اصبهان القطائع الكثيرة * ومن قلاعهم المذكورة استونا وندوهى بين الرى وآمل ملكوها بعد ملكشاه نزل منها صاحبها فقتل واخذت منه * ومنها اردهن وملكها أبو الفتوح ابن اخت الحسن بن الصباح * ومنها كردكوه وهى مشهورة ومنها قلعة الناظر بخوزستان وقلعة الطنبور وبينها وبين ارجان فرسخان اخذها ابو حمزة الاسكاف وهو من أهل ارجان سافر الى مصر وعاد داعية لهم وقلعة خلادخان وهى بين فارس وخوزستان واقام بها المفسدون نحو مائتى سنة يقطعون الطريق حتى فتحها عضد الدولة بن بويه وقتل من بها فلما صارت الدولة لملكشاه اقطعها الامير انز فجعل بها دزدارا فانفذ اليه الباطنية الذين بارجان يطلبون منه بيعها فابى فقالوا له نحن نرسل اليك من يناظرك حتى يظهر لك الحق فاجابهم الى ذلك فارسلوا اليه انسانا ديلميا يناظره وكان للدزدار مملوك قد رباه وسلم اليه مفاتيح القلعة فاستماله الباطنى فاجابه الى القبض على صاحبه وتسليم القلعة اليهم فقبض عليه وسلم القلعة اليهم ثم اطلقه واستولوا بعد ذلك على عدة قلاع هذه اشهرها

(ذكر ما فعله جاولى سقاووا بالباطنية)

فى هذه السنة قتل جاولى سقاووا خلقا كثيرا منهم وسبب ذلك ان هذا الامير كانت ولايته البلاد التى بين راه هرمز وأرجان فلما ملك الباطنية القلاع المذكورة بخوزستان

بخوزستان وفارس وعظم شرهم وقطعوا الطريق بتلك البلاد واقف جماعة من اصحابه حتى اظهروا الشغب عليه وفارقوه وقصدوا الباطنية وأظهروا انهم معهم على رأيهم فاقاموا عندهم حتى وثقوا بهم ثم اظهر جاولى ان الامراء بنى برسق يريدون قصده واخذ بلاده وانه عازم على مفارقتهم العجزه عنهم والمسير الى همذان فلما ظهر ذلك وسار قال من عند الباطنية من أصحابه لهم الرأى اننا نخرج الى طريقه ونأخذه ومامعه من الاموال فساروا اليه فى ثلثمائة من اعيانهم وصناديدهم فلما التقوا صار من معهم من أصحاب جاولى عليهم ووضعوا السيف فيهم فلم يفلت منهم سوى ثلاثة نفر صعدوا الى الجبل وهربوا وغنم جاولى مامعهم من دواب وسلاح وغير ذلك

(ذكر قتل صاحب كرمان الباطنى وملك غيره)

كان تيرانشاه بن تورانشاه بن قاورت بك * والذى قتل الاتراك الاسماعيلية وليسوا منسوبين الى هذه الطائفة الباطنية انما نسبوا الى اميرا سمه اسمعيل وكانوا من اهل السنة قتل منهم انى رجل صبرا وقطع ايدى الفين وتفق عليه انسان يقال له ابو زرعة كان كاتبا بخوزستان فحسن له مذهب الباطنية فاجاب اليه وكان عنده فقيه حنفى يقال له احمد بن الحسين البلخى كان مطاعا فى الناس فاحضره عنده ليلا واطال الجلوس معه فلما خرج من عنده اتبعه بمن قتله فلما اصبح الناس دخلوا عليه وفيهم صاحب جيشه فقال لتيرانشاه ايها الملك من قتل هذا الفقيه فقال انت شحنة البلد تسألنى من قتله فقال انا اعرف قاتله ونهض من عنده ففارقه فى ثلثمائة فارس وسار الى اصبهان فارسل فى اثره انى فارس ليردوه فقاتلهم وهزمهم وسار الى اصبهان وبها السلطان محمد ومؤيد الملك فاكرمه السلطان وقال انت والد الملوك وامتعض عسكر كرمان بعد مسيره واجتمعوا وقالوا تيرانشاه واخرجوه عن مدينة بردسير التى هى مدينة كرمان فلما فارقها اتفق القاضى والجند واقاموا ارسلانشاه بن كرمانشاه بن قاورت بك وسار تيرانشاه الى مدينة بم من كرمان فحاربه اهلها ومنعوه منها واخذوا مامعه من اموال وجواهر وقصد قلعة سميرم وتحصن بها وفيها امير يعرف بمحمد بهستون فارسل ارسلانشاه جيشا حصروا القلعة فقال محمد بهستون لتيرانشاه انصرف عنى فلست أرى الغدر بك وانا رجل مسلم ومقامك عندى يؤذينى وأتهم بك فى دينى فلما عزم على الخروج أرسل محمد بهستون الى مقدم الجيش الذين يحاصرونهم يعلمه بمسير تيرانشاه بفرد عسكرا الى طريقه فخرجوا عليه وأخذوه ومامعه وأخذوا ايضا أباذرعة فارسل ارسلانشاه فقتلهما وتسلم جميع بلاد كرمان

(ذكر السبب فى قتل بركيارق الباطنية)

لما اشتد أمر الباطنية وقويت شوكتهم وكثر عددهم صار بينهم وبين أعدائهم ذحول واحن فلما قتلوا جماعة من الامراء الاكابر وكان أكثر من قتلوا من هو فى طاعة محمد مخالف للسلطان بركيارق مثل شحنة اصبهان سرخز وأرغش وكمش النظاميين

الى ان ظفروا بها الى العرض اختاروا منها اجيادها واعطوا اربابها عن كل فرس خمسين قرشا وردوا البواقى لاصحابها (وفيه) طلبوا ايضا دراهم من طائفة القبانية والحطابة وباعة السمك القديد المعروف بالفسيخ فكان القدر المطلوب من طائفة القبانية مائة وخمسين كيسا فاغلقوا حوانيتهم وهربوا والتجؤا الى الجامع الازهر وكذلك الحطابة وغيرهم منهم من هرب ومنهم من التجا الى السيد عمر واستمر كذلك ثلاثة ايام وركب السيد عمر وعدى الى الباشا وتشفع فى الطوائف المذكورة فرفعوا عنهم غرامتهم وكتبوا لهم امانا بذلك (وفى خامسه) حضر قابجى من طرف الانكليز وصحبته أشخاص فانزلهم الباشا فى خمة بخيمه بانبابة فرقدوا بها لياخذوا لهم راحة وناموا فلما استيقظوا فلم يجدوا ثيابهم وسطا عليها السراق فشلحوهم فارسلوا الى حارة الفرنساوية فاتوا لهم بثياب وقفوات لبسوها (وفى يوم السبت) مع ليلة الاحد حادى عشره عمل الفرنساوية عيدا ومولدا بحارتهم وأولموا بينهم ولائم وأوقدوا قناديل كثيرة تلك الليلة وحراقات تغوط

وسواريخ وشنكا حصة من الليل وهو عبارة عن مولد بونابارته السنوى (وفى يوم الثلاثاء ثالث عشره) طلب

الباشا حسين افندى الروزنامجى فعدى ١٣٤ اليه ببرانبابة فخلع عليه خلعة الدفترداريه وحضر الى داره الجديدة وهو بيت

الهياتم بالقرب من قنطرة درب الجماميز وذهب اليه الناس يهنئونه وانفصل أحمد افندى عاصم عن الدفترداريه (وفى يوم الخميس خامس عشره) عمل الباشا شنكا بالبر الغربى بين المغرب والعشاء ولما أصبح امر بالارتحال وتمهل حتى تكامل ارتحال العساكر فركب قريب الزوال الى المنصورة (وفى يوم الجمعة سادس عشره) الموافق لسادس مسرى القبطى أوفى النيل أذرعه وذلك بعدان حصل فى الناس ضجر وقلق بسبب تأخر الوفاء ووقفات حصلت فى الزيادة قبل الوفاء عدة أيام حتى رفعوا الغلال من العرصات وزادت اثمانها فلما حصل الوفاء اطمان الناس وتراجعت اليهم انفسهم واظهروا الغلال فى العرصات والرقع وركب كتخدا بك فى صبح يوم السبت وكذلك القاضى وطوسون ابن الباشا والسيد عمر النقيب وكسر السد بحضرتهم وجرى الماء فى الخليج (وفيه) وصل قابجى الى ثغر سكندرية وحضر بعد ذلك الى ثغر بولاق من طريق البر الى قبرص وتحرى الوصول الى دمياط ثم حضر الى بولاق وقابل الباشا فى طريقه ووصل على يد مسكة ضرب المعاملة الجديدة بالصرة بخانه باسم السلطان الجديد وكذلك الامر بالخطبة والدعاء والاخبار برفع النظام فعاودوا

وصهره وغيرهم نسب اعداء بركيارق ذلك اليه واتهموه بالميل اليهم فلما ظفر السلطان بركيارق وهزم أخاه السلطان محمدا وقتل مؤيد الملك وزيره انبسط جماعة منهم فى العسكر واستغووا كثيرا منهم وادخلوهم فى مذهبهم وكادوا يظهرون بالكثرة والقوة وحصل بالعسكر منهم طائفة من وجوههم وزاد أمرهم فصاروا يتهددون من لا يوافقهم بالقتل فصار يخافهم من يخالفهم حتى انهم لم يجاسر أحد منهم لا أمير ولا متقدم على الخروج من منزله حاسرا بل يلبس تحت ثيابه درعا حتى ان الوزير الاعز أبا المحاسن كان يلبس زردية تحت ثيابه واستاذن السلطان بركيارق خواصه فى الدخول عليه بسلاحهم وعرفوه خوفهم ممن يقاتلهم فاذن لهم فى ذلك واشاروا على السلطان ان يفتك بهم قبل ان يعجز عن تلافى أمرهم وأعلموه ما يتهمه الناس به من الميل الى مذهبهم حتى ان عسكر اخيه السلطان محمد يشنعون بذلك وكانوا فى المصاف يكبرون عليهم ويقولون يا باطنية فاجتمعت هذه البواعث كلها فاذن السلطان فى قتلهم والفتك بهم وركب هو والعسكر معه وطلبوهم واخذوا جماعة من خيامهم ولم يفلت منهم الا من لم يعرف وكان ممن اتهم بانه مقدمهم الامير محمد بن دشمنزيار بن علاء الدولة أبى جعفر بن كاكويه صاحب يزد فهرب وسار يومه وليلته فلما كان اليوم الثانى وجد فى العسكر قد ضل الطريق ولا يشعر فقتل وهذا موضع المثل أتتك بحائن رجلاه ونهبت خيامه فوجد عنده السلاح المعد واخرج الجماعة المتهمون الى الميدان فقتلوا وقتل منهم جماعة برآء لم يكونوا منهم سعى بهم اعداؤهم وفيمن قتل ولد كيقباذ مستحفظ تكريت فلم يغير والده خطبة بركيارق ولكن شرع فى تحصين القلعة وعمارتها ونقض جامع البلد وكان يقاربها الا يؤتى منه وجعل بيعة فى البلد جامعا وصلى الناس فيه وكتب الى بغداد بالقبض على ابى ابراهيم الاسداباذى الذى كان قد وصل اليها رسولا من بركيارق ليأخذ مال مؤيد الملك وكان من اعيانهم ورؤسهم فاخذ وحبس فلما ارادوا قتله قال هبوا أنكم قتلتمونى اتقدرون على قتل من بالقلاع والمدن فقتل ولم يدل عليه أحد والقى خارج السور وكان له ولد كبير قتل بالعسكر معهم وقد كان أهل عانة نسبوا الى هذا المذهب قديما فانهى حالهم الى الوزير أبى شجاع أيام المقتدى بامر الله فاحضرهم الى بغداد فسئل مشايخهم عن الذى يقال فيهم فانكروا وجحدوا فاطلقهم واتهم أيضا الكيا الهراس المدرس بالنظامية بانه باطنى ونقل ذلك عنه الى السلطان محمد فامر بالقبض عليه فارسل المستظهر بالله من استخلصه وشهد له بصحة الاعتقاد وعلو الدرجة فى العلم فاطلق

(ذكر حصر الامير برغش قهستان وطبس)

فى هذه السنة جمع الامير برغش وهو أكبر أمير مع السلطان سنجر جموعا كثيرة وقواهم بالمال والسلاح وسار الى بلد الاسماعيلية فنهبه وخربه وقتل فيهم فاكثر وحصر طبس وضيق عليها ورماها بالمنجنيق فخرب كثيرا من سورها وضعف من بها ولم يبق الا أخذها فارسلوا اليه الرشا الكثيرة واستنزلوه عما كان يريده منهم فرحل عنهم وتركهم

فعاودوا عمارة ما انهدم من سورها وملؤها ذخائر من سلاح واقوات وغير ذلك ثم عاودهم بزغش سنة سبع وتسعين فكان ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر ما ملك الفرنج من الشام)

فيها سار كندفرى ملك الفرنج بالشام وهو صاحب البيت المقدس الى مدينة عكا بساحل الشام فحصرها فاصابه سهم فقتله وكان قد عمر مدينة يافا وسلمها الى قص من الفرنج اسمه طنكرى فلما قتل كندفرى سار اخوه بغدوين الى البيت المقدس فى خمسمائة فارس وراجل فبلغ الملك دقاق صاحب دمشق خبره فنهض اليه فى عسكره ومعه الامير جناح الدولة فى جموعه فقاتله فنصر على الفرنج وفيها ملك الفرنج مدينة سروج من بلاد الجزيرة وسبب ذلك ان الفرنج كانوا قد ملكوا مدينة الرها بمكاتبة من اهلها لان اكثرهم ارمن وليس بها من المسلمين الا القليل فلما كان الآن جمع سقمان بسروج جمعا كثيرا من التركمان وزحف اليهم فلقوه وقاتلوه فهزموه فى ربيع الاول فلما تمت الهزيمة على المسلمين سار الفرنج الى سروج فحصروها وتسلموها وقتلوا كثيرا من اهلها وسبوا حريمهم ونهبوا اموالهم ولم يسلم الا من مضى منهزما وفيها ملك الفرنج مدينة حيفا وهى بالقرب من عكا على ساحل البحر ملكوها عنوة وملكوا ارسوف بالامان واخرجوا أهلها منها وفيها فى رجب ملكوا مدينة قيسارية بالسيف وقتلوا أهلها ونهبوا ما فيها

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى شهر رمضان تقدم الخليفة المستظهر بالله بفتح جامع القصر وان يصلى فيه صلاة التراويح ولم يكن جرت بذلك عادة وامر بالجهر ببسم الله الرحمن الرحيم وهذا أيضا لم تجر به عادة وانما ترك الجهر بالبسملة فى جوامع بغداد لان العلويين اصحاب مصر كانوا يجهرون بها فترك ذلك مخالفة لهم لا اتباعا لمذهب احمد الامام وامر ايضا بالقنوت على مذهب الشافعى فلما كانت الليلة التاسعة والعشرون ختم فى جامع القصر وازدحم الناس عنده وكان زعيم الرؤساء ابو القاسم على بن فخر الدولة بن جهير اخو عميد الدولة قد طلق من الاعتقال فاختلط بالناس وخرج الى ظاهر بغداد من ثلمة فى السور وسار الى سيف الدولة صدقة بن مزيد فاستقبله وانزله واكرمه وفيها فى المحرم توفى جمال الدولة ابو نصر بن رئيس الرؤساء بن المسلمة وهو استاذدار الخليفة وفيه توفى القاضى احمد بن محمد بن عبد الواحد أبو منصور بن الصباغ الفقيه الشافعى وأخذ الفقه عن ابن عمه الشيخ أبى نصر بن الصباغ وكان يصوم الدهر وروى الحديث عن القاضى أبى الطيب الطبرى وغيره وفيه توفى شرف الملك ابو سعد محمد بن منصور المستوفى الخوارزمى باصبهان وكان مستوفيا فى ديوان السلطان ملكشاه فبذل مائة الف دينار حتى ترك الاستيفاء وبنى مشهدا على قبر أبى حنيفة رحمة الله عليه ومدرسة بباب الطاق ومدرسة بمرو وجميعها للحنفيين وفيها فى صفر توفى القاضى ابو المعالى عزيزى وكان شافعيا أشعريا وهو من جيلان وله مصنفات كثيرة حسنة وكان ورعا وله مع اهل باب

صبحها يوم الاحد بباب الباشا وأحضروا الاغا بموكب ودخل من باب النصر وقرئ الفرمان بحضرة الجمع وضربوا شنكا ومدافع من ابراج القلعة ثلاثة أيام فى الاوقات الخمسة (ومن الحوادث) انه ظهر فى هذه الايام رجل بناحية بنها العسل يدعى بالشيخ سليمان فاقام مدة فى عشة بالغيط واعتقد فيه الناس الولاية والسلوك والجذب فاجتمع اليه الكثير من اهل القرى وأكثرهم الاحداث ونصبوا له خيمة وكثر جمعه واقبلت عليه أهالى القرى بالنذور والهدايا وصار يكتب الى النواحى أوراقا يستدعى منهم القمح والدقيق ويرسلها مع المريدين يقول فيها الذى نعلم به أهل القرية الفلانية حال وصول الورقة اليكم تدفعون لحاملها خمسة اردب قمح او اقل او اكثر بحسب طعام الفقراء وكراء طريق المعين ثلاثون رغيفا او نحو ذلك فلا يتاخرون عن ارسال المطلوب فى الحال وصار الذين حوله ينادون فى تلك النواحى بقولهم لا ظلم اليوم ولا تعطوا الظلمة شيئا من المظالم التى يطلبونها منكم ومن اتاكم فاقتلوه فكان كل من ورد من العسكر المعينين الى تلك النواحى يطلب المكلف او القرض التى يفرضونها فترعوا عليه وطردوه وان عاند قتلوه فثقل امره على

اولاد مشايخ البلاد وكان اذا بلغه ان بالبلد الفلانية غلاما وسيم الصورة ارسل يطلبه فيحضرونه اليه في الحال ولو كان ابن عظيم البلدة حتى صاروا يأتون اليه من غير طلب ولا يخفى حال الاقليم المصري في التقليد في كل شئ وهذا من جنس المردان وكذلك ذو والمجى هم كثيرون ايضا وعمل للمردان عقودا من الخرز الملون في اعناقهم ولبعضهم اقراطا في آذانهم ثم ان شيخا من فقهاء الازهر من اهالي بنها يقال له الشيخ عبد الله البنهاوي ادعى دعوى بطين مستأجره من اراضي بنها كان لاسلافه وان الملتزمين بالقرية استولوا على ذلك الطين من غير حق لهم فيه بل باغراء بعض مشايخ القرية والمذكور به رعونة ولم يحسن سبك دعواه وخصوصا كونه مفلسا وخليا من الدراهم التي لابد منها الآن في الجمالات والبراطيل للوسايط وارباب الاحكام واتباعهم ويظن في نفسه انه يقضي قضيته يقال المصنف اكراما لعلمه ودرسه فتخاصم مع الملتزمين ومشايخ بلده وانعقدت بسببه مجالس ولم يحصل منها شئ سوى التشفيع عليه من المشايخ الازهرية والسيد عمر النقيب ثم كتب له عرضحال ورفع أمره الى كتخدا بك والباشا فامر الباشا بعقد دخل

الازج اخبار ظريفة وكان قاضيا عليهم وكانوا يبغضونه ويبغضهم وتوفي أسعد بن مسعود بن علي بن محمد أبو ابراهيم العتبي من ولد عتبة بن غزوان نيسابوري ولد سنة اربع واربعمائة وروى عن أبي بكر الحيري وغيره وتوفي في صفر محمد بن احمد بن عبد الباقي ابن الحسن بن محمد بن طوق ابو الفضائل الربعي الموصلي الفقيه الشافعي تفقه على ابي اسحق الشيرازي وسمع الحديث من ابي الطيب الطبري وغيره وكان ثقة صالحا وتوفي في ربيع الاول منها محمد بن علي بن عبيد الله بن احمد بن صالح بن سليمان بن ودعان ابو نصر القاضي الموصلي وهو صاحب الاربعين الودعانية وقد تكلموا فيها فقيل انه سرقها وكانت تصنيف زيد بن رفاعة الهاشمي والغالب على حديثه المناكير وتوفي فيها في ربيع الاول نصر بن احمد بن عبد الله بن البطر القاري ابو الخطاب ومولده سنة ثمان وتسعين وثلثمائة سمع ابن رزقويه وغيره وصارت اليه الرحلة لعلو اسناده وكان سماعه صحيحا

(ثم دخلت سنة خمس وتسعين واربعمائة)

(ذكر وفاة المستعلي بالله وولاية الآمر باحكام الله)

في هذه السنة توفي المستعلي بالله ابو القاسم احمد بن معد المستنصر بالله العلوي الخليفة المصري لسبع عشرة خلت من صفر وكان مولده في العشرين من شعبان سنة سبع وستين واربعمائة وكانت خلافته سبع سنين وقريبا من شهرين وكان المدبر لدولته الافضل ولما توفي ولي بعده ابنه ابو علي المنصور ومولده ثالث عشر المحرم سنة تسعين واربعمائة وبويع له بالخلافة في اليوم الذي مات فيه أبوه وله خمس سنين وشهر واربعة ايام ولقب الآمر باحكام الله ولم يكن من تسمى بالخلافة قط اصغر منه ومن المستنصر وكان المستنصر اكبر من هذا ولم يقدر يركب وحده على الفرس لصغر سنه وقام بتدبير دولته الافضل بن امير الجيوش احسن قيام ولم يزل كذلك يدبر الامر الى ان قتل سنة خمس عشرة وخمسمائة

(ذكر الحرب بين السلطان بركيارق والسلطان محمد والصلح بينهما)

في هذه السنة في صفر كان المصاف الثالث بين السلطان بركيارق ومحمد وقد ذكرنا سنة اربع وتسعين قدوم السلطان محمد الى بغداد ورحيل السلطان بركيارق عنها الى واسط مريضا فاقام السلطان محمد ببغداد الى سابع عشر المحرم من هذه السنة وسار عنها هو واخوه السلطان سنجر عائدين الى بلادهم وسنجر يقصد خراسان والسلطان محمد يقصد همذان فلما سار محمد عن بغداد وصلت الاخبار ان بركيارق قد اعترض خاص الخليفة بواسط وسمع منه في حق الخليفة ما يقبح نقله فارسل الخليفة واعاد السلطان محمدا الى بغداد وذكر له ما نقل اليه وعزم على الحركة مع محمد الى قتال بركيارق فقال السلطان محمد لا حاجة الى حركة امير المؤمنين فاني اقوم في هذا القيام المرضي وسار عائدا ورتب ببغداد ابا المعالي المفضل بن عبد الرزاق في جباية الاموال وايلغازي شحنة وكان لما

دخل بغداد قد خلف عسكره بطريق خراسان فنهبوا البلاد وخربوها فاخذهم السلطان محمد معه وجد السير الى روذراور واما السلطان بركيارق فقد تقدم سنة اربع وتسعين انه سار من بغداد عند وصول محمد اليها قاصدا الى واسط فلما سمع عسكر واسط بقربه منهم خافوا منه واخذوا نساءهم واولادهم واموالهم وجمعوا السفن جميعها وانحدروا الى الزبيدية فاقاموا هناك ووصل السلطان وهو شديد المرض يحمل فى محفة وقد هلك من دواب عسكره ومتاعهم الكثير فانهم كانوا يجدون السير خوفا ان يتبعهم السلطان محمد والامير صدقة صاحب الحلة فكانوا كلما جازوا قنطرة هدموها يمتنع من يجتاز بها من اتباعهم ولما وصلوا الى واسط عوفى بركيارق ولم يكن له ولاصحابه همة غير العبور من الجانب الغربى الى الجانب الشرقى فلم يجدهناك سفينة وكان الزمان شاتيا شديد البرد والماء زائدا وكان اهل البلدة دخافوهم فلزموا الجامع وبيوتهم نخلت الطرق والاسواق من مجتاز فيها فخرج القاضى ابو على الفارقى الى العسكر واجتمع بالامير ايازوالوزير واستعطفهما للخلق وطلب امانا فاذا شحنة لتطمئن القلوب فاجابوه الى ملتمسه وقالوا له نريد ان تجمع انا من يعبر وابنا فى الماء ونسبح معها فجمع لهم من شباب واسطوا عظاهم الاجرة الوافرة فعبروا وابهم من الخيل والبغال والجمال وكان الامير ايازبنفسه يسوق الدواب ويفعل مايفعله الغلمان ولم يكن معهم غير سفينة واحدة انحدرت مع السلطان من بغداد فعبروا اموالهم ورحالهم فيها فلما صاروا فى الجانب الشرقى اطمانوا ونهب العسكر البلد فرجع القاضى وجدد الخطاب فى الكف عنهم فاجيب الى ذلك فارسل معه من يمنع من النهب ثم ان عسكر واسط ارسلوا الى بركيارق يطلبون الامان ليحضروا الخدمة السلطان فامنهم فحضروا كثرهم عنده وساروا معه الى بلاد بنى برسق فحضروا ايضا عنده وخدموه واجتمعت العساكر عليه وبلغه مسير اخيه محمد عن بغداد فسار يتبعه على نهاوند فادركه بروذراور وكان العسكران متقاربين فى العدة كل واحد منهما اربعة آلاف فارس من الاتراك فتصافوا اول يوم جميع النهار لم يجر بينهم قتال لشدة البرد وعادوا فى اليوم الثانى ثم تواقفوا كذلك ثم كان الرجل يخرج من احد الصفين فيخرج اليه من يقاتله فاذا تقارنا اعتنق كل واحد منهما صاحبه وسلم عليه ويعود عنه ثم خرج الامير بلدجى بغيره من عسكر محمد الى الامير ايازوالوزير الاعز فاجتمعوا واتفقوا على الصلح لما قد عم الناس من الضرر والملل والوهن فاستقرت القاعدة ان يكون لبركيارق السلطان ومحمد الملك ويضرب له ثلاث نوب ويكون له من البلاد جنزة واعمالها واذربيجان وديار بكر والجزيرة والموصل وان يمده السلطان بركيارق بالعساكر حتى يفتح مايمتنع عليه منها وحلف كل واحد منهما لصاحبه وانصرف الفريقان من المصاف رابع ربيع الاول وسار بركيارق الى مرج قراتكين قاصدا ساوة والسلطان محمد الى اسداباذ وتفرق العسكران وقصد كل امير اقطاعه

(ذكر الحرب بين السلطان بركيارق ومحمد وانفساخ الصلح بينهما)

فسافر الى جهة البحيرة والاسكندرية فذهب الشيخ عبد الله المذكور الى الشيخ سليمان المذكور واغراه على الحضور الى مصر وانه متى وصل اجتمع عليه المشايخ واهل البلدة وقابلوه ويكون على يده الفتح والفتوح وحركته خساف العقول المحيطون به والمجتمعون حوله على المجىء الى مصر ويكون له شان لان ولايته اشتهرت بالمدينة ولهم فيه اعتقاد عظيم وحب جسيم ومن اوصاف ذلك الشيخ انه لا يتكلم الا بالذكر او الكلام النزر الذى لابد منه ويتكلم فى اكثر اوقاته بالاشارة ثم انه اطاع شياطينه وحضر برجاله وغلمانه ومعه طبول وكاسات على طريق مشايخ اهل العصر والاوان الذين يحسبون انهم يحسنون صنعا ودخلوا الى المدينة على حين غفلة وبايديهم فراقل يقرقعون بها قرقعة متتابعة وصياح وجلبة ومن خلفهم الغلمان والبدايات وشيخهم فى وسطهم فمازالوا فى سيرهم حتى دخلوا المشهد الحسينى وجلسوا بالمسجد يذكرون ودخل منهم طائفة الى بيت السيد عمر مكرم النقيب وهم يقرقعون بما فى ايديهم من القرقلات

١٨ يخ مل عا فاقاموا بالمسجد الى العصر ثم دعاهم انسان من الاجناد يقال له اسمعيل كاشف ابو

في هذه السنة في جمادى الاولى كان المصاف الرابع بين السلطان بركيارق واخيه محمد وكان سببه ان السلطان محمدا سار من روذراور من الوقعة المذكورة الى اسداباذ ومنها الى قزوين ونسب الامراء الذين سعوا في ذلك الصلح الى المخامرة عليه والتقاعد به فوضع رئيس قزوين ان يتوسل اليه باولئك الامراء ليحضر دعوته فاستشفع الرئيس بهم الى السلطان فحضر دعوته بعد ان امتنع ووصى خواصه بحمل السلاح تحت اقبيتهم وحضر الدعوة ومعه الامير ايتكين وبسمل فقتل الامير بسمل وهو من اكابر الامراء وكحل الامير ايتكين وكان الامير ينال بن انوشتكين الحسامي قد فارق بركيارق واقام مجاهدا للباطنية الذين في القلاع والجبال فقصد الآن السلطان محمدا وسار معه الى الري يضرب النوب الخمس واجتمعت اليه العساكر واقام ثمانية ايام ووافاه اخوه السلطان بركيارق في اليوم التاسع ووقع بينهما المصاف عند الري وكانت عدة العسكرين متقاربة كل عسكر منهما عشرة آلاف فارس فلما اصطفوا حمل الامير سرخاب بن كيخسرو الديلمي صاحب آبه على الامير ينال فهزمه وتبعه في الهزيمة جميع عسكر محمد وتفرقوا ومضى معظمهم نحو طبرستان ولم يقتل في هذا المصاف غير رجل واحد قتل صبرا ومضى قطعة من المنهزمين نحو قزوين ونهبت خزائن محمد ومضى في نفر يسير الى أصبهان وحمل هو عليه بيده ليتبعه اصحابه وسار في طلبه الامير البكي بن برسق والامير اياز الى قم وتتبع السلطان بركيارق أصحاب اخيه محمد واخذ اموالهم

(ذكر حصار السلطان محمد باصبهان)

لما انهزم السلطان محمد من الوقعة التي ذكرناها بالري مضى الى اصبهان في سبعين فارسا والبلد في حكمه وفيه نائبه ومعه من الامراء الامير ينال وغيره من الامراء ودخل المدينة في ربيع الاول وامر بتجديد ما تشعث من السور وهذا السور هو الذي بناه علاء الدولة ابن كاكويه سنة تسع وعشرين واربعمائة عند خوفه من طغرلبك وامر محمد بتعميق الخندق حتى صعد الماء فيه وسلم الى كل امير بابا وكان معه في البلد الف ومائة فارس وخمسمائة راجل ونصب المجانيق ولما علم السلطان بركيارق بمسير اخيه محمد الى اصبهان سار يتبعه فوصلها في جمادى الاولى وعساكره كثيرة تزيد على خمسة عشر الف فارس ومعها مائة الف من الحواشي واقام يحاصر البلد وضيق عليه وكان السلطان محمد يدور كل ليلة على سور البلد ثلاث دفعات فلما زاد الامر في الحصار اخرج الضعفاء والفقراء من البلد حتى خلت المحال وعدمت الاقوات واكل الناس الخيل والجمال وغير ذلك وقلت الاموال فاضطر السلطان محمد الى ان يستقرض من اعيان البلد فاخذ مالا عظيما ثم عاود الجند الطلب فقسط على اهل البلد شيئا آخر واخذه منهم بالشدة والعنف فلم تزل الاسعار تغلو حتى بلغ عشرة امنان من الحنطة بدينار واربعة ارطال لحما بدينار وكل مائة رطل تبنا باربعة دنانير ورخصت الامتعة وهانت لعدم الطالب وكانت الاسعار في عسكر بركيارق رخيصة فبقي الحصار على البلد الى عاشر

مناخير له في الشيخ المذكور اعتقاد فذهبوا معه الى داره بعطفة عبد الله بك فعشاهم وباتوا عنده الى الصباح ولما طلع النهار ركب الشيخ بغلة ذلك الجندي وذهب بطائفته الى ضريح الامام الشافعي فجلس بالمسجد ايضا مع اتباعه يذكرون وبلغ خبره كتخدا بك وامثاله فكتب تذكرة وارسلها الى السيد عمر النقيب بطلب الشيخ المذكور ليتبركوا به واكد في الطلب وقصده ان يفتك به لقهرهم منه وعلم السيد عمر ما يراد به فارسل يقول له ان كنت من اهل الكرامة فاظهر سرك وكرامتك والا فاذهب وتغيب وكان صالح اغا قوج لما بلغه خبره ركب في عسكره وذهب الى مقام الشافعي واراد القبض عليه فخوفه الحاضرون وقالوا له لا ينبغي لك التعرض له في ذلك المكان فاذا خرج قدونك واياه فانتظره بقصر شويكار فتباطا الشيخ الى قريب العصر واشاروا عليه بالخروج من الباب القبلي وتفرق عنه الكثير من المجتمعين عليه فذهب الى مقام الليث ابن سعد ثم سار من ناحية الجبل وذهبت بداياته وغلمانه الى دار اسمعيل كاشف التي باتوا بها ولما سار الى ناحية الصحراء لحقه الحاج سعودي الحناوي واقتفى اثره وبلغه رسالة السيد عمر ورجع الى السيد عمر فوجد كتخدا بك ورجب اغا حضرا الى السيد عمر يسالانه عنه ولم يكتفوا بالطلب الاول فاخبرهما انه ذهب ولم تلحقه المراسيل فاغتاظوا

ذى الحجة فلما رأى السلطان محمد انه لا قدرة له على الدفع عن البلد وكلما جاء أمره يضعف قوى عزمه على مفارقته وقصد جهة أخرى يجمع فيها العساكر ويعود يدفع الخصم عن الحصار فسار عن البلد فى مائة وخمسين فارسا ومعه الامير ينال واستخلف بالبلد جماعة من الامراء الكبار فى باقى العسكر فلما فارق العسكر والبلد لم يكن فى دوابهم ما يدوم على السير لقلة العلف فى الحصار فنزل على ستة فراسخ فلما سمع بركيارق بمسيره سير وراءه الامير ايازا فى عسكر كثير وامره بالجد فى السير فى طلبه فقيل ان محمدا سبقهم فلم يدركوه فرجعوا وقيل بل أدركوه فارسل الى الامير ايازا يقول انت تعلم ان لى فى رقبتك عهودا وايمانا ما نقضت ولم يكن منى اليك ما تبالغ فى اذاى فعاد عنه وارسل له خيلا واخذ علمه والجنزو ثلاثة احمال دنانير وعاد الى بركيارق فدخل عليه واعلام اخيه السلطان محمد منكوسة فانكر بركيارق ذلك وقال ان كان قد ساءه فلا ينبغى ان يعمل معه هذا فاخبره الخبر فاستحسن ذلك منه فلما فارق محمد اصبهان اجتمع من المفسدين والسوادية ومن يريد النهب ما يزيد على مائة الف نفس وزحفوا الى البلد بالسلاليم والدبابات وطموا الخندق بالتبن والتصقوا بالسور وصعد الناس فى السلاليم فقاتلهم أهل البلد فقتال من يريد يحمى حريمه وماله فعادوا خائبين فحينئذ أشار الامراء على بركيارق بالرحيل فرحل ثامن عشر ذى الحجة من السنة واستخلف على البلد القديم الذى يقال له شهرستان ترشك الصوابى فى الف فارس مع ابنه ملكشاه وسار الى همذان وكان هذا من اعجب ما سطر ان سلطانا محصورا قد تقطعت مواده وهو يخطب له فى اكثر البلاد ثم يخلص من الحصر الشديد وينجو من العساكر الكثيرة التى كلها قد شرع اليه رمحه وفوق اليه سهمه

* (ذكر قتل الوزير الاعز ووزارة الخطير أبى منصور) *

فى هذه السنة ثانى عشر صفر قتل الوزير الاعز أبو المحاسن عبد الجليل بن محمد الدهستانى وزير السلطان بركيارق على اصبهان وكان مع بركيارق محاصرا لها فركب هذا اليوم من خيمته الى خدمة السلطان فجاء شاب أشقر قيل انه كان من غلمان أبى سعيد الحداد وكان الوزير قتله فى العام الماضى فانتهز الفرصة فيه وقيل كان باطنيا فجرحه عدة جراحات فتفرق اصحابه عنه ثم عادوا اليه فجرح أقربهم منه جراحات أثخنته وعاد الى الوزير فتركه بآخر رمق وكان كريما واسع الصدر حسن الخلق كثير العمارة ونفر الناس منه لانه دخل فى الوزارة وقد تغيرت القوانين ولم يبق دخل ولا مال ففعل للضرورة ما خافه الناس بسببه وكان حسن المعاملة مع التجار فاستغنى به خلق كثير فكانوا يسألونه ليعاملهم فلما قتل ضاع منهم مال كثير * حكى ان بعض التجار باعه متاعا بالف دينار فقال له خذ بها حنطة من الرادان خمسين كرا كل كر بعشرين دينارا فامتنع التاجر من اخذها وقال لا اريد غير الدنانير فلما كان من الغد دخل اليه التاجر فقال له يهنيك يا فلان فقال وما هو قال خبر حنطتك فقال مالى حنطة ولا اريدها قال بلى

اسمعيل كاشف أبو مناخير فقبضوا على الغلمان واخذوهم الى دورهم ولم ينج منهم الا من كان بعيدا وهرب وتغيبا وتفرق أتباعه ذوو اللحى واما الشيخ فسار من طريق الصحراء حتى وصل الى بهتيم وذهب الى نوب فعرف بمكانه الشيخ عبد الله زقزوق البهناوى الذى كان أغراه على الحضور الى مصر ولما سقط فى يده تبرأ عنه وذهب الى كتخدا بك وطلب له أمانا واخبره انه مختف بضريح الامام الشافعى فاعطاه أمانا وذهب اليه واحضره من نوب فلما حضر عند الكتخدا قال له أرخ لحيتك واترك ما انت عليه واقم فى بلدك واعطيك طينا تزرعه ولا تتعرض لاحد ولا احد يتعرض لك والشيخ ساكت لا يتكلم وصحبته اربعة انفار من تلاميذه هم الذين يخاطبون الكتخدا ويكلمونه ثم امر اشخاصا من العسكر فاخذوه وذهبوا به الى بولاق وانزلوه فى مركب وانحدروا به ثم غابوا حصة وانقلبوا راجعين ثم بعد ذلك تبين انهم قتلوه والقوه فى البحر الا واحدا من الاربعة التى بنفسه فى البحر وسبح فى الماء وطلع الى البر وهرب وانفض امره (وفيه) ارسل

الباشا وهو بالرحمانية يطلب شيخ دسوق فحضر اليه طائفة من العسكر فلما اتوا اليه امتنع وقال ما يريد الباشا منى

بهائمه وحريمه والذي يخاف عليه وفي الوقت وصلت مراكب وبها عساكر وطلعوا الى البر فركب شيخ البلد خيوله وخيالته واستعد لحربهم وحاربهم وابلى معهم وقتل منهم عدة كبيرة ثم ولى هاربا فدخل العسكر الى البلد ونهبوها واخذوا ما وجدوه في دور اهلها وعبر وا مقام السيد الدسوقي وذبحوا من وجدوه من المجاورين وفيهم من طلبة العلم العواجز (وفيه) ركب كتخدا بك وعرعلى بيت الداودية وبه طائفة من الدلاة فراى شخصا منهم يرجم دجاجة بحجر ليرميها من سطح دار اخرى فانتهره واراد ضربه فقامت عليه رفقاؤه الدلاتية وفزعوا عليه فولى هاربا منهم فعدوا خلفه ولم يزل را محاهو واتباعه حتى وصل الى ناحية الازبكية

(واستهل شهر رجب بيوم الجمعة سنة ١٢٢٢)

في رابعه وردت مكاتبات من الباشا بوقوع الصلح بينه وبين الانكليز واتفقوا على خروجهم من الاسكندرية وخلوها ونزولهم منها وارسل يطلب الاسرى من الانكليز (وفي عاشره) ورد قابجي ويسمى نجيب افندي فوصل الى بولاق يوم الاثنين حادي عشره وكان وروده من ناحية دمياط فلما علم ان الباشا بناحية

وقد بيعت كل كربة بخمسين دينارا فقال انا لم اتقبل بها فقال الوزير ما كنت لافسخ عقدا عقدته قال فخرجت واخذت ثمن الحنطة الفين وخمسمائة دينار واضفت اليها مثلها وعاملته فقتل فضاع الجميع وكان قد نفق عليه عمل الكيمياء واختص به انسان كيميائي فكان يعده الشهر بعد الشهر والحول بعد الحول وقال له بعض اصحابه وقد احاله عليه بكر حنطة فاستزاده لو كان صادقا في عمله لما كان يستزيد من القدر القليل وقتل ولم يصح له منه شئ ولما قتل الاعز ابو المحاسن وزر بعده الوزير الخطير ابو منصور المبيذي الذي كان وزير السلطان محمد وكان سبب فراقه لوزارة محمد انه كان معه باصبهان وبركيارق يحاصره وقد سلم اليه محمد بابا من ابوابها ليحفظها فقال له الامير ينال بن انوشتكين كنت قد كافتنا ونحن بالري لنقصد همذان وقلت انا اقيم بالعسكر من مالي واحصل لهم ما يقوم بهم ولا بد من ذلك فقال له الخطير انا افعل ذلك فلما كان الليل فارق البلد وخرج من الباب الذي كان مسلما اليه وقصد بلده ميبذ واقام بقلعتها متحصنا فارسل اليه السلطان بركيارق يحصره فنزل منها مستاما فحمل على بغل باكاف الى العسكر فوصله في طريقه قتل الوزير الاعز وكتاب السلطان له بالامان وطيب قلبه فلما وصل الى العسكر خلع عليه واستوزره

(حادثة يعتبر بها)

في سنة ثلاث وتسعين بيع رحل بني جهير ودورهم بباب العامة ووصل ثمن ذلك الى مؤيد الملك ثم قتل في سنة اربع وتسعين مؤيد الملك وبيع ماله وتركته واخذ الجميع وحمل الى الوزير الاعز وقتل الوزير الاعز هذه السنة وبيع رحله واقتسمت اموالهم واخذ السلطان ومن ولي بعده اكثرها وتفرقت ايدي سبا وهذا عاقبة خدمة الملوك

(ذكر الفتنة بين ايلغازي وعامة بغداد)

في هذه السنة في رجب كانت فتنة شديدة بين عسكر الامير ايلغازي بن ارتق شحنة بغداد وبين عامتها وسببها ان ايلغازي كان بطريق خراسان فعاد الى بغداد فلما وصل الى جماعة من اصحابه الى دجلة فنادوا ملاحا ليعبر بهم فتناخر فرماه احدهم بنشابة فوقعت في مشعره فمات فاخذ العامة القاتل وقصدوا باب النوبي فلقيهم ولد ايلغازي مع جماعة فاستنقذوه ورجمهم العامة بسرق الثلاثا فمضى الى ابيه مستغيثا فاخذ حاجب الباب من له في هذه الحادثة عمل فلم يقنع ايلغازي ذلك فعبر باصحابه الى محلة الملاحين المعروفة بمربعة القطانين وتبعهم خلق كثير فنهبوا ما وجدوا وقدروا عليه فعطف عليهم العيارون فقتلوا اكثرهم ونزل من سلم في السفن ليعبر وادجلة فلما توسطوها القى الملاحون انفسهم في الماء وتركوهم فغرقوا فكان الغريق اكثر من القتيل وجمع ايلغازي التركمان واراد ذهاب الجانب الغربي فارسل اليه الخليفة قاضي القضاة والكيا الهراس المدرس بالنظامية فمنعاه من ذلك فامتنع

(ذكر قصد صاحب البصرة مدينة واسط وعوده عنها)

في هذه السنة في العشرين من شوال قصد الامير اسمعيل صاحب البصرة مدينة واسط للاستيلاء عليها ونحن نبتدئ بذكر اسمعيل وتنقل الاحوال به الى ان ملك البصرة وهو اسمعيل بن سلانجق وكان اليه في أيام ملكشاه شحنكية الري ولما وليها كان أهل الري والرستاقية قد اعيوا من وليهم وعجز الولاة عنهم فسلك معهم طريقا أصلحهم بها وقتل منهم مقتلة عظيمة فتهذبوا بها وارسل من شعورهم الى السلطان ما عمل منه مقاود وشكلا للدواب ثم عزل عنها ثم ان السلطان بركيارق أقطع البصرة للامير قماج فارسل اليها هذا الامير اسمعيل نائبا عنه فلما فارق قماج بركيارق وانتقل الى خراسان حدثته نفسه بالتغلب على البصرة والاستبداد فانحدر مهذب الدولة بن ابي الجبر من البطيحة اليه ليحاربه ومعه معقل بن صدقة بن منصور بن الحسين الاسدي صاحب الجزيرة الدبيسية فاقبلا في جمع كثير من السفن والخيل ووصلوا الى مطارا فبينما معقل يقاتل قريبا من القلعة التي بناها ينال بمطارا وجددها اسمعيل واحكمها اتاه سهم غرب فقتله فعاد ابن ابي الجبر الى البطيحة واخذ اسمعيل سفنه وذلك سنة احدى وتسعين فاستمد ابن ابي الجبر كوهرائين فامده بابي الحسن الهروي وعباس بن ابي الجبر فلقياه فكسرهما واسرهما واطلق عباسا على مال ارسله ابوه واصطلحا واما الهروي فبقي في حبسه مدة ثم اطلقه على خمسة آلاف دينار فلم يصح له منها شئ وقوي حال اسمعيل فبنى قلعة بالابلة وقلعة بالشاطئ مقابل مطارا وصار مخوف الجانب وامن البصريون به واسقط شيئا من المكوس واتسعت امارته باشتغال السلاطين وملك المشان واستضافها الى ما بيده فلما كان هذه السنة كاتبه بعض عسكر واسط بالتسليم اليه فقوي طمعه في واسط فاصعد في السفن الى نهر ابان وراسلهم في التسليم فامتنعوا من ذلك وقالوا راسلناك وقد رأينا غير ذلك الرأي فاصعد الى الجانب الشرقي فخيم تحت النخيل وسفنه بين يديه وخيم جند واسط حذاءه وراسلهم ووعدهم وهم لا يجيبونه واتفقت العامة مع الجند وشتموه اقبح شتم فلما أيس منهم عاد الى البصرة وساروا بازائه من الجانب الآخر فوصل الى العمر وعبر طائفة من أصحابه فوق البلد وهو يظن ان البلد خال وان الناس قد خرجوا منه لما رأى كثرة من بازائه فيوقع الحريق في البلد فاذا رجع الاتراك عاد هو من ورائهم فكان ظنه خائبا لان العامة كانوا على دجلة اولهم في البلد وآخرهم مع الاتراك بازائه فلما عبر اصحابه عاد الاتراك عليهم ومعهم العامة فقتلوا منهم ثلاثين رجلا واسروا خلقا كثيرا والقى الباقون انفسهم في الماء فاتاه من ذلك مصيبة لم يظنها وصار اعيان اصحابه ماسورين وعاد الى البصرة وكان عوده من سعادته فانه كان قد قصد الامير ابو سعد محمد بن مضر بن محمود البصرة ذلك الوقت وله اعمال واسعة منها نصف عمان وجنابة وسيراف وجزيرة بني نفيس وكان سبب قصده اياها انه كان قد صار مع اسمعيل انسان يعرف بجعفرك وآخر اسمه زنجويه والثالث بابي الفضل الابلي فاطمعوه في ان يعمل مراكب يرسل فيها مقاتلة في البحر الى هذا ابي سعد وغيره فعمل نيفا وعشرين قطعة فلما علم ابو سعد الحال ارسل جماعة كثيرة من

البحيرة ذهب اليه وقابله بدمنهور وبصحبته لخصوص الباشا قفطان وسيف وشلنج وخلع لكبار العسكر مثل حسن باشا وطاهر باشا وعابدين بك وعمر بك وصالح قوج فنزل ببيت محمد الطويل التتنجي ببولاق (وفيه) نزلوا بالاسرى من الانكليز الى المراكب ليسافروا الى الاسكندرية (وفي يوم الاربعاء ثالث عشره) وصل المبشر بنزول الانكليز من ثغر الاسكندرية الى المراكب ودخل اليها كتخدا بك ونزل بدار الشيخ المسيري واستمر الباشا مقيما عند السد (وفي يوم السبت سادس عشره) ركب القابجي من بولاق بالموكب وشق من وسط المدينة وذهب الى بيت الباشا وضربوا لقدومه مدافع من القلعة (وفي يوم الاربعاء سابع عشرينه) ولد لمحمد علي باشا مولود من حظيته وحضر المبشرون بنزول الانكليز من الاسكندرية ودخول الباشا بها فعملوا شنكا وضربوا مدافع من القلعة ثلاثة أيام في الاوقات الخمسة آخرها السبت (وفي يوم الخميس والجمعة والسبت) وصلت عساكر كثيرة ودخلوا المدينة وطلبوا سكنى البيوت وازعجوا الناس وأخرجوهم من اوطانهم وضجت الخلائق وحضر الكثير الى السيد عمر والمشايخ فكتبوا عرضا في شان ذلك وارسلوه الى كتخدا بك فاظهر الاهتمام وأحضر طائفة من كبار العسكر وكلمهم في ذلك وقال لهم كل من كان ساكنا

اصحابه فى نحو خمسين قطعة فاتوا الى دجلة البصرة وذلك فى السنة الخالية فاقاموا بها محاربين وظفروا بطائفة من اصحاب اسمعيل وقتلوا صاحب قلعة الابلة وكاتبوا ابنى برسق بخوزستان يطلبون ان يرسلوا عسكرا ليساعدوهم على اخذ البصرة فتمادى الجواب وركن الطائفتان الى الصلح على ان يسلم اليهم اسمعيل جعفرك ورفيقه ويقطعهم مواضع ذكروها من اعمال البصرة فلما رجعوا لم يفعل شيأ من ذلك واخذ مركبين لقوم من اصحاب ابى سعد فحمله ذلك على ان سار بنفسه فى قطع كثيرة تزيد على مائة قطعة بين كبيرة وصغيرة ووصل الى فوهة نهر الابلة وخرج عسكر اسمعيل فى عدة مراكب ووقع القتال بينهم وكان البحريون فى نحو عشرة آلاف واسمعيل فى سبعمائة واصعد البحريون فى دجلة فاخرقوا عدة مواضع وتفرق عسكر اسمعيل فبعضه بالابلة وبعضه بنهر الدير وبعضه فى مواضع أخر فلما ضعف اسمعيل عن مقاومة ابى سعد طلب من وكيل الخليفة على ما يتعلق بديوانه من البلاد ان يسعى فى الصلح فارسل اليه فى ذلك فاعاد الجواب يذكر قبح ما عامله به اسمعيل مرة بعد اخرى وتكررت الرسائل بينهم فاجاب الى الصلح فاصطلحا واجتمعا وعاد أبو سعد الى بلاده وحمل كل واحد منهما لصاحبه هدية جميلة

(ذكر وفاة كربوقا وملك موسى التركمانى الموصل وجكرمش بعده وملك سقمان الحصن)

فى هذه السنة فى ذى القعدة توفى قوام الدولة كربوقا عند مدينة خوى وكان السلطان بركيارق قد ارسله فى العام الماضى الى اذربيجان كما ذكرناه فاستولى على اكثرها واتى الى خوى فمرض بها ثلاثة عشر يوما وكان معه اصبهبذ صباوة بن خمارتكين وسنقرجه فوصى الى سنقرجه وامر الاتراك بطاعته واخذله على عسكره العهود والمواثيق على أربعة فراسخ من خوى وانف فى زلية لعدم ما يكفن فيه ودفن بخوى وسار سنقرجه واكثر العسكر الى الموصل فتسلمها فاقام بها ثلاثة ايام وكان اعيان الموصل قد كاتبوا موسى التركمانى وهو بحصن كيفا ينوب عن كربوقا فيها وسالوه ان يبادر اليهم ليسلموا اليه البلد فسار مجدا فسمع سنقرجه بوصوله فظن انه جاء اليه خدمة له فخرج ليستقبله فى اهل البلد فلما تقاربا نزل كل واحد منهما لصاحبه عن فرسه واعتنقا وبكيا على قوام الدولة فتسايرا فقال سنقرجه لموسى فى جملة حديثه انما مقصودى من جميع ما كان لصاحبنا المخدة والمنصب والاموال والولايات لكم وبحكمكم فقال موسى من نحن حتى يكون لنا مناصب ودسوت الامر فى هذا الى السلطان يرتب فيه من يريد ويولى من يختار وجرى بينهما محاورات فجذب سنقرجه سيفه وضربه صفحا على رأسه فجرحه فالقى موسى نفسه الى الارض وجذب سنقرجه فالقاه الى الارض وكان مع موسى ولد منصور ابن مروان الذى كان أبوه صاحب ديار بكر فجذب سكينا وضرب بها راس سنقرجه فابانه ودخل موسى البلد وخلع على اصحاب سنقرجه وطيب نفوسهم فصارت الولاية له ولما

ذلك شيئا لان البيوت التى كانوا بها أخربوها وحرقوا أخشابها وتركوها كيمانا وذلك دأبهم

(واستهل شهر شعبان بيوم السبت سنة ١٢٢٢)

فى ثالثه يوم الاثنين وصل الباشا الى ساحل بولاق فضربوا لقدومه مدافع من القلعة وعملوا له شنكا ثلاثة أيام واتفق ان الباشا فى حال رجوعه من الاسكندرية نزل فى سفينة صغيرة وصحبته حسن باشا طاهر وسليمان أغا الوكيل سابقا فانقلبت بهم واشرف ثلاثتهم على الغرق وتعلق بعضهم بحرف السفينة فلحقتهم مركب أخرى أنقذتهم من الغرق وطلعوا سالمين وكان ذلك عند زفيتة (وفيه) كتبوا اوراق البشارة بذهاب الانكليز وسفرهم من الاسكندرية وأرسلوها الى البلاد والقرى وعليها حق الطريق أربعة آلاف والفين فضة وصورة ما حصل أنه لما وصل الباشا الى ناحية الاسكندرية راسل الانكليز وحضر اليه انفار منهم واختلى معهم ولم يعلم احد ما دار بينهم من الكلام وذهبوا من عنده واشيع الصلح وفرحت العسكر لانهم لما راوا صورة المقاريس والطوابى والخنادق وجرى المياه بين ذلك بالاوضاع المتقنة هالهم ذلك ثم حضر من عظمائهم اشخاص ولما علم الباشا بوصولهم رتب

سمع شمس الدولة جكرمش صاحب جزيرة ابن عمر الخبر قصد نصيبين وتسلمها وسار موسى قاصدا الى الجزيرة فلما قارب جكرمش غدر بموسى عسكره وصاروا مع جكرمش فعاد موسى الى الموصل وقصده جكرمش وحصره مدة طويلة فاستعان موسى بالامير سقمان بن ارتق وهو يومئذ بديار بكر واعطاه حصن كيفا وعشرة آلاف دينار فسار سقمان اليه فرحل جكرمش عنه وخرج موسى لاستقبال سقمان فلما كان موسى عند قرية تسمى كراثا وثب عليه عدة من الغلمان القوامية فقتلوه رماه احدهم بنشابة فقتله فعاد اصحابه منهزمين ودفن على تل هناك يعرف الآن بتل موسى ورجع الامير سقمان الى الحصن فملكها وهى بيده ولاده الى يومنا هذا سنة عشرين وستمائة وصاحبها حينئذ غازى بن قرا ارسلان بن داود بن سقمان بن ارتق وقصد جكرمش الموصل وحصرها اياما ثم تسلمها صلحا واحسن السيرة فيها واخذ القوامية الذين قتلوا موسى فقتلهم واستولى بعد ذلك على الخابور وملك العرب والاكراد فاطاعوه

(ذكر حال صنجيل الفرنجى وما كان منه فى حصار طرابلس)

كان صنجيل الفرنجى لعنه الله قد لقى قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش صاحب قونية وكان صنجيل فى مائة الف مقاتل وكان قلج ارسلان فى عدد قليل فاقتتلوا فانهزم الفرنج وقتل منهم كثير واسر كثير وعاد قلج ارسلان بالغنائم والظفر الذى لم يحسبه ومضى صنجيل مهزوما فى ثلثمائة فوصل الى الشام فارسل فخر الملك بن عمار صاحب طرابلس الى الامير ياخز خليفة جناح الدولة على حمص فالى الملك دقاق بن تتش يقول من الصواب ان يعاجل صنجيل اذ هو فى هذه العدة القريبة فخرج الامير ياخز بنفسه وسير دقاق الفى مقاتل واتتهم الامداد من طرابلس فاجتمعوا على باب طرابلس وصافوا صنجيل هناك فاخرج مائة من عسكره الى اهل طرابلس ومائة الى عسكر دمشق وخمسين الى عسكر حمص وبقى هو فى خمسين فاما عسكر حمص فانهم انكسروا عند المشاهدة وولوا منهزمين وتبعهم عسكر دمشق واما اهل طرابلس فانهم قاتلوا المائة الذين قاتلوهم فلما شاهد ذلك صنجيل حمل فى المائتين الباقية فكسروا اهل طرابلس وقتلوا منهم سبعة آلاف رجل ونازل صنجيل طرابلس وحصرها واتاه اهل الجبل فاعانوه على حصارها وكذلك اهل السواد واكثرهم نصارى فقاتل من بها اشد قتال فقتل من الفرنج ثلثمائة ثم انه هادنهم على مال وخيل فرحل عنهم الى مدينة انطرسوس وهى من اعمال طرابلس فحصرها وقتل من بها من المسلمين ورحل الى حصن الطوبان وهو يقارب رفنية ومقدمه يقال له ابن العريض فقاتلهم فنصر عليه اهل الحصن واسر ابن العريض منه فارسا من اكابر فرسانه فبذل صنجيل فى فدائه عشرة آلاف دينار والف اسير فلم يجبه ابن العريض الى ذلك

(ذكر ما فعله الفرنج)

وصلوا ضربوا لهم مدافع كثيرة وشنكا وقدم لهم خيولا وهدايا واقمشة هندية وخلع عليهم خلعا وشيلانا كشميرية وغير ذلك ثم ركب معهم فى قلة الى حيث منزلة سارى عسكرهم وكبيرهم فتلاقى معهم وقدم له الآخر هدايا وطرائف ثم ركب معه الى الاسكندرية وتسلم القلعة وذلك بعد دخول كتغدابك بخمسة ايام وكان فى اسرى الانكليز افخار من عظمائهم فاحضرهم الباشا مع باقى الاسرى وتم الصلح على ردالمذكورين على انهم لم ياتوا طمعا فى البلاد كما تقدم ولما نزلوا بالمراكب لم يبعدوا عن الثغر الامسافة قليلة واستمروا يقطعون على المراكب الواردين على الثغور وذلك لما بينهم وبين العثمانى من المفاقمة (هذا) ما كان من امر الانكليز (واما العساكر) فانهم اخشوا فى التعدى على الناس وغصب البيوت من اصحابها فتاتى الطائفة منهم الى الدار المسكونة ويدخلونها من غير احتشام ولا اذن ويهجمون على سكن الحرم بحجة انهم يتفرجون على اعالى الدار فتصرخ النساء ويجتمع اهل الخطة ويكلمونهم فلا يلتفتون اليهم فيعالجونهم مرة بالملاطفة واخرى بكثرة الجمع ان كان بهم قوة او بمعونة ذى مقدرة واذا انفصلوا فلا يخرجون من الدار الا بمصلحة او هدية لما قدروا يشترطون فى ذلك الشيلان الكشميرى

في هذه السنة أطلق الدانشمند بهند الفرنجي صاحب انطاكية وكان قد اسره وقد تقدم ذكر ذلك واخذ منه مائة ألف دينار وشرط عليه اطلاق ابنة باغيسيان الذي كان صاحب انطاكية وكانت في أسره ولما خلص بهند من اسره عاد الى انطاكية فقويت نفوس أهلها به ولم يستقر حتى ارسل الى أهل العواصم وقنسرين وما جاورها يطالبهم بالاتاوة فورد على المسلمين من ذلك ما طمس المعالم التي بناها الدانشمند وفيما سار صنجيل الى حصن الاكراد فحصره فجمع جناح الدولة عسكره ليسير اليه ويكبسه فقتله باطني بالمسجد الجامع فقيل ان الملك رضوان ربيبه وضع عليه من قتله فلما قتل صبح صنجيل حمص من الغد ونازلها وحصر اهلها وملك اعمالها ونزل القمص على عكا في جمادى الآخرة وضيق عليها وكاد يأخذها ونصب عليها المنجنيقات والابراج وكان له في البحر ست عشرة قطعة فاجتمع المسلمون من سائر السواحل واتوا الى منجنيقاتهم وابراجهم فاحرقوها واحرقوا سفنهم أيضا وكان ذلك نصرا عجيبا اذل الله به الكفار وفيها سار القمص الفرنجي صاحب الرها الى بيروت من ساحل الشام وحصرها وضايقها واطال المقام عليها فلم ير فيها طمعا فرحل عنها وفيها في رجب خرجت عساكر مصر الى عسقلان ليمنعوا الفرنج عما بقي في أيديهم من البلاد الشامية فسمع بهم بردويل صاحب القدس فسار اليهم في سبعمائة فارس وقاتلهم فنصر الله المسلمين وانهزم الفرنج وكثر القتل فيهم وانهزم بردويل فاختفى في اجمة قصب فاحرقت تلك الاجمة ولحقت النار بعض جسده ونجا منها الى الرملة فتبعه المسلمون وأحاطوا به فتنكر وخرج منها الى يافا وكثر القتل والاسر في أصحابه

* (ذكر عود قلعة خفتيذ كان الى سرخاب بن بدر)

في هذه السنة عادت قلعة خفتيذ كان الى الامير سرخاب بن بدر بن مهلهل وكان سبب اخذها منه ان القرابلي وهو من قبيل من التركمان يقال لهم سلغر كان قد اتى الى بلاد سرخاب فمنعه من المراعي وقتل جماعة من أصحابه فمضى قرابلي الى التركمان واستجاش بهم وجاء في عسكر كثير فلقيه سرخاب وقاتله فقتل قرابلي من أصحابه الاكراد قريبا من الفي رجل وانهزم سرخاب الى بعض جباله في عشرين رجلا فلما سمع المستحفظان بقلعة خفتيذ كان ذلك وكانا رجلين حدثتهما أنفسهما بالاستيلاء عليها وكان بها ذخائره وأمواله وقدرها يزيد على الفي ألف دينار فتملكاها واجتازا بها السلطان بركيارق فانفذا اليه مائتي ألف دينار واستولى التركمان على جميع بلاد سرخاب بن بدر سوى دقوقا وشهرزور فلما كان هذا الوقت قتل أحد المستحفظين الآخر وارسل الى سرخاب يطالب منه الامان ليسلم اليه القلعة فامنه على نفسه وعلى ما حصل بيده من أمواله فسلمها اليه ووفى له

* (ذكر قتل قدرخان صاحب سمرقند)

وقد ذكرنا قبل قدوم الملك سنجر مع أخيه السلطان محمد الى بغداد وعوده الى خراسان

فلما وصل الى نيسابور خطب لاخيه محمد بخراسان جميعها ولما كان ببغداد طمع قدرخان جبريل بن عمر صاحب سمرقند فى خراسان لبعده عنها وجمع عساكر كملاء الارض قيل كانوا ماءتى الف مقاتل فيهم مسلمون وكفار وقصد بلاد سنجر وكان امير من امراء سنجر اسمه كندغدى قد كاتب قدرخان بالاخبار واعلمه مرض سنجر بعد عوده الى بلاده وانه قد اشفى على الهلاك وقوى طمعه بالاختلاف الواقع بين السلطانين بركيارق ومحمد وبشدة عداوة بركيارق لسنجر واشار عليه بالسرعة مهما الاختلاف واقع وانه متى اسرع ملك خراسان والعراق فبادر قدرخان واقدم وقصد البلاد فبلغ السلطان سنجر الخبر وكان قد عوفى فبادر وسار نحوه قاصدا قتاله ومنعه عن البلاد وكان من جملة من معه كندغدى المذكور وهو لا يتهمه بشئ مما فعل فوصل الى بلخ فى ستة آلاف فارس فبقى بينه وبين قدرخان نحو خمسة أيام فهرب كندغدى الى قدرخان وحلف كل واحد منهما لصاحبه على الاتفاق والمناصحة وسار من عنده الى ترمذ فملكها وكان الباعث للكندغدى على مافعل حسده للامير بزغش على منزلته ثم تقدم قدرخان فلما تدانى العسكران ارسل سنجر يذكر قدرخان العهود والمواثيق القديمة فلم يصغ الى قوله واذكى سنجر العيون والجواسيس على قدرخان فكان لا يخفى عنه شئ من خبره فاتاه من اخبره انه نزل بالقرب من بلخ وانه خرج متصيدا فى ثلثمائة فارس فندب سنجر عند ذلك الامير بزغش لقصده فسار اليه فلحقه وهو على تلك الحال فقاتله فلم يصبر من مع قدرخان فانهزموا واسر كندغدى وقدرخان واحضرهما عند سنجر فاما قدرخان فانه قبل الارض واعتذر فقال له سنجر ان خدمتنا اولم تخدمنا فاجزاؤك الا السيف ثم امر به فقتل فلما سمع كندغدى الخبر نجا بنفسه ونزل فى قناة ومشى فيها فرسخين تحت الارض على مابه من النعاس وقتل فيها حيتين عظيمتين وسبق أصحابه الى مخرجها وسار منها فى ثلثمائة فارس الى غزنة وقيل بل جمع سنجر عساكر كثيرة والتقى هو وقدرخان وجرى بينهما مصاف وقتال عظيم كثر فيه القتل فيهم فانهزم قدرخان وعسكره وحمل اسيرا الى سنجر فقتله وحصر ترمذ وبها كندغدى فطلب الامان فامنه سنجر ونزل اليه وسلم ترمذ فاقره سنجر بمفارقة بلاده فسار الى غزنة فلما وصل اليها اكرمه صاحبها علاء الدولة وحمل عنده المحل الكبير واتفق ان صاحب غزنة عزم على قصد اوتان وهى جبال منيعة على أربعين فرسخا من غزنة وقد عصى عليه فيها قوم وتحصنوا بمعاقلها وعورمسالكها فقاتلهم عسكر علاء الدولة فلم يظفروا منهم بطائل فتقدم كندغدى منفردا عنهم فابلى بلاء حسنا ونصر عليهم واخذه غنائمهم وحملها الى علاء الدولة فلم يقبل منها شيأ ووفرها عليه فغضب العسكر وحسدوه على ذلك وعلى قربه من صاحبهم ونفاقه عليه فاشاروا بقبضه وقالوا انا لا نامن ان يقصد بعض الاماكن فيفعل فى أمر الدولة مالا يمكن تلافيه فقال قد تحققت قصدكم لكن بمن أقبض عليه فانى اخاف ان آمركم بالقبض عليه فينالكم منه ما تفتضحون به فقالوا الصواب ان توليه ولاية ويقبض عليه اذا سار اليها فولاه حصنين جرت عادته ان يسجن فيهما من

فشيئا ويدخلون ويخرجون وبايديهم الاسلحة ويضيق عليهم المكان فيقولون لصاحب المكان أخل لنا محلا آخر فى الدار فوق لرفقائنا فان قال ليس عندنا محل آخر اوقصر فى مطلوب ابتداؤه بالقسوة فعند ذلك يعلم صاحب الدار أنهم لا انفكاك لهم عن المكان وربما مضت العشرة ايام اواقل اواكثر وظهرت قبائحهم وقذروا المكان وأحرقوا البسط والحصر بما يتساقط عليها من الجمر من شربهم النار جيلات والتنباك والدخان وشربوا الشراب وعربدوا وصرخوا وصفقوا وغنوا بلغاتهم المختلفة وفقعت رائحة العرق فى المنزل فيضيق صدر الرجل وصدر اهل بيته ويطيب خاطرهم على الخروج والنقلة فيطلبون لانفسهم مسكنا ولو مشتركا عند اقاربهم اومعارفهم وتخرج النساء فى غفلة بثيابهن ومايمكنهن حمله ثم يشرعون فى اخراج المتاع والاوانى والنحاس والفرش فيحجزونه منهم ويقولون اذا اخذتم ذلك فعلى اى شئ نجلس وفى اى شئ نطبخ وليس معنا فرش ولا نحاس والذى كان معنا استهلك منا فى السفر والجهاد ودفع الكفار عنكم وانتم

مستريحون فى بيوتكم وعندحريمكم فيقع النزاع وينفصل الامر بينهم وبين صاحب الدار

بالبلدة من الامراء والاجناد المصريين واتباعهم ونحوهم ثم انهم تعدوا الى الحارات والنواحي التي لم يتقدم لهم السكنى بها قبل ذلك مثل نواحي المشهد الحسيني وخلف الجامع المؤيدي والخرنفش والجمالية حتى ضاقت المساكن بالناس لقلتها وصار بعض المحتشمين اذا سكن بجواره عسكري يتحول من داره ولو كانت ملكه بعدا من جوارهم وخوفا من شرهم وتسلقهم على الدار لانهم يصعدون على الاسطح والحيطان ويتطلعون على من بجوارهم ويرمون بالبندقيات والطبنجات ومما اتفق ان كبير امنهم دخل بطائفته الى منزل بعض الفقهاء المعتبرين وأمره بالخروج منها ليسكن هو بها فاخبره انه من مشايخ العلم فلم يلتفت لقوله فتركه ولبس عمامته وركب بغلته وحضر الى اخوانه المشايخ واستغاث بهم فركب معه جماعة منهم وذهبوا الى الدار ودخلوا اليها راكبين بغالهم فعندما شاهدهم العسكر وهم واصلون في كبكبة أخذوا أسلحتهم وسحبوا عليهم السيوف فرجع البعض هاربا وثبت الباقون ونزلوا عن بغالهم وخاطبوا كبيرهم وعرفوه انها دار العالم الكبير وهذا لا يناسب وان النصارى واليهود يكرمون وفيها

يخاف جانبه فسار اليهما فلما قاربهما عرف ما يراد منه فاحرق جميع ماله ونحر جماله وسار جريدة وكان في مدة مقامه بغزنة يسأل عن الطرق وتشعبها فانه ندم على قصد تلك الجهة فلما سار سأل راعيا عن الطريق التي يريدها فدله فاخذه معه خوفا ان يكون قد غره ولم يزل سائرا الى ان وصل الى قريب هراة فمات هناك وهو من عمالك تتش ابن الب ارسلان الذي كحله اخوه ملكشاه وسجنه بتكريت وقد تقدم ذكر حادثته

(ذكر ملك محمد خان سمرقند)

في هذه السنة احضر السلطان سنجر محمد ارسلان خان بن سليمان بن داود بغراخان من مرو وملكه سمرقند بعد قتل قدرخان وكان هذا محمد خان من اولاد الخانية بما وراء النهر وامه ابنة السلطان ملكشاه فدفع عن ملك آبائه فقصد مرو واقام بها الى الآن فلما قتل قدرخان ولاه سنجر اعماله وسير معه العساكر الكثيرة فعبروا النهر فاطاعه العساكر بتلك البلاد جميعها وعظم شانه وكثرت جموعه الا انه انتصب له امير اسمه صاغوبك وزاحمه في الملك فطمع فيه فجرى له معه حروب احتاج في بعضها الى الاستنجاد بعساكر سنجر على ما نذكره بعد ان شاء الله تعالى ولما ملك محمد خان البلاد احسن الى الرعايا بوصية من سنجر وحقن الدماء وصار بابه مقصدا وجنابه ملجا

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في ربيع الاول خرج تاج الرؤساء ابن أخت أمين الدولة أبي سعد بن الموصلايا الى الحلة السيفية مستجيرا بسيف الدولة صدقة وسبب ذلك ان الوزير الاعز وزير السلطان بركيارق كان ينسب اليه انه هو الذي يميل جانب الخليفة الى السلطان محمد فسار خائفا واعتزل خاله أمين الدولة الديوان وجلس في داره فلما قتل الوزير الاعز على ما ذكرناه عاد تاج الرؤساء من الحلة الى بغداد وعاد خاله الى منصبه وفي ربيع الاول ايضا ورد العميد المهذب أبو المجد أخو الوزير الاعز الى بغداد نائبا عن اخيه ظنا منه ان ايلغازي لا يخالفهم حيث كان بركيارق ومحمد قد اتفقا كما ذكرناه فقبض عليه ايلغازي ولم يتغير عن طاعة محمد وفيها في جمادى الاولى ورد الى بغداد ابن تكش بن الب ارسلان وكان قد استولى على الموصل فخدعه من كان بها حتى يسير عنها الى بغداد ففعل فلما وصل اليها زوجه ايلغازي بن ارتق ابنته وفيها في شهر رمضان استوزر الخليفة سديد الملك ابا المعالي بن عبد الرزاق ولقب عضد الدين وفيها في صفر قتل الربعيون بهيت قاضي البلد اباعلي بن المثنى وكان ورعا فقيها حنفيا من أصحاب القاضي أبي عبد الله الدامغاني وكان هذا القاضي على ما جرت به عادة القضاة هناك من الدخول بين القبائل فنسبوه في ذلك الى التحامل عليهم فقتله احدهم فندم الباقون على قتله وقد فات الامر وفيها بنى سيف الدولة صدقة بن مزيد الحلة بالجامعين وسكنها وانما كان يسكن هو وآباؤه قبله في البيوت العربية وفي جمادى الاولى قتل المؤيد بن شرف الدولة مسلم بن قريش امير بني عقيل قتله بنو عمير عند هيت قصاصا

وفيها توفى القاضى البندنيجى الضرير الفقيه الشافعى انتقل الى مكة فجاور بها اربعين سنة يدرس الفقه ويسمع الحديث ويشتغل بالعبادة وفيها توفى ابو عبد الله الحسين ابن محمد الطبرى باصبهان وكان يدرس فقه الشافعى بالمدرسة النظامية وقد جاوز تسعين سنة وهو من اصحاب ابى اسحق وفيها توفى الامير منظور بن عمارة الحسينى امير المدينة على ساكنها الصلاة والسلام وقام ولده مقامه وهو من ولد المهنا وقد كان قتل المعمار الذى انفذه مجد الملك البلاسانى لعمارة القبة التى على قبر الحسن بن على والعباس رضى الله عنهما وكان من اهل قم فلما قتل البلاسانى قتله منظور بعد ان أمنه وكان قد هرب منه الى مكة فارسل اليه بامانه

(ثم دخلت سنة ست وتسعين وأربعمائة)

(ذكر استيلاء ينال على الرى واخذها منه ووصوله الى بغداد)

كانت الخطبة بالرى للسلطان بركيارق فلما خرج السلطان محمد من اصبهان على ماذكرناه ومعه ينال بن انوشتكين الحسامى استاذنه فى قصد الرى واقامة الخطبة له بها فاذن له فسار هو واخوه على بن انوشتكين فوصلا اليها فى صفر فاطاع من بها من نواب بركيارق وخطب لمحمد بالرى واستولى ينال على البلد وعسف اهله وصادرهم بمائتى الف دينار واقام بها الى النصف من ربيع الاول فورد اليه الامير برسق بن برسق من عند السلطان بركيارق فوقع القتال بينهم على باب الرى فانهزم ينال واخوه على فاما على فعاد الى ولايته قزوين وسلك ينال الجبال فقتل من اصحابه كثير وتشتتوا فاتى الى بغداد فى سبعمائة رجل فاكرمه الخليفة واجتمع هو وايلغازى وسقمان ابنا ارتق بمشهد ابى حنيفة وتحالفوا على مناصحة السلطان محمد وساروا الى سيف الدولة صدقة فخالف لهم ايضا على ذلك وعادوا

(ذكر ما فعله ينال بالعراق)

قد ذكرنا وصول ينال بن انوشتكين الى بغداد قبل فلما استقر ببغداد ظلم الناس بالبلاد جميعا وصادرهم واستطال اصحابه على العامة بالضرب والقتل والتقسيط وصادر العمال فارسل اليه الخليفة قاضى القضاة ابا الحسن الدامغانى ينهاه عن ذلك ويقبح عنده ما يرتكبه من الظلم والعدوان وتردد ايضا الى ايلغازى وكان ينال قد تزوج هذه الايام باخته وهى التى كانت زوجة تاج الدولة تتش حتى توسط الامر معه فخضوا اليه وحلفوه على الطاعة وترك ظلم الرعية وكف اصحابه ومنعهم فحلف ولم يف باليمين ونكث ودام على الظلم وسوء السيرة فارسل الخليفة الى سيف الدولة صدقة وعرفه ما يفعله ينال من نهب الاموال وسفك الدماء وطلب منه ان يحضر بنفسه ليكف ينال فسار من حلته فى رمضان ووصل بغداد رابع شوال وضرب خيامه بالنجمى واجتمع هو وينال وايلغازى ونواب ديوان الخليفة وتقررت القواعد على مال يأخذه ويرحل عن العراق فطالب ينال المهلة فعاد صدقة عاشر شوال الى حلته وترك ولده

عملك النصارى لبلادكم وتقولون انهم خير منا ونحن مسلمون ونجاهدون طردنا النصارى واخرجناهم من البلاد فنحن أحق بالدور منكم ونحو ذلك من القول الشنيع ثم لم يزالوا فى معالجتهم الى ثانى يوم ولم ينصرفوا عن الدار حتى دفعوا لهم ماتى قرش وشال كشمير لكبيرهم وفعل مثل ذلك بعدة بيوت دخلها على هذه الصورة وأخذ منها اكثر من ذلك ومنها دار اسمعيل أفندى صاحب العيار بالضربخانه وهو رجل معتبر اخذ منه خمسمائة قرش وشال كشمير وفعل مثل ذلك بغيرهم هو وامثاله ولما اكثر الناس من الشكى للباشا وللكتخدا قال الكتخدا اناس قاتلوا وجاهدوا اشهرا واياما وقاسوا اما قاسوه فى الحر والبرد والطل حتى طردوا عنكم الكفار واجلوهم عن بلاد افلا تسعونهم فى السكنى ونحو ذلك من القول (ولما) انقضى هذا الامر واستقر الباشا واطمان خاطره وخلص له الاقليم المصرى وثغر الاسكندرية الذى كان خارجا عن حكمه حتى قبل مجئ الانكليز فان الاسكندرية كانت خارجة عن حكمه فلما حصل مجئ الانكليز

وخروجهم صار التغرى فى حكمه ايضا فاول ما بدأ به انه ابطل مسموح المشايخ والفقهاء ومعافى البلاد التى التزموا

على جميع الالتزامات والحصص التى بايدى جميع الناس حتى اكابر العسكر واصاغرهم ماعدا البلاد والحصص التى للشايخ خارجة عن ذلك ولا يؤخذ منها نصف الفائظ ولا ثلثه ولا ربعه وكذلك من ينتسب لهم او يحتمى فيهم و ياخذون الجعالات والهدايا من اصحابها ومن فلاحيهم تحت حمايتها وتظير صيانتها واغتروا بذلك واعتقدوا دوامه واكثروا من شراء الحصص من اصحابها المحتاجين بدون القيمة واقتنوا بالدنيا وهجروا مذاكرة المسائل ومدارسة العلم الا بمقدار حفظ الناموس مع ترك العمل بالكلية وصار بيت احدهم مثل بيت احد الامراء الالوف الاقدمين واتخذوا الخدم والمقدمين والاعوان واجروا الحبس والتعزير والضرب بالفلقة والسكرابيج المعروفة بزب الفيل واستخدموا كتبة الاقباط وقطاع الجرائم فى الارساليات للبلاد وقد رواحق طرق لاتباعهم وصارت لهم استجعالات وتحذيرات وانذارات عن تاخر المطلوب مع عدم سماع شكاوى الفلاحين ومخاصمتهم القديمة مع بعضهم بموجبات التحاسد والكراهية المجبولة والمركوزة فى طباعهم الخبيثة وانقلب الوضع فيهم بضده وصار ديدنهم واجتماعهم ذكر الامور الدنيوية والحصص

دبيسا ببغداد ليمنعه من الظلم والتعدى عما استقر الامر عليه فبقى ينال الى مستهل ذى القعدة وسار الى اوانا فنهب وقطع الطريق وعسف الناس وبالغ فى الفعل القبيح واقطع القرى لاصحابه فارسل الخليفة الى صدقة فى ذلك فارسل الف فارس وساروا اليه ومعهم جماعة من اصحاب الخليفة وايلغازى شحنة بغداد فلما سمع ينال بقربهم منه عبر دجلة وسار الى باجسرى وشعثها وقصد شهرابان فمنعه اهلها فقاتلهم فقتل بينهم قتلى ورحل عنهم وسار الى اذربيجان قاصدا الى السلطان محمد وعاد دبيس بن صدقة وايلغازى شحنة بغداد الى مواضعهم

(ذكر وصول كشتكين القيصرى شحنة الى بغداد والفتنة بينه وبين ايلغازى وسقمان وصدقة)

فى هذه السنة منتصف ربيع الاول ورد كشتكين القيصرى الى بغداد شحنة ارسله اليها السلطان بركيارق وقد ذكرنا فى السنة المتقدمة رحيل بركيارق من اصبهان الى همذان فلما وصلها ارسل الى بغداد كشتكين شحنة فلما سمع ايلغازى وهو شحنة ببغداد للسلطان محمد ارسل الى اخيه سقمان بن ارتق صاحب حصن كيفا يستدعيه اليه ليعتضد به على منعه وسار الى سيف الدولة صدقة بالحلة واجتمع به وساله تجديد عهد فى دفع من يقصده من جهة بركيارق فاجابه الى ذلك وحالف له فعاد ايلغازى وورد سقمان فى عساكره ونهب فى طريقه تكريت وسبب تمكنه منها انه ارسل جماعة من التركمان الى تكريت معهم احمال جبن وسمن وعسل فباعوا امامهم واظهروا ان سقمان قد عاد عن الانحدار فاطمان اهل البلد ووثب التركمان تلك الليلة على الحراس فقتلوهم وفتحوا الابواب وورد اليها سقمان ودخلها ونهبها ولما وصل الى بغداد نزل بالرملة واما كشتكين فوصل اول ربيع الاول الى قرميسين وارسل الى من له هوى مع بركيارق واعلمهم بقربه منهم فخرج اليه جماعة منهم فلقوه بالبندنيجين واعلموه الاحوال واشاروا عليه بالمعاجلة فاسرع السير فوصل الى بغداد منتصف ربيع الاول وفارق ايلغازى داره واجتمع باخيه سقمان واصعدا من الرملة ونهبا بعض قرى دجيل فسار طائفة من عسكر كشتكين وراءهما ثم عادوا عنهما وخطب للسلطان بركيارق ببغداد فارسل كشتكين القيصرى الى سيف الدولة صدقة ومعه حاجب من ديوان الخليفة فى طاعة بركيارق فلم يجب الى ذلك وكشف القناع ببغداد فى مخالفته وسار من الحلة الى جسر صرصر فقطعت خطبة بركيارق ببغداد ولم يذكر على منابرها احد من السلاطين واقتصر الخطباء على الدعاء للخليفة لاغير ولما وصل سيف الدولة الى صرصر ارسل الى ايلغازى وسقمان وكانا بحربى يعرفهما انه قد اتى لنصرتهما فعادا ونهبا دجيلا ولم يبقيا على قرية كبيرة ولا صغيرة واخذت الاموال وافتضت الابكار ونهب العرب والاكراد الذين مع سيف الدولة بنهر ملك الا انهم لم ينقل عنهم مثل التركمان من اخذ النساء والفساد معهن لكنهم استقصوا فى اخذ الاموال بالضرب والاحراق وبطلت

معايش الناس وغلت الاسعار فكان الخبز يساوى عشرة أرطال بقيراط فصار ثلاثة ارطال بقيراط وجميع الاشياء كذلك فارسل الخليفة الى سيف الدولة فى الاصلاح فلم تستقر قاعدة وعاد ايلغازى وسقمان ومعهما دبيس بن سيف الدولة صدقة من دجيل فخيموا بالرملة فقصدهم جماعة كثيرة من العامة فقاتلهم فقتل من العامة أربعة نفر واخذ منهم جماعة فاطلقوا بعد ان اخذت اسلحتهم واذداد الامر شدة على الناس فارسل الخليفة قاضى القضاة أبا الحسن بن الدامغانى وتاج الرؤساء بن الموصلايا الى سيف الدولة يامره بالكف عن الامر الذى هو ملابسه و يعرفه ما الناس فيه و يعظم الامر عليه فاظهر طاعة الخليفة ان أخرج القيصرى من بغداد والا فليس غير السيف وأرعد وأبرق فلما عاد الرسول استقر الامر على اخراج القيصرى من بغداد ففارقها ثانى عشر ربيع الآخر وسار الى النهروان وعاد سيف الدولة الى بلده واعيدت خطبة السلطان محمد ببغداد وسار القيصرى الى واسط فخاف الناس منه وارادوا الانحدار منها ليامنوا فمنعهم القيصرى وخطب لبركيارق بواسط ونهبوا كثيرا من سوادها فلما سمع صدقة ذلك سار الى واسط فدخلها وعدل فى اهلها وكف عسكره عن اذاهم ووصل اليه ايلغازى بواسط وفارقها القيصرى ونزل متحصنا بدجلة فقيل لسيف الدولة ان هناك مخاضة فسار اليها بعسكره وقد لبسوا السلاح فلما رآهم عسكر القيصرى تفرقوا عنه و بقى فى خواص أصحابه فطلب الامان من سيف الدولة فامنه فحضر عنده فاكرمه وقال له قد سمنت قال وتركتنا نسمن أخرجتنا من بغداد ثم من واسط ونحن لا نعقل ثم بذل صدقة الامان لجميع عسكر واسط ومن كان مع القيصرى سوى رجلين فعادوا اليه فامنهم وعاد القيصرى الى بركيارق وأعيدت خطبة السلطان محمد بواسط وخطب بعده لسيف الدولة وايلغازى واستناب كل واحد منهما فيها ولده وعادا عنها فى العشرين من جمادى الاولى وأمن أهل واسط مما كانوا يخافونه فاما ايلغازى فانه أصعد الى بغداد وأما سيف الدولة صدقة فانه عاد الى الحلة وأرسل ولده الاصغر منصورا مع ايلغازى الى المستظهر بالله يساله الرضا عنه فانه كان قد سخط بسبب هذه الحادثة فوصل الى بغداد وخاطب فى ذلك فاجيب اليه

(ذكر استيلاء صدقة على هيت)

كانت مدينة هيت لشرف الدولة مسلم بن قريش اقطعه اياها السلطان الب ارسلان ولم تزل معه حتى قتل فنظر فيها عمداء بغداد الى ان مات السلطان ملكشاه ثم أخذها اخوه تتش بن الب ارسلان فلما استولى السلطان بركيارق اقطعها لبهاء الدولة ثروان ابن وهب بن وهيبة واقام هو وجماعة من بنى عقيل عند سيف الدولة صدقة وكانا متصافيين وكان صدقة يزوره كثيرا ثم تنافرا وكان سبب ذلك ان صدقة زوج بنتا له من ابن عمه وكان ثروان قد خطبها فلم يجبه الى ذلك فتحالفت عقيل وهم فى حلة سيف الدولة ان يكونوا يدا واحدة عليه فانكر صدقة ذلك وحج ثروان عقيب ذلك وعاد

والالتزام وحساب الميرى والفائظ والمضاف والرماية والمرافعات والمراسلات والتشكى والتنجى مع الاقباط واستدعاء عظمائهم فى جمعياتهم وولائمهم والاعتناء بشانهم والتفاخر بترددهم والترداد عليهم والمهاداة فيما بينهم الى غير ذلك مما يطول شرحه واوقع مع ذلك زيادة عما هو بينهم من التنافر والتحاسد والتحاقد على الرياسة والتفاقم والتكالب على سفاسف الامور وحظوظ الانفس على الاشياء الواهية مع ما جبلوا عليه من الشح والشكوى والاستجداء وفراغ الاعين والتطلع للاكل فى ولائم الاغنياء والقراء والمعاتبة عليها ان لم يدعوا اليها والتعريض بالطلب واظهار الاحتياج لكثرة العيال والاتباع واتساع الدائرة وارتكابهم الامور المخلة بالمروءة المسقطة للعدالة كالاجتماع فى سماع الملاهى والاغانى والقيان والآلات المطربة واعطاء الجوائز والنقوط بمناداة الخلبوص وقوله واعلاماه فى السامر وهو يقول فى سامر الجمع بمسمع من النساء والرجال من عوام الناس وخواصهم برفع الصوت الذى يسمعه القاصى والدانى وهو يخاطب رئيسة المغانى ياستى حضرة شيخ الاسلام والمسلمين مفيد الطالبين الشيخ العلامة فلان منه كذا وكذا من النصيفات الذهب قدر مسماه كثير وجرمه قليل نتيجته التفاخر الكذب

كل ذلك من غير احتشام ولا مبالاة مع التضاحك والقهقهة المسموعة من البعد فى كل مجمع ومواظبتهم على الهزليات والمضحكات والفاظ الكناية المعبر عنها عند اولاد البلد بالانقاط والتنافس فى الاحداث الى غير ذلك (وفيه) فتحوا الطلب من الملتزمين بيواقى المرى على اربع سنوات ماضية (وفى عاشره) فتحوا ايضا فاتر الطلب بمرى السنة القابلة ووجهوا الطلب بها الى العسكر فدهى الناس بدواه متواليه منها خراب القرى بتوالى المظالم والمغارم والتكاليف وحق الطرق والاستحالات والتساويف والبشارات فكان أهل القرية النازل بها ذلك ينتقلون الى القرية المجاورة لشيخ من الاشياخ وقد بطلت الحماية ايضا حينئذ ثم انزلوا بالبنادر مغارم عظيمة لها قدر من الاكياس الكثيرة وذلك عقب فرصة البشارة مثل دمياط ورشيد والمحلة والمنصورة مائة كيس وخمسون كيسا ومائة وخمسون واكثر واقل (وفى اثناء ذلك) قرروا ايضا فرضة غلال وسمن وشعير وقول على البلاد والقرى وان لم يجد المعينون للطلب شيئا من الدراهم فى الحال اخذوا مواشيهم وابقارهم لتاتى اربابها ويدفعوا

مريضا فوكل به صدقة وقال لابد من هيت فارسل ثروان حاجبه وكتب خطه بتسليم البلد اليه وكان بهيت حينئذ محمد بن رافع بن رفاع بن ضبيعة بن مالك بن مقلد بن جعفر وارسل صدقة ابنه دبيسا مع الحاجب ليتسلمها فلم يسلم اليه محمد فعاد دبيس الى أبيه فلما اخذ صدقة واسطا هذه النوبة أصعد فى عسكره الى هيت فخرج اليه منصور ابن كثير ابن أخى ثروان ومعه جماعة من أصحابه فلقوا سيف الدولة وحاربوه ساعة من النهار ثم ان جماعة من الربعيين فتحوا لسيف الدولة البلد فدخله أصحابه فلما رأى ذلك منصور ومن معه سلموا البلد اليه فعامله يوم نزوله وخلع على منصور وجماعة من وجوه أصحابه وعاد الى حلته واستخلف عليه ابن عمه ثابت بن كامل

(ذكر الحرب بين بركيارق ومحمد)

فى هذه السنة ثامن جمادى الآخرة كان المصاف الخامس بين السلطان بركيارق والسلطان محمد وكانت كنجة وبلادا ران جميعها للسلطان محمد وبها عسكره ومقدمهم الامير غزغلى فلما طال مقام محمد باصبهان محصورا توجه غزغلى والامير منصور بن نظام الملك وابن أخيه محمد بن مؤيد الملك بن نظام الملك قاصدين لنصرته ليراهم بعين الطاعة كان آخر ما تقام فيه الخطبة لمحمد زنجان مما يلى اذربيجان فوصلوا الى الرى فى العشرين من ذى الحجة سنة خمس وتسعين ففارقه عسكر بركيارق ودخلوه واقاموا به ثلاثة ايام ووصلهم الخبر بخروج السلطان محمد من اصبهان وانه وصل الى ساوة فساروا اليه ولحقوه بها هذان ومعه ينال وعلى ابنا أنوشتكين الحسامى فبلغ عدتهم ستة آلاف فارس فاقاموا بها الى اواخر المحرم فاتاهم الخبر بان السلطان بركيارق قد أتاهم فتلونوا فى رأيهم فسار ينال وعلى ابنا أنوشتكين الى الرى على ما ذكرناه وعزم السلطان محمد على التوجه الى شروان فوصل الى اردبيل فارسل اليه الملك مودود بن اسمعيل بن ياقوتى صاحب بعض اذربيجان وكانت قبله لابيه اسمعيل بن ياقوتى وهو خال السلطان بركيارق وكانت اخته زوجة السلطان محمد وهو مطالب السلطان بركيارق بثاراته وقد تقدم مقتله اول دولة بركيارق وقال له ينبغى ان تقدم الينا لتجتمع كلمتنا على طاعتك وقتال خصمنا فسار اليه مجدا وتصيد فى طريقه بين اردبيل وبيلقان وانفرد عن عسكره فوثب عليه غمروهو غافل فجرح السلطان محمدا فى عضده فاخذ سكينا وشق بها جوف الخرقة القاه عن فرسه ونجا ثم ان مودود بن اسمعيل توفى فى النصف من ربيع الاول وعمره اثنتان وعشرون سنة ولما بلغ بركيارق اجتماع السلطان محمد والملك مودود سار غير متوقف فوصل بعد موت مودود وكان عسكر مودود قد اجتمعوا على طاعة السلطان محمد وحلفوا له وفيهم سكمان القبطى ومحمد بن باغيسيان الذى كان أبوه صاحب انطاكية وقزل ارسلان بن البسباسرى الاحمر فلما وصل بركيارق وقعت الحرب بينهما على باب خوى من أذربيجان عند غروب الشمس ودامت الى العشاء الآخرة فاتفق ان الامير اياز أخذ معه خمسمائة فارس مستريحين

وحمل بهم وقد اعيا العسكر من الجهتين على عسكر السلطان محمد فكسرهم وولوا الادبار لا يلوى أحد على أحد فاما السلطان بركيارق فانه قصد جبلا بين مراغة وتبريز كثير العشب والماء فاقام به أياما وسار الى زنجان وأما السلطان محمد فانه سار مع جماعة من أصحابه الى ارجيش من بلاد ارمينية على اربعين فرسخا من الوقعة وهي من اعمال خلاط من جملة اقطاع الامير سكمان القبطي وسار منها الى خلاط واتصل به الامير علي صاحب ارزن الروم وتوجه الى آني وصاحبها منوچهر اخو افضلون الروادي ومنها سار الى تبريز من اذربيجان وسنذكر باقي أخبارهم سنة سبع وتسعين عند صلحهم ان شاء الله تعالى وكان الامير محمد بن مؤيد الملك ابن نظام الملك مع السلطان محمد في هذه الوقعة فمر منهزما ودخل ديار بكر وانحدر منها الى جزيرة ابن عمر وسار منها الى بغداد وكان في حياة أبيه يقيم ببغداد في سوق المدرسة فاتصلت الشكاوى منه الى أبيه فكتب الى كوهرائين بالقبض عليه فاستجار بدار الخلافة وتوجه سنة اثنتين وتسعين الى مجد الملك البلاساني ووالده حينئذ بكنجة عند السلطان محمد قبل ان يخطب لنفسه بالسلطنة وتوجه بعد قتل مجد الملك الى والده وقد صار وزير السلطان محمد وخطب لمحمد بالسلطنة وبقي بعد قتل والده واتصل بالسلطان محمد وحضر معه هذه الحرب فانهزم

* (ذكر عزل سديد الملك وزير الخليفة ونظر أبي سعد بن الموصلايا في الوزارة) *

في هذه السنة منتصف رجب قبض على الوزير سديد الملك أبي المعالي وزير الخليفة وحبس في دار الخلافة وكان أهله قد وردوا عليه من أصبهان فنقلوا اليه وكان محبسه جميلا وسبب عزله جهله بقواعد ديوان الخلافة فانه قضى عمره في اعمال السلاطين وليس لهم هذه القواعد ولما قبض عاد أمين الدولة بن الموصلايا الى النظر في الديوان ومن عجيب ما جرى من الكلام الذي وقع بعد أيام ان سديد الملك كان يسكن في دار عميد الدولة بن جهير وجلس فيها مجلسا عاما يحضره الناس لوعظ المؤيد عيسى الغزنوي فانشدوا أبياتا ارتجلها

سديد الملك سدت وخضت بحرا * عميق اللج فاحفظ فيه روحك
وأحي معالم الخيرات واجعل * لسان الصدق في الدنيا فتوحك
وفي الماضين معتبر فاسرج * مروحك في السلامة أو جوحك

ثم قال سديد الملك من شرب من مرقة السلطان احترقت شفتاه ولو بعد زمان ثم أشار الى الدار وقال وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم فقبض على الوزير بعد أيام

* (ذكر ملك الملك دقاق مدينة الرحبة) *

في هذه السنة في شعبان ملك الملك دقاق بن تتش صاحب دمشق مدينة الرحبة وكانت بيد انسان اسمه قايماز من مماليك السلطان ألب ارسلان فلما قتل كربوقا استولى عليها فسار دقاق وطغتكين اتابكه اليه وحصراه بها ثم رحل عنه وتوفي قايماز هذه

على الجزارين ويرمونها عيالهم قهرا باقصى القيمة ويلزمونهم باحضار الثمن فان تراخوا وعجزوا شددوا عليهم بالحبس والضرب (وفي يوم الخميس ثالث عشره) مر الباشا في ناحية سويقة العزى سائرا الى ناحية بيت بلغيا وهناك المكتب فوق السبيل الذي بين الطريقين تجاه من يأتي من تلك الناحية فطلع الى ذلك المكتب شخصان من العسكر يرصدان الباشا في مروره فحيثما اتى مقابلا لذلك المكتب اطلقا في وجهه برودتين فاخطأتاه واصابت احدى الرصاصتين فرس فارس من الملازمين حوله فسقط ونزل الباشا عن جواده على مصطبة حانوت مغلقة وأمر الخدم باحضار الكامنين بذلك المكتب فطلعوا اليهما وقبضوا عليهما ثم حضر كبيرهم من دار قريبة من ذلك المكان واعتذر الى الباشا بانهما مجنونان وسكرانان فامره باخراجهما وسفرهما من مصر وركب وذهب الى داره (وفي يوم الاثنين ثالث عشرينه) اجتمع عسكر الارنؤد والترك على بيت محمد علي باشا وطلبوا علائفهم فوعدهم بالدفع فقالوا الانصبر وضربوا بنادق كثيرة ولم يزالوا واقفين

ثم انصرفوا وتفرقوا وارتجت البلد وارسل السيد عمر الى أهل الغورية والعقادين والاسواق يامرهم برفع

بضائعهم من الحوانيت ففعلوا واغلقوها فلما كان قبيل الغروب وصل الى بيت الباشا طائفة الدلاتيه وضربوا أيضا بنادق فضرب عليهم عسكر الباشا كذلك فقتل من الدلاة أربعة أنفار وانجرح بعضهم فانكفوا ورجعوا وبات الناس متخوفين وخصوصا نواحي الازهر واغلقوا البوابات من بعد الغروب وسهروا خلفها بالاسلحة ولم تفتح الابعد طلوع الشمس واصبح يوم الثلاثاء والحال على ما هو عليه من الاضطراب ونقل الباشا امتعته الثمينة تلك الليلة الى القلعة وكذلك فى ثانى يوم ثم انه طلع الى القلعة فى ليلة الاربعاء وشيعه حسن باشا الى القلعة ورجع الى داره ويقال ان طائفة من العسكر الذين معه بالدار أرادوا غدره تلك الليلة وعلم ذلك منهم باشارة بعضهم لبعض رمزا فغالطهم وخرج مستخفيا من البيت ولم يعلم بخروجه الا بعض خواصه الملازمين له وأكثرهم أقاربه وبلدياته ولما تحققوا خروجه من الدار وطلوعه الى القلعة صرف بوناباردته الخازندار الحاضرين فى الحال ونقل الامتعة والخزينة فى الحال وكذلك الخيول والسروج وخرجت عساكره يحملون ما بقى من المتاع والفرش والاوانى الى القلعة وأشيع فى البلدة ان العساكر نهبوا بيت الباشا وزاد اللغط والاضطراب ولم يعلم أحد من الناس حقيقة الحال حتى ولا كبار العسكر وزاد تخوف الناس من العسكر البيت

السنة فى صفر وقام مقامه غلام تركى اسمه حسن فابعد عنه كثيرا من جنده وخطب لنفسه وخاف من دقاق فاستظهر وأخذ جماعة من السلارية الذين يخافهم فقبض عليهم وقتل جماعة من أعيان البلد وحبس آخرين وصادرهم فتوجه دقاق اليه وحصره فسلم العامة البلد اليه واعتصم حسن بالقلعة فامنه دقاق فسلم القلعة اليه فاقطعه اقطاعا كثيرا بالشام وقرر أمرا لرحبة وأحسن الى أهلها وجعل فيها من يحفظها ورحل عنها الى دمشق

(ذكر اخبار الفرنج بالشام)

كان الافضل أمير الجيوش بمصر قد أنفذ مملوكا لابيه لقبه سعد الدولة ويعرف بالطواشى الى الشام لحرب الفرنج فلقيهم بين الرملة ويافا ومقدم الفرنج يعرف ببغدوين لعنه الله تعالى وتصافوا واقتتلوا فحملت الفرنج حملة صادقة فانهزم المسلمون وكان المنجمون يقولون لسعد الدولة انك تموت مترديا فكان يحذر من ركوب الخيل حتى انه ولى بيروت وأرضها مفروشة بالبلاط فقلعه خوفا ان تزلق به فرسه أو يعثر فلم ينفعه الحذر عند نزول القدر فلما كانت هذه الوقعة انهزم فتردى به فرسه فسقط ميتا وملك الفرنج خيمه وجميع ما للمسلمين فارسل الافضل بعده ابنه شرف المعالى فى جمع كثير فالتقواهم والفرنج بيازوز بقرب الرملة فانهزم الفرنج وقتل منهم مقتلة عظيمة وعاد من سلم منهم مفلولين فلما رأى بغدوين شدة الامر وخاف القتل والاسر ألقى نفسه فى الحشيش واختفى فيه فلما بعد المسلمون خرج منه الى الرملة وسار شرف المعالى بن الافضل من المعركة ونزل على قصر بالرملة وبه سبعمائة من أعيان الفرنج وفيهم بغدوين فخرج متخفيا الى يافا وقاتل ابن الافضل من بقى خمسة عشر يوما ثم اخذهم فقتل منهم اربعمائة صبرا واسر ثلثمائة الى مصر ثم اختلف اصحابه فى مقصدهم فقال قوم نقصد البيت المقدس ونتملكه وقال قوم نقصد يافا ونملكها فبينما هم فى هذا الاختلاف اذ وصل الى الفرنج خلق كثير فى البحر قاصدين زيارة البيت المقدس فندبهم بغدوين للغزو معه فساروا الى عسقلان وبها شرف المعالى فلم يكن يقوى بحربهم فلطف الله تعالى بالمسلمين فرأى الفرنج البحرية حصانة عسقلان وخافوا البيات فرحلوا الى يافا وعاد ولد الافضل الى ابيه فسير رجلا يقال له تاج الجهم فى البر وهو من اكبر مماليك ابيه وجهز معه اربعة آلاف فارس وسير فى البحر رجلا يقال له القاضى ابن قادوس فى الاسطول على يافا ونزل تاج الجهم على عسقلان فاستدعاه ابن قادوس اليه ليتفقا على حرب الفرنج فقال تاج الجهم ما يمكننى ان انزل اليك الا بامر الافضل ولم يحضر عنده ولا اعانه فارسل القادوسى الى قاضى عسقلان وشهودها واعيانها واخذ خطوطهم بانه اقام على يافا عشرين يوما واستدعى تاج الجهم فلم يأته ولا أرسل رجلا فلما وقف الافضل على الحال أرسل من قبض على تاج الجهم وأرسل رجلا لقبه جمال الملك فاسكنه عسقلان وجعله متقدم العساكر الشامية وخرجت هذه السنة وبيد الفرنج لعنهم الله

البيت المقدس وفلسطين ماعدا عسقلان ولهم أيضا يافا وارسوف وقيسارية وحيفا وطبرية ولاذقية وانطاكية ولهم بالجزيرة الرها وسروج وكان صنجيل يحاصر مدينة طرابلس الشام والمواد تاتيها وبها فخر الملك بن عمار وكان يرسل أصحابه فى المراكب يغيرون على البلاد التى بيد الفرنج ويقتلون من وجدوا وقصد بذلك أن يخلوا السواد ممن يزرع لنقل المواد عن الفرنج فيرحلوا عنه

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة سادس المحرم توفيت بنت امير المؤمنين القائم بامر الله التى كانت زوجة السلطان طغرلبك وكانت موصوفة بالدين وكثرة الصدقة وكان الخليفة المستظهر بالله قد الزمها بيته لانه أبلغ عنها انها تسعى فى ازالة دولته وفيها فى شعبان ايضا استوزر المستظهر بالله زعيم الرؤساء أبا القاسم بن جهير واستقدمه من الحلة من عند سيف الدولة صدقة وقد ذكرنا فى السنة المتقدمة سبب مسيره اليها فلما قدم الى بغداد خرج كل أرباب الدولة فاستقبلوه وخلع عليه الخلع التامة واجلس فى الديوان ولقب قوام الدين وفيها أيضا قتل ابو المظفر بن الخجندى بالرى وكان يعظ الناس فقتله رجل علوى حين نزل من كرسيه وقتل العلوى ودفن الخجندى بالجامع وأصل بيت الخجندى من مدينة خجندة بماوراء النهر وينسبون الى المهلب بن ابى صفرة وكان نظام الملك قد سمع ابا بكر محمد بن ثابت الخجندى يعظ بمرو فاعجبه كلامه وعرف محله من الفقه والعلم فحمله الى اصبهان وصار مدرسا بمدرسته بها فنال جاها عريضا ودنيا واسعة وكان نظام الملك يتردد اليه ويزوره وفيها جمع ساغربك بماوراء النهر جموعا كثيرة وهو من أولاد الخانية وقصد محمد خان الذى ملكه السلطان سنجر سمرقند ونازعه فى ملكها فضعف محمد خان عنه فارسل الى السلطان سنجر يستنجده فسار الى سمرقند فابعد عنه ساغربك وخافه واحتمى منه وارسل يطلب الامان من سنجر والعفو فاجابه الى ما طلب وحضر ساغربك عنده وقرر الصلح بينه وبين محمد خان وحلف كل واحد منهما لصاحبه وعاد الى خراسان فوصل الى مرو فى ربيع الاول سنة سبع وتسعين واربعمائة وفيها توفى ابو المعالى الصالح ساكن باب الطاق وكان مقلا من الدنيا له كرامات ظاهرة

(ثم دخلت سنة سبع وتسعين واربعمائة)

(ذكر ملك بلك بن بهرام بن ارتق مدينة عانة)

فى هذه السنة فى المحرم استولى بلك بن بهرام بن ارتق وهو ابن أخى ايلغازى بن ارتق على مدينة عانة والحديثة وكان له مدينة سروج فاخذها الفرنج منه فسار عنها الى عانة واخذها من بنى يعيش بن عيسى بن خلاط فقصد بنو يعيش سيف الدولة صدقة بن مزيد ومعهم مشايخهم فسالوه الاصعاد اليها وان يتسلمها منهم ففعل واصعد معهم فرحل التركمان وبهرام عنها وأخذ صدقة رهائنهم وعاد الى حلته فرجع بلك اليها ومعه الفا رجل من التركمان فخانه أصحابه قليلا واستدل على المخاضة اليها فخاضها وعبر

وباب القلعة مفتوح والعساكر مرابطون به وواقفون باسلحتهم وطلع افراد من كبار العسكر بدون طوائفهم ونزلوا واستمر الحال على ذلك يوم الجمعة والعسكر والناس فى اضطراب وكل طائفة متخوفة من الاخرى والارنؤد فرقتان فرقة تميل الى الاتراك وفرقة تميل الى جنسها والدلاة تميل الى الاتراك وتكره الارنؤد وهم كذلك والناس متخوفة من الجميع ومنهم من يخشى من قيام الرعية ويظهر التودد لهم وقد صاروا مختلطين بهم فى المساكن والحارات وتاملوا وتزوجوا منهم (وفى يوم السبت) طلع طائفة من المشايخ الى القلعة وتكلموا وتشاوروا فى تسكين هذا الحال باى وجه كان ثم نزلوا (وفى ليلة الاحد) كانت رؤية هلال رمضان فلم يعمل الموسم المعتاد وهو الاجتماع ببيت القاضى وما يعمل به من الحراقة والنفوط والشنك وركوب المحتسب ومشايخ الحرف والزمور والطبول واجتماع الناس للفرجة بالاسواق والشوارع وبيت القاضى فبطل ذلك كله ولم تثبت الرؤية تلك الليلة وأصبح يوم الاحد والناس مفطرون فلما كان وقت الضحوة نودى بالامساك ولم تعلم

*(واستهل شهر رمضان بيوم الاثنين سنة ١٢٢٢) الكيفية

وفى ليلته بين العصر والمغرب ضربوا مدافع كثيرة من القلعة وأردفوا ذلك بالبنادق الكثيرة المتتابعة وكذلك

العسكر الكائنون بالبلدة فعلوا كفعلهم من كل ناحية ومن أسطحة الدور والمساكن وكان شيئا هائلا واستمر ذلك الى بعد الغروب وذلك شئ لقدوم رمضان فى دخوله وانقضائه (وفى رابعه) انكشفت القضية عن طلب مبلغ ألفى كيس بعد جمعيات ومشاورات تارة ببيت السيد عمر النقيب وتارة فى امكنة اخرى كبيت السيد المحروقى وخلافه حتى رتبوا ذلك ونظموه فوزع منه جانب على رجال دائرة الباشا وجانب على المشايخ الملتزمين نظير مسموحهم فى فرض حصصهم التى اكلوها وهى مبلغ مائتى كيس وزعت على القراريط على كل قيراط ثلاثة آلاف نصف فضة على سبيل القرض لاجل ان ترد أو تحسب لهم فى الكشوفات من رفع المظالم ومال الجهات ياخذونها من فلاحيهم وفرض من ذلك مبالغ على ارباب الحرف واهل الغورية ووكالة الصابون ووكالة القرب والتجار الآفاقية واستقر ديوان الطلب ببيت ابن الصاوى بما يتعلق بالفقهاء واتمعيل الطوبجى بالمطلوب من طائفة الاتراك واهل خان الخليلى والمرجع فى الطلب والدفع والرفع الى السيد عمر النقيب واجتمع الكثير من اهل الحرف كالصرماتية وامثالهم والتجؤا خدمة

وملكهم ونهبهم وسبى جميع حرمهم واحدر طالباهيت من الجانب الشامى فبلغ الى قريب منها ثم رجع من يومه ولما سمع صدقة جهز العساكر ثم أعادهم عند عود بلك

(ذكر غارة الفرنج على الرقة وقلعة جعبر)

فى هذه السنة فى صفر اغار الفرنج من الرها على مرج الرقة وقلعة جعبر وكانوا لما خرجوا من الرها افترقوا فرقتين واتعدوا يوما واحدا تكون الغارة على البلدين فيه ففعلوا ما استقر بينهم واغاروا واستاقوا المواشى واسروا من وقع بايديهم من المسلمين فكانت القلعة والرقة لسالم بن مالك بن بدران بن المقلد بن المسيب سلمها اليه السلطان ملكشاه سنة تسع وسبعين وقد ذكرناه فيها

(ذكر الصلح بين السلطان بركيارق ومحمد)

فى هذه السنة فى ربيع الآخر وقع الصلح بين السلطانين بركيارق ومحمد ابنى ملكشاه وكان سببه ان الحروب تطاولت بينهما وعم الفساد فصارت الاموال منهوبة والدماء مسفوكة والبلاد مخربة والقرى محرقة والسلطنة مطموعا فيها محكوما عليها واصبح الملوك مقهورين بعد ان كانوا قاهرين وكان الامراء الاكابر يؤثرون ذلك ويختارونه ليدوم تحكمهم وانبساطهم وادلالهم وكان السلطان بركيارق حينئذ بالرى والخطبة له بها وبالجبل وطبرستان وخوزستان وفارس وديار بكر والجزيرة وبالحرمين الشريفين وكان السلطان محمد باذربيجان والخطبة له فيه وببلاد ارانية وارمينية واصبهان والعراق كلها ما عدا تكريت واما اعمال البطائح فيخطب بعضها لبركيارق وبعضها لمحمد واما البصرة فكان يخطب فيها لهما جميعا واما خراسان فان السلطان سنجر كان يخطب له فى جميعها وهى من حدود جرجان الى ماوراء النهر ولاخيه السلطان محمد فلما راى السلطان بركيارق المال عنده معدوما والطمع من العسكر زائدا ارسل القاضى ابا المظفر الجرجانى الحنفى وابا الفرج احمد بن عبد الغفار الهمذانى المعروف بصاحب قراتكين الى اخيه محمد فى تقرير قواعد الصلح فساروا اليه وهو بالقرب من مراغة فذكرا له ما ارسلا فيه ورغباه فى الصلح وفضيلته وما شمل البلاد من الخراب وطمع عدو الاسلام فى اطراف الارض فاجاب الى ذلك وارسل فيه رسلا واستقر الامر وحلف كل واحد منهما لصاحبه وتقررت القاعدة ان السلطان بركيارق لا يعترض اخاه محمدا فى الطبل وان لا يذكر معه على سائر البلاد التى صارت له وان لا يكاتب احدهما الآخر بل تكون المكاتبة من الوزيرين ولا يعارض احدهما من العسكر فى قصد أيهما شاء وان يكون للسلطان محمد من النهر المعروف باسبيذرود الى باب الابواب وديار بكر والجزيرة والموصل والشام ويكون له من بلاد العراق بلاد سيف الدولة صدقة فاجاب بركيارق الى هذا وزال الخلف واشتغب وارسل السلطان محمد الى اصحابه باصبهان يامرهم بالانصراف عن البلد وتسليمه الى اصحاب اخيه وسار السلطان بركيارق الى اصبهان فلما سلمه اليه اصحاب اخيه دعاهم الى ان يكونوا معه وفى خدمته فامتنعوا واوراوا الزوم

خدمة صاحبهم فسماهم اهل العسكر بن جميعا اهل الوفاء وتوجهوا من اصبهان ومعهم حريم السلطان محمد اليه واكرمهم بركيارق وحمل لاهل اخيه المال الكثير ومن الدواب ثلثمائة جمل ومائة وعشرين بغلا تحمل الثقل وسير معهم العساكر يخدمونهم ولما وصلت رسل السلطان بركيارق الى الخليفة المستظهر بالله بالصلح وما استقرت القواعد عليه حضر ايلغازى بالديوان وسال فى اقامة الخطبة لبركيارق فاجيب الى ذلك وخطب له بالديوان يوم الخميس تاسع عشر جمادى الاولى وخطب له من الغد بالجوامع وخطب له ايضا بواسط ولما خطب ايلغازى ببغداد لبركيارق وصار فى جملته ارسل الامير صدقة الى الخليفة يقول كان أمير المؤمنين ينسب الى كل ما يتجدد من ايلغازى من اخلال بواجب الخدمة وشرط الطاعة ومن اطراح المراقبة والآن فقد ابدى صفحته للطاغى الذى استنابه وأنا غير صابر على ذلك بل أسير لاخراجه عن بغداد فلما سمع ايلغازى ذلك شرع فى جمع التركمان ووردوا صدقة بغداد فنزل مقابل التاج وقبل الارض ونزل فى مخيمه بالجانب الغربى ففارق ايلغازى بغداد الى بعقوبا وأرسل الى صدقة يعتذر من طاعته لبركيارق بالصلح الواقع وان اقطاعه حلوان وغيرها فى جملة بلاده وان بغداد التى هو شحنة فيها قد صارت له فذلك الذى ادخله فى طاعته فرضى عنه صدقة وعاد الى الحلة وفى ذى القعدة سيرت الخلع من الخليفة للسلطان بركيارق وللامير ايازولوزير بركيارق وهو الخط يروا العهد بالسلطنة وحلفوا جميعهم للخليفة وعادوا

(ذكر ملك الفرنج جبيل وعكا من الشام)

فى هذه السنة وصلت مراكب من بلاد الفرنج الى مدينة لاذقية فيها التجار والاجناد والحجاج وغير ذلك واستعان بهم صنجيل الفرنجى على حصار طرابلس فحصروها معه براوبحرا وضايقوها وقاتلوها اياما فلم يروا فيها مطمعا فرحلوا عنها الى مدينة جبيل فحصروها وقاتلوا عليها قتالا شديدا فلما راى اهلها عجزهم عن الفرنج اخذوا اماما وسلموا البلد اليهم فلم تف الفرنج لهم بالامان واخذوا اموالهم واستنقذوها بالعقوبات وانواع العذاب فلما فرغوا من جبيل ساروا الى مدينة عكا استنجدهم الملك بغدوين ملك الفرنج صاحب القدس على حصارها فنازلوها وحصروها فى البر والبحر وكان الوالى بها اسمه بنا و يعرف بزهر الدولة الجيوشى نسبة الى ملك الجيوش الافضل فقاتلهم أشد قتال فزحفوا اليه غير مرة فعجز عن حفظ البلد فخرج منه وملك الفرنج البلد بالسيف قهرا وفعلوا باهله الافعال الشنيعة وسار الوالى به الى دمشق فاقام بها ثم عاد الى مصر واعتذر الى الافضل فقبل عذره

(ذكر غزو سقمان وجكرمش الفرنج)

لما استطال الفرنج خذلهم الله تعالى بما ملكوه من بلاد الاسلام واتفق لهم اشتغال عساكر الاسلام وملوكه بقتال بعضهم بعضا تفرقت حينئذ بالمسلمين الآراء واختلفت

واعطاه صلوفته فامتنع من الخروج وقال أنا لى عنده خمسون كيسا ولا اسافر حتى أقبضها وذلك انه فى حياة

المبلغ المطلوب من الشخص وعليها حق الطريق وهم قواسة اتراك وعسكر ودلاة وقواسة بلدى ودهى الناس بهذه الداهية فى الشهر المبارك فيكون الانسان نائما فى بيته ومتفكرا فى قوت عياله فيدهمه الطلب ويأتيه المعين قبل الشروق فيزعجه ويصرخ عليه بل ويطلع الى جهة حريمه فينتبه كالمفلوج من غير اصطباح ويلاطف المعين ويعده ويأخذ بخاطره ويدفع له كراء طريقه المرسوم له فى الورقة المعين بها المبلغ المطلوب قبل كل شئ فما يفارقه الا ومعين آخر واصل اليه على النسق المتقدم وهكذا (وفيه) حضر محمد كتخدا شاهين بك الالفى بجواب عن مراسلة أرسلها الباشا الى مخدومه فاقام أياما ينشا ومع الباشا فى مصالحته مع شاهين بك وحصل الاتفاق على حضور شاهين بك الى الجيزة ويتراضى مع الباشا على العروسافر فى ثانى عشره وصحبته صالح اغا السلحدار (وفى يوم الخميس ثامن عشره) قصد الباشا نفى رجب اغا الارنؤدى وارسل اليه يامره بالخروج والسفر بعدان قطع خرجه

جيلته عليه أعطاه خمسين
كيسا فذهب عند الالفى
والتجا اليه واظهر انه راغب
فى خدمته وكره الباشا وظلمه
فرحب به وقبله وأكرمه مع
التحذر منه فلما طال به الامد
ولم يتمكن من قصده رجع الى
الباشا فلما امره بالذهاب أخذ
يطالبه بالخمسين كيسا
فامتنع الباشا وقال جعلت له
ذلك فى نظير شئ يفعله ولم يخرج
من يده فعله فلا وجه لمطالبته
به واستمر رجب اغا فى عناده
وذلك انه لا يهون بهم مفارقة
مصر التى صاروا فيها أمراء
واكابر بعدان كانوا يحتطبون
فى بلادهم و يتكسبون
بالصنائع الدنيئة ثم انه جمع
جيشه اليه من الارنؤد بناحية
سكنه وهو بيت حسن كتخدا
الجربان بباب اللوق فارسل
اليه الباشا من يحاربه فحضر
حسن اغا سر شمه من ناحية
قنطرة باب الخرق وحضر ايضا
الجم الكثير من الاتراك
وكبرائهم من جهة المدابغ
وعمل كل منهم متاريس من
الجهتين وتقدموا قليلا حتى
قربوا من مساكن الارنؤد
تجاه بيت البارودى فلم
يتجاسروا على الاقدام عليهم
من الطريق بل دخلوا من
البيوت التى فى صفهم ونقبوا
من بيت الى آخر حتى انتهوا
الى اول منزل من مساكنهم فنقبوا البيت الذى يسكن به الشيخ محمد سعد البكرى ونفذوا منه الى المنزل الذى بجواره فى

الاهواء وتمزقت الاموال وكانت حران لمملوك من مماليك ملكشاه اسمه قراجه
فاستخلف عليها انسانا يقال له محمد الاصبهانى وخرج فى الاعام الماضى فعصى الاصبهانى
على قراجه وأعانه أهل البلد لظلم قراجه وكان الاصبهانى جلداشهما فلم يترك بحران
من أصحاب قراجه سوى غلام تركى يعرف بجاولى وجعله اصفهسلار العسكر وانس
به فخاص معه يوما للشرب فاتفق جاولى مع خادم له على قتله فقتلاه وهو سكران فعند
ذلك سار الفرنج الى حران وحصروها فلما سمع معين الدولة سقمان وشمس الدولة
جكرمش ذلك وكان بينهما حرب وسقمان يطالبه بقتل ابن أخيه وكل منهما يستعد للقاء
صاحبه وانا اذكر سبب قتل جكرمش له ان شاء الله تعالى أرسل كل منهما الى صاحبه
يدعوه الى الاجتماع معه لتلافى امر حران و يعلمه انه قد بذل نفسه لله تعالى وثوابه
فكل واحد منهما اجاب صاحبه الى ما طلب منه وسارا فاجتمعا على الخابور وتحالفا
وسارا الى لقاء الفرنج وكان مع سقمان سبعة آلاف فارس من التركمان ومع جكرمش
ثلاثة آلاف فارس من الترك والعرب والاكراد فالتقوا على نهر البليخ وكان المصاف
بينهم هناك فاقتتلوا فاظهر المسلمون الانهزام فتبعهم الفرنج نحو فرسخين فعاد عليهم
المسلمون فقتلوهم كيف شاؤا وامتلأت أيدى التركمان من الغنائم ووصلوا الى
الاموال العظيمة لان سواد الفرنج كان قريبا وكان بيمند صاحب انطاكية وطنكرى
صاحب الساحل قد انفردا وراء جبل ليأتيا المسلمين من وراء ظهورهم اذا اشتدت
الحرب فلما خرجا رايا الفرنج منهزمين وسوادهم منهوبا فاقاما الى الليل وهربا فتبعهم
المسلمون وقتلوا من أصحابهما كثيرا وأسروا كذلك وافلتا فى ستة فرسان وكان
القمص برد ويل صاحب الرها قد انهزم مع جماعة من عساكرهم وخاضوا نهر البليخ
فوجدت خيولهم فاعترضها كمانى من أصحاب سقمان فاخذهم وحمل برد ويل الى خيم
صاحبه وقد سار فيمن معه لاتباع بيمند فرأى اصحاب جكرمش ان اصحاب سقمان قد
استولوا على مال الفرنج و يرجعون هم من الغنيمة بغير طائل فقالوا لجكرمش اى منزلة
تكون لنا عند الناس وعند التركمان اذا انصرفوا بالغنائم دوننا وحسنوا له أخذ
القمص فانفذ اخذ القمص من خيم سقمان فلما علم سقمان شق عليه الامر وركب
اصحابه للقتال فردهم وقال لهم لا يقوم فرح المسلمين فى هذه الغزاة بغمهم باختلافنا ولا
اوثر شفاء غيظى بشماتة الاعداء بالمسلمين ورحل لوقته واخذ سلاح الفرنج ورايا تهم
وألبس اصحابه لبسهم وارك بهم خيلهم وجعل ياتى حصون شيحان وبها الفرنج
فيخرجون ظنا منهم ان اصحابهم نصروا فيقتلهم ويأخذ الحصن منهم ففعل ذلك بعدة
حصون واما جكرمش فانه سار الى حران فتسلمها واستخلف بها صاحبه وسار الى الرها
فحصرها خمسة عشر يوما وعاد الى الموصل ومعه القمص الذى اخذه من خيام سقمان
ففاداه بخمسة وثلاثين دينارا ومائة وستين اسيرا من المسلمين وكان عدة القتلى من
الفرنج يقارب اثنى عشر الف قتيل

(ذكر وفاة دقاق ومملك ولده)

فى هذه السنة فى شهر رمضان توفى الملك دقاق بن تتش بن الب أرسلان صاحب دمشق وخطب اتابكه طغتكين لولده صغير له سنة واحدة وجعل اسم المملكة فيه ثم قطع خطبته وخطب لبكاش بن تتش عم هذا الطفل فى ذى الحجة وله من العمر اثنتا عشرة سنة ثم ان طغتكين أشار عليه بقصد الرحبة فخرج اليها فملكها وعاد فمنعه طغتكين من دخول البلد فمضى الى حصون له وأعاد طغتكين خطبة الطفل ولد دقاق وقيل ان سبب استيحاش بكاش من طغتكين ان والدته خوفته منه وقالت انه زوج والدة دقاق وهى لا تتركه حتى تقتله و يستقيم الملك لولدها فخاف ثم انه حسن له من كان يحسد طغتكين مفارقة دمشق وقصد بعلبك وجمع الرجال والاستنجاد بالفرنج والعود الى دمشق واخذها من طغتكين فخرج من دمشق سرا فى صفر سنة ثمان وتسعين ولحقه الامير ايتكين الحلبى وهو من جملة من قرر مع بكتاش ذلك وهو صاحب بصرى فعاثا فى نواحى حوران ولحق بهما كل من يريد الفساد وراسلا بغدوين ملك الفرنج يستنجدانه فاجابهما الى ذلك وسارا اليهما فاجتمعا به وقررا القواعد معه واقاما عنده مدة فلم يريا منه غير التحريض على الافساد فى اعمال دمشق وتخريبها فلما يئسا من نصره عادا من عنده وتوجها فى البرية الى الرحبة فملكها بكتاش وعاد عنها واستقام امر طغتكين بدمشق واستبد بالامر واحسن الى الناس و بث فيهم العدل فسر وابه سرورا كثيرا

(ذكر استيلاء صدقة على واسط)

فى هذه السنة فى شوال انحدر سيف الدولة صدقة بن مزيد من الحلة الى واسط فى عسكر كثير وامر فنودى بها فى الاتراك من أقام فقد برئت منه الذمة فساروا جماعة منهم الى بركيارق وجماعة الى بغداد وصار مع صدقة جماعة منهم ثم انه احضر مهذب الدولة بن أبى الجبر صاحب البطيحة وضمنه البلد لمدة آخرها آخر السنة بخمسين ألف دينار وعاد الى الحلة واقام مهذب الدولة بواسط الى سادس ذى القعدة وانحدر الى بلده

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى ربيع الاول اطلق سديد الملك ابو المعالى من الاعتقال وهو الذى كان وزير الخليفة ولما اطلق هرب الى الحلة السيفية ومنها الى السلطان بركيارق فولاه الاشراف على ممالكه وفيها توفى أمين الدولة ابو سعد العلاء بن الحسن بن الموصلايا بجاة وكان اقدا ضر وكان بليغا فصيحا وكان ابتداء خدمته للقائم بامر الله سنة اثنتين وثلاثين واربعمائة فخدم الخلفاء خمسا وستين سنة كل يوم تزداد منزلته حتى ناب عن الوزارة وكان نصرانيا فاسلم سنة اربع وثمانين وكان كثير الصدقة جميل المحضر صالح النية ووقف أملاكه على أبواب البر ومكاتباته مشهورة حسنة ولما مات خلع على ابن أخته ابى نصر ولقب نظام الحضرتين وقلد ديوان الانشاء وفيها كانت ببغداد بين العامة فتن كثيرة وانتشر العيارون وفيها قتل أبو نعيم بن ساوة الطبيب الواسطى وكان

المعروف بابى دفية الملاصق لمسكن طائفة من الارتو وعبثوا فى الدور وازعجوا اهلها بقبيح افعالهم فانهم عند ما يدخلون فى اول بيت يصعدون الى الحريم بصورة منكرة من غير ستور ولا استئذان و ينقبون من مساكن الحريم العليا فيهدمون الحائط ويدخلون منها الى محل حريم الدار الاخرى وتصعد طائفة منهم الى السطح وهم يرمون بالبنادق فى الهواء فى حال مشيهم وسيرهم وهكذا ولا يخفى ما يحصل للنساء من الانزعاج ويصرن يصرخن ويعجن باطفالهن و يهربن الى الحارات الاخرى مثل حارة قواديس وناحية حارة عابدين بظاهر الدور المذكورة بغاية الخوف والرعب والمشقة وطفقت العساكر تنهب الامتعة والثياب والفرش و يكسرون الصناديق ويأخذون ما فيها ويأكلون ما فى القدور من الاطعمة فى نهار رمضان من غير احتشام ولقد شاهدت اثر قبيح فعلهم ببيت ابى دفية المذكور من الصناديق المكسرة وانتشار حشو الوسائد والمراتب التى فتقوها واخذوا ظروفها ولم يسلم لاصحاب المساكن سوى ما كان لهم خارج دورهم و بعيدا عنها أو وزعوه قبل الحادثة واصيب محمد افندى أبو دفية برصاصة أطلقها بعضهم من النقب الذى نقب عليهم نفذت من كتفه وكذلك فعل العساكر التى اتت من ناحية المدابغ

من الحذاق فى الطب وله فيه اصابات حسنة وفيها عزل السلطان سنجر وزيره المجير أبا الفتح الطغرائى وسبب ذلك ان الامير بزغش وهو اصفهسلار العسكر السنجرى القى اليه ملطف فيه لا يتم لك امر مع هذا السلطان ووقع الى سنجر لا يتم لك امر مع الامير بزغش مع كثرة جموعه فجمع بزغش اصحاب العمائم وعرض عليهم الملطفين فاتفقوا على كاتب الطغرائى وظهرت عليه فقتل وقبض سنجر على الطغرائى واراد قتله فمنعه بزغش وقال له حق خدمة فابعده الى غزنة وفيها جمع بزغش كثيرا من عساكر خراسان وأتاه كثير من المتطوعة وسار الى قتال الاسماعيلية فقصد طبس وهى لهم فخربها وما جاورها من القلاع والقرى وأكثر فيهم القتل والنهب والسبى وفعل بهم الافعال العظيمة ثم ان أصحاب سنجر أشاروا بان يؤمنوا ويشرط عليهم انهم لا يبنون حصنا ولا يشترون سلاحا ولا يدعون أحدا الى عقائدهم فسخط كثير من الناس هذا الامان وهذا الصلح ونقموه على سنجر ثم ان بزغش بعد عوده من هذه الغزاة توفى وكانت خاتمة امره الجهاد رحمه الله وفى هذه السنة توفى أبو بكر على بن احمد بن زكريا الطريثيثى وكان صوفيا محدثا مشهورا وفى رجب توفى القاضى أبو الحسين احمد بن محمد الثقفى قاضى الكوفة ومولده فى ربيع الاول سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة وهو من ولد عروة بن مسعود ومن تلاميذ القاضى الدامغانى وولى القضاء بعده ابنه أبو البركات وفى ربيع الآخر توفى أبو عبد الله الحسين بن على بن البسرى البندار المحدث ومولده سنة اربع واربعمائة

(تم دخلت سنة ثمان وتسعين واربعمائة)

(ذكر وفاة السلطان بركيارق)

فى هذه السنة ثانى شهر ربيع الآخر توفى السلطان بركيارق بن ملكشاه وكان قد مرض باصبهان بالسل والبواسير فسار منها فى محفة طالبا بغداد فلما وصل الى بروجرد ضعف عن الحركة فاقام بها اربعين يوما فاشتد مرضه فلما ايس من نفسه خلع على ولده ملكشاه وعمره حينئذ اربع سنين وثمانية اشهر وخلع على الامير اياز واحضر جماعة الامراء واعلمهم انه قد جعل ابنه ولى عهده فى السلطنة وجعل الامير اياز اتابكه وامرهم بالطاعة لهما ومساعدتهما على حفظ السلطنة لولده والذب عنها فاجابوا كلهم بالسمع والطاعة وبذل النفوس والاموال فى حفظ ولده وسلطنته عليه واستحلفهم على ذلك فحلفوا وامرهم بالمسير الى بغداد فساروا فلما كانوا على اثنى عشر فرسخا من بروجرد وصلهم خبر وفاته وكان بركيارق قد تخلف على عزم العود الى اصبهان فعاجلته منيته فلما سمع الامير اياز بموته امر وزيره الخطير الميبذى وغيره بان يسيروا مع تابوته الى اصبهان فحمل اليها ودفن فى تربة جددتها له سريته ثم ماتت بعد ايام فدفنت بازائه واحضر اياز السرادقات والخيام والجار والشمسة وجميع ما يحتاج اليه السلطان فجعله برسم ولده ملكشاه

بالبيوت الاخرى واستمروا على هذه الافعال ثلاثة أيام بلياليها فلما كان ليلة الاثنين ثانى عشرينه حضر عمر بك كبير الارنؤد الساكن ببولاق وصالح قوج الى رجب اغا المذكور واركباه واخذاه الى بولاق وبطل الحرب بينهم ورفعوا المتاريس فى صبحها وانكشفت الواقعة عن نهب البيوت ونقبها وازعاج أهلها ومات فيما بينهم أنفار قليلة وكذلك مات اناس وانجرح أناس من اهل البلد (وفى يوم السبت) وصل شاهين بك الالفى الى دهشور ووصل صحبته مراكب بها سفار وهدية من ابراهيم بك ومحمد بك المرادى المعروف بالمنفوخ برسم الباشا وهى نحو الثلاثين حصانا ومائة قنطار بن قهوة ومائة قنطار سكر وأربع خصيان وعشرون جارية سوداء فلما وصل شاهين بك الى دهشور فحضر محمد كتخداه وعلى كاشف الكبير فارسل الباشا اليه صحبتهما هدية ومعهما ولده وديوان افندى (وفى خامس عشرينه) سافر رجب أغا وتخلف عنه كثير من عساكره واتباعه وذهب من ناحية دمياط (وفيه) حضر ديوان افندى من دهشور وابن الباشا أيضا وخلع شاهين بك على ابن الباشا فروة وقدم له تقدمة وسلاحا نفيسا انكليزيا (وفى ثامن عشرينه) وصل شاهين بك الى شبرامنت وقد امر الباشا بان يخلوا له الجيزة وينتقل منها الكاشف والعسكر فعدى الجميع

والمدافع وآلات الحرب وغيرها

(ذكر عمره وشئ من سيرته)

لما توفى بركيارق كان عمره خمسا وعشرين سنة ومدة وقوع اسم السلطنة عليه اثنتى عشرة سنة وأربعة أشهر وقاسى من الحروب واختلاف الامور عليه مالم يقاسه أحد واختلفت به الاحوال بين رخاء وشدة وملك وزواله واشرف فى عدة نوب بعد اسلام النعمة على ذهاب المهجة ولما قوى امره فى هذا الوقت واطاعه المخالفون وانقادوا له ادركته منيته ولم يهزم فى حروبه غير مرة واحدة وكان امراؤه قد طمعوا فيه للاختلاف الواقع حتى انهم كانوا يطلبون نوابه ليقتلوهم فلا يمكنه الدفع عنهم وكان متى خطب له ببغداد وقع الغلاء ووقفت المعايش والمكاسب وكان اهلها مع ذلك يحبونه ويختارون سلطانه وقد ذكرنا من تغلب الاحوال به ما وقفت عليه ومن اعجبها دخوله اصبهان هاربا من عمه تتش فمكنه عسكر اخيه محمود صاحبها من دخولها ليقبضوا عليه فاتفق ان اخاه محمودا مات فاضطروا الى ان يملكوه وهذا من احسن الفرج بعد الشدة وكان حليما كريما صبورا عاقلا كثير المداراة حسن القدرة لا يبالغ فى العقوبة وكان عفوه اكثر من عقوبته

(ذكر الخطبة للملكشاه بن بركيارق)

فى هذه السنة خطب للملكشاه بن بركيارق بالديوان يوم الخميس سلخ ربيع الآخر وخطب له بجوامع بغداد من الغد يوم الجمعة وكان سبب ذلك ان ايلغازى شحنة بغداد سار فى المحرم الى السلطان بركيارق وهو باصبهان يحثه على الوصول الى بغداد ورحل مع بركيارق فلما مات بركيارق سار مع ولده ملكشاه والاميرايازالى بغداه فوصلوها سابع عشره ربيع الآخر ولقوا فى طريقهم بردا شديدا لم يشاهد وامثله بحيث انهم لم يقدروا على الماء لجموده وخرج الوزير ابو القاسم على بن جهير فلقيهم من ديالى وكانوا خمسة آلاف فارس وحضروا ايلغازى والامير طغايرك بالديوان وخاطبوا فى اقامة الخطبة للملكشاه بن بركيارق فاجيب اليها وخطب له ولقب بالقاب جده ملكشاه وهى جلال الدولة وغيره من الالقاب ونثرت الدنانير عند الخطبة له

(ذكر حصر السلطان محمد جكرمش بالموصل)

لما اصطلح السلطان بركيارق والسلطان محمد كما ذكرناه فى السنة الخالية وسلم محمد مدينة اصبهان الى بركيارق وسار اليها اقام محمد بتبريز من اذربيجان الى ان وصل اصحابه الذين باصبهان فلما وصلوا استوزر سعد الملك ابا المحاسن لحسن اثره كان فى حفظ اصبهان واقام الى صفر من هذه السنة وسار الى مراغة ثم الى اربل يريد قصد جكرمش صاحب الموصل لياخذ بلاده فلما سمع جكرمش بمسيره اليه جد فى سور الموصل ورم ما احتاج الى اصلاح وامر اهل السواد بدخول البلد واذن لاصحابه فى نهب من لم يدخل وحصر محمد المدينة وارسل الى جكرمش يذكر له الصلح بينه وبين اخيه وان فى جملة ما استقر ان تكون الموصل وبلاد الجزيرة له وعرض عليه المكتب من بركيارق اليه بذلك

(واستهل شهر شوال بيوم الثلاثاء سنة ١٢٢٢)

ولم يعمل العسكر شنكهم تلك الليلة من رميهم الرصاص والبارود الكثير المزعج من سائر النواحى والبيوت والاسطحة لانقباض نفوسهم وانما ضربوا مدافع من القلعة مدة ثلاثة ايام العيد فى الاوقات الخمسة (وفى خامسه) اعتنى الباشا بتعمير القصر لسكن شاهين بك بالجيزة وكان العسكر أخربوه وكذلك بيوت الجيزة ولم يتركوا بها دارا عامرة الا القليل فرسم الباشا للعمارجية بعمارة القصر فجمعوا البناءين والنجارين والخراطين وحملوا الاخشاب من بولاق وغيرها وهدموا بيت أبى الشوارب وأحضر والجمال والجير لنقل اخشابه وانقاضه وأخرجوا منه اخشابا عظيمة فى غاية العظم والثخن ليس لها نظير فى هذا الوقت والاوان (وفى سابعه) حضر شاهين بك الى بر الجيزة وبات بالقصر وضربوا لقدومه مدافع كثيرة من الجيزة وعمل له على جربجى موسى الجيزاوى وليمة وفرض مصروفها وكلفتها على أهل البلدة وأعطاه الباشا اقليم الفيوم بتمامه التزاما وكشوفية وأطلق له فيها التصرف وأنعم عليه أيضا بثلاثين بلدة من اقليم البهنسا مع كشوفيتها وعشرة بلاد من بلاد الجيزة من البلاد التى ينتقيها ويختارها وتجبه مع كشوفية الجيزة وكتب له

بذلك تقاسيط ديوانية وضم له
ومرسومانه نافذة فى سائر السبر
الغربى (وفى صبح يوم الاربعاء)
تاسعه ركب السيد عمر
افندى النقيب والمشايخ
وطلعوا الى القلعة باستدعاء
ارسالية أرسلت اليهم فى تلك
الليلة فلما طلعوا الى القلعة
ركب معهم ابن الباشا
طوسون بك ونزل الجميع وساروا
الى ناحية مصر القديمة
وكان شاهين بك عدى الى
البر الشرقى بطائفة من
الكشاف والمماليك
والهوارة فسلموا عليه وكان
بصحبتهم طائفة من الدلاة
ساروا امام القوم بطبلاتهم
وسفافيرهم ومن خلفهم
طائفة من الهوارة ومن خلفهم
الكشاف والمماليك والسيد
عمر النقيب والمشايخ ثم
شاهين بك وبجانبه ابن
الباشا وخلفهم الطوائف
والاتباع والخدم وخلفهم
النقافير فساروا الى ناحية
جهة القرافة وزاروا ضريح
الامام الشافعى ثم ركبوا
وساروا الى القلعة وطلعوا
من باب العزب الى سراية
الديوان وانفصل عنهم المشايخ
ونزلوا الى دورهم وقابلوا
الباشا وسلم شاهين بك عليه
فخلع عليه الباشا فروة سمور
مثمنة وسيفا وخنجرا مجوهرا
وتعابى وقدم له خيولا بسروجها وعزم عليه ابن الباشا فاذن له ان يتوجه صحبته الى سرايته فركب معه بركياروق

والايمان على تسليمها اليه وقال له ان اطعت فانا لا آخذها منك بل أقررها بيدك
وتكون الخطبة لى بها فقال جكرمش ان كتب السلطان وردت الى بعد الصلح تامرنى ان
لا اسلم البلد الى غيره فلما رأى محمد امتناعه باكره القتال وزحف اليه بالنقابين
والدبابات وقاتل أهل البلد أشد قتال وقتلوا خلقا كثيرا لمحبتهم لجكرمش لحسن سيرته
فيهم فارجكرمش ففتح فى السور ابواب لطاف يخرج منها الرجالة يقاتلون فكانوا
يكثرون القتل فى العسكر ثم زحف محمد مرة فنقب فى السور أصحابه وادركهم الليل
فاصبحوا وقد عمره اهل البلد وشحنوه بالمقاتلة وكانت الاسعار عندهم رخيصة فى
الحصار كانت الحنطة تساوى كل ثلاثين مكوكا دينارا والشعير خمسون مكوكا بدينار
وكان بعض عسكر جكرمش قد اجتمعوا بتل يعفر فكانوا يغيرون على اطراف العسكر
ويمنعون الميرة عنهم فقدم القتال عليهم الى عاشر جمادى الاولى فوصل الخبر الى
جكرمش بوفاة السلطان بركياروق فاحضر اهل البلد واستشارهم فيما يفعله بعد موت
السلطان فقالوا أموالنا وارواحنا بين يديك وانت اعرف بشانك فاستشار الجند فهم
اعرف بذلك فاستشارامراءه فقالوا لما كان السلطان حيا قد كنا على الامتناع ولم يتمكن
احد من طروق بلدنا وحيث توفى فليس للناس اليوم سلطان غير هذا والدخول تحت
طاعته اولى فارسل الى محمد يبذل الطاعة ويطلب وزيره سعد الملك ليدخل اليه فحضر
الوزير عنده واخذ بيده وقام فسار معه جكرمش فلما رآه أهل الموصل قد توجه الى
السلطان جعلوا يبكون ويضجون ويحثون التراب على رؤسهم فلما دخل على السلطان
محمد اقبل عليه واكرمه وعانقه ولم يمكنه من الجلوس وقال ارجع الى رعيتك فان قلوبهم
اليك وهم متطلعون الى عودك فقبل الارض وعاد ومعه جماعة من خواص السلطان
وسأل السلطان من الغد ان يدخل البلد لتزيين له فامتنع من ذلك فعمل سماطا بظاهر
الموصل عظيما وحمل الى السلطان من الهدايا والتحف ولوزيره أشياء جليلة المقدار

(ذكر وصول السلطان الى بغداد وصلحه مع ابن أخيه والامير اياز)

لما وصل خبر وفاة السلطان بركياروق الى أخيه السلطان محمد وهو يحاصر الموصل جلس
للعزاء واصلح جكرمش صاحب الموصل كما ذكرناه وسار الى بغداد ومعه سكمان القطبى
وهو ينسب الى قطب الدولة اسمعيل بن ياقوتى بن داود واسمعيل ابن عم ملكشاه وسار
معه جكرمش وغيرهما من الامراء وكان سيف الدولة صدقة صاحب الحلة قد جمع خلقا
كثيرا من العساكر فبلغت عدتهم خمسة عشر ألف فارس وعشرة آلاف راجل وأرسل
ولديه بدران ودبيسا الى السلطان محمد يستحثه على المجىء الى بغداد فاسرعا بهما معه الى
بغداد فلما سمع الامير اياز بمسيره اليه خرج هو والعسكر الذين معه من الدور ونصبوا
الخيام بالزاهر خارج بغداد وجمع الامراء واستشارهم فيما يفعله فبذلوا له الطاعة
واليمين على قتاله وحربه ومنعه عن السلطنة والاتفاق معه على طاعة ملكشاه بن

بركيارق وكان أشدهم فى ذلك ينال وصبا ووفانهم بالغوا فى الاطماع فى السلطان محمد والمنع له من السلطنة فلما تفرقوا قال له وزيره الصفى أبو المحاسن يا مولانا ان حياتى مقرونة بثبات نعمتك ودولتك وأنا اكثر التزاما بك من هؤلاء وليس الراى ما اشاروا به فان كلامهم يقصد ان يسلك طريقا وان يقيم سوقا لنفسه بك واكثرهم يناويك فى المنزلة وانما يقعد بهم عن منازعتك قلة العدد والمال والصواب مصالحة السلطان محمد وطاعته وهو يقرك على اقطاعك ويزيدك عليه مهما اردت فتردد راى الامير اياز فى الصلح والمباينة الا ان حركته فى المباينة ظاهرة وجمع السفن التى ببغداد عنده وضبط المشارع من متطرق الى عسكره والى البلد ووصل السلطان محمد الى بغداد يوم الجمعة لثمان بقين من جمادى الاولى ونزل عند الجانب الغربى باعلى بغداد وخطب له بالجانب الغربى ولملكشاه بن بركيارق بالجانب الشرقى واما جامع المنصور فان الخطيب قال فيه اللهم اصلح سلطان العالم وسكت وخاف الناس من امتداد الشر والنهب فركب اياز فى عسكره وهم عازمون على الحرب وسار الى ان اشرف على عسكر السلطان محمد وعاد الى مخيمه فدعا الامراء الى اليمين مرة ثانية على المخالصة لملكشاه فاجاب البعض وتوقف البعض وقالوا قد حلفنا مرة ولا فائدة فى اعادة اليمين لاننا ان وفينا بالاولى وفينا بالثانية وان لم نف بالاولى فلا نفى بالثانية فامر اياز حينئذ وزيره الصفى ابا المحاسن بالعبور الى السلطان محمد فى الصلح وتسليم السلطنة اليه وترك منازعته فيها فعبر يوم السبت لسبع بقين من الشهر الى عسكر محمد واجتمع بوزيره سعد الملك ابى المحاسن سعد ابن محمد فعرفه ما جاء فيه فحضر عند السلطان محمد وادى الصفى رسالة صاحبه اياز واعتذر عما كان منه ايام بركيارق فاجابه محمد جوابا لطيفا سكن به قلبه وطيب نفسه واجاب الى ما التمسه منه من اليمين فلما كان الغد حضر قاضى القضاة والنقيبان والصفى وزير اياز عند السلطان محمد فقال له وزيره سعد الملك ان اياز يخاف لما تقدم منه وهو يطلب العهد لملكشاه ابن اخيك ولنفسه وللامراء الذين معه فقال السلطان اما ملكشاه فانه ولدى ولا فرق بينى وبين اخى واما اياز والامراء فاحلف لهم الا ينال الحسامى وصبا ووفا ستحلفه الكيا الهراس مدرس النظامية على ذلك وحضر الجماعة اليمين فلما كان من الغد حضر الامير اياز عند السلطان محمد فلقيه وزير السلطان وكافة الناس ووصل سيف الدولة صدقة ذلك الوقت ودخلا جميعا الى السلطان فاكرمهما واحسن اليهما وقيل بل ركب السلطان ولقيهما ووقف احدهما عن يمينه والآخر عن يساره واقام السلطان ببغداد الى شعبان وسار الى اصبهان وفعل فيها ما نذكره آنفا ان شاء الله تعالى

(ذكر قتل الامير اياز)

فى هذه السنة ثالث عشر جمادى الآخرة قتل الامير اياز قتله السلطان محمد وسبب ذلك ان اياز لما سلم السلطنة الى السلطان محمد وسار فى جملته واستحلفه لنفسه فلما

وتغدى عنده ثم ركب بصحبته ونزلا من القلعة وذهب عند حسن باشا فقابله ١٦١ ايضا وسلم عليه وخلع عليه ايضا وقدم له خيولا وركب صحبتهما وذهبوا عند طاهر باشا ابن اخت الباشا فسلم عليه ايضا وقدم له تقادم ثم ركب عائدا الى الجيزة وذهب الى مخيمه بشبرامنت واستمر مقيما بالمخيم حتى تمم عمارة القصر وتردد كشافهم واجنادهم الى بيوتهم بالمدينة فيبيتون الليلة والليلتين ويرجعون الى مخيمهم (وفيه) قطع الباشا رواتب طوائف من الدلاة وامروا بالسفر الى بلادهم (وفى يوم الجمعة) انتقل الالفية بعرضيهم وخيامهم الى بحرى الجيزة (وفى يوم السبت ثانى عشره) وصل اربعة من صناجق الالفية وهم احمد بك ونعمان بك وحسين بك ومراد بك فطلعوا الى القلعة وخلع عليهم الباشا فراوى وقلدهم سيوفا وقدم لهم تقادم ثم نزلوا الى حسن باشا فسلموا عليه وخلع عليهم ايضا خلعا ثم ذهبوا الى بيت صالح اغا السلحدار فاقاموا عنده الى اواخر النهار ثم ذهبوا الى البيوت التى بها حريمهم فباتوا بها وذهبوا فى الصباح الى الجيزة (وفى يوم الثلاثاء خامس عشره) عملت وليمة وعقد والاحمد بك الالفى على عديلة هانم بنت ابراهيم بك الكبير والوكيل فى العقد شيخ السادات وقبل عنه محمد كتخدا بوكالته عن احمد بك ودفع الصداق الباشا من

الى ابراهيم بك الكبير لاجراء الصلح (وفيه) ايضا ارادوا اجراء عقد زينب هانم ابنة ابراهيم بك على نعمان بك فامتنعت وقالت لا يكون ذلك الا عن اذن ابى وهاهو مسافر اليه فليستاذنه ولا اخالف أمره فاجيبت الى ذلك واراد شاهين بك ان يعقد لنفسه على زوجة حسين بك المقتول المعروف بالوشاش وهو خشداشه وهى ابنة السفطى فاستاذن الباشا فقال انى أريد أن أزوج ابنتى وتكون صهرى وهى واصلة عن قريب أرسلت بحضورها من بلدى قوله فان تاخر حضورها جهزت لك سرية وزوجتك اياها (وفى يوم الاربعاء) نزل الباشا من القلعة وذهب الى مضرب النشاب واستدعى شاهين بك من الجيزة وعمل معه ميدانا وتراموا وتسابقوا ولعبوا بالرماح والسيوف ثم طلع الجميع الى القلعة واستمر شاهين بك عند الباشا الى بعد الظهر ثم نزل مع نعمان بك الى بيت عديلة هانم فمكثا الى قبيل المغرب ثم ارسل اليهما الباشا فطلعا الى القلعة فباتا عنده ونزلا فى الصباح وعديا الى الجيزة قال الشاعر

أمور تضحك السفها منها * ويبكى من عواقبها اللبيب

(وفيه) تقلد حسن اغا رشمه راى

كان ثامن جمادى الآخرة عمل دعوة عظيمة فى داره وهى دار كوهرائين ودعا السلطان اليها وقدم له شيئا كثيرا من جملته الجمل البلخش الذى اخذ من تركة مؤيد الملك بن نظام الملك وقد تقدم ذكر ذلك وحضر مع السلطان سيف الدولة صدقة بن مزيد وكان من الاتفاق الردى ان اياز تقدم الى غلمانه ليلبسوا السلاح من خزانته ليعرضهم على السلطان فدخل عليهم رجل من ابهر يقال له معهم ويضحكون منه مع كونه يتصوف فقالوا له لابد من ان تلبس درعا ونعرضك فالبسوه الدرع تحت قميصه وتناولوه باديهم وهو يسالهم ان يكفوا عنه فلم يفعلوا فلشدة ما فعلوا به هرب منهم ودخل بين خواص السلطان معتصما بهم فرآه السلطان مذعورا وعليه لباس عظيم فاستراب به فقال لغلام له بالتركية ليلمسه من غير ان يعلم احد ففعل فرأى الدرع تحت قميصه فاعلم السلطان بذلك فاستشعر وقال اذا كان اصحاب العمائم قد لبسوا السلاح فكيف الاجناد وقوى استشعاره لكونه فى داره وفى قبضته فنهض وفارق الدار وعاد الى داره فلما كان ثالث عشر الشهر استدعى السلطان الامير صدقة واياز وجكرمش وغيرهم من الامراء فلما حضروا ارسل اليهم انه بلغنا ان قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش قصد ديار بكر ليتملكها ويسير منها الى الجزيرة وينبغى ان تجتمع آراؤكم على من يسير اليه ليمنعه ويقاتله فقال الجماعة ليس لهذا غير الامير اياز فقال اياز ينبغى ان أجمع اناوسيف الدولة صدقة بن مزيد على هذا الامر والدفع لهذا القاصد فقيل ذلك للسلطان فاعاد الجواب يستدعى اياز وصدقة والوزير سعد الملك ليحرر الامر فى حضرته فنهضوا اليدخلوا اليه وكان قد اعد جماعة من خواصه ليقتلوا اياز اذا دخل اليه فلما دخلوا ضرب احدهم راسه فابانه فاما صدقة فغطى وجهه بكمه واما الوزير فانه غشى عليه ولف اياز فى مسح والقى على الطريق عند دار المملكة وركب عسكر اياز فنهبوا ما قدروا عليه من داره فارسل السلطان من حماها من النهب وتفرق اصحابه من يومهم وكان زوال تلك النعمة العظيمة والدولة الكبيرة فى لحظة بسبب هزل ومزاح فلما كان من الغد كفنه قوم من المتطوعة ودفنوه فى المقابر المجاورة لقبر ابى حنيفة رحمه الله وكان عمره قد جاوز اربعين سنة وهو من جملة مماليك السلطان ملكشاه ثم صار بعده موته فى جملة أمير آخر فاتخذه ولدا وكان غزير المروءة شجاعا حسن الراى فى الحرب واما وزيره الصفى فانه اختفى ثم اخذ وحمل الى دار الوزير سعد الملك ثم قتل فى رمضان وعمره ست وثلاثون سنة وكان من بيت رياسة بهمذان

(ذكر وفاة سقمان بن ارتق)

كان ظهر الملك بن عمار صاحب طرابلس قد كاتب سقمان يستدعيه الى نصرته على الفرنج ويبذل له المعونة بالمال والرجال فبينما هو يتجهز للمسير اتاه كتاب طغتكين صاحب دمشق يخبره انه مريض قد اشفى على الموت وانه يخاف ان مات وليس بدمشق من يحميها ان يملكها الفرنج ويستدعيه ليوصى اليه وبما يعتمده فى حفظ البلد فلما

رأى ذلك أسرع فى السير عازما على اخذ دمشق وقصد الفرنج طاردا ياسر وابعادهم عنها فوصل الى القريتين واتصل خبره بفخر الدين فخاف عاقبة ما صنع وقوة فكره زاد مرضه ولامه اصحابه على ما فرط فى تدبيره وخوفوه عاقبة ما فعل وقالوا له قد رأيت سيدك تاج الدولة لما استدعاه الى دمشق ليمنعه كيف قتله حين وقعت عينه عليه فبينما هم يدبرون الرأى باى حيلة يردونه أتاهم الخبر بانه وصل القريتين ومات وحمله اصحابه وعادوا به فاتاهم فرج لم يحسبوه وكان مرضه الذى مات به الخوانيق يعتريه دائما فاشار عليه أصحابه بالعود الى حصن كيفا فامتنع وقال بل أسير فان عوفيت تممت ما عزمت عليه ولا يرانى الله تثاقلت عن قتال الكفار خوفا من الموت وان ادركنى اجلى كنت شهيدا ساثرا فى جهاد فساروا فاعتقل لسانه يومين ومات فى صفر وبقى ابنه ابراهيم فى اصحابه وجعل فى تابوت وحمل الى الحصن وكان حازما داهيا ذا رأى كثير الخير وقد ذكرنا سبب أخذه الحصن كيفا واما ملكه ماردين فان كربوقا خرج من الموصل فقصد آمد وحارب صاحبها فاستنجد صاحبها وهو تركمانى بسقمان فحضر عنده وصاف كربوقا وكان عماد الدين زنكى بن آقسنقر حينئذ صبيا قد حضر مع كربوقا ومعه جماعة كثيرة من اصحاب أبيه فلما اشتد القتال ظهر سقمان فالتقى اصحاب آقسنقر زنكى ولد صاحبهم بين ارجل الخيل وقالوا قاتلوا عن ابن صاحبكم فقاتلوا حينئذ قتالا شديدا فانهزم سقمان واسروا ابن اخيه ياقوتى بن ارتق فسجنه كربوقا بقلعة ماردين وكان صاحبها انسانا مغنيا للسلطان بركيارق فطلب منه ماردين واعمالها فاقطعه اياها فبقى ياقوتى فى حبسه مدة فحضت زوجة ارتق الى كربوقا وسألته اطلاقه فاطلقه فنزل عند ماردين وكانت قد اعجبته فاقام ليعمل فى تملكها والاستيلاء عليها وكان من عند ماردين من الاكراد قد طمعوا فى صاحبها المغنى واغاروا على اعمال ماردين عدة دفعات فراسله ياقوتى يقول قد صار بيننا مودة وصداقة واريد ان اعمر بلدك بان امنع عنه الاكراد واغير على الاماكن وآخذ الاموال انفقها فى بلدك وأقيم فى الربض فاذن له فى ذلك فجعل يغير من باب خلاط الى بغداد فصار ينزل معه بعض أجناد القلعة طلبا للكسب وهو يكرمهم ولا يعترضهم فامنوا اليه فاتفق ان فى بعض الاوقات نزل معه أكثرهم فلما عادوا من الغارة امر بقبضهم وتقييدهم وسبقهم الى القلعة ونادى من بها من أهليهم ان فتحتم الباب والا ضربت أعناقكم فامتنعوا فقتل انسانا منهم فسلم القلعة من بها اليه وبقى بها ثم انه جمع جمعا وسار الى نصيبين واغار على بلد جزيرة ابن عمر وهى لجكرمش فلما عاد أصحابه بالغنيمة أتاهم جكرمش وكان ياقوتى قد أصابه مرض عجز معه عن لبس السلاح وركوب الخيل فحمل الى فرسه فركبه وأصابه سهم فسقط منه فاتاه جكرمش وهو يجود بنفسه فبكى عليه وقال له ما حملك على ما صنعت يا ياقوتى فلم يجبه فمات ومضت زوجة ارتق الى ابنها سقمان وجمعت التركمان وطلبت بثار ابن ابنها وحصر سقمان نصيبين وهى لجكرمش فسير جكرمش الى سقمان مالا كثيرا سرا فاخذه ورضى وقال انه قتل فى الحرب ولا يعرف قاتله وملك ماردين بعد

وفى يوم الاربعاء ثالث عشرينه) وصل قايجى ومعه رسومات يتضمن أحدها التقرير لمحمد على باشا على ولاية مصر وآخر بالدفتردارية باسم ولده ابراهيم وآخر بالعفو عن جميع العسكر جزاء عن اخراجهم الانكليز من ثغر الاسكندرية وآخر بالتاكيد فى التشهيل والسفر لمحاربة الخوارج بالحجاز واستخلاص الحرمين والوصية بالرعية والتجار وصحبته أيضا خلع وشلنجات فاركبوه فى موكب فى صبح يوم الخميس وطلع الى القلعة وقرئت المراسيم المذكورة بحضرة الباشا والمشايخ وكبار العسكر وشاهين بك وخشداشينه الالفية وضربوا مدافع وشنكا (وفيه) سافر ابراهيم بك ابن الباشا على طريق القليوبية وصحبته طائفة من مباشرى الاقباط وفيهم جرجس الطويل وهو كبيرهم وافندية من افندية الروزنامه وكتبة مسلمين للكشف على الاطيان التى رويت من ماء النيل والشراقى فانزلوا بالقرى النوازل من التكاليف وحق الطرقات وقرروا على كل فدان رواه النيل اربعمائة وخمسين نصف فضة تقبض للديوان وذلك خلاف ما يلتزم

والمضاف والبرانى وما يضاف الى ذلك من حق الطرق والتكاليف المتكررة *(واستهل شهر ذى القعدة

(وفيه) فرضوا على مساتير الناس سلف اكياس ويحسب لهم ما يؤخذ منهم من

يوم الاربعا سنة ١٢٢٢)*

اصل ما يتقرر على حصصهم من المغارم فى المستقبل وعينوا العساكر بطلبها فتغيب غالبهم وتوارى لعدم ما بايديهم وخلوا كياسهم من المال والتجا الكثير منهم الى ذوى الجاه ولازموا اعتابهم حتى شفعوا فيهم وكشفوا غمتهم (وفى عاشره) ورد الخبر من الجهة القبلية بان الامراء المصريين تحاربوا مع ياسين بك بناحية المنية وذلك عن امر الباشا وهزموه فدخل الى المنية ونهبوا حملته ومتاعه (وفى اثر ذلك) حضر ابو ياسين بك الى مصر وعينت عساكر الى جهة قبلى واميرها بونابارته الخازندار وتقدمهم سليمان بك الالفى فى آخرين (وفى عشرينه) تعين ايضا عدة عساكر الى ناحية بحرى وفيهم عمر بك تابع الاشقر المصرلى لمحافظة رشيد وآخرين الى الاسكندرية ثم تعوق عمر بك عن السفر وسبب ذلك انه ورد قائف الانكليز الى ثغر سكندرية واخبر بخروج عمارة الفرنسيس الى البحر بسيسيليه وربما استولوا عليها وكذلك ما لطه فلما ورد هذا الخبر حضر البطروش قنصل الانكليز المقيم برشيد الى مصر بماله وعياله (وفى أواخره) جمعوا عدة كبيرة من البنائين والنجارين وامر باب الاشغال لعمارة اسوار وقلاع الاسكندرية وابى قير والسواحل فى

ياقوتى اخوه على وصار فى طاعة جكرمش واستخلف بها اميرا اسمه على أيضا فارسل على الوالى بماردين الى سقمان يقول له ابن أخيك يريد أن يسلم ماردين الى جكرمش فسار سقمان بنفسه وسلمها اخاه اليه على ابن أخيه وطلب اعادة القلعة اليه فقال انما أخذتها الثلاثة اخرب البيت فاقطعه جبل جور ونقله اليه وكان جكرمش يعطى عليها كل سنة عشرين الف دينار فلما أخذ عمه سقمان ماردين منه ارسل على الى جكرمش يطلب منه المال فقال انما كنت اعطيتك احتراما لماردين وخوفا من مجاورتك والآن فاصنع ما انت صانع فلا قدرة لك على

(ذكر حال الباطنية هذه السنة بخراسان)

فى هذه السنة سار جمع كثير من الاسماعيلية من طريثيث من بعض اعمال بيهق وشاعت الغارة فى تلك النواحى واكثروا القتل فى اهلها والنهب لاموالهم والسبى لنسائهم ولم يقفوا على الهدنة المتقدمة وفى هذه السنة اشتد امرهم وقويت شوكتهم ولم يكفوا ايديهم عمن يريدون قتله لاشتغال السلاطين عنهم فمن جملة فعلهم ان قفل الحاج تجمع هذه السنة مما وراء النهر وخراسان والهند وغيرها من البلاد فوصلوا الى جوار الرى فاتاهم الباطنية وقت السحر فرضعوا فيهم السيف وقتلوهم كيف شاؤا وغنموا اموالهم ودوابهم ولم يتركوا شيئا وقتلوا هذه السنة ابا جعفر بن المشاط وهو من شيوخ الشافعية اخذ الفقه عن الخجندى وكان يدرس بالرى ويعظ الناس فلما نزل من كرسيه اتاه باطنى فقتله

(ذكر حال الفرنج هذه السنة مع المسلمين بالشام)

فى هذه السنة فى شعبان كانت وقعة بين طنكرى الفرنجى صاحب انطاكية وبين الملك رضوان صاحب حلب انهزم فيها رضوان وسببها ان طنكرى حصر حصن ارتاح وبها نائب الملك رضوان فضيق الفرنج على المسلمين فارسل النائب بالحصن الى رضوان يعرفه ما هو فيه من الحصر الذى اضعف نفسه ويطلب النجدة فسار رضوان فى عسكر كثير من الخيالة وسبعة آلاف من الرجالة منهم ثلاثة آلاف من المتطوعة فساروا حتى وصلوا الى قنسرين وبينهم وبين الفرنج قليل فلما راى طنكرى كثرة المسلمين ارسل الى رضوان يطلب الصلح فاراد ان يجيب فمنعه اصبهبذ صباوو وكان قد قصده وسار معه بعد قتل اياز فامتنع من الصلح واصطفوا للحرب فانهزمت الفرنج من غير قتال ثم قالوا نعود ونحمل عليهم حملة واحدة فان كانت لنا والا انهزمنا فحملوا على المسلمين فلم يثبتوا وانهزموا وقتل منهم واسر كثيرا واما الرجالة فانهم كانوا قد دخلوا معسكر الفرنج لما انهزموا فاشتغلوا بالنهب فقتلهم الفرنج ولم ينج الا الشريد فاخذا سيرا وهرب من فى ارتاح الى حلب وملكه الفرنج لعنهم الله تعالى وهرب اصبهبذ صباو والى طغتكين اتابك بدمشق فصار معه ومن اصحابه

(ذكر حرب الفرنج والمصريين)

فى ذى الحجة من هذه السنة كانت وقعة بين الفرنج والمسلمين كانوا فيها على السواء وسببها ان الافضل وزير صاحب مصر كان قد سير ولده شرف المعالى فى السنة الخالية الى الفرنج فقهرهم واخذ الرملة منهم ثم اختلف المصريون والعرب وادعى كل واحد منهما ان الفتح له فاتاهم سربة الفرنج فتقاعد كل فريق منهما بالآخر حتى كاد الفرنج يظهرون عليهم فرحل عند ذلك شرف المعالى الى ابيه بمصر فنفذ ولده الآخر وهو سناء الملك حسين فى جماعة من الامراء منهم جمال الملك النائب بعسقلان للمصريين وارسلوا الى طغتكين اتابك بدمشق يطلبون منه عسكرا فارسل اليهم اصبهبذ صبا ووصل معه الف وثلثمائة فارس وكان المصريون فى خمسة آلاف وقصدهم يغدو بن الفرنجى صاحب القدس وعكا ويافا فى الف وثلثمائة فارس وثمانية آلاف راجل فوقع المصاف بينهم بين عسقلان ويافا فلم تظهر احدى الطائفتين على الاخرى فقتل من المسلمين الف ومائتان ومن الفرنج مثلهم وقتل جمال الملك امير عسقلان فلما رأى المسلمون انهم قد تكافؤا فى النكاية قطعوا الحرب وعادوا الى عسقلان وعاد صبا ووالى دمشق وكان مع الفرنج جماعة من المسلمين منهم بكتاش بن تتش وكان طغتكين قد عدل فى الملك الى ولد اخيه دقاق وهو طفل وقد ذكرناه فدعاه ذلك الى قصد الفرنج والكون معهم

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة عظم فساد التركمان بطريق خراسان من اعمال العراق وقد كانوا قبل ذلك ينهبون الاموال ويقطعون الطريق الا انهم عندهم مراقبة فلما كان هذه السنة اطرحوا المراقبة وعملوا الاعمال الشنيعة فاستعمل ايلغازى بن ارتق وهو شحنة العراق على ذلك البلد ابن اخيه بلك بن بهرام بن ارتق وامره بحفظه وحياطته ومنع الفساد عنه فقام فى ذلك القيام المرضى وحمى البلاد وكف الايدى المتطاولة وسار بلك الى حصن خانيجار وهو من اعمال سرخاب بن بدر فحصره وملكه وفيها فى شعبان جعل السلطان محمد قسيم الدولة سنقر البرسقى شحنة بالعراق وكان موصوفا بالخير والدين وحسن العهد لم يفارق محمدا فى حروبه كلها وفيها اقطع السلطان محمد الكوفة للامير قايماز واوصى صدقة ان يحمى اصحابه من خفاجة فاجاب الى ذلك وفيها فى شهر رمضان وصل السلطان محمد الى اصبهان فامن اهلها ووثقوا بزوال ما كان يشملهم من الخبط والعسف والمصادرة وشتان بين خروجه منها هاربا متخفيا وعوده اليها سلطانا متمكنا وعدل فى اهلها وازال عنهم ما يكرهون وكف الايدى المتطرقة اليهم من الجند وغيرهم فصار كلمة العامى اقوى من كلمة الجندى ويد الجندى قاصرة عن العامى من هيبة السلطان وعدله وفيها كثر الجدرى فى كثير من البلدان لاسيما العراق فانه كان به كله ومات به من الصبيان ما لا يحصى وتبعه وباء كثير وموت عظيم وتوفى فى هذه السنة فى شوال احمد بن محمد بن احمد ابو على البردانى الحافظ ومولده سنة ست وعشرين واربعمائة سمع ابن غيلان والبرمكى والعشارى وغيرهم وتوفى ابو المعالى ثابت بن سليمان بك الالفى لما وصل الى المنية ونزل بفنائها خرج اليه ياسين بك بجموعه وعساكره وعربانه فوقع بينهما وقعة عظيمة وانهزم ياسين بك وولى هاربا الى المنية فتبعه سليمان بك فى قلة وعدى الخندق خلفه فاصيب من كمين بداخل الخندق ووقع ميتا بعد ان نهب جميع متاع ياسين بك وجماله واثقاله وشتت جموعه واتحصر هو وعساكره وعربانه وما بقى منهم بداخل المنية وكانت الواقعة يوم الاربعاء سادس الشهر فلما ورد الخبر بذلك على الباشا اظهر انه اغتم على سليمان بك وتاسف على موته واقام العزاء عليه خشداشينه بالجيزة وفى بيوتهم وطفق الباشا يلوم على حراقة المصريين واقدامهم وكيف ان سليمان بك يخاطر بنفسه ويلقى بنفسه من داخل الخندق ويقول انا ارسلت اليه احذره واقول له انه يتنظر بونابارته الخازندار ويراسل ياسين بك ويطلعه على ما بيده من المراسيم فان ابى وخالف ما فى ضمنها فعند ذلك يجتمعون على حربه وتتقدم عساكر الاتراك لمعرفتهم وصبرهم على محاصرة الابنية فلم يستمع لما قالت له وغرر بنفسه وايضا يفبغى لكبير الجيش التاخر عن عسكره فان الكبير عبارة عن المدبر الرئيس وبمصابه تنكسر قلوب قومه وهؤلاء القوم بخلاف ذلك يلقون بانفسهم فى

بندار بن ابراهيم البقال ومولده سنة ست عشرة وار بعمائة سمع أبا بكر البرقاني وأبا على ابن شاذان وكانت وفاته في جمادى الآخرة من هذه السنة وفي رابع جمادى الاولى توفي أبو الحسن محمد بن على بن أبي الصقر الفقيه الشافعي ومولده سنة تسع وار بعمائة وكان اديبا شاعرا فمن قوله

من قال لي جاه ولي حشمة * ولي قبول عند مولانا
ولم يعد ذاك بنفع على * صديقه لا كان من كانا

وفيها أيضا توفي أبو نصر بن أخت ابن الموصلايا وكان كاتبا للخليفة جيد الكتابة وكان عمره سبعين سنة ولم يخلف وارثا لانه أسلم وأهله نصارى فلم يرثوه وكان يخل الا انه كان كثير الصدقة وأبو المؤيد عيسى بن عبد الله بن القاسم الغزنوي كان واعظا شاعرا كاتبا قدم بغداد ووعظ بها ونصر مذهب الاشعري وكان له قبول عظيم وخرج منها فمات باسفراين

(ثم دخلت سنة تسع وتسعين وار بعمائة)

(ذكر خروج منكبرس على السلطان محمد)

في هذه السنة في المحرم أظهر منكبرس ابن الملك بوربرس بن البارسلان وهو ابن عم السلطان محمد العصيان للسلطان محمد والخلاف عليه وسبب ذلك انه كان مقيما باصبهان فلحقته ضائقة شديدة وانقطعت المواد عنه فخرج منها وسار الى نهاوند فاجتمع عليه بها جماعة من العسكر وظاهره على امره جماعة من الامراء وتغلب على نهاوند وخطب لنفسه بها وكاتب الامراء بني برسق يدعوهم الى طاعته ونصرته وكان السلطان محمد قد قبض على زنكي بن برسق فكاتب زنكي اخوته وحذرهم من طاعة منكبرس وما فيها من الاذى والخطر وامرهم بتدبير الامر في القبض عليه فلما أتاهم كتاب اخيهم بذلك أرسلوا الى منكبرس يبذلون له الطاعة والموافقة فسار اليهم وساروا اليه فاجتمعوا به وقبضوا عليه بالقرب من أعمالهم وهي بلد خوزستان وتفرق اصحابه واخذوا منكبرس الى اصبهان فاعتقله السلطان مع بني عمه تكش واخرج زنكي بن برسق واعاده الى مرتبته واستنزله واخوته عن اقطاعهم وهي ليشتر وسابور خواست وغيرها ما بين الاهواز وهمذان واقطعهم عوضها الدينور وغيرها واتفق أن ظهر بنهاوند ايضا في هذه السنة رجل من السواد ادعى النبوة فاطاعه خلق كثير من السوادية واتبعوه وباعوا أملاكهم ودفعوا اليه أثمانها فكان يخرج ذلك جميعه وسمى اربعة من اصحابه أبا بكر وعمر وعثمان وعليا وقتل بنهاوند فكان اهلها يقولون ظهر عندنا في مدة شهرين اثنان ادعى احدهما النبوة والآخر المملكة فلم يتم لواحد منهما امره

(ذكر الحرب بين طغتكين والفرنج)

في هذه السنة في صفر كانت وقعة بين طغتكين اتابك صاحب دمشق وبين فرنج كبير من قمامصة الفرنج وسبب ذلك انه تكررت الحروب والغارات بين عسكر دمشق

المهالك ولما ارسل جماعة ومحطتهم على المنية وانهم منتظرون من يقيمه الباشا رئيسا مكانه فعند ذلك ارسل الباشا الى شاهين بك يعزيه ويلتمس منه ان يختار من خشداشينه من يقلده الباشا امارة سليمان بك فتشاور شاهين بك مع خشداشينه فلم يرض احد من الكبار ان يتقلد ذلك ثم وقع اختيارهم على شخص من المماليك يسمى يحيى وارسلوه الى الباشا فخلع عليه وامره بالسفر الى المنية فاخذ في قضاء اشغاله وعدى الى البر الجيزة (وفي منتصفه) ورد الخبر بان يونا بارته الخازندار وصل الى المنية بعد الواقعة وياسين بك محصور بها فارسل اليه يستدعيه الى الطاعة واطلعه على المكاتبات والمراسيم التي بيده من الباشا خطابا له وللامراء الحاضرين والغائبين المصرية وفي ضمنها ان أبي ياسين بك عن الدخول في الطاعة واستمر على عناده وعصيانه فان يونا بارته والامراء المصرية يحاربونه فعند ذلك نزل ياسين بك على حكم يونا بارته وحضر عنده بعدان استوثق منه بالامان ووصلت الاخبار بذلك الى مصر وخرجت العربان المحصورون بالمنية بعدان صالحوا واعلى انفسهم وفتحوا لهم طريقا وذهبوا الى أماكنهم واستلم يونا بارته المنية فاقام بها يومين وارتحل عنها وحضر الى وبغدوين

وبغدوين فتارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء ففى آخر الامر بنى بغدوين حصنا بينه وبين دمشق نحو يومين فخاف طغتكين من عاقبة ذلك وما يحدث به من الضرر فجمع عسكره وخرج الى مقاتلتهم فسار بغدوين ملك القدس وعكا وغيرهما الى هذا القمص ليعاضده ويساعده على المسلمين فعرفه القمص غناءه عنه وانه قادر على مقارعة المسلمين ان قاتلوه فعاد بغدوين الى عكا وتقدم طغتكين الى الفرنج واقتتلوا واشتد القتال فانهزم امير ان من عسكر دمشق فتبعهما طغتكين وقتلهما وانهزم الفرنج الى حصنهم فاحتموا به فقال طغتكين من أحسن قتالهم وطلب منى امرا فعلته معه ومن اتانى بحجر من حجارة الحصن اعطيته خمسة دنانير فبذل الرجالة نفوسهم وصعدوا الى الحصن وخربوه وحملوا حجارته الى طغتكين فوفى لهم بما وعدهم وامر بالقاء الحجارة فى الوادى واسر وامن بالحصن فامر بهم فقتلوا كلهم واستبقى الفرسان اسراء وكانوا ماتتى فارس ولم ينج ممن كان فى الحصن الا القليل وعاد طغتكين الى دمشق منصورا فزين البلد اربعة أيام وخرج منها الى رفنية وهو من حصون الشام وقد تغلب عليه الفرنج وصاحبه ابن اخت صنجيل المقيم على حصار طرابلس فحصره طغتكين وملكه وقتل به خمسمائة رجل من الفرنج

(ذكر الحرب بين عبادة وخفاجة)

فى هذه السنة كانت حرب شديدة بين عبادة وخفاجة وسببها ان رجلا من عبادة أخذ منه جماعة خفاجة جملين فجاءا اليهم وطالبهم بهما فلم يعطوه شيئا فاخذ منهم غارة أحد عشر بعيرا فلحقته خفاجة وقتلوا من اصحابه رجلا وقطعوا يد آخر وكان ذلك بالموقف من الحلة السيفية ففرق بينهم أهلها فسمعت عبادة الخبر فتواعدت وانحدرت الى العراق للاخذ بثارها وساروا مع جماعة من امرائهم فبلغت عدتهم سبعمائة فارس وكانت خفاجة دون هذه العدة فراسلهم خفاجة يبذلون الدية ويصطلحون فلم تجبهم الى ذلك عبادة وأشار به سيف الدولة صدقة فلم تقبل عبادة فالتقوا واقتتلوا بالقرب من الكوفة ومع عبادة الابل والغنم بين البيوت فكمنت لهم خفاجة ثلثمائة فارس وقاتلوهم مطاردة من غير جد فى القتال فداموا كذلك ثلاثة أيام ثم انهم اشتد بينهم القتال واختلطوا حتى تركوا الرماح وتضاربوا بالسيوف فبينما هم كذلك وقد اعيا الفريقان من القتال اذ طلع كمين خفاجة وهم مائتا يحون فانهزمت عبادة وانتصرت عليهم خفاجة وقتل من وجوه عبادة اثنا عشر رجلا ومن خفاجة جماعة وغنمت خفاجة الاموال من الخيل والابل والغنم والعبيد والاماء وكان الامير صدقة بن مزيد قد أعان خفاجة سرا فلما وصل المنهزمون اليه هناهم صدقة بالسلامة فقال له بعضهم مازلت أقاتل واضارب وأنا طامع فى الظفر بهم حتى رأيت فرسك الشقراء تحت أحدهم فعلمت انهم أجلبوا علينا بخيلك ورجلك وانا لا طاقة لنا بهم فنصروا علينا بمعونتك وفلونا بحدك فلم يجبه صدقة

(ذكر ملك صدقة البصرة)

واراد قتله فتعصب له عربك الارتوذى وصالح قوج وغيرهما وطلعوا فى يوم الجمعة وقد رتب الباشا عساكره وجنده واوقفهم بالابواب الداخلة والخارجة وبين يديه وتكلم عمر بك وصالح اغا مع الباشا فى امره وان يقيم بمصر فقال الباشا لا يمكن ان يقيم بمصر والساعة اقتله وانظر اى شئ يكون فلم يسع المتعصبين له الا الامتثال ثم احضره وخلع عليه فروة وانعم عليه بار بعين كيسا ونزلوا بحجبته بعد الظهر الى بولاق وسافر الى دمياط ليذهب الى قبرص ومعه محافظون (وفى يوم الاحد) حضر بونابارته الخازندار من المنية الى مصر وانقضت السنة *(واما من مات فيها من له ذكر)* فمات الشيخ العلامة بقية العلماء والفضلاء والصالحين الورع القانع الشيخ احمد بن على بن محمد بن عبد الرحمن بن علاء الدين البرماوى الذهبى الشافعى الضرير ولد ببلده برما بالمنوفية سنة ١١٣٨ ونشأ بها وحفظ القرآن والمتون على الشيخ المعاصرى ثم انتقل الى مصر فجاور بالمدرسة الشيخونية بالصليبة وتخرج فى الحديث على الشيخ أحمد البرماوى وحضر دروس مشايخ الازهر كالشيخ محمد فارس والشيخ على قايتباى والشيخ الدفرى والشيخ سليمان الزيات

عمر الطحلاوى والشيخ سالم النفراوى والشيخ عمر الشنوانى والشيخ أحمد رزق والشيخ سليمان البسوسى والشيخ على الصعيدى واقرأ الدروس وأفاد الطلبة ولازم الاقراء وكان منجمعا عن الناس قانعا راضيا بما قسم له لا يزاحم على الدنيا ولا يتداخل فى امورها واخبرنى ولده العلامة الفاضل الشيخ مصطفى انه ولد بصيرا فاصابه الجدرى فطمس بصره فى صغره فاخذه عم ابيه الشيخ صالح الذهبى ودعا له فقال فى دعائه اللهم كما اعميت بصره نور بصيرته فاستجاب الله دعاءه وكان قوى الادراك ويمشى وحده من غير قائد ويركب من غير خادم ويذهب فى حوائجه المسافة البعيدة ويأتى الى الازهر ولا يخطئ الطريق ويتحامى عما عساه يصيبه من راكب أو جمل أو حمار مقبل عليه أو شئ معترض فى طريقه أقوى من ذى بصر فكان يضرب به المثل فى ذلك مع شدة التعجب كما قال القائل

ما عماء العيون مثل عمى القلـ ـب فهذا هو العمى والبلاء
فعماء العيون تغميض عين
وعماء القلوب فهو الشقاء

ولم يزل ملازما على حالته من الانجماع والاشتغال بالعلم والعمل به وتلاوة القرآن وقيام الليل فكان يقرأ كل ليلة نصف القرآن الى ان توفى يوم الثلاثاء حادى عشر ربيع على

فى هذه السنة فى جمادى الاولى انحدر سيف الدولة من الحلة الى البصرة فملكها وقد ذكرنا فيما تقدم تمكن اسمعيل بن ارسلانجق من البصرة ونواحيها واقام بها عشر سنين نافذ الامر وازداد قوة وتمكنا بالاختلاف الواقع بين السلاطين واخذ الاموال السلطانية وكان قد راسل صدقة واظهر له انه فى طاعته وموافقته فلما استقر الامر للسلطان محمد اراد ان يرسل الى البصرة مقطعا ياخذها من اسمعيل فخاطب صدقة فى معناه حتى اقرت البصرة عليه فانفذ السلطان عميدا اليها ليتولى ما يتعلق بالسلطان هناك فمنعه اسمعيل ولم يمكنه من عمله وفعل ما خرج به عن حد المجاملة فامر السلطان صدقة بقصده واخذ البصرة منه فتحرك لذلك فاتفق ظهور منكبرس وخلافه على السلطان وانه على قصد واسط فسر اسمعيل بذلك وزاد انبساطه وارسل صدقة حاجبا له وكان قبله قد خدم اباه وجده الى اسمعيل يامره بتسليم الشرطة واعمالها الى مهذب الدولة بن أبى الجبر لانها كانت فى ضمانه فوصل الى الشرطة واخذ منها أربعمائة دينار فاحضره اسمعيل وحبسه واخذ الدنانير منه فلما رأى صدقة مكاشفته سار من حلته واظهر انه يريد قصد الرحبة ثم جد السير الى البصرة فلم يشعر اسمعيل الا بقربه منه ففرق اصحابه فى القلاع التى استجدها بمطاراونه رمعقل وغيرهما واعتقل وجوه العباسيين والعلويين وقاضى البصرة ومدرسها واعيان أهلها ونازلهم صدقة فجرى قتال بين طائفة من عسكره وطائفة من البصريين قتل فيه أبو النجم بن أبى القاسم الورامى وهو ابن خال سيف الدولة صدقة فمما مدح به سيف الدولة ورثى به أبو النجم بن أبى القاسم قول بعضهم

تهن يا خير من يحمى حريم حمى * فتحا اغثت به الدنيا مع الدين
ركبت للبصرة الغراء فى نخب * غر جيش على يوم صفين
هوى أبو النجم كالنجم المنير بها * لكنه كان رجما للشياطين

واقام صدقة محاصرا لاسمعيل بالبصرة فاشار على سيف الدولة صدقة بعض أصحابه بالعود عنها واعلموه انهم لا يظفرون بطائل فاشار عليهم بالمقام وقالوا ان رحلنا كانت كسرة وكان رأى سيف الدولة المقام وقال ان تعذر على فتح البصرة لم يطغنى أحد واستجز فى الناس ثم ان اسمعيل خرج من البلد وقاتل صدقة فسار بعض اصحاب صدقة الى مكان آخر من البلد ودخلوه وقتلوا من السودية الذين جمعهم اسمعيل خلقا كثيرا وانهزم اسمعيل الى قلعته بالجزيرة فادركه بعض أصحاب سيف الدولة واراد قتله ففداه أحد غلمانه بنفسه فوقعت الضربة فيه فاثخنته فانهبت البصرة وغنم من معه من عرب البرو فيرهم ما فيها ولم يسلم منهم الا اهلة المجاورة لقبر طلحة والمربد فان العباسيين دخلوا المدرسة النظامية وامتنعوا بها وحموا المربد وعمت المصيبة لاهل البلد سوى من ذكرنا وامتنع اسمعيل بقلعته فاتفق ان المهذب بن أبى الجبر انحدر فى سفن كثيرة واخذ القلعة التى لاسمعيل بمطاراوقتل بها خلقا من اصحاب اسمعيل وحمل الى صدقة كثيرا فاطلقهم فلما علم اسمعيل بذلك ارسل الى صدقة يطلب الامان على نفسه واهله واملاكه فاجابه الى ذلك واجله سبعة أيام فاخذ كل ما يمكنه حمله مما يعز عليه ومالم يقدر

على حمله اهلكه بالماء وغيره ونزل الى سيف الدولة وأمن سيف الدولة أهل البصرة من كل اذى ورتب عندهم شحنة وعاد الى الحلة ثالث جمادى الآخرة وكان مقامه بالبصرة ستة عشر يوما واما اسمعيل فانه لما سار صدقة الى الحلة قصدهو الباسيان الى ان وصله ماله فى المراكب وسار نحو فارس وصار يتعنت اصحابه وزوجته وقبض على جماعة من خواصه وقال لهم انتم سقيتم ولدى افراسياب السم حتى مات وكان قد مات فى صفر من هذه السنة ففارقه كثير منهم حتى زوجته فارقته وسارت الى بغداد واخذته المحى وقويت عليه فلما بلغ رامهرمز انفرد فى خيمته ولم يظهر لاصحابه يوما وليلة فظهر لهم موته فنهبوا ماله وتفرقوا فارسل الامير برامهرمز فردهم واخذ ما معهم من اموالهم ودفن بالقرب من ايذج وكان عمره قد جاوز خمسين سنة وكانت سيرته قد حسنت فى اهل البصرة اخيرا

(ذكر حصر رضوان نصيبين وعوده عنها)

فى هذه السنة فى شهر رمضان حصر الملك رضوان بن تتش نصيبين وسبب ذلك انه عزم على حرب الفرنج واجتمع معه من الامراء ايلغازى بن ارتق الذى كان شحنة بغداد والاصبهبذ صباووالبى بن ارسلان تاش صاحب سنجار وهوصهر جكرمش صاحب الموصل فقال ايلغازى الرأى اننا نقصد بلاد جكرمش وماوالاها فنملكها ونتكثر بعسكرها والاموال ووافقه الى فسار الى نصيبين فى عشرة آلاف فارس مستهل رمضان وكان قد جعل فيها اميرين من اصحابه فى عسكر فتحصنوا بالبلد وقاتلوا من وراء السور فرمى البى بن ارسلان تاش بنشابة فجرحه جرحا شديدا فعاد الى سنجار واما جكرمش فانه بلغه الخبر ينزل لهم على نصيبين وهو بالحامة التى بالقرب من طنزة يتداوى مما بها من مرضه فرحل الى الموصل وقد اجفل اليها اهل السواد فخيم على باب البلد عازما على حرب رضوان واستعمل المخادعة فكاتب اعيان عسكر رضوان ورغبهم حتى افسد نياتهم وتقدم الى اصحابه بنصيبين بخدمة الملك رضوان وباخراج الاقامة اليه مع الاحتراز منه وارسل الى رضوان يبذل له خدمته والدخول فى طاعته ويقول له ان السلطان محمدا قد حصرنى ولم يبلغ منى غرضا فترحل عن صلح وان قبضت على ايلغازى الذى قد عرفت انت وغيرك فساده وشره فانا معك ومعينك بالرجال والاموال والسلاح فاتفق هذا ورضوان قد تغيرت نيته مع ايلغازى فازداد تغيرا وعزم على قبضه فاستدعاه يوما وقال له هذه بلاد ممتنعة وربما استولى الفرنج على حلب والمصلحة مصالحة جكرمش واستصحابه معنا فانه يسير بعساكر كثيرة ظاهرة التجمل ونعود الى قتال الفرنج فان ذلك مما يعود باجتماع شمل المسلمين فقال له ايلغازى انك جئت بحكمك وانت الآن بحكمى لا امكنك من المسير بدون اخذ هذه البلاد فان اقمت والا بدأت بقتالك وكان ايلغازى قد قويت نفسه بكثرة من اجتمع عنده من التركمان وكان الملك رضوان قد واعد قوما من اصحابه ليقبضوا عليه فلما جرى ما ذكرناه امرهم رضوان فقبضوا عليه

وفن بجوار المشهد المعروف بالسيدة سكينة رضى الله عنها بجانب الشيخ البرماوى رحمه الله وبارك فى ولده الشيخ مصطفى واعانه على وقته * ومات العمدة الفاضل حاوى الكمالات والفضائل الشيخ محمد بن يوسف ابن بنت الشيخ محمد بن سالم الحفناوى الشافعى ولد سنة ١١٦٣ وتربى فى حجر جده وتخلق باخلاقه وحفظ القرآن والالفية والمتون وحضر دروس جده واخى جده الشيخ يوسف الحفناوى وحضر اشياخ الوقت كالشيخ على العدوى والشيخ احمد الدردير والشيخ عطية الاجهورى والشيخ عيسى البراوى وغيرهم وتمهر ونجب وأخذ طريق الخلوتية عن جده ولقنه الاسماء ولما توفى جده القى الدروس فى محله بالازهر ونشأ من صغره على أحسن طريقة وعفة نفس وتباعد عن سفاسف الامور الدنيئة ولازم الاشتغال بالعلم وفتح بيت جده وعمل به ميعاد الذكر كعادته وكان عظيم النفس مع تهذيب الاخلاق والتبسط مع الاخوان والممازحة مع تجنبه مايخل بالمروءة وله بعض تعليقات وحواش وشعر مناسب ولم يزل على حالته الى ان توفى يوم السبت رابع شهر ربيع الاول من السنة وصلى

عليه بالازهر فى مشهد حافل ودفن مع جده فى تربة واحدة بمقبرة المجاورين ولم يخلف

ذكور رحمه الله * ومات الشيخ العلوم وحضر أشياخ الطبقة الاولى ودرس العلوم بالازهر وأفاد الطلبة وقرأ الكتب المفيدة وعاش طول عمره منعكفا في زوايا الخمول منعزلا عن الدنيا وهي منعزلة عنه راضيا بما قسم الله له قانعا بما يسره له مولاه لا يدعي في وليمة ولا ينهمك على شئ من أمور الدنيا ولم يزل على حالته حتى توفي يوم الاثنين ثالث عشر شوال من السنة * ومات العمدة المفضل الشيخ محمد عبد الفتاح المالكي من أهالي كفر حشاد بالمنوفية قدم من بلده صغيرا فجاور بالازهر وحضر على أشياخ الوقت ولازم دروس الشيخ الامير وبه تخرج وتفقه عليه وعلى غيره من علماء المالكية وتمهر في المعقولات وانجب وصارت له ملكة واستحضار ثم سافر الى بلده واقام بها يفيد ويفتي ويرجعون اليه في قضاياهم ودعاويهم فيقضي بينهم ولا يقبل من احد جعالة ولا هدية فاشتهر ذكره بالاقليم واعتقد وافيه الصلاح والعفة وانه لا يقضي الا بالحق ولا يأخذ رشوة ولا جعالة ولا يحابي في الحق فامتثلوا لقضاياه واوامره فكان اذا قضى قاض من قضاة البلد ان بين خصمين رجعا الى المترجم واعاد اعليه دعواهما فان راى القضاء صحيحا موافقا للشرع امضاه وامتثل الخصم الآخر ولا يمانع بعد

ثلاثة

وقيدوه فلما صح الاتركمان الحالي اظهروا الخلاف والامتعاض ففارقوا رضوان والتجؤا الى سور المدينة واصعدا يلغازي الى قلعتها وخرج من بنصيبين من العسكر فاعانوه فلما راى التركمان ذلك تفرقوا ونهبوا ما قدروا عليه من المواشي وغيرها ورحل رضوان من وقته وسار الى حلب وكان جكرمش قد رحل من الموصل قاصدا لحرب القوم فلما بلغ تل يعفر اتاه المبشرون بانصراف رضوان على اختلاف وافتراق فرحل عند ذلك الى سنجار ووصلت اليه رسل رضوان تستدعي منه النجدة ويعتذر عليه ما فعل بايلغازي فاجابه مغالطة ولم يف له بما وعده ونازل سنجار ليشفي غيظه من صهره ابي بن ارسلان تاش بما اعتمده من معاداته ومظاهرة أعدائه وكان ابي على شدة من المرض بالسهم الذي أصابه على نصيبين فلما نزل جكرمش عليها أمر ابي أصحابه ان يحملوه اليه فحملوه في محفة فحضر عنده وأخذ يعتذر مما كان منه وقال جئت مذنبا فافعل بي ما تراه فرق له وأعاده الى بلده فلما عاد قضى نحبه فلما مات عصى على جكرمش من كان بسنجار وتمسكوا بالبلد فقاتله بقية رمضان وشوالا ولم يظفر منهم بشئ فجاء تميرك أخو ارسلان تاش عم ابي فاصلح حاله مع جكرمش وبذل له الخدمة فعاد الى الموصل

* (ذكر ملك طغتكين بصرى) *

قد ذكرنا سنة سبع وتسعين حال بكتاش بن تتش وخروجه من دمشق واتصاله بالفرنج ومعه ايتكين الحاجب صاحب بصرى وسيرهما الى الرحبة وعودهما عنها فلما ضعفت احوالهم سار طغتكين الى بصرى فحصرها وبها أصحاب ايتكين فراسلوا طغتكين وبذلوا له التسليم اليه بعد أجل قرروه بينهم فاجابهم الى ذلك فرحل عنهم الى دمشق فلما انقضى الاجل هذه السنة تسلمها وأحسن الى من بها ووفى لهم بما وعدهم وبالغ في اكرامهم وكثر الثناء عليه والدعاء له ومالت النفوس اليه وأحبوه

* (ذكر ملك الفرنج حصن افامية) *

في هذه السنة ملك الفرنج حصن افامية من بلاد الشام وسبب ذلك ان خلف بن ملاعب الكلابي كان متغلبا على حمص وكان الضرر به عظيما ورجاله يقطعون الطريق فكثر الحرامية عنده فاخذها منه تتش بن الب ارسلان وابعده عنها فتقلبت به الاحوال الى أن دخل الى مصر فلم يلتفت اليه من بها فاقام بها واتفق ان المتولي لافامية من جهة الملك رضوان ارسل الى صاحب مصر وكان يميل الى مذهبهم يستدعي منهم من يسلم اليه الحصن وهو من امنع الحصون وطلب ابن ملاعب منهم ان يكون هو المقيم به وقال انني ارغب في قتال الفرنج وأوثر الجهاد فسلموه اليه واخذوا رهائنه فلما ملكه خلع طاعتهم ولم يرع حقهم فارسلوا اليه يتهددونه بما يفعلونه بولده الذي عندهم فاعاد الجواب انني لا أنزل من مكاني وابعثوا الي ببعض أعضاء ولدي حتى آكله فايسوا من رجوعه الى الطاعة وأقام بافامية يخيف السبيل ويقطع الطريق واجتمع عنده كثير من المفسدين فكثرت اموالهم ثم ان الفرنج ملكوا سرمين وهي من اعمال حلب واهلها

غلاة فى التشيع فلما ملكه الفرنج تفرق اهله فتوجه القاضى الذى به الى ابن ملاعب واقام عنده فاكرمه واحبه ووثق به فاعمل القاضى الحيلة عليه وكتب الى أبى طاهر المعروف بابن الصائغ وهو من أعيان اصحاب الملك رضوان ووجوه الباطنية ودعاتهم ووافقهم على الفتك بابن ملاعب وان يسلم افامية الى الملك رضوان فظهر شئ من هذا فاتى الى ابن ملاعب اولاده وكانوا قد تسلموا اليه من مصر وقالوا له قد بلغنا عن هذا القاضى كذا وكذا والرأى ان تعاجله وتحتاط لنفسك فان الامر قد اشتهر وظهر فاحضره ابن ملاعب فاتاه فى كمه صحف لانه راى امارات الشر فقال له ابن ملاعب ما بلغه عنه فقال له ايها الامير قد علم كل احد انى آتيتك خائفا جائعا فامنتنى واغنيتنى وعززتنى فصرت ذا مال وجاه فان كان بعض من حسدنى على منزلتى منك وما انعم فى من نعمتك سعى بى اليك فما لك ان تاخذ جميع ما معى واخرج كما جئت وحلف له على الوفاء والنصح فقبل عذره وامنه وعاود القاضى مكاتبة ابى طاهر بن الصائغ واشار عليه ان يوافق رضوان على انفاذ ثلثمائة رجل من اهل سرمين وينفذ معهم خيلا من خيول الفرنج وسلاحا من اسلحتهم ورؤسا من رؤس الفرنج ياتون الى ابن ملاعب ويظهرون انهم غزاة ويشكون من سوء معاملة الملك رضوان واصحابه لهم وانهم فارقوه فلقيهم طائفة من الفرنج فظفروا بهم ويحملون جميع ما معهم اليه فاذا أذن لهم فى المقام اتفقت آراؤهم على اعمال الحيلة عليه ففعل ابن الصائغ ذلك ووصل القوم الى افامية وقدموا الى ابن ملاعب بما معهم من الخيل وغيرها فقبل ذلك منهم وامرهم بالمقام عنده وانزلهم فى ربض افامية فلما كان فى بعض الليالى نام الحراس بالقلعة فقام القاضى ومن بالحصن من اهل سرمين ودلوا الحبال واصعدوا اولئك القادمين جميعهم وقصدوا ولادا ابن ملاعب وبنى عمه واصحابه فقتلوهم واتى القاضى وجماعة معه الى ابن ملاعب وهو مع امرأته فاحس بهم فقال من انت فقال ملك الموت جئت لاقبض روحك فناشده الله فلم يرجع عنه وجرحه وقتله وقتل اصحابه وهرب ابناه فقتل احدهما والتحق الآخر بابى الحسن بن منقذ صاحب شيزر فحفظه لعهد كان بينهما ولما سمع ابن الصائغ خبر افامية سار اليها وهو لا يشك انها له فقال له القاضى ان وافقتنى واقمت معى فبالرحب والسعة ونحن نحكمك والا فارجع من حيث جئت فايس ابن الصائغ منه وكان احد اولاد ابن ملاعب بدمشق عند طغتكين غضبان على ابيه فولاه طغتكين حصنا وضمن على نفسه حفظ الطريق فلم يفعل وقطع الطريق واخذ القوافل فاستغاثوا الى طغتكين منه فارسل اليه من طلبه فهرب الى الفرنج واستدعاهم الى حصن افامية وقال ايس فيه غير قوت شهر فاقاموا عليه يحاصرونه بجماع اهله وملكه الفرنج وقتلوا القاضى المتغلب عليه واخذوا ابن الصائغ فقتلوه وكان هو الذى اظهر مذهب الباطنية بالشام هكذا ذكر بعضهم ان اباطاهر ابن الصائغ قتله الفرنج بافامية وقد قيل ان ابن بديع رئيس حلب قتله سنة تسع وخمسمائة بعد وفاة رضوان وقد ذكرناه هناك والله اعلم

ولم يزل على حالته حتى كان المولد المعتاد بطندتا فذهب ابن الشيخ الامير الى هناك فاتى لزيارة ابن شيخه ونزل فى الدار التى هو نازل فيها فانهدمت الجهة التى هو بها وسقطت عليه فمات شهيدا مردوما ومعه ثلاثة انفار من اهالى قرية العكروت وذلك فى اوائل شهر الحجة ولم يخلف بعده مثله رحمه الله * ومات الامير سعيد اغا دار السعادة العثمانى الحبشى قدم الى مصر بعد مجئ يوسف باشا الوزير فى ايهة ونزل بدرب الجماميز فى البيت الذى كان نزل به شريف افندى الدفتردار بعد انتقاله منه وفتح باب التفتيش على جهات اوقاف الحرمين وغيرها واخاف الناس وحضر اليه كتبة الاوقاف وجلسوا المقارفة الناس والتعنت عليهم بطلب السندات ويهولون عليهم بالاغا المذكور وياخذون منهم المصالحات ثم يتهون اليه الامر على حسب اغراضهم ويعطونه جزأ ويأخذون لانفسهم الباقى ثم تنبه لذلك فطرد غالبهم وشدد على الباقين وتساهل مع الناس وكان رئيسا عاقلا معدودا فى الرؤساء تعمل عنده الدواوين والاجتماعات فى مهمات

الامور والوقائع كما تقدم ذكر ذلك فى مواضعه ثم انه تمرض بذات الرئة شهورا ومات فى يوم الاثنين رابع شهر صفر

* ومات الامير سليمان بك المرادى وهو من الامراء الذين تامروا بعد موت مراد بك وكان ظالما غشوما ويعرف بريحه بتشديد الياء وسبب تسميته بذلك انه كان اذا أراد قتل انسان ظلما يقول لاحد اعوانه خذه وريحه فياخذه ويقتله ومات فى واقعة اسيوط الاخيرة اخذت جلة المدفع دماغه وقطع ذراعه وعرفوا قتله بخاتمه الذى فى اصبعه فى ذراعه المقطوع * ومات سليمان بك الالفى الذى قتل فى واقعة ياسين بك بالمنية عند الخندق وغيره ولاء والله اعلم

(واستهلت سنة ثلاث وعشرين ومائتين والف) * فكان اول المحرم يوم الاحد فيه برز القابجى المسمى بيانجى بك الى السفر على طريق البر وخرج الباشا لوداعه وهذا القابجى كان حضر بالاوامر بخروج العساكر للبلاد الحجازيه وخلاص البلاد من ايدى الوهابية وفى مراسيمه التى حضر بها التاكيد والحث على ذلك فلم يزل الباشا يخادعه ويعده بانفاذ الامر ويعرفه ان هذا الامر لا يتم بالعجلة ويحتاج الى استعداد كبير وانشاء مراكب فى القلزم وغير ذلك من الاستعدادات وعمل الباشا ديوانا جمع فيه الدفتردار والمعلم غالى والسيد عمر والمشايخ وقال لهم لا يخفاكم ان الحرمين استولى عليها الوهابيون ومشوا احكامهم بها وقد وردت علينا الاوامر الملك

* (ذكر نهب العرب البصرة) *

قد ذكرنا استيلاء الامير صدقة على البصرة وانه استناب بها مملوكا كان لجده دبيس بن مزيد اسمه التونتاش وجعل معه مائة وعشرين فارسا فاجتمعت ربيعة والمنتفق ومن انضم اليهما من العرب وقصدوا البصرة فى جمع كثير فقاتلهم التونتاش فاسروه وانهزم أصحابه ولم يقدر من بها على حفظها فدخلوها بالسيف واخذوا القعدة واحرقوا الاسواق والدور والخسان ونهبوا ما قدروا عليه واقاموا ينهبون ويحرقون اثنين وثلاثين يوما وتشردا هله فى السواد ونهبت خزانة كتب كانت موقوفة وقفها القاضى ابو الفرج ابن ابى البقاء وبلغ الخبر صدقة فارسل عسكرا فوصلوا وقد فارقها العرب ثم ان السلطان محمدا ارسل شحنة وعميدا الى البصرة واخذها من صدقة وعاد اهلها اليها واشرعوا فى عمارتها

* (ذكر حال طرابلس الشام مع الفرنج) *

كان صنجيل الفرنجى لعنه الله قد ملك مدينة جبلة واقام على طرابلس يحصرها فحيث لم يقدر ان يملكها ابنى بالقرب منها حصنا وبنى تحته ربضا واقام مراصد لها ومنتظرا وجود فرصة فيها فخرج فخر الملك ابو على بن عمار صاحب طرابلس فاحرق ربضه ووقف صنجيل على بعض سقوفه المتحرقة ومعه جماعة من القمامصة والفرسان فانخسف بهم فرض صنجيل من ذلك عشرة ايام ومات وحمل الى القدس فدفن فيه ثم ان ملك الروم امر اصحابه بالالذقية ليحملوا الميرة الى هؤلاء الفرنج الذين على طرابلس فحملوها فى البحر فاخرج اليهم فخر الملك بن عمار اسطولا يجرى بينهم وبين الروم قتال شديد فظفر المسلمون بقطعة من الروم فاخذوها واسروا من كان بها وعادوا ولم تزل الحرب بين اهل طرابلس والفرنج خمس سنين الى هذا الوقت فعدمت الاقوات به وخاف اهله على نفوسهم واولادهم وحرمهم فخلا الفقراء وافتقر الاغنياء وظهر من ابن عمار صبر عظيم وشجاعة ورأى سديد وعما اضر بالمسلمين فيها ان صاحبها استجد سقمان بن ارتق فجمع العساكر وسار اليه فمات فى الطريق على ما ذكرناه واذا أراد الله امرا هيا اسبابه واجرى ابن عمار الجرايات على الجند والضعفاء فلما قلت الاموال عنده شرع يقسط على الناس ما يخرجه فى باب الجهاد فاخذ من رجلين من الاغنياء مالا مع غيرهما فخرج الرجلان الى الفرنج وقالا ان صاحبنا صادرنا فخرجنا اليكم لتكون معكم وذكر له انه تاتيه الميرة من عرقة والجبل فجعل الفرنج جمعا على ذلك الجانب يحفظه من دخول شئ الى البلد فارسل ابن عمار وبذل للفرنج مالا كثيرا فسلموا الرجلين اليه فلم يفعلوا فوضع عليهما من قتلهما غيلة وكانت طرابلس من أعظم بلاد الاسلام واكثرها تجملا وثروة فباع أهلها من الحلى والاوانى الغريبة مالا حد عليه حتى بيع كل مائة درهم فقرة بدينار وشتان بين هذه الحالة وبين حال الروم ايام السلطان الب ارسلان وقد ذكرت ظفره بهم سنة ثلاث وستين واربعمائة وقد كان بعض أصحابه وهو كشتكين دواتى عميد

الملك هرب منه خوفا لما بلغه على صاحبه عميد الملك وسار الى الرقة فملكها وصار معه كثير من التركمان فيهم الافشين وأحمدشاه فقتلاه وارسلا أمواله الى الب ارسلان ودخل الافشين بلاد الروم وقاتل الفردوس صاحب انطاكية فهزمه وقتل من الروم خلقا كثيرا وسار ملك الروم من القسطنطينية الى ملطية فدخل الافشين بلاده ووصل الى عمورية وقتل فى غزاته مائة ألف آدمى ولما عاد الى بلاد الاسلام وتفرق من معه خرج عليه عسكر الرها وهى حينئذ للروم ومعهم بنو نمير من العرب فقاتلهم ومعه مائتا فارس فهزمهم ونهبهم ونهب بلاد الروم فارسل ملك الروم رسولا الى القائم بامر الله يسأله الصلح فارسل الى الب ارسلان فى ذلك فصالح الروم على مائة ألف دينار وأربعة آلاف ثوب أصنافا وثلثمائة رأس بغال الافشتان بين الحالتين وأقول شتان بين حال أولئك المرذولين الذين استهزهم وبين حال الناس فى زماننا هذا وهو سنة ست عشرة وستمائة مع الفرنج أيضا والمترو سترى ذلك مشروحا ان شاء الله تعالى لتعلم الفرق نسأل الله تعالى ان ييسر للاسلام وأهله قائما يقوم بنصرهم وان يدفع عنهم من احب من خلقه وماذلك على الله بعزيز

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة ورد الى بغداد انسان من الملثمين ملوك الغرب قاصدا الى دار الخلافة فاكرم وكان معه انسان يقال له الفقيه من الملثمين أيضا فوعظ الفقيه فى جامع القصر واجتمع له العالم العظيم وكان يعظ وهو ملثم لا يظهر منه غير عينيه وكان هذا الملثم قد حضر مع ابن الافضل امير الجيوش بمصر ووقعته مع الفرنج وابلى بلاء حسنا وكان سبب مجيئه الى بغداد ان المغاربة كانوا يعتقدون فى العلويين اصحاب مصر الاعتقاد القبيح فكانوا اذا ارادوا الحج يعدلون عن مصر وكان امير الجيوش بدر والد الافضل اراد اصلاحهم فلم يميلوا اليه ولا قاربوه فلم يقتل من ظفر به منهم فلما ولى ابنه الافضل احسن اليهم واستعان بمن قاربه منهم على حرب الفرنج وكان هذا من جملة من قاتل معه فلما خالط المصريين خاف العود الى بلاده فقدم بغداد ثم عاد الى دمشق ولم يكن للمصريين حرب مع الفرنج الا وشهدها فقتل فى بعضها شهيدا وكان شجاعا فتا كاملا مقداما وفيها فى ربيع الآخر ظهر كوكب فى السماء له ذؤابة كقوس قزح آخذة من المغرب الى وسط السماء وكان يرى قريبا من الشمس قبل ظهوره ليلا وبقى يظهر عدة ليال ثم غاب وفيها وصل الملك قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش صاحب بلاد الروم الى الرها ليحصرها وبها الفرنج فراسله أصحاب حكرمش المقيمون بحران ليسلموها اليه فسار اليهم وتسلم البلد وفرح به الناس لاجل جهاد الفرنج فاقام بحران اياما ومرض مرضا شديدا أوجب عوده الى ملطية فعاد مريضا وبقى أصحابه بحران وفى هذه السنة توفى الشيخ ابو منصور الخياط المقرى امام مسجد ابن جردة وكان خيرا صالحا وفيها قتل القاضى ابو العلاء صاعد بن ابى محمد النيسابورى الحنفى بجامع اصبهان قتله باطنى وفيها توفى ابو الفوارس الحسين

عن الحرمين الشريفين ولا تخفى عنكم الحوادث والوقائع التى كانت سببا فى التاخير عن المبادرة فى امتثال الاوامر والآن حصل المدد وحضر قايجى باشا بالتاكيد والحث على خروج العساكر وسفرهم وقد حسنا المصاريف اللازمة فى هذا الوقت فبلغت اربعة وعشرين الف كيس فاعملوا رايكم فى تحصيلها لتحصل ارتباككم واضطراب وشاع ذلك فى الناس وزادهم الوسواس ثم اتفقوا على كتابة عرضحال ليصحبه ذلك القايجى معه بصورة تفقوها (وفى سادسه) حضر مرزوق بك وسليم بك المحرمجى وعلى كاشف الصابونجى المرسل فطلعوا الى القلعة وقابلوا الباشا وخلع على مرزوق بك والمحرمجى فروتين ونزلا الى دورهما ثم ترددوا وطلعوا ونزلوا وبلغوا رسائل الامراء القبليين وذكروا مطالبهم وشروطهم وشروط الباشا عليهم والاتفاق فى تقرير الصلح والمصالحة عدة أيام (وفيه) حضر عرب الهنادى والجهنية وصالحوا على انفسهم وان يرجعوا الى منازلهم بالبحيرة ويطردوا اولاد على وكانوا تغلبوا على الاقليم وحصل منهم الفساد والافساد وكانت مصالحتهم بيد شاهين بك الالفى وسافر معهم شاهين بك وخشداشينه ولم يبق بالجيزة سوى نعمان بك وذهبوا الى ناحية دمنهور

ابن علي بن الحسين بن الحازن صاحب الخط الجيد وعمره سبعون سنة قيل انه كتب خمسمائة ختمة وفيها في المحرم توفي القاضي ابو الفرج عبيد الله بن الحسن قاضي البصرة وله ثلاث وثمانون سنة وكان من الفقهاء الشافعية المشهورين تفقه على الماوردي وابي اسحق واخذ النحو عن الرقي والدهان وابن برهان وكان عفيفا مقدما عند الخلفاء والسلاطين وفيها في المحرم توفي سهل بن احمد بن علي الارغياني أبو الفتح الحاكم تفقه على الجويني وبرز ثم ترك المناظرة وبنى رباطا واشتغل بالعبادة وقراءة القرآن وفيها في صفر توفي الامير مهارش بن مجلي وله نحو ثمانين سنة وهو الذي كان الخليفة القائم عنده بالحديثة وكان كثير الصلاة والصوم يحب الخير وأهله ولما توفي ملك الحديثة بعده ابنه سليمان

(ثم دخلت سنة خمسمائة)

(ذكر وفاة يوسف بن تاشفين وملك ابنه علي)

في هذه السنة توفي أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ملك الغرب والاندلس وكان حسن السيرة خيرا عادلا يميل الى أهل الدين والعلم ويكرمهم ويصدر عن رأيهم ولما ملك الاندلس على ما ذكرناه جمع الفقهاء واحسن اليهم فقالوا له ينبغي ان تكون ولايتك من الخليفة لتجب طاعتك على الكافة فارسل الى الخليفة المستظهر بالله أمير المؤمنين رسولا ومعه هدية كثيرة وكتب معه كتابا يذكر ما فتح الله من بلاد الفرنج وما اعتمده من نصرة الاسلام ويطلب تقليده ولاية البلاد فكتب له تقليدا من ديوان الخلافة بما أراد ولقب أمير المسلمين وسيرت اليه الخلع فسر بذلك سرورا كثيرا وهو الذي بنى مدينة مراكش للمرابطين وبقي على ملكه الى سنة خمسمائة فتوفي وملك بعده البلاد ولده علي بن يوسف وتلقب أيضا أمير المسلمين فازداد في اكرام العلماء والوقوف عند اشارتهم وكان اذا وعظه أحدهم خشع عند استماع الموعظة ولان قلبه لها وظهر ذلك عليه وكان يوسف بن تاشفين حليما كريما دينا خيرا يحب أهل العلم والدين ويحكمهم في بلاده وكان يحب العفو والصفح عن الذنوب العظام فمن ذلك ان ثلاثة نفر اجتمعوا فتمنى أحدهم ألف دينار يتجر بها وتمنى الآخر لا يعمل فيه لامير المسلمين وتمنى الآخر زوجته النفزاوية وكانت من أحسن النساء ولها الحكم في بلاده فبلغه الخبر فاحضرهم وأعطى متمني المال ألف دينار واستعمل الآخر وقال للذي تمنى زوجته يا جاهل ما حملك على هذا الذي لا تصل اليه ثم أرسله اليها فتركته في خيمة ثلاثة أيام تحمل اليه كل يوم طعاما واحدا ثم أحضرته وقالت له ما أكلت هذه الايام قال طعاما واحدا فقالت كل النساء شيء واحد وأمرت له بمال وكسوة وأطلقته

(ذكر قتل فخر الملك بن نظام الملك)

في هذه السنة قتل فخر الملك أبو المظفر علي بن نظام الملك يوم عاشوراء وكان أكبر أولاده وقد ذكرنا سنة ثمان وثمانين واربعمائة وزارته للسلطان بركيارق فلما فارق وزارته

وارتحل اولاد علي الى حوش ابن عيسى وذلك أواخر المحرم ثم ان شاهين بك ركب بمن معه وحاربوهم ووقع بينهم مقتلة عظيمة وقتل فيها شخصان من كبار الاجناد الالفية وهما عثمان كاشف وآخر ونحو ستة مماليك وقتل جملة كثيرة من العرب وانكشف الحرب عن هزيمة العرب واسر وامنهم نحو الاربعين وغنموا منهم غنائم كثيرة من اغنام وجمال وتفرقوا وتشتتوا وذهبوا الى ناحية قبلي والفيوم وذلك في شهر صفر

(واستهل شهر ربيع الثاني سنة ١٢٢٣)

في عاشره حضر شاهين بك وباقي الالفية (وفي عشرينه) ورد الخبر بموت شاهين بك المرادي فخلع الباشا على سليم بك الهرمجي وجعله كبيرا ورئيسا على المرادية عوضا عن شاهين بك وسافر الى قبلي (وفيه) أيضا حضر أمين بك الالفي من غيبته وكان مسافرا مع الانكليز الذين كانوا حضروا الى الاسكندرية ورشيد وحصل لهم ما حصل فلم يزل غائبا حتى بلغه صلح شداشينه مع الباشا فرجع وطلع على ردته فارسلوا له الملاقاة والخيول واللوازم وحضر في التاريخ المذكور (وفيه) زوج الباشا شاهين بك سرية انتقتها زوجة الباشا ونظمتها وفرش له بسبعة مجالس بقصر الجيزة وجمع والذ المغنين وتقيد بتجهيز الشوار والاقمشة واللوازم الخواجا محمود حسن قصد

قصد نيسابور وأقام عند الملك سنجر بن ملكشاه ووزيره وأصبح يوم عاشوراء صائما وقال لاصحابه رأيت الليلة فى المنام الحسين بن على عليهما السلام وهو يقول عجل الينا وليكن افطارك عندنا وقد اشتغل فكرى به ولا محيد عن قضاء الله وقدره وقالوا له يحييك الله والصواب ان لا تخرج اليوم والليلة من دارك فاقام يومه يصلى ويقرأ القرآن وتصدق بشئ كثير فلما كان وقت العصر خرج من الدار التى كان بها يريد دار النساء فسمع صياح متظلم شديد الحرقة وهو يقول ذهب المسلمون فلم يبق من يكشف مظلمة ولا ياخذ بيد ملهوف فاحضره عنده رحمه الله فحضر فقال ما حالك فدفع اليه رقعة فبينما فخر الملك يتاملها اذ ضربه بسكين فقضى عليه فمات فحمل الباطنى الى سنجر فقرره فاقر على جماعة من اصحاب السلطان كذبا وقال انهم وضعوا على قتله وأرادان يقتل بيده وسعايته فقتل من ذكر وكان مكذوبا عليهم ثم قتل الباطنى بعدهم وكان عمر فخر الملك ستا وستين سنة

(ذكر ملك صدقة بن مزيد تكريت)

فى هذه السنة فى صفر تسلم الامير سيف الدولة صدقة بن منصور بن مزيد قلعة تكريت وقد ذكرنا فيما تقدم انها كانت لبنى مقن العقيليين وكانت الى آخر سنة سبع وعشرين وأربعمائة بيد رافع بن الحسين بن مقن فمات ووليها ابن أخيه أبو منعة خميس بن ثعلب بن حمدون وجد بها خمسمائة الف دينار سوى المصاغ وتوفى سنة خمس وثلاثين وأربعمائة ووليها ولده أبو غشام فلما كان سنة اربع وار بعين وثب عليه عيسى فحبسه وملك القلعة والاموال فلما اجتاز به طغرلبك سنة ثمان وار بعين صالحه على بعض المال فرحل عنه وخافت زوجته اميرة بعد موته ان يعود ابو غشام يملك القلعة فقتلته وكان قد بقى فى الحبس اربع سنين واستنابت فى القلعة ابا الغنائم بن الهلبان فسلمها الى اصحاب السلطان طغرلبك فسارت الى الموصل فقتلها ابن ابى غشام بابيه واخذ شرف الدولة مسلم بن قريش مالها ورد طغرلبك امر القلعة الى انسان يعرف بابى العباس الرازى فمات بها بعد ستة اشهر فملكها المهرباط وهو ابو جعفر محمد بن احمد بن خشنام من بلد الثغر فاقام بها احدى وعشرين سنة ومات ووليها ابنه سنتين واخذتها منه تركان خاتون ووليها لها كوهرائين ثم ملكها بعد وفاة ملكشاه قسيم الدولة آقسنقر صاحب حلب فلما قتل صارت للامير كشتكين الجاندار فجعل فيها رجلا يعرف بابى المصارع ثم عادت الى كوهرائين اقطاعا ثم اخذها منه مجد الملك البلاسانى فولى فيها كيقباذ بن هزارسب الديلمى فاقام بها اثنتى عشرة سنة فظلم اهلها واساء السيرة فلما اجتاز به سقمان بن ارتق سنة ست وتسعين ونهبها كان كيقباذ ينهبها اليلا وسقمان ينهبها نهارا فلما استقر السلطان محمد بعد موت اخيه بركيارق اقطعها للامير آقسنقر البرسقى شحنة بغداد فسار اليها وحصرها مدة تزيد على سبعة اشهر حتى ضاق على كيقباذ الامر فراسل صدقة بن مزيد ليسلمها اليه فسار اليها فى صفر هذه السنة وتسلمها منه وانحدر البرسقى وملكها ومات كيقباذ بعد نزوله من القلعة

ان عمرت له الدار وفرشت على طرف الباشا وكذلك تزوج عمر بك بجارية من جوارى الست نفيسة المرادية وجهزتها جهازا نفيسا من مالها وتزوج أيضا على كاشف الكبير الالفى بزوجة استاذه

(شهر جمادى الاولى سنة ١٢٢٣)

(فيه) سافر مرزوق بك بعد تقرير أمر الصلح بينه وبين الامراء المصريين القبالى وقلد الباشا مرزوق بك ولاية جرجا وامارة الصعيد وألبسه الخلعة وشرط عليه ارسال المال والغلال الميرية فعند ذلك اطمأنت الناس وسافرت السفار والمتسببون ووصل الى السواحل مراكب الغلال والاشياء التى تجلب من الجهة القبلية

(واستهل شهر جمادى الثانية سنة ١٢٢٣)

فيه قطع الباشا رتب الدلاة الاغراب وأخرجهم وعزل كبيرهم الذى يسمى كردى بوالى الساكن ببولاق وقلد ذلك مصطفى بك من أقاربه وجعله كبيرا على طائفة الدلاتية الباقين وضم اليه طائفة من الاتراك ألبسهم طراطير وجعلهم دلاتية وسافر كردى بوالى لبلاده فى منتصف الشهر وخرج صحبته عدة كبيرة من الدلاة (وفى اواخره) وردت الاخبار من اسلامبول وذلك ان طائفة من الينكجرية تعصبت وقامت على السلطان سليم

وعزلوه وأجلسوا مكانه السلطان ودفتردار الدولة وغيرهم وقطعوهم فى ات ميدان بعد ان تغيبوا واختفوا فى أماكن حتى فى بيوت النصارى واستدلوا عليهم واحدا بعد واحد فكانوا يشخصون الامير منهم المترفه على صورة منكرة الى ات ميدان فيقتلونه وبعضهم قطعوه فى الطريق وسكن الحال على سلطنة السلطان مصطفى بن عبد الحميد وكان السلطان سليم عند ما أحس بحركة الينكجرية ارسل يستنجد ويستدعى مصطفى باشا البيرقدار وكان برشق بالروملى بمخيم العرضى المتعين على حرب الموسكوب ووصل خبر الواقعة الى من بالعرضى فقام ايضا الينكجرية الفتنة بالعرضى وقتلوا أغات العرضى وخلافه وهرب الرئيس وخلافه عند مصطفى باشا المذكور وقد وصله مراسلة السلطان سليم فحركوا همته على القيام بنصرة السلطان سليم على الينكجرية فركب من العرضى فى عدة وافرة وحضر الى اسلامبول وشق بجمعه وعسكره من وسطها فى كبكبة حتى وصل الى باب السراية فوجده مغلقا فاراد كسره واحرقه الى ان فتحوه بالعنف وعبر الى داخل السراية وطلب السلطان سليم فعند ذلك أرسل السلطان مصطفى المتولى جماعة من خاصته فدخلوا على الى

بثمانية ايام وكان عمره ستين سنة واستناب صدقة بهاورام بن ابى فراس بن ورام وكان كيقباذ ينسب الى الباطنية وكان موته من سعادة صدقة فانه لو اقام عنده لعرض صدقة لظنون الناس فى اعتقاده ومذهبه

(ذكر الحرب بين عبادة وخفاجة)

فى هذه السنة فى ربيع الاول كانت حرب بين عبادة وخفاجة ظفرت عبادة واخذت بثارها من خفاجة وكان سبب ذلك ان سيف الدولة صدقة ارسل ولده بدران فى جيش الى طرف بلاده مما يلى البطيحة ليحميها من خفاجة لانهم يؤذون اهل تلك النواحى فتقربوا منه وتهددوا اهل البلاد فكتب الى ابيه يشكو منهم ويعرفه حالهم فاحضر عبادة وكانت خفاجة قد فعلت بهم العام الماضى ماذكرناه فلما حضر واعنده قال لهم ليتجهز وامع عسكره ليأخذوا بثارهم من خفاجة فساروا فى مقدم عسكره فادركوا حلة من خفاجة من بنى كليب ليلا وهم غارون لم يشعروا به فقالوا من انتم فقالت عبادة نحن أصحاب الدبون فعلموا انهم عبادة فقاتلوهم وصبرت خفاجة فبيناهم فى القتال اذ سمع طبل الجيش فانهزموا وقتلت منهم عبادة جماعة وكان فيهم عشرة من وجوههم وتركوا حرمهم فامر صدقة بحراستهن وحمايتهن وامر العسكر أن يؤثروا عبادة بما غنموه من أموال خفاجة خلفا لهم عما اخذ منهم فى العام الماضى واصاب خفاجة من مفارقة بلادها ونهب أموالها وقتل رجالها أمر عظيم وانتزحت الى نواحى البصرة وأقامت عبادة فى بلاد خفاجة ولما انهزمت خفاجة وتفرقت ونهبت أموالها جاءت امرأة منهم الى الامير صدقة فقالت له انك سبيتنا وسلبتنا قوتنا وغربتنا واضعت حرمتنا فابلاك الله فى نفسك وجعل صورة أهلك كصورتنا فكظم الغيظ واحتمل لها ذلك واعطاها اربعين جملا ولم يمض غير قليل حتى قابل الله صدقة فى نفسه واولاده فان دعاء الملهوف عند الله بمكان

(ذكر مسير جاولى سقاو الى الموصل واسر صاحبها جكرمش)

فى هذه السنة فى المحرم اقطع السلطان محمد جاولى سقاو الموصل والاعمال التى بيد جكرمش وكان جاولى قبل هذا قد استولى على البلاد التى بين خوزستان وفارس واقام بها سنين وعمر قلاعها وحصنها واساء السيرة فى اهلها وقطع أيديهم وجدع أنوفهم وسمل أعينهم فلما تمكن السلطان محمد من السلطنة خافه جاولى وأرسل السلطان اليه الامير مودود بن التونتكين فتحصن منه جاولى وحصره مودود ثمانية اشهر فارسل جاولى الى السلطان انى لا انزل الى مودود فان أرسلت غيره نزلت فارسل اليه خاتمه مع أمير آخر فنزل جاولى وحضر الخدمة باصبهان فرأى من السلطان ما يحب وامره السلطان بالمسير الى الفرنج ليأخذ البلاد منهم واقطعه الموصل وديار بكر والجزيرة كلها وكان جكرمش لما عاد من عند السلطان الى بلاده كما ذكرناه وعد من نفسه الخدمة وحمل المال فلما استقر ببلاده لم يف بما قال وتثاقل فى الخدمة وحمل المال فاقطع بلاده لجاولى فجاء

الى بغداد واقام بها الى اوّل ربيع الاوّل وسار الى الموصل وجعل طريقه على البوازيج فملكها ونهبها اربعة ايام بعد ان أمن اهلها وحلف لهم انه يحميهم فلما ملكها سار الى اربل واما جكرمش فانه لما بلغه مسيره الى بلاده كتب فى جمع العساكر فاتاه كتاب ابى الهيجاء بن موسك الكردى الهذبانى صاحب اربل يذكر اسئيلا جاولى على البوازيج ويقول له ان لم تعجل المجى واجتمع عليه ومنعه والا اضطررت الى موافقته والمصير معه فبادر جكرمش وعبر الى شرقى دجلة وسار فى عسكر الموصل قبل اجتماع عساكره وارسل اليه ابو الهيجاء عسكره مع اولاده فاجتمعوا بقرية باكلبا من اعمال اربل ووافاهم جاولى وهو فى الف فارس وكان جكرمش فى الفى فارس ولا يشك انه ياخذ جاولى باليد فلما اصطفوا للحرب حمل جاولى من القلب على قلب جكرمش فانهزم من فيه وبقى جكرمش وحده لا يقدر على الهزيمة لفالج كان به فهو لا يقدر يركب وانما يحمل فى محفة فلما انهزم اصحابه قاتل عنه ركابى اسود قتالا عظيما فقتل وقاتل معه واحد من اولاد الملك قاورت بك بن داود اسمه احمد فقاتل بين يديه فطعن فجرح وانهزم فمات بالموصل ولم يقدر اصحاب جاولى على الوصول الى جكرمش حتى قتل الركابى الاسود فحينئذ اخذوه اسيرا واحضروه عند جاولى فامر بحفظه وحراسته وكانت عساكر جكرمش التى استدعاها قد وصلت الى الموصل بعد مسيره بيومين فساروا جرائد ليدركوا الحرب فلقيهم المنهزمون ليقضى الله امرا كان مفعولا

(ذكر حصر جاولى سقاوا الموصل وموت جكرمش)

لما انهزم العسكر واسر جكرمش وصل الخبر الى الموصل فاقعد وافى الامرة زنكى بن جكرمش وهو صبى عمره احدى عشرة سنة وخطبوا له واحضروا اعيان البلد واقسموا منهم المساعدة فاجابوا الى ذلك وكان مستحفظ القلعة مملوكا لجكرمش اسمه غزغلى فقام فى ذلك المقام المرضى وفرق الاموال التى جمعها جكرمش والخيول وغير ذلك على الجند وكاتب سيف الدولة صدقة وقلج ارسلان والبرسقى شحنة بغداد بالمبادرة اليهم ومنع جاولى عنهم ووعدوا كلا منهم ان يسلموا البلد اليه فاما صدقة فلم يجبهم الى ذلك ورأى طاعة السلطان واما البرسقى وقلج ارسلان فنذكر حالهما ثم ان جاولى حصر الموصل ومعه كماوى بن خراسان التركمانى وغيره من الامراء وكثر جمعه وأمر ان يحمل جكرمش كل يوم على بغل وينادى اصحابه بالموصل ليسلموا البلد ويخلصوا صاحبهم مما هو فيه ويامرهم هو بذلك فلا يسمعون منه وكان يسجنه فى جب ويوكل به من يحفظه لئلا يسرق فاخرج فى بعض الايام ميتا وعمره نحو ستين سنة وكان شأنه قد علا ومنزلته قد عظمت وكان قد شيد سور الموصل وقواه وبنى عليها قصيلا وحفر خندقها وحصنها غاية ما يقدر عليه وكان مع جكرمش رجل من اعيان الموصل يقال له أبو طالب بن كسيرات وبنو كسيرات الى الآن بالموصل من أعيان أهلها وكان أبو طالب قد تقدم عند جكرمش وارتفعت منزلته واستولى على أموره وحضر معه الحرب فلما اسر جكرمش هرب أبو طالب الى اربل وكان أولاد أبى الهيجاء صاحب اربل قد

باشا البيرقدار وقالوا له هاهو السلطان سليم الذى تطلبه فلما رآه ميتا بكى وتاسف (ثم انه عزل السلطان مصطفى واحضر محمودا أخاه ابن عبد الحميد واجلسه على تخت الملك) ونودى باسمه وكان ذلك يوم الخميس خامس جمادى الثانية من السنة وعمره ثلاث وعشرون سنة ومات السلطان سليم وعمره احدى وخمسون سنة لانه ولد سنة ١١٧٢ ومدة ولايته نحو العشرين سنة تنقص شهرا فلما وردت هذه الاخبار وتواترت فى مكاتبات التجار والسفار خطب بعض الخطباء يوم الجمعة سادس عشرينه باسم السلطان محمود وبعضهم أطلق فى الدعاء ولم يذكر الاسم (وفيه) قوى عزم الباشا على السفر الى جهة دمياط ورشيد والاسكندرية فطلب لوازم السفر ووعد بسفره بعد قطع الخليج وطفق يستعجل بالوفاء ويطلب ابن الرداد المقياسى ويساله عن الوفاء ويقول اقطعوا جسر الخليج فى غد أو بعد غد فيقول تامرونا بقطعه قبل الوفاء فيقول لا ويقول ليس الوفاء بايدينا (فلما كان يوم السبت) سابع عشرينه وخامس عشر مسرى القبطى نقص النيل نحو خمسة أصابع وانكشف الحجر الراقد الذى عند فم الخليج تحت الحجر القائم فضج الناس ورفعوا

المظالم وخراب الريف وجلاء أهله واجتمع فى ذلك اليوم المشايخ عند الباشا فقال لهم اعملوا استسقاء وأمروا الفقراء والضعفاء والاطفال بالخروج الى الصحراء وادعوا الله فقال له الشيخ الشرقاوى ينبغى ان ترفقوا بالناس وترفعوا الظلم فقال أنا لست بظالم وحدى وانتم أظلم منى فانى رفعت عن حصتكم الفرض والمغارم اكراما لكم وأنتم تأخذونها من الفلاحين وعندى دفتر محرر فيه ما تحت أيديكم من الحصص يبلغ الفى كيس ولابد انى أفحص عن ذلك وكل من وجدته ياخذ الفرضة المرفوعة من فلاحينه أرفع الحصة عنه فقالوا له لك ذلك ثم اتفقوا على الخروج والسقيا فى صبحها بجامع عمرو بن العاص لكونه محل الصحابة والسلف الصالح يصلون به صلاة الاستسقاء ويدعون الله ويستغفرونه ويتضرعون اليه فى زيادة النيل وبالجملة ركب السيد عمر والمشايخ وأهل الازهر وغيرهم والاطفال واجتمع عالم كثير وذهبوا الى الجامع المذكور بمصر القديمة فلما كان صبحها وتكامل الجمع صعد الشيخ جاد المولى على المنبر وخطب بعد ان صلى صلاة الاستسقاء ودعا الله وأمن الناس على دعائه وحول رداءه ورجع الناس بعد صلاة الظهر وبات السيد عمر هنالك (وفى تلك الليلة) رجع من

حضروا الحرب مع جكرمش واسرهم جاولى فارسل الى أبى الهيجاء يطلب ابن كسيرات فاطلقه وسيره اليه فاطلق جاولى ابن أبى الهيجاء فلما حضر ابن كسيرات عند جاولى ضمن له فتح الموصل وبلاد جكرمش وتحصيل الاموال فاعتقله اعتقالا جميلا وكان قاضى الموصل أبو القاسم بن ودعان عدوا لابى طالب فارسل الى جاولى يقول له ان قتلت أبا طالب سلمت الموصل اليك فقتله وأرسل رأسه اليه فاظهر الشماتة به واخذ كثيرا من أمواله وودائعه فتاربه الاتراك غضبا لابى طالب ولتفرده بما اخذ من اموالهم فقتلوه وكان بينهما شهر واحد وقد رأينا كثيرا وسمعنا ما لا نحصيه من قرب وفاة أحد المتعاديين بعد صاحبه

(ذكر الحرب بين ملك القسطنطينية والفرنج)

فى هذه السنة كانت وحشة مستحكمة بين ملك الروم صاحب القسطنطينية وبين بيمند الفرنجى فسار بيمند الى بلد ملك الروم ونهبه وعزم على قصده فارسل ملك الروم الى الملك قلج أرسلان بن سليمان صاحب قونية واقصرا وغيرهما من تلك البلاد يستنجده فامده بجمع من عسكره فقوى بهم وتوجه الى بيمند فالتقوا واصطفوا واقتتلوا وصبر الفرنج بشجاعتهم وصبر الروم ومن معهم لكثرتهم ودامت الحرب ثم اجلت الوقعة عن هزيمة الفرنج وأتى القتل على اكثرهم واسر كثير منهم والذين سلموا عادوا الى بلادهم بالشام وعاد عسكر قلج ارسلان الى بلادهم عازمين على المسير الى صاحبهم بديار الجزيرة فاتاهم خبر قتله على ما نذكره ان شاء الله تعالى فتركوا الحركة واقاموا

(ذكر ملك قلج ارسلان الموصل)

قد ذكرنا ان اصحاب جكرمش كتبوا الى الامير صدقة وقسيم الدولة البرسقى والملك قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش السلجوقى صاحب بلاد الروم يستدعون كلا منهم اليهم ليسلموا البلد اليه فاما صدقة فامتنع ورأى طاعة السلطان واما قلج ارسلان فانه سار فى عساكره فلما سمع جاولى سقاوو بوصوله الى نصيبين رحل عن الموصل واما البرسقى فانه كان شحنة بغداد فسار منها الى الموصل فوصلها بعد رحيل جاولى عنها فنزل بالجانب الشرقى فلم يلتفت احد اليه ولا ارسلوا اليه كلمة واحدة فعاد فى باقى يومه ثم ان قلج ارسلان لما وصل الى نصيبين اقام بها حتى كثر جمعه فلما سمع جاولى بقربه رحل من الموصل الى سنجار وودع رحله بها واتصل به الامير ايلغازى بن ارتق وجماعة من عسكر جكرمش فصار معه اربعة آلاف فارس فاتاه كتاب الملك رضوان يستدعيه الى الشام ويقول له ان الفرنج قد عجز من بالشام عن منعهم فسار الى الرحبة وارسل اهل الموصل وعسكر جكرمش الى قلج ارسلان وهو بنصيبين استحلفوه لهم فحلف واستحلفهم على الطاعة له والمناصحة وسار معهم الى الموصل فملكها فى الخامس والعشرين من رجب ونزل بالمعروفة وخرج اليه ولد جكرمش واصحابه فخلع عليهم وجلس على التخت واسقط السلطان محمدا وخطب لنفسه بعد الخليفة واحسن الى العسكر واخذ القلعة

من غزة على مملوك جكرمش وجعل له فيها دزدارا ورفع الرسوم المحدثة فى الظلم وعدل فى الناس وتألفهم وقال من سعى الى باحد قتلته فلم يسع احدا باحد وأقر القاضى ابا محمد عبد الله بن القاسم بن الشهرزورى على القضاء بالموصل وجعل الرياسة لابى البركات محمد بن محمد بن خميس وهو ولد شيخنا ابى الربيع سليمان وكان فى جملة قلج ارسلان الامير ابراهيم بن ينال التركمانى صاحب آمد ومحمد بن جبق التركمانى صاحب حصن زياد وهو خوتبرت فاما ابراهيم بن ينال فكان سبب ملكه لمدينة آمد ان تاج الدولة تتش حين ملك ديار بكر سلمها اليه فبقيت بيده واما محمد بن جبق فكان سبب ملكه لحصن زياد ان هذا الحصن كان بيد الفلادروس الرومى ترجمان ملك الروم وكانت الرها وانطاكية من اعماله فلما ملك سليمان بن قتلمش والد هذا قلج ارسلان انطاكية وملك فخر الدولة بن جهير ديار بكر ضعف الفلادروس عن اقامة ما يحتاج اليه حصن زياد من الميرة والاقامة فاخذه جبق واسلم الفلادروس على يد السلطان ملكشاه وامره على الرها فلم يزل عليها حتى مات واخذها الامير بزان بعده وكان بالقرب من حصن زياد حصن آخر بيد انسان من الروم اسمه افرنجى وكان يقطع الطريق ويكثر قتل المسلمين فارسل اليه جبق هدية وخطب اليه مودته وان يعين كل واحد منهما صاحبه فاجابه الى ذلك فكان جبق يعين افرنجى على قطع الطريق وغيره وكذلك افرنجى يعين جبق فلما وثق كل واحد بصاحبه ارسل اليه جبق انى اريد قصد بعض الاماكن وطلب ان يرسل اليه اصحابه فارسلهم اليه فلما سار وامعه فى الطريق تقدم يكتفهم وحملهم الى قلعة افرنجى وقال لاهليهم والله لئن لم تسلموا الى افرنجى لاضربن اعناقهم ولآخذن الحصن عنوة ولاقتلنكم على دم واحد فقتحوا له الحصن وسلموا اليه افرنجى فسلخه واخذ ماله وسلاحه وكان عظيما ومات جبق فولى بعده ابنه محمد

(ذكر قتل قلج ارسلان وملك جاولى الموصل)

قد ذكرنا ان قلج ارسلان لما وصل الى نصيبين سار جاولى عن الموصل الى سنجار ثم الى الرحبة فوصلها فى رجب وحصرها الى الرابع والعشرين من شهر رمضان وكان صاحبها حينئذ يعرف بمحمد بن السباق وهو من بنى شيبان رتبه بها الملك دقاق لما فتحها واخذ ولده رهينة وحمله معه الى دمشق فلما توفى ارسل هذا الشيبانى قوما سرقوا ولده وحملوه اليه فلما وصل اليه خلع الطاعة للدمشقيين وخطب فى بعض الاوقات لقلج ارسلان فلما وصل اليها جاولى وحصرها ارسل الى الملك رضوان يعرفه انه على الاجتماع به ومساعدته على من يحاربه ويشرط عليه انه اذا تسلم البلاد سار معه ليكشف الفرنج عن بلاده فلما استقرت القاعدة بينهما حضر عنده رضوان فاشتد الحصار على اهل البلد وضاقت عليهم الامور واتفق جماعة كانوا باحد الابراج وارسلوا الى جاولى واستحلفوه على حفظهم وحراستهم وامروه ان يقصد البرج الذى هم فيه عند انتصاف الليل ففعل ذلك فرفع من فى البرج اصحابه اليهم فى الحبال فضربوا بوقاتهم

باشا الى بحرى ونزل فى المراكب وأرسل قبل نزوله بايام بتشهيل الاقامات والسكاف على البلاد من كل صنف خمسة عشر واخلوا لمن معه بيوت البنادر مثل المنصورة ودمياط ورشيد والمحلة والاسكندرية وفرض الفرض والمغارم على البلاد على حكم القراريط التى كانوا ابتدعوها فى العام الماضى على كل قيراط سبعة آلاف وسبعمائة نصف فضة وسماها كافة الذخيرة وأمر بكتابة دفتر لذلك فكتب اليه الروزنامجى ان الخراب استولى على كثير من البلاد فلا يمكن تحصيل هذا الترتيب فارسل من المنصورة يأمر بتحرير العمارى بدفتر مستقل والخراب بدفتر آخر فلما فعل الروزنامجى ذلك أدخل فيها بلادا بها بعض الرمق لتخلص من الفرضة وفيها ماهو لنفسه فلما وصلت اليه أمر بتوزيع ذلك الخراب على اولاده واتباعه واغراضه وعدتها مائة وستون بلدة وامر الروزنامجى بكتابة تقاسيطها بالاسماء التى عينها له فلم يمكن الروزنامجى ان يتلافى ذلك فتظهر خيانته ووزعت وارتفعت عن اصحابها وكذلك حصل باقليم البحيرة لما عمها الخراب وتعطل خراجها وطلبوا الميرى من الملتزمين فتظلموا واعتذروا بعموم الخراب فرفعوها عنهم وفرقها الباشا على اتباعه واستولوا عليها وطلبوا الفلاحين الشاردة والمتنحية من البلاد الاخر وأمروهم بسكناها وزادوا فى

وطبولهم فخذل من فى البلد ودخله اصحاب جاولى فى اليوم الرابع والعشرين من شهر رمضان ونهبوه الى الظهر ثم امر برفع النهب ونزل اليه محمد الشيبانى صاحب البلد واطاعه وصار معه ثم ان قلج ارسلان لما فرغ من امر الموصل سار عنها الى جاولى سقاوو ليحاربه وجعل ابنه ملكشاه فى دار الامارة وعمره احدى عشرة سنة ومعه امير ابذبره وجماعة من العسكر وكانت عدة عسكره اربعة آلاف فارس بالعدة الكاملة والخيل الجيدة وسمع العسكر بقوة جاولى فاختلفوا وكان اول من خالف عليه ابراهيم بن ينال صاحب آمد فانه فارق خيامه واثقاله وعاد من الخابور الى بلاده وكذلك غيره وعمل قلج ارسلان على المطاولة لما بلغه من قوة جاولى وكثرة جموعه وارسل الى بلاده يطلب عساكره لانها كانت عند ملك الروم نجدة له على قتال الفرنج كما ذكرناه فلما وصل الى الخابور بلغت عدته خمسة آلاف وكان مع جاولى اربعة آلاف من جملتهم الملك رضوان وجماعة من عسكره الان شجعانها كثروا غنم جاولى قلة عسكر قلج ارسلان فقاتله قبل وصول عساكره اليه فالتقوا فى العشرين من ذى القعدة فحمل قلج ارسلان على القوم بنفسه حتى خالطهم فضرب يد صاحب العلم فابانها ووصل الى جاولى بنفسه فضربه بالسيف فقطع الكزاغند ولم يصل الى بدنه وحمل اصحاب جاولى على اصحابه فهزموهم واستباحوا ثقلهم وسوادهم فلما رأى قلج ارسلان انهزام عسكره علم انه ان أسر فعل به فعل من لم يترك للصلح موضعا لاسيما وقد نازع السلطان فى بلاده واسم السلطنة فالقى نفسه فى الخابور وحمى نفسه من اصحاب جاولى بالذباب فانحدر به الفرس الى ماء عميق فغرق وظهر بعد ايام فدفن بالشمساتية وهى من قرى الخابور وسار جاولى الى الموصل ولما وصل اليها فتح اهلها له بابها ولم يتمكن من بها من اصحاب قلج ارسلان من منعهم ونزل بظاهر البلد واخذ كل واحد من اصحاب جكرمش الذى حضر الوقعة مع قلج ارسلان الى جهة فلما ملك جاولى الموصل اعاد خطبة السلطان محمد وصادر جماعة من بها من أصحاب جكرمش وسار الى جزيرة ابن عمر وبها حيشى بن جكرمش ومعه امير من غلمان ابيه اسمه غزغلى فحصره مدة ثم انهم صالحوه وحملوا اليه ستة آلاف دينار وغيرها من الدواب والثياب ورحل عنهم الى الموصل وارسل ملكشاه بن قلج ارسلان الى السلطان محمد

(ذكر احوال الباطنية باصبهان وقتل ابن عطاش)

فى هذه السنة ملك السلطان محمد القلعة التى كان الباطنية ملكوها بالقرب من اصبهان واسمها شاهدز وقتل صاحبها احمد بن عبد الملك بن عطاش وولده وكانت هذه القلعة قد بناها ملكشاه واستولى عليها بعده أحمد بن عبد الملك بن عطاش وسبب ذلك انه اتصل بدزدار كان لها فلما مات استولى احمد عليها وكان الباطنية باصبهان قد البسوه تاجا وجعوا له امورا وانما فعلوا ذلك به لتقدم أبيه عبد الملك فى مذهبهم فانه كان اديبا بليغا حسن الخط سريع البديهة عفيفا وابتلى بحب هذا المذهب وكان هذا ابنه احمد جاهلا لا يعرف شيأ وقيل لابن الصباح صاحب قلعة الموت

لماذا

لماذا تعظم ابن عطاش مع جهله قال لكان ابيه لانه كان أستاذى وصار لابن عطاش عدد كثير وباس شديد واستفحل أمره بالقلعة فكان يرسل اصحابه لقطع الطريق وأخذ الاموال وقتل من قدروا على قتله فقتلوا خلقا كثيرا لا يمكن احصاؤهم وجعلوا له على القرى السلطانية واملاك الناس ضرائب يأخذونها ليكفوا عنها الاذى فتعذر بذلك انتفاع السلطان بقراه والناس باملاكهم وتمشى لهم الامر بالخلف الواقع بين السلطانين بركيارق ومحمد فلما صفت السلطنة لمحمد ولم يبق له منازع لم يكن عنده اهم من قصد الباطنية وحربهم والانتصاف للمسلمين من جورهم وعسفهم فرأى البداءة بقلعة اصبهان التى بايديهم لان الاذى بها أكثر وهى متسلطة على سريرملكه فخرج بنفسه لمحاصرتهم فى سادس شعبان وكان قد عزم على الخروج أول رجب فساء ذلك من يتعصب لهم من العسكر فأرجفوا ان قلج ارسلان بن سليمان قد ورد بغداد وملكها واتفقوا فى ذلك مكاتبات ثم اظهروا ان خلالا قد تجدد بخراسان فتوقف السلطان لتحقيق الامر فلما ظهر بطلانه عزم عزيمة مثله وقصد حربهم وصعد جبلا يقابل القلعة من غربيها ونصب له التخت فى اعلاه واجتمع له من اصبهان وسوادها الحربهم الامم العظيمة للذحول التى يطالبونهم بها وأحاطوا بجبل القلعة ودوره اربعة فراسخ ورتب الامراء لقتالهم فكان يقاتلهم كل يوم أمير فضاق الامر بهم واشتد الحصار عليهم وتعذرت عندهم الاقوات فلما اشتد الامر عليهم كتبوا واقتوى فيها ما يقول السادة الفقهاء أئمة الدين فى قوم يؤمنون بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر وان ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم حق وصدق وانما يخالفون فى الامام هل يجوز للسلطان مهادنتهم ومواعدتهم وان يقبل طاعتهم ويحرسهم من كل اذى فاجاب اكثر الفقهاء بجواز ذلك وتوقف بعضهم فجمعوا للمناظرة ومعهم ابو الحسن على بن عبد الرحمن السمنجانى وهو من شيوخ الشافعية فقال يحضر من الناس يجب قتالهم ولا يجوز اقرارهم بمكانهم ولا ينفعهم التلفظ بالشهادتين فانهم يقال لهم اخبرونا عن امامكم اذا اباح لكم ما حظره الشرع او حظر عليكم ما اباحه الشرع اتقبلون امره فانهم يقولون نعم وحينئذ تباح دماؤهم بالاجماع وطالت المناظرة فى ذلك ثم ان الباطنية سألوا السلطان ان يرسل اليهم من يناظرهم وعينوا على اشخاص من العلماء منهم القاضى ابو العلاء صاعد بن يحيى شيخ الحنفية باصبهان وقاضيها وغيره فصعدوا اليهم وناظروهم وعادوا كما صعدوا وانما كان قصدهم التعلل والمطاولة فلما حينئذ السلطان فى حصرهم فلما رأوا عين الحاقة اذعنوا الى تسليم القلعة على ان يعطوا عوضا عنها قلعة خالنجان وهى على سبعة فراسخ من اصبهان وقالوا انا نخاف على دمائنا واموالنا والنامن العامة فلا بد من مكان نحتمى به منهم فاشير على السلطان اجابتهم الى ما طلبوا فسألوا ان يؤخرهم الى النوروز ليرحلوا الى خالنجان ويسلموا قلعتهم وشرطوا ان لا يسمع قول متنصح فيهم وان قال أحد عنهم شيئا سلمه اليهم وان من اتاه منهم رده اليهم فاجابهم اليه وطلبوا ان يحمل اليهم من

الصناع ثم ارتحل عنها ورجع الى ١٨٢ بحر منوف وذهب الى رشيد والاسكندرية ولما استقر بها اهدى هدية الى الدولة وارسل الى مصر فطلب عدة قناطير من البن والاقمشة الهندية وسبعمائة اردب ارز ابيض اخذت من بلاد الارز وارسل الهدية صحبة ابراهيم افندى المهردار وحضر اليه وهو بالاسكندرية فابجى من طرف مصطفى باشا اليه قدار الوزير برسالة ورجع بالجواب على اثره ولم يعلم ما دار بينهما (وفى منتصفه) اعنى شعبان حضر محمد على باشا من غيبته وطلع على ساحل بولاق ليلة الخميس خامس عشره وذهب الى داره بالازبكية ثم طلع فى ثانى يوم الى القلعة وضربوا الحضوره مدافع

(واستهل شهر رمضان بيوم الجمعة ١٢٢٣)

فيه وردت الاخبار بحرق القمامة القدسية وظهور حريقها من كنيسة الاروام (وفيه) سافر عدة من العسكر والدلاة وعربك الالفى ومعه طائفة من المماليك الى البحيرة بسبب عربان اولاد على فانهم كانوا بعد الحوادث المتقدمة نزلوا بالاقليم وشاركوا وزرعوا مثل ما كان عليه الهنادى والجهنة فلما اصطلح الالفية مع الباشا توسط شاهين بك فى صلح الهنادى والجهنة على قدر وذلك لما كان بينهم وبين استاذه من النسابة ونزل صحبتهم الى البحيرة وعمرهم بارضها كما كانوا اولا وطرد اولاد على وحاربهم ومكن الهنادى والجهنة ورجع الى الجيزة وهما

الاقامة ما يكفيهم يوما بيوم فاجيبوا اليه فى كل هذا وقصدهم المطاولة انتظار الفتق ينفتق او حادث يتجدد ورتب لهم وزير السلطان سعد الملك ما يحمل اليهم كل يوم من الطعام والفاكهة وجميع ما يحتاجون اليه فجعلوا هم يرسلون ويبتاعون من الاطعمة ما يجمعونه ليمتنعوا فى قلعتهم ثم انهم وضعوا من اصحابهم من يقتل اميرا كان يبالغ فى قتالهم فوثبوا عليه وجرحوه وسلم منهم فحينئذ امر السلطان باخراب قلعة خالتجان وجدد الحضار عليهم فطلبوا ان ينزل بعضهم و يرسل السلطان معهم من يحميهم الى ان يصلوا الى قلعة الناظر بارجان وهى لهم و ينزل بعضهم ويرسل معهم من يوصلهم الى طبس وان يقيم البقية منهم فى ضرس من القلعة الى ان يصل اليهم من يخبرهم بوصول اصحابهم فينزلون حينئذ ويرسل معهم من يوصلهم الى ابن الصباح بقلعة الموت فاجيبوا الى ذلك فنزل منهم الى الناظر والى طبس وساروا وتسلم السلطان القلعة وخربها ثم ان الذين ساروا الى قلعة الناظر وطبس وصل منهم من أخبر ابن عطاش بوصولهم فلم يسلم السن الذى بقى بيده ورأى السلطان منه الغدر والعود عن الذى قرره فامر بالزحف اليه فزحف الناس عامة ثانى ذى القعدة وكان قد قل عنده من يمنع ويقاتل فظهر منهم صبر عظيم وشجاعة زائدة وكان قد استامن الى السلطان انسان من اعيانهم فقال لهم انى ادلكم على عورة لهم فاتى بهم الى جانب لذلك السن لهم لا يرام فقال لهم اصعدوا من ههنا وقيل انهم قد ضبطوا هذا المكان وشحنوه بالرجال فقال ان الذى ترون اسلحة وكزاغندات قد جعلوها كهيئة الرجال لقلتهم عندهم وكان جميع من بقى ثمانين رجلا فزحف الناس من هناك فصعدوا منه وملكوا الموضع وقتل أكثر الباطنية واختلط جماعة منهم مع من دخل فخرجوا معهم واما ابن عطاش فانه أخذ اسيرا فترك اسبوعا ثم انه أمر به فشهر فى جميع البلد وسلخ جلده فتجلد حتى مات وحشى جلده تبنا وقتل ولده وحمل رأساهما الى بغداد والقت زوجته نفسها من رأس القلعة فهلكت وكان معها جواهر نفيسة لم يوجد مثلها فهلكت أيضا وضاعت وكانت مدة البلوى بابن عطاش اثنتى عشرة سنة

(ذكر الخلف بين سيف الدولة صدقة ومهذب الدولة صاحب البطيحة)

فى هذه السنة اختلف سيف الدولة صدقة بن مزيد ومهذب الدولة السعيد بن ابى الجبر صاحب البطيحة وانضاف حماد بن ابى الجبر الى صدقة واظهر معاداة ابن عمه مهذب الدولة ثم اتفقوا وكان سبب ذلك ان صدقة لما اقطعه السلطان محمد مدينة واسط ضمنها منه مهذب الدولة واستناب فى الاعمال اولاده واصحابه فمدوا أيديهم فى الاموال وفرطوا فيها وفرقوها فلما انقضت السنة طالبه صدقة بالمال وحبسه ثم سعى فى خلاصه بدران ابن صدقة وهو صهر مهذب الدولة فاخرجه من الحبس واعاده الى بلده البطيحة وضمن حماد بن ابى الجبر واسط فانحل على مهذب الدولة كثير من امره فآل الامر الى الاختلاف بعد الاتفاق فان المصطفى اسمعيل جد حماد والمختص محمدا والد مهذب الدولة أخوان

وهما ابنا أبى الجبر وكانت اليهما رياسة اهلهما وجماعتهما فهلك المصطنع وقام ابنه بو السيد المظفر والد حماد مقامه وهلك المختص محمد وقام ابنه مهذب الدولة مقامه وصارا يتنازعان ابن الهيثم صاحب البطيحة ويقاتلانه الى ان اخذه مهذب الدولة ايام كوهرائين وسلمه الى كوهرائين فحمله الى اصبهان فهلك فى طريقها فعظم امر مهذب الدولة وصيره كوهرائين أمير البطيحة فصار ابن عمه وجماعته تحت حكمه وكان حماد شابا فاكرمه مهذب الدولة وزوجه بنتاله وزاد فى اقطاعه فكثر ماله فسار يحسد مهذب الدولة ويضمر بغضه ويعاظهره فى بعض الاوقات وكان مهذب الدولة يداريه بجهده فلما هلك كوهرائير انتقل حماد من مهذب الدولة واظهر ما فى نفسه فاجتهد مهذب الدولة فى اعادته الى ما كان فلم يفعل فسكت عنه فجمع النفيس بن مهذب الدولة جمعا وقصد حمادا فهرب منه الى سيف الدولة بالحلة فاعاده صدقة ومعه جماعة من الجند فحشد مهذب الدولة فارسل حماد الى صدقة يعرفه ذلك فارسل اليه كثيرا من الجند فقوى عزم مهذب الدولة على المحاربة لئلا يظن به العجز فاشار عليه اهله بترك الخروج من موضعه لحصانته فلم يفعل وسير سفنه واصحابه فى الانهر فجعل حماد واخوه له الكمناء واندفعوا من بين ايديهم فطمع اصحاب مهذب الدولة وتبعوهم فخرج عليهم الكمناء فلم يسلم منهم الا من لم يحضر لاجله فقتل منهم واسر خلق كثير فقوى طمع حماد وارسل الى صدقة يستنجده فارسل اليه مقدم جيشه سعيد بن حميد العمرى وغيره من المقدمين وجمعوا السفن ليقاتلوا مهذب الدولة فرأوا أمرا محكما فلم يمكنهم الدخول اليه وكان حماد بخيلا ومهذب الدولة جوادا فارسل الى سعيد بن حميد الاقامات الوافرة والصلات الكثيرة واستمالة فمال اليه واجتمع به وقرر الامر على ان ارسل مهذب الدولة ابنه النفيس الى صدقة فرضى عنه واصلح بينهم وبين حماد ابن عمهم وعادوا الى حال حسنة من الاتفاق وكان صلحهم فى ذى الحجة سنة خمسمائة

﴿ذكر قتل وزير السلطان ووزارة احمد بن نظام الملك﴾

فى شوال من هذه السنة قبض السلطان محمد على وزيره سعد الملك ابى المحاسن واخذ ماله وصلبه على باب اصبهان وصلب معه اربعة نفر من اعيان اصحابه والمنتمين اليه اما الوزير فنسب الى خيانة السلطان واما الاربعة فنسبوا الى اعتقاد الباطنية وكانت مدة وزارته سنتين وتسعة اشهر وكان فى ابتداء حاله يصحب تاج الملك ابا الغنائم وتعطل بعده ثم استعمله مؤيد الملك بن نظام الملك فجعله على ديوان الاستيفاء وخدم السلطان محمدا لما حصره اخوه السلطان بركيارق باصبهان خدمة حسنة ولما فارقها محمد حفظها الحفظ التام وقام المقام العظيم فاستوزره محمد ووسع له فى الاقطاع وحكمه فى دولته ثم نكبه وهذا آخر خدمة الملوك وما احسن ما قال عبد الملك بن مروان انعم الناس عيشا من له ما يكفيه وزوجة ترضيه ولا يعرف ابو ابناء هذه الخبيثة فتؤذيه ولما قبض الوزير استشار السلطان فيمن يجعله وزيرا فذكر له جماعة فقال السلطان ان آبائى أدروا على

الشخص على صرف القرش الواحد فلا يجد صرفه الا بعد جهد شديد ويصرفه الصراف او خلافه للمضطر بنقص

نصفين او ثلاثة (وفيه) سافر ايضا حسن الشماشرجي ولحق بالجردين (وفي اواخره) ورد الخبر بان محو بك كاشف البحيرة قبض على السيد حسين نقيب الاشراف بدمنهور واهانه وضربه وصادره واخذ منه الفي ريال بعد ان حلف انه ان لم يات بها في مدة اربع وعشرين ساعة والا قتله فوقع في عرض النصارى المباشرين فدفعوها عنه حتى تخلص بالحياة وكذلك قبض على رجل من التجار وقرر عليه جملة كثيرة من المال فدفع الذي حصلته يده وبقي عليه باقي ما قرره عليه فلم يزل في حبسه حتى مات تحت العقوبة فطلب أهله رمته فخلف لا يعطيهم الهم حتى يكون ابنه في الحبس مكانه

(ومن الحوادث السماوية) أن في سابع عشر بن رمضان غيمت السماء بناحية الغربية والقهلة الكبرى وامطرت بردا في مقدار بيض الدجاج واكبر واصغر فهدمت دورا واصابت أنعاما وغيرها فقتلت الدودة من الزرع البدري

(واستهل شهر شوال بيوم الاحد سنة ١٢٢٣)

في اواخره حضر شاهين بك الالفي من ناحية البحيرة وذلك بعد ارتحال اولاد علي من الاقليم (وفيه) ايضا حضر سليمان كاشف البواب من ناحية قبلي وصحبته عدة من المماليك واربعة من الكشاف فقابل الباشا وخلع عليه وانزله ببيت طنان بسويقة العزي وسكن بها قدره نظام الملك البركة ولهم عليه الحق الكثير واولاده أغنياء نعمتنا ولا معدل عنهم فامر لابي نصر احمد هذا بالوزارة ولقب القاب ابيه قوام الدين نظام الملك صدر الاسلام وكان سبب قدومه الى باب السلطان انه لما رأى انقراض دولة أهل بيته لزم داره بهمذان فاتفق ان رئيس همذان وهو الشريف أبو هاشم آذاه فسار الى السلطان شاكيا منه ومتظلما فقبض السلطان على الوزير واحمد هذا في الطريق فلما وصل اليه ذكره وخلع عليه خلع الوزارة وحكمه ومكنه وقوى أمره وهذا من الفرج بعد الشدة فانه حضر شاكيا فصار حاكما

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في صفر عزل الوزير أبو القاسم علي بن جهير وزير الخليفة فقصد دار سيف الدولة صدقة ببغداد ملتجئا اليها وكانت ملجأ لكل ملهوف فارسل اليه صدقة من أخذه اليه الى الحلة وكانت وزارته ثلاث سنين وخمسة اشهر واياما واما امر الخليفة بنقض داره التي بباب العامة وفيها عبرة فان اباه ابا نصر بن جهير بناها بانقاض املاك الناس واخذ بسببها اكثر ما دخل فيها فخربت عن قريب ولما عزل استنيب قاضي القضاة ابو الحسن بن الدامغاني ثم تقررت الوزارة في المحرم من سنة احدى وخمسمائة لابي المعالي هبة الله بن محمد بن المطلب وخلع عليه فيه وفيها في شوال توفي الامير ابو الفوارس سرحاب بن بدر بن مهلهل المعروف بابن ابي الشوك الكردي وكانت له اموال كثيرة وخيول لا تحصى وولي الامرة بعده ابو منصور بن بدر وقام مقامه وبقيت الامارة في بيته مائة وثلاثين سنة وقد تقدم من اخباره ما فيه كفاية وفي هذه السنة توفي ابو الفتح احمد ابن محمد بن احمد بن سعيد الحداد الاصبهاني ابن اخت عبد الرحمن بن ابي عبد الله بن منده ومولده سنة ثمان وار بعمائة وكان مكثرا من الحديث مشهورا بالرواية وفيها توفي ابو محمد جعفر بن احمد بن الحسين السراج البغدادي في صفر وهو مكثر من الرواية وله تصانيف حسنة واشعار لطيفة وهو من اعيان الزمان وعبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب ابو محمد الشيرازي الفقيه ولي التدريس بالنظامية ببغداد سنة ثلاث وثمانين واربعمائة وكان يروي الحديث ايضا وابو الحسين المبارك بن عبد الجبار بن احمد الصيرفي المعروف بابن الطيوري البغدادي ومولده سنة احدى عشرة واربعمائة وكان مكثرا من الحديث ثقة صالحا عابدا وابو المكرم المبارك بن الفاخر بن محمد بن يعقوب النحوي سمع الحديث من ابي الطيب الطبري والجوهري وغيرهما وكان اماما في النحو واللغة

(ثم دخلت سنة احدى وخمسمائة)

(ذكر قتل صدقة بن مزيد)

في هذه السنة في رجب قتل الامير سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس بن مزيد الاسدي امير العرب وهو الذي بنى الحلة السيفية بالعراق وكان قد عظم شانه وعلا

قدره واتسع جاهه واستجار به صغار الناس وكبارهم فجاورهم وكان كثير العناية بامور السلطان محمد والتقوية ليده والشد منه على اخيه بركيارق حتى انه جاهر بركيارق بالعداوة ولم يبرح على مصافاة السلطان محمد وزاده محمد اقطاعا من جملته مدينة واسط واذن له فى اخذ البصرة ثم افسد مابينهما العميد ابو جعفر محمد بن حسين البلخى وقال فى جملة ماقال عنه ان صدقة قد عظم امره وزاد حاله وكثر ادلاله وتبسطه فى الدولة وحمايته كل من يفر اليه من عند السلطان وهذا لا تحتمله الملوك لاولادهم ولو ارسلت بعض اصحابك لملك بلاده واهله ثم انه تعدى ذلك حتى طعن فى اعتقاده ونسبه واهل بلده الى مذهب الباطنية وكذب وانما كان مذهبه التشيع لاغير ووافق ارغون السعدى اباجعفر العميد وانتهى ذلك الى صدقة وكانت زوجة ارغون بالحلة واهله فلم يؤاخذهم بشئ مما كان له ايضا هناك من بقايا خراج ببلده فامر صدقة ان يخلص ذلك اليه باجمعه ويسلم الى زوجته واما سبب قتله فان صدقة كان كما ذكرنا يستجير به كل خائف من خليفة وسلطان وغيرهما وكان السلطان محمد قد سخط على ابى دلف سرخاب بن كيخسرو صاحب ساوة وآبة فهرب منه وقصد صدقة فاستجار به فاجاره فارسل السلطان يطلب من صدقة أن يسلمه الى نوابه فلم يفعل واجاب انى لا امكن منه بل احامى عنه واقول ماقاله ابو طالب لقريش لما طلبوا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم

ونسلمه حتى نصرع حوله * ونذهل عن ابنائنا والحلائل

وظهر منه امور انكرها السلطان فتوجه الى العراق ليتلافى هذا الامر فلما سمع صدقة استشار اصحابه فى الذى يفعله فاشار عليه ابنه دبيس بان ينفذه الى السلطان ومعه الاموال والخيل والتحف ليستعطف له السلطان وأشار سعيد بن حميد صاحب جيش صدقة بالمحاربة وجمع الجند وتفريق المال فيهم واستطال فى القول فمال صدقة الى قوله وجمع العساكر واجتمع اليه عشرون الف فارس وثلاثون الف راجل فارسل اليه المستظهر بالله يحذره عاقبة امره وينهاه عن الخروج عن طاعة السلطان ويعرض له توسط الحال فاجابه صدقة انى على طاعة السلطان لكن لا آمن على نفسى فى الاجتماع به وكان الرسول بذلك عن الخليفة نقيب النقباء على بن طراد الزينبى ثم ارسل السلطان اقضى القضاة ابا سعيد الهروى الى صدقة يطيب قلبه ويزيل خوفه ويامره بالانبساط على عادته ويعرفه عزمه على قصد الفرنج ويامره بالتجهز للغزاة معه فاجاب ان السلطان قد افسد اصحابه قلبه على وغيروا حالى معه وزال ماكان عليه فى حق من الانعام وذكر سالف خدمته ومناصحته وقال سعيد بن حميد صاحب جيشه لم يبق لنا فى صلح السلطان مطمع ولا بد من خيولنا يخلون وامتنع صدقة من الاجتماع بالسلطان ووصل السلطان الى بغداد فى العشرين من ربيع الآخر ومعه وزيره نظام الملك احمد بن نظام الملك وسير ابرسق شحنة بغداد فى جماعة من الامراء الى صرصر فنزلوا عليها وكان وصول السلطان جريدة لا يبلغ عسكره الى فارس فلما تيقن ببغداد مكاشفة صدقة ارسل الى الامراء يامرهم بالوصول اليه والجد فى السير وتعجيل ذلك فوردوا اليه من كل

فيه عزل الباشا السيد الهروى عن نظارة الضرب بخانه ونصب بها شخصا من اقاربه (وفى ثالث عشره) نزل والى الشرطة وامامه المناداة على ما يستقرضه الناس من العسكر بالربا والزيادة على ان يكون على كل كيس ستة عشر قرشا فى كل شهر لاغير والكيس عشرون الف نصف فضة وهو الكيس الرومى وذلك بسبب ما انكسر على المحتاجين والمضطرين من الناس من كثرة الربا بالضيق المعاش وانقطاع المكاسب وغلو الاسعار وزيادة المكوس فيضطر الشخص الى الاستدانة فلا يجد من يداينه من أهل البلد فيستدين من احد العسكر ويحسب عليه على كل كيس خمسين قرشا فى كل شهر واذا قصرت يد المديون عن الوفاء أضافوا الزيادة على الاصل وبطول الزمن تفحش الزيادة ويؤل الامر لكشف حال المديون وجرى ذلك على كثير من مساتير الناس وباعوا أملاكهم ومتاعهم والبعض لما ضاق به الحال ولم يجد شيئا خرج هاربا وترك اهله وعياله خوفا من العسكرى ومايلاقى منه وربما قتله فعرض بعض المديونين الى الباشا فامر بكتابة هذا البيور لدى ونزل به والى الشرطة ونادى به فى الاسواق فعد ذلك من غرائب الحكام حيث ينادى على الربا جهارا

محو بك الكبير الذى كان كاشفا بالبحيرة ونفاه الى ابى قير واخذ امواله وانعم ببيته وهو بيت حسين أغا شنن بحارة عابدين ومابها من الخيل والجمال والجواد والخيام والمتاع على محو بك الصغير الاورفلى

(واستهل شهر ذى الحجة بيوم الثلاثاء سنة ١٢٢٣)

فيه وصلت الاخبار من اسلامبول بوقوع فتنة عظيمة وانه لما حصل ما حصل فى منتصف السنة من دخول مصطفى باشا البيرقدار على الصورة المذكورة وقتل السلطان سليم وتولية السلطان محمود وخذلان الينكجرية وقتلهم ونفيهم وتحكم مصطفى باشا فى أمور الدولة واستمر من بقى منهم تحت الحكم فاجمعوا امرهم ومكروا مكرهم وحذر بعضهم مصطفى باشا من المذكورين فلم يكترث بذلك واستهون امرهم واحتقر جانبهم وقال اى شئ هؤلاء مناولزى يعنى انهم بياعون الفاكهة فكان حاله كما قيل

فلا تحتقر كيد العدو فربما
تموت الافاعى من سموم العقارب

ثم انهم تحزبوا وحضروا الى سرايته على حين غفلة بعد السحور ليلة السابع والعشرين من رمضان وجماعته وطائفته متفرقون فى اماكنهم فخرقوا باب السراية وكبسوا عليه فقتل من قتل من اتباعه وهرب من هرب على حمية السلطان

جانب ثم وصل كتاب صدقة الى الخليفة فى جمادى الاولى يذكر انه واقف عند ما يرسم له و يقرره من حاله مع السلطان ومهما امرته من ذلك امتثله فانفذ الخليفة الكتاب الى السلطان فقال السلطان أنا ممتثل ما يامر به الخليفة ولا مخالفة عندى فارسل الخليفة الى صدقة يعرفه اجابة السلطان الى ما طلب منه و يامره بانفاذ ثقته ليستوثق له و يحالف السلطان على ما يقع الاتفاق عليه فعاد صدقة عن ذلك الرأى وقال اذا رحل السلطان من بغداد أمددته بالمال والرجال وما يحتاج اليه فى الجهاد وأما الآن وهو ببغداد وعسكره بنهر الملك فما عندى مال ولا غيره وان جاولى سقاوو وايلغازى بن ارتق قد أرسلا الى بالطاعة لى والموافقة معى على محاربة السلطان وغيره ومتى اردتهما وصلا الى عساكرهما وورد الى السلطان قرواش بن شرف الدولة وكرماوى بن خرسان التركمانى وأبو عمران فضل بن ربيعة بن حازم بن الجراح الطائى وآباؤه كانوا أصحاب البلقاء والبيت المقدس منهم حسان بن المفرج الذى مدحه التهامى وكان فضل تارة مع الفرنج وتارة مع المصريين فلما رآه طغتكين أتابك على هذه الحال طرده من الشام فلما طرده التجأ الى صدقة وعاقده فاكرمه صدقة واهدى له هدايا كثيرة منها سبعة آلاف دينار عينا فلما كانت هذه الحادثة بين صدقة والسلطان سار فى الطلائع ثم هرب الى السلطان فلما وصل خلع عليه وعلى اصحابه وانزله بدار صدقة ببغداد فلما سار السلطان الى قتال صدقة استاذنه فضل فى اتيان البرية ليمنع صدقة من الهرب ان اراد ذلك فاذن له فعبر بالانبار وكان آخر العهد به وانفذ السلطان فى جمادى الاولى الى واسط الامير محمد بن بوقا التركمانى فاخرج عنها نائب صدقة وأمن الناس كلهم الا اصحاب صدقة فتفرقوا ولم ينهب احد وانفذ خيله الى بلد قوسان وهو من اعمال صدقة فنهبه اقبح نهب واقام عدة ايام فارسل صدقة اليه ثابت ابن سلطان وهو ابن عم صدقة ومعه عسكر فلما وصلوا اليها خرج منها الاتراك واقام ثابت بها وبينه وبينهم دجلة ثم ان ابن بوقا عبر جماعة من الجند ارتضاهم وعرف شجاعتهم فوقفوا على موضع مرتفع على نهر سالم يكون ارتفاعه نحو خمسين ذراعا فقصدهم ثابت وعسكره لم يقدروا يقربون التركمان من النشاب والمدد ياتيهم من ابن بوقا وجرح ثابت فى وجهه وكثر الجراح فى اصحابه فانهزم هو ومن معه وتبعهم الاتراك فقتلوا منهم وأسروا ونهب طائفة من التركمان مدينة واسط واختلط بهم رجالة ثابت فنهبت معهم فسمع ابن بوقا الخبر فركب اليهم ومنعهم وقد نهبوا بعض البلد ونادى فى الناس بالامان واقطع السلطان اواخر جمادى الاولى مدينة واسط لقسيم الدولة البرسقى وامر ابن بوقا بقصد بلد صدقة ونهبه فنهبوا فيه ما لا يحد واما السلطان محمد فانه سار عن بغداد الى الزعفرانية ثانى جمادى الآخرة فارسل اليه الخليفة وزيره مجد الدين بن المطلب يامره بالتوقف وترك الهجلة خوفا على الرعية من القتل والنهب واشار قاضى اصبهان بذلك واتباع امر الخليفة فاجاب السلطان الى ذلك فارسل الخليفة الى صدقة نقيب النقباء على ابن طراد وجمال الدولة مختص الخادم فسارا الى صدقة فابلغاه رسالة الخليفة يامره بطاعة

السلطان وينهاه عن المخالفة فاعتذر صدقة وقال ماخالفت الطاعة ولا قطعت الخطبة فى بلدى وجهز ابنه دبيس السير معهما الى السلطان فبينما الرسل وصدقة فى هذا الحديث اذورد الخبر ان طائفة من عسكر السلطان قد عبروا من مطير اباذ وان الحرب بينهم وبين اصحاب صدقة قائمة على ساق فتجلد صدقة لاجل الرسل وهو يشتهى الركوب الى اصحابه خوفا عليهم وكان الرسل اذا سمعوا ذلك ينكرونه لانهم قد تقدموا الى العسكر عند عبورهم عليهم انه لا يتعرض احد منهم الى حرب حتى نعود فان الصلح قد قارب فقال صدقة للرسول كيف اثق ارسل ولدى الآن وكيف آمن عليه وقد جرى ماترون فان تكفلتم برده الى انفذته فلم يتجاسروا على كفالته فكتب الى الخليفة يعتذر عن انفاذ ولده بما جرى وكان سبب هذه الوقعة ان عسكر السلطان لما رأوا الرسل اعتقدوا وقوع الصلح فقال بعضهم الرأى اننا ننهب شيئا قبل الصلح فاجاب البعض وامتنع البعض فعبر من اجاب النهر ولم يتاخر من لم يجب لئلا ينسب الى خروجين وثلاثين على من عبروهن فيكون عاره واذاه عليهم فعبر وا بعدهم ايضا فاتاهم اصحاب صدقة وقاتلوهم فكانت الهزيمة على الاتراك وقتل منهم جماعة كثيرة واسر جماعة من اعيانهم وكثير من غيرهم وغرق جماعة منهم الامير محمد بن باغيسيان الذى كان ابوه صاحب انطاكية وكان عمره نيفا وعشرين سنة وكان محبا للعلماء واهل الدين وبنى باقطاعه من اذربيجان عدة مدارس ولم يجسر الاتراك يعرفون السلطان بما اخذ منهم من الاموال والدواب خوفا منه حيث فعلوا ذلك بغير امره وطمع العرب بهذه الهزيمة وظهر منهم الفخر والتيه والطمع واظهروا انهم باعوا كل اسير بدينار وان ثلاثة باعوا اسيرا بخمسة قراريط واكلوا بها خبزا وهريسة وجعلوا ينادون من يتغدى باسير ويتعشى باسير وظهر من الاتراك اضطراب عظيم واعاد الخليفة مكاتبة صدقة يحثه على امر الصلح فاجاب انه لا يخالف ما يؤمر به وكتب صدقة ايضا الى السلطان يعتذر مما نقل عنه ومن الحرب التى كانت بين اصحابه وبين الاتراك وان جند السلطان عبرت الى اصحابه فمنعوا عن انفسهم بغير علمه وانه لم يحضر الحرب ولم ينزع يدا من طاعة ولا قطع خطبته من بلده ولم يكن صدقة كاتبه قبل هذا الكتاب فارسل الخليفة نقيب النقباء ابا سعد الهروى الى صدقة فقصد السلطان اولا واخذ بيده بالامان لمن يقصده من اقاربه صدقة فلما وصلا الى صدقة وقالا له عن الخليفة ان اصلاح قلب السلطان موقوف على اطلاق الاسرى ورد جميع ما اخذ من العسكر المنهزم فاجاب اولا بالخضوع والطاعة ثم قال لو قدرت على الرحيل من بين يدى السلطان لفعلت لكن ورائى من ظهرى وظهر ابى وجدى ثلثمائة امرأة ولا يحملهن مكان ولو علمت انى اذا جئت السلطان مستسلما قبلنى واستخدمنى لفعلت لكنى أخاف انه لا يقيل عثرتى ولا يعفو عن زلتى وأما ما نهب فان الخلق كثير وعندى من لا أعرفه وقد نهبوا ودخلوا البر فلا طاقة لى عليهم ولكن ان كان السلطان لا يعارضنى فيما فى يدى ولا فيمن أجرته وان يقرر سرخاب بن كيخسرو على اقطاعه بسارة وان يتقدم الى ابن بوقا باعادة ما نهب من

والنهب وخاف السلطان لان سراية الوزير بجانب السراية السلطانية ففتح باب السراية التى بناحية البحر وارسل يستعجل قاضى باشا بالحضور وكذلك قبودان باشا فحضرا الى السراية واشتد الحرب بين الفريقين واكثر الينكجرية من الحريق فى البلدة حتى احرقوا منها جانبا كبيرا فلما عاين السلطان ذلك هاله وخاف من عموم حريق البلدة وهو ومن معه محصورون بالسراية يوما وليلة فلم يسعه الا الاتلافى الامر فراسل كبار الينكجرية وصالحهم وابطلوا الحرب وشرعوا فى اطفاء الحريق وخرج قاضى باشا هاربا وكذلك قبودان باشا وهو عبد الله راغب افندى الذى كان فى أيام الوزير بمصر ثم انهم اخرجوا مصطفى باشا من المكان الذى اختفى فيه ميتا من تحت الردم وسحبوه من رجليه الى خارج وعلقوه فى شجرة ومثلوا به واكثروا على رميته من السخرية وعند وقوع هذه الحادثة وبجىء قاضى باشا وكان من اغراض السلطان مصطفى المنفصل فخاف السلطان ان قاضى باشا ان غلب على الينكجرية فيعزله ويولى أخاه و يرده الى السلطنة فقتل السلطان محمود أخاه مصطفى خنقا ثم لما سكن الحال عينوا على قاضى باشا وقتلوه وكذلك عبد الله افندى راغب قبودان باشا وكان

بسد ترعة الفرعونية وتعين لذلك شخص يسمى عثمان السلانكلى الذى كان مباشرا على جسر الاسكندرية (وفى منتصفه) سافر الباشا وصحبته حسن باشا المباشرة الترعة التى يريدون سدها وأمر بوسق الاحجار وافردوا لذلك عدة كثيرة من المراكب تشحن بالاحجار والاخشاب الكثيرة وترجع فارغة وتعود موسوقة فى كل يوم مرة وامر بجمع الرجال من القرى للعمل (وفيه) ايضا شرع الباشا فى انشاء ابنية بساحل شبرا الشهيرة الآن بشبرا المكاسة واشيع ان قصده انشاء سواقى وعمائر وبساتين ومزارع وأخذ فى الاستيلاء على ما يحاذى ذلك من القرى والاطيان والرزق والاطاعات من ساحل شبرا الى جهة بركة الحاج عرضا (وفى سابع عشره) خرجت عساكر كثيرة الى البر الغربى بقصد الذهاب الى الفيوم صحبة شاهين بك والاقيسة بسبب اولاد على الذين كانوا بالبحيرة (وفى ثانى عشرينه) وصل واحد قابجى واشيع انه طلع من بولاق وذهب الى بيت الباشا وعلى يده مرسومان احدهما تقرير للباشا على ولاية مصر والثانى يذكر فيه ان يوسف باشا المعدنى الصدر السابق تعين بالسفر على جهة الشام لتنظيم بلاد العرب والحجاز ونهب

بلادى وان يخرج وزير الخليفة يحلفه بما اثق اليه من الايمان على المحافظة فيما بينى وبينه فحينئذ اخدم بالمال وأدوس بساطه بعد ذلك فعادوا بهذا ومعهم أبو منصور بن معروف رسول صدقة فردهم الخليفة وارسل السلطان معهم قاضى اصبهان أبا اسمعيل فاما أبو اسمعيل فلم يصل اليه رعاد من الطريق وأصر صدقة على القول الاول فحينئذ سار السلطان ثامن رجب من الزعفرانية وسار صدقة فى عساكره الى قرية مطر وأمر جنده بلبس السلاح راستا من ثابت بن سلطان بن دبيس بن على بن مزيد وهو ابن عم صدقة الى السلطان محمد وكان يحسد صدقة وهو الذى تقدم ذكره انه كان بواسط فاكرمه السلطان واحسن اليه ووعده الاقطاع ووردت العساكر الى السلطان منهم بنو برسق وعلاء الدولة ابو كاليجار كرشاسب بن على بن فرامرز ابى جعفر بن كاكويه وآباؤه كانوا أصحاب اصبهان وفرامرز هو الذى سلمها الى طغرلبك وقتل ابوه مع تتش وعبر عسكر السلطان دجلة ولم يعبر هو فصاروا مع صدقة على ارض واحدة بينهما نهر وا التقوا تاسع عشر رجب وكانت الريح فى وجوه اصحاب السلطان فلما التقوا صارت فى ظهورهم وفى وجوه اصحاب صدقة ثم ان الاتراك رموا بالنشاب فكان يخرج فى كل رشقة عشرة آلاف نشابة فلم يقع سهم الا فى فرس او فارس وكان اصحاب صدقة كلما حملوا منعهم النهر من الوصول الى الاتراك والنشاب ومن عبر منهم لم يرجع وتقاعدت عبادة وخفاجة وجعل صدقة ينادى يا آل خزيمة يا آل ناشرة يا آل عوف ووعدالاكراد بكل جميل لما ظهر من شجاعتهم وكان راكبا على فرسه المهلوب ولم يكر لاحد مثله فجرح الفرس ثلاث جراحات وأخذه الامير احديل بعد قتل صدقة فسيره الى بغداد فى سفينة فمات فى الطريق وكان لصدقة فرس آخر قدر كبه حاجبه ابو نصر بن تفاحة فلما رأى الناس وقد عثر اصدقة هرب عليه فناداه صدقة فلم يجبه وحمل صدقة على الاتراك فضربه غلام منهم على وجهه فشوهه وجعل يقول انا ملك العرب انا صدقة فاصابه سهم فى ظهره وادركه غلام اسمه بزغش كان اشل فتعلق به وهو لا يعرفه وجذبه عن فرسه فسقط الى الارض هو والغلام فعرفه صدقة فقال يا بزغش ارفق فضربه بالسيف فقتله واخذ راسه وحمله الى البرسق فحمله الى السلطان فلما رآه عانقه وامر لبزغش بصلة وبقى صدقة طريحا الى ان سار السلطان فدفنه انسان من المدائن وكان عمره تسعا وخمسين سنة وكانت امارته احدى وعشرين سنة وحمل راسه الى بغداد وقتل من اصحابه ما يزيد على ثلاثة آلاف فارس فيهم جماعة من اهل بيته وقتل من بنى شيبان خمسة وتسعون رجلا واسر ابنه دبيس بن صدقة وسرخاب بن كيخسرو الديلمى الذى كانت هذه الحرب بسببه فاحضر بين يدى السلطان فطلب الامان فقال قد عاهدت الله انى لا اقتل أسيرا فان ثبت عليك انك باطنى قتلتك وأسر سعيد بن حميد العمرى صاحب جيش صدقة وهرب بدران بن صدقة الى الحلة فاخذ من المال وغيره ما امكنه وسير أمه ونساءه الى البطيحة الى مهذب الدولة أبى العباس أحمد بن أبى الجبر وكان بدران صهر مهذب الدولة على ابنته

ونهب من الاموال مالا حد له وكان له من الكتب المنسوبة الخط شئ كثير الوف مجلدات وكان يحسن يقرأ ولا يكتب وكان جوادا حليما صدوقا كثير البر والاحسان مابرح ملجأ الكل ملهوف يلتجئ من يقصده بالبر والتفضل ويبسط قاصديه ويزورهم وكان عادلا والرعايا معه فى امن ودعة وكان عفيفا لم يتزوج على امراته ولا تسرى عليها فما ظنك بغير هذا ولم يصادر أحدا من نوابه ولا اخذهم باساءة قديمة وكان اصحابه يودعون اموالهم فى خزانته ويدلون عليه ادلال الولد على الوالد ولم يسمع برعية احبت اميرها كحب رعيته له وكان متواضعا محتملا يحفظ الاشعار ويبادر الى النادرة رحمه الله وقد كان من محاسن الدنيا وعاد السلطان الى بغداد ولم يصل الى الحلة وارسل الى البطيحة أمانا لزوجة صدقة وامرها بالظهور فاصعدت الى بغداد فاطلق السلطان ابنها دبيسا وانفذ معه جماعة من الامراء الى لقائها فلما لقيها ابنها بكيا بكاء شديدا ولما وصلت الى بغداد أحضرها السلطان واعتذر من قتل زوجها وقال وددت انه حمل الى حتى كنت افعل معه ما يجب الناس به من الجميل والاحسان لكن الاقدار غلبتنى واستخلف ابنها دبيسا انه لا يسمى بفساد

(ذكر وفاة تميم بن المعز صاحب افريقية وولاية ابنه يحيى)

فى هذه السنة فى رجب توفى تميم بن المعز بن باديس صاحب افريقية وكان شهما شجاعا ذكيا له معرفة حسنة وكان حليما كثير العفو عن الجرائم العظيمة وله شعر حسن فمنه انه وقع حرب بين طائفتين من العرب وهما عدى ورياح فقتل رجل من رياح ثم اصطلحوا واهدروا دمه وكان صلحهم مما يضرب به وبلاده فقال ابياتا يحرض على الطلب بدمه وهى

متى كانت دماؤكم تطل * اما فيكم بثار مستقل
اغاثم ثم سالم ان فشلتم * فما كانت أوائلكم تذل
وغتم عن طلاب الثار حتى * كأن العز فيكم مضمحل
وما كسرتم فيه العوالى * ولا بيض تفل ولا تسل

فعمد اخوة المقتول فقتلوا اميرا من عدى واشتد بينهم القتال وكثرت القتلى حتى اخرجوا بنى عدى من افريقية قيل انه اشترى جارية بثمن كثير فبلغه ان مولاها الذى باعها ذهب عقله واسف على فراقها فاحضره تميم بين يديه وارسل الجارية الى داره ومعها من الكسوات والاوانى الفضة وغيرها ومن الطيب وغيره شئ كثير ثم امر مولاها بالانصراف وهو لا يعلم بذلك فلما وصل الى داره ورآها على تلك الحال وقع مغشيا عليه لكثرة سروره ثم افاق فلما كان الغد اخذ الثمن وجميع ما كان معها وحمله الى دار تميم فانتهره وامره باعادة جميع ذلك الى داره وكان له فى البلاد اصحاب اخبار يجرى عليهم ارزاقا سنية ليطالعوه باحوال اصحابه لئلا يظلموا الناس فكان بالقيروان تاجر له مال وثروة فذكر فى بعض الايام التجار تميما ودعواله وذلك التاجر حاضر فترحم على ابيه المعز

* ومنها انقطاع الحج الشامى والمصرى معتلين بمنع الوهابى الناس عن الحج والحال ليس كذلك فانه لم يمنع أحدا ياتى

النهار وحضر ذلك القابجى فى موكب الى بيت الباشا وحضر الاشياخ والاعيان وكان الباشا غائبا فى الترعة كما تقدم وعوضه كتخدا بك وا كابر دولتهم وقرئت المراسيم تحقق الخبر وانقضت السنة بحوادثها التى لا يمكن ضبط جزئياتها لعدم الوقوف على حقيقتها (فمن الحوادث العامة) توالى الفرض والمظالم المتواليه واحداث انواع المظالم على كل شئ والتزايد فيها واستمرار الغلاء فى جميع اسعار المبيعات والمأكل والمشارب بسبب ذلك وفقر أهل القرى وبيعهم لمواشيهم فى المغارم فقل اللحم والسمن والجبن واخذوا مواشيهم واغنامهم من غير ثمن فى الكاف ثم رميها على الجزارين باغلى ثمن ولا يذبحونها الا فى المذبح ويؤخذ منهم اسقاطها وجلودها ورؤسها ورواتب الباشا وأهل دولته ثم يذهبون بما يبقى لهم لحوانيتهم فتباع على أهل البلد باغلى ثمن حتى يخلص للجزار رأس ماله واذا عثر الحتسب على جزار ذبح شاة اشتراها فى غير المذبح قبض عليه وأشهره واخذ ما فى حانوته من اللحم من غير ثمن ثم يحبس ويضرب ويغرم مالا ولا يغفر ذنبه ويسمى خائنا وفلانيا

الحج على الطريقة المشروعة وانما يمنع من يأتى بخلاف ذلك من البدع التى لا يجيزها الشرع مثل الهمل والطبل والزمر وحمل الاسلحة وقد وصل طائفة من حجاج المغاربة وحجوا ورجعوا فى هذا العام وما قبله ولم يتعرض لهم أحد بشئ ولما امتنعت قوافل الحج المصرى والشامى وانقطع عن أهل المدينة ومكة ما كان يصل اليهم من الصدقات والعلائف والصرر التى كانوا يتعيشون منها خرجوا من أوطانهم باولادهم ونسائهم ولم يمكث الا الذى ليس له ايراد من ذلك وأتوا الى مصر والشام ومنهم من ذهب الى اسلامبول يتشكون من الوهابى ويستغيثون بالدولة فى خلاص الحرمين لتعود لهم الحالة التى كانوا عليها من اجراء الارزاق واتصال الصلات والنيابات والخدم فى الوظائف التى باسماء رجال الدولة كالفراشة والسكناسة ونحو ذلك ويذكرون ان الوهابى استولى على ما كان بالحجرة الشريفة من الذخائر والجواهر ونقلها واخذها فيرون ان أخذه لذلك من الكبائر العظام وهذه الاشياء أرسلها ووضعها خلاف العقول من الاغنياء والملوك والسلاطين الاعاجم وغيرهم اما حرصا على الدنيا وكراهة أن ياخذها من يأتى بعدهم اولنوائب الزمان فتكون مدخرة ومحفوظة لوقت الاحتياج اليها فيستعان بها على الجهاد ودفع الاعداء فلما تقادمت عليها الازمنة وتوالت عليها السنين اجلسه

ولم يذكره فرفع ذلك الى تميم فاحضره الى قصره وسأله هل ظلمتك فقال لا قال فهل ظلمك بعض اصحابى قال لا قال فلم اطلقت لسانك امس بذمى فسكت فقال لولا ان يقال شره فى ماله لقتلتك ثم امر به فصفع فى حضرته قليلا ثم اطلقه فخرج واصحابه ينتظرونه فسألوه عن خبره فقال اسرار الملوك لا تذاع فصارت بافريقية مثلا ولما توفى كان عمره تسعا وسبعين سنة وكانت ولايته ستا واربعين سنة وعشرة أشهر وعشرين يوما وخلف من الذكور ما يزيد على مائة ومن البنات ستين بقتا ولما توفى ملك بعده ابنه يحيى بن تميم وكانت ولادته بالمهدية لاربع بقين من ذى الحجة سنة سبع وخمسين واربعمائة وكان عمره حين ولى ثلاثا واربعين سنة وستة أشهر وعشرين يوما ولما ولى فرق اموالا جزيلة واحسن السيرة فى الرعية

(ذكر ملك يحيى قلعة قليبية)

لما ملك يحيى بن تميم بعد ابيه جرد عسكرا كثيفا الى قلعة قليبية وهى من احصن قلاع افريقية فنزل عليها وحصرها حصارا شديدا ولم يبرح حتى فتحها وحصنها وكان ابوه تميم قد رام فتحها فلم يقدر على ذلك ولم يزل منصورا لم يهزم له جيش

(ذكر قدوم ابن عمار بغداد مستنفرا)

فى هذه السنة فى شهر رمضان ورد القاضى فخر الملك أبو على بن عمار صاحب طرابلس الشام الى بغداد قاصدا باب السلطان محمد مستنفرا على الفرنج طالبا التسيير العساكر لازاحتهم والذى حثه على ذلك انه لما طال حصر الفرنج لمدينة طرابلس على ما ذكرناه ضاقت عليه الاقوات وقلت واشتد الامر عليه وعلى أهل البلد فمن الله عليهم سنة خمسمائة بميرة فى البحر من جزيرة قبرس وانطاكية وجزائر البنادقة فاشتدت قلوبهم وقووا على حفظ البلد بعد ان كانوا استسلموا فلما بلغ فخر الملك انتظام الامور للسلطان محمد وزوال كل مخالف رأى لنفسه وللمسلمين قصده والانتصار به فاستناب بطرابلس ابن عمه ذا المناقب وأمره بالمقام بها ورتب معه الاجناد براوبحرا واعطاهم جامكية ستة أشهر سلفا وجعل كل موضع الى من يقوم بحفظه بحيث ان ابن عمه لا يحتاج الى فعل شئ من ذلك وسار الى دمشق فاظهر ابن عمه الخلاف له والعصيان عليه ونادى بشعار المصريين فلما عرف فخر الملك ذلك كتب الى أصحابه يأمرهم بالقبض عليه وحمله الى حصن الخوابى ففعلوا ما أمرهم وكان ابن عمار قد استصحب معه من الهدايا ما لم يوجد عند ملك مثله من الاعلاق النفيسة والاشياء الغريبة والخيل الرائقة فلما وصلها القيه عسكرها وطغتكين اتابك وخيم على ظاهر البلد وسأله طغتكين الدخول اليه فدخل يوما واحدا الى الطعام وادخله حماما وسار عنها ومعه ولد طغتكين يشيعه فلما وصل الى بغداد أمر السلطان كافة الامراء بتلقيه واكرامه وارسل اليه شبارته وفيها دسته الذى يجلس عليه ليركب فيها فلما نزل اليها قعد بين يدى موضع السلطان فقال له من بها من خواص السلطان قد امرنا ان يكون جلوسك فى دست السلطان فلما دخل على السلطان

اجلسه واكرمه واقبل عليه بحديثه وسير الخليفة خواصه وجماعة ارباب المناصب فلقوه وانزله الخليفة واجرى عليه الجراية العظيمة وكذلك أيضا فعل السلطان وفعل معه مالم يفعل مع الملوك الذين معهم امثاله وهذا جميعه ثمرة الجهاد فى الدنيا ولاجر الآخرة أكبر ولما اجتمع بالسلطان قدم هديته وساله السلطان عن حاله وما يعانيه فى مجاهدة الكفار ويقاسيه من ركوب الخطوب فى قتالهم فذكر له حاله وقوة عدوه وطول حصره وطلب النجدة وضمن انه اذا سيرت العساكر معه اوصل اليهم جميع ما يلتمسونه فوعده السلطان بذلك بحضرة دار الخلافة وذكر ايضا نحو ما ذكره عند السلطان وحمل هدية جميلة نفيسة وأقام الى أن رحل السلطان عن بغداد فى شوال فاحضره عنده بالنهروان وقد تقدم الى الامير حسين بن أتابك قتلغتكين ليسير معه العساكر التى سيرها الى الموصل مع الامير مودود لقتال جاولى سقاو وايضوا معه الى الشام وخلع عليه السلطان خلعا نفيسة واعطاه شيئا كثيرا وودعه وسار ومعه الامير حسين فلم يجد ذلك نفعا وكان ما نذكره بعد ان شاء الله تعالى ثم ان فخر الملك بن عمار عاد الى دمشق منتصف المحرم سنة اثنتين وخمسمائة فاقام بها أياما وتوجه منها مع العسكر من دمشق الى جبلة فدخلها واطاعه اهله واما اهل طرابلس فانهم راسلوا الافضل امير الجيوش بمصر يلتمسون منه واليا يكون عندهم ومعه الميرة فى البحر فسير اليهم شرف الدولة بن أبى الطيب واليا ومعه الغلة وغيرها مما يحتاج اليه البلاد فى الحصار فلما صار فيها قبض على جماعة من اهل ابن عمار واصحابه وأخذ ما وجده من ذخائره وآلاته وغير ذلك وحمل الجميع الى مصر فى البحر

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى شعبان أطلق السلطان محمد الضرائب والمكوس ودار البيع والاجتيازات وغير ذلك مما يناسبه بالعراق وكتبت به الالواح وجعلت فى الاسواق وفيها فى شهر رمضان ولى القاضى ابو العباس بن الرطى الحسبة ببغداد وفيه ايضا عزل الخليفة وزيره مجد الدين بن المطلب برسالة من السلطان بذلك ثم اعيد الى الوزارة باذن السلطان وشرط عليه شروطا منها العدل وحسن السيرة وان لا يستعمل أحدا من أهل الذمة وفيها عاد الاصبهبذ صباو ومن دمشق وكان هرب عند قتل اياز فلما قدم اكرمه السلطان واقطعه رحبة مالك بن طوق وفيها سابع شوال خرج السلطان الى ظاهر بغداد عازما على العود الى اصبهان وكان مقامه هذه المرة خمسة أشهر وسبعة عشر يوما وفيها فى ذى الحجة احترقت خزانة ابن جردة فهلك فيها كثير من الناس واما الامتعة والاموال واثاث البيوت فهلك منها ما لا يحد وخلص خلق بنقب نقبوه فى سور المحلة الى مقبرة باب ابرز وكان بها جماعة من اليهود فلم ينقلوا شيئا لتمسكهم بسبتهم وكان بعض اهله قد عبروا الى الجانب الغربى للفرجة على عادتهم فى السبت الذى يلى العيد فعادوا فوجدوا بيوتهم قد خربت واموالهم قد احترقوا واموالهم قد هلكت ثم تتبع ذلك

وارتسم فى الاذهان حرمة تناولها وانها صارت مالا للنبى صلى الله عليه وسلم فلا يجوز لاحد أخذها ولا انفاقها والنبى عليه الصلاة والسلام منزه عن ذلك لم يدخر شيئا من عرض الدنيا فى حياته وقد اعطاه الله الشرف الاعلى وهو الدعوة الى الله تعالى والنبوة والكتاب واختار أن يكون نبيا عبدا ولم يختر أن يكون نبيا ملكا (وثبت) فى الصحيحين وغيرهما انه قال اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا (وروى) الترمذى بسنده عن ابى أمامة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال عرض على ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهبا قلت لا يارب ولكن أشبع يوما واجوع يوما أو قال ثلاثا أو نحو ذلك فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت شكرتك وحمدتك ثم ان كانوا وضعوا هذه الذخائر والجواهر صدقة على الرسول ومحبة فيه فهو فاسد فهو لقول النبى صلى الله عليه وسلم ان الصدقة لا تنبغى لآل محمد انما هى اوساخ الناس ومنع بنى هاشم من تناول الصدقة وحرمها عليهم والمراد الانتفاع فى حال الحياة لا بعدها فان المال أو جده المولى سبحانه وتعالى من أمور الدنيا لا من امور الآخرة قال تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد وهو من جملة السبعة التى ذكرها الله

المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب فهذه السبعة بها تكون الخبائث والقبائح وليست هى فى نفسها أمورا مذمومة بل قد تكون معينة على الآخرة اذا صرفت فى محلها (وعن مطرف) عن ابيه قال أتيت النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ ألهاكم التكاثر قال يقول ابن آدم مالى مالى فهل لك يا ابن آدم من مالك الا ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت فامضيت الى غير ذلك ومحبة الرسول بتصديقه واتباع شريعته وسنته لا بمخالفة أوامره وكنز المال بجمعه وحرمان مستحقيه من الفقراء والمساكين وباقى الاصناف الثمانية وان قال المدخر أكنزها لنوائب الزمان ليستعان بها على مجاهدة الكفار والمشركين عند الحاجة اليها قلنا قد رأينا شدة احتياج ملوك زماننا واضطرارهم فى مصالحات المتغلبين عليهم من قرانات الافرنج وخلو خزائنهم من الاموال التى افنوها بسوء تدبيرهم وتفاخرهم ورفاهيتهم فيصالحون المتغلبين بالمقادير العظيمة فكان احد الفرق من الافرنج المسالمين لهم واحتالوا على تحصيل المال من رعاياهم بزيادة المكوس عاميان

حريق فى عدة اماكن منها دار القيار وقراح ابن رزين فارتاع الناس لذلك وابطلوا معايشهم واقاموا ليلا ونهارا يحرسون بيوتهم فى الدروب وعلى السطوح وجعلوا عندهم الماء المعد لاطفاء النار فظهر ان سبب هذا الحريق ان جارية احبت رجلا فوافقته على المبيت عندها فى دارمولاها سرا واعدت له ما يسرقه اذا خرج ويأخذها هى أيضا معه فلما اخذها طرحا النار فى الدار وخرجا فاظهر الله عليهما وعجل الفضيحة لهما فاخذا وحبسا وفيها جمع بغدوين ملك الفرنج عسكره وقصد مدينة صور وحصرها وامر ببناء حصن عندها على تل المشوقة واقام شهرا محاصرا لها فصانعه واليها على سبعة آلاف دينار فاخذها ورحل عن المدينة وقصد مدينة صيدا فحصرها برا وبحرا ونصب عليها البرج الخشب ووصل الاسطول المصرى فى الدفع عنها والحماية لمن فيها فقاتلهم اسطول الفرنج فظفر المسلمون عليهم فاتصل بالفرنج مسير عسكر دمشق نجدة لاهل صيدا فرحلوا عنها بغير فائدة وفيها ظهر كوكب عظيم له ذوائب فبقى ليالى كثيرة ثم غاب * وتوفى فى هذه السنة فى شعبان ابراهيم بن مياس بن مهدى ابو اسحق القشيرى الدمشقى سمع الحديث الكثير من الخطيب البغدادى وغيره وتوفى فى ذى القعدة أبو سعيد اسمعيل بن عمرو بن محمد النيسابورى المحدث كان يقرأ الحديث للغرباء قرأ صحيح مسلم على عبد الغافر الفارسى عشرين مرة

* (ثم دخلت سنة اثنتين وخمسمائة) *

* (ذكر استيلاء مودود وعسكر السلطان على الموصل وولاية مودود) *

فى هذه السنة فى صفر استولى مودود والعسكر الذى ارسله السلطان معه على مدينة الموصل واخذوها من أصحاب جاولى سقاوو وقد ذكرنا سنة خمسمائة استيلاء جاولى عليها وما جرى بينه وبين جكرمش والملك قلج ارسلان وهلاكهما على يده وصار معه بعد ذلك العسكر الكثير والعدة التامة والاموال الكثيرة وكان السلطان محمد قد جعل اليه ولاية كل بلد يفتحه فاستولى على كثير من البلاد والاموال وكان سبب اخذ البلاد منه انه لما استولى عليها وعلى الاموال الكثيرة منها لم يحمل الى السلطان منها شيئا فلما وصل السلطان الى بغداد لقصد بلاد سيف الدولة صدقة ارسل الى جاولى يستدعيه اليه بالعساكر وكرر الرسل اليه فلم يحضر وغالط فى الانحدار اليه واظهر انه يخاف ان يجتمع به ولم يقنع بذلك حتى كاتب صدقة واظهر له انه معه ومساعده على حرب السلطان واطمعه فى الخلاف والعصيان فلما فرغ السلطان من أمر صدقة وقتله كما ذكرناه تقدم الى الامراء بنى برسق وسكمان القطبى ومودود بن التونتكين وآقسنقر البرسقى ونصر ابن مهلهل بن أبى الشوك الكردى وابى الهيجاء صاحب اربل بالمسير الى الموصل وبلاد جاولى واخذها منه فتوجهوا نحو الموصل فوجدوا جاولى عاصيا قد شيد سور الموصل واحكم مبانيه جكرمش واعد الميرة والاقوات والآلات واستظهر على الاعيان بالموصل فحبسهم واخرج من احداثها ما يزيد على عشرين ألفا ونادى متى اجتمع

عاميان على الحديث فى هذا الامر قتلتهما وخرج عن البلد ونهب السواد وترك بالبلد زوجته ابنة برسق واسكنها القلعة ومعها ألف وخمسمائة فارس من الاتراك سوى غيرهم وسوى الرجالة ونزل العسكر عليها فى شهر رمضان سنة احدى وخمسمائة وصادرت زوجته من بقى بالبلد وعسفت نساء الخارجين عنه وبالغت فى الاحتراز عليهم فاوحشهم ذلك ودعاهم الى الانحراف عنها وقوتل أهل البلد قتالا متتابعا فتمادى الحصار باهلها من خارج والظلم من داخل الى آخر المحرم والجند بها يمنعون عاميا من القرب من السور فلما طال الامر على الناس اتفق نفر من الجصاصين ومقدمهم جصاص يعرف بسعدى على تسليم البلد وتحالفوا على التساعد وأتوا وقت صلاة الجمعة والناس بالجامع وصعدوا برجا واغلقوا ابوابه وقتلوا من به من الجند وكانوا نياما فلم يشعروا بشئ حتى قتلوا وأخذوا سلاحهم والقوهم الى الارض وملكوا برجا آخر ووقعت الصيحة وقصدهم مائتا فارس من العسكر ورموهم بالنشاب وهم يقاتلون وينادون بشعار السلطان فزحف عسكر السلطان اليهم ودخلوا البلد من ناحيتهم وملكوه ودخله الامير مودود ونودى بالسكون والامن وان يعود الناس الى دورهم واملاكهم واقامت زوجة جاولى بالقلعة ثمانية أيام وراسلت الامير مودود فى ان يفرج لها عن طريقها وان يحلف لها على الصيانة والحراسة فحلف وخرجت الى اخيها برسق بن برسق ومعها اموالها وما استولت عليه وولى مودود الموصل وما ينضاف اليها

(ذكر حال جاولى مدة الحصار)

واما جاولى فانه لما وصل عسكر السلطان الى الموصل وحصرها سار عنها واخذ معه القمص صاحب الرها الذى كان قد اسره سقمان وأخذه منه جكرمش وقد ذكرنا ذلك وسار الى نصيبين وهى حينئذ للامير ايلغازى بن ارتق وراسله وساله الاجتماع به واستدعاه الى معاضدته وان يكونا يدا واحدة واعلمه ان خوفهما من السلطان ينبغى ان يجمعهما على الاحتماء منه فلم يجبه ايلغازى الى ذلك ورحل عن نصيبين ورتب بها ولده وامره بحفظها من جاولى وان يقاتله ان قصده وسار الى ماردين فلما سمع جاولى ذلك عدل عن نصيبين وقصد ادارا وارسل الى ايلغازى ثانيا فى المعانى وسار بعد الرسول فبينما رسوله عند ايلغازى بماردين لم يشعر الا وجاولى معه فى القلعة وحده فقصد ان يتالفه ويستميله فلما رآه ايلغازى قام اليه وخدمه ولما رأى جاولى محسنا للظن فيه غير مستشعر منه لم يجد الى دفعه سبيلا فنزل معه وعسكرا بظاهر نصيبين وسارا منها الى سنجار وحاصراها مدة فلم يجبهما صاحبه الى صلح فتركاه وسارا نحو الرحبة وايلغازى يظهر لجاولى المساعدة ويبطن الخلاف وينتظر فرصة لينصرف عنه فلما وصلا الى عرابان من الخابور هرب ايلغازى ليلا وقصد نصيبين

(ذكر اطلاق جاولى للقمص الفرنجى)

لما هرب ايلغازى من جاولى سار جاولى الى الرحبة فلما وصل الى ماكسين اطلق

والمصادرات والطلبات والاستيلاء على الاموال بغير حق حتى افقروا تجارهم ورعاياهم ولم ياخذوا من هذه المدخرات شيئا بل ربما كان عندهم او عند خوندا تهم جوهر نفيس من بقايا المدخرات فيرسلونه هدية الى الحجرة ولا ينتفعون به فى مهماتهم فضلا عن اعطائه لمستحقه من المحتاجين واذا صار فى ذلك المكان لا ينتفع به احد الا ما يختلسه العبيد الخصيون الذين يقال لهم اغوات الحرم والفقراء من اولاد الرسول واهل العلم والمحتاجون وابناء السبيل يموتون جوعا وهذه الذخائر محجور عليها وممنوعون منها الى ان حضر الوهابى واستولى على المدينة واخذ تلك الذخائر فيقال انه عبى اربعة شحاحير من الجواهر المحلاة بالالماس والياقوت العظيمة القدر ومن ذلك اربع شمعدانات من الزمرذ وبدل الشمعة قطعة الماس مستطيلة يضئ نورها فى الظلام ونحو مائة سيف قراباتها ملبسة بالذهب الخالص ومنزل عليها الماس وياقوت ونصابها من الزمرذ واليشم ونحو ذلك وسلاحها من الحديد الموصوف كل سيف منها لا قيمة له وعليها دمغات باسم الملوك والخلفاء السالفين وغير ذلك * ومنها ان الباشا عزم على عمارة المجراة التى تنقل الماء الى القلعة وقد خربت وتلاشى امرها وتهدمت قناطرها وبطل نقل الماء عليها من نحو عشرين سنة فقيد بعمارتها محمد

اصناف كثيرة منها على بضاعة اللبان عن كل قطعة ثلثمائة نصف فضة وكذلك على صنف الحناء عن كل محملة عشرة اقصاف وكذلك الموزونات كل مائة درهم اربعة دراهم على البائع درهمان وعلى المشترى درهمان وغير ذلك حوادث كثيرة لا نعلمها

* (واما من مات بها ممن له ذكر) * فمات الاجل المبجل والمحترم المفضل السيد خليل البكرى الصديقى ووالدته من ذرية شمس الدين الحنفى وهو أخو الشيخ أحمد البكرى الصديقى الذى كان متوليا على سجادتهم ولما مات أخوه ولى بها المترجم لما فيه من الرعونة وارتكابه أمورا غير لائقة بل تولاها ابن عمه السيد محمد افندى مضافة لنقابة الاشراف فتنازع مع ابن عمه المذكور وقسموا البيت الذى هو مسكنهم بالازبكية نصفين وعمر منابه عمارة متقنة وزخرفه وانشا فيه بستانا زرع فيه أصناف الاشجار والفواكه فلما توفى السيد محمد افندى تولى المترجم مشيخة السجادة وتولى نقابة الاشراف السيد عمر مكرم الاسيوطى فلما طرق البلاد الفرنساوية تداخل المترجم فيهم وخرج السيد عمر مع من خرج ها ربا من الفرنساية الى بلاد الشام وعرف المترجم الفرنساوية ان النقابة كانت لبيتهم بينهم

القمص الفرنجى الذى كان أسيرا بالموصل واخذه معه واسمه بردويل وكان صاحب الرها وسروج وغيرهما وبقى فى الحبس الى الآن وبذل الاموال الكثيرة فلم يطلق فلما كان الآن أطلقه جاولى وخلع عليه وكان مقامه فى السجن ما يقارب خمس سنين وقرر عليه ان يفدى نفسه بمال وان يطلق اسرى المسلمين الذين فى سجنه وان ينصره متى اراد ذلك منه بنفسه وعسكره وماله فلما اتفقا على ذلك سير القمص الى قلعة جعبر وسلمه الى صاحبها سالم بن مالك حتى ورد عليه ابن خالته جوسلين وهو من فرسان الفرنج وشجعانها وهو صاحب تل باشر وغيرها وكان أسر مع القمص فى تلك الوقعة ففدى نفسه بعشرين ألف دينارا فلما وصل جوسلين الى قلعة جعبر أقام رهينة عوض القمص وأطلق القمص وسار الى انطاكية واخذ جاولى جوسلين من قلعة جعبر فاطلقه واخذ عوضه اخا زوجته وأخا زوجة القمص وسيره الى القمص ليقوى به ويحثه على اطلاق الاسرى وانفاذ المال وماضمنه فلما وصل جوسلين الى منبج اغار عليها ونهبها وكان معه جماعة من أصحاب جاولى فانكر واعليه ذلك ونسبوه الى الغدر فقال ان هذه المدينة ليست لكم

* (ذكر ما جرى بين هذا القمص وبين صاحب انطاكية) *

لما اطلق القمص وسار الى انطاكية اعطاه طنكرى صاحبها ثلاثين الف دينار وخيلا وسلاحا وثيابا وغير ذلك وكان طنكرى قد اخذ الرها من اصحاب القمص حين أسر فخاطبه الآن فى ردها عليه فلم يفعل فخرج من عنده الى تل باشر فلما قدم عليه جوسلين وقد اطلقه جاولى سره ذلك وفرح به وسار اليهما طنكرى صاحب انطاكية بعساكره ليحاربهما قبل ان يقوى امرهما ويجمعا عسكرا ويلتحق بهما جاولى وينجدهما فكانوا يقتتلون فاذا فرغوا من القتال اجتمعوا كل بعضهم مع بعض وتحادثوا واطلق القمص من الاسرى المسلمين مائة وستين أسيرا كلهم من سواد حلب وكساهم وسيرهم وعاد طنكرى الى انطاكية من غير فصل حال فى معنى الرها فسار القمص وجوسلين واغارا على حصون طنكرى صاحب انطاكية والتجأ الى ولاية كواسيل وهو رجل ارمنى ومعه خلق كثير من المرتدين وغيرهم وهو صاحب رعبان وكيسوم وغيرهما من القلاع شمالى حلب فانجد القمص بالف فارس من المرتدين والفى راجل فقصدهم طنكرى فتنازعوا فى امر الرهافة وسط بينهم البطرك الذى لهم وهو عندهم كالامام الذى للمسلمين لا يخالف امره وشهد جماعة من المطارنة والقسيسين ان بيمند خال طنكرى قال له لما اراد ركوب البحر والعود الى بلاده أن يعيد الرها الى القمص اذا خلص من الاسر فاعادها عليه طنكرى تاسع صفر وعبر القمص الفرات ليسلم الى اصحاب جاولى المال والاسرى فاطلق فى طريقه خلقا كثيرا من الاسرى من حران وغيرها وكان بسروج ثلثمائة مسلم ضعفى فعمر اصحاب جاولى مساجدهم وكان رئيس سروج مسلما قد ارتد فسمعه اصحاب جاولى يقول فى الاسلام قولا شنيعا فضربوه وجرى

بينهم وبين الفرنج بسببه نزاع فذكر ذلك للقمص فقال هذا لا يصلح لنا ولا للمسلمين فقتله

(ذكر حال جاولى بعد اطلاق القمص)

لما اطلق جاولى القمص بماكسين سار الى الرحبة فاتاه ابو النجم بدران وابو كامل منصور ابنا سيف الدولة صدقة وكانا بعد قتل ابيهما بقلعة جعبر عند سالم بن مالك فتعاهدوا على المساعدة والمعاضدة ووعدهما انه يسير معهما الى الحلة وعزموا ان يقدموا عليهم بكتاش بن تكش بن الب ارسلان فوصل اليهم وهم على هذا العزم الا صبهبذ صباوو وكان قد قصد السلطان فاقطعه الرحبة وقد ذكرناه فاجتمع بجاولى واشار عليه ان يقصد الشام فان بلاده خالية من الاجناد والفرنج قد استولوا على كثير منها وعرفه انه متى قصد العراق والسلطان بها او قريبا منها لم يامن شرا يصل اليه فقبل قوله واصعد عن الرحبة فوصل اليه رسل سالم بن مالك صاحب قلعة جعبر يستغيث به من بنى نمير وكانت الرقة بيد ولده على بن سالم فوثب جوشن النميرى ومعه جماعة من بنى نمير فقتل عليا وملك الرقة فبلغ ذلك الملك رضوان فسار من حلب الى صفين فصادف تسعين رجلا من الفرنج معهم مال من فدية القمص صاحب الرها قد سيره الى جاولى فاخذه واسر عددا منهم واتى الرقة فصالحه بنو نمير على مال فرحل عنهم الى حلب فاستنجد سالم بن مالك جاولى وساله ان يرحل الى الرقة وياخذها ووعده بما يحتاج اليه فقصد الرقة وحصرها سبعين يوما فضمن له بنو نمير مالا وخيلا فارسل الى سالم اننى فى امراهم من هذا وانا بازاء عدو ويجب التشاغل به دون غيره وانا عازم على الانحدار الى العراق فان تم امرى فالرقة وغيرها لك ولا اشتغل عن هذا المهم بحصار خمسة نفر من بنى نمير ووصل الى جاولى الامير حسين بن اتابك قتلغتكين وكان ابوه اتابك السلطان محمد فقتله وتقدم ولده هذا عند السلطان واختص به فسيره السلطان مع فخر الملك بن عمار ليصلح الحال مع جاولى ويامر العساكر بالمسير مع ابن عمار الى جهاد الكفار فحضر عند جاولى وامر بتسليم البلاد وطيب قلبه عن السلطان وضمن الجميل اذا سلم البلاد واظهر الطاعة والعبودية فقال جاولى انا مملوك السلطان وفى طاعته وحمل اليه مالا وثيابا لها مقدار جليل وقال له سر الى الموصل ورحل العسكر عنها فانى ارسل معك من يسلم ولدى اليك رهينة وينفذ السلطان اليها من يتولى امرها وجباية اموالها ففعل حسين ذلك وسار ومعه صاحب جاولى فلما وصلا الى العسكر الذى على الموصل وكانوا لم يفتحوها بعد فامرهم حسين بالرحيل فكلهم اجاب الا الامير مودود فانه قال لا ارحل الا بامر السلطان وقبض على صاحب جاولى واقام على الموصل حتى فتحها كما ذكرناه وعاد حسين بن قتلغتكين الى السلطان فاحسن النيابة عن جاولى عنده وسار جاولى الى مدينة بالس فوصلها ثالث عشر صفر فاحتمى اهلها منه وهرب من بها من اصحاب الملك رضوان صاحب حلب فحصرها خمسة ايام وملكها بعد ان نقب برجا من ابراجها فوقع على النقابين فقتل منهم جماعة وملك البلد وصلب جماعة من اعيانه عند النقب واحضر القاضى محمد بن عبد العزيز بن الياس فقتله وكان فقيها صالحا

وانهم غصبوها منه فقلدوه اياها واستولى على وقفها وايرادها وانفرد بسكن البيت وصار له قبول عند الفرنساوية وجعلوه من أعاظم رؤساء الديوان الذى كانوا نظموه لاجراء الاحكام بين المسلمين فكان وافر الحرمة مسموع الكلمة مقبول الشفاعة عندهم فازدحم بيته بالدعاوى والشكاوى واجتمع عنده مماليك من مماليك الامراء المصرية الذين كانوا خائفين ومتغيبين وعدة خدم وقواسة ومقدم كبير وسراجين وأجناد واستمر على ذلك الى أن حضر يوسف باشا الوزير فى المرة الاولى التى انتقض فيها الصلح ووقعت الحروب فى البلدة بين العثمانية والفرنساوية والامراء المصرية وأهل البلدة فهجم على داره المتهورون من العامة ونهبوه وهتكوا حريمه وعروه عن ثيابه وشحبوه بينهم مكشوف الرأس من الازبكية الى وكالة ذى الفقار بالجمالية وبها عثمان كتخدا الدولة فشفع فيه الحاضرون واطلقوه بعد ان أشرف على الهلاك واخذه الخواجا احمد بن محرم الى داره واسكن روعه والبسه ثيابا وأكرمه وبقى بداره الى أن انقضت أيام الفتنة وظهرت الفرنساوية على المحاربين لهم وخرجوا من البلدة واستقر بها الفرنساوية فعند ذلك ذهب اليهم وشكا لهم ما حل به بسبب موالاته لهم فعوضوا عليه ما نهب له ورجع الى الحالة التى كان عليها معهم وكانت داره أخربها

بحارة عابدين وجدد بها عمارة وكان له ابنة خرجت عن طورها فى أيام الفرنسيس فلما اشيع حضور الوزير والقبودان والانكليز وظهور على الفرنساوية الخروج من مصر فقتل ابنته المذكورة بيدها كما الشرطة فلما استقرت العثمانية بالديار المصرية عزل المترجم عن نقابة الاشراف وتولاها السيد عمر مكرم كما كان قبل الفرنساوية ولما حضر محمد باشا خسرو انهى اليه الكارهون له بانه مرتكب للموبقات ويعاقر الشراب وغير ذلك وان ابنته كانت تذهب الى الفرنسيس بعلمه وانه قتلها خوفا وتبرئة لنفسه من الشهرة التى لا يمكنه سترها ولا يقبل عذره فيها ولا التنصل منها وانه لا يصلح لمشيخة سجادة السادة البكرية وعرفوه ان هناك شخصا من سلسلتهم يقال له الشيخ محمد سعد وهو من جملة اتباع المترجم ولكنه فقير لا يملك شيئا ولا دابة يركبها فقال الباشا أنا أواسيه واعطيه فاحضر وله بعدان البسوه تاجا كبيرا وثيابا وهو رجل مبارك طاعن فى السن فالبسه فروة سمور وقدم له حصانا معدا وقيد له ألف قرش وسكن دارا بناحية باب الخرق وتو يش حاله ونخل امر المترجم واشترى دارا بدرب الجماميز بعطفة بالامير

وذهب البلد واخذ منهم مالا كثيرا

(ذكر الحرب بين جاولى والفرنج)

وفى هذه السنة فى صفر كان المصاف بين جاولى سقاوو بين طنكرى الفرنجى صاحب انطاكية وسبب ذلك ان الملك رضوان كتب الى طنكرى صاحب انطاكية يعرفه ما عليه جاولى من الغدر والمكر والخداع ويحذره منه و يعلمه انه على قصد حلب وانه ان ملكها لا يبقى للفرنج معه بالشام مقام وطلب منه النصرة والاتفاق على منعه فاجابه طنكرى الى منعه و برز من انطاكية فارسل اليه رضوان ستمائة فارس فلما سمع جاولى الخبر ارسل الى القمص صاحب الرها يستدعيه الى مساعدته واطلق له ما بقى عليه من مال المفاداة فسار الى جاولى فلحق به وهو على منبج فوصل الخبر اليه وهو على هذه الحال بان الموصل قد استولى عليها عسكر السلطان وملكوا خزائنه واملاكه فاشتد ذلك عليه وفارقه كثير من اصحابه منهم اتابك زنكى بن آقسنقر وبكتاش النهاوندى وبقى جاولى فى الف فارس وانضم اليه خلق من المطوعة فنزل بتل باشر وقاربهم طنكرى وهو فى الف وخمسمائة فارس من الفرنج وستمائة من اصحاب الملك رضوان سوى الرجالة فجعل جاولى فى ميمنته الامير قيان والامير التونتاش الابرى وغيرهما وفى الميسرة الامير بدران بن صدقة والاصبهبذ صباوو وسنقر دراز وفى القلب القمص بغدوين وجوسلين الفرنجيين ووقعت الحرب فحمل اصحاب انطاكية على القمص صاحب الرها واشتد القتال فازاح طنكرى القلب عن موضعه وحملت ميسرة جاولى على رجالة صاحب انطاكية فقتلت منهم خلقا كثيرا ولم يبق غير هزيمة صاحب انطاكية فحينئذ عدا اصحاب جاولى الى جنائب القمص وجوسلين وغيرهما من الفرنج فركبوها وانهزموا فمضى جاولى وراءهم فلم يرجعوا وكانت طاعته قد زالت عنهم حين اخذت الموصل منه فلما راى انهم لا يعودون معه اهمه نفسه وخاف من المقام فانهزم وانهزم باقى عسكره فاما الاصبهبذ صباوو فسار نحو الشام واما بدران بن صدقة فسار الى قلعة جعبر واما ابن جكرمش فقصد جزيرة ابن عمر واما جاولى فقصد الرحبة وقتل من المسلمين خلق كثير ونهب صاحب انطاكية اموالهم واثقالهم وعظم البلاء عليهم من الفرنج وهرب القمص وجوسلين الى تل باشر والتجا اليهما خلق كثير من المسلمين ففعلا معهم الجميل وداويا الجرحى وكسوا العراة وسيراهم الى بلادهم

(ذكر عود جاولى الى السلطان)

لما انهزم جاولى سقاوو قصد الرحبة فلما قاربها بات دونها فى عدة فوارس فاتفق ان طائفة من عسكر الامير مودود الذين اخذوا الموصل منه اغاروا على قوم من العرب يجاورون الرحبة فقاربوا جاولى وهم لا يشعرون به ولو علموا لاخذوه فلما راى الحال كذلك علم انه لا يقدر ان يقيم فى الجزيرة ولا بالشام ولا يقدر على شئ يحفظ به نفسه ويرجع اليه ويداوى به مرضه غير قصد باب السلطان محمد عن رغبة واختيار وكان واثقا

بالامير حسين بن قتلغ تكين فرحل من مكانه وهو خائف حذر قد اخفى شخصه وكتم امره وسار الى عسكر السلطان وكان بالقرب من اصبهان فوصل اليه فى سبعة عشر يوما من مكانه بجده فى السير فلما وصل المعسكر قصد الامير حسين فحمله الى السلطان فدخل اليه وكفنه تحت يده فامنه واتاه الامراء يهنئونه بذلك وطلب منه السلطان الملك بكتاش ابن تكش فسلمه اليه فاعتقله باصبهان

(ذكر الحرب بين طغتكين والفرنج والهدنة بعدها)

فى هذه السنة كانت حرب شديدة بين طغتكين اتابك والفرنج وسببها ان طغتكين سار الى طبرية وقد وصل اليها ابن اخت بغدوين الفرنجى ملك القدس فتحاربا واقتتلا وكان طغتكين فى الف فارس وكثير من الرجالة وكان ابن اخت ملك الفرنج فى اربعمائة فارس والتقى راجل فلما اشتد القتال انهزم المسلمون فترجل طغتكين ونادى بالمسلمين وشجعهم فعاودوا الحرب وكسروا الفرنج واسروا ابن اخت الملك وحمل الى طغتكين فعرض طغتكين عليه الاسلام فامتنع منه وبذل فى فداء نفسه ثلاثين الف دينار واطلاق خمسمائة اسير فلم يقنع طغتكين منه بغير الاسلام فلما لم يجب قتله بيده وارسل الى الخليفة والسلطان الاسرى ثم اصطلح طغتكين وبغدوين ملك الفرنج على وضع الحرب اربع سنين وكان ذلك من لطف الله تعالى بالمسلمين ولولا هذه الهدنة لسكان الفرنج بلغوا من المسلمين بعد الهزيمة الاخيرة ذكرها امرا عظيما

(ذكر انهزام طغتكين من الفرنج)

فى هذه السنة فى شعبان انهزم اتابك طغتكين من الفرنج وسبب ذلك ان حصن عرقة وهو من اعمال طرابلس كان بيد غلام للقاضى فخر الملك ابى على بن عمار صاحب طرابلس وهو من الحصون المنيعة فعصى على مولاه فضاق به القوت وانقطعت عنه الميرة لطول مكث الفرنج فى نواحيه فارسل الى اتابك طغتكين صاحب دمشق وقال له ارسل من يتسلم هذا الحصن منى قد عجزت عن حفظه ولان ياخذه المسلمون خير لى دنيا وآخرة من أن ياخذه الفرنج فبعث اليه طغتكين صاحبا له اسمه اسرائيل فى ثلثمائة رجل فتسلم الحصن فلما نزل غلام ابن عمار منه رماه اسرائيل فى الاخلاط بسهم فقتله وكان قصده بذلك ان لا يطلع اتابك طغتكين على ما خلفه بالقلعة من المال واراد طغتكين قصد الحصن للاطلاع عليه وتقويته بالعساكر والاقوات والآلات الحرب فنزل الغيث والثلج مدة شهرين ليلا ونهارا فمنعه فلما زال ذلك سار فى اربعة آلاف فارس ففتح حصونا للفرنج منها حصن الاكمة فلما سمع السردانى الفرنجى بمجىء طغتكين وهو على حصار طرابلس توجه فى ثلثمائة فارس فلما اشرف اوائل اصحابه على عسكر طغتكين انهزموا وخلوا اثقالهم ورحالهم ودوابهم للفرنج فغنموا وقووا به وزاد فى تجملهم ووصل المسلمون الى حمص على أقبح حال من التقطع ولم يقتل منهم احد لانه لم تجر حرب وقصد السردانى الى عرقة فلما نازلها طلب من كان بها الامان

مساطب ولواوين جلوس لطيفة واشترى دارين من دور الامراء المتقدمين بظاهرذلك وهدمهما وبنى بانقاضهما واخشابهما وباع ما كان تحت يده من حصص الالتزام وسد باثمانها ديونه واقتصر على ايراده فيما يخصه من وقف جده لامه الاستاذ الحنفى وتصدى لمفاقمته وأذيته انفار من المتظاهرين مثل السيد عمر مكرم النقيب والشيخ محمد وفا السادات وخلافهما حتى انه كان عقد لابنه سيدى أحمد على بنت المرحوم محمد افندى البكرى فتعصبوا عليه بعد عزله من المشيخة والنقابة وابطلوا العقد وفسخوا النكاح ببيت القاضى وتسلط عليه من له دين أو دعوى أو مطالبة حتى بيعوه حصصه وكان قد اشترى مملوكا فى أيام الفرنساوية جميل الصورة فلما حصل له ما حصل ادعى عليه البائع انه اخذه بدون القيمة ولم يدفع له الثمن فلم يثبت عليه ذلك وكان المملوك ذهب من عنده وتم الامر والمصالحة على ان عثمان بك المرادى اخذ ذلك المملوك لنفسه وقد تقدم ذكر قصته فى الحوادث السابقة ولم يزل المترجم على حالة نحوله حتى تحرك عليه

داء الفتق ومات على حين غفلة فى منتصف شهر ذى الحجة وصلى عليه بمسجد جده لامه الشيخ شمس الدين بوا

فامنهم على نفوسهم وتسلم الحصن فلما خرج من فيه قبض على اسرائيل وقال لا اطلق عنه الا باطلاق فلان وهو اسير كان بدمشق من الفرنج منذ سبع سنين ففودي به واطلقا معا ولما وصل طغتكين الى دمشق بعد الهزيمة ارسل اليه ملك القدس يقول له لا تظن انني انقض الهدنة للذي تم عليك من الهزيمة فالملوك ينالهم اكثر مما نالك ثم تعود امورهم الى الانتظام والاستقامة وكان طغتكين خائفا ان يقصده بعد هذه الكسرة فينال من بلده كل ما أراد

(ذكر صلح السنة والشيعة ببغداد)

في هذه السنة في شعبان اصطلح عامة بغداد السنة والشيعة وكان الشر منهم على طول الزمان وقد اجتهد الخلفاء والسلاطين والشحن في اصلاح الحال فتعذر عليهم ذلك الى ان أذن الله تعالى فيه وكان بغير واسطة وكان السبب في ذلك ان السلطان محمدا لما قتل ملك العرب صدقة كما ذكرناه خاف الشيعة ببغداد أهل الكرخ وغيرهم لان صدقة كان يتشيع هو واهل بيته فشنع اهل السنة عليهم بانهم نالهم غم وهم لقتله فخاف الشيعة واغضوا على سماع هذا ولم يزالوا خائفين الى شعبان فلما دخل شعبان تجهز السنة لزيارة قبر مصعب بن الزبير وكانوا قد تركوا ذلك سنين كثيرة ومنعوا منه لتنقطع الفتن الحادثة بسببه فلما تجهزوا للمسير اتفقوا على ان يجعلوا طريقهم في الكرخ فاظهروا ذلك فاتفق راى اهل الكرخ على ترك معارضتهم وانهم لا يمنعونهم فصار السنة تسير اهل كل محلة منفردين ومعهم من الزينة والسلاح شئ كثير وجاء اهل باب المراتب ومعهم فيل قد عمل من خشب وعليه الرجال بالسلاح وقصدوا جميعهم الكرخ ليعبروا فيه فاستقبلهم اهله بالبخور والطيب والماء المبرد والسلاح الكثير واظهروا بهم السرور وشيعوهم حتى خرجوا من المحلة وخرج الشيعة ليلة النصف منه الى مشهد موسى بن جعفر وغيره فلم يعترضهم احد من السنة فعجب الناس لذلك ولما عادوا من زيارة مصعب لقيهم اهل الكرخ بالفرح والسرور فاتفق ان اهل باب المراتب انكسر فيلهم عند قنطرة باب حرب فقرا لهم قوم الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الى آخر السورة

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة عاد منصور بن صدقة بن مزيد الى باب السلطان فتقبله واكرمه وكان قد هرب بعد قتل والده الى الآن والتحق اخوه بدران بن صدقة بالامير مودود الذي اقطعه السلطان الموصل فاكرمه واحسن صحبته وفيها في نيسان زادت دجلة زيادة عظيمة وتقطعت الطرق وغرقت الغلات الشتوية والصيفية وحدث غلاء عظيم بالعراق بلغت الكارة الدقيق الخشكار عشرة دنانير امامية وعدم الخبز راسا واكل الناس التمر والباقلاء الاخضر واما اهل السواد فانهم لم ياكلوا جميع شهر رمضان ونصف شوال سوى الحشيش والتوت وفيها في رجب عزل وزير الخليفة ابو المعالي هبة الله

محمد الحنفي ودفن عند اسلافه بمشهد السادة البكرية بالقرافة رحمه الله وعفا عنا وعنه *(ومات الامير شاهين بك المرادي)* ويعرف بباب اللوق لانه كان ساكنا هناك وهو من مماليك مراد بك واصله جركسي الجنس ولما اعتقه مراد بك انعم عليه بكشوفية اقليم الغربية ثم رجع الى مصر واقام بطالا متطلعا للامارة ويرى انه احق بها من غيره ولما رجع المصريون الى مصر بعد قتل طاهر باشا وكان الالفي غائبا ببلاد الانكليز انضم اليه عثمان بك البرديسي ووافقه على كراهة الالفي الباطنية وكان هو احد المباشرين والضاربين لحسين بك الوشاش بالبر الغربي ليلة خروجهم وتعديتهم لملاقاة الالفي ثم خرج من مصر مع عشيرته ولم يزل حتى مات في منتصف شهر ربيع الاول من السنة المذكورة والله اعلم

(سنة اربع وعشرين ومائتين والف)

استهل شهر المحرم بيوم الخميس وفي تلك الليلة أعني ليلة الجمعة ثانيه مرت سحابة سوداء مظلمة في وقت العشاء وحصل فيها رعد مزعج وبرق مستنير شديد اللمعان وامطرت في محلات قليلا وفي أخرى كثيرا ثم انجلت السماء سريعا فظهرت النجوم وبعد أيام أخبر الواردون من ناحية بلاد السماحات بالغربية انها امطرت بتلك الناحية في تلك الليلة بردا ابن

ابن المطلب ووزر له ابو القاسم على بن ابى نصر بن جهير وفيها فى شعبان تزوج الخليفة المستظهر بالله ابنة السلطان ملكشاه وهى اخت السلطان محمد وكان الذى خطب خطبة النكاح القاضى ابو العلاء صاعد بن محمد النيسابورى الحنفى وكان المتولى لقبول العقد نظام الملك احمد بن نظام الملك وزير السلطان بوكالة من الخليفة وكان الصداق مائة الف دينار ونثرت الجواهر والدنانير وكان العقد باصبهان وفيها تولى مجاهد الدين بهروز شحنكية بغداد وكان سبب ذلك ان السلطان محمدا كان قبض على ابى القاسم الحسين بن عبد الواحد صاحب المخزن وعلى ابى الفرج بن رئيس الرؤساء واعتقلهم عنده ثم اطلقهم الآن وقرر عليهم مالا يحملونه اليه فارسل مجاهد الدين بهروز لقبض المال وامره السلطان بعمارة دار المملكة ففعل ذلك وعمر الدار واحسن الى الناس فلما قدم السلطان الى بغداد ولاه شحنكية العراق جميعه وخلع على سعيد ابن حميد العمرى صاحب جيش صدقة وولاه الحلة السيفية وكان صارما حازما ذا راى وجلد وفيها فى شوال ملك الامير سكمان القطبى صاحب خلاط مدينة ميافارقين بالامان بعد ان حصرها وضيق على اهلها مدة شهور فعدمت الاقوات بها واشتد الجوع باهلها فسلموها وفى هذه السنة فى صفر قتل قاضى اصبهان عبيد الله بن على الخطيبى بهمذان وكان قد تجرد فى امر الباطنية تجردا عظيما وصار يلبس درعا تحذرا منهم ويحتاط ويحترز فقصده انسان عجمى يوم جمعة ودخل بينه وبين اصحابه فقتله وقتل صاعد بن محمد بن عبد الرحمن ابو العلاء قاضى نيسابور يوم عيد الفطر قتله باطنى وقتل الباطنى ومولده سنة ثمان واربعين واربعمائة وسمع الحديث وكان حنفى المذهب وفى هذه السنة سار قفل عظيم من دمشق الى مصر فاتى الخبر الى ملك الفرنج فسار اليه وعارضه فى البرواخذ كل من فيه ولم يسلم منهم الا القليل ومن سلم اخذه العرب وفيها فى فصح النصارى ثار جماعة من الباطنية فى حصن شيزر على حين غفلة من اهله فى مائة رجل فملكوه واخرجوا من كان فيه واغلقوا بابه وصعدوا الى القلعة فملكوها وكان اصحابها ينوبون منقذ قد نزلوا منها المشاهدة عيد النصارى وكانوا قد احسنوا الى هؤلاء الذين افسدوا كل الاحسان فبادروا اهل المدينة بالمشورة فاصعدهم النساء فى الحبال من الطاقات وصاروا معهم وادركهم الامراء بنو منقذ اصحاب الحصن فصعدوا اليهم فكبروا عليهم وقاتلوهم فانخذل الباطنية واخذهم السيف من كل جانب فلم يفلت منهم احد وقتل من كان على مثل رأيهم فى البلد وفيها وصل الى المهدية ثلاثة نفر غرباء فكتبوا الى أميرها يحيى بن تميم يقولون انهم يعملون الكيميا فاحضرهم عنده وأمرهم ان يعملوا شيئا يراه من صناعتهم فقالوا نعمل النقرة فاحضر لهم ما طلبوا من آلة وغيرها وقعد معهم هو والشريف أبو الحسن وقائد جيشه اسمه ابراهيم وكانا يختصان به فلما رأى الكيماوية المكان خاليا من جيش ثاروا بهم فضرب احدهم يحيى بن تميم على رأسه فوقعت السكين فى عمامته فلم تصنع شيئا ورفسه يحيى فالقاه على ظهره ودخل يحيى بابا واغلقه على نفسه فضرب الثانى الشريف فقتله واخذ القائد

مواشى وآدمية واهلكت زروعا كثيرة (وفى يوم الاحد رابعه) قتل الباشا حسين بن الخبيرى وهو بترعة الفرعونية وأرسل رأسه الى مصر فعلقت بباب زويلة (وفى أواخره حضر) الباشا من ترعة الفرعونية وقد عجز عن سدها بعد أن بذل جهده وفرض الفرض العظيمة على البلاد واشغلوا المراكب فى نقل الاحجار ليلا ونهارا والسيد محمد المحروقى متقيد لذلك ومقيم بمسجد الآثار لتسهيل الحجارين ووسقها بالمراكب وقطعها من الجبل قطعا وصخورا فكانوا يشقون الجبل بالغام البارود مثل عمل الافرنج وظهر فى قطعهم كوف ومغارات وتجاويف وتحدث الناس بذلك بانواع الاكاذيب والخرافات كقولهم ظهر فى الجبل باب من حديد وعليه أقفال ففتحوه ونظروا من داخله أشخاصا على خيول الى غير ذلك (وفيه) حضر قاصد من قبودان باشا بطلب عوائده بالاسكندرية فقال له حاكم الاسكندرية ينبغى أن تذهب الى الباشا بالترعة وتقابله فذهب اليه وقابله عند السد فبات تلك الليلة وأصبح ميتا فاخرجوه الى المقبرة

ثم حضر قاصد آخر يخبر بوصول قابجى وعلى يده مرسومان أحدهما الاخبار عن صلح الدولة مع الانكليز والموسكوب وانفتاح

ابراهيم السيف فقاتل الكيماوية ووقع الصوت فدخل اصحاب الامير يحيى فقتلوا الكيماوية وكان زيهم زى اهل الافرنج فقتل جماعة من اهل البلد على مثل زيهم وقيل للامير يحيى ان هؤلاء رآهم بعض الناس عند المقدم بن خليفة واتفق ان الامير ابا الفتوح بن عمه اخا يحيى وصل تلك الساعة الى القصر فى اصحابه قد لبسوا السلاح فمنع من الدخول فثبت عند الامير يحيى ان ذلك بوضع منهما فاحضر المقدم بن خليفة وامر اولاد اخيه فقتلوه قصاصا لانه قتل اباهم وأخرج الامير ابا الفتوح وزوجته بلارة بنت القاسم بن عمه وهى ابنة عمه ووكل بهما فى قصر زيادبين المهدية وسفاقس فبقى هناك الى ان مات يحيى وملك بعده ابنه على سنة تسع وخمسمائة فسير أبا الفتوح وزوجته بلارة الى ديار مصر فى البحر فوصلا الى اسكندرية على ما نذكره ان شاء الله وفيها فى المحرم قتل عبد الواحد بن اسمعيل بن احمد بن محمد ابو المحاسن الروياني الطبرى الفقيه الشافعى مولده سنة خمس عشرة واربعمائة وكان حافظا للمذهب ويقول لو احترقت كتب الشافعى لاملیتها من قلبى وفيها فى جمادى الآخرة توفى الخطيب ابو زكريا يحيى بن على التبريزى الشيبانى اللغوى صاحب التصانيف المشهورة وله شعر ليس بالجيد وفيها فى رجب توفى السيد أبو هاشم زيد الحسنى العلوى رئيس همذان وكان نافذ الحكم ماضى الامر وكانت مدة رياسته لها سبعا وأربعين سنة وجد لامه الصاحب أبو القاسم بن عباد وكان عظيم المال جدا فمن ذلك انه أخذ منه السلطان محمد فى دفعة واحدة سبعمائة الف دينار لم يبع لاجلها ملكا ولا استدان دينارا وقام بعد ذلك بالسلطان محمد عدة شهور فى جميع ما يريده وكان قليل المعروف وفيها فى ذى الحجة توفى ابو الفوارس الحسن بن على الخازن الكاتب المشهور بجودة الخط وله شعر منه

عنت الدنيا طالبها * واستراح الزاهد الفطن
عرف الدنيا فلم يرها * وسواه حظه الغبن
كل ملك نال زخرفها * حظه مما حوى كفن
يقتنى مالا ويتركه * فى كلا الحالين مفتتن
املى كونى على ثقة * من لقاء الله مرتهن
اكره الدنيا وكيف بها * والذى تسخو به وسن
لم تدم قبلى على احد * فلماذا الهم والحزن

وقيل توفى سنة تسع وتسعين واربعمائة وقد ذكرناه هناك

(ثم دخلت سنة ثلاث وخمسمائة)

(ذكر ملك الفرنج طرابلس وبيروت من الشام)

فى هذه السنة حادى عشر ذى الحجة ملك الفرنج طرابلس وسبب ذلك ان طرابلس كانت قد صارت فى حكم صاحب مصر ونائبه فيها والمدد يأتى اليها منه وقد ذكرنا ذلك سنة احدى وخمسمائة فلما كان هذه السنة اول شعبان وصل اصطول كبير

اليجروا من المسافرين والثانى السابق المعروف بالمعدن تعين بالسفر للحرمين على طريق الشام وكذلك سليمان باشا والى بغداد متعين أيضا بالسفر من ناحيته على الدرعية وأحضر للباشا تقريرا بالولاية مجددا وخلعة وسيفا

(واستهل شهر صفر بيوم السبت سنة ١٢٢٤) فيه حضر الاغا الواصل الى بولاق فركب لملاقاته اغات الينكجرية والوالى وأرباب العكاكير فاركبوه فى موكب ودخلوا به من باب النصر وطلع الى القلعة وقرؤا المراسيم بحضرة الجمع وبعد الفراغ من قراءتها حضر بواعد فع وشنكا (وفى ذلك اليوم) غيمت السماء بالسحاب وامطرت كثيرا ونزل مطر ببركة الحاج وجدوا فيه سمكا اصغيرا من جنس السمك الذى يعرف بالقاروص وصار يتنطط على الارض واحضروا منه الى مصر وشاهدناه وهو فى غاية البرودة (وفيه) اهتم الباشا باخراج تجريدة الى الامراء القبليين وذلك انه تقدم بالارسال اليهم يطالبهم بالغلال والاموال الميرية المرار العديدة ويعدون ولا يوفون ووصل اليه من عندهم رضوان كتخدا البرديسى وهو بالترعة ومعه أجوبة وهدية وفيها خيول وجواد وعبيد وسكر وخصيان فاغتاظ الباشا من

قال أنا لست أطالب احسانهم وصدقاتهم حتى انهم يضحكون على ذقني بهذه ١٠٢ الامور وحيث انهم لا يرجعون عن الكامن

من بلد الفرنج في البحر وقدمهم قمص كبير اسمه ريمند بن صنجيل ومراكبه مشحونة بالرجال والسلاح والميرة فنزل على طرابلس وكان نازلا عليها قبله السردانى ابن أخت صنجيل وليس بابن أخت ريمنده ذا بل هو قمص آخر فجرت بينهما فتنة ادت الى الشر والقتال فوصل طنكرى صاحب انطاكية اليهما معونة للسردانى ووصل الملك بغدوين صاحب القدس في عسكره فاصلح بينهم ونزل الفرنج جميعهم على طرابلس وشرعوا في قتالها ومضايقة اهلها من اول شعبان والصقوا ابراجهم بسورها فلما رأى الجند واهل البلد ذلك سقط في أيديهم وذلت نفوسهم وزادهم ضعفا تأخر الاسطول المصرى عنهم بالميرة والنجدة وكان سبب تأخره أنهم فرغوا منه ومن البحث عليه واختلفوا فيه اكثر من سنة وسار فردته الريح فتعذر عليهم الوصول الى طرابلس ليقضى الله أمرا كان مفعولا وسد الفرنج القتال عليها من الابراج والزحف فهجموا على البلد وملكوه عنوة وقهرا يوم الاثنين لاحدى عشرة ليلة خلت من ذى الحجة من السنة ونهبوا ما فيها وأسروا الرجال وسبوا النساء والاطفال ونهبوا الاموال وغنموا من أهلها من الاموال والامتعة وكتب دور العلم الموقوفة ما لا يحد ولا يحصى فان أهلها كانوا من أكثر أهل البلاد أموالا وتجارة وسلم الوالى الذى كان بها وجماعة من جندها كانوا التمسوا الامان قبل فتحها فوصلوا الى دمشق وعاقب الفرنج أهلها بانواع العقوبات وأخذت دفائنهم وذخائرهم من مكامنهم

(ذكر ملك الفرنج جبيل وبانياس)

لما فرغ الفرنج من طرابلس سار طنكرى صاحب انطاكية الى بانياس وحصرها وافتتحها وامن أهلها ونزل مدينة جبيل وفيها فخر الملك بن عمار الذى كان صاحب طرابلس وكان القوت فيها قليلا فقاتلها الى ان ملكها في الثانى والعشرين من ذى الحجة من السنة بالامان وخرج فخر الملك بن عمار سالما ووصل عقيب ملك طرابلس الاسطول المصرى بالرجال والمال والغلال وغيرها مما يكفيهم سنة فوصل الى صور بعد أخذها بثمانية أيام للقضاء النازل باهلها وفرقت الغلال التى فيه والذخائر في الجهات المنفذة اليها صور وصيدا وبيروت وأما فخر الملك بن عمار فانه قصد شيزر فأكرمه صاحبها الامير سلطان بن على بن منقذ الكنانى واحترمه وساله ان يقيم عنده فلم يفعل وسار الى دمشق فانزله طغتكين صاحبها واجزل له في الحمل والعطية وأقطعه اعمال الزبدانى وهو عمل كبير من أعمال دمشق وكان ذلك في المحرم سنة اثنتين وخمسمائة

(ذكر الحرب بين محمد خان وساغر بك)

في هذه السنة عاد ساغر بك وجمع العساكر الكثيرة من الاتراك وغيرهم وقصد اعمال محمد خان بسمرقند وغيرها فارسل محمد خان الى شجر يستنجده فسير اليه الجنود واجتمع معه أيضا كثير من العساكر وسار الى ساغر بك فالتقوا بنواحى الخشب واقتتلوا فانهزم

في رؤسهم فلا بد من خروجى اليهم ومحاربتهم وأرسل الى من بمصر من الاكابر يأمرهم بالبراز والخروج فخرج حسن باشا وصالح أغا قوج وطاهر باشا وأحمد بك والكثير من أعيانهم بعساكرهم وعدوا الى بر الجيزة ونصبوا وطاقهم وخيامهم ثم ان رضوان كتخدا لم يزل يلاطفه حتى توافق معه على وعد مقدار مسافة ذهاب الجواب ورجوعه أياما معدودة فلما حضر من الترعة أخذ في التشهيل والخروج فانتقلت العساكر الى البر الغربى وأخذ يستحث في المطلوبات وخروج الخيام وجمع المراكب وسافر قبودان بولاق الى جهة بحرى لجمع المراكب وفرضوا على القرى غلالا وجمالا وذلك في عقب ما فرضه عليهم في مهمات الترعة المتقدمة وخلافها من بشارة القبطان والتقرير وما في ضمن ذلك من حق طرق المباشرين والمعينين مع ما الناس فيه من القحط والغلاء في الغلال وغيرها وعدم وجود الغلة والذين لا يقدرون على تحصيل الغلة يلزمونهم بدفع ثمنها باقصى القيمة بعد مصانعة المباشرين لذلك واعطائهم الرشوات

 وحضر أيضا نعمان سراج باشا من عند ابراهيم بك وقابل الباشا على الترعة فلم ينفع

البرديسى فطلعا الى القلعة وتقابلا مع الباشا وانخضع له على بك أيوب وقبل رجله وترجى عنده فى عدم خروج التجريدة وكلمه فى امر الغلال المنكسرة والجديدة وعلى انهم يقومون بدفع الغلال القديمة بالثمن والجديدة بالكيل وليس عندهم مخالفة والقصد الامهال الى حصاد الغلال فقال انهم اذا حصدوا الغلال اخذوها وفروا الى الجبال واستمر هذا القيل والقال نحو اربعة ايام ثم اشيع فى ثامنه الصلح وفرح الناس واستبشروا بذلك لما يترتب ومايحصل من الفساد وأكل الزروعات وخراب البلدان فانهم اكلوا فى الاربعة ايام التى ترددوا فيها بالجيزة نيفا وخمسمائة فدان ولما اشيع بالجهة القبلية خروج العساكر للتجريدة انزعجوا وايسوا من زروعاتهم وخرجوا من اوطانهم على وجوههم لايدرون اين يذهبون باولادهم ونسائهم وقصاعهم وتفرقوا فى مصر والبلاد البحرية (وفى صبحها) اعيد امر التجريدة واشيع خروج العساكر ثانيا فانقبضت النفوس ثانيا وباتوا فى نكد وطلبت السلف من المساتير والملتزمين وكتبت الدفاتر وحولت الاكياس وانبثت المعينون للطلب (وفى عاشره) بطل امر التجريدة وانقضى امر الصلح على شروط

ساغر بك وعساكره وأخذت السيوف منهم ماخذها وكثر الاسر فيهم والنهب فلما فرغوا من حربهم وأمن محمد خان من شر ساغر بك عاد العسكر السنجرى الى خراسان فعبروا النهر الى بلخ

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى المحرم سير السلطان وزيره نظام الملك أحمد بن نظام الملك الى قلعة ألموت لقتال الحسن بن الصباح ومن معه من الاسماعيلية فحصروهم وهجم الشتاء عليهم فعادوا ولم يبلغوا منه غرضا وفيها فى ربيع الآخر قدم السلطان الى بغداد وعاد عنها فى شوال من السنة أيضا وفيها فى شعبان توجه الوزير نظام الملك الى الجامع فوثب به الباطنية فضربوه بالسكاكين وجرح فى رقبته فبقى مريضا مدة ثم برأ وأخذ الباطنى الذى جرحه فسقى الخمر حتى سكر ثم سئل عن أصحابه فاقر على جماعة بمسجد المأمونية فاخذوا وقتلوا وفيها عزل وزير الخليفة وهو أبو المعالى بن المطلب ووزر بعده الزعيم ابو القاسم بن جهير فخرج ابن المطلب من دار الخليفة مستترا هو وأولاده واستجار بدار السلطان وفيها جهز يحيى بن تميم صاحب افريقية خمسة عشر شينيا وسيرها الى بلاد الروم فلقيها اسطول الروم وهو كبير فقاتلوهم واخذوا ست قطع من شوانى المسلمين ولم ينهزم بعد ذلك ليحيى جيش فى البحر والبر وسير ابنه اباالفتوح الى مدينة سفاقس واليا عليها فاثار بها أهلها فنهبوا قصره وهموا بقتله فلم يزل يحيى يعمل الحيلة عليهم حتى فرق كلمتهم وبدد شملهم وملك رقابهم فصفح عنهم وعفا عن دمائهم وذنوبهم وفيها توفى الامير ابراهيم ينال صاحب آمد وكان قبيح السيرة مشهورا بالظلم فخلا كثير من أهلها لجوره وملك بعده ولده وكان اصلح حالا منه وفيها فى ثامن ذى القعدة ظهر فى السماء كوكب من الشرق له ذؤابة ممتدة الى القبلة وبقى يطلع الى آخر ذى الحجة ثم غاب

(ثم دخلت سنة اربع وخمسمائة)

(ذكر ملك الفرنج مدينة صيدا)

فى هذه السنة فى ربيع الآخر ملك الفرنج مدينة صيدا من ساحل الشام وسبب ذلك انه وصل فى البحر الى الشام ستون مركبا للفرنج مشحونة بالرجال والذخائر مع بعض ملوكهم ليحج البيت المقدس وليغزو بزعمه المسلمين فاجتمع بهم بغدوين ملك القدس وتقررت القاعدة بينهم ان يقصدوا بلاد الاسلام فرحلوا من القدس ونزلوا مدينة صيدا ثالث ربيع الآخر من هذه السنة وضايقوها برا وبحرا وكان الاسطول المصرى مقيما على صور فلم يقدر على انجاده صيدا فعمل الفرنج برجا من الخشب واحكموه وجعلوا عليه مايمنع النار عنه والحجارة وزحفوا به فلما عاين اهل صيدا ذلك ضعفت نفوسهم واشفقوا ان يصيبهم مثل ما اصاب أهل بيروت فارسلوا قاضيها ومعه جماعة من شيوخها الى الفرنج وطلبوا من ملكهم الامان فامنهم على انفسهم واموالهم والعسكر الذى عندهم ومن اراد المقام به عندهم أمنوه ومن اراد المسير عنهم لم يمنعوه وحلف لهم

على

على ذلك فخرج الموالى وجماعة كثيرة من اعيان اهل البلد فى العشرين من جمادى الاولى الى دمشق واقام بالبلد خلق كثير تحت الامان وكانت مدة الحصار سبعة واربعين يوما ورحل بغدوين عنها الى القدس ثم عاد الى صيدا بعد مدة يسيرة فقرر على المسلمين الذين اقاموا بها عشرين الف دينار فافقرهم واستغرق اموالهم

(ذكر استيلاء المصريين على عسقلان)

كانت عسقلان للعلويين المصريين ثم ان الخليفة الآمر باحكام الله استعمل عليها انسانا يعرف بشمس الخلافة فراسل بغدوين ملك الفرنج بالشام وهادنه واهدى اليه مالا وعروضا فامتنع به من احكام المصريين عليه الا فيما يريد من غير مجاهرة بذلك فوصلت الاخبار بذلك الى الآمر باحكام الله صاحب مصر وا لى وزيره الافضل أمير الجيوش فعظم الامر عليهما وجهزا عسكرا وسيراه الى عسقلان مع قائد كبير من قواده وأظهرا انه يريد الغزاة وانفذا الى القائد سرا ان يقبض على شمس الخلافة اذا حضر عندهم ويقيم هو عوضه بعسقلان أميرا فسار العسكر فعرف شمس الخلافة الحال فامتنع من الحضور عند العسكر المصرى وجاهر بالعصيان واخرج من كان عنده من عسكر مصر خوفا منهم فلما عرف الافضل ذلك خاف ان يسلم عسقلان الى الفرنج فارسل اليه وطيب قلبه وسكنه وأقره على عمله واعاد عليه اقطاعه بمصر ثم ان شمس الخلافة خاف اهل عسقلان فاحضر جماعة من الارمن واتخذهم جندا ولم يزل على هذه الحال الى آخر سنة أربع وخمسمائة فانكر الامر اهل البلد فوثب به قوم من اعيانه وهو راكب فجرحوه فانهزم منهم الى داره فتبعوه وقتلوه ونهبوا داره وجميع ما فيها ونهبوا بعض دور غيره من أرباب الاموال بهذه الحجة وارسلوا الى مصر بجلية الحال الى الآمر والافضل فسر ابذلك واحسنا الى الواصلين بالبشارة وارسلا اليه واليا يقيم به ويستعمل مع اهل البلد الاحسان وحسن السيرة فتم ذلك وزال ما كانوا يخافونه

(ذكر ملك الفرنج حصن الاثارب وغيره)

فى هذه السنة جمع صاحب انطاكية عساكره من الفرنج وحشد الفارس والراجل وسار نحو حصن الاثارب وهو بالقرب من مدينة حلب بينهما ثلاثة فراسخ وحصره ومنع عنه الميرة فضاق الامر على من به من المسلمين فنقبوا من القلعة نقبا قصدوا ان يخرجوا منه الى خيمة صاحب انطاكية فيقتلوه فلما فعلوا ذلك وقربوا من خيمته استامن اليه صبى ارمنى فعرفه الحال فاحتاط واحترز منهم وجد فى قتالهم حتى ملك الحصن قهرا وعنوة وقتل من اهله الفى رجل وسبى واسر الباقين ثم سار الى حصن زردنا فحصره ففتحه وفعل باهله مثل الاثارب فلما سمع اهل منبج بذلك فارقوها خوفا من الفرنج وكذلك اهل بالس وقصد الفرنج البلدين فرأوهما وليس بهما انيس فعادوا عنهما وسار عسكر من الفرنج الى مدينة صيدا فطلب اهلها امنهم الامان فامنوهم وتسلموا البلد فعظم خوف المسلمين منهم وبلغت القلوب الحناجر وايقنوا باستيلاء الفرنج على سائر الشام الى البلدة وبها جماعة من الدلاة معينون لقبض الفرضة فالتجأ اليهم فمانعوا عنه وتنازع الفريقان وكان مصطفى أغا

ومحققات والذى تولى المناقشات معهم مساعدا للباشا شاهين بك الالفى والموعد احد وثلاثون يوما وسافر على بك ايوب ورضوان بك البرديسى وأكرمهما الباشا وخلع عليهما (وفى حادى عشره) قتل الباشا مصطفى اغا تابع حسن بك فى قصبة رضوان ظلما وسبب ذلك انه لما نزل قبودان بولاق لجمع المراكب المطلوبة لسفر التجريدة فصادف شخصا من الارنؤد الذين يتسببون فى بيع الغلال فى مركب ومعه غلة وذلك عند قرية تسمى سهرجت فحجزه ليأخذ منه السفينة فقال كيف تأخذها وفيها غلتى قال أخرج غلتك منها على البر واتركها فانها مطلوبة لمهمات الباشا فلم يرض وخاف على تبددها ولم يجد سفينة اخرى لان جميع السفن مطلوبة مثلها وقال له عندما اصل بها الى مصر وانقل منها الغلة ارسل من يأخذها فقال القبودان لا سبيل الى ذلك وتشاجرا فخنق القبودان على الارنؤدى وسل عليه سيفه ليضربه فعاجله الارنؤدى وضربه بالطبنجة فقتله فاراد أتباع القبودان القبض عليه ففر منهم

المذكور ملتزم البلدة هناك وغائبا فى بعض شؤنه فبلغه الخبر فحضر اليهم وخاف من وقوع قتل أو شر يقع بالبلدة فيكون

لعدم الحامى له والمانع عنه فشرع اصحاب البلاد الاسلامية بالشام فى الهدنة معهم فامتنع الفرنج من الاجابة الا على قطيعة ياخذونها الى مدة يسيرة فصالحهم الملك رضوان صاحب حلب على اثنين وثلاثين الف دينار وغيرها من الخيول والثياب وصالحهم صاحب صور على سبعة آلاف دينار وصالحهم ابن منقذ صاحب شيزر على أربعة آلاف دينار وصالحهم على الكردى صاحب حماة على الفى دينار وكانت مدة الهدنة الى وقت ادراك الغلة وحصادها ثم ان مراكب اقلعت من ديار مصر فيها التجار ومعهم الامتعة الكثيرة فوقع عليها مراكب الفرنج فاخذوها وغنموا امامع التجار واسروهم فسار جماعة من اهل حلب الى بغداد مستنفرين على الفرنج فلما وردوا بغداد اجتمع معهم خلق كثير من الفقهاء وغيرهم فقصدوا جامع السلطان واستغاثوا ومنعوا من الصلاة وكسروا المنبر فوعدهم السلطان انفاذ العساكر للجهاد وسير من دار الخلافة منبرا الى جامع السلطان فلما كان الجمعة الثانية قصدوا جامع القصر بدار الخلافة ومعهم اهل بغداد فمنعهم حاجب الباب من الدخول فغلبوه على ذلك ودخلوا الجامع وكسروا شبابيك المقصورة وهجموا الى المنبر فكسروه وبطلت الجمعة ايضا فارسل الخليفة الى السلطان فى المعنى يامره بالاهتمام بهذا الفتق ورتقه فتقدم حينئذ الى من معه من الامراء بالمسير الى بلادهم والتجهز للجهاد وسير ولده الملك مسعودا مع الامير مودود صاحب الموصل وتقدموا الى الموصل ليلحق بهم الامراء ويسيروا الى قتال الفرنج وانقضت السنة وساروا فى سنة خمس وخمسمائة وكان ماذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة عزل نظام الملك احمد من وزارة السلطان ووزر بعده الخطير محمد بن الحسين الميبذى وفيها ورد رسول ملك الروم الى السلطان يستنفره على الفرنج ويحثه على قتالهم ودفعهم عن البلاد وكان وصوله قبل وصول أهل حلب وكان أهل حلب يقولون للسلطان اما تتقى الله تعالى ان يكون ملك الروم اكثر حمية منك للاسلام حتى قد ارسل اليك فى جهادهم وفيها فى رمضان زفت ابنة السلطان ملكشاه الى الخليفة وزينت بغداد وغلقت وكان بها ريحة عظيمة لم يشاهد الناس مثلها وفيها هبت بمصر ريح سوداء اظلمت بها الدنيا واخذت بانفاس الناس ولم يقدر احد يفتح عينيه ومن فتحها لا يبصر يده ونزل على الناس رمل ويئس الناس من الحياة وايقنوا بالهلاك ثم تجلى قليلا وعاد الى الصفرة وكان ذلك من اول وقت العصر الى بعد المغرب وفيها من المحرم توفى الكيا الهراس الطبرى واسمه ابو الحسن على بن محمد بن على وكان من أعيان الفقهاء الشافعية اخذ الفقه عن امام الحرمين الجوينى ودرس بعده فى النظامية ببغداد وتوفى بها ودفن عند تربة الشيخ ابى اسحق ودرس بعده فى النظامية الامام ابو بكر الشاشى وفيها توفى ابو الحسين ادريس بن حمزة بن على الرملى الفقيه الشافعى من اهل الرملة بفلسطين تفقه على ابى الفتح نصر بن ابراهيم المقدسى وعلى الشيخ ابى اسحق الشيرازى

سببا لخراب الناحية فقال ياجماعة اذهبوا بنا الى الباشا لنرى رأيه فرضوا بذلك وحضر بجمعيتهم والقاتل معهم وطلعوا الى ساحل بولاق فعند ماوصلوا الى البر هرب القاتل وذهب عند عمر بك الارنؤدى الساكن ببولاق فتبعه الامير مصطفى المذكور فقال له عمر بك اذهب الى الباشا واخبره انه عندى وانت لاباس عليك ففعل فقال له الباشا ولاى شئ لم تحتفظ عليه وتتركه حتى يهرب فاعتذر بعدم قدرته على ذلك من الدلاتية الملتجئ اليهم وكانهم هم الذين افلتوه فارسل بحبسه فارسل الى عمر بك يحضر الى الباشا وترجى فى اطلاقه فوعده انه فى غد يطلقه اذا حضر القاتل فقال انه عند زميرأغا وهو لا يسلم فيه وركب الى داره فلما كان فى الصباح أمر بقتل الامير مصطفى المذكور فانزلوه الى الرميلة ورموا رقبته عند باب القلعة ظلما (وفى صبحها) أيضا قتلوا شخصا من الدلاة بسبب هذه الحادثة (وفى ثانى يوم) قتل الارنؤد شخصين من الدلاة أيضا (وفى يوم الخميس ثالث عشره ارسل الباشا وطلب الارنؤدى) القاتل للعبودان من عمر بك وشدد فى طلبه وقال ان لم يرسله والا احرقت عليه داره فامتنع من ارساله وجمع اليه طائفة الارنؤد وصالح اغا قوج جاره وركب الباشا

وذهب الى ناحية الشيخ فرج وحصل بيولاق قلقة وانزعاج ثم ركب الباشا راجعا الى داره بالازبكية وقت الغروب وكثرت الارجاف واللقلقة بين الارنؤد والدلاتية (وفى خامس عشره) قتل الارنؤد شخصين من الدلاتية أيضا جهة قناطر السباع ثم ان القاتل الذى قتل القبودان التجا الى كبير من كبار الارنؤد فارسل الباشا الى حسن باشا يطلب منه ذلك الكبير وأكد فى طلبه أوانه يقطع رأس القاتل ويرسلها فكأنه فعل وأرسل اليه برأس ملفوفة فى ملاية تسكينا لحدته وبردت القضية وسكنت الحدة وراحت على من راحت عليه (وفى أواخره) امر الباشا بتحرير دفاتر فرضة الاطيان وزاد وافيها عن عام الشراقى الماضى الثلث وربطوها وربتوها اربع مراتب تزيد كل ضريبة عن الاخرى مائة نصف فضة اعلاها يبلغ ثمانمائة نصف فضة على ان الفرضة الماضية بقى الكثير منها بالذمم لخراب القرى وعجزهم واختلى لتنظيم ذلك من الافندية والاقباط بجهات متباعدة الافندية بربع أيوب بيولاق والاقباط بدير مصر العتيقة حتى حرروا ذلك ونمموه ورتبوه فى عدة أيام ووقع الطلب فى جانب مجلا سموه الترويجة (وفيه) امر الباشا بعربك الارنؤدى بالسفر من مصر وقطع خرجه وروا تبه هو وعسكره فلم تسعه الخالفة وجاس على

ودخل خراسان وولى التدريس بسمرقند فتوفى بها

(ثم دخلت سنة خمس وخمسمائة)

(ذكر مسير العساكر الى قتال الفرنج)

فى هذه السنة اجتمعت العساكر التى امرها السلطان بالمسير الى قتال الفرنج فكانوا الامير مودود صاحب الموصل والامير سكمان القطبى صاحب تبريز وبعض ديار بكر والامير ايلبكى وزنكى ابنا برسق وأهما هذان وما جاورها والامير احمديل وله مراغة وكوتب الامير ابو الهيجاء صاحب اربل والامير ايلغازى صاحب ماردين والامراء البكجية باللحاق بالملك مسعود ومودود فاجتمعوا ما عدا الامير ايلغازى فانه سير ولده اياز واقام هو فلما اجتمعوا ساروا الى بلد سنجار فقتحوا واعدة حصون للفرنج وقتل من بها منهم وحصروا مدينة الرها مدة ثم رحلوا عنها من غير ان يملكوها وكان سبب رحيلهم عنها ان الفرنج اجتمعت جميعها فارسها واراجلها وساروا الى الفرات ليعبروها ليمنعوا الرها من المسلمين فلما وصلوا الى الفرات بلغهم كثرة المسلمين فلم يقدموا عليه واقاموا على الفرات فلما راى المسلمون ذلك رحلوا عن الرها الى حران ليطمع الفرنج ويعبروا الفرات اليهم ويقاتلوهم فلما رحلوا عنها جاء الفرنج ومعهم الميرة والذخائر الى الرها فجعلوا فيها كل ما يحتاجون اليه بعد ان كانوا قليلى الميرة وقد اشرفوا على ان يؤخذوا واخذوا كل من فيه عجز وضعف وفقر وعادوا الى الفرات فعبروه الى الجانب الشامى وطرقوا أعمال حلب فافسدوا ما فيها ونهبوها وقتلوا فيها وأسروا وسبوا خلقا كثيرا وكان سبب ذلك ان الفرنج لما عبروا الى الجزيرة خرج الملك رضوان صاحب حلب الى ما أخذه الفرنج من اعمالها فاستعاد بعضه ونهب منهم وقتل فلما عادوا وعبروا الفرات فعلوا باعمالها ما فعلوا واما العسكر السلطانى فانه لما سمع بعود الفرنج وعبورهم الفرات رحلوا الى الرها وحصروها فرأوا أمرا محكما قد قويت نفوس أهلها بالذخائر التى تركت عندهم وبكثرة المقاتلين عنهم ولم يجدوا فيها مطمعا فرحلوا عنها وعبروا الفرات فحصروا قلعة تل باشر خمسة واربعين يوما ورحلوا عنها ولم يبلغوا غرضا ووصلوا الى حلب فاغلق الملك رضوان أبواب البلد ولم يجتمع بهم ثم مرض هناك الامير سكمان القطبى فعاد مريضا فتوفى فى بالس فجعله أصحابه فى تابوت وحملوه عائدين الى بلاده فقصدهم ايلغازى ليأخذهم ويغنم ما معهم فجعلوا تابوته فى القلب وقاتلوا بين يديه فانهزم ايلغازى وغنم وما معه وساروا الى بلادهم ولما غلق الملك رضوان أبواب حلب ولم يجتمع بالعساكر السلطانية رحلوا الى معرة النعمان واجتمع بهم طغتكين صاحب دمشق ونزل على الامير مودود فاطلع من الامراء على نيات فاسدة فى حقه فخاف ان تؤخذ منه دمشق فشرع فى مهادنة الفرنج سرا وكانوا قد نكلوا عن قتال المسلمين فلم يتم ذلك وتفرقت العساكر وكان سبب تفرقهم ان الامير برسق بن برسق الذى هو أكبر الامراء كان به نقرس فهو يحمل فى محفة ومات سكمان القطبى كما ذكرنا

دائرة الباشا وخلافهم وكان الباشا ضبط جملة من حصص الناس واستولى عليها من بلاد القليوبية بحرى شبرا واختصها لنفسه فلما استولى على حصص عمر بك ودفع له حلوانها وهى بالمنوفية والغربية والبحيرة عوض بعض من يراعى جانبه من ذلك واخذ عمر بك ومن يلوذ به فى تشهيل انفسهم وقضاء حوائجهم

(واستهل شهر ربيع الاول سنة ١٢٢٤)

فيه شرع السيد عمر مكرم نقيب الاشراف فى عمل مهم لختان ابن ابنته ودعا الباشا والاعيان وأرسلوا اليه الهدايا والتعابى وعمل له زفة يوم الاثنين سادس عشره مشى فيها ارباب الحرف والعربات والملاعيب وجمعيات وعصب صعايدة وخلافهم من أهالى بولاق والكفور والحسينية وغيرها من جميع الاصناف وطبول وزمور وجوع كثيرة فكان يوما مشهودا اكتريت فيه الاماكن للفرجة وكان هذا الفرح هو آخر طنطنة السيد عمر بمصر فانه حصل له عقيب ذلك ما سيتلى عليك قريبا من النفى والخروج من مصر (وفيه) كمل سد ترعة الفرعونية واستمر العمل فيها وفى تابيد السد بالاحجار والمشمعات والاتربة نحو ستة اشهر وصرف عليها من الاموال ما لا يحصى وجرى

واراد الامير أحمد يل صاحب مراغة العود ليطلب من السلطان ان يقطعه ما كان لسكمان من البلاد واتابك طغتكين صاحب دمشق خاف الامراء على نفسه فلم يفهمهم الا انه حصل بينه وبين مودود صاحب الموصل مودة وصداقة فتفرقوا لهذه الاسباب وبقى مودود وطغتكين بالمعرة فساروا منها ونزلوا على نهر العاصى ولما سمع الفرنج بتفرق عساكر الاسلام طمعوا وكاتفوا اقداجتمعوا كلهم بعد الاختلاف والتباين وساروا الى فامية فسمع بهم سلطان بن منقذ صاحب شيزر فسار الى مودود وطغتكين وهوّن عليهما أمر الفرنج وحرضهما على الجهاد فرحلوا الى شيزر ونزلوا عليها ونزل الفرنج بالقرب منهم فضيق عليهم عسكر المسلمين الميرة ولزوهم بالقتال والفرنج يحفظون نفوسهم ولا يعطون مصافا فامارأوا قوة المسلمين عادوا الى فامية وتبعهم المسلمون فتخطفوا من ادركوه فى ساقتهم وعادوا الى شيزر فى ربيع الاول

(ذكر حصر الفرنج مدينة صور)

لما تفرقت العساكر اجتمعت الفرنج على قصد مدينة صور وحصرها فساروا اليها مع الملك بغدوين صاحب القدس وحشدوا وجمعوا ونازلوها وحصروها فى الخامس والعشرين من جمادى الاولى وعملوا عليها ثلاثة ابراج خشب علو البرج سبعون ذراعا وفى كل برج الف رجل ونصبوا عليها المجانيق والصقوا احدها الى سور البلد واخلوه من الرجال وكانت صور للآمر باحكام الله العلوى ونائبه بها عز الملك الاعز فاحضر اهل البلد واستشارهم فى حيلة يدفعون بها شر الابراج عنهم فقام شيخ من اهل طرابلس وضمن على نفسه احراقها واخذ معه الف رجل بالسلاح التام ومع كل رجل منهم حزمة حطب فقاتلوا الفرنج الى ان وصلوا الى البرج الملتصق بالمدينة فالقى الحطب من جهاته وألقى فيه النار ثم خاف ان يشتغل الفرنج الذين فى البرج باطفاء النار ويتخلصوا فرماهم بجرب كان قد اعدها عملوأة من العذرة فلما سقطت عليهم اشتغلوا بها وبما نالهم من سوء الرائحة والتلويث فتمكنت النار منه فهلك كل من به الا القليل واخذ منه المسلمون ما قدروا عليه بالكلاليب ثم اخذ سلال العنب الكبار وترك فيها الحطب الذى قد سقاه بالنفط والزفت والكبريت والكبريت ورماهم بسبعين سلة واحرق البرجين الآخرين ثم ان أهل صور حفروا سراديب تحت الارض ليسقط فيها الفرنج اذا زحفوا اليهم وليخسف برج ان عملوه ويسيروه اليهم فاستامن نفر من المسلمين الى الفرنج واعلموهم بما عملوه فحذروا منها وأرسل أهل البلد الى أتابك طغتكين صاحب دمشق يستنجدونه ويطلبونه ليسلموا البلد اليه فسار فى عساكره الى نواحى بانياس وسير اليهم نجدة مائتى فارس فدخلوا البلد فامتنع من فيه بهم واشتد قتال الفرنج خوفا من اتصال النجدات ففنى نشاب الاتراك فقاتلوا بالخشب وفنى النفط فحفروا بسرب تحت الارض فيه نفط لا يعلم من خزنه ثم ان عز الملك صاحب صور أرسل الاموال الى طغتكين ليكثر من الرجال ويقصدهم ليملك البلد فارسل طغتكين طائرا فيه رقعة ليعلمه وصول المال ويامره أن يقيم مركبا بمكان ذكره

انجى الرجال اليه فسقط الطائر على مركب الفرنج فاخذه رجلان مسلم وافرنجى فقال الفرنجى نطلقه لعل فيه فرجالهم فلم يمكنه المسلم وحمله الى الملك بغدوين فلما وقف عليه سير مركبا الى المكان الذى ذكره طغتكين وفيه جماعة من المسلمين الذين استامنوا اليه من صور فوصل اليهم العسكر فكلموهم بالعربية فلم ينكروهم وركبوا معهم فاخذوهم اسرى وحملوهم الى الفرنج فقتلوهم وطمعوا فى أهل صور فكان طغتكين يغير على أعمال الفرنج من جميع جهاتها وقصد حصن الحبيس فى السواد من اعمال دمشق وهو للفرنج فحصره وملكه بالسيف وقتل كل من فيه وعاد الى الفرنج الذين على صور وكان يقطع الميرة عنهم فى البر فاحضروها فى البحر وخندقوا عليهم ولم يخرجوا اليه فسار الى صيدا واغار على ظاهرها فقتل جماعة من البحرية واحرق نحو عشرين مركبا على الساحل وهو مع ذلك يواصل اهل صور بالكتب يامرهم بالصبر والفرنج بلا زمون قتالهم وقاتل أهل صور قتال من أيس من الحياة فدام القتال الى اوان ادراك الغلات فخاف الفرنج أن طغتكين يستولى على غلات بلادهم فساروا عن البلد عاشر شوال الى عكا وعاد عسكر طغتكين اليه واعطاهم اهل صور الاموال وغيرها ثم اصلحوا ما تشعث من سورها وخندقها وكان الفرنج قد طموه

(ذكر انهزام الفرنج بالاندلس)

فى هذه السنة خرج اذفونش الفرنجى صاحب طليطلة بالاندلس الى بلاد الاسلام يطلب ملكها والاستيلاء عليها وجمع وحشد فاكثر وكان قد قوى طمعه فيها بسبب موت امير المسلمين يوسف بن تاشفين فسمع امير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين الخبر فسار اليه فى عساكره وجموعه فلقيه فاقتتلوا واشتد القتال وكان الظفر للمسلمين وانهزم الفرنج وقتلوا قتلا ذريعا وأسر منهم بشر كثير وسبى منهم وغنم من اموالهم ما يخرج عن الاحصاء فخافه الفرنج بعد ذلك وامتنعوا من قصد بلاده وذل اذفونش حينئذ وعلم ان فى البلاد حاميا لها وذابا عنها وفى هذه السنة فى جمادى الآخرة توفى الامام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى الامام المشهور

(ثم دخلت سنة ست وخمسمائة)

فى هذه السنة فى المحرم سار مودود صاحب الموصل الى الرها فنزل عليها ورعى عسكره زروعها ورحل عنها الى سروج وفعل بها كذلك وأهمل الفرنج ولم يحترزوا منهم فلم يشعر الا وجوسلين صاحب تل باشر قد كبسهم وكانت دواب العسكر منتشرة فى المرعى فاخذ الفرنج كثيرا منها وقتلوا كثيرا من العسكر فلما تاهب المسلمون للقائه عاد عنهم الى سروج وفيها رحل السلطان محمد من بغداد وكان مقامه هذه المرة خمسة اشهر فلما وصل الى اصبهان قبض على زين الملك أبى سعد القمى وسلمه الى الامير كاميار لعداوة بينهما فلما وصل الى الرى أركبه كاميار على دابة بمركب ذهب وأظهر ان السلطان خلع عليه على مال قرره عليه فحصل بذلك مالا كثيرا من أهل القمى ثم صلبه وكان سبب قبضه

وملحت عذوبة النيل بما انعكس فيه وخالطه من ماء البحر الملح الى قبلى فارس كورد واقام بالسد عمر بك تابع الاشقر لخفارته وتعهد الخلل وكتم الجسر من النشع والتنفيس وسكن هناك ولم يفارقه واستمر فى هذه الوظيفة والخدمة ولم يقم بمصر (وفى هذا الشهر وما قبله) تشطت الغلال وغلا سعرها حتى بلغ الاردب القمح الفا وستمائة نصف فضة وعز وجوده بالرقع والعرصات واما السواحل فلا يكاد يوجد بها شئ من الغلة بطول السنة ولولا لطف الله بوجود الذرة لهلكت الخلائق ومع ذلك استمرار المغارم والفرض حتى فرض الغلة عين وكذلك تبن وجمال وما ينضاف الى ذلك مما سمعته غير مرة مما يطول شرحه (وفيه) نودى على صرف الفرانسه والمحبوب والجركا نودى فى العام الماضى لانه لما نودى بنقص صرفها ومضى نحو الشهر او الشهرين رجع الصرف الى ما كان عليه وزيادة فاعيد النداء كذلك وسيعود الخلاف مادام الكرب والضيق بالناس على ان هذه المناداة والاوامر بالنقص والزيادة ليست من باب الشفقة على الناس ولا الرحمة بهم وانما هى بحسب اغراضهم وزيادة طمعهم فانه اذا توجهت المطالبات بالفرض والمغارم نودى بالنقص ليزيد الفرط وتتوفر

فى علائف العسكر اولوازمهم الكبيرة قبضوها بازيد من الزيادة التى نادوا عليها من غير مبالاة ولا احتشام تناقص مالنا الا السكوت عنه (وفى أواخره) تواجدت الغلال وانحل سعرها وحضر الفلاحون ببيادرى الغلة وانحط السعر والحمد لله

(واستهل شهر ربيع الثانى سنة ١٢٢٤)

فى سادسه وردت مراسيم من الروم و بشارة بمولودة ولدت للسلطان وسموها فاطمة وفى المراسيم الامر بالزينة فاقتضى الرأى أن يعملوا شنكا ومدافع من القلعة تضرب فى الاوقات الخمسة سبعة أيام وهذا شئ لم يسمع بمثله فيما سبق أن يعملوا للانثى شنكا وزينة اويذكر ذلك مطلقا وانما يعمل ذلك للمولود الذكر من بدع الاعاجم (وفى يوم الثلاثاء ثامنه) حضر من الامراء المصريين القبالى مرزوق بك ابن ابراهيم بك وسليم اغا مستحفظان وقاسم بك سلحدار مراد بك وعلى بك ايوب حسب الاتفاق المتقدم فى تقرير الصلح ولكن لم يكن سليم اغا مذكورا فى الحضور بل كان منجمعا وممتنعا عن التداخل فى هذه الاحوال والسبب فى حضوره ان زوجته توفيت من نحو نصف شهر فحضر لاجل تركتها ومتاعها ومتاعه الذى عندها وحصها ولما حضر وجد الباشا ووصل

انه كان يكثر الطعن على الخليفة والسلطان وفيها كان ببغداد رجل مغربى يعمل الكيميا يزعم انه اسمه أبو على فحمل الى دار الخلافة وكان آخر العهد به وفيها ورد الى بغداد يوسف بن ايوب الهمذانى الواعظ وكان من الزهاد العابدين فوعظ الناس بها فقام اليه رجل متفقه يقال له ابن السقا فآذاه فى مسئلة وعاوده فقال له اجلس فانى اجد من كلامك رائحة الكفر واعلمك تموت على غير دين الاسلام فاتفق بعد مدة ان ابن السقا خرج الى بلاد الروم وتنصر وفيها فى ذى القعدة سمع ببغداد صوت هدة عظيمة ولم يكن بالسماء غيم حتى يظن انه صوت رعد ولم يعلم احدا ى صوت كان وفيها توفى يسيل الارمنى صاحب الدروب ببلاد ابن لاون فسار طنكرى صاحب انطاكية اول جمادى الآخرة الى بلاده طمعا فى أن يملكها فمرض فى طريقه فعاد الى انطاكية فمات تامن جمادى الآخرة وملكها بعده ابن اخيه سرخالة واستقام الامر فيها بعد ان جرى بين الفرنج خلف بسببه فاصلح بينهم القسوس والرهبان وفيها توفى قراجة صاحب حمص وكان ظالما وقام ولده قرجان مكانه وكان مثله فى قبح السيرة وفى هذه السنة توفى المعمر بن على ابو سعد بن أبى عمامة الواعظ البغدادى ومولده سنة تسع وعشرين واربعمائة وكان له خاطر حاد ومجون حسن وكان الغالب على وعظه اخبار الصالحين وتوفى احمد بن الفرج بن عمر الدينورى والد الشهدة وكان يروى عن ابى يعلى بن الفراء وابن المأمون وابن المهتدى وابن النقور وغيرهم وكان حسن السيرة متزهدا وتوفى ابو العلاء صاعد بن منصور بن اسمعيل بن صاعد الخطيب النيسابورى وكان من اعيان الفقهاء وولى قضاء خوارزم وكان يروى الحديث

(ثم دخلت سنة سبع وخمسمائة)

(ذكر قتال الفرنج وانهزامهم وقتل مودود)

فى هذه السنة فى المحرم اجتمع المسلمون وفيهم الامير مودود بن التونتكين صاحب الموصل وتميرك صاحب سنجار والاميز ايا زبن ايلغازى وطغتكين صاحب دمشق وكان سبب اجتماع المسلمين ان ملك الفرنج بغدوين تابع الغارات على بلد دمشق ونهبه وخربه اواخر سنة ست وخمسمائة واقطعت المواد عن دمشق فغلت الاسعار فيها وقلت الاقوات فارسل طغتكين صاحبها الى الامير مودود يشرح له الحال ويستنجده ويحثه على سرعة الوصول اليه فجمع عساكر اوسار فعبر الفرات آخر ذى القعدة سنة ست وخمسمائة فخافه الفرنج وسمع طغتكين خبره فسار اليه ولقيه بسلمية واتفق رأيهم على قصد بغدوين ملك القدس فساروا الى الاردن فنزل المسلمون عند الاقحوانة ونزل الفرنج مع ملكهم بغدوين وجوسلين صاحب جيشهم وغيرهما من المقدمين والفرسان المشهورين ودخلوا بلاد الفرنج مع مودود وجمع الفرنج فالتقوا عند طبرية ثالث عشر المحرم واشتد القتال وصبر الفريقان ثم ان الفرنج انهزموا وكثر القتل فيهم والاسر ومن أسر ملكهم بغدوين فلم يعرف فاخذ سلاحه واطلق فنجا وغرق منهم فى بحيرة طبرية ونهر الاردن كثير وغنم المسلمون أموالهم وسلاحهم

ووصل الفرنج الى مضيق دون طبرية فلقيهم عسكر طرابلس وانطاكية فقويت نفوسهم بهم وعاودوا الحرب فاحاط بهم المسلمون من كل ناحية وصعد الفرنج الى جبل غربى طبرية فاقاموا به ستة وعشرين يوما والمسلمون بازائهم يرمونهم بالنشاب فيصيبون من يقرب منهم ومنعوا الميرة عنهم لعلهم يخرجون الى قتالهم فلم يخرج منهم أحد فسار المسلمون الى بيسان ونهبوا بلاد الفرنج بين عكا الى القدس وخربوها وقتلوا من ظفروا به من النصارى وانقطعت المادة عنهم لبعدهم عن بلادهم فعادوا ونزل بمرج الصفر الامير مودود وأذن للعساكر فى العود والاستراحة ثم الاجتماع فى الربيع لمعاودة الغزاة وبقى فى خواصه ودخل دمشق فى الحادى والعشرين من ربيع الاول ليقيم عند طغتكين الى الربيع فدخل الجامع يوم الجمعة فى ربيع الاول ليصلى فيه وطغتكين فلما فرغوا من الصلاة وخرج الى صحن الجامع ويده فى يد طغتكين وثب عليه باطنى فضربه بخرحه اربع جراحات وقتل الباطنى وأخذ رأسه فلم يعرفه أحد فاحرق وكان صائما فحمل الى دار طغتكين واجتهد به ليفطر فلم يفعل وقال لا لقيت الله الا صائما فمات من يومه رحمه الله فقيل ان الباطنية بالشام خافوه وقتلوه وقيل بل خافه طغتكين فوضع عليه من قتله وكان خيرا عادلا كثير الخير

(حدثنى) والدى قال كتب ملك الفرنج الى طغتكين بعد قتل مودود كتابا من فصوله ان أمة قتلت عميدها يوم عيدها فى بيت معبودها لحقيق على الله ان يبيدها ولما قتل تسلم تبرك صاحب سنجار ما معه من الخزائن والسلاح وحملها الى السلطان ودفن مودود بدمشق فى تربة دقاق صاحبها وحمل بعد ذلك الى بغداد فدفن فى جوار أبى حنيفة ثم حمل الى أصبهان

(ذكر الخلف بين السلطان سنجر ومحمد خان والصلح بينهما)

فى هذه السنة كثر الحديث عند سنجر أن محمد خان بن سليمان بن داود قد مد يده الى أموال الرعايا وظلمهم ظلما كثيرا وانه خرب البلاد بظلمه وشره وانه قد صار استخف باوامر سنجر ولا يلتفت الى شئ منها فتجهز سنجر وجمع عساكره وسار يريد قصده بماوراء النهر فخاف محمد خان فارسل الى الامير قماج وهو كبير امير مع سنجر يسأله أن يصلح الحال بينه وبين سنجر وارسل ايضا الى خوارزمشاه بمثل ذلك وسألهما فى ارضاء السلطان عنه واعترف بانه اخطأ فاجاب سنجر الى صلحه على شرط ان يحضر عنده ويطا بساطه فارسل محمد خان يذكر خوفه لسوء صنيعه ولكنه يحضر الخدمة ويخدم السلطان وبينهما نهر جيحون ثم يعاود بعد ذلك الحضور عنده والدخول اليه فحسنوا الاجابة الى ذلك والاشتغال بغيره فامتنع ثم اجاب وكان سنجر على شاطئ جيحون من الجانب الغربى وجاء محمد خان الى الجانب الشرقى فترجل وقبل الارض وسنجر راكب وعاد كل واحد منهما الى خيامه ورجعوا الى بلادهم وسكنت الفتنة بينهما

(ذكر عدة حوادث)

حلوانها وذلك بيد محمود بك الدويدار فلما حضر سليم اغا لم يجد شيأ لا دار ولا عقار ولا نافخ نار فنزل عند على بك ايوب بمنزله بشمس الدولة فحضر اليه محمود بك الدويدار والترجمان واخذ بخاطره وطمنا ه واخبراه ان الباشا سيعوض عليه ماذهب منه وزيادة وزرعاله فوق السطوح فلم يسعه الا التسليم (وفيه) سقط سقف القصر الذى انشاه الباشا بشبراوشر عوا فى تعميره ثانيا (وفيه) وصل الخبر بحضور زوجة الباشا ام اولاده وابنه الصغير واسمه اسمعيل وابن بونابارته الخازندار وكثير من اقاربهم واهاليهم حضر الجميع من بلدهم قوله الى اسكندرية فانهم لما طابت لهم مصر واستوطنوها وسكنوها وتنعموا فيها ارسلوا الى اهاليهم واولادهم واقاربهم بالحضور فكانوا فى كل وقت ياتون افواجا افواجا نساء ورجالا واطفالا فلما وصل خبر وصولهم الى اسكندرية سافر لملاقاتها ابنها ابراهيم بك الدفتردار وذلك حادى عشره (وفى ثالث عشره) حضر المذكور قبل حضور الواصلين ولما وصلوا نزل الباشا لملاقاتهم الى بولاق (وفى يوم الاثنين رابع عشره) نبهوا على جميع

والخروج فلم يقبلوا لها عذرا فلما كان صبح يوم الاربعاء اجتمع السواد الاعظم من النساء بساحل بولاق على الحمارة المكارية وهم ازيد من خمسمائة مكارى حتى ركبت زوجة الباشا وساروا معها الى الازبكية وضربوا لوصولها وحلولها بمصر عدة مدافع كثيرة من القلعة والازبكية ثم وصلت الهدايا والتقادم واقبلت من كل ناحية الهدايا المختصة بالاولاد والمختصة بالنساء

* (واستهل شهر جمادى الاولى سنة ١٢٢٤) *

فى ثالثه يوم السبت نزل عمر بك الارنؤدى الى المراكب من بيتيه من بولاق وسافر على طريق دمياط ليذهب الى بلاده وسافر معه نحو المائة وهم الذين جمعوا الاموال واجتمع لعمر بك المذكور من المال والنوال أشياء كثيرة عباها فى صناديق كثيرة واخذها معه وذلك خلاف ما ارسله الى بلاده فى دفعات قبل تاريخه (وفى يوم الخميس خامس عشره) سافر على بك ايوب وسليم أغا مستحفظان الى ناحية قبلى واستمر بمصر مرزوق بك وقاسم بك المرادى (وفيه) طلب الباشا الف كيس من المعلم غالى والزمه بها فوزعها على المباشرين والكتبة وجمعها فى اقرب زمن (وفيه) حضر سلحدار نصير

فى هذه السنة سار فضل عظيم من دمشق الى مصر فاتى الخبر الى بغداد بان ملك الفرنج فسار اليه وعارضه فى البر فاخذهم اجمعين ولم ينج منهم الا القليل ومن سلم اخذه العرب وفى هذه السنة توفى الوزير ابو القاسم على بن محمد بن جهير وزير الخليفة المستظهر بالله ووزر بعده الربيب ابو منصور ابن الوزير ابى شجاع محمد بن الحسين وزير السلطان وفيها توفى الملك رضوان بن تاج الدولة تتش بن الب ارسلان صاحب حلب وقام بعده بحلب ابنه الب ارسلان الاخرس وعمره ست عشرة سنة وكانت امور رضوان غير محمودة قتل اخويه اباطا الب وبهرام وكان يستعين بالباطنية فى كثير من اموره لقلة دينه ولما ملك الاخرس استولى على الامور لؤلؤ الخادم ولم يكن للاخرس معه الا اسم السلطنة ومعناه للؤلؤ ولم يكن الب ارسلان اخرس وانما فى لسانه حبسة وتمتمة وامه بنت ياغيسيان الذى كان صاحب انطاكية وقتل الاخرس اخوين له احدهما اسمه ملكشاه وهو من ابيه وامه واسم الآخر مبارك شاه وهو من ابيه وكان ابوه فعل مثله فلما توفى قتل ولداه مكافاة لما اعتمده مع اخويه وكان الباطنية قد كثروا بحلب فى ايامه حتى خافهم ابن بديع رئيسها واعيان اهلها فلما توفى قال ابن بديع لالب ارسلان فى قتلهم والايقاع بهم فامره بذلك فقبض على مقدمهم ابى طاهر الصائغ وعلى جميع اصحابه فقتل اباطاهر وجماعة من اعيانهم واخذ اموال الباقين واطلقهم فمنهم من قصد الفرنج وتفرقوا فى البلاد وفى هذه السنة توفى ببغداد ابو بكر احمد بن على بن بدران الحلوانى الزاهد منتصف جمادى الاولى روى الحديث عن القاضى ابى الطيب الطبرى وابى محمد الجوهرى وابى طالب العشارى وغيرهم وروى عنه خلق كثير ومن آخرهم ابو الفضل عبد الله بن الطوسى خطيب الموصل واسمعيل بن احمد بن الحسين بن على ابو على بن ابى بكر البيهقى الامام ابن الامام ومولده سنة ثمان وعشرين واربعمائة وتوفى بمدينة بيهق ولوالده تصانيف كثيرة مشهورة وشجاع بن ابى شجاع فارس بن الحسين بن فارس ابو غالب الذهلى الحافظ ومولده سنة ثلاثين واربعمائة وروى عن ابيه وابى القاسم وابن المهتدى والجوهرى وغيرهم والاديب ابو المظفر محمد بن احمد بن محمد الابيوردى الشاعر المشهور وله ديوان حسن ومن شعره

تنكر لى دهرى ولم يدر انني * اعز واحداث الزمان تهون
وظل يرينى الخطب كيف اعتداؤه * وبت اريه الصبر كيف يكون

وله ايضا

ركبت طرفى فاذرى دمعه اسفا * عند انصرافى منهم مضمر الياس
وقال حتام تؤذينى فان سفحت * حوائجك فاركبنى الى الناس

وكانت وفاته باصبهان وهو من ولد عنبسة بن ابى سفيان بن حرب الاموى وتوفى ابو بكر محمد بن احمد بن الحسين بن عمر الشاشى الامام الفقيه الشافعى فى شوال ومولده سنة سبع وعشرين واربعمائة سمع ابا بكر الخطيب وابا يعلى بن الفراء وغيرهم وتفقه على ابى عبد الله محمد بن الكازرونى ببيدار بكر وعلى ابى اسحق الشيرازى ببغداد وعلى ابى

نصر بن الصباغ وفيها توفى أبو نصر المؤتمن بن أحمد بن الحسن الساجى الحافظ المقدسى ومولده سنة خمس واربعين واربعمائة وكان مكثرا من الحديث وتفقه على ابى اسحق وكان ثقة

(ثم دخلت سنة ثمان وخمسمائة)

(ذكر مسير آقسنقر البرسقى الى الشام لحرب الفرنج)

فى هذه السنة سير السلطان محمد الامير آقسنقر البرسقى الى الموصل واعمالها واليا عليها لما بلغه قتل مودود وسير معه ولده الملك مسعودا فى جيش كثيف وامره بقتال الفرنج وكتب الى سائر الامراء بطاعته فوصل الى الموصل واتصلت به عساكرها وفيهم عماد الدين زنكى بن آقسنقر الذى ملك هو واولاده الموصل بعد ذلك وكان له الشجاعة فى الغاية واتصل به ايضا تميرك صاحب سنجار وغيرهما فسار البرسقى الى جزيرة ابن عمر فسلمها اليه نائب مودود بها وسار معه الى ماردين فنازلها البرسقى حتى اذعن له ايلغازى صاحبها وسير معه عسكرا مع ولده اياز فسار عنه البرسقى الى الرها فى خمسة عشر الف فارس فنازلها فى ذى الحجة وقاتلها وصبر له الفرنج واصابوا من بعض المسلمين غرة فاخذوا منهم تسعة رجال وصلبوهم على سور الرها فاشتد القتال حينئذ وحمى المسلمون وقاتلوا فقتلوا من الفرنج خمسين فارسا من اعيانهم واقام عليها شهرين واياما وضاقت الميرة على المسلمين فرحلوا من الرها الى سميساط بعد ان خربوا بلد الرها وبلد سروج وبلد سميساط واطاعه صاحب مرعش على ما نذكره ثم عاد الى شعمان (١) فقبض على اياز بن ايلغازى حيث لم يحضر ابوه ونهب سواد ماردين

(ذكر طاعة صاحب مرعش وغيرها البرسقى)

فى هذه السنة توفى بعض كنود الفرنج ويعرف بكواسيل وهو صاحب مرعش وكيسوم ورعبان وغيرها فاستولت زوجته على المملكة وتحصنت من الفرنج واحسنت الى الاجناد وراسلت آقسنقر البرسقى وهو على الرها واستدعت منه بعض اصحابه لتطيعه فسير اليها الامير سنقر دزدار صاحب الخابور فلما وصل اليها اكرمته وحملت اليه مالا كثيرا وبيعا وعندها اذ جاء جمع من الفرنج فواقعوا اصحابه وهم نحو مائة فارس واقتتلوا قتالا شديدا ظفر فيه المسلمون بالفرنج وقتلوا منهم اكثرهم وعاد سنقر دزدار وقد اصحبته الهدايا للملك مسعود والبرسقى واذعنت بالطاعة ولما عرف الفرنج ذلك عاد كثير ممن عندها الى انطاكية

(ذكر الحرب بين البرسقى وايلغازى واسر ايلغازى)

لما قبض البرسقى على اياز بن ايلغازى سار الى حصن كيفا وصاحبها الامير ركن الدولة داود ابن اخيه سقمان فاستنجده فسار معه فى عسكره واحضر خلقا كثيرا من التركمان وسار الى البرسقى فلقيه أواخر السنة واقتتلوا قتالا شديدا صبر وافيه فانهزم البرسقى وعسكره وخلص اياز بن ايلغازى من الاسر فارسل السلطان اليه يتهدده فخافه

اوراق الاقطاعات والفرافات وتقاسيط الالتزام الذى سموه قصر اليد وخرج القلم وجعل ايراد ذلك لنفسه فارسل يطلب ذلك من تاريخ سنة ١٢١٧ سبعة عشر ومائتين والف الى وقت تاريخه حسب قدر ذلك فبلغ نيفا وأربعة آلاف كيس (وفيه) شرعوا فى تحرير دفتر بنصف فائظ الملتزمين ودفتر آخر بفرض مال على الرزق الاحباسية المرصدة على المساجد والاسبلة والخيرات وجهات البر والصدقات وكذلك اطيان الاوسية المختصة ايضا بالملتزمين وكتبوا بذلك مراسيم الى القرى والبلاد وعينوا بها معينين وحق طرق من طرف كشاف الاقاليم بالمكشف على الرزق المرصدة على المساجد والخيرات وتقدموا الى كل متصرف فى شئ من هذه الاطيان وواضع عليها يده بان ياتى بسنده الى الديوان ويجدد سنده ويقوى بمرسوم جديد وان تاخر عن الحضور فى ظرف اربعين يوما يرفع عنه ذلك ويمكن منه غيره وذكروا فى مرسوم الارعلة وجها لم يطرق الاسماع نظيرها بانه اذا مات السلطان او عزل بطلت تواقيعه ومراسيمه وكذلك نوابه ويحتاج الى تجديد تواقيع من نواب المتولى الجديد ونحو ذلك ثم ليعلم ان هذه الارصادات والاطيان موضوعة من ايام الملك الناصر يوسف صلاح الدين

المال بسهولة ثم اقتدى به فى ذلك الملوك والسلاطين والامراء الى وقتنا هذا فيبنون المساجد والتكايا والربط والخوانق والاسبلة ويرصدون عليها اطيانا يخرجونها من زمام اوسيتهم فيستغل خراجها أو غلالها تلك الجهة وكذلك يربطون على بعض الاشخاص من طلبة العلم والفقراء على وجه البر والصدقة ليتعيشوا بذلك ويستعينوا به على طلب العلم واذا مات المرصد عليه ذلك قرر القاضى أو الناظر خلافه ممن يستحق ذلك وقيد اسمه فى سجل القاضى ودفتر الديوان السلطانى عند الافندى المقيد بذلك الذى عرف بكاتب الرزق فيكتب له ذلك الافندى سندا بموجب التقرير يقال له الافراج ثم يضع عليه علامته ثم علامة الباشا والدفتردار ولكل اقليم من الاقاليم القبلية والبحرية دفتر مخصوص عليه طرة من خارج مكتوب فيها اسم ذلك الاقليم ليسهل الكشف والتحرير والمراجعة عند الاشتباه وتحرير مقادير حصص ارباب الاستحقاقات ولم يزل ديوان الرزق الاحباسية محفوظا مضبوطا فى جميع الدول المصرية جيلا بعد جيل لا يتطرقه خلل الا ما ينزل عنه أربابه لشدة احتياجهم بالفراغ لبعض الملتزمين بقدر من الدراهم معجل ويقرر للفارغ على نفسه قدرا مؤجلا دون القيمة قصده

وسار الى الشام الى جيشه طغتكين صاحب دمشق فاقام عنده اياما وكان طغتكين ايضا قد استوحش من السلطان لانه نسب اليه قتل مودود فاتفقا على الامتناع والالتجاء الى الفرنج والاحتماء بهم فراسلا صاحب انطاكية وحالفاه فحضر عندهما على بحيرة قدس عند حمص وجددوا العهود وعاد الى انطاكية وعاد طغتكين الى دمشق وسار ايلغازى الى الرستن على عزم قصد ديار بكر وجمع التركمان والعود فنزل بالرستن ليستريح فقصده الامير قرجان بن قراجة صاحب حمص وقد تفرق عن ايلغازى اصحابه فظفر به قرجان واسره ومعه جماعة من خواصه وأرسل الى السلطان يعرفه ذلك ويسأله تجهيل انفاذ العساكر لئلا يغلبه طغتكين على ايلغازى ولما بلغ طغتكين الخبر عاد الى حمص وارسل فى اطلاقه فامتنع قرجان وحلف ان لم يعد طغتكين لنقتلن ايلغازى فارسل ايلغازى الى طغتكين ان الملاجئة تؤذينى وتسفك دمى والمصلحة عودك الى دمشق فعادوا تنتظر قرجان وصول العساكر السلطانية فتاخرت عنه فخاف ان يخدع أصحابه لطغتكين ويسلموا اليه حمص فعدل الى الصلح مع ايلغازى على ان يطلقه ويأخذ ابنه اياز رهينة ويصاهره ويمنعه من طغتكين وغيره فاجابه الى ذلك فاطلقه وتحالفا وسلم اليه ابنه اياز وسار عن حمص الى حلب وجمع التركمان وعاد الى حمص وطالب بولده اياز وحصر قرجان الى ان وصلت العساكر السلطانية فعاد ايلغازى على ما نذكره

* (ذكر وفاة علاء الدولة بن سبكتكين وملك ابنه وما كان منه مع السلطان سنجر) *

فى هذه السنة فى شوال توفى الملك علاء الدولة أبو سعد مسعود بن أبى المظفر ابراهيم بن ابى سعد مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة بها وملك بعده ابنه ارسلانشاه وأمه سلجوقية وهى أخت السلطان ألب ارسلان بن داود فقبض على اخوته وسجنهم وهرب أخ له اسمه بهرام الى خراسان فوصل الى السلطان سنجر بن ملكشاه فارسل الى ارسلانشاه فى معناه فلم يسمع منه ولا اصغى الى قوله فتجهز سنجر للمسير الى غزنة واقامة بهرامشاه فى الملك فارسل أرسلانشاه الى السلطان محمد يشكو من أخيه سنجر فارسل السلطان الى أخيه سنجر يامره بمصالحة أرسلانشاه وترك التعرض له وقال للرسول ان رأيت أخى وقد قصدهم وسار نحوهم أو قارب أن يسير فلا تمنعه ولا تبلغه الرسالة فان ذلك يفت فى عضده ويوهنه ولا يعود ولان يملك أخى الدنيا أحب الى فوصل الرسول الى سنجر وقد جهز العساكر الى غزنة وجعل على مقدمته الامير انز مقدم عسكره ومعه الملك بهرامشاه فساروا حتى بلغوا بست واتصل بهم فيها أبو الفضل نصر بن خلف صاحب سجستان وسمع أرسلانشاه الخبر فسير جيشا كثيفا فهزمه ونهبه وعاد من سلم الى غزنة على أسوأ حال فخضع حينئذ ارسلانشاه وأرسل الى الامير انز يضمن له الاموال الكثيرة ليعود عنه ويحسن للملك سنجر العود عنه فلم يفعل وتجهز السلطان سنجر بعد انز للمسير بنفسه فارسل اليه ارسلانشاه امرأة عمه نصرة تسأله الصفح والعود عن قصده

قصده وهى أخت الملك سنجر من السلطان بركيارق وكان علاء الدولة أبو سعد قد قتل زوجها ومنعها من الخروج عن غزنة وتزوجها فسيرها الآن ارسلانشاه فلما وصلت الى أخيه أوصلت ما معها من الاموال والهدايا وكان معها مائتا الف دينار وغير ذلك وطلب من سنجر ان يسلم اخاه بهرام اليه وكانت موغرة الصدر من ارسلانشاه فهونت أمره على سنجر واطمعته فى البلاد وسهلت الامر عليه وذكرت له ما فعل باخوته وكان قتل بعضا وكحل بعضا من غير خروج منهم عن الطاعة فسار الملك سنجر فلما وصل الى بست أرسل خادما من خواصه الى ارسلانشاه فى رسالة فقبض عليه فى بعض القلاع فسار حينئذ سنجر مجدا فلما سمع بقربه منه أطلق الرسول ووصل سنجر الى غزنة ووقع بينهما المصاف على فرسخ من غزنة بصحراء شهراباذ وكان ارسلانشاه فى ثلاثين ألف فارس وخلق كثير من الرجالة ومعه مائة وعشرون فيلا على كل فيل أربعة نفر فحملت الفيلة على القلب وفيه سنجر فكاد من فيه ينهزمون فقال سنجر لغلمانه الاتراك لترموها بالنشاب فتقدم ثلاثة آلاف غلام فرموا الفيلة رشقا واحدا جميعا فقتلوا منها عدة فعدلت الفيلة عن القلب الى الميسرة وبها أبو الفضل صاحب سجستان وجالت عليهم فضعف من فى الميسرة فشجعهم أبو الفضل وخوفهم من الهزيمة مع بعد ديارهم وترجل عن فرسه بنفسه وقصد كبير الفيلة ومتقدمها ودخل تحتها فشق بطنها وقتل فيلين آخرين ورأى الامير أنز وهو فى الميمنة ما فى الميسرة من الحرب فخاف عليها فحمل من وراء عسكر غزنة وقصد الميسرة واختلط بهم واعانهم فكانت الهزيمة على الغزنوية وكان ركاب الفيلة قد شدوا انفسهم عليها بالسلاسل فلما عضتهم الحرب وعمل فيهم السيف القوا انفسهم فبقوا معلقين عليها ودخل السلطان سنجر غزنة فى العشرين من شوال سنة عشر وخمسمائة ومعه بهرامشاه فاما القلعة الكبيرة المشتملة على الاموال وبينها وبين البلد تسعة فراسخ وهى عظيمة لا مطمع فيها ولا طريق عليها وكان ارسلانشاه قد سجن فيها اخاه طاهرا الخازن وهو صاحب بهرامشاه واعتقل بها أيضا زوجة بهرامشاه فلما انهزم ارسلانشاه استمال اخوه طاهر المستحفظ بها فبذل له وللاجناد الزيادات فسلموا القلعة الى الملك سنجر وأما قلعة البلد فان ارسلانشاه كان اعتقل بها رسول سنجر فلما اطلقه بقى غلمانه بها فسلموا القلعة ايضا بغير قتال وكان قد تقرر بين بهرامشاه وبين سنجر ان يجلس بهرام على سرير جده محمود بن سبكتكين وحده وان تكون الخطبة بغزنة للخليفة وللسلطان محمد وللملك سنجر وبعدهم لبهرامشاه فلما دخلوا غزنة كان سنجر راكبا وبهرامشاه بين يديه راجلا حتى جاء السرير فصعد بهرامشاه فجلس عليه ورجع سنجر وكان يخطب له بالملك ولبهرامشاه بالسلطان على عادة آبائه فكان هذا من اعجب ما يسمع به وحصل لاصحاب سنجر من الاموال ما لا يحد ولا يحصى من السلطان والرعايا وكان فى دور لملوكها عدة دور على حيطانها الواح الفضة وسواقى المياه الى البساتين من الفضة ايضا فقلع من ذلك أكثره ونهب فلما سمع سنجر ما يفعل

الاصلية فى نظير المعجل الذى دفعه للمفرغ ويسمونها حينئذ داخل الزمام ولم تزل على ذلك بطول القرون الماضية وتملك الفرنساوية الديار المصرية فلم يتعرضوا لشئ من ذلك ولما حضر شريف افندى الدفتردار بعد دخول يوسف باشا الوزير ووجه الطلب على الملتزمين بان يدفعوا للدولة حلوانا جديدا على النظام والنسق الذى ابتدعوه للتحيل على تحصيل المال باى وجه زاعمين ان أرض مصر صارت دار حرب بتملك الفرنساوية وانهم استنقذوها منهم واستولوا عليها استيلاء جديدا وصارت جميع اراضيها ملكا لهم فمن يريد الاستيلاء على شئ من أرض وغيرها فليشتره من نائب السلطان بمبلغ الحلوان الذى قدروه واطلعوا على التقاسيط وفى بعضها ما رفع عنه الميرى الذى يقبض للخزينة باذن الولاة بعد المصالحات والتعويض من المصاريف والمصارف الميرية كالعلائف والغلال والبعض تمم ذلك بمراسيم سلطانية كما يقولون شريفة بحيث يصير الالتزام مثل الرزق الاحباسية ويسمونه خزينة بند ومنهم من ابقى على التزامه شيئا قليلا سموه مال الحماية فلم يسهل بهم ابطال ذلك بل جعل عليها الدفتردار الميرى الذى كان مقيدا عليها او اقل او ازيد بحسب واضع اليد واكرامه ان كان ممن يكرم وضعه الى مال الحماية الاصلى أو المستجد فقط وضيع على الناس سعيهم وما بذلوه من مرتباتهم وعلائفهم التى

منع عنه بجهده وصلب جماعة حتى كف الناس وفى جملة ما حصل للملك سنجر خمسة يجاق قيمة أحدها يزيد على الفى الف دينار وألف وثلثمائة قطعة مصاغ مرصعة وسبعة عشر سريرا من الذهب والفضة وأقام بغزنة اربعين يوما حتى استقر بهرامشاه وعاد نحو خراسان ولم يخطب بغزنة لسلجوقى قبل هذا الوقت حتى ان السلطان ملكشاه مع تمكنه وكثرة ملكه لم يطمع فيه وكان كلما رام ذلك منع منه نظام الملك وأما ارسلان شاه فانه لما انهزم قصد هندوستان واجتمع عليه اصحابه فقويت شوكته فلما عاد سنجر الى خراسان توجه الى غزنة فلما عرف بهرامشاه قصده اياه توجه الى باميان وارسل الى الملك سنجر يعلمه الحال فارسل اليه عسكرا واقام ارسلانشاه بغزنة شهرا واحدا وسار يطلب اخاه بهرامشاه فبلغه وصول عسكر سنجر فانهزم بغير قتال للخوف الذى قد باشر قلوب اصحابه وقد بجبال أوغنان فسار اخوه بهرامشاه وعسكر سنجر فى اثره واخربوا البلاد التى هو فيها وارسلوا الى اهلها يتهددونهم فسلموه بعد المضايقة فاخذه مقدم جيش الملك سنجر وارادحمله الى صاحبه فخاف بهرامشاه من ذلك فبذل له مالا فسلمه اليه فخنقه ودفنه بتربة ابيه بغزنة وكان عمره سبعا وعشرين سنة وكان احسن اخوته صورة وكان قتله فى جمادى الآخرة سنة اثنتى عشرة وخمسمائة وانما ذكرناه ههنا لتتصل الحادثة

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى جمادى الآخرة كانت زلزلة شديدة بديار الجزيرة والشام وغيرها فخربت كثيرا من الرها وحران وسميساط وبالس وغيرها وهلك خلق كثير تحت الهدم وفيها قتل تاج الدولة ألب ارسلان بن رضوان صاحب حلب قتله غلمانه بقلعة حلب وأقاموا بعده اخاه سلطانشاه بن رضوان وكان المستولى عليه لؤلؤ الخادم وفيها توفى الشريف النسيب ابو القاسم على بن ابراهيم بن العباس الحسينى فى ربيع الآخر بدمشق

(ثم دخلت سنة تسع وخمسمائة)

(ذكر انهزام عسكر السلطان من الفرنج)

قد ذكرنا ما كان من عصيان ايلغازى وطغتكين على السلطان وقوة الفرنج فلما اتصل ذلك بالسلطان محمد جهز عسكرا كثيرا وجعل مقدمهم الامير برسق بن برسق صاحب همذان ومعه الامير جيوش بك والامير كنتغدى وعساكر الموصل والجزيرة وأمرهم بالبداءة بقتال ايلغازى وطغتكين فاذا فرغوا منهما قصدوا بلاد الفرنج وقاتلوهم وحصروا بلادهم فساروا فى رمضان من سنة ثمان وخمسمائة وكان عسكرا كثير العدة وعبروا الفرات آخر السنة عند الرقة فلما قاربوا حلب راسلوا المتولى لامرها لؤلؤ الخادم ومقدم عسكرها المعروف بشمس الخواص يامرونهما بتسليم حلب وعرضوا عليهما كتب السلطان بذلك فغالطا فى الجواب وارسلا الى ايلغازى

وضعوها وقيدوها فى نظير وقاضى باشا وسعى فى ذلك الوقت بكاتب الميرى وتوجه نحوه الناس لاجل كتابة الاعلامات لثبوت رزقهم الاحباسية وتجديد سنداتها فتعنت عليهم بضرب من التعنت كأن يطلب من صاحب العرضحال اثبات استحقاقه فاذا ثبت له لا يخلو اما ان يكون ذلك بالفراغ او المحلول فيكلفه احضار السندات واوراق الفراغات القديمة فربما عدمت او بليت لتقادم السنين او تركها واضع اليد لاستغنائه عنها بالسند الجديد او كان القديم مشتملا على غير المفروغ عنه فيخصم بهامشه بالمنزول عنه ويبقى القديم عند صاحب الاصل فان احضره اليه تعلل بشئ آخر واحتج بشبهة أخرى فاذا لم يبق له شبهة طالبه بحلوانها عن مقدارا يرادها ثلاث سنوات والاخمس سنوات وذلك خلاف المصاريف فضج الناس واستغاثوا بشريف افندى الدفتردار فعزل عبد الله افندى رامز المذكور عن ذلك وقيد احد كتابه بكتابة الاعلامات وقرر على كل فدان عشرة انصاف فضة فما دونها برسمها فى السند الجديد وجعلها مال حماية واوهم الناس ان مال الحماية يكون زيادة فى تاكيد الاحباس وحماية له من تطرق الخلل

وطغتكين

وطغتكين يستنجدانهما فسارا اليهم فى ألفى فارس ودخلا حلب فامتنع من بها حينئذ عن عسكر السلطان وأظهروا العصيان فسار الامير برسق بن برسق الى مدينة حماة وهى فى طاعة طغتكين وبها ثقله فحصرها وفتحها عنوة ونهبها ثلاثة أيام وسلمها الى الامير قرجان صاحب حمص وكان السلطان قد أمران يسلم اليه كل بلد يفتحونه فلما رأى الامراء ذلك فشلوا وضعفت نياتهم فى القتال بحيث تؤخذ البلاد وتسلم الى قرجان فلما سلموا حماة الى قرجان سلم اليهم اياز بن ايلغازى وكان قد سار ايلغازى وطغتكين وشمس الخواص الى انطاكية واستجاروا بصاحبها روجيل وسألوه ان يساعدهم على حفظ مدينة حماة فلما بلغهم فتحها ووصل اليهم بانطاكية بغدوين صاحب القدس وصاحب طرابلس وغيرهما من شياطين الفرنج اتفق رأيهم على ترك اللقاء لكثرة المسلمين وقالوا انهم عند هجوم الشتاء يتفرقون واجتمعوا بقلعة افامية وأقاموا نحو شهرين فلما انتصف ايلول وراوا عزم المسلمين على المقام تفرقوا فعاد ايلغازى الى ماردين وطغتكين الى دمشق والفرنج الى بلادها وكانت افامية وكفرطاب للفرنج فقصد المسلمون كفرطاب وحصروها فلما اشتد الحصر على الفرنج ورأوا الهلاك قتلوا أولادهم ونساءهم واحرقوا اموالهم ودخل المسلمون البلد عنوة وقهروا أسراءه واصحابه وقتلوا من بقى فيه من الفرنج وساروا الى قلعة افامية فرأوها حصينة فعادوا عنها الى المعرة وهى للفرنج أيضا وفارقهم الامير جيوش بك الى وادى بزاعة فملكه وسارت العساكر عن المعرة الى حلب وتقدمهم ثقلهم ودوابهم على جارى العادة والعساكر فى اثره متلاحقة وهم آمنون لا يظنون احدا يقدم عليهم لقربهم منهم وكان روجيل صاحب انطاكية لما بلغه حصر كفرطاب سار فى خمسمائة فارس وألفى راجل للمنع فوصل الى المكان الذى ضربت فيه خيام المسلمين على غير علم بها فرأى خالية من الرجال المقاتلة لانهم لم يصلوا اليها فنهب جميع ما هناك وقتل كثيرا من السوقية وغلمان العسكر ووصلت العساكر متفرقة فكان الفرنج يقتلون كل من وصل اليهم ووصل الامير برسق فى نحو مائة فارس فرأى الحال فصعد تلا هناك ومعه اخوه زنكى واحاط بهم السوقية والغلمان واحتموا بهم ومنعوا الامير برسق من النزول فاشار عليه اخوه ومن معه بالنزول والنجاة بنفسه فقال لا افعل بل اقتل فى سبيل الله واكون فداء المسلمين فغلبوه على رأيه فنجاهم ومن معه فتبعهم الفرنج نحو فرسخ ثم عادوا وعموا الغنيمة والقتل واحرقوا كثيرا من الناس وتفرق العسكر واخذ كل واحد جهة ولما سمع الموكلون بالاسرى المأخوذين من كفرطاب ذلك قتلوهم وكذلك فعل الموكل بايازابن ايلغازى قتله أيضا وخاف اهل حلب وغيرهما من بلاد المسلمين التى بالشام فانهم كانوا يرجون النصر من جهة هذا العسكر فاتاهم ما لم يكن فى الحساب وعادت العساكر عنهم الى بلادها واما برسق واخوه زنكى فانهما توفيا فى سنة عشر وخمسمائة وكان برسق خيرا دينا وقد تقدم على الهزيمة وهو يتجهز للعود الى الغزاة فاتاه اجله

والبحرية لتجديد سنداتهم فطفقوا يكتبون السندات على نسق تقاسيط الالتزام لا على الوضع القديم ويعلم عليها الدفتردار فقط وأما الصورة القديمة فكانت تكتب فى كاغد كبير بخط عربى مجود وعليها طرة يداخلها اسم والى مصر ومهورة بختمه الكبير وعليها علامة الدفتردار ويداخلها صورة أخرى تسمى التذكرة مستطيلة على صورة التقسيط الفرمة مهورة أيضا وعليها العلامة والختم وهى متضمنة ما فى الكبيرة وعلى ذلك كان استمرار الحال الى هذا الاوان من قرون خلت ومدد مضت (وفيه) أيضا حرروا دفتر الاقليم البحيرة بمساحة الطين الرى والشراقى واضافوا اليه طين الاوسية والرزق وكتبوا بذلك مناشير وأخرج المباشرون كشوفاتها باتعساء الملتزمين فضج الناس واجتمعوا الى مشايخ الازهر وتشكوا فوعدوهم بالتكلم فى شان ذلك بعد التثبت (وفيه) قبض أغات التجديل على شخص من أهل العلم من أقارب السيد حسن البقلى وحبسه فارسل المشايخ يترجون فى اطلاقه فلم يفعل وأرسله الى القلعة (وفيه) سعى محمد افندى طبل ناظر

من الاقمشة الهندية الغريبة المقصبة وغيرها وحصانا من أعظم خيول المصريين كان اشتراه منهم هدية الى محمد أفندى المذكور فاقتضت مروأته انه أخذها وقدمها للباشا وقال له ان السيد سلامة أحضر هذه الهدية لافندينا شكرا لانعامه السابق عليه فقبلها الباشا وانعم عليه بعشرة اكياس وامر محمد افندى بان يجعله فى وظيفة معه (وفيه) ايضا شرعوا فى تحرير دفتر بنصف فائظ الملتزمين بانواع الاقمشة وباعة النعالات التى هى الصرم والبلغ وجعلوا عليها ختمية فلا يباع منها شئ حتى يعلم بيد الملتزم ويختم وعلى وضع الختم والعلامة قدر مقدر بحسب تلك البضاعة وثمنها فزاد الضجيج واللغط فى الناس (وفى يوم السبت سابع عشره) حضر المشايخ بالازهر على عادتهم لقراءة الدروس فحضر الكثير من النساء والعامة واهل المسجون وهم يصرخون ويستغيثون وابطلوا الدروس واجتمع المشايخ بالقبلة وارسلوا الى السيد عمر النقيب فحضر اليهم وجلس معهم ثم قاموا وذهبوا الى بيوتهم ثم اجتمعوا فى ثانى يوم وكتبوا عرضحال الى الباشا يذكرون فيه المحدثات من المظالم والبدع وختم الامتعة وطلب مال الاوسية والرزق والمقاسمة فى الفائظ وكذلك أخذ قريب البقلى وحبسه بلا ذنب وذلك بعد ان جلسوا مجلسا خاصا فى

(ذكر ملك الفرنج رفنية وأخذها منهم)

فى هذه السنة فى جمادى الآخرة ملك الفرنج رفنية من أرض الشام وهى لطغتكين صاحب دمشق وقووها بالرجال والذخائر وبالغوا فى تحصينها فاهتم طغتكين لذلك وقوى عزمه على قصد بلاد الفرنج بالنهب لها والتخريب فاتاه الخبر عن رفنية لخلوها عن عسكر يمنع عنها وليس هناك الا الفرنج الذين رتبوا لحفظها فسار اليها جريدة فلم يشعر من بها الا وقد هجم عليهم البلد فدخله عنوة وقهرا واخذ كل من فيه من الفرنج اسيرا فقتل البعض وترك البعض وغنم المسلمون من سوادهم وكراعهم وذخائرهم ما امتلأت منه ايديهم وعادوا الى بلادهم سالمين

(ذكر وفاة يحيى بن تميم وولاية ابنه على)

فى هذه السنة توفى يحيى بن تميم بن المعز بن باديس صاحب افريقية يوم عيد الاضحى فجاة وكان منجم قد قال له فى منستير مولده ان عليه قطعا فى هذا اليوم فلا تركب فلم يركب وخرج اولاده واهل دولته الى المصلى فلما انقضت الصلاة حضروا عنده للسلام عليه وتهنئته وقرأ القراء وانشد الشعراء وانصرفوا الى الطعام فقام يحيى من باب آخر ليحضر معهم على الطعام فلم يمش غير ثلاث خطا حتى وقع ميتا وكان ولده على بمدينة سفاقس فاحضر وعقدت له الولاية ودفن يحيى بالقصر ثم نقل الى التربة بالمنستير وكان عمره اثنتين وخمسين سنة وخمسة عشر يوما وكانت ولايته ثمان سنين وخمسة اشهر وخمسة وعشرين يوما وخلف ثلاثين ولدا فقال عبد الجبار بن محمد بن حمديس الصقلى يرثيه ويهنئ ابنه عليا بالملك

ما اغمد العضب الا جرد الذكر * ولا اختفى قمر حتى بدا قمر
بموت يحيى اميت الناس كلهم * حتى اذا ما على جاءهم نشروا
ان يبعثوا بسرور من تملكه * فمن منية يحيى بالاسى قبروا
اوفى على فسن الملك ضاحكة * وعينها من ابيه دمعها همر
شقت جيوب المعالى بالاسى فبكت * فى كل افق عليه الانجم الزهر
وقل لابن تميم حزن مادهما * فكل حزن عظيم فيه محتقر
قام الدليل ويحيى لا حياة له * ان المنية لا تبقى ولا تذر

وكان يحيى عادلا فى رعيته ضابطا لامور دولته مدبرا لجميع احواله رحيما بالضعفاء والفقراء يكثر الصدقة عليهم ويقرب أهل العلم والفضل وكان عالما بالاخبار وايام الناس والطب وكان حسن الوجه اشهل العين الى الطول ما هو ولما استقر على فى الملك جهز اسطولا الى جزيرة جربة وسببه ان أهلها كانوا يقطعون الطريق وياخذون التجار فحصرها وضيق على من فيها فدخلوا تحت طاعته والتزموا ترك الفساد وضمنوا اصلاح الطريق وكف عنهم عند ذلك وصلح أمر البحر وأمن المسافرون

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى رجب قدم السلطان محمد بغداد ووصل اليه أتابك طغتكين صاحب دمشق فى ذى القعدة وسأل الرضا عنه فرضى عنه السلطان وخلع عليه ورده الى دمشق وفيها أمر الامام المستظهر بالله ببيع البدرية وهى منسوبة الى بدر غلام المعتضد بالله وكانت من احسن دور الخلفاء وكان ينزلها الراضى بالله ثم تهدمت وصارت تلافاها القادر بالله ان يسور عليها سورا لانها مع الدار الامامية ففعل ذلك فلما كان الآن امر ببيعها فبيعت وعمرها الناس وفيها فى شعبان وقعت الفتنة بين العامة وسببها ان الناس لما عادوا من زيارة مصعب اختصموا على من يدخل أولا فاقتتلوا وقتل بينهم جماعة وعادت الفتن بين اهل الحال كما كانت ثم سكنت وفيها اقطع السلطان محمد الموصل وما كان بيد آقسنقر البرسقى للامير جيوش بك وسير ولده الملك مسعودا واقام البرسقى بالرحبة وهى اقطاعه الى ان توفى السلطان محمد وكان ماذكره ان شاء الله تعالى وفيها توفى اسمعيل بن محمد بن احمد بن مله الاصبهانى أبو عثمان بن ابى سعيد الواعظ سمع الكثير وحدث ببغداد وغيرها وعبد الله بن المبارك بن موسى السقطى ابو البركات له رحلة وله تصانيف وكان أديبا

(ثم دخلت سنة عشر وخمسمائة)

(ذكر قتل أحديل بن وهسوذان)

فى هذه السنة اول المحرم حضر اتابك طغتكين صاحب دمشق دار السلطان محمد ببغداد وحضر جماعة الامراء ومعهم احديل بن ابراهيم بن وهسوذان الروادى الكردى صاحب مراغة وغيرها من اذربيجان وهو جالس الى جانب طغتكين فاتاه رجل متظلم وبيده رقعة وهو يبكى ويسأله ان يوصلها الى السلطان فاخذها من يده فضربه الرجل بسكين فجذبه احديل وتركه تحته فوثب رفيق للباطنى وضرب احديل سكينا اخرى فاخذتهما السيوف واقبل رفيق لهما وضرب أحديل ضربة اخرى فهجب الناس من اقدامه بعد قتل صاحبيه وظن طغتكين والحاضرون ان طغتكين كان المقصود بالقتل وانه بامر السلطان فلما علموا انهم باطنية زال هذا الوهم

(ذكر وفاة جاولى سقاوو وحال بلاد فارس معه)

فى هذه السنة توفى جاولى سقاوو وكان السلطان ببغداد عازما على المقام بها فاضطر الى المسير الى اصبهان ليكون قريبا من فارس لئلا تختلف عليه وقد ذكرنا حال جاولى بالموصل الى ان ملكت منه واخذها السلطان فلما قصد السلطان ورضى عنه اقطعه بلاد فارس فسار جاولى اليها ومعه ولد السلطان جغرى وهو طفل له من العمر سنتان وأمره باصلاحها وقمع المفسدين بها فسار اليها فاول ما اعتمده فيها أنه لما توسط بلاد الاميربلدجى وهو من كبار مماليك السلطان ملكشاه ومن جملة بلاده كليل وسرماه وكان متمكنا بتلك البلاد راسله جاولى ليحضر خدمة جغرى ولد السلطان وعلم جغرى ان يقول بالفارسية خذوه فلما دخل بلدجى قال جغرى على عادته خذوه فاخذوه وقتل

و يسأل عن مطلوباتكم فعرفوه بما سطروه اجمالا وبينوه له تفصيلا فقال ينبغى ذهابكم اليه وتخاطبونه مشافهة بما تريدون وهو لايخالف أوامركم ولا يرد شفاعتكم وانما القصد ان تلاطفوه فى الخطاب لانه شاب مغرور جاهل وظالم غشوم ولا تقبل نفسه التحكم وربما حمله غروره على حصول ضرر بكم وعدم انفاذ الغرض فقالوا باسان واحد لانذهب اليه ابدا مادام يفعل هذه الفعال فان رجع عنها وامتنع من احداث البدع والمظالم من خلق الله رجعنا اليه وترددنا عليه كما كنا فى السابق فانثنا بايعناه على العدل لا على الظلم والجور فقال لهم ديوان افندى وأنا قصدى ان تخاطبوه مشافهة ويحصل انفاذ الغرض فقالوا لانجتمع عليه ابدا ولا نثير فتنة بل نلزم بيوتنا ونقتصر على حالنا ونصبر على تقدير الله بنا وبغيرنا وأخذ ديوان افندى العرض محال ووعدهم برد الجواب ثم بعد رجوعه أطلقوا قريب السيد حسن البقلى الذى كان محبوسا ولم يعلم ذلك ثم انتظروا عودة ديوان افندى فابطا عليهم وتاخر عوده الى خامس يوم بعد الجمعة فاجتمع الشيخ المهدى والشيخ الدواخلى عند محمد افندى طويل ناظر المهمات وثلاثتهم فى نفسهم

عمر وأخبراه ان محمد افندى ذكر لهم ان الباشا لم يطلب مال الاوسية ولا الرزق وقد كذب من نقل ذلك وقال انه يقول انى لا اخالف اوامر المشايخ وعند اجتماعهم عليه ومواجهته يحصل كل المراد فقال السيد عمر اما انكاره طلب مال الرزق والاوسية فهاهى أوراق من أوراق المباشر بن عندى لبعض الملتزمين مشتملة على الفرضة ونصف الفائظ ومال الاوسية والرزق واما الذهاب اليه فلا اذهب اليه ابدا وان كنتم تنقضون الايمان والعهد الذى وقع بيننا فالرأى لكم ثم انفض المجلس واخذ الباشا يدبر فى تفريق جمعهم وخذلان السيد عمر لما فى نفسه منه من عدم انقياده لاغراضه ومعارضته له فى غالب الامور ويخشى صولته ويعلم ان الرعية والعامة تحت امره ان شاء جمعهم وان شاء فرقهم وهو الذى قام بنصره وساعده واعانه وجمع الخاصة والعامة حتى ملكه الاقليم ويرى انه ان شاء فعل بنقيض ذلك فطفق يجمع اليه بعض افراد من اصحابه المظاهر ويختلى معه ويضحك اليه فيغتر بذلك ويرى انه صار من المقربين وسيكون له شان ان وافق ونصح فيفرغ له جراب حقده ويرشده بقدر اجتهاده لما فيه من المعاونة ثم فى ويدعوه

ونهبت أمواله وكان البلدجى من جملة حصونه قلعة اصطخر وهى من أمنع القلاع وأحصنها وكان بها أهله وذخائره وقد استناب فى حفظها وزيرا له يعرف بالجهرمى فعصى عليه وأخرج اليه اهله وبعض المال ولم تزل فى يد الجهرمى حتى وصل جاولى الى فارس فاخذها منه وجعل فيها أمواله وكان بفارس جماعة من أمراء الشوانكارة وهم خلق كثير لا يحصون ومقدمهم الحسن بن المبارز المعروف بخسرو وله فساوغيرها فراسله جاولى ليحضر خدمة جغرى فاجاب انى عبد السلطان وفى طاعته فاما الحضور فلا سبيل اليه لانى قد عرفت عادتك مع بالدجى وغيره ولكننى أحمل الى السلطان ما يؤثره فلما سمع جاولى جوابه علم انه لا مقام له بفارس معه فاظهر العود الى السلطان وحمل اثقاله على الدواب وسار كانه يطلب السلطان ورجع الرسول الى خسرو فاخبره فاغتر وقعد للشرب وأمن واما جاولى فانه عاد من الطريق الى خسرو جريدة فى نفر يسير فوصل اليه وهو مخمور نائم فكبسه فانبهه اخوه فضربه فلم يستيقظ فصب عليه الماء البارد فافاق وركب من وقته وانهزم وتفرق اصحابه وذهب جاولى بثقله وأمواله واكثر القتل فى اصحابه ونجا خسرو الى حصنه وهو بين جبلين يقال لاحدهما انج وسار جاولى الى مدينة فسا فاستولى عليها ونهب كثيرا من بلاد فارس منها جهرم وسار الى خسرو وحصره مدة وضيق عليه فرأى من امتناع حصنه وقوته وكثرة ذخائره ما علم ان المدة تطول عليه فصالحه ليشتغل ببقية بلاد فارس ورحل عنه الى شيراز فاقام بها ثم توجه الى كازرون فملكها وحصر اباسعد محمد بن عمار فى قلعته واقام عليها سنتين صيفا وشتاء فراسله جاولى فى الصلح فقتل الرسول فارسل اليه قوما من الصوفية فاطعمهم الهريسة والقطائف ثم امر بهم فخيطت ادبارهم والقوا فى الشمس فهلكوا ثم نفد ما عند ابى سعد فطلب الامان فامنه وتسلم الحصن ثم ان جاولى اساء معاملته فهرب فقبض على اولاده وبث الرجال فى اثره فراى بعضهم زنجيا يحمل شيئا فقال ما معك فقال زادى ففتشه فرأى دجاجا وحلواء السكر فقال ما هذا من طعامك فضربه فاقر على ابى سعد وانه يحمل ذلك اليه فقصدوه وهو فى شعب جبل فاخذه الجندى وحمله الى جاولى فقتله وسار الى دارابجرد وصاحبها اسمه ابراهيم فهرب صاحبها منه الى كرمان خوفا منه وكان بينه وبين صاحب كرمان صهر وهو ارسلانشاه بن كرمانشاه بن ارسلان بك بن قاورت فقال له لو تعاضدنا لم يقدر علينا جاولى وطلب منه النجدة وسار جاولى بعد هربه منه الى حصار رتيل رننه يعنى مضيق رننه وهو موضع لم يؤخذ قهرا قط لانه واد نحو فرسخين وفى صدره قلعة منيعة على جبل عال واهل دارابجرد يتحصنون به اذا خافوا فاقاموا به وحفظوا اعلاه فلما رأى جاولى حصانته سار يطلب البرية نحو كرمان كانما أمره ثم رجع من طريق كرمان الى دارابجرد وظهر انه من عسكر الملك ارسلانشاه صاحب كرمان فلم يشك اهل الحصن انهم مدد لهم مع صاحبهم فاظهروا السرور واذنوا له فى دخول المضيق فلما دخله وضع السيف فيمن هناك فلم ينج غير القليل ونهب اموال أهل دارابجرد وعاد الى مكانه وراسل خسرو يعلمه انه عازم على التوجه الى كرمان

ويدعوه اليه فلم يجد بدا من موافقته فنزل اليه طائعا وسار معه الى كرمان وأرسل الى صاحبها القاضى أبا طاهر عبد الله بن طاهر قاضى شيراز يامره باعادة الشوانكارة لانهم رعية السلطان ويقول انه متى أعادهم عاد عن قصد بلاده والا قصده فاعاد صاحب كرمان جواب الرسالة يتضمن الشفاعة فيهم حيث استجاروا به ولما وصل الرسول الى جاولى احسن اليه واجزل له العطاء وأفسده على صاحبه وجعله عينا له عليه وقرر معه اعادة عسكر كرمان ليدخل البلاد وهم غارون فلما عاد الرسول وبلغ السيرجان وبها عساكر صاحب كرمان ووزيره مقدم الجيش أعلم الوزير ما عليه جاولى من المقاربة وانه يفارق ما كرهوه وأكثر من هذا النوع وقال لكنه مستوحش من اجتماع العساكر بالسيرجان وان اعداء جاولى طمعوا فيه بهذا العسكر والراى ان تعاد العساكر الى بلادها فعاد الوزير والعساكر وخلت السيرجان وسار جاولى فى اثر الرسول فنزل بفرج وهى الحد بين فارس وكرمان فحاصرها فلما بلغ ذلك ملك كرمان احضر الرسول وأنكر عليه اعادة العسكر فاعتذر اليه وكان مع الرسول فراش لجاولى ليعود اليه بالاخبار فارتاب به الوزير فعاقبه فاقر على الرسول فصلب ونهبت أمواله وصلب الفراش وندب العساكر الى المسير الى جاولى فساروا فى ستة آلاف فارس وكانت الولاية التى هى الحد بين فارس وكرمان بيد انسان يسمى موسى وكان ذا رأى ومكر فاجتمع بالعسكر واشار عليهم بترك الجادة المسلوكة وقال ان جاولى محتاط بها وسلك بهم طريقا غير مسلوكة بين جبال ومضايق وكان جاولى يحاصر فرج وقد ضيق على من بها وهو يدمن الشرب فسير اميرا فى طائفة من عسكره ليلقى العسكر المنفذ من كرمان فسار الامير فلم ير احدا فظن انهم قد عادوا فرجع الى جاولى وقال ان العسكر كان قليلا فعاد خوفا منا فاطمان حينئذ جاولى وادمن شرب الخمر ووصل عسكر كرمان اليه ليلا وهو سكران نائم فايقظه بعض اصحابه واخبره فقطع لسانه فاتاه غيره وايقظه وعرفه الحال فاستيقظ وركب وانهزم وقد تفرق عسكره منهزمين فقتل منهم واسر كثير وادركه خسرو وابن ابى سعد الذى قتل جاولى اباه فسارا معه فى اصحابهما فالتفت فلم ير معه احدا من اصحابه الا تراك فخاف على نفسه منهم فقالا له انا لا نغدر بك ولن ترى منا الا الخير والسلامة وسارا معه حتى وصل الى مدينة فساوا تصل به المنهزمون من اصحابه واطلق صاحب كرمان الاسرى وجهزهم وكانت هذه الوقعة فى شوال سنة ثمان وخمسمائة وبينما جاولى يدبر الامر ليعاود كرمان وياخذ بثاره توفى الملك جغرى ابن السلطان محمد وعمره خمس سنين وكانت وفاته فى ذى الحجة سنة تسع وخمسمائة ففت ذلك فى عضده فارسل ملك كرمان رسولا الى السلطان وهو ببغداد يطلب منه منع جاولى عنه فاجابه السلطان انه لا بد من ارضاء جاولى وتسليم فرج اليه فعاد الرسول فى ربيع الاول سنة عشر وخمسمائة فتوفى جاولى فامنوا ما كانوا يخافونه فلما سمع السلطان سار عن بغداد الى اصبهان خوفا على فارس من صاحب كرمان

(ذكر فتح جبل وسلات وتونس)

ليلتها حضر ديوان افندى وعبد الله بكتاش الترجمان وحضر المهدى والدواخلى الجميع عند السيد عمر وطال بينهم الكلام والمعالجة فى طلوعهم ومقابلتهم الباشا ورقرق لذلك كل من المهدى والدواخلى والسيد عمر مصمم على الامتناع ثم قالوا لا بد من كون الشيخ الامير معنا ولا نذهب بدونه فاعتذر الشيخ الامير بانه متوعك ثم قام المهدى والدواخلى وخرجا صحبة ديوان افندى والترجمان وطلعوا الى القلعة وتقابلوا مع الباشا ودار بينهم الكلام وقال فى كلامه انا لا ارد شفاعتكم ولا اقطع رجاءكم والواجب عليكم اذا رأيتم منى انحرافا أن تنصحونى وترشدونى ثم اخذ يلوم على السيد عمر فى تخلفه وتعنته ويثنى على البواقى وفى كل وقت يعاندنى ويبطل احكامى ويخوفنى بقيام الجمهور فقال الشيخ المهدى هو ليس الا بنا واذا خلا عنا فلا يسوى بشئ ان هو الا صاحب حرفة او جابى وقف يجمع الايراد ويصرفه على المستحقين فعند ذلك تبين قصد الباشا لهم ووافق ذلك ما فى نفوسهم من الحقد للسيد عمر والشيخ الدواخلى حضوره نيابة عن الشيخ الشرقاوى وعن نفسه ثم تناجوا معه حصة وقاموا منصرفين مذبذبين ومظهرين خلاف ما هو كامن فى نفوسهم من الحقد وحظوظ النفس غير مفكرين فى العواقب

منه خلاف وقال انا لا ارد شفاعتكم ولكن نفسي لا تقبل التحكم والواجب عليكم اذا رأيتموني فعلت شيئا مخالفا ان تنصحوني و تشفعوا فانا لا أردكم ولا امتنع من قبول نصحكم وأما ما تفعلونه من التشنيع والاجتماع بالازهر فهذا لا يناسب منكم وكأنكم تخوفوني بهذا الاجتماع وتهييج الشرور وقيام الرعية كما كنتم تفعلون في زمان المماليك فانا لا أفزع من ذلك وان حصل من الرعية أمر ما فليس لهم عندي الا السيف و الانتقام فقلنا له هذا لا يكون ونحن لا نحب ثوران الفتن وانما اجتمعنا على الاجل قراءة البخاري وندعو الله برفع الكرب ثم قال أريد ان تخبروني عمن أنتبذ له هذا الامر ومن ابتدأ بالخلف فقال طناه وانه وعدنا بابطال الدمغة وتضعيف الفائظ الى الربع بعد النصف وانكر الطلب بالاوسية والزغق من اقليم البحيرة ثم قاموا منصرفين وانفتح بينهم باب النفاق واستمر القال والقيل وكل حريص على حظ نفسه وزيادة شهرته وسمعته ومظهر خلاف ما في ضميره

(واستهل شهر جمادى الثانية بيوم الجمعة سنة ١٢٢٤) فيه حضر ديوان افندي وعبد الله بكتاش الترجمان واجتمع المشايخ ببيت السيد وفيها

في هذه السنة حصر عسكر علي بن يحيى صاحب افريقية مدينة تونس وبها احمد بن خراسان وضيق على من بها فصالحه صاحبها على ما اراد وفيها افتتح ايضا جبل وسلات بافريقية واستولى عليه وهو جبل منيع ولم يزل اهله طول الدهر يفتكون بالناس ويقطعون الطريق فلما استمر ذلك منهم سير اليهم جيشا فكان اهل الجبل ينزلون الى الجيش و يقاتلون أشد قتال فعمل قائد الجيش الحيلة في الصعود الى الجبل من شعب لم يكن احد يظن انه يصعد منه فلما صار في اعلاه في طائفة من اصحابه ثار اليه اهل الجبل فصبر لهم وقاتلهم فيمن معه اشد قتال وتتابع الجيش في الصعود اليه فانهزم اهل الجبل و كثر القتل فيهم ومنهم من رمى نفسه فتكسر ومنهم من افلت واحتمى جماعة كثيرة بقصر في الجبل فلما احاط بهم الجيش طلبوا ان يرسل اليهم من يصلح حالهم فارسل اليهم جماعة من العرب و الجند فشار بهم اولئك بالسلاح فقتلوا بعضهم وطلع الباقون الى اعلى القصر ونادوا اصحابهم من الجيش فاتوهم وقاتلوهم بعضهم من اعلى القصر و بعضهم من اسفله فالتقى من فيه من اهل الجبل ايديهم فقتلوا كلهم

(ذكر الفتنة بطوس)

في هذه السنة في عاشوراه كانت فتنة عظيمة بطوس في مشهد علي بن موسى الرضا عليه السلام وسببها ان علويا خاصم في المشهد يوم عاشوراء بعض فقهاء طوس فادى ذلك الى مضاربة وانقطعت الفتنة ثم استعان كل منهما بحزبه فثارت فتنة عظيمة حضرها جميع أهل طوس واحاطوا بالمشهد وخربوه وقتلوا من وجدوا فقتل بينهم جماعة ونهبت أموال جمة وافترقوا وترك أهل المشهد الخطبة أيام الجمعات فيه فبنى عليه عضد الدين فرامرز بن علي سورا منيعا يحتمي به من بالمشهد على من يريده بسوء وكان بناؤه سنة خمس عشرة وخمسمائة

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة وقعت النار في الحظائر المجاورة للمدرسة النظامية ببغداد فاحترقت الاخشاب التي بها واتصل الحريق الى درب السلسلة وتطاير الشرر الى باب المراتب فاحترقت منه عدة دور واحترقت خزانة كتب النظامية وسلمت الكتب لان الفقهاء لما احسوا بالنار نقلوها وفيها توفي عبد الله بن يحيى بن محمد بن بهلول أبو محمد الاندلسي السرقسطي وكان فقيها فاضلا ورد نجوا لعراق سنة خمسمائة وسار الى خراسان فسكن مرو الروذ فمات بها وله شعر حسن فمنه

ومهفهف يختال في ابراده * مرح القضيب اللدن تحت البارح
أبصرت في مرآة فكري خده * فحكيت فعل جفونه بجوارحي
ما كنت أحسب ان فعل توهمي * يقوى تعديه فيجرح جارحي
لا غرو ان جرح التوهم خده * فالسحر يعمل في البعيد النازح

وفيها في شعبان توفي أبو القاسم علي بن محمد بن أحمد بن بيان الرزاز ومولده في صفر سنة ثلاث عشرة وار بعمائة وهو آخر من حدث عن أبي الحسن بن مخلد وابي القاسم بن بشران وفيها توفي أبو بكر محمد بن منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني رئيس الشافعية بمرو ومولده سنة ست وار بعين وار بعمائة وسمع الحديث الكثير وصنف وله فيه أمال حسنة وتكلم على الحديث فاحسن ماشاء وفيها توفي محفوظ بن أحمد بن الحسن الكاوذاني أبو الخطاب الفقيه الحنبلي ومولده سنة اثنتين وثلاثين وار بعمائة وتفقه على أبي يعلى بن الفراء

(ثم دخلت سنة احدى عشرة وخمسمائة)

(ذكر وفاة السلطان محمد وملك ابنه محمود)

في هذه السنة في الرابع والعشرين من ذي الحجة توفي السلطان محمد بن ملكشاه بن الب ارسلان وكان ابتداء مرضه في شعبان وانقطع عن الركوب وتزايد مرضه ودام وأرجف عليه بالموت فلما كان يوم عيد النحر حضر السلطان وحضر ولده السلطان محمود على السماط فنهبه الناس ثم اذن لهم فدخلوا الى السلطان محمد وقد تكلف القعود لهم وبين يديه سماط كبير فاكلوا وخرجوا فلما انتصف ذو الحجة ايس من نفسه فاحضر ولده محمودا وقبله وبكى كل واحد منهما واوصاه ان يخرج ويجلس على تخت السلطنة وينظر في أمور الناس وعمره اذ ذاك قد زاد على اربع عشرة سنة فقال لوالده انه يوم غير مبارك يعني من طريق النجوم فقال صدقت ولكن على ابيك واما عليك فمبارك بالسلطنة فخرج وجلس على التخت بالتاج والسوارين وفي يوم الخميس الرابع والعشرين احضر الامراء واعلموا بوفاته وقرئت وصيته الى ولده محمود يامره بالعدل والاحسان وفي يوم الجمعة الخامس والعشرين منه خطب لمحمود بالسلطنة وكان مولد السلطان محمد ثامن عشر شعبان من سنة أربع وسبعين وار بعمائة وكان عمره سبعا وثلاثين سنة وار بعة اشهر وستة أيام وأول ما دعي له بالسلطنة ببغداد في ذي الحجة سنة ثنتين وتسعين وقطعت خطبته عدة دفعات على ماذكرناه ولقي من المشاق والاخطار مالا حد عليه فلما توفي أخوه بركيارق صفت له السلطنة وعظمت هيبته وكثرت جيوشه وأمواله وكان اجتمع الناس عليه اثنتي عشرة سنة وستة اشهر

(ذكر بعض سيرته)

كان عادلا حسن السيرة شجاعا فمن عدله انه اشترى مماليك من بعض التجار واحالهم بالثمن على عامل خوزستان فاعطاهم البعض ومطل بالباقي فحضر واجلس الحكم واخذوا معهم غلمان القاضي فلما رآهم السلطان قال لحاجبه انظر ما حال هؤلاء فسالهم عن حالهم فقالوا لنا خصم يحضر معنا مجلس الحكم فقال من هو قالوا السلطان وذكروا قصتهم فاعلمه ذلك فاشتد عليه واكره وامر باحضار العامل وامره بايصال اموالهم والجعل الثقيل وتوكل به حتى يمتنع غيره عن مثل فعله ثم انه كان يقول بعد ذلك لقد

تحمروا وتكلموا في شان والطلوع الى الباشا ومقابلته فخلف السيد عمر انه لا يطلع اليه ولا يجتمع به ولا يرى له وجها الا اذا ابطل هذه الاحدوثات وقال ان جميع الناس يتهمونني معه ويزعمون انه لا يتجاسر أحد على شيء يفعله الا باتفاقي معه ويكفي ما مضى ومهما تقادم يتزايد الظلم والجور وتكلم كلاما كثيرا فلما لم يجبهم الى الذهاب قالوا اذا يطلع المشايخ وارسلوا الى الشيخ الامير فاعتذر بانه متوعك الجسم ولا يقدر على الحركة ولا الركوب ثم اتفقوا على طلوع الشيخ عبد الله النرقاوي والمهدي والدواخلي والفيومي وذلك على خلاف غرض السيد عمر وقد ظن انهم يمتنعون لامتناعه للمهد السابق والايمان فلما طلعوا الى الباشا وتكلموا معه وقدفهم كل منهم لغة الآخر الباطنية ثم ذاكروه في امر المحدثات فاخبرهم انه يرفع بدعة الدمغة وكذلك يرفع الطلب عن الاطيان الاوسية وتقرير ربع الفائظ وقاموا على ذلك ونزلوا الى بيت السيد عمر واخبروه بما حصل فقال واعجبكم ذلك قالوا نعم قال انه ارسل يخبرني بتقرير ربع المال الفائظ فلم ارض وابيت الا رفع ذلك بالكلية فانه في العام السابق لما طلب احداث الربع قلت له هذه تصير سنة متبوعة فخلف انها

٢ قوله قالوا قال الخ هكذا في جميع النسخ التي معنا ولعله قالوا لا او نعم أو نحو ذلك كذا بهامش الاصل

وعاهد في على ذلك وهذا في علمكم كما لا يخفاكم قالوا نعم واما قوله انه رفع الطلب عن الاوسية والرزق فلا اصل لذلك وها هي اوراق البحيرة وجهوا بها الطلب فقالوا اثناذ كرنا له ذلك فانكر وكابرناه باوراق الطلب فقال ان السبب في طلب ذلك من اقليم البحيرة خاصة أن الكشافين لما نزلوا للكشف على اراضي الري والشراقي ليقرروا عليها فريضة الاطيان حصل منهم الخيانة والتدليس فاذا كان في ارض البلدة خمسمائة فدان رى قالوا لها مائة وسموا الباقي رزقا واوسية فقررت ذلك عقوبة لهم في نظيرته ليسهم وخيانتهم فقال السيد عمر وهل ذلك امر واجب فعله اليس هو مجرد جور وظلم أحدثه في العام الماضي وهي فريضة الاطيان التي ادعى لزومها لاتمام العلوفة وحلف انه لا يعود لمثلها فقد عاد وزاد وأنتم توافقونه وتسايرونه ولا تصدونه ولا تصدعونه بكلمة وأنا الذي صرت وحدي مخالفا وشاذا ووجه عليهم اللوم في نقضهم العهد والايمان وانفض المجلس وتفرقت الآراء وراج سوق النفاق وتحركت حفائظ الحقد والحسد وكثر سعيهم وتناجيهم بالليل والنهار والباشا يراسل السيد عمر ويطلبه للحضور اليه والاجتماع به وبعده يبقى

ندمت قدما عضيا حيث لم احضر معهم مجلس الحكم فيقتدي بي غيري ولا يمتنع احد عن الحضور فيه واداء الحق ومن عدله انه كان له خازن يعرف بابي احمد القزويني قتله الباطنية فلما قتل أمر بعرض الخزانة فعرض عليه فيها درج فيه جوهر كثير نفيس فقال ان هذا الجوهر عرضه على منذ أيام وهو في ملك اصحابه وسلمه الى خادم ليحفظه وينظر من اصحابه فيسلم اليهم فسال عنهم وكانوا تجارا غرباء وقد تيقنوا ذهابه وايسوا منه فسكتوا فاحضرهم وسلمه اليهم ومن عدله انه اطلق المكوس والضرائب في جميع البلاد ولم يعرف منه فعل قبيح وعلم الامراء سيرته فلم يقدم احد منهم على الظلم وكفوا عنه ومن محاسن اعماله ما فعله مع الباطنية على ما نذكره

(ذكر حال الباطنية ايام السلطان محمد)

قد تقدم ذكر ما اعتمده من حصر قلاعهم ونحن نذكر ههنا زيادة اهتمامه بامرهم فانه رحمه الله تعالى لما علم ان مصالح البلاد والعباد منوطة بمحو آثارهم واخراب ديارهم وملك حصونهم وقلاعهم جعل قصدهم دأبه وكان في ايامه المقدم عليهم والقيم بامرهم الحسن بن الصباح الرازي صاحب قلعة ألموت وكانت أيامه قد طالت وله منذ ملك قلعة ألموت ما يقارب ستا وعشرين سنة وكان المجاورون له في أقبح صورة من كثرة غزواته عليهم وقتله وأسره رجالهم وسبي نسائهم فسير اليه السلطان العساكر على ما ذكرناه فعادت من غير بلوغ غرض فلما أعضل داؤه ندب لقتاله الامير انوشتكين شيركير صاحب آبه وساوة وغيرهما فملك منهم عدة قلاع منها قلعة كلام ملكها في جمادى الاولى سنة خمس وخمسمائة وكان مقدمها يعرف بعلي بن موسى فامنه ومن معه وسيرهم الى ألموت وملك منهم ايضا قلعة بيرة وهي على سبعة فراسخ من قزوين وامنهم وسيرهم الى ألموت ايضا وسار الى قلعة ألموت فمن معه من العساكر وامده السلطان بعدة من الامراء فحصرهم وكان هو من بينهم صاحب القريحة والبصيرة في قتالهم مع جودة راى وشجاعة فبنى عليها مساكن يسكنها هو ومن معه وعين لكل طائفة من الامراء اشهرا يقيمونها وكانوا ينيبون ويحضرون وهو ملازم الحصار وكان السلطان ينقل اليه المبرة والذخائر والرجال فضاق الامر على الباطنية وعدمت عندهم الاقوات وغيرها فلما اشتد عليهم الامر نزلوا فساءهم وابناءهم مستامنين ويسالون ان يفرج لهم ولرجالهم عن الطريق ويؤمنوا فلم يجابوا الى ذلك واعادهم الى القلعة قصدا لموت الجميع جوعا وكان ابن الصباح يجري لكل رجل منهم في اليوم رغيفا وثلاث جوزات فلما بلغ بهم الامر الى الحد الذي لا مزيد عليه بلغهم موت السلطان محمد فقويت نفوسهم وطابت قلوبهم ووصل الخبر الى العسكر المحاصر لهم بعدهم بيوم وعزموا على الرحيل فقال شيركير ان رحلنا عنهم وشاع الامر نزلوا الينا واخذوا ما اعددناه من الاقوات والذخائر والرأي ان نقيم على قلعتهم حتى نفتحها وان لم يكن المقام فلا بد من مقام ثلاثة ايام حتى ينفذ منا ثقلنا وما اعددناه ونحرق ما نعجز عن حمله ثم ياخذه العدو فلما سمعوا قوله علموا صدقه فتعاهدوا على الاتفاق والاجتماع فلما امسوا رحلوا من غير مشاورة ولم

بانجاز ما يشير عليه به وأرسل اليه كخداه ليترفق به وذكر له ان الباشا يرتب له كيسا في كل يوم ويعطيه في هذا الحين ثلثمائة كيس خلاف ذلك فلم يقبل ولم يزل الباشا متعلق الخاطر بسببه ويتجسس ويتفحص عن احواله وعلى من يتردد عليه من كبار العسكر وربما اغرى به بعض الكبار فراسلوه سرا واظهروا له كراهتهم للباشا وانه ان انتبذ لمفاقمته ساعدوه وقاموا بنصرته عليه فلم يخف على السيد عمر مكرم ولم يزل مصمما وممتنعا عن الاجتماع به والامتثال اليه ويسخط عليه والمترددون أيضا ينقلون ويحرفون بحسب الاغراض والاهواء واتفق في اثناء ذلك ان الباشا امر بكتابة عرضحال بسبب المطلوب لوزير الدولة وهي الاربعة آلاف كيس ويذكر فيه انها صرفت في المهمات منها ما صرف في سد ترعة الفرعونية ومبلغه ثمانمائة كيس وعلى تجاريد العساكر المحاربة الامراء المصرية حتى دخلوا في الطاعة كذلك مبلغا عظيما وما صرف في عمارة القلعة والجراية التي تنقل المياه اليها مبلغا ايضا وكذلك في حفر الخلجان والترع ونقص المال الميري بسبب شراقي البلاد ونحو ذلك وارسله الى السيد عمر ليضع خطه وختمه عليه فامتنع وقال اما ما صرفه على سد الترعة فان الذي جمعه وجباه من البلاد يزيد على ما صرفه اضعافا كثيرة واما غير ذلك فكله كذب لا اصل

يبق غير سير كيرو نزل اليه الباطنية من القلعة فدافعهم وقاتلهم وحمى من تخلف من سوقة العسكر واتباعه ولحق بالعسكر فلما فارق القلعة غنم الباطنية ما تخلف عندهم

(ذكر حصار قابس والمهدية)

في هذه السنة جهز علي بن يحيى صاحب افريقية اسطولا في البحر الى مدينة قابس وحصرها وسبب ذلك ان صاحبها رافع بن مكن الدهماني انشا مركبا بساحلها ليحمل التجار في البحر وكان ذلك آخر ايام الامير يحيى فلم ينكر يحيى ذلك جريا على عادته في المداراة فلما ولي علي الامر بعده بايعه أنف من ذلك وقال لا يكون لاحد من اهل افريقية ان يناوئني في اجراء المراكب في البحر بالتجار فلما خاف رافع ان يمنعه على التجار الى اللعين رجار ملك الفرنج بصقلية واعتضد به فوعده رجار أن ينصره ويعينه على اجراء مركبه في البحر وانفذ في الحال اسطولا الى قابس فاجتازوا بالمهدية فحينئذ تحقق علي اتفاقهما وكان يكذبه فلما جاز اسطول رجار بالمهدية أخرج علي أسطوله في اثره فتوافى الجميع الى قابس فلما رأى صاحبها اسطول الفرنج والمسلمين لم يخرج مركبه فعاد اسطول الفرنج وبقي اسطول علي يحصر رافعا بقابس مضيقا عليها ثم عادوا الى المهدية وتمادى رافع في المخالفة لعلي وجمع قبائل العرب وسار بهم حتى نزل على المهدية محاصرا لها وخادع عليا وقال انما جئت للدخول في الطاعة وطلب من يسعى في الصلح وافعاله تكذب أقواله فلم يجبه عن ذلك بحرف واخرج العساكر وحملوا على رافع ومن معه حملة منكرة فالحقوهم بالبيوت ووصل العسكر الى البيوت فلما رأى ذلك النساء من وولولن فغارت العرب وعاودت القتال واشتد حينئذ الامر الى المغرب ثم افترقوا وقد قتل من عسكر رافع بشر كثير ولم يقتل من جند علي غير رجل واحد من الرجالة ثم خرج عسكر علي مرة أخرى فاقتتلوا أشد من القتال الاول كان الظهور فيه لعسكر علي فلما رأى رافع انه لا طاقة له بهم رحل عن المهدية ليلا الى القيروان فمنعه أهلها من دخولها فقاتلهم أياما قلائل ثم دخلها فارسل علي اليه عسكرا من المهدية فحصروه فيها الى أن خرج عنها وعاد الى قابس ثم ان جماعة من أعيان افريقية من العرب وغيرهم سألوا عليا في الصلح فامتنع ثم أجاب الى ذلك ودعاه عليه

(ذكر الوحشة بين رجار والامير علي)

كان رجار صاحب صقلية بينه وبين الامير علي صاحب افريقية مودة وكيدة الى ان أعان رافعا كما تقدم قبل فاستوحش كل منهما من صاحبه ثم بعد ذلك خاطبه رجار بما لم تجر عادتهم به فتاكدت الوحشة فارسل رجار رسالة فيها خشونة فاحتز علي منه وامر بتجديد الاسطول واعداد الاهبة للقاء العدو وكاتب المرابطين بمراكش في الاجتماع معه على الدخول الى صقلية فكف رجار عما كان يعتمده

(ذكر قتل صاحب حلب واستيلاء ايلغازي عليها)

له وان وجد من يحاسبه على ما اخذه من القطر المصرى من الفرض والمظالم لما وسعته الدفاتر فلما ردوا عليه واخبروه بذلك الكلام حنق واغتاظ فى نفسه وطلبه للاجتماع به فامتنع فلما اكثر من التراسل قال ان كان ولابد فاجتمع معه فى بيت السادات واما طلوعى اليه فلا يكون فلما قيل له فى ذلك ازداد حنقه وقال انه بلغ به ان يزدريني ويرذلني ويامرنى بالنزول من محل حكمى الى بيوت الناس (ولما اصبح يوم الاربعاء سابع عشرينه) ركب الباشا وحضر الى بيت ولده ابراهيم بك الدفتردار وطلب القاضى والمشايخ المذكورين وارسل الى السيد عمر رسولا من طرفه ورسولا من طرف القاضى يطلبه للحضور ليتحادث ويتشارع معه فرجعا واخبرا بانه شرب دواء ولا يمكنه الحضور فى هذا اليوم وكان قد احضر شيخ السادات الوفائية والشيخ الشرقاوى فعند ذلك احضر الباشا خلعة والبسها الشيخ السادات على نقابة الاشراف وامر بكتابة فرمان بخروج السيد عمر ونفيه من مصر يوم تاريخه فتشفع المشايخ فى امهاله ثلاثة ايام حتى يقضى اشغاله فاجاب الى ذلك ثم سالوه فى ان يذهب الى بلده اسيوط فقال لا يذهب الى اسيوط ويذهب اما الى سكندرية او دمياط فلما ورد الخبر على السيد عمر بذلك قال اما منصب النقابة فانى راغب عنه وزاهد فيه وليس فيه الا التعب واما النفى فهو غاية

فى هذه السنة قتل لؤلؤ الخادم وكان قد استولى على قلعة حلب وأعمالها بعد وفاة الملك رضوان وولى اتابكيه ولده الب ارسلان فلما مات اقام بعده فى الملك سلطانشاه ابن رضوان وحكم فى دولته أكثر من حكمه فى دولة أخيه فلما كان هذه السنة سار منها الى قلعة جعبر ليجتمع بالامير سالم بن مالك صاحبها فلما كان عند قلعة نادر نزل يريق الماء فقصده جماعة من أصحابه الاتراك وصاحوا ارنب ارنب وأوهموا انهم يتصيدون ورموه بالنشاب فقتل فلما هلك نهبوا خزانته فخرج اليهم أهل حلب فاستعادوا ما أخذوه وولى أتابكيه سلطانشاه بن رضوان شمس الخواص ياروقتاش فبقى شهرا وعزلوه وولى بعده أبو المعالى بن المحيى الدمشقى ثم عزلوه وصادروه وقيل كان سبب قتل لؤلؤ انه أراد قتل سلطانشاه كما قتل أخاه الب ارسلان قبله فقطن به أصحاب سلطانشاه فقتلوه وقيل كان قتله سنة عشر وخمسمائة والله أعلم ثم ان اهل حلب خافوا من الفرنج فسلموا البلد الى نجم الدين ايلغازى فلما تسلمها لم يجد فيه مالا ولا ذخيرة لان الخادم كان قد فرق الجميع وكان الملك رضوان قد جمع فاكثر فرزقه الله غير اولاده فلما راى ايلغازى خلو البلد من الاموال صادر جماعة من الخدم بمال صانع به الفرنج وهادنهم مدة يسيرة تكون بمقدار مسيره الى ماردين وجمع العساكر والعود فلما تمت الهدنة سار الى ماردين على هذا العزم واستخلف بحلب ابنه حسام الدين تمرتاش

*(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى رابع عشر صفر انخسف القمر انخسافا كليا وفى هذه الليلة هجم الفرنج على ربض حماة من الشام وقتلوا من أهلها ما يزيد على مائة رجل وعادوا وفيها فى يوم عرفه كانت زلزلة بالعراق والجزيرة وكثير من البلاد وخربت ببغداد دور كثيرة بالجانب الغربى وفيها مات احمد العربى ببغداد وكان من عباد الله الصالحين له كرامات وقبره يزار بها وفى هذه السنة فى شوال توفى ابو على محمد بن سعد بن ابراهيم بن نبهان الكاتب وعمره مائة سنة وكان عالى الاسناد روى عن ابى على بن شاذان وغيره والحسن ابن احمد بن جعفر ابو عبد الله الشقاق الفرضى الحاسب وكان واحد عصره فى علم الفرائض والحساب وسمع الحديث من ابى الحسين بن المهتدى وغيره وفيها مات الكزايكس ملك القسطنطينية وملك بعده ابنه يوحنا وسلك سيرته وفيها مات دوقس انطاكية وكفى الله شره

(ثم دخلت سنة اثنتى عشرة وخمسمائة)

(ذكر ما فعله السلطان محمود بالعراق وولاية البرسقى شحنكية بغداد)

لما توفى السلطان محمد وملك بعده ابنه محمود ودبر دولته الوزير ابو منصور ارسل الى الخليفة المستظهر بالله يطلب ان يخطب له ببغداد فخطب له فى الجمعة ثالث عشر المحرم وكان شحنة بغداد يومئذ ابن الامير دبيس بن صدقة كان عند السلطان محمد

مذ قتل والده على ما ذكرناه فاحسن اليه واقطعه اقطاعا كثيرا فلما توفي السلطان محمد خاطب السلطان محمودا في العود الى بلده الحلة فاذن له في ذلك فعاد اليها فاجتمع عليه خلق كثير من العرب والاكراد وغيرهم وكان آقسنقر البرسقي مقيما بالرحبة وهي اقطاعه وليس بيده من الولايات شئ فاستخلف عليها ابنه عز الدين مسعودا وسار الى السلطان محمد قبل موته عازما على مخاطبته في زيادة اقطاعه فبلغه وفاة السلطان محمد قبل وصوله الى بغداد وسمع مجاهد الدين بهروز بقربه من بغداد فارسل اليه يمنعه من دخولها فسار الى السلطان محمود فلقيه توقيع السلطان بولاية شحنكية بغداد وهو بحلوان وعزل بهروز وكان الامراء عند السلطان يريدون البرسقي ويتعصبون له ويكرهون مجاهد الدين بهروز ويحسدونه لقربه كان عند السلطان محمد وخافوا ان يزداد تقدما عند السلطان محمود وحكما فلما ولي البرسقي شحنكية بغداد هرب بهروز الى تكريت وكانت له ثم ان السلطان ولى شحنكية بغداد الامير منكوبرس وهو من أكابر الامراء وقد حكم في دولة السلطان محمود فلما أعطى الشحنكية سير اليها ربيبه الامير حسين بن أزبك أحد الامراء الاتراك وهو صاحب اسداباذ لينوب عنه ببغداد والعراق وفارق السلطان من باب همذان واتصل به جماعة الامراء البكجية وغيرهم فلما سمع البرسقي خاطب الخليفة المستظهر بالله ليامره بالتوقف الى ان يكاتب السلطان ويفعل ما يرد به الامر عليه فارسل اليه الخليفة فاجاب ان يرسم الخليفة بالعود عدت والا فلا بد من دخول بغداد فجمع البرسقي اصحابه وسار اليه فالتقوا واقتتلوا فقتل أخ لحسين وانهزم هو ومن معه وعادوا الى عسكر السلطان فكان ذلك في شهر ربيع الاول قبل وفاة المستظهر بالله بايام

(ذكر وفاة المستظهر بالله)

في هذه السنة سادس عشر شهر ربيع الآخر توفي المستظهر بالله ابو العباس احمد بن المقتدي بامر الله وكان مرضه التراقي وكان عمره احدى واربعين سنة وستة اشهر وستة أيام وخلافته أربعا وعشرين سنة وثلاثة اشهر واحد عشر يوما ووزر له عميد الدولة أبو منصور بن جهير وسديد الملك أبو المعالي المفضل بن عبد الرزاق الاصبهاني وزعيم الرؤساء أبو القاسم بن جهير ومجد الدين أبو المعالي هبة الله بن المطلب ونظام الدين أبو منصور الحسين بن محمد وناب عن الوزارة امين الدولة أبو سعد بن الموصلايا وقاضي القضاة أبو الحسن علي بن الدامغاني ومضى في أيامه ثلاثة سلاطين خطب لهم بالحضرة وهم تاج الدولة تتش بن الب ارسلان والسلطان بركيارق ومحمد ابنا ملكشاه ومن غريب الاتفاق انه لما توفي السلطان الب ارسلان تولى بعده القائم بامر الله ولما توفي السلطان ملكشاه توفي بعده المقتدي بامر الله ولما توفي السلطان محمد توفي بعده المستظهر بالله

(ذكر بعض أخلاقه وسيرته)

اسيوط فليأذن لي في الذهاب الى الطور والى ورنه فعرفوا الباشا فلم يرض الا بذهابه الى دمياط ثم ان السيد عمر امر باشجاويش ان ياخذ الجاويشية ويذهب بهم الى بيت السادات واخذ في اسباب السفر (وفي يوم الخميس ثامن عشرينه) الموافق لخامس مسرى القبطي اوفى النيل المبارك ونودي بالوفاء تلك الليلة وخرج الناس لاجل الفرجة والضيافات في الدور المطلة على الخليج فلما كان آخر النهار برزت الاوامر بتاخير الموسم لليلة السبت بالروضة فبرد طعام اهل الولائم والضيافات وتضاعفت كلفهم ومصاريفهم وحصلت الجمعية ليلة السبت بالروضة وعند قنطرة السد وعملوا المحراقات والشنك وحضر الباشا وأكابر دولته والقاضي وكسر السد بحضرتهم وجرى الماء في الخليج وانفض الجمع (وفي ذلك اليوم) اعتنى السيد محمد المحروقي بامر السيد عمر وذهب الى الباشا وكلمه واخبره بانه أقامه وكيلا على أولاده وبيته وتعلقاته فاجازه بذلك وقال هو آمن من كل شئ وانا لم ازل اراعي خاطره ولا أفوته ثم أرسل السيد المحروقي فاحضر ابن ابنة السيد عمر فقابل به الباشا وطمن خاطره

 ولكن قال لابد من سفره الى دمياط وعند ما طلب السيد المحروقي الغلام الى

حتى رجع الغلام وتبين انه لا شئ فانقلب الفرح بالترح وتعين بالسفر صحبة السيد عمر كتخدا الالفي الى دمياط

(واستهل شهر رجب بيوم الاحد سنة ١٢٢٤) فيه اجتمع الموذعون للسيد عمر ثم حضر محمد كتخدا المذكور فعند وصوله قام السيد عمر وركب في الحال وخرج صحبته وشيعه الكثير من المتعممين وغيرهم وهم يتباكون حوله حزنا على فراقه وكذلك اغتم الناس على سفره وخروجه من مصر لانه كان ركنا وملجا ومقصدا للناس ولتعصبه على نصرة الحق فسار الى بولاق ونزل في المركب وسافر من ليلته باتباعه وخدمه الذين يحتاج اليهم الى دمياط (وفي صبح ذلك اليوم) حضر الشيخ المهدي عند الباشا وطلب وظائف السيد عمر فانعم عليه الباشا بنظر أوقاف الامام الشافعي ونظر وقف سنان باشا بيولاق وحاسب على المنكسر له من الغلال مدة أربع سنوات فامر بدفعها له من خزينته نقدا وقدرها خمسة وعشرون كيسا وذلك في نظير اجتهاده في خيانة السيد عمر حتى اوقعوا به ما ذكر (وفيه) تقيد الخواجا محمود حسن بزرجان باشا بعمارة القصر والمسجد الذي يعرف بالآثار النبوية فعمرها على وضعها القديم وقد كان آل الى الخراب (وفي يوم الثلاثاء) فاجاب

كان رضي الله عنه لين الجانب كريم الاخلاق يحب اصطناع الناس و يفعل الخير و يسارع الى أعمال البر والمثوبات مشكور المساعي لا يرد مكرمة تطلب منه وكان كثير الوثوق بمن يوليه غير مصغ الى سعاية ساع ولا ملتفت الى قوله ولم يعرف منه تلون وانحلال عزم باقوال اصحاب الاغراض وكانت ايامه أيام سرور الرعية

* فكانها من حسنها اعياد * وكان اذا بلغه ذلك فرح به وسره واذا تعرض سلطان أو نائب له الى أذى أحد بالغ في انكار ذلك و الزجر عنه وكان حسن الخط جيد التوقيعات لا يقارب فيها احد يدل على فضل غزير وعلم واسع ولما توفي صلى عليه ابنه المسترشد بالله وكبراء بغداد ودفن في حجرة له كان يأتيها ومن شعره قوله

أذاب حر الهوى في القلب ما جمدا * لما مددت الى رسم الوداع يدا
وكيف أسلك نهج الاصطبار وقد * أرى طرائق في مهوى الهوى قددا
قد أخلف الوعد بدر قد شغفت به * من بعد ما قد وفى دهري بما وعدا
ان كنت أنقض عهد الحب في خلدي * من بعد هذا فلا عاينته ابدا

(ذكر خلافة الامام المسترشد بالله)

لما توفي المستظهر بالله بويع ولده المسترشد بالله ابو منصور الفضل بن ابي العباس احمد ابن المستظهر بالله وكان ولي عهد قد خلف له ثلاثا وعشرين سنة فبايعه اخواه ابنا المستظهر بالله وهما ابو عبد الله محمد وابو طالب العباس وعمومته بنو المقتدي بامر الله وغيرهم من الامراء والقضاة والائمة والاعيان وكان المتولي لاخذ البيعة القاضي ابو الحسن الدامغاني وكان نائبا عن الوزارة فاقره المسترشد بالله عليها ولم يأخذ البيعة قاض غيره هذا واحد بن ابي دواد فانه اخذها للواثق بالله والقاضي ابو علي اسمعيل بن اسحق اخذها للمعتضد بالله ثم ان المسترشد عزل قاضي القضاة عن نيابة الوزارة واستوزر اباشجاع محمد بن الرئيس ابي منصور وزير السلطان محمود وكان والده خطب في معنى ولده حتى استوزر وقبض على صاحب المخزن ابي طاهر يوسف بن احمد الحزي

(ذكر هرب الامير ابي الحسن اخي المسترشد وعوده)

لما اشتغل الناس ببيعة المسترشد بالله ركب اخوه الامير ابو الحسن بن المستظهر بالله سفينة ومعه ثلاثة نفر وانحدر الى المدائن وسار منها الى دبيس بن صدقة بالحلة فاكرمه دبيس وعلم منه وفاة المستظهر بالله واقام له الاقامات الكثيرة فلما علم المسترشد بالله خبره اهمه ذلك واقلقه وارسل الى دبيس يطلب منه اعادته فاجاب بانني عبد الخليفة وواقف عند امره ومع هذا فقد استذم بي ودخل منزلي فلا اكرهه على امر ابدا وكان الرسول نقيب النقباء شرف الدين علي بن طراد الزينبي فقصد الامير ابا الحسن وتحدث معه في عوده وضمن له عن الخليفة كل ما يريده فاجاب الى العود وقال انني لم افارق اخي لشر اريده وانما الخوف حملني على مفارقته فاذا امنني قصدته وتكفل دبيس باصلاح الحال بنفسه و المسير معه الى بغداد فعاد النقيب واعلم الخليفة الحال

فاجاب الى ماطلب منه ثم حدث من امر البرسقى ودبيس ومنكوبرس ماذكرناه فتاخر الخال واقام الامير ابو الحسن عند دبيس الى ثانى عشر صفر سنة ثلاث عشرة وخمسمائة ثم سار عن الحلة الى واسط وكثر جمعه وقوى الارجاف بقوته وملك مدينة واسط وخيف جانبه فتقدم الخليفة المسترشد بالله بالخلعة لولى عهده ولده ابى جعفر المنصور وعمره حينئذ اثنتا عشرة سنة فخطب له ثانى ربيع الآخر ببغداد وكتب الى البلاد بالخطبة له وارسل الى دبيس بن مزيد فى معنى الامير ابى الحسن وانه الآن قد فارق جواره ومديده الى بلاد الخليفة وما يتعلق به وامره بقصده ومعاجلته قبل قوته فارسل دبيس العساكر اليه ففارق واسط وقد تحيروا وصاروا صحابه فضلوا الطريق ووصلت عساكر دبيس فصادفوهم عند الصلح فنهبوا اثقاله وهرب الاكراد من اصحابه والاتراك وعاد الباقون الى دبيس وبقى الامير ابو الحسن فى عشرة من اصحابه وهو عطشان وبينه وبين الماء خمسة فراسخ وكان الزمان قيظا فايقن بالتلف وتبعه بدويان فاراد الهرب منهما فلم يقدر فاخذاه وقد اشتد به العطش فسقياه وحملاه الى دبيس فسيره الى بغداد وحمله الى الخليفة بعد ان بذل له عشرين الف دينار فحمل الى الدار العزيزة وكان بين خروجه عنها وعوده اليها احد عشر شهرا ولما دخل على المسترشد بالله قبل قدمه وقبله المسترشد وبكيا وانزله دارا حسنة كان هو يسكنها قبل ان يلى الخلافة وحمل اليه الخلع والتحف الكثيرة وطيب نفسه وامنه

(ذكر مسير الملك مسعود وجيوش بك الى العراق وما كان بينهما وبين البرسقى ودبيس)

فى هذه السنة فى جمادى الاولى برز البرسقى ونزل باسفل الرقة فى عسكره ومن معه وأظهر انه على قصد الحلة واجلا دبيس بن صدقة عنها وجمع دبيس جموعا كثيرة من العرب والاكراد وفرق الاموال الكثيرة والسلاح وكان الملك مسعود ابن السلطان محمد بالموصل مع اتابكه اى ابه جيوش بك فاشار عليهما جماعة ممن عندهما بقصد العراق فانه لامانع دونه فسارا فى جيوش كثيرة ومع الملك مسعود وزيره فخر الملك ابو على بن عمار صاحب طرابلس وقسيم الدولة زنكى بن آقسنقر وجد ملوكنا الآن بالموصل وكان من الشجاعة فى الغاية ومعهم أيضا صاحب سنجار وأبو الهيجاء صاحب اربل وكرياوى ابن خراسان التركمانى صاحب البوازيج فلما علم البرسقى قربهم خافهم وكان البرسقى قديما قد جعله السلطان محمد اتابك ولده مسعودا على ماذكرناه وانما كان خوفه من جيوش بك فلما قاربوا بغداد سار اليهم ليقاتلهم ويصدهم فلما علم مسعود وجيوش بك ذلك ارسلوا اليه الامير كرباوى فى الصلح وأعلمه انهم انما جاؤا نجدة له على دبيس واصطلحوا وتعاهدوا واجتمعوا ووصل مسعود الى بغداد ونزل بدار المملكة ووصلهم الخبر بوصول الامير عماد الدين منكبرس المقدم ذكره فى جيش كثير فسار البرسقى عن بغداد نحوه ليحاربه ويمنعه عنها فلما علم به منكبرس قصد النعمانية وعبر دجلة هنالك واجتمع هو ودبيس بن صدقة وكان دبيس قد خاف من الملك مسعود والبرسقى

(وفى تاسع عشرينه) وردت اخبار عن التجريدة أزعجت الباشا وهتم اهتماما عظيما وقصد الذهاب بنفسه وقيه

وانه هو المتقدم عنهم فى الخروج فى يوم الخميس واستعجل التشهيل والطلب وامر بتحرير دفتر فرضة ترويجة على اقليم المنوفية والغربية والشرقية والقليوبية وذكروا انهما من اصل حساب الشهرية المبتدعة (وفيه) تقلد حسن أغا الشماشرجى كشوفية المنوفية وأرخى لحيته على ذلك

(واستهل شهر شعبان بيوم الثلاثا سنة ١٢٢٤)

فيه تمق مشايخ الوقت عرضحال فى حق السيد عمر بامر الباشا ليرسله صحبة السلحدار وذكروا فيه سبب عزله ونفيه عن مصر وعدد له مثالب ومعايب وجنحا وذنوبا منها انه أدخل فى دفتر الاشراف أسماء أشخاص من أسلم من القبط واليهود ومنها أنه اخذ من الالفى فى السابق مبلغا من المال ليملكه مصر فى أيام فتنة احمد باشا خورشيد ومنها انه كاتب الامراء المصريين ايضا فى وقت الفتنة حين كانوا بالقرب من مصر ليحصروا على حين غفلة فى يوم قطع الخليج وحصل لهم ما حصل ونصر الله عليهم حضرة الباشا ومنها انه اراد ايقاع الفتن فى العساكر لينقض دولة الباشا ويولى خلافه ويجمع عليه طوائف المغاربة والصعائدة واخلاط العوام وغير ذلك وذلك على حد من اعان ظالما سلط عليه وكتبوا عليه

فبنى أمره على المحاجزة والملاطفة فاهدى الى مسعود هدية حسنة وللبرسقى وجيوش بك فلما وصله خبر وصول منكبرس راسله واستمالة واستحلفه واتفقا على التعاضد والتناصر واجتمعا وكل واحد منهما قوى بصاحبه فلما اجتمعا سارا الملك مسعود والبرسقى وجيوش بك ومن معهم الى المدائن للقاء دبيس ومنكبرس فلما وصلوا المدائن اتتهم الاخبار بكثرة الجمع معهما فعاد البرسقى والملك مسعود وعبرا نهر صرصر وحفظا المخاضات عليه ونهب الطائفتان السواد نهبا فاحشا نهر الملك ونهر صرصر ونهر عيسى وبعض دجيل واستباحوا النساء فارسل المسترشد بالله الى الملك مسعود والبرسقى ينكر هذه الحال ويامرهم بحقن الدماء وترك الفساد ويامر بالموادعة والمصالحة وكان الرسل سديد الدولة بن الانبارى والامام الاسعد الميهنى مدرس النظامية فانكر البرسقى ان يكون جرى منهما شئ من ذلك وأجاب الى العود الى بغداد فوصل من أخبره ان منكبرس ودبيسا قد جهزا ثلاثة آلاف فارس مع منصور اخى دبيس والامير حسين بن أزبك ربيب منكبرس وسيراه وعبر عند درزيجان ليقطعوا مخاضة عندبالى الى بغداد فخلوها من عسكر يحميها ويمنع عنها فعاد البرسقى الى بغداد وعبر الجسر لئلا يخاف الناس ولم يعلموا الخبر وخلف ابنه عز الدين مسعودا على عسكره بصرصر واستصحب معه عماد الدين زنكى بن آقسنقر فوصل الى دبالى ومنع عسكر منكبرس من العبور فاقام يومين فاتاه كتاب ابنه عز الدين مسعود يخبره ان الصلح قد استقر بين الفريقين فانكسر نشاطه حيث جرى هذا الامر ولم يعلم به وعاد نحو بغداد وعبر الى الجانب الغربى وعبر منصور وحسين فسارا فى عسكرهما خلفه فوصلوا بغداد عند نصف الليل فنزلا عند جامع السلطان وسار البرسقى الى الملك مسعود فاخذ بركه وماله وعاد الى بغداد فخيم عند القنطرة العتيقة واصعد الملك مسعود وجيوش بك فنزلا عند البيمارستان واصعد دبيس ومنكبرس فخيما تحت الرقة واقام عز الدين مسعود ابن البرسقى عند منكبرس منفردا عن أبيه وكان سبب هذا الصلح ان جيوش بك كان قد ارسل الى السلطان محمود يطلب الزيادة له وللملك مسعود فوصل كتاب الرسول من العسكر يذكر انه لقى من السلطان احسانا كثيرا وانه اقطعهم اذربيجان فلما بلغه رحيلكم الى بغداد اعتقد انكم قد عصيتم عليه فعادكما كان استقر ويقول ان السلطان قد جهز عسكرا الى الموصل فوقع الكتاب بيد منكبرس فارسله الى جيوش بك وضمن له اصلاح السلطان له وللملك مسعود وكان منكبرس متزوجا بام الملك مسعود واسمها سرجهان وكان يؤثر مصلحته لذلك واستقر الصلح وخافا من البرسقى أن يمنع منه فاتفقا على ارسال العسكر الى درزيجان لينفذ فى مقابلته البرسقى ليخلو العسكر منه ويقع الاتفاق فكان الامر فى مسيره على ما تقدم وكان البرسقى محبوبا الى اهل بغداد لحسن سيرته فيهم فلما استقر الصلح ووصلوا الى بغداد تفرق عن البرسقى اصحابه وجموعه وبطل ما كان يحدث به نفسه من التغلب على العراق بغير أمر السلطان وسار عن العراق الى الملك مسعود فاقام معه واستقر منكبرس فى شحنكية بغداد

بغداد وودعه دبيس بن صدقة وعاد الى الحلة بعد ان طالب بدار أبيه بدر بن فيروز وكانت قد دخلت في جامع القصر ببغداد فصولح عنها بمال واقام منكبرس ببغداد يظلم ويعسف الرعية ويصادرهم فاختفى ارباب الاموال وانتقل جماعة الى حريم دار الخلافة خوفا منه وبطلت معايش الناس وأكثر اصحابه الفساد حتى ان بعض اهل بغداد زفت اليه امراة تزوجها فلم يعرض اصحاب منكبرس فاتاه وكسر الباب وجرح الزوج عدة جراحات وابتنى بزوجته فكثر الدعاء عليه ليلا ونهارا واستغاث الناس لهذه الحال واغلقوا الاسواق فاخذ الجندي الى دار الخلافة فاعتقل اياما ثم اطلق وسمع السلطان بما يفعله منكبرس ببغداد فارسل اليه يستدعيه ويحثه على اللحوق به وهو يغالط ويدافع وكلما طلبه السلطان لج في جمع الاموال والمصادرات فلما علم اهل بغداد تغير السلطان عليه واستدعاه اياه طمعوا فيه فسار حينئذ منكبرس عنهم خوفا ان يثوروا به وكفى الناس شره وظهر من كان مستترا

(ذكر وفاة ملك الفرنج وما كان بين الفرنج وبين المسلمين)

في ذي الحجة من سنة احدى عشرة وخمسمائة توفي بغدوين ملك القدس وكان قد سار الى ديار مصر في جمع الفرنج قاصدا ملكها والتغلب عليها وقوي طمعه في الديار المصرية وبلغ مقابل تنيس وسبخ في النيل فانتقض جرح كان به فلما احس بالموت عاد الى القدس فمات ووصى ببلاده للقمص صاحب الرها وهو الذي كان اسره جكرمش واطلقه جاولي سقاوو واتفق ان هذا القمص كان قد سار الى القدس يزور بيعة قيامة فلما وصى اليه بالملك قبله واجتمع له القدس والرها وكان اتابك طغتكين قد سار عن دمشق لقتال الفرنج فنزل بين دير أيوب وكفر بصل بالبرموك فخفيت عنه وفاة بغدوين حتى سمع الخبر بعد ثمانية عشر يوما وبينهم نحو يومين فاتته رسل ملك الفرنج بطلب المهادنة فاقترح عليه طغتكين ترك المناصفة التي بينهم من جبل عوف والحنانة والصلت والغور فلم يجب الى ذلك واظهر القوة فسار طغتكين الى طبرية فنهبها وما حولها وسار منها نحو عسقلان وكانت للمصريين وبها عساكرهم كانوا قد سيروها لما عاد ملك القدس المتوفى عن مصر وكانوا سبعة آلاف فارس فاجتمع بهم طغتكين واعلمه المقدم عليهم ان صاحبهم تقدم اليه بالوقوف عند راي طغتكين والتصرف على ما يحكم به فاقاموا بعسقلان نحو شهرين ولم يوثروا في الفرنج أثرا فعاد طغتكين الى دمشق فاتاه الصريخ بان مائة وثلاثين فارسا من الفرنج أخذوا حصنا من اعماله يعرف بالحبس ويعرف بحصن جلدك سلمه اليهم المستحفظ به وقصدوا اذرعات فنهبوها فارسل اليهم تاج الملوك بوري بن طغتكين فانحازوا عنه الى جبل هناك فنازلهم فاتاه أبوه ونهاه عنهم فلم يفعل وطمع فيهم فلما يئس الفرنج قاتلوا قتال مستقتل فنزلوا من الجبل وحملوا على المسلمين حملة صادقة هزموهم بها واسروا وقتلوا خلقا كثيرا وعاد الفل الى دمشق على اسوا حال فسار طغتكين الى حلب وبها ايلغازي قاصدا نجدته وطلب منه التعاضد على الفرنج

بينهم محاجات ولام الاعاظم الممتنعين على الامتناع وقالوا لهم انتم لستم باورع منا وأثبت لنفسه ورعا وحصل بينهم منافسات ومخالفات ومقابحات ثم غير واصورة العرض فحال باقل من التحامل الاول وكتب عليه بعض الممتنعين وكان من الممتنعين أولا وآخرا السيد أحمد الطحطاوي الحنفي فزاد وافى التحامل عليه وخصوصا شيخ السادات والشيخ الامير وخلافهما واتفق انه دعي في وليمة عند الشيخ الشنواني بحارة خوشقدم وتاخر حضوره عنهم فصادفهم حال دخوله الى المجلس وهم خارجون فسلم عليهم ولم يصافحهم لما سبق منهم في حقه من الايذاء فتطاول عليه ابن الشيخ الامير ورفع صوته بتوبيخه وشتمه لكونه لم يقبل يد والده ويقول له في جملة كلامه اليس هو الاقليل الادب والحياء ثالث طبقة للشيخ الوالد ونحو ذلك (وفي ثالثه) سافر الباشا الى الجهة القبلية وتبعه العساكر (وفي منتصفه) خرجت الدلاة والارنؤد وباقي الاجناد والعسكر واقام الباشا كتخدا بك قائم مقامه وأقام بالقلعة (وفيه) اتفق الاشياخ والمتصدرون على عزل السيد احمد الطحطاوي من افتاء الحنفية واحضروا الشيخ حسين المنصوري وركبوا

صحبته وطلعوا به الى القلعة بعدان مهدوا القضية فالبس قاقام الشيخ حسينا فروة ثم نزلوا ثم طاف للسلام عليهم وخلعوا هم عليه ايضا خلعهم فلما بلغ الخبر السيد احمد الطحطاوى طوى الخلع التى كانوا البسوها له عند ما تقلد الافتاء بعد موت الشيخ ابراهيم الحريرى فى جمادى الاولى بقرب عهد وارسلها لهم وكان الشيخ السادات البسه حين ذاك فروة فلما ردها عليه احقد واغتاظ واخذ يسبه ويذكر مجلسائه جرمه ويقول انظروا الى هذا الخبيث كأنه يجعلنى مثل الكلب الذى يعود فى قيئه ونحو ذلك (واما السيد احمد) فانه اعتكف فى داره لا يخرج منها الا الى الشيخونية بجواره واعتزلهم وترك الخلطة بهم وتباعد عنهم وهم يبالغون فى ذمه والحط عليه لكونه لم يوافقهم فى شهادة الزور والحامل لهم على ذلك كله الحظوظ النفسانية والحسد مع ان السيد عمر كان ظلا ظليلا عليهم وعلى أهل البلدة ويدافع ويرافع عنهم وعن غيرهم ولم تقم لهم بعد خروجه من مصر راية ولم يزلوا بعده فى انحطاط وانخفاض (واما السيد عمر) فان الذى وقع له بعض ما يستحقه ومن اعان ظالما سلط عليه ولا يظلم ربك احدا (وفى ثالث عشره) سافر حسن باشا وعساكر الارنؤد وتتابعوا فى الخروج وتحدث الناس بروايات عن الباشا والامراء المصريين وصلحهم مع وان عثمان (ثم

فوعده المسير معه فبينما هو يحلب اتاه الخبر بان الفرنج قصدوا حوران من اعمال دمشق فنهبوا وقتلوا وسبوا وعادوا فاتفق رأى طغتكين وايلغازى على عود طغتكين الى دمشق وحماية بلاده وعود ايلغازى الى ماردين وجمع العساكر والاجتماع على حرب الفرنج فصالح ايلغازى من يليه من الفرنج على ما تقدم ذكره وعبر الى ماردين لجمع العساكر وكان ما نذكره سنة ثلاث عشرة ان شاء الله تعالى

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة انقطع الغيث وعدمت الغلات فى كثير من البلاد وكان اشده بالعراق فغلت الاسعار واجلى اهل السواد وتقوت الناس بالخالة وعظم الامر على اهل بغداد بما كان يفعله منكبرس بهم وفيها اسقط المسترشد بالله من الاقطاع المختص به كل جور وامر ان لا يؤخذ الا ما جرت به العادة القديمة واطلق ضمان غزل الذهب وكان صناع السقلاطون والممزج وغيرهم ممن يعمل منه يلقون شدة من العمال عليها واذى عظيما وفيها تاخر مسير الحجاج تاخرا رجف بسببه بانقطاع الحج من العراق فرتب الخليفة الامير نظر خادم امير الجيوش يمن وولاه من امر الحج ما كان يتولاه امير الجيوش واعطاه من المال ما يحتاج اليه فى طريقه وسيره فادركوا الحج وظهرت كفاية نظر وفيها وصل مركبان كبيران فيهما قوة ونجدة للفرنج بالشام فغرقا وكان الناس قد خافوا ممن فيهما وفيها وصل رسول ايلغازى صاحب حلب وماردين الى بغداد يستنفر على الفرنج ويذكر ما فعلوا بالمسلمين فى الديار الجزرية وانهم ملكوا قلعة عند الرها وقتلوا اميرها ابن عطير فسيرت الكتب بذلك الى السلطان محمود وفيها نقل المستظهر الى الرصافة وجميع من كان مدفونا بدار الخلافة وفيهم جدة المستظهر ام المقتدى وكان وفاتها بعد المستظهر ورأت البطن الرابع من اولادها وفيها كثر امر العيارين بالجانب الغربى من بغداد فعبر اليهم نائب الشحنة فى خمسين غلاما اتراكا فقاتلهم فانهزم منهم ثم عبر اليهم من الغد فى مائتى غلام فلم يظفر بهم ونهب العيارون يومئذ قطعتا وفى هذه السنة فى شعبان توفى ابو الفضل بكر بن محمد بن على بن الفضل الانصارى من ولد جابر بن عبد الله وهو من بلد بخارا وكان من أعيان الفقهاء الحنفية حافظا للمذهب وتوفى أبو طالب الحسين بن محمد بن على بن الحسن الزينبى نقيب النقباء ببغداد فى صفر واستقال من النقابة فوليها أخوه طراد وكان من أكابر الحنفية وروى الحديث الكثير وفيها فى ذى الحجة توفى أبو زكريا يحيى بن عبد الوهاب ابن منده الاصبهانى المحدث المشهور من بيت الحديث وله فيه تصانيف حسنة وفيها توفى أبو الفضل أحمد بن الخازن وكان أديبا ناظريفا له شعر حسن فمنه قوله وقد قصد زيارة صديق له فلم يره فادخله غلمانه الى بستان فى الدار وحمام فقال فى ذلك

وافيت منزله فلم ار صاحبا * الا تلقانى بوجه ضاحك
والبشر فى وجه الغلام نتيجة * لمقدمات ضياء وجه المالك
ودخلت جنته وزرت جحيمه * فشكرت رضوانا ورأفة مالك

(ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وخمسمائة)

(ذكر عصيان الملك طغرل على اخيه السلطان محمود)

كان الملك طغرل بن محمد لما توفى والده بقلعة سرجهان وكان مولده سنة ثلاث وخمسمائة فى المحرم واقطعه والده سنة اربع ساوة وآوه وزنجان وجعل أتابكه الامير شير كير الذى تقدم ذكره فى حصار قلاع الاسماعيلية فازداد ملك طغرل بما فتحه شير كير من قلاعهم فارسل اليها لسلطان محمود الامير كنتغدى ليكون اتابكاله ومدبر الامره ويحمله اليه فلما وصل اليه حسن له مخالفة أخيه وترك المجىء اليه واتفقا على ذلك وسمع السلطان محمود الخبر فارسل شرف الدين انوشروان بن خالد ومعه خلع وتحف وثلاثون الف دينار ووعد أخاه باقطاع كثير زيادة على ماله اذا قصده واجتمع به فلم تقع الاجابة الى الاجتماع وأجاب كنتغدى باننا فى طاعة السلطان واى جهة اراد قصدناها ومعنا من العساكر ما نقاوم بها من يرسم بقصده فبينما الخوض معهم فى ذلك ركب السلطان محمود من باب همذان فى عشرة آلاف فارس جريدة فى جمادى الاولى وكتم مقصده وعزم على ان يكبس أخاه والامير كنتغدى فرأى احد خواصه تركيا من أصحاب الملك طغرل فاعلم السلطان به فقبض عليه فعلم رفيق كان معه الحال فسار عشرين فرسخا فى ليلة ووصل الى الامير كنتغدى وهو سكران فايقظه بعد جهد واعلمه الحال فقصد الملك طغرل فعرفه ذلك واخذه متخفيا وقصد قلعة سميران فضلا عن الطريق الى قلعة سرجهان وكانا قد فارقاها وجمعا العساكر وكان ضلالهما هداية لهما الى السلامة فان السلطان محمودا جعل طريقه على سميران وقال انها حصنهما الذى فيه الذخائر والاموال واذا علما بوصوله اليها سارا اليها فربما صادفهما فى الطريق فسلما منه بما ظناه عطبا لهما ووصل السلطان الى العسكر فكبسه ونهبه وأخذ من خزانة اخيه ثلاثمائة الف دينار وذلك المال الذى أنفذه له وأقام السلطان محمود بزنجان وتوجه منها الى الرى ونزل طغرل من سرجهان ولحق هو وكنتغدى بكنجة وقصده أصحابه فقويت شوكته وتمكنت الوحشة بينه وبين أخيه محمود

(ذكر الحرب بين سنجر والسلطان محمود)

فى هذه السنة فى جمادى الاولى كانت حرب شديدة بين سنجر وابن أخيه السلطان محمود ونحن نذكر سياقة ذلك وقد ذكرنا سنة ثمان وخمسمائة مسير السلطان سنجر الى غزنة وفتحها وما كان منه فيها ثم عاد عنها الى خراسان فلما بلغه وفاة أخيه السلطان محمد وجلوس ولده السلطان محمود فى السلطنة وهو زوج ابنة سنجر لحقه حزن عظيم لموت أخيه وأظهر من الجزع والحزن ما لم يسمع بمثله وجلس للعزاء على الرماد واغلق البلد سبعة أيام وتقدم الى الخطباء بذكر السلطان محمد بمحاسن أعماله من قتال الباطنية واطلاق المكوس وغير ذلك وكان سنجر يلقب بناصر الدين فلما توفى أخوه محمد

طوسون باشا فتلقاه واكرمه وأرسل هو أيضا ولده الصغير الى الباشا فاكرمه ووصل الى مصر بعض نساء حريمه وحريم الامراء

(واستهل شهر رمضان بيوم الاربعاء سنة ١٢٢٤)

وفى أواخره وصل طائفة من الدلاتية من ناحية الشام ودخلوا الى مصر وهم فى حالة رثة كما حضر غيرهم وصحبتهم من المخنثين المعروفين بالخولات الذين يتكلمون بالكلام المؤنث ومعهم دفوف وطنابير (وفى أواخره) حرروا دفتر الاطيان على ضريبة واحدة عن كل فدان خمسة ريالات غير البرانى والخدم ولم يحصل فى ذلك مراجعة ولا كلام ولا مرافعة فى شئ كما وقع فى العام الماضى والذى قبله فى المراجعة بحسب الرى والشراقى وأما فى هذه السنة فليس فيها شراقى فحسابها بالمساحة الكاملة لعموم الرى فان النيل فى هذه السنة زاد زيادة مفرطة وعلا على الاعالى وتلف بزيادته المفرطة الدراوى والاقصاب بقبلى وكذلك غرق مزارع الارز والسمسم والقطن وجنائن كثيرة بالبحر الشرقى بسبب انسداد ترعة الفرعونية بتلك الناحية ولما تموا تحرير الدفاتر على النسق المطلوب والباشا بقبلى وارسل بطلبها ليطلع عليها فسافر اليه بها المعلم غالى وأخذ صحبته أحمد

وانقضى شهر رمضان

(واستهل شهر شوال بيوم الخميس سنة ١٢٢٤)

فى ثالث عشره حضر المعلم غالى واحمد افندى و بكتاش وغيرهم من غيبتهم وحضر ايضا فى اثرهم المعلم جرجس الجوهرى وقد تقدم انه خرج من مصر هاربا الى الجهة القبلية واختفى مدة ثم حضر بامان الى الباشا وقابله واكرمه ولما حضر نزل فى بيته الذى بحارة الوزديك وفرشه له المعلم غالى وقام له بجميع لوازمه وذهب الناس مسلمين ونصرانيهم وعالمهم وجاهلهم للسلام عليه (وفى يوم الثلاثاء عشرينه) وصل الباشا على حين غفلة الى مصر فى تريدة وقد وصل من أسيوط الى ناحية مصر القديمة فى ثلاثين ساعة وصحبته ابنه طوسون وبونابارته الخازندار وسليمان أغا الوكيل سابقا لا غير فركبوا جميعا متنكرين حتى وصلوا الى القلعة من ناحية الجبل وطلع من باب الجبل وعند طلوعه من السفينة أمر ملاحيها ان لا يذكروا لاحد وصوله حتى يسمعوا ضرب المدافع من القلعة ثم طلع الى سراياته ودخل الى الحريم فلم يشعروا به الا وهو بالحريم وعند ذلك أمر بضرب المدافع واشيع حضوره فركب كتخدا بك وغيره مسرعين للملاقاته ثم بلغهم طلوعه الى

تلقب بعز الدين وهو لقب ابيه ملكشاه وعزم على قصد بلد الجبل والعراق ومابيد محمود ابن أخيه فندم على قتل وزيره ابى جعفر محمد بن فخر الملك ابى المظفر بن نظام الملك وكان سبب قتله انه اوحش الامراء واستخف بهم فابغضوه وكرهوه وشكوا منه الى السلطان وهو بغزنة فاعلمهم انه يؤخر قتله وليس يمكنه فعل ذلك بغزنة وكان سنجر قد تغير على وزيره لاسباب منها انه اشار عليه بقصد غزنة فلما وصل الى بست ارسل ارسلانشاه صاحبها الى الوزير وضمن له خمسمائة الف دينار ليثنى سنجر عن قصده فاشار عليه بمصالحته والعود عنه وفعل مثل ذلك بماوراء النهر ومنها انه نقل عنه انه اخذ من غزنة اموالا جليلة عظيمة المقدار ومنها ماذكر من ايحاشه الامراء وغير هذه الاسباب فلما عاد الى بلخ قبض عليه وقتله واخذ ماله وكان له من الجواهر والاموال مالا حد عليه والذى وجد له من العين الفا الف دينار فلما قتله استوزر بعده شهاب الاسلام عبد الرزاق ابن اخى نظام الملك ويعرف بابن الفقيه الا انه لم تكن له منزلة ابن فخر الملك عند الناس فى علو المنزلة فلما اتصل به وفاة اخيه ندم على قتله لانه كان يبلغ به من الاغراض والملك مالا يبلغه بكثرة العساكر لميل الناس اليه ومحله عندهم ثم ان السلطان محمودا أرسل الى عمه سنجر شرف الدين انوشروان بن خالد وفخر الدين طغايرك بن اليزن ومعهما الهدايا والتحف وبذل له التنزول عن مازندران وحمل مائتى الف دينار كل سنة فوصلا اليه وابلغاه الرسالة فتجهز للسير الى الرى فاشار عليه شرف الدين انوشروان بترك القتال والحرب فكان جوابه فى ذلك ان ولد اخى صبى وقد تحكم عليه وزيره والحاجب على فلما سمع السلطان محمود بسير عمه نحوه ووصول الامير انز فى مقدمته الى جرجان تقدم الى الامير على بن عمر وهو امير حاجب السلطان محمد وبعده صار أمير حاجب السلطان محمود بالمسير وضمن له جمعا كثيرا من العساكر والامراء فاجتمع وافى عشرة آلاف فارس فساروا الى ان قاربوا مقدمة سنجر التى عليها الامير انز فراسله الامير على بن عمر يعرفه وصية السلطان محمد بتعظيم سنجر والرجوع الى امره ونهيه والقبول منه وانه ظن ان سنجر يحفظ السلطنة على ولده السلطان محمود وأخذ عليه بذلك العهود فليس لنا ان نخالفه وحيث جئتم الى بلادنا لا نحتمل ذلك ولا نغضى عليه وقد علمت ان معك خمسة آلاف فارس فانا أرسل اليك أقل منهم لتعلم انكم لا تقاومونا ولا تقوون بنا فلما سمع الامير انز ذلك عاد عن جرجان ولحقه بعض عسكر السلطان محمود فاخذوا قطعة من سواده وأسروا عدة من أصحابه وكان السلطان محمود قد وصل الى الرى وهو بها وعاد الامير على بن عمر اليه فشكره على فعله واثنى عليه وعلى عسكره الذين معه وأشير على السلطان محمود بملازمة الرى والمقام بها وقيل ان عساكر خراسان اذا علموا بمقامك فيها لا يفارقون حدودهم ولا يتعدونها فلم يقبل ذلك وضجر من المقام وسار الى جرجان ووصل السلطان محمودا الامير منكبرس من العراق فى عشرة آلاف فارس والامير منصور بن صدقة أخو دبيس والامراء البكجية وغيرهم وسار محمود الى همذان وتوفى بها وزيره الربيب واستوزر أباطالب الميرمحى وبلغه وصول عمه سنجر

القلعة فرجعوا على أثره وكان الخواجا محمود حسن البزدجان خرج للافاته قبل وصوله بثلاثة أيام الى ناحية الآثار

الى الرى فسار نحوه قاصدا قتاله فالتقيا بالقرب من ساوة ثانى جمادى الاولى من السنة وكان عسكر السلطان محمود قد عرفوا المفازة التى بين يدى عسكر سنجر وهى ثمانية ايام فسبقوهم الى الماء وملكوه عليهم وكان العسكر الخراسانى فى عشرين الفا ومعهم ثمانية عشر فيلا اسم كبيرها باذهو ومن الامراء الكبار ولد الامير ابى الفضل صاحب سجستان وخوارزم شاه محمد والامير انز والامير قماج واتصل به علاء الدولة كرشاسف بن فرامرز بن كاكويه صاحب يزد وهو صهر السلطان محمد وسنجر على اختهما وكان أخص الناس بالسلطان محمد فلما تولى السلطان محمود تأخر عنه فاقطع بلده لقراجة الساقى الذى صار صاحب بلاد فارس فسار حينئذ علاء الدولة الى سنجر وهو من ملوك الديلم وعرف سنجر الاحوال والطريق الى قصد البلاد وما فعله الامراء من اخذ الاموال وما هم عليه من اختلاف الاهواء وحسن قصد البلاد وكان عسكر السلطان محمود ثلاثين الفا ومن الامراء الكبار الامير على بن عمر امير حاجب والامير منكبرس واتابكه غزغلى وبنو برسق وسنقر البخارى وقراجة الساقى ومعه تسعمائة جمل من السلاح واستهان عسكر محمود بعسكر عمه بكثرتهم وشجاعتهم وكثرة خيلهم فلما التقوا ضعفت نفوس الخراسانية لما رأوا هذا العسكر من القوة والكثرة فانهزمت ميمنة سنجر وميسرته واختلط اصحابه واضطرب امرهم وساروا منهزمين لا يلوون على شئ وتهب من اثقالهم شئ كثير وقتل أهل السواد كثيرا منهم ووقف سنجر بين الفيلة فى جمع من اصحابه وبازائه السلطان محمود ومعه اتابكه غزغلى فالجأت سنجر الضرورة عند تعاظم الخطب عليه ان يقدم الفيلة للحرب وكان من بقى معه قد اشاروا عليه بالهزيمة فقال اما النصر أو القتل واما الهزيمة فلا فلما تقدمت الفيلة ورآها خيل محمود تراجعت باصحابها على اعقابها فاشفق سنجر على السلطان محمود فى تلك الحال وقال لاصحابه لا تفزعوا الصبى بحملات الفيلة فكفوها عنهم وانهزم السلطان محمود ومن معه فى القلب وأسر اتابكه غزغلى فكان يكاتب السلطان ويعده انه يحمل اليه ابن أخيه فعاتبه على ذلك فاعتذر بالعجز فقتله وكان ظالما قد بالغ فى ظلم أهل همذان فجعل الله عقوبته ولما تم النصر والظفر للسلطان سنجر ارسل من أعاد المنهزمين من أصحابه اليه ووصل الخبر الى بغداد فى عشرة أيام فارسل الامير دبيس بن صدقة الى المسترشد بالله فى الخطبة للسلطان سنجر فخطب له فى السادس والعشرين من جمادى الاولى وقطعت خطبة السلطان محمود واما السلطان محمود فانه سار من الكسرة الى اصبهان ومعه وزيره ابو طالب السميرمى والامير على بن عمر وقراجة واما سنجر فانه سار الى همذان فرأى قلة عسكره واجتماع العساكر على ابن اخيه فراسله فى الصلح وكانت والدته تشير عليه بذلك وتقول قد استوليت على غزنة واعمالها وما وراء النهر وملكت مالا حد عليه وقررت الجميع على اصحابه فاجعل ولد اخيك كاحدهم وكانت والدة سنجر هى جدة السلطان محمود فاجاب الى قولها ثم كثرت العساكر عند سنجر منهم البرسقى وكان عند الملك مسعود بن بيجان من حين خروجه عن بغداد الى هذه الغاية

وأخرج معه مطابخ واغناما واستعد لقدومه استعدادا زائدا وذهب تعبه فى الفارغ البطال ثم بعد وصول الباشا بثلاثة أيام وصلت طوائف العسكر وعظائمهم ومعهم المنهوبات من الغلال والاغنام والغنم والحطب والقلل وأنواع التمر وغير ذلك حتى أخشاب الدور وابوابها (وفى يوم الاثنين) وصل حسن باشا وطوائف الاردو وصالح قوج والدلاة والترك ووصل أيضا شاهين بك الالفى وصحبته محمد بك المنفوخ المرادى ومحمد بك الابراهيمى وهم الذين حضروا فى هذه المرة من الخالفين وقيل ان البواقى اخذوا مهلة لبعد التخضير واما ابراهيم بك تابع الاشقر ومحمد اغا تابع مراد بك الصغير وصحبتهما عساكر فذهبا الى ناحية السويس بسبب وصول طائفة من العربان قالوا انهم من التابعة للوهابيين حضروا واقاموا عند بئر الماء ومنعوا السقيا منها

* (واستهل شهر ذى القعدة بيوم السبت سنة ١٢٢٤) *

فيه حضر ابراهيم بك ابن الباشا وباقى العسكر وسكنوا الدور وازعجوا الناس واخرجوهم من مساكنهم ومنازلهم ببولاق ومصر وغيرهما

واتفق ان بعض ذوى المكر من العسكر عند ما أراد السفر الى جهة قبلى أرسل لصاحب

فيها وسامحنى وأبرئ ذمتى فربما انى أموت ولا ارجع ولان الكثير منهم تولى المناصب والامريات بالجهة القبلية وعندما يتسلم صاحب الدار داره يفرح بخلاصها ويشرع فى عمارتها واعادة ماتهدم منها فيكلف نفسه ولو بالدين ويعمرها فاها والا أن تم العمارة والمرمة فى مدة غيبتهم فما يشعر الا وصاحبه داخل عليه بحصانه وجله وخدمه فما يسع الشخص الا الرحيلة ويتركها الغريمه وقد وقع ذلك الكثير من الناس المغفلين (وفيه) وصلت أخبار بان عمارة الفرنساوية نزلت الى البحر وعدة مراكبهم مائتان وسبعة عشر مركبا بحار بين لا يعلم قصدهم أى جهة من الجهات وحضر ثلاثة أشخاص من الطرطر المعدين لتوصيل الاخبار وبيدهم مرسوم مضمونه الامر بالتحفظ على الثغور فعند ذلك أمر الباشا بالاستعداد وخروج العساكر الى الثغور (وفى يوم السبت) ثامنه سافر جملة من العسكر الى ناحية بحرى فسافر كبيرهم ومعه جملة من العسكر الى سكندرية وكذلك سافر خلافه الى رشيد والى دمياط وأبى قير والبرلس (وفى ليلة الاثنين ثامن عشره) ركب الباشا الليلا وخرج مسافرا الى السويس ليكشف على قلاع القلزم وقام له بالاحتياجات من احمال واستخير

(ذكر غزاة ايلغازى بلاد الفرنج)

فى هذه السنة سار الفرنج من بلادهم الى نواحى حلب فخربوا بزاعة وغيرها واخربوا بلد حلب ونازلوها ولم يكن بحلب من الذخائر ما يكفيها شهرا واحدا وخافوهم اهلها خوفا شديدا ولو مكنوا من القتال لم يبق بها احد لكنهم منعوا من ذلك وصانعوا الفرنج اهل حلب على ان يقاسموهم على املاكهم التى بباب حلب فارسل اهل البلد الى بغداد يستغيثون ويطلبون النجدة فلم يغاثوا وكان الامير ايلغازى صاحب حلب ببلد ماردين يجمع العساكر والمتطوعة للغزاة فاجتمع عليه نحو عشرين الفا وكان معه اسامة بن المبارك بن شبل الكلابى والامير طغان ارسلان بن المكر صاحب بدليس وارزن وسار بهم الى الشام عازما على قتال الفرنج فلما علم الفرنج قوة عزمهم على لقائهم وكانوا ثلاثة آلاف فارس وتسعة آلاف راجل ساروا فنزلوا قريبا من الاثارب بموضع يقال له تل عفرين بين جبال ليس لها طريق الا من ثلاث جهات وفى هذا الموضع قتل شرف الدولة مسلم بن قريش وظن الفرنج ان أحدا لا يسلك اليهم لضيق الطريق فاخلدوا الى المطاولة وكانت عادتهم اذا رأوا قوة من المسلمين وراسلوا ايلغازى يقولون له لا تتعب نفسك بالمسير الينا فنحن واصلون اليك فاعلم أصحابه بما قالوه واستشارهم فيما يفعل فاشاروا بالركوب من وقته وقصدهم ففعل ذلك وسار اليهم ودخل الناس من الطرق الثلاثة ولم تعتقد الفرنج ان أحدا يقدم عليهم لصعوبة المسالك اليهم فلم يشعروا الا وأوائل المسلمين قد غشيتهم فحمل الفرنج حملة منكرة فولوا منهزمين فلقوا باقى العسكر متتابعة فعادوا معهم وجرى بينهم حرب شديدة واحاطوا بالفرنج من جميع جهاتهم وأخذهم السيف من سائر نواحيهم فلم يفلت منهم غير نفر يسير وقتل الجميع وأسروا وكان فى جملة الاسرى نيف وسبعون فارسا من مقدميهم وحملوا الى حلب فبذلوا فى نفوسهم ثلثمائة ألف دينار فلم يقبل منهم وغنم المسلمون منهم الغنائم الكثيرة وأما سير جال صاحب انطاكية فانه قتل وحمل رأسه وكانت الوقعة منتصف شهر ربيع الاول فيما مدح به ايلغازى فى هذه الوقعة قول العظيمى

قل ما تشاء فقولك المقبول * وعليك بعد الخالق التعويل

واستبشر القرآن حين نصرته * وبكى لفقد رجاله الانجيل

ثم تجمع من سلم من المعركة مع غيرهم فلقيهم ايلغازى أيضا فهزمهم وفتح منهم حصن الاثارب وزردنا وعاد الى حلب وقرر أمرها واصلح حالها ثم عبر الفرات الى ماردين

* (ذكر وقعة أخرى مع الفرنج)

في هذه السنة سار جوسلين صاحب تل باشر في جمع من الفرنج نحو مائتي فارس من طبريه فكبس طائفة من طيئ يعرفون ببني خالد فاخذهم واخذ غنائمهم وسالهم عن بقية قومهم من بني ربيعة فاخبروه انهم من وراء الحزن بوادي السلالة بين دمشق وطبريه فقدم جوسلين مائة وخمسين فارسا من أصحابه وسار هو في خمسين فارسا على طريق آخر واعدهم الصبح ليكبسوا بني ربيعة فوصلهم الخبر بذلك فاراد والرحيل فمنعهم أميرهم من بني ربيعة وكانوا في مائة وخمسين فارسا فوصلهم المائة وخمسون من الفرنج معتقدين ان جوسلين قد سبقهم اوسيدركهم فاضل الطريق وتساوت العدتان فاقتتلوا وطعنت العرب خيولهم فجعلوا أكثرهم رجالة وظهر من أميرهم شجاعة وحسن تدبير وجودة رأى فقتل من الفرنج سبعون وأسر اثنا عشر من مقدميهم بذل كل واحد في فداء نفسه مالا جزيلا وعدة من الاسرى وأما جوسلين فانه ضل في الطريق وبلغه خبر الوقعة فسار الى طرابلس فجمع بها جمعا وسرى الى عسقلان فاغار على بلدها فهزمه المسلمون هناك فعاد مفلولا

* (ذكر قتل منكوبرس)

في هذه السنة قتل الامير منكوبرس الذي كان شحنة بغداد وقد تقدم حاله وكان سبب قتله انه لما انهزم مع السلطان محمود وعاد الى بغداد ذهب عدته واضمحل من طريق خراسان واراد دخول بغداد فسير اليه دبيس بن صدقة من منعه فعاد وقد استقر الصلح بين السلطانين سنجر ومحمود فقصد السلطان سنجر فدخل اليه ومعه سيف وكفن فقال له انا لا أؤاخذ احدا وسلمه الى السلطان محمود وقال هذا عملوكك فاصنع به ما تريد فاخذه وكان في نفسه منه غيظ شديد لاسباب منها انه لما توفي السلطان محمد أخذ سريته والدة الملك مسعود قهرا قبل انقضاء عدتها ومنها جرأته عليه واستبداده بالامور دونه ومسيره الى شحنكية بغداد والسلطان كاره لذلك لكنه لم يقدر على منعه ومنها ما فعله بالعراق من الظلم الى غير ذلك فقتله صبرا وأراح العباد والبلاد من شره

* (ذكر قتل الامير علي بن عمر)

في هذه السنة أيضا قتل الامير علي بن عمر حاجب السلطان محمد وكان قد صار اكبر امير مع السلطان محمود وانقادت العساكر له فحسده الامراء وأفسدوا حاله مع السلطان محمود وحسنوا له قتله فعلم فهرب الى قلعة برجين وهي بين برزجرد وكرج وكان بها اهله وماله وسار منها في مائتي فارس الى خوزستان وكانت بيد أقبوري بن برسق

حضر الباشا من السويس وكان وصوله ليلا وطلع الى القلعة

* (واستهل شهر ذي الحجة يوم الاحد سنة ١٢٢٤) * فيه شرع الباشا في انشاء مراكب بحر القلزم فطلب الاخشاب الصالحة لذلك وارسل المعينين لقطع أشجار التوت والنبق من القطر المصري القبلي والبحري وغيرها من الاخشاب المجلوبة من الروم وجعل بساحل بولاق ترسخانه وورشات وجمعوا الصناع والنجارين والنشارين فهيؤها وتحمل اخشابا على الجمال ويركبها الصناع بالسويس سفينة ثم يقلفطونها ويبيضونها ويلقونها في البحر فعملوا اربع سفائن كبار احداها تسمى الابريق وخلاف ذلك داوات تحمل السفار والبضائع (ومن الحوادث) في آخره ان امراة ذهبت الى عرصة الغلة بباب الشعرية واشترت حنطة ودفعت في ثمنها قروشا فلما ذهبت نظروها ونقدوها فاذا هي من عمل الزغلية ثم عادت بعد ايام فاشترت الغلة ودفعت الثمن قروشا ايضا فذهب البائع معها الى الصيرفي فوجدها مزغولة مثل الاولى فعلموا انها الغريمة

فقال لها الصيرفي من اين لك هذا فقالت من زوجي فقبضوا عليها واتوا بها الى الاغا فسالها الاغا عن زوجها فقالت هو

فقال انا اخذتها من فلان تابع الشيخ الشرقاوى فانفعل الشيخ وقال ان يكن هو ابنى فانا برىء منه وطلبوه فتغيب واختفى واخذ الاغا المرأة وزوجها وقررهما فاقر الرجل وعرف عن عدة اشخاص يفعلون ذلك وفيهم من مجاورى الازهر فلم يزل يتجسس ويتفحص ويستدل على البعض بالبعض وقبض على اشخاص ومعهم العدد والآلات وحبسهم ايضا بالقلعة عند كتخدا بك وفر ناس من مجاورى الازهر من مصر لما قام بهم من الوهم وفى كل يوم يشاع التهويل والتعريس للمقبوض عليهم وقتلهم ولم يزل الاغا يتجسس حتى جمع اثنى عشرة عدة وارسلوها الى بيت محمد افندى ناظر المهمات وسالوا الحدادين عمن اصطنع هذه العدد منكم فانكروا وجحدوا وقالوا هذا من صناعة الشام ثم كسروها وابطلوها وطال امر المحبوسين والتفحص عن غيرهم فكان بعض المقبوض عليهم يعرف عن غيره او شريكه فكانت هذه الحادثة من اشنع الحوادث خصوصا بنسبتها لخطة الازهر فكان كل من اشترى شيئا ودفع الثمن للبائع قروشا ذهب بها الى الصيرفى لان فى ذلك الوقت لم يكن موجودا بايدى الناس خلافها وكانوا يقولون فى ذهابهم الى الصيرفى وكان

وابنى أخويه أرغلى بن يلبكى وهندو بن زنكى فارسل اليهم وأخذهم ودهم بامانه وحمايته فلما سار اليهم أرسلوا عسكرا منعوه من قصدهم فلقوه على ستة فراسخ من تستر فاقتتلوا فانهزم هو واصحابه فوقف به فرسه فانتقل الى غيره فتشبث ذيله بسرجه الاول فازاله فعاود التعلق فابطا فادركوه واسروه وكاتبوا السلطان محمود فى امره فامرهم بقتله فقتل وحمل راسه اليه

(ذكر الفتنة بين المرابطين واهل قرطبة)

فى هذه السنة وقيل سنة اربع عشرة كانت فتنة بين عسكر امير المسلمين على بن يوسف وبين اهل قرطبة وسببها ان امير المسلمين استعمل عليها ابا بكر يحيى بن رواد فلما كان يوم الاضحى خرج الناس متفرجين فدعبد من عبيد ابى بكر بدابة الى امراة فامسكها فاستغاثت بالمسلمين فاغاثوها فوقع بين العبيد واهل البلد فتنة عظيمة ودامت جميع النهار والحرب بينهم قائمة على ساق قادركهم الليل فتفرقوا فوصل الخبر الى الامير ابى بكر فاجتمع اليه الفقهاء والاعيان فقالوا المصلحة ان تقتل واحدا من العبيد الذين اثاروا الفتنة فانكر ذلك وغضب منه واصبح من الغد واظهر السلاح والعدد يريد قتال اهل البلد فركب الفقهاء والاعيان والشبان من اهل البلد وقاتلوه فهزموه وتحصن بالقصر فحصروه وتسلقوا اليه فهرب منهم بعد مشقة وتعب فنهبوا القصر واحرقوا جميع دور المرابطين ونهبوا اموالهم واخرجوهم من البلد على اقبح صورة واتصل الخبر بامير المسلمين فكره ذلك واستعظمه وجمع العساكر من صنهاجة وزناتة والبربر وغيرهم فاجتمع له منهم جمع عظيم فعبر اليهم سنة خمس عشرة وخمسمائة وحصر مدينة قرطبة فقاتله اهلها فقتل من يريد ان يحمى دمه وحريمه وماله فلما راى امير المسلمين شدة قتالهم دخل السفراء بينهم وسعوا فى الصلح فاجابهم الى ذلك على ان يغرم اهل قرطبة المرابطين ما نهبوه من اموالهم واستقرت القاعدة على ذلك وعاد عن قتالهم

(ذكر ملك على بن سكمان البصرة)

فى هذه السنة استولى على بن سكمان على البصرة وسبب ذلك ان السلطان محمدا كان قد اقطع البصرة الامير آقسنقر البخارى فاستخلف بها نائبا يعرف بسنقر البياتى فاحسن السيرة الى حد ان الماء بالبصرة ملح فاقام سقاء وجرارا للضعفاء والسابلة تحمل لهم الماء العذب فلما توفى السلطان محمد عزم هذا الامير سنقر على القبض على امير اسمه غزغلى مقدم الاتراك الاسماعيلية وهو مذكور وج بالناس على البصرة عدة سنين وعلى امير آخر اسمه سنقر الب وهو مقدم الاتراك البلدقية فاجتمعا عليه وقبضاه وقيداه واخذا القلعة وما وجداه له ثم ان سنقر الب اراد قتله فمنعه غزغلى فلم يقبل منه فلما قتله وثب غزغلى على سنقر الب فقتله ونادى فى الناس بالسكون واطمانوا وكان امير الحاج من البصرة هذه السنة امير اسمه على بن سكمان احد الامراء البلدقية

وكان فى نفس غزغلى عليه حقد حيث تم الحج على يده ولانه خاف أن ياخذ بثار سنقر الب اذهو مقدم البلدقية فارسل غزغلى الى عرب البرية يامرهم بقصد الحجاج ونهبهم فطمعوا بذلك وقصدوا الحجاج فقاتلوهم وحماهم ابن سكمان وأبلى بلاء حسنا وجعل يقاتلهم وهو وسائر نحو البصرة الى ان بقى بينه وبين البصرة يومان فارسل اليه غزغلى يمنعه من قصد البصرة فقصد العوفى أسفل دجلة هذا والعرب يقاتلونه فلما وصل الى العوفى حمل على العرب حملة صادقة فهزمهم وسار غزغلى الى على بن سكمان فى عدد كثير وكان على فى قلة فتحاربوا واقتتلت الطائفتان فاصابت فرس غزغلى نشابة فسقط وقتل وسار على الى البصرة فدخلها وملك القلعة واقر عمال آقسنقر البخارى ونوابه وكاتبه بالطاعة وكان عند السلطان وساله ان يكون نائبا عنه بالبصرة فلم يجبه آقسنقر الى ذلك فطرد حينئذ نواب آقسنقر واستولى على البلد وتصرف تصرف الاصحاب مستبدا واستقر فيه واحسن السيرة الى سنة اربع عشرة فسير السلطان محمود الامير آقسنقر البخارى فى عسكر الى البصرة فاخذها من على بن سكمان

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة امر السلطان سنجر باعادة مجاهد الدين بهروز الى شحنكية العراق وكان بها نائب دبيس بن صدقة فعزل عنها وفيها فى ربيع الاول توفى الوزير رئيس الدولة وزير السلطان محمود ووزر بعده الكمال السميرمى وكان ولد رئيس الدولة وزير المسترشد فعزل واستعمل بعده عميد الدولة أبو على بن صدقة ولقب جلال الدين وهذا الوزير وهم الوزير جلال الدين ابى الرضا صدقة الذى وزر للراشد والاتبك زنكى على ماذكره وفيها ظهر قبر ابراهيم الخليل وقبور ولديه اسحق ويعقوب عليهم السلام بالقرب من البيت المقدس ورآهم كثير من الناس لم تبل اجسادهم وعندهم فى المغارة قناديل من ذهب وفضة هكذا ذكره حمزة بن اسد التميمى فى تاريخه والله أعلم وفيها فى المحرم توفى قاضى القضاة ابو الحسن على بن محمد الدامغانى ومولده فى رجب سنة تسع واربعين واربعمائة وولى القضاء بباب الطاق من بغداد الى الموصل وله من العمر ست وعشرون سنة وهذا شئ لم يكن لغيره ولما توفى ولى قضاء القضاة الاكمل ابو القاسم على بن ابى طالب الحسين بن محمد الزينبى وخلع عليه ثالث صفر وفيها هدم تاج الخليفة على دجلة للخوف من انهدامه وهذا التاج بناه امير المؤمنين المكتفى بعد سنة تسعين ومائتين وفيها تاخر الحج فاستغاث الناس وارادوا كسر المنبر بجامع القصر فارسل الخليفة الى دبيس ابن صدقة ليساعد الامير نظر على تسيير الحاج فاجاب الى ذلك وكان خروجهم من بغداد ثانى عشر ذى القعدة ووالت عليهم الامطار الى الكوفة وفيها أرسل دبيس بن صدقة القاضى أبا جعفر عبد الواحد بن أحمد الثقفى قاضى الكوفة الى ايلغازى بن ارتق بماردين يخطب ابنته فزوجها منه ايلغازى وحملها الثقفى معه الى الحلة واجتاز بالموصل وفيها فى جمادى الاولى توفى ابو الوفاء على بن عقيل بن محمد بن عقيل شيخ الحنابلة فى وقته ببغداد وكان حسن المناظرة سريع الخاطر وكان قد اشتغل بمذهب المعتزلة فى حداثته

احداث بدعة المكس على النشوق وذلك ان بعض المتصدرين من نصارى الاروام انهى الى كنخدا بك امر النشوق وكثرة المستعملين له والدقاقين والباعة وانه اذا جمعت دقاقوه وصناعه فى مكان واحد ويجعل عليهم مقادير يلتزم به ويضبط رجاله وجمع ماله وايصاله الى الخزينة من يكون ناظرا وقيما عليه كغيره من اقلام المكوس التى يعبرون عنها بالجمارك فانه يتحصل من ذلك مال له صورة فلما سمع كنخدا بك ذلك انهاه الى مخدومه فامر فى الحال بكتابة فرمان بذلك واختار الذى جعلوه ناظرا على ذلك خانا بخلة بين الصورين ونادوا على جميع صناع النشوق وجمعوهم بذلك الخان ومنعوهم من جلوسهم بالاسواق والخطط المتفرقة والقيم على ذلك يشترى الدخان المعد لذلك من تجاره بثمن معلوم حدده لا يزيد على ذلك ولا يشتريه سواه وهو يبيعه على صناع النشوق بثمن حدده ولا ينقص عنه ومن وجده باع شيئا من الدخان او اشتراه او سحق نشوقا خارجا عن ذلك الخان ولو لخاصة نفسه قبضوا عليه وعاقبوه وغرموه مالا وعينوا معينين بجميع القرى والبلدان القبلية والبحرية ومعهم من ذلك الدخان فياتون الى

على أبي الوليد فاراد الحنابلة قتله فاستجار بباب المراتب عدة سنين ثم اظهر التوبة حتى تمكن من الظهور وله مصنفات من جملتها كتاب الفنون

(ثم دخلت سنة اربع عشرة وخمسمائة)

(ذكر عصيان الملك مسعود على اخيه السلطان محمود والحرب بينهما)

في هذه السنة في ربيع الاول كان المصاف بين السلطان محمود واخيه الملك مسعود ومسعود حينئذ له الموصل واذربيجان وكان سبب ذلك ان دبيس بن صدقة كان يكاتب جيوش بك أتابك مسعود يحثه على طلب السلطنة للملك مسعود ويعده المساعدة وكان غرضه ان يختلفوا فينال من الجاه وعلو المنزلة ما ناله أبوه باختلاف السلطانين بركيارق ومحمد ابني ملكشاه على ما ذكرناه وكان قسيم الدولة البرسقي أتابك الملك مسعود قد فارق شحنكية بغداد وقد اقطعه مسعود مراغة مضافة الى الرحبة وبينه وبين دبيس عداوة محكمة فكاتب دبيس جيوش بك يشير عليه بقبض البرسقي وينسبه الى الميل الى السلطان محمود ويبذل له مالا كثيرا على قبضه ففعل البرسقي ذلك ففارقهم الى السلطان محمود فاكرمه واعلى محله وزاد في تقديمه واتصل الاستاذ أبو اسمعيل الحسين بن علي الاصبهاني الطغرائي بالملك مسعود فكان ولده أبو المؤيد محمد ابن أبي اسمعيل يكتب الطغرا مع الملك فلما وصل والده استوزره مسعود بعد ان عزل أبا علي بن عمار صاحب طرابلس سنة ثلاث عشرة بباب خوى فحسن لما كان دبيس يكاتب به من مخالفة السلطان محمود والخروج عن طاعته وظهر ما هم عليه من ذلك فبلغ السلطان محمودا الخبر فكتب اليهم يخوفهم ان خالفوه ويعدهم الاحسان ان اقاموا على طاعته وموافقته فلم يصغوا الى قوله واظهروا ما كانوا عليه وما يسرونه وخطبوا للملك مسعود بالسلطنة وضربوا له النوب الخمس وكان ذلك على تفرق من عساكر السلطان محمود فقوى طمعهم واسرعوا السير اليه ليلقوه وهو مخف من العساكر فاجتمع اليه خمسة عشر الفا فسار ايضا اليهم فالتقوا عند عقبة اسدا باذ منتصف ربيع الاول واقتتلوا من بكرة الى آخر النهار وكان البرسقي في مقدمة السلطان محمود وابلى يومئذ بلاء حسنا فانهزم عسكر الملك مسعود آخر النهار واسر منهم جماعة كثيرة من اعيانهم ومقدميهم واسر الاستاذ ابو اسمعيل وزير مسعود فامر السلطان بقتله وقال قد ثبت عندي فساد دينه واعتقاده فكانت وزارته سنة وشهرا وقد جاوز ستين سنة وكان حسن الكتابة والشعر يميل الى صنعة الكيميا وله فيها تصانيف قد ضيعت من الناس اما والا لاتحصى واما الملك مسعود فانه لما انهزم اصحابه وتفرقوا قصد جبلا بينه وبين الوقعة اثنا عشر فرسخا فاختفى فيه ومعه غلمان صغار فارسل ركابيه عثمان الى اخيه يطلب له الامان فسار الى السلطان محمود واعلمه حال اخيه مسعود فرق له وبذل له الامان وامر آقسنقر البرسقي بالمسير اليه وتطييب قلبه واعلامه بعفوه عنه واحضاره فكان مسعود بعد ان ارسل يطلب الامان قد وصل بعض الامراء اليه وحسن له اللحاق

القرية ويطلبون مشايخها ويعطونهم قدر اموزونا ويلزمونهم بالثمن المعين بالمرسوم الذي بيدهم فيقول اهل القرية نحن لا نستعمل الفشوق ولا نعرفه ولا يوجد عندنا من يصنعه وليس لنا به حاجة ولا نشتريه ولا ناخذه فيقال لهم ان لم تاخذوه فهاتوا ثمنه فان اخذوه اولم ياخذوه فهم ملزومون بدفع القدر المعين المرسوم ثم كراه طريق المعينين وكلفتهم وعليق دوابهم (ومنها) ايضا النطرون فرقوه وفرضوه على القرى محتجين ايضا باحتياج الحياكة والقزازين اليه لغسل غزل السكتان وبياض قماشه ونحو ذلك واشنع من ذلك كله انهم اراد وا فعل مثل هذا في الشراب المسكر المعروف بالعرقي والزام اهل القرى باخذه ودفع ثمنه ان اخذوه اولم ياخذوه فقيل لهم في ذلك فقالوا ان شربه يقوي ابدانهم على اعمال الزرع والزراعة والحرث والكد في القطوة والنطالة والسنادوف ثم بطل ذلك (ومنها) ان الباشا شرع في عمل زلاقة تجاه باب القلعة المعروف بباب الجبل موصلة الى اعلى الجبل المقطم فجمعوا البنائين والنجارين والفعلة للعمل وحرقوا عدة قريات للجير بجانب العمارة وطواحين للجير وينودي بالمدينة على البنائين والفعلة بان لا يشتغلوا في عمارة احد من الناس كائنا من كان ويجتمع الجميع في عمارة الباشا بالقلعة والجبل الى ان تكمل عملها

بالموصل وكانت له ومعها اذربيجان واشار عليه بمكاتبة دبيس بن صدقة ليجتمع به ويكثر جمعه ويعاود طلب السلطنة فسار معه من مكانه ووصل البرسقي فلم يره فاخبر بمسيره فسار في اثره وعزم على طلبه ولو الى الموصل وجد في السير فادركه على ثلاثين فرسخا من مكانه ذلك وعرفه عفو اخيه عنه وضمن له ما أراد واعاده الى العسكر فامر السلطان محمود العساكر باستقباله وتعظيمه ففعلوا ذلك وأمر السلطان ان ينزل عند والدته وجلس له واحضره واعتنقا وبكيا وانعطف عليه محمود ووفى له بما بذله وخلطه بنفسه في كل افعاله فعد ذلك من مكارم محمود وكانت الخطبة بالسلطنة لمسعود باذربيجان وبلد الموصل والجزيرة ثمانية وعشرين يوما واما اتابكه جيوش بك فانه سار الى عقبة اسادا باذوانتظر الملك مسعودا فلم يره وانتظره بكان آخر فلم يصل اليه فلما ايس منه سار الى الموصل ونزل بظاهرها وجمع الغلات من السواد اليها واجتمع اليه عسكره فلما سمع بما فعله السلطان مع أخيه وانه عنده علم انه لا مقام له على هذا الحال فسار كانه يريد الصيد فوصل الى الزاب وقال لمن معه انني قد عزمت على قصد السلطان محمود وأخاطر بنفسي فسار اليه فوصل وهو بهمذان ودخل اليه فطيب قلبه وأمنه واحسن اليه واما دبيس فانه كان بالعراق فلما بلغه خبر انهزام الملك مسعود ذهب البلاد واخربها وفعل فيها الافاعيل القبيحة الى ان اتاه رسول السلطان محمود وطيب قلبه فلم يلتفت

(ذكر حال دبيس وما كان منه)

لما كان منه ببغداد وسوادها من النهب والقتل والفساد ما لم يجر مثله ارسل اليه الخليفة المسترشد بالله رسالة ينكر عليه ويامره بالكف فلم يفعل فارسل اليه السلطان وطيب قلبه وأمره بمنع أصحابه عن الفساد فلم يقبل وسار بنفسه الى بغداد وضرب سرادقه بازاء دار الخلافة واظهر الضغائن التي في نفسه وكيف طيف براس ابيه وتهدد الخليفة وقال انك ارسلت تستدعي السلطان فان اعدتموه والا فعلت وصنعت فاعيد جواب رسالته ان عود السلطان وقد سار عن همذان غير ممكن ولكنا نصلح حالك معه وكان الرسول شيخ الشيوخ اسمعيل فكف على ان تسير الرسل في الاتفاق بينه وبين السلطان وعاد عن بغداد في رجب ووصل السلطان في رجب الى بغداد فارسل دبيس زوجته ابنة عميد الدولة بن جهير اليه ومعها مال كثير وهدية نفيسة وسال الصفح عنه فاجيب الى ذلك على قاعدة امتنع منها ولزم لجاجه ونهب جشير للسلطان فسار السلطان عن بغداد في شوال الى قصد دبيس بالحلة واستصحب الف سفينة ليعبر فيها فلما علم دبيس مسير السلطان ارسل يطلب الامان فامنه وكان قصده ان يغالطه ليتجهز فارسل نساءه الى البطيحة واخذ امواله وسار عن الحلة بعد ان نهبها الى ايلغازي ملتجئا اليه ووصل السلطان الى الحلة فلم ير احدا فبات بها ليلة واحدة وعاد واقام دبيس عند ايلغازي وتردد معه ثم انه ارسل اخاه منصورا في جيش من قلعة جعبر الى العراق فنظر الحلة والكوفة وانحدر الى البصرة وارسل الى يرنقش الزكوي يساله ان يصلح حاله مع

منه بحيث يجوز عليه الماشي والراكب من غير مشقة ولا تعب كثير (واما من مات في هذه السنة ممن له ذكر) مات علامة المفيد والمحرير الفريد الفقيه النبيه الشيخ ابراهيم ابن الشيخ محمد الحريري الحنفي مفتي مذهب السادات الحنفية كوالده تفقه على والده وحضر في المعقولات على اشياخ الوقت كالبيلي والدوديري والصبان وغيرهم وانجب وتمهر وصارت فيه ملكة جيدة واستحضار للفروع الفقهية ولما مات والده في شهر رجب سنة عشرين ومائتين وألف تقلد منصب والده في الافتاء وكان لها أهلا مع التحري والمراجعة في المسائل المشكلة والعفة والصيانة والديانة والتباعد عن الامور المخلة بالمروءة مواظبا الوظائف ودروسه ملازما لداره الا ما عدته الضرورة اليه من المواساة وحضور المجالس مع ارباب المظاهر وكان مبتلى بضعف البصر وبآخرته اعتراه داء الباسور وقاسى منه شدة وانقطع بسببه عن الخروج من داره ووصف له حكيم بدمياط فسافر اليه لاجل ذلك وقصد تغيير الهواء وذلك باشارة نسيبه الشيخ المهدي

وقاسى أهوالا في معالجته وقطعه بالآلة فلم ينجح ورجع الى مصر متزايد الالم ولم يزل ملازما للفراش حتى توفي

بمدرسة الشعبانية بحارة الدويدارى ظاهر حارة كتامة المعروفة الآن بالعينية بالقرب من الجامع الازهر وخلف ولده النجيب الاديب سيدى محمدا الملقب عبد المعطى بارك الله فيه وأعانه على وقته (ومات) الامام العلامة والعمدة الفهامة شيخ الاسلام والمسلمين الشيخ عبد المنعم ابن شيخ الاسلام الشيخ أحمد العماوى المالكى الازهرى وهو من آخر طبقة الاشياخ من أهل القرن الثانى عشر تفقه على الشيخ الزهار وغيره من علماء مذهبه وحضر الاشياخ المتقدمين كالدفرى والحفنى والصعيدى والشيخ سالم النفراوى والشيخ الصباغ السكندرى والشيخ فارس وقرأ الدروس وانتفع به الطلبة ولم يزل ملازما على القاء الدروس بالازهر على طريقة المتقدمين مع العفة والديانة والانجماع عن الناس راضيا بحاله قانعا بمعيشته ليس بيده من التعلقات الدنيوية سوى النظر على ضريح سيدى أبى السعود أبى العشائر ولم يتجرأ على الاقتيام مع اهليته لذلك وزيادة ولم تطمح نفسه لزخارف الدنيا وسفاسف الامور مع التجمل فى الملبس والمركب واظهار الغنى وعدم التطلع لما فى ايدى الناس ويصدع بالحق فى المجالس ولا يتردد الى بيوت الحكام والاكابر الا ان كان

السلطان فلم يتم امره فارسل الى اخيه دبيس يعرفه ذلك ويدعوه الى العراق فسار من قلعة جعبر الى الحلة سنة خمس عشرة فدخلها وملكها وارسل الى الخليفة والسلطان يعتذر ويعد من نفسه الطاعة فلم يجب الى ذلك وسيرت اليه العساكر فلما قاربوه فارق الحلة ودخل الى الازبروهو نهر بسنداد ووصل العسكر اليها وهى فارغة قد اجلى اهلها عنها وليس بها اقامة فكانت الميرة تنقل من بغداد وكان مقدم العسكر سعد الدولة يرنقش الزكوى فترك بالحلة خمسمائة فارس وبالكوفة جماعة أخرى تحفظ الطريق على دبيس وأرسل الى عسكر واسط يحفظ طريق البطيحة ففعلوا ذلك وعبر عسكر السلطان الى دبيس فبقى بين الطائفتين نهر يخاض فيه مواضع فتراسل يرنقش ودبيس واتفقا على ان يرسل دبيس أخاه منصورا رهينة ويلازم الطاعة ففعل وعاد العسكر الى بغداد سنة ست عشرة

(ذكر خروج الكرج الى بلاد الاسلام وملك تفليس)

فى هذه السنة خرج الكرج وهم الخزر الى بلاد الاسلام وكانوا قديما يغيرون فامتنعوا أيام السلطان ملكشاه الى آخر ايام السلطان محمد فلما كان هذه السنة خرجوا ومعهم قفجاق وغيرهم من الامم المجاورة لهم فتكاتب الامراء المجاورون لبلادهم واجتمعوا منهم الامير ايلغازى ودبيس بن صدقة وكان عنده والملك طغرل بن محمد واتابكه كنتغدى وكان لطغرل بلدران ونقجوان الى أرس فاجتمعوا وساروا الى الكرج فلما قاربوا تفليس وكان المسلمون فى عسكر كثير يبلغون ثلاثين الفا فالتقوا واصطف الطائفتان للقتال فخرج من القفجاق مائتا رجل فظن المسلمون انهم مستامنون فلم يحترزوا منهم ودخلوا بينهم ورموا بالنشاب فاضطرب صف المسلمين فظن من بعدائها هزيمة فانهزموا وتبع الناس بعضهم بعضا منهزمين ولشدة الزحام صدم بعضهم بعضا فقتل منهم عالم عظيم وتبعهم الكفار عشرة فراسخ يقتلون ويأسرون فقتل أكثرهم وأسروا أربعة آلاف رجل ونجا الملك طغرل وايلغازى ودبيس وعاد الكرج فنهبوا بلاد الاسلام وحصروا مدينة تفليس واشتد قتالهم لمن بها وعظم الامر وتفاقم الخطب على أهلها ودام الحصار الى سنة خمس عشرة فملكوها عنوة وكان اهلها لما اشرفوا على الهلاك قد أرسلوا قاضيها وخطيبها الى الكرج فى طلب الامان فلم تصغ الكرج اليهما فاخرقوا بهما ودخلوا البلد قهرا وغلبة واستباحوه ونهبوه ووصل المستنفرون منهم الى بغداد مستصرخين ومستنصرين سنة ست عشرة فبلغهم ان السلطان محمودا بهمذان فقصدوه واستغاثوا به فسار الى اذربيجان واقام بمدينة تبريز شهر رمضان وانفذ عسكرا الى الكرج وسيرد ذكر ما كان منهم ان شاء الله تعالى

(ذكر غزوات ايلغازى هذه السنة)

فى هذه السنة ارسل المسترشد بالله خلعا مع سديد الدولة بن الانبارى لنجم الدين ايلغازى وشكره على ما يفعله من غزو الفرنج ويأمره بأن يعاود دبيس عنه وسار ابو على بن عمار الذى

كان صاحب طرابلس مع ابن الانباري الى ايلغازى ليقيم عنده يعبر الاوقات بما ينقم به عليه فاعتذر بابعاد بيس ووعده ثم سار الى الفرنج وكان قد جمع لهم جمعا فالتقوا بموضع اسمه ذات البقل من اعمال حلب فاقتتلوا واشتد القتال وكان الظفر له ثم اجتمع ايلغازى واتابك طغتكين صاحب دمشق وحصروا الفرنج فى معرة قنسرين يوما وليلة ثم اشار اتابك طغتكين بالافراج عنهم كيلا يحملهم الخوف على ان يستقتلوا ويخرجوا الى المسلمين فربما ظفروا وكان اكثر خوفه من دبر خيل التركمان وجودة خيل الفرنج فافرج لهم ايلغازى فساروا عن مكانهم وتخلصوا وكان ايلغازى لا يطيل المقام فى بلد الفرنج لانه كان يجمع التركمان للطمع فيحضر احدهم ومعه جراب فيه دقيق وشاة ويعد الساعات الغنيمة يتجلها ويعود فاذا طال مقامهم تفرقوا ولم يكن له من الاموال ما يفرقها فيهم

(ذكر ابتداء امر محمد بن تومرت وعبد المؤمن وملكهما)

فى هذه السنة كان ابتداء امر المهدى ابى عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت العلوى الحسنى وقبيلته من المصامدة تعرف بهرغة فى جبل السوس من بلاد المغرب نزلوا به لما فتحه المسلمون مع موسى بن نصير وقد ذكرامره وامر عبد المؤمن هذه السنة الى ان فرغ من ملك المغرب لنتبع بعض الحادثة بعضا وكان ابن تومرت قد رحل فى شبيبته الى بلاد المشرق فى طلب العلم وكان فقيها فاضلا عالما بالشريعة حافظا للحديث عارفا باصول الدين والفقه متحققا بعلم العربية وكان ورعا ناسكا ووصل فى سفره الى العراق واجتمع بالغزالى والكيا واجتمع بابى بكر الطرطوشى بالاسكندرية وقيل انه جرى له حديث مع الغزالى فيما فعله بالمغرب من التملك فقال له الغزالى ان هذا لا يتمشى فى هذه البلاد ولا يمكن وقوعه لامثالنا كذا قال بعض مؤرخى المغرب والصحيح انه لم يجتمع به فحج من هناك وعاد الى المغرب ولما ركب البحر من الاسكندرية مغربا غير المنكر فى المركب والزم من به باقامة الصلاة وقراءة القرآن حتى انتهى الى المهدية وسلطانها حينئذ يحيى بن تميم سنة خمس وخمسمائة فنزل بمسجد قبلى مسجد السبت وليس له سوى ركوة وعصا وتسامع به اهل البلد فقصدوه يقرؤن عليه أنواع العلوم وكان اذا مر به منكر غيره وازاله فلما كثر ذلك منه احضره الامير يحيى مع جماعة من الفقهاء فلما راى سمته وسمع كلامه اكرمه واحترمه وساله الدعاء ورحل عن المدينة واقام بالمنستير مع جماعة من الصالحين مدة وسار الى بجاية ففعل فيها مثل ذلك فاخرج منها الى قرية بالقرب منها اسمها ملالة فلقيه بها عبد المؤمن بن على فراى فيه من النجابة والنهضة ما تفرس فيه التقدم والقيام بالامر فساله عن اسمه وقبيلته فاخبره انه من قيس عيلان ثم من بنى سليم فقال ابن تومرت هذا الذى بشر به النبى صلى الله عليه وسلم حين قال ان الله ينصر هذا الدين فى آخر الزمان برجل من قيس فقيل من اى قيس فقال من بنى سليم فاستبشر بعبد المؤمن وسر بلقائه وكان مولد عبد المؤمن فى مدينة تاجرة من اعمال تلمسان وهو

ليلة الخميس حادى عشر ذى القعدة عن اربع وثمانين سنة وخرجوا بجنازته من منزله الكائن بدرب الحلفاء بالقرب من باب البرقية فمروا بالجنازة على خطة الجمالية على النحاسين على الاشرفية ودخلوا من حارة الخراطين الى الجامع الازهر وصلى عليه فى مشهد حافل ودفن على والده بتربة المجاورين وخلف من الاولاد الذكور اربعة رجال ذوى لحى صهلاء وخطهم الشيب خلاف البنات رحمه الله وعفا عنا وعنه *(ومات)* الفقيه النبيه الصالح الورع العالم المحقق الشيخ احمد الشهير ببرغوت المالكى ومولده بالبلدة المعروفة باليهودية بالبحيرة تفقه على اشياخ العصر ومهر فى الفقه والمعقول واقرا الدروس وانتفع به الطلبة واشتهر ذكره بينهم وشهدوا بفضله وكان على حالة حسنة منجمعا عن الناس وراضيا بما قسمه له مولاه منكسر النفس متواضعا ولم يتزى بعمامة الفقهاء يمشى فى حوائجه وتمرض بالزمانة مدة سنين يتعكز بعصاه ولم يقطع درسه ولا امانيه حتى توفى الى رحمة الله سبحانه وتعالى يوم الاربعاء خامس شهر صفر من

السنة ودفن بتربة المجاورين رحمه الله *(ومات العمدة النحرير والنبيل الشهير الشيخ سليمان

الفيومي المالكي ولد بالفيوم وحضر الى مصر وحفظ ٢٤٢ القرآن وجاور برواق الفيمة بالازهر وكان في اول عمره يمشي خلف
حمار الشيخ الصعيدي وعليه
دراعة صوف وشملة صفراء
ثم حضر دروسه ودروس
الشيخ الدردير وغيرهما واختلط
مع المنشدين وكان له صوت
شجي فيذهب مع المتذكرين
الى بيوت الاعيان في الليالي
فينشد الانشادات ويقرا
الاعشار فيعجبون به ويكرمونه
زيادة على غيره واختلط ببعض
الاعيان الذين يقال لهم
البرقوقية من ذرية السلطان
برقوق وهم نظار على اوقافه
فراج امره وكثرت معارفه
بالاغوات الطواشية وبهم
توصل الى نساء الامراء
والسعي في حوائجهن
وقضاياهن وصار له قبول
زائد عندهن وعند ازواجهن
وتجمل بالملابس وركب البغال
واحدق به المحدقون وتزوج
بامراة بناحية قنطرة الامير
حسين وسكن بدارها فماتت
فورثها ولما مات الشيخ محمد
العقاد تعين المترجم لمشيخة
رواق الفيمة وبنى له
محمد بك المعروف بالمبدول
دارا عظيمة بحارة عابدين
واشتهر ذكره وعلا شانه
وطار صيته وسافر في بعض
مقتضيات الامراء الى دار
السلطنة وعاد الى مصر واقبلت
عليه الهدايا من الامراء
والحريمات والاغوات والاقباط وغيرهم واعتنوا بشانه وزوجته الست زليخا زوجة ابراهيم بك الكبير ببنت

من عائذ قبيل من كومرة نزلوا بذلك الاقليم سنة ثمانين ومائة ولم يزل المهدي ملازما
للامر بالمعروف والنهي عن المنكر في طريقه الى ان وصل الى مراكش دار مملكة
امير المسلمين يوسف بن علي بن تاشفين فراى فيها من المنكرات اكثر مما عاينه في طريقه
فزاد في امره بالمعروف ونهيه عن المنكر فكثر اتباعه وحسنت ظنون الناس فيه فبينما
هو في بعض الايام في طريقه اذ راى اخت امير المسلمين في موكبها ومعها من الجواري
الحسان عدة كثيرة وهن مسفرات وكانت هذه عادة الملثمين يسفر نساؤهم وجوههن
ويتلثم الرجال فحين راى النساء كذلك انكر عليهن وأمرهن بستر وجوههن وضرب هو
واصحابه دوابهن فسقطت أخت أمير المسلمين عن دابتها فرفع امره الى أمير المسلمين
علي بن يوسف فاحضره واحضر الفقهاء ليناظروه فاخذ يعظه ويخوفه فبكى أمير
المسلمين وأمر أن يناظره الفقهاء فلم يكن فيهم من يقوم له لقوة ادلته في الذي فعله وكان
عند أمير المسلمين بعض وزرائه يقال له مالك بن وهيب فقال يا أمير المسلمين ان هذا
والله لا يريد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر انما يريد اثارة فتنة والغلبة على بعض
النواحي فاقتله وقلدني دمه فلم يفعل ذلك فقال اذ لم تقتله فاحبسه وخلده في السجن
والا أثار شرا لا يمكن تلافيه فاراد حبسه فمنعه رجل من أكابر الملثمين يسمى بيان بن
عثمان فامر باخراجه من مراكش فسار الى اغمات ولحق بالجبل فسار فيه حتى التحق
بالسوس الذي فيه قبيلة هرغة وغيرهم من المصامدة سنة أربع عشرة فاتوه واجتمعوا
حوله وتسامع به أهل تلك النواحي فوفدوا عليه وحضر اعيانهم بين يديه وجعل
يعظهم ويذكرهم بايام الله ويذكر لهم شرائع الاسلام وما غير منها وما حدث من الظلم
والفساد وانه لا يجب طاعة دولة من هذه الدول لاتباعهم الباطل بل الواجب قتالهم
ومنعهم عما هم فيه فاقام على ذلك نحو سنة وتابعه هرغة قبيلته وسمى اتباعه
الموحدين واعلمهم ان النبي صلى الله عليه وسلم بشر بالمهدي الذي يملأ الارض عدلا
وان مكانه الذي يخرج منه المغرب الاقصى فقام اليه عشرة رجال احدهم عبد المؤمن
فقالوا لا يوجد هذا الا فيك فانت المهدي فبايعوه على ذلك فانتهى خبره الى امير
المسلمين فجهز جيشا من اصحابه وسيرهم اليه فلما قربوا من الجبل الذي هو فيه قال
لاصحابه ان هؤلاء يريدونني واخاف عليكم منهم فالرأي ان أخرج بنفسي الى غير هذه
البلاد لتسلموا انتم فقال له ابن توفيان من مشايخ هرغة هل تخاف شيئا من السماء فقال
لا بل من السماء تنصرون فقال ابن توفيان فليأتنا كل من في الارض ووافقه جميع
قبيلته فقال المهدي ابشروا بالنصر والظفر بهذه الشرذمة وبعد قليل تستاصلون
دولتهم وترثون ارضهم فنزلوا من الجبل ولقوا جيش أمير المسلمين فهزموهم وأخذوا
اسلابهم وقوي ظنهم في صدق المهدي حيث ظفروا كما ذكر لهم واقبلت اليه افواج
القبائل من الحلل التي حوله شرقا وغربا وبايعوه وأطاعه قبيلة هنتاتة وهي من
أقوى القبائل فاقبل عليهم واطمان اليهم واتاه رسل اهل تينملل بطاعتهم وطلبوه
اليهم فتوجه الى جبل تينملل واستوطنه وألف لهم كتابا في التوحيد وكتابا في العقيدة

وتهيج

ونهج لهم طريق الادب بعضهم مع بعض والاقتصار على القصير من الثياب القليل الثمن وهو يحرضهم على قتال عدوهم واخراج الاشرار من بين اظهرهم وأقام بتينمال وبنى له منجداخارج المدينة فكان يصلي فيه الصلوات هو وجمع ممن معه عنده ويدخل البلد بعد العشاء الآخرة فلما رأى كثرة أهل الجبل وحصانة المدينة خاف ان يرجعوا عنه فامرهم أن يحضروا بغير سلاح ففعلوا ذلك عدة أيام ثم انه أمر اصحابه ان يقتلوهم فخرجوا عليهم وهم غارون فقتلوهم في ذلك المسجد ثم دخل المدينة فقتل فيها واكثر وسبى الحريم ونهب الاموال فكان عدة القتلى خمسة عشر الفا وقسم المساكن والارض بين اصحابه وبنى على المدينة سورا وقلعة على راس جبل عال وفي جبل تينمال انهار جارية واشجار وزروع والطريق اليه صعب فلا جبل احصن منه وقيل انه لما خاف اهل تينمال نظر فرأى كثيرا من اولادهم شقرا زرقا والذي يغلب على الآباء السمرة وكان لامير المسلمين عدة كثيرة من المماليك الفرنج والروم يغلب على الوانهم الشقرة وكانوا يصعدون الجبل في كل عام مرة ويأخذون ما لهم فيه من الاموال المقررة لهم من جهة السلطان فكانوا يسكنون بيوت اهله ويخرجون اصحابها منها فلما رأى المهدى اولادهم سالهم مالي اراكم سمر الالوان وأرى اولادكم شقرا زرقا فاخبروه خبرهم مع مماليك امير المسلمين فقبح الصبر على هذا وازرى عليهم وعظم الامر عندهم فقالوا له فكيف الحيلة في الخلاص منهم وليس لنا بهم قوة فقال اذا حضروا عندكم في الوقت المعتاد وتفرقوا في مساكنكم فليقم كل رجل منكم الى نزيله فليقتله واحفظوا حبالكم فانه لا يرام ولا يقدر عليه فصبروا حتى حضر أولئك العبيد فقتلوهم على ما قرر لهم المهدى فلما فعلوا ذلك خافوا على نفوسهم من أمير المسلمين فامتنعوا في الجبل وسدوا ما فيه من طريق يسلك اليوم فقويت نفس المهدى بذلك ثم ان أمير المسلمين أرسل اليهم جيشا قويا فحصروهم في الجبل وضيقوا عليهم ومنعوا عنهم الميرة فقلت عند اصحاب المهدى الاقوات حتى صار الخبز معدوما عندهم وكان يطبخ لهم كل يوم من الحساما يكفيهم فكان قوت كل واحد منهم ان يغمس يده في ذلك الحساو يخرجها فما علق عليها قنع به ذلك اليوم فاجتمع أعيان أهل تينمال وأرادوا اصلاح الحال مع أمير المسلمين فبلغ الخبر بذلك المهدى بن تومرت وكان معه انسان يقال له أبو عبد الله الونشريشي يظهر البله وعدم المعرفة بشئ من القرآن والعلم وبراقه يجرى على صدره وهو كانه معتوه ومع هذا فالمهدى يقربه ويكرمه ويقول ان الله سر في هذا الرجل سوف يظهر وكان الونشريشي يلزم الاشتغال بالقرآن والعلم في السر بحيث لا يعلم أحد ذلك منه فلما كان سنة تسع عشرة وخاف المهدى من أهل الجبل خرج يوما لصلاة الصبح فرأى الى جانب محرابه انسانا حسن الثياب طيب الريح فاظهر انه لا يعرفه وقال من هذا فقال انا أبو عبد الله الونشريشي فقال له المهدى ان أمرك لعجب ثم صلى فلما فرغ من صلاته نادى في الناس فحضروا فقال ان هذا الرجل يزعم انه الونشريشي فانظروه وحققوا أمره فلما أضاء النهار عرفوه فقال له المهدى ما قصتك قال اتتني الليلة

قلة بضاعته في العلم مشاركا بسبب التداخل في القضايا وكان كريم النفس جدا يجود وماله قليل مع حسن المعاشرة والبشاشة والتواضع والمواساة للكبير والصغير والجليل والحقير وطعامه مبذول للواردين ومن اتى في منزله الى حاجة او زائر الا يمكنه من الذهاب حتى يغديه او يعشيه واذا اتاه مسترفد ولم يجد معه اشياء اقترض واعطاه فوق مامعه ولا يخل بجاهه وسعيه على احد كائنا من كان بعوض ويدونه ومما اتفق له مرارا انه يركب من الصباح في حوائج الناس فلا يعود الا بعد العشاء الاخيرة فيلاقيه آخر وحاجة في نصف الطريق او آخره فينهي اليه قصته اما بشفاعة عند امير أو خلاص مسجون او غير ذلك فيقف له ويستمع قصته وهو راكب فيقول له في غد نذهب اليه فان الوقت صار ليلا فيقول صاحب الحاجة هو في داره في هذا الوقت فيعود من طريقه مع صاحب الحاجة الى ذلك الامير ولو بعدت داره ويقضي حاجته ويعود بعد حصة من الليل وهكذا كان شانه ولا ينتظر ولا يؤمل جعالة ولا اجرة نظير سعيه فان اتوه بشئ اخذه

اوهدية قبلها قلت او كثرت وشكرهم على ذلك فمالت اليه القلوب ووفدت اليه ذو والحاجات من كل ناحية

و يزودهم ويرجعون الى اوطانهم مسرورين ومجبورين وشاكرين ثم يكافئونه بما امكنهم من المكافآت واذا وصلت اليه هدية وصادف وصولها حضوره بالمنزل فرق منها على من بمجلسه من الحاضرين فبذلك انجذبت اليه القلوب وساد على اقرانه ومعاصريه كما قيل

ببذل وحلم ساد في قومه الفتى
وكونك اياه عليك يسير

ولما حضر حسن باشا الجزايرلي الى مصر وارتحل الامراء المصريون الى الصعيد واحاط بدورهم وطلب الاموال من نسائهم وقبض على اولادهم وجواريهم وامهات أولادهم وأنزلهم سوق المزاد التجأ الى المترجم الكثير من نساء الامراء الجكار فآواهن وأجهد نفسه في السعي في حمايتهن والرفق بهن ومواساتهن مدة اقامة حسن باشا بمصر وبعدها في امارة اسمعيل بك فلما رجع أزواجهن بعد الطاعون الى اماراتهم ازداد قدر المترجم عندهم وقبوله ومحبته ووجاهته واشتهر عندهم بعدم قبوله الرشوة ومكارم الاخلاق والديانة والتورع فكان يدخل الى بيت الامير ويعبر الى محل الحريم ويجلس معهن وينسرون بدخوله عندهن ويقولون زارنا ابونا الشيخ وشاورنا أبانا الشيخ

ملك من السماء فغسل قلبي وعلمني الله القرآن والموطا وغيره من العلوم والاحاديث فبكى المهدي بحضرة الناس ثم قال له نحن نمتحنك فقال افعل وابتدأ يقرأ القرآن قراءة حسنة من أي موضع سئل وكذلك الموطا وغيره من كتب الفقه والاصول فعجب الناس من ذلك واستعظموه ثم قال لهم ان الله تعالى قد أعطاني نورا أعرف به أهل الجنة من أهل النار وآمركم ان تقتلوا أهل النار وتتركوا أهل الجنة وقد أنزل الله تعالى ملائكة الى البئر التي في المكان الفلاني يشهدون بصدقي فسار المهدي والناس معه وهم يبكون الى تلك البئر وصلى المهدي عند رأسها وقال يا ملائكة الله ان أبا عبد الله الونشريشي قد زعم كيت وكيت فقال من بها صدق وكان قد وضع فيها رجالا يشهدون بذلك فلما نيل ذلك من البئر قال المهدي ان هذه مطهرة مقدسة قد نزل اليها الملائكة والمصلحة ان تطم لئلا يقع فيها نجاسة أو ما لا يجوز فالقوا فيها من الحجارة والتراب ما طمها ثم نادى في أهل الجبل بالحضور الى ذلك المكان فحضروا للتمييز فكان الونشريشي يعمد الى الرجل الذي يخاف ناحيته فيقول هذا من أهل النار فيلقى من الجبل مقتولا والى الشاب الغرو من لا يخشى فيقول هذا من أهل الجنة فيترك على يمينه فكان عدة القتلى سبعين ألفا فلما فرغ من ذلك امن على نفسه واصحابه واستقام أمره هكذا سمعت جماعة من فضلاء المغاربة يذكرون في التمييز وسمعت منهم من يقول ان ابن تومرت لما رأى كثرة اهل الشر والفساد في اهل الجبل احضر شيوخ القبائل وقال لهم انكم لا يصح لكم دين ولا يقوى الا بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر واخراج المفسدين من بينكم فابحثوا عن كل من عندكم من اهل الشر والفساد فانهوهم عن ذلك فان انتهوا والا فاكتبوا اسماءهم وارفعوها الى لانظر في امرهم ففعلوا ذلك وكتبوا له اسماءهم من كل قبيلة ثم امرهم بذلك مرة ثانية وثالثة ثم جمع المكتوبات فاخذ منها ما تكرر من الاسماء فاثبتها عنده ثم جمع الناس قاطبة ورفع الاسماء التي كتبها ودفعها الى الونشريشي المعروف بالبشير وامره ان يعرض القبائل و يجعل أولئك المفسدين في جهة الشمال ومن عداهم من جهة اليمين ففعل ذلك وامر ان يكتنف من على شمال الونشريشي فكتفوا وقال ان هؤلاء اشقياء قد وجب قتلهم وامر كل قبيلة ان يقتلوا اشقياءهم فقتلوا عن آخرهم فكان يوم التمييز ولما فرغ ابن تومرت من التمييز رأى اصحابه الباقين على نيات صادقة وقلوب متفقة على طاعته فجهز منهم جيشا وسيرهم الى جبال اغمات وبها جمع من المرابطين فقاتلوهم فانهزم أصحاب ابن تومرت وكان اميرهم ابو عبد الله الونشريشي وقتل منهم كثير وجرح عمر الهنتاتي وهو من اكبر اصحابه وسكن حسه ونبضه فقالوا مات فقال الونشريشي اما انه لم يمت ولا يموت حتى يملك البلاد فبعد ساعة فتح عينيه وعادت قوته اليه فافتتنوا به وعادوا منهزمين الى ابن تومرت فوعظهم وشكرهم على صبرهم ثم لم يزل بعدها يرسل السرايا في اطراف بلاد المسلمين فاذا رأوا عسكرا تعلقوا بالجبل فامنوا وكان المهدي

قد رتب أصحابه مراتب فالاولى يسمون ايت عشرة يعني اهل عشرة واولهم عبد المؤمن ثم ابو حفص الهنتاتي وغيرهما وهم اشرف اصحابه واهل الثقة عنده والسابقون الى متابعته والثانية ايت خمسين يعني اهل خمسين وهم دون تلك الطبقة وهم جماعة من رؤساء القبائل والثالثة ايت سبعين يعني اهل سبعين وهم دون التي قبلها وسمى عامة اصحابه والداخلين في طاعته موحدين فاذا ذكر الموحدون في اخبارهم فانما يعني اصحابه واصحاب عبد المؤمن بعده ولم يزل امر ابن تومرت يعلو الى سنة اربع وعشرين فجهز المهدي جيشا كثيفا يبلغون اربعين الفا اكثرهم رجالة وجعل عليهم الونشريشي وسير معهم عبد المؤمن فنزلوا وساروا الى مراكش فحصروها وضيقوا عليها وبها امير المسلمين علي بن يوسف فبقي الحصار عليها عشرين يوما فارسل امير المسلمين الى متولي سجلماسة يامره ان يحضر ومعه الجيوش فجمع جيشا كثيرا وسار فلما قارب عسكر المهدي خرج اهل مراكش من غير الجهة التي اقبل منها فاقتتلوا واشتد القتال وكثر القتل في اصحاب المهدي فقتل الونشريشي اميرهم فاجتمعوا الى عبد المؤمن وجعلوه أميرا عليهم ولم يزل القتال بينهم عامة النهار وصلى عبد المؤمن صلاة الخوف الظهر والعصر والحرب قائمة ولم تصل بالمغرب قبل ذلك فلما راى المصامدة كثرة المرابطين وقوتهم اسندوا ظهورهم الى بستان كبير هناك والبستان يسمى عندهم البحيرة فلهذا قيل وقعة البحيرة وعام البحيرة وصاروا يقاتلون من جهة واحدة الى ان أدركهم الليل وقد قتل من المصامدة اكثرهم وحين قتل الونشريشي دفنه عبد المؤمن فطلبه المصامدة فلم يروه في القتلى فقالوا رفعته الملائكة ولما جنهم الليل سار عبد المؤمن ومن سلم من القتلى الى الجبل

(ذكر وفاة المهدي وولاية عبد المؤمن)

لما سير الجيش الى حصار مراكش مرض مرضا شديدا فلما بلغه خبر الهزيمة اشتد مرضه وسأل عن عبد المؤمن فقيل هو سالم فقال ما مات أحد الا مر قائم وهو الذي يفتح البلاد ووصى اصحابه باتباعه وتقديمه وتسليم الامر اليه والانقياد له ولقبه امير المؤمنين ثم مات المهدي وكان عمره احدى وخمسين سنة وقيل خمسا وخمسين سنة ومدة ولايته عشرين سنة وعاد عبد المؤمن الى تينملل واقام بها يتالف القلوب ويحسن الى الناس وكان جوادا مقداما في الحروب ثابتا في الهزاهز الى ان دخلت سنة ثمان وعشرين وخمسمائة فتجهز وسار في جيش كثير وجعل يمشي مع الجبل الى ان وصل الى تادلة فمانعه اهلها وقاتلوه فقهرهم وفتحها وسائر البلاد التي تليها ومشى في الجبال يفتح ما امتنع عليه واطاعه صنهاجة الجبل وكان امير المسلمين قد جعل ولي عهده ابنه سير فمات فاحضر امير المسلمين ابنه تاشفين من الاندلس وكان اميرا عليها فلما حضر عنده جعله ولي عهده سنة احدى وثلاثين وجعل معه جيشا وصار يمشي في الصحراء قبالة عبد المؤمن في الجبال وفي سنة اثنتين وثلاثين كان عبد المؤمن في النواظر وهو جبل عال مشرف وتاشفين في الوطاة ويخرج من الطائفتين قوم يترامون ويتطاردون ولم

فاشار علينا بكذا ونحو ذلك ولم يزل مع الجميع على هذه الحالة الى ان طرقت ٢٤٥ الفرنساوية البلاد المصرية واخرجوا منها الامراء وخرج النساء من بيوتهن وذهبن اليه أفواجا أفواجا حتى امتلأت داره وما حولها من الدور بالنساء فتصدى لهن المترجم وتداخل في الفرنساوية ودافع عنهن واقمن بداره شهورا واخذ امانا لكثير من الاجناد المصرية واحضرهم الى مصر واقاموا بداره ليلا ونهارا واحبه الفرنساوية ايضا وقبلوا شفاعاته ويحضرون الى داره ويعمل لهم الولائم وساس اموره معهم وقرروه في رؤساء الديوان الذي رتبوه لاجراء الاحكام بين المسلمين ولما نظموا أمور القرى والبلدان المصرية على النسق الذي جعلوه رتبوا على مشايخ كل بلد شيخا ترجع امور البلدة ومشايخها اليه وشيخ المشايخ المترجم مضافا ذلك لمشيخة الديوان وحاكمهم الكبير فرنساوي يسمى ابريزون فازدحمت داره بمشايخ البلدان فياتون اليه افواجا ويذهبون افواجا وله مرتب خاص خلاف مرتب الديوان واستمر معهم في وجاهته الى ان انقضت ايامهم وسافروا الى بلادهم وحضرت العثمانية والوزير والمترجم في عداد العلماء والمتصدرين وافر الحرمة شهير الذكر بعيد الصيت مرعي الجانب مقبول القول عند الاكابر والاصاغر ولما قتل خليل افندي الرجائي الدفتردار وكتخدا بك

ويكن بينهما لقاء ويسمى عام النواظر وفى سنة ثلاث وثلاثين توجه عبد المؤمن مع الجيل فى الشعراء حتى انتهى الى جبل كرناطة فنزل فى ارض صلبة بين شجر ونزل تاشفين قبالته فى الوطاة فى ارض لا نبات فيها وكان الفصل شتاء فتوالت الامطار اياما كثيرة لا تقلع فصارت الارض التى فيها تاشفين واصحابه كثيرة الوحل تسوخ فيها قوائم الخيل الى صدورها ويعجز الرجل عن المشى فيها وتقطعت الطرق عنهم فاوقدوا رماحهم وقرابيس سروجهم وهلكوا جوعا وبردا وسوء حال وكان عبد المؤمن واصحابه فى ارض خشنة صلبة فى الجبل لا يبالون بشئ والميرة متصلة اليهم وفى ذلك الوقت سير عبد المؤمن جيشا الى وجرة من اعمال تلمسان ومقدمهم ابو عبد الله محمد بن رقو وهو من ايت خمسين فبلغ خبرهم الى محمد بن يحيى بن فانو متولى تلمسان فخرج فى جيش من الملثمين فالتقوا بموضع يعرف بخندق الحجر فهزمهم جيش عبد المؤمن وقتل محمد بن يحيى وكثير من اصحابه وغنموا ما معهم ورجعوا فتوجه عبد المؤمن بجميع جيشه الى عمارة فاطاعوه قبيلة بعد قبيلة واقام عندهم مدة ومابرح يمشى فى الجبال وتاشفين يحاذيه فى الصحارى فلم يزل عبد المؤمن كذلك الى سنة خمس وثلاثين فتوفى امير المسلمين على بن يوسف بمراكش وملك بعده ابنه تاشفين فقوى طمع عبد المؤمن فى البلاد الا انه لم ينزل الصحراء وفى سنة ثمان وثلاثين توجه عبد المؤمن الى تلمسان فنازلها وضرب خيامه فى جبل باعلاها ونزل تاشفين على الجانب الآخر من البلد وكان بينهم مناوشة فبقوا كذلك الى سنة تسع وثلاثين فرحل عبد المؤمن عنها الى جبل تاجرة ووجه جيشا مع عمر الهنتاتى الى مدينة وهران فهاجها بغتة وحصل هو وجيشه فيها فسمع بذلك تاشفين فسار اليها فخرج منها عمر ونزل تاشفين بظاهر وهران على البحر فى شهر رمضان سنة تسع وثلاثين فجاءت ليلة سبع وعشرين منه وهى ليلة يعظمها اهل المغرب وبظاهر وهران ربوة مطلة على البحر وباعلاها ثنية يجتمع فيها المتعبدون وهو موضع معظم عندهم فسار اليه تاشفين فى نفر يسير من اصحابه متخفيا لم يعلم به الا النفر الذين معه وقصد التبرك بحضور ذلك الموضع مع اولئك الجماعة الصالحين فبلغ الخبر الى عمر ابن يحيى الهنتاتى فسار لوقته بجميع عسكره الى ذلك المتعبد وأحاطوا به وملكوا الربوة فلما خاف تاشفين على نفسه ان ياخذوه ركب فرسه وحمل عليه الى جهة البحر فسقط من جرف عال على الحجارة فهلك ورفعت جثته على خشبة وقتل كل من كان معه وقيل ان تاشفين قصد حصنا هناك على رابية وله فيه بستان كبير فيه من كل الثمار فاتفق ان عمر الهنتاتى مقدم عسكر عبد المؤمن سير سرية الى ذلك الحصن يعلمهم بضعف من فيه ولم يعلموا ان تاشفين فيه فالقوا النار فى بابه فاحترق فاراد تاشفين الهرب فركب فرسه فوثب الفرس من داخل الحصن الى خارج السور فسقط فى النار فاخذ تاشفين فاعترف فاراد واحمله الى عبد المؤمن فمات فى الحال لان رقبته كانت قد اندقت فصلب وقتل كل من معه وتفرق عسكره ولم يعد لهم جماعة وملك بعده اخوه اسحق بن على بن يوسف ولما قتل تاشفين ارسل عمر الى عبد المؤمن بالخبر فجاء من

ولم يزل على حاله حتى نزل به خلط بارد فابطل شقه وعقد لسانه واستمر اياما وتوفى ليلة الاحد خامس عشر ذى الحجة وخرجوا بجنازته من بيته بحارة عابدين وصلى عليه بالازهر فى مشهد عظيم جدا مثل مشاهد العلماء الكبار المتقدمين وربما كان جمع النساء خلفه كجمع الرجال فى الكثرة ووجدوا عليه ديونا نحو العشرة آلاف ريال سامحه اصحابها ولم يخلف من الاولاد الا ابنتين رحمه الله وسامحه وعفا عنا وعنه آمين

(سنة خمس وعشرين ومائتين والف)

استهل المحرم بيوم الاثنين فيه وردت الاخبار من الديار الرومية بغلبة الموسكوب واستيلائهم على ممالك كثيرة وانه واقع باسلامبول شدة حصر وغلاء فى الاسعار وتخوف وانهم يذيعون فى الممالك بخلاف الواقع لاجل التطمين (وفى خامسه) حضر ابراهيم افندى القابجى الذى كان توجه الى الدولة من مدة سابقة وعلى يده مراسيم بطلب ذخيرة وغلال وعملوا لقدومه شنكا ومدافع وطلع فى موكب الى القلعة (وفيه) رجع ديوان أفندى من ناحية قبلى وصحبته أحد أغاشويكار فاقام بمصر أياما ثم رجع بجواب الى الامراء القبليين (وفى ليلة السبت تاجرة

ثالث عشره) حصلت زلزلة عجيبة مزعجة وارتجت منها الجهات ثلاث درجات ٢٤٧ مئة واليات واستمرت نحو أربع دقائق

تاجرة في يومه بجميع عسكره وتفرق عسكر امير المسلمين واحتمى بعضهم بمدينة وهران فلما وصل عبد المؤمن دخلها بالسيف وقتل فيها ما لا يحصى ثم سار الى تلمسان وهما مدينتان بينهما شوط فرس احداهما تاجرت وبها عسكر المسلمين والاخرى اقادير وهي بناء قديم فامتنعت اقادير وغلقت ابوابها وتاهب اهلها للقتال واما تاجرت فكان فيها يحيى بن العحراوية فهرب منها بعسكره الى مدينة فاس وجاء عبد المؤمن اليها فدخلها لما فر منها العسكر ولقيه اهلها بالخضوع والاستكانة فلم يقبل منهم ذلك وقتل اكثرهم ودخلها عسكره ورتب امرها ورحل عنها وجعل على اقادير جيشا يحصرها وسار الى مدينة فاس سنة اربعين فنزل على جبل مطل عليها وحصرها تسعة اشهر وفيها يحيي ابن العحراوية وعسكره الذين فروا من تلمسان فلما طال مقام عبد المؤمن عندها الى نهر يدخل البلد فسكره بالاخشاب والتراب وغير ذلك فمنعه من دخول البلد وصار بحيرة تسير فيها السفن ثم هدم السكر فجاء الماء دفعة واحدة فخرب سور البلد وكل ما يجاور النهر من البلد وارادعبد المؤمن ان يدخل البلد فقاتله اهله خارج السور فتعذر عليه ما قدره من دخوله وكان بفاس عبد الله بن خيار الجياني عاملا عليها وعلى جميع اعمالها فاتفق هو وجماعة من اعيان البلد وكاتبوا عبد المؤمن في طلب الامان لاهل فاس فاجابهم اليه ففتحوا له بابا من ابوابها فدخله عسكره وهرب يحيي بن العحراوية وكان فتحها آخر سنة اربعين وخمسمائة وسار الى طنجة ورتب عبد المؤمن امر مدينة فاس وأمر فنودي في أهلها من ترك عنده سلاحا وعدة قتال حل دمه فحمل كل من في البلد ما عنده من سلاح اليه فاخذه منهم ثم رجع الى مكناسة ففعل باهلها مثل ذلك وقتل من بها من الفرسان والاجناد واما العسكر الذي كان على تلمسان فانهم قاتلوا أهلها ونصبوا المجانيق وابراج الخشب وزحفوا بالدبابات وكان المقدم على أهلها الفقيه عثمان فدام الحصار نحو سنة فلما اشتد الامر على اهل البلد اجتمع جماعة منهم وراسلوا الموحدين اصحاب عبد المؤمن بغير علم الفقيه عثمان وادخلوهم البلد فلم يشعر اهله الا والسيف يأخذهم فقتل أكثر اهله وسبيت الذرية والحريم ونهب من الاموال ما لا يحصى ومن الجواهر ما لا تحد قيمته ومن لم يقتل بيع باوكس الاثمان وكان عدة القتلى مائة ألف قتيل وقيل ان عبد المؤمن هو الذي حصر تلمسان وسار منها الى فاس والله اعلم وسير عبد المؤمن سرية الى مكناسة فحصروها مدة ثم سلمها اليهم أهلها بالامان فوفوا لهم وسار عبد المؤمن من فاس الى مدينة سلا ففتحها وحضر عنده جماعة من أعيان سبتة فدخلوا في طاعته فاجابهم الى بذل الامان وكان ذلك سنة احدى واربعين

(ذكر ملك عبد المؤمن مدينة مراكش)

لما فرغ عبد المؤمن من فاس وتلك النواحي سار الى مراكش وهي كرسي مملكة الملثمين وهي من اكبر المدن واعظمها وكان صاحبها حينئذ اسحق بن علي بن يوسف بن تاشفين

فانزعج الناس منها من منامهم وصار لهم جلبة وقلقة وخرج الكثير من دورهم هاربين الى الازقة يريدون الخلاص الى الفضاء مع بعده عنهم وكان ذلك في أول الساعة السابعة من الليل واصبح الناس يتحدثون بها فيما بينهم وسقط بسببها بعض حيطان ودور قديمة وتشققت جدران وسقطت منارة بسوس ونصف منارة بام اخنان بالمنوفية وغير ذلك لا نعلمه

(وفي عصر يوم السبت) ايضا حصلت زلزلة ولكن دون الاولى فانزعج الناس منها ايضا وهاجوا ثم سكنوا ثم كثر لغط العالم بمعاودتها فمنهم من يقول ليلة الاربعاء ومنهم من يقول خلافه وانها تستمر طويلا واسندوا ذلك لبعض المنجمين ومنهم من اسنده لبعض النصارى واليهود وان رجلا نصرانيا ذهب الى الباشا واخبره بحصول ذلك واكد في قوله وقال له احبسني وان لم يظهر صدق اقتلني وان الباشا حبسه حتى يمضي الوقت الذي عينه ليظهر صدقه من كذبه وكل ذلك من تخيلاتهم واختلاقاتهم والله اكذبهم وما يعلم الغيب الا الله (وفي يوم الاحد) رابع عشره امر الباشا بالاحتياط على بيوت عظماء الاقباط كالمعلم غالي والمعلم جرجس الطويل واخيه وفلتيوس وفرانسيسكو

حسابكم وجب دفاترهم هذه
وامر بحبسهم فطلبوا منه الامان
وان يأذن لهم فى خطابه فاذن
لهم فخاطبه المعلم غالى وخرجوا
من بين يديه الى الحبس ثم
قرر عليهم بواسطة حسين
افندى الروزنامجى سبعة
آلاف كيس بعد ان كان
طلب منهم ثلاثين الف كيس
(وفى يوم الخميس) ثامن عشره
شاع فى الناس حصول زلزلة تلك
الليلة وهى ليلة الجمعة ويكون
ذلك فى نصف الليل فتاهب
غالب الناس للطلوع بخارج
البلد فخرجوا بنسائهم
وأولادهم الى شاطئ النيل
ببولاق ونواحى الشيخ قمر
و وسط بركة الازبكية
وغيرها وكذلك خرج الكثير
من العسكر أيضا ونصبوا
خياما فى وسط الرميلة
وقرامیدان والقرافتين
وقاسوا تلك الليلة من البرد
مالا يكيف ولا يوصف لان
الشمس كانت ببرج الدلو وهو
وسط الشتاء ولم يحصل شئ
مما أشاعوه وأذاعوه وتوهموه
وتسلق العيارون والحرامية
تلك الليلة على كثير من الدور
والاماكن وفتشوها فلما
أصبح يوم الجمعة كثر التشكى
الى الحكام من ذلك فنادوا
فى الاسواق بان لا أحد يذكر
أمر الزلزلة وكل من خرج لذلك
من داره عوقب فانكفوا وتر

وهو صبى فنازلها وكان نزوله عليها سنة احدى وار بعين فضرب خيامه فى غربيها على
جبل صغير وبنى عليه مدينة له ولعسكره وبنى بها جامعا وبنى له بناء عاليا يشرف منه على
المدينة ويرى أحوال أهلها واحوال المقاتلين من أصحابه وقاتلها قتالا كثيرا واقام
عليها احد عشر شهرا فكان من بها من المرابطين يخرجون يقاتلونهم بظاهر البلد
واشتد الجوع على اهله وتعذرت الاقوات عندهم ثم زحف اليهم يوما وجعل لهم كمينا
وقال لهم اذا سمعتم صوت الطبل فاخرجوا وجلس هو باعلى المنظرة التى بناها يشاهد
القتال وتقدم عسكره وقاتلوا وصبروا ثم انهم انهزموا الاهل مراكش ليتبعوهم الى
الكمين الذى لهم فتبعهم الملثمون الى ان وصلوا الى مدينة عبد المؤمن فهدموا
أكثر سورها وصاحت المصامدة بعبد المؤمن ليامر بضرب الطبل ليخرج الكمين
فقال لهم اصبروا حتى يخرج كل طامع فى البلد فلما خرج اكثرهم امر بالطبل فضرب
وخرج الكمين عليهم ورجع المصامدة المنهزمون الى الملثمين فقتلوهم كيف شاؤا
وعادت الهزيمة على الملثمين فماتت فى زحمة الابواب ما لا يحصيه الا الله سبحانه وكان شيوخ
الملثمين يدبرون دولة اسحق بن على بن يوسف لصغر سنه فاتفق ان انسانا من جملتهم يقال
له عبد الله بن أبى بكر خرج الى عبد المؤمن مستامنا واطلعه على عوراتهم وضعفهم
فقوى الطمع فيهم واشتد عليهم البلاء ونصب عليهم المنجنيقات والابراج وفنيت
اقواتهم واكلوا دوابهم ومات من العامة بالجوع ما يزيد على مائة الف انسان فانتن
البلد من ريح الموتى وكان بمراكش جيش من الفرنج كان المرابطون قد استنجدوا
بهم فجاؤا اليهم نجدة فلما طال عليهم الامر راسلوا عبد المؤمن يسالون الامان فاجابهم
اليه ففتحوا له بابا من ابواب البلد يقال له باب اغمات فدخلت عساكره بالسيف وملكوا
المدينة عنوة وقتلوا من وجدوا ووصلوا الى دار امير المسلمين فاخرجوا الامير اسحق
وجميع من معه من امراء المرابطين فقتلوا وجعل اسحق يرتعد رغبة فى البقاء ويدعو
لعبد المؤمن ويبكى فقام اليه الامير سير بن الحاج وكان الى جانبه مكتوفا فبزق فى وجهه
وقال تبكى على أبيك وامك اصبر صبر الرجال فهذا رجل لا يخاف الله ولا يدين بدين
فقام الموحدون اليه بالخشب فضربوه حتى قتلوه وكان من الشجعان المعروفين
بالشجاعة وقدم اسحق على صغر سنه فضربت عنقه سنة اثنتين واربعين وهو آخر ملوك
المرابطين وبه انقرضت دولتهم وكانت مدة ملكهم سبعين سنة وولى منهم اربعة
يوسف وعلى وتاشفين واسحق ولما فتح عبد المؤمن مراكش اقام بها واستوطنها
واستقر ملكه ولما قتل عبد المؤمن من أهل مراكش فاكثر فيهم القتل اختفى كثير
من اهلها فلما كان بعد سبعة ايام امر فنودى بامان من بقى من اهلها فخرجوا فاراد
أصحابه المصامدة قتلهم فمنعهم وقال هؤلاء صناع واهل الاسواق من ننتفع به فتركوا
وامر باخراج القتلى من البلد فاخرجوهم وبنى بالقصر جامعا كبيرا وزخرفه فاحسن عمله
وامر بهدم الجامع الذى بناه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ولقد أساء يوسف بن
تاشفين فى فعله بالمعتمد بن عباد وارتكب بسجنه على الحالة المذكورة أقبح مركب

وا هذا اللفظ الفارغ (وفيه) ظهر بالازهر أنفار يقفون بالليل بسجن الجامع فلا

فلا جرم سلط الله عليه فى عقابه من ارمى فى الاخذ عليه وزاد فتبارك الحى الدائم الملك الذى لا يزول ملكه وهذه سنة الدنيا فاف لها فاف لها نسال الله ان يختم أعمالنا بالحسنى ويجعل خيرا يامنا يوم نلقاه بمحمد وآله

(ذكر ظفر عبد المؤمن بدكالة)

فى سنة ثلاث واربعين وخمسمائة سار بعض المرابطين من الملثمين الى دكالة فاجتمع اليه قبائلها وصاروا يغيرون على اعمال مراكش وعبد المؤمن لا يلتفت اليهم فلما كثر ذلك منهم سار اليهم سنة اربع واربعين فلما سمعت دكالة بذلك انحشروا كلهم الى ساحل البحر فى مائتى الف راجل وعشرين الف فارس وكانوا موصوفين بالشجاعة وكان مع عبد المؤمن من الجيوش ما يخرج عن الحصر وكان الموضع الذى فيه دكالة كثير الجر والحزونة فكمنوا فيه كمناء ليخرجوا على عبد المؤمن اذا سلكه فمن الاتفاق الحسن له انه قصدهم من غير الجهة التى فيها الكمناء فانحل عليهم ما قدروه وفارقوا ذلك الموضع فاخذهم السيف فدخلوا البحر فقتل اكثرهم وغنمت ابلهم واغنامهم واموالهم وسبى نساؤهم وذراريهم فبيعت الجارية الحسناء بدراهم يسيرة وعاد عبد المؤمن الى مراكش مظفرا منصورا وثبت ملكه وخافه الناس فى جميع المغرب واذعنوا له بالطاعة

(ذكر حصر مدينة كتندة)

فى هذه السنة يعنى سنة اربع عشرة وخمسمائة خرج ملك من ملوك الفرنج بالاندلس يقال له ابن ردمير فسار حتى انتهى الى كتندة وهى بالقرب من مرسية فى شرق الاندلس فحصرها وضيق على اهلها وكان امير المسلمين على بن يوسف حينئذ بقرطبة ومعه جيش كثير من المسلمين والاجناد المتطوعة فسيرهم الى ابن ردمير فالتقوا واقتتلوا اشد القتال وهزمهم ابن ردمير هزيمة منكرة وكثر القتل فى المسلمين وكان فيمن قتل ابو عبد الله بن الفراء قاضى المرية وكان من العلماء العاملين والزهاد فى الدنيا العادلين فى القضاء

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة كسر بلك بن ارتق عفراس الرومى وقتل من الروم خمسة آلاف رجل على قلعة سرمان من بلد ايد كان واسر عفراس وكثيرا من عسكره وفيها اغار جوسلين الفرنجى صاحب الرها على جيوش العرب والتركمان وكانوا نازلين بصفين غربى الفرات وغنم من اموالهم وخيلهم ومواشيهم شيئا كثيرا ولما عاد خرب بزاعة وفيها تسلم اتابك طغتكين صاحب دمشق مدينة تدمر والشقيف وفيها أمر السلطان محمود الامير جيوش بك بالمسير الى حرب أخيه طغرل فسار اليه فسمع طغرل واتابكه كنتغدى ذلك فسار الى كنجة من بين يدى العسكر ولم يجر قتال وفيها فى المحرم توفى خالصة الدولة ابو البركات احمد بن عبد الوهاب بن السيبى صاحب المخزن ببغداد وولى مكانه الكمال

فى ذلك الى ان عرفوا أشخاصهم ونسبهم وفيهم من هو من أولاد أصحاب المظاهر المتعممين فستروا أمرهم وأظهروا شخصا من رفقائهم ليس له شهرة وأخرجوه من البلدة منفيا ونسبوا اليه الفعال وسينكشف ستر الفاعلين فيما بعد ويفتضحون بين العالم كما يأتى خبر ذلك فى سنة سبع وعشرين وكذلك أخرجوا طائفة من القوادين والنساء الفواحش سكنوا بحارة الازهر واجتمعوا فى اهله حتى ان اكابر الدولة وعساكرهم بل واهل البلد والسوقة جعلوا سترهم وديدنهم ذكر الازهر واهله ونسبوا له كل رذيلة وقبيحة ويقولون نرى كل موبقة تظهر منه ومن أهله وبعد ان ان كان منبع الشريعة والعلم صار بعكس ذلك وقد ظهر منه قبل الزغلية والآن الحرامية وأمور غير ذلك مخفية

(وفيه) طلب الباشا تمهيد الطريق الموصلة من القلعة الى الزلاقة التى أنشاها طريقا يصعد منها الى الجبل المقطم السابق ذكرها وارادان يفرض على الاخطاط والحارات رجالا للعمل بعدد مخصوص ومن اعتذر عن الخروج والمساعدة يفرض عليه بدلا عنه اوقدرا من الدراهم يدفعها

نفير البدل وأشيع هذا الامر واستحضر الاوباش على الطبول والزمور كما كانوا

يفعلون فى قضية عمارة محمد باشا خسرو ثم ان الشيخ المهدى اجتمع بكتخدا بك وادخل عليه وهما ان محمد باشا خسرو لما فعل ذلك لم يتم له أمر وعزل ولم تطل ايامه ونحن نطلب دوام دولتكم والاولى ترك هذا الامر فتركوا ذلك ولم يذكروه بعد

(واستهل شهر صفر الخير بيوم الاربعاء سنة ١٢٢٥) فيه قلد الباشا خليل افندى النظر على الروزنامجى وكتابه وسموه كاتب الذمة أى ذمة الميرى من الايراد والمصرف وكان ذلك عند فتح الطاب بالميرى عن السنة الجديدة فلا يكتب تحويل ولا تنبيه ولا تذكرة حتى يطلعوه عليها ويكتب عليها علامته فتكدر من ذلك الروزنامجى وباقى الكتبة وهذه اول دسيسة ادخلوها فى الروزنامه وابتداء فضيحتها وكشف سرها وذلك باغراء بعض الافندية الخاملين انهى اليهم ان الروزنامجى ومن معه من الكتاب يوفرون لانفسهم الكثير من الاموال الميرية ويتوسعون فيها وفى ذلك اجحاف بمال الخزينة وخليل افندى هذا كان كاتب الخزينة عند محمد باشا خسرو ولا يفيق من الشرب (وفيه) طلب الباشا ثلاثة اشخاص من كتبة الاقباط الذين كانوا متقيدين بقياس الاراضى بالمنوفية وضربهم وحبسهم لكونه بلغه منهم انهم اخذوا البراطيل والرشوات على قياس طين اراضى بعض البلاد ونقصوا من القياس فيما ارتوى من الطين وهى من

ابو الفتوح حمزة بن طلحة المعروف بابن البقشلام والد علم الدين الكاتب المعروف وفى جمادى الاولى منها توفى ابو سعد عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القشيرى الامام ابن الامام وكان اخذ العلم من قرابته والطريقة ايضا ثم استفاد ايضا من امام الحرمين ابى المعالى الجوينى وسمع الحديث من جماعة ورواه وكان حسن الوعظ سريع الخاطر ولما توفى جلس الناس فى البلاد البعيدة للعزاء به حتى فى بغداد برباط شيخ الشيوخ

(ثم دخلت سنة خمس عشرة وخمسمائة)

(ذكر اقطاع البرسقى الموصل)

فى هذه السنة فى صفر اقطع السلطان محمود مدينة الموصل واعمالها وما ينضاف اليها كالجزيرة وسنجار وغيرها الامير قسنقر البرسقى وسبب ذلك انه كان فى خدمة السلطان محمود ناصحا له ملازما له فى حروبه كلها وكان له الاثر الحسن فى الحرب المذكورة بين السلطان محمود واخيه الملك مسعود وهو الذى أحضر الملك مسعودا عند اخيه السلطان محمود فعظم ذلك عند السلطان محمود ولما حضر جيوش بك عند السلطان محمود وبقيت الموصل بغير أمير ولى عليها البرسقى وتقدم الى سائر الامراء بطاعته وامره بمعاهدة الفرنج وأخذ البلاد منهم فسار اليها فى عسكر كثير وملكها واقام يدبر أمورها ويصلح احوالها

(ذكر وفاة الامير على وولاية ابنه الحسن افريقية)

فى هذه السنة توفى الامير على بن يحيى بن تميم صاحب افريقية فى العشر الاخير من ربيع الآخر وكان مولده بالمهدية وقد تقدم من حروبه وأعماله ما يستدل به على علو همته ولما توفى ولى الملك بعده ابنه الحسن بعهد أبيه وقام بامر دولته صندل الخصى لانه كان عمره حينئذ اثنتى عشرة سنة لا يستقل بتدبير الملك فقام صندل فى الحفظ والاحتياط فلم تطل أيامه حتى توفى فوقع الاختلاف بين اصحابه وقواده كل منهم يقول انا المقدم على الجميع وبيدى الحل والشد فلم يزالوا كذلك الى أن فوض أمور دولته الى قائد من اصحاب أبيه يقال له ابو عزيز موفق فصلحت الامور

(ذكر قتل امير الجيوش)

فى هذه السنة فى الثالث والعشرين من رمضان قتل امير الجيوش الافضل بن بدر الجمالى وهو صاحب الامر والحكم بمصر وكان ركب الى خزانة السلاح ليفرقه على الاجناد على جارى العادة فى الاعياد فسار معه عالم كثير من الرجالة والخيالة فتأذى بالغبار فامر بالبعد عنه وسار منفردا معه رجلان فصادفه رجلان بسوق الصياقلة فضرباه بالسكاكين فجرحاه وجاء الثالث من ورائه فضربه بسكين فى خاصرته فسقط عن دابته ورجع أصحابه فقتلوا الثلاثة وحملوه الى دار الافضل فدخل عليه الخليفة وتوجع له وساله عن الاموال فقال اما الظاهر منها فابو الحسن بن أسامة الكاتب يعرفه وكان

من اهل حلب وتولى أبوه قضاء القاهرة وأما الباطن فابن البطائحى يعرفه فقالا صدق فلما توفى الافضل نقل من أمواله ما لا يعلمه الا الله تعالى وبقى الخليفة فى داره نحو أربعين يوما والكتاب بين يديه والدواب تحمل وتنقل ليلا ونهارا ووجد له من الاعلاق النفيسة والاشياء الغريبة القليلة الوجود ما لا يوجد مثله لغيره واعتقل أولاده وكان عمره سبعا وخمسين سنة وكانت ولايته بعد أبيه ثمانيا وعشرين سنة منها آخر أيام المستنصر وجميع أيام المستعلى الى هذه السنة من أيام الآمر وكان الاسماعيلية يكرهونه لاسباب منها تضييقه على امامهم وتركه ما يجب عندهم سلوكه معهم ومنها ترك معارضة أهل السنة فى اعتقادهم والنهى عن معارضتهم واذنه للناس فى اظهار معتقداتهم والمناظرة عليها فكثر الغرباء ببلاد مصر وكان حسن السيرة عادلا حكى انه لما قتل وظهر الظلم بعده اجتمع جماعة واستغاثوا الى الخليفة وكان من جملة قولهم انهم لعنوا الافضل فسألهم عن سبب لعنهم اياه فقالوا انه عدل وأحسن السيرة ففارقنا بلادنا وأوطاننا وقصدنا بلده لعدله فقد أصابنا بعده هذا الظلم فهو كان سبب ظلمنا فاحسن الخليفة اليهم وأمر بالاحسان الى الناس ومنها ان صاحبه الآمر باحكام الله صاحب مصر وضع عليه وسبب ذلك ما ذكرناه قبل فقد الامر بينهما فاراد الآمر ان يضع عليه من يقتله اذا دخل عليه قصره للسلام او فى أيام الاعياد فخدعه من ذلك ابن عمه أبو الميمون عبد المجيد وهو الذى ولى الامر بعده بمصر وقال له فى هذا الفعل شناعة وسوء سمعة لانه قد خدم دولتنا وأبوه خمسين سنة ولم يعلم الناس منهم الا النصح لنا والمحبة لدولتنا وقد سار ذلك فى أقطار البلاد فلا يجوز أن يظهر منا هذه المكافاة الشنيعة ومع هذا فلا بد وان نقيم غيره مكانه ونعتمد عليه فى منصبه متمكن مثله وما يقارب به فيخاف أن نفعل به مثل فعلنا بهذا فيحذر من الدخول الينا خوفا على نفسه وان دخل علينا كان خائفا مستعدا للامتناع وفى هذا الفعل منهم ما يسقط المنزلة والرأى أن تراسل اباعبد الله بن البطائحى فانه الغالب على أمر الافضل والمطلع على سره وتعده ان توليه منصبه وتطلب منه ان يدبر الامر فى قتله لمن يقتله اذا ركب فاذا ظفرنا بمن قتله قتلناه واظهرنا الطلب بدمه والحزن عليه فنبلغ غرضنا ويزول عنا قبح الحادثة ففعلوا ذلك فقتل كما ذكرناه ولما قتل ولى بعده أبو عبد الله بن البطائحى الامر ولقب المأمون وتحكم فى الدولة فبقى كذلك حاكما فى البلاد الى سنة تسع عشرة فصلب كما نذكره ان شاء الله تعالى

●(ذكر عصيان سليمان بن ايلغازى على أبيه)●

فى هذه السنة عصى سليمان بن ايلغازى بن ارتق على أبيه بحلب وقد جاوز عمره عشرين سنة حمله على ذلك جماعة من عنده فسمع والده الخبر فسار مجدا الوقته فلم يشعر به سليمان حتى هجم عليه فخرج اليه معتذرا فامسك عنه وقبض على من كان اشار عليه بذلك منهم أمير كان قد التقطه ارتق والد ايلغازى ورباه اسمه ناصر فقلع عينيه وقطع لسانه

الكامل لكثرة النيل وعموم الماء الاراضى على انه بقى الكثير من بلاد البحيرة وغيرها شراقى بسبب عدم حفر الترع وحبس الجسور وتجسير واشتغال الفلاحين والملتزمين بالفرض والمظالم وعجزهم عن ذلك (وفى خامسه) طلب الباشا كشاف الاقاليم وشرع فى تقرير فرضة على البلاد بما يقتضيه نظره ونظر كشاف الاقاليم والمعلمين القبط فقرروا على اعلاها ثمانين كيسا والادنى خمسة عشر كيسا ولم يتقيد بتحرير ذلك احد من الكتبة الذين يحررون ذلك بدفاتر ويوزعونها على مقتضى الحال ولم يعطوا بالمقادير اوراقا للملتزمى الحصص كما كانوا يفعلون قبل ذلك فان الملتزم كان اذا بلغه تقرير فرضة تدارك امره وذهب الى ديوان الكتبة واخذ علم القدر المقرر على حصته وتكفل بها واخذ منهم مهلة باجل معلوم وكتب على نفسه وثيقة وابقاها عندهم ثم يجتهد فى تحصيل المبلغ من فلاحيه وان لم يسعفوه فى الدفع وحولوا عليه الطلب دفعه من عنده ان كان ذا مقدرة أو استدانه ولو بالرباء ثم يستوفيه بعد ذلك من الفلاحين شيئا فشيئا كل ذلك حرصا على راحة فلاحى حصته وتامينهم واستقرارهم فى وطنهم ليحصل منهم المطلوب من المال الميرى وبعض ما يقتاتون

به همو قياله وان لم يفعل ذلك تحول باستخلاص الخبيث وما ينضاف الى ذلك من حق طرق المعينين وكلفهم وان تاخر الدفع تكرر الارسال والطلب على النسق المشروح فيتضاعف الهم ور بما ضاع فى ذلك قدر الاصل المطلوب وزيادة عنه مرة او مرتين والذى يقبضونه يحسبونه بالفرط وهو فى كل ريال عشرة انصاف فضة يسمونها ديوانى فيقبض المباشر عن الريال تسعين نصفا فضة ويجعل التسعين ثمانين وذلك خلاف ما يقرره فى اوراق الرسم من خدم المباشرين من كتبة القبط فينكشف حال الفلاح ويبيع ما عنده من الغلة والبهيمة ثم يفر من بلدته الى غيرها فيطلبه الملتزم ويبعث اليه المعينين من كاشف الناحية بحق طريق ايضا فربما أداه الحال ان كان خفيف العيال والحركة الى الفرار والخروج من الاقليم بالكلية وقد وقع ذلك حتى امتلأت البلاد الشامية والرومية من فلاحى قرى مصر الذين جلوا عنها وخرجوا منها وتغربوا عن أوطانهم من عظيم هول الجور واذا ضاق الحال بالملتزم وكتب له عرضحال يشكو حاله وحال بلده او حصته وضعف حالها ويرجو التخفيف وتجاسر وقدم عرضحاله الى الباشا يقال له هات التقسيط وخذ ثمن حصتك أو بدلها أو يعين له وزير

ومنهم انسان من اهل حماة من بيت قرناص كان قد قدمه ايلغازى على أهل حلب وجعل اليه الرياسة فجازاه بذلك وقطع يديه ورجليه وسمل عينيه فمات واحضر ولده وهو سكران فاراد قتله فمنعه رقة الوالد فاستبقاه فهرب الى دمشق فارسل طغتكين يشفع فيه فلم يجبه الى ذلك واستناب بحلب سليمان ابن أخيه عبد الجبار بن ارتق ولقبه بدر الدولة وعاد الى ماردين

(ذكر اقطاع ميافارقين ايلغازى)

فى هذه السنة اقطع السلطان محمود مدينة ميافارقين للامير ايلغازى وسبب ذلك انه أرسل ولده حسام الدين تمرتاش وعمره سبع عشرة سنة الى السلطان ليشفع فى دبيس ابن صدقة ويبذل عنه الطاعة وحمل الاموال والخيل وغيرها وأن يضمن الحلة كل يوم بالف دينار وفرس وكان المتحدث عنه القاضى بهاء الدين أبو الحسن على بن القاسم بن الشهرزورى فتردد الخطاب فى ذلك ولم ينفصل حال فلما أراد العود أقطع السلطان أباه مدينة ميافارقين وكانت مع الامير سكمان صاحب خلاط فتسلمها ايلغازى وبقيت فى يده ويد أولاده الى ان ملكها صلاح الدين يوسف بن ايوب سنة ثمانين وخمسمائة سنذكر ذلك ان شاء الله تعالى

(ذكر حصر بلك بن بهرام الرها واسر صاحبها)

فى هذه السنة سار بلك بن بهرام ولد اخى ايلغازى الى مدينة الرها فحصرها وبها الفرنج وبقى على حصرها مدة فلم يظفر بها فرحل عنها فجاءه انسان تركمانى واعلمه ان جوسلين صاحب الرها وسروج قد جمع من عنده من الفرنج وهو عازم على كبسه وكان قد تفرق عن بلك اصحابه وبقى فى اربعمائة فارس فوقف مستعد القتالهم وأقبل الفرنج فمن لطف الله تعالى بالمسلمين ان الفرنج وصلوا الى ارض قد نضب عنها الماء فصارت وحلا غاصت خيولهم فيه فلم تتمكن مع ثقل السلاح والفرسان من الاسراع والجرى فرماهم أصحاب بلك بالنشاب فلم يفلت منهم احد واسر جوسلين وجعل فى جلد جمل وخيط عليه وطلب منه ان يسلم الرها فلم يفعل وبذل فى فداء نفسه أموالا جزيلة واسرى كثيرة فلم يجبه الى ذلك وحمله الى قلعة خرتبرت فسجنه بها واسر معه ابن خالته واسمه كليام وكان من شياطين الكفار واسر ايضا جماعة من فرسانه المشهورين فسجنهم معه

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة توفيت جدة السلطان محمود لابيه وهى والدة السلطان سنجر وكانت تركية تعرف بخاتون السفرية وكان موتها بمرو فجلس محمود ببغداد للعزاء بها وكان مزاحم لم يشاهد مثله الناس وفيها توفى الخطير محمد بن الحسين الميبذى ببلاد فارس وهو فى وزارة الملك سلجوق ابن السلطان محمد وكان قديما وزر للسلطانين بركيارق ومحمد وكان جوادا حليما سمع ان الابيوردى هجاه فلما سمع الهجو مضه فعض على ابهامه وصفح عنه وخلع عليه ووصله وفيها توفى الشهاب ابو المحاسن عبد الرزاق بن عبد الله

وزير السلطان سنجر وهو ابن اخي نظام الملك وكان يتفقه قديما على امام الحرمين الجويني فكان يفتي ويوقع ووزر بعده ابو طاهر سعد بن علي بن عيسى القمي وتوفي بعد شهور فوزر بعده عثمان القمي وفيها في جمادى الاولى اوقع اتابك طغتكين بطائفة من الفرنج فقتل منهم واسر وأرسل من الاسرى والغنيمة للسلطان وللخليفة وفيها تضعضع الركن اليماني من البيت الحرام زاده الله شرفا من زلزلة وانهدم بعضه وتشعث بعض حرم النبي صلى الله عليه وسلم وتشعث غيره من البلاد وكان بالموصل كثير منها وفيها احترقت دار السلطان كان قد بناها مجاهد الدين بهروز للسلطان محمد ففرغت قبل وفاته بيسير فلما كان الآن احترقت وسبب الحريق أن جارية كانت تختضب ليلا فاسندت شمعة الى الخيش فاحترق وعلقت النار منه في الدار واحترق فيها من زوجة السلطان محمود بنت السلطان سنجر ما لا حد عليه من الجواهر والحلي والفرش والثياب واقيم الغسالون يخلصون الذهب وما امكن تخليصه وكان الجوهر جميعه قد هلك الا الياقوت الاحمر وترك السلطان الدار لم تجدد عمارتها وتطير منها لان اباه لم يتمتع بها ثم احترق فيها من اموالهم الشئ العظيم واحترق قبلها باسبوع جامع اصبهان وهو من اعظم الجوامع واحسنها احرقه قوم من الباطنية ليلا وكان السلطان قد عزم على اخذ حق البيع وتجديد المكوس بالعراق باشارة الوزير السميرمي عليه بذلك فتجدد من هذين الحريقين ما هاله واتعظ فاعرض عنه وفيها في ربيع الآخر انقض كوكب عشاء وصار له نور عظيم وتفرق منه اعمدة عند انقضاضه وسمع عند ذلك صوت هدة عظيمة كالزلزلة وفيها ظهر بمكة انسان علوي وامر بالمعروف فكثر جمعه ونازع أمير مكة ابن أبي هاشم وقوي أمره وعزم على ان يخطب لنفسه فعاد ابن أبي هاشم وظفر به ونفاه عن الحجاز الى البحرين وكان هذا العلوي من فقهاء النظامية ببغداد وفيها ألزم السلطان أهل الذمة ببغداد بالغيار فجرى فيه مراجعات انتهت الى ان قرر عليهم للسلطان عشرون ألف دينار وللخليفة اربعة آلاف دينار وفيها حضر السلطان محمود واخوه الملك مسعود عند الخليفة فخلع عليهما وعلى جماعة من اصحاب السلطان منهم وزيره ابو طالب السميرمي وشمس الملك عثمان بن نظام الملك والوزير أبو نصر احمد بن محمد بن حامد المستوفي وعلى غيرهم من الامراء وفيها في ذي القعدة وهو الحادي والعشرون من كانون الثاني سقط بالعراق جميعه من البصرة الى تكريت ثلج كثير وبقي على الارض خمسة عشر يوما وسمكه ذراع وهلكت أشجار النارنج والاترج والليمون فقال فيه بعض الشعراء

يا صدور الزمان ليس بوفر * ما رأيناه في نواحي العراق
انما عم ظلمكم سائر الخلـ * ـق فشابت ذوائب الآفاق

وفيها هبت بمصر ريح سوداء ثلاثة أيام فاهلكت كثيرا من الناس وغيرهم من الحيوانات وفيها توفي ابو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري صاحب المقامات

ترتيبا بقدر فائظها على بعض الجهات الميرية من المكوس والجمارك التي أحدثوها فان سلم سنده وكان ممن يراعي جانبه حول الى بعض الجهات المذكورة صورة والا أهمل أمره وبعضهم باعها لهم بما انكسر عليه من مال الفرض وقد وقع ذلك لكثير من اصحاب الذمم المتعددة انكسر عليه مقادير عظيمة فنزل عن بعضها وخصموا له بثمنها من المنكسر عليه من الفرضة وبقي عليه الباقي يطالب به فان حدثت فرضة أخرى قبل غلاق الباقي وقعد بها وضمت الى الباقي وقصرت يده لعجز فلاحيه واستدان بالربا من العسكر تضاعف الحال وتوجه عليه الطلب من الجهتين فيضطر الى خلاص نفسه وينزل عما بقي تحت يده كالاول وقد يبقى عليه الكسر ويصبح فارغ اليد من الالتزام ومديونا وقد وقع ذلك لكثير كانوا اغنياء ذوي ثروة واصبحوا فقراء محتاجين من حيث لا يشعرون ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم (وفيه) تحركت همم الامراء المصريين القبليين الى الحضور الى ناحية مصر بعد ترداد الرسل والمكاتبات وحضور ديوان أفندي ورجوعه وحضور محمد بك المنفوخ أيضا وكل من حضر منهم انعم عليه الباشا والبسه الخلع ويقدم له التقادم ويعطيه المقادير العظيمة من الاكياس وقصده الباطني صيدهم حتى انه كان أنعم على محمد بك المنفوخ بالتزام

المشهورة وهزارسب بن عوض الهروى وكان قد سمع الحديث كثيرا

(ثم دخلت سنة ست عشرة وخمسمائة)

(ذكر طاعة الملك طغرل لاخيه السلطان محمود)

وفى المحرم من هذه السنة اطاع الملك طغرل أخاه السلطان محمودا وكان قد خرج عن طاعته كما ذكرناه وقصد اذربيجان فى السنة الخالية ليتغلب عليها وكان أتابكه كنتغدى يحسن له ذلك ويقويه عليه فاتفق أنه مرض وتوفى فى شوال سنة خمس عشرة وكان الامير آقسنقر الاحمدىلى صاحب مراغة عند السلطان محمود ببغداد فاستاذنه فى المضى الى اقطاعه فاذن له فلما سار عن السلطان ظن انه يقوم مقام كنتغدى من الملك طغرل فسار اليه واجتمع به واشار عليه بالمكاشفة لاخيه السلطان محمود وقال له اذا وصلت الى مراغة اتصل بك عشرة آلاف فارس وراجل فسار معه فلما وصلوا الى اردبيل اغلقت ابوابها دونهم فساروا عنها الى قريب تبريز فاتاهم الخبر ان السلطان محمودا سير الامير جيوش بك الى اذربيجان واقطعه البلاد وانه نزل مراغة فى عسكر كثيف من عند السلطان فلما تيقنوا ذلك عدلوا الى خوىج وانتقض عليهم ما كانوا فيه وراسلوا الامير شير كير الذى كان أتابك طغرل ايام ابيه يدعونه الى انجادهم وقد كان كنتغدى قبض عليه بعد موت السلطان محمد على ما ذكرناه ثم اطلقه السلطان سنجر فعاد الى اقطاعه أبهر وزنجان وكاتبوه فاجابهم واتصل بهم وسار معهم الى ابهر فلم يتم لهم ما ارادوا فراسلوا السلطان بالطاعة فاجابهم الى ذلك فاستقرت القاعدة أول هذه السنة وتمت

(ذكر حال دبيس بن صدقة وما كان منه)

قد ذكرنا سنة اربع عشرة حال دبيس بن صدقة وصلحه على يد رنقش الزكوى ومقامه بالحلة وعود رنقش الى السلطان ومعه منصور بن صدقة اخو دبيس وولده رهينة فلما علم الخليفة بذلك لم يرض به وراسل السلطان محمودا فى ابعاد دبيس عن العراق الى بعض النواحى وتردد الخطاب فى ذلك وعزم السلطان على المسير الى همذان فاعاد الخليفة الشكوى من دبيس وذكر انه يطالب الناس بعقوده منها قتل ابيه وان يحضر السلطان آقسنقر البرسقى من الموصل ويوليه شحنكية بغداد والعراق ويجعله فى وجه دبيس ففعل السلطان ذلك واحضر البرسقى فلما وصل اليه زوجه والدة الملك مسعود وجعله شحنة بغداد وامره بقتال دبيس ان تعرض الى البلاد وسار السلطان عن بغداد فى صفر من هذه السنة وكان مقامه ببغداد سنة وسبعة اشهر وخمسة عشر يوما فلما فارق بغداد والعراق تظاهر دبيس بامور تاثر بها المسترشد بالله وتقدم الى البرسقى بالمسير اليه وازعاجه عن الحلة فارسل البرسقى الى الموصل واحضر عساكره وسار الى الحلة واقبل دبيس نحوه فالتقوا عند نهر بشير شرقى الفرات واقتتلوا فانهزم عسكر البرسقى وكان سبب الهزيمة انه رأى فى ميسرته خللا وبها الامراء البكجية فامر بالقاء خيمته وان تنصب عند الميسرة ليقوى قلوب من بها فلما رأوا الخيمة وقد سقطت

ظنوها

كنغدا الرزازو نقلوا ورشة الحدادين ومناخهم وعددهم من بيت محمد افندى طبل الودنلى المعروف بناظر المهمات الى بيت صالح المذكور بناحية التبانة وكذلك العربجية وصناع الجمل والمدافع ونزع عوامنه ايضا معمل البارود وكان تحت نظره وكذلك قاعة الفضة وجرك اللبان وغيره (وفيه وصلت) الاخبار من البلاد الرومية والشامية وغيرها بوقوع الزلزلة فى الوقت الذى حصلت فيه بمصر الا انها كانت اعظم واشد واطول مدة وحصل فى بلاد كريت اتلافات كثيرة وهدمت اماكن ودورا كثيرة وهلك كثير من الناس تحت الردم وخسفت اماكن وتكسر على ساحل مالطه عدة مراكب وحصل ايضا باللاذقية خسف وحكى الناقلون ان الارض انشقت فى جهة من اللاذقية فظهر فى اسفلها ابنية فانخسفت بها الارض قبل ذلك ثم انطبقت ثانيا (وفيه من الحوادث) ما وقع ببيت المقدس وهو انه لما احترقت القمامة الكبرى كما تقدم ذكر حرقها فى العام الماضى عرضوا الى الدولة فبرز الامر السلطانى باعادة بنائها وعينوا لذلك اغاقا يجى ويلى يده مرسوم شريف فحضر الى القدس وحصل الاجتهاد فى تسهيل مهمات

مجاورة لها واتقنوا البناء اتقانا عجيبا وجعلوا اسوارها وحيطانها بالحجر النحيت ونقلوا اليها من رخام المسجد الاقصى فقام بمنع ذلك جماعة من الاشراف الينكجرية وشنعوا على الاغا المعين وعلى كبار البلدة وتعصبوا حماية للدين قائلين ان الكنائس اذا خربت لايجوز اعادتها الا بانقاضها ولايجوز الاستعلاء بها ولا تشييدها ولا اخذ رخام الحرم القدسى ليوضع فى الكنيسة ومانعوا فى ذلك فارسل ذلك الاغا المعين الى يوسف باشا يعرفه عن المعارضين لاوامر الدولة فارسل يوسف باشا طائفة من عسكره فى عدة وافرة فوصلوا من طريق الغور وهو مسلك موصل الى القدس قريب المسافة خلاف الطريق المعتاد فدهموا الجماعة المعارضين على حين غفلة وحاصروهم فى دير وقتلوهم عن آخرهم وهم نيف وثلاثون نفرا وشيدوا القمامة كما ارادوا اعظم واضخم مما كانت عليه قبل حرقها فنسال المولى السلامة فى الدين

(واستهل شهر ربيع الاول بيوم الخميس سنة ١٢٢٥)

فيه وصلت الامراء المصريون القبالى الى ناحية بنى سويف وكثير من الاجناد الى مصر وترددت الرسل وحضر ديوان افندى ثم رجع ثانيا اليهم (وفيه أمر الباشا) الكتاب

ظنوها عن هزيمة فانهزموا وتبعهم الناس والبرسقى وقيل بل اعطى رقعة فيها ان جماعة من الامراء منهم اسمعيل البكجى يريدون الفتك به فانهزم وتبعه العسكر ودخل بغداد ثانى ربيع الآخر وكان فى جملة العسكر نصر بن النفيس بن مهذب الدولة أحمد بن ابى الجبر وكان ناظرا بالبطيحة لريحان محكويه خادم السلطان لانها كانت من جملة اقطاعه وحضر أيضا المظفر بن حماد بن أبى الجبر وبينهما عداوة شديدة فالتقيا عند الانهزام بساباط نهر ملك فقتله المظفر ومضى الى واسط مختفيا وسار منها الى البطيحة وتغلب عليها وكاتب دبيسا واطاعه وامادبيس فانه لم يعرض لنهر ملك ولا لغيره وارسل الى الخليفة انه على الطاعة ولولا ذلك لاخذ البرسقى وجميع من معه وسال ان يخرج الناظر الى القرى التى لخاص الخليفة لقبض دخلها وكانت الوقعة فى خزيران وحمى البلد فاحد الخليفة فعله وترددت الرسل بينهما فاستقرت القاعدة ان يقبض المسترشد بالله على وزيره جلال الدين ابى على بن صدقة ليعود الى الطاعة فقبض على الوزير ونهبت داره ودوره واصحابه والمنتمين اليه وهرب ابن اخيه جلال الدين ابو الرضا الى الموصل ولما سمع السلطان خبر الوقعة قبض على منصور بن صدقة اخى دبيس وولده ورفعهما الى قلعة برجين وهى تجاور كرج ثم ان دبيسا ارسل جماعة من اصحابه بالمسير الى اقطاعهم بواسط فساروا اليها فمنعهم اتراك واسط فهزمهم دبيس اليهم عسكرا مقدمهم مهلهل ابن ابى العسكر وارسل الى المظفر بن ابى الجبر بالبطيحة ليتفق مع مهلهل ويساعده على قتال الواسطيين فاتفقا على ان تكون الوقعة تاسع رجب وارسل الواسطيون الى البرسقى يطلبون منه المدد فامدهم بجيش من عنده وعجل مهلهل فى عسكر دبيس ولم ينتظر المظفر ظنا منه انه بمفرده ينال منهم ما اراد وينفرد بالفتح فالتقى هووا لواسطيون ثامن رجب فانهزم مهلهل وعسكره وظفر الواسطيون واخذ مهلهل اسيرا وجماعة من اعيان العسكر وقتل مايزيد على الف قتيل ولم يقتل من الواسطيين غير رجل واحد وأما المظفر بن ابى الجبر فانه اصعد من البطيحة ونهب وافسد وجرى من اصحابه القبيح فلما قارب واسطا سمع بالهزيمة فعاد منحدرا وكان فى جملة ما أخذ العسكر الواسطى من مهلهل تذكرة بخط دبيس يامره فيها بقبض المظفر بن ابى الجبر ومطالبته باموال كثيرة أخذها من البطيحة فارسلوا الخط الى المظفر وقالوا هذا خط الذى تختاره وقد اسخطت الله تعالى والخلق كلهم لاجله فمال اليهم ووصل معهم فلما جرى على اصحاب دبيس من الواسطيين ماذكرناه شمر عن ساعده فى الشر وبلغه ان السلطان لحل اخاه فخر شعره ولبس السواد ونهب البلاد واخذ كل ما للخليفة بنهر ملك فاجلى الناس الى بغداد وسار عسكر واسط الى النعمانية فاجلوا عنها عسكر دبيس واستولوا عليها وجرى بينهم هناك وقعة كان الظفر للواسطيين وتقدم الخليفة الى البرسقى بالتبريز الى حرب دبيس فبرز فى رمضان وكان ماذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر قتل السميرمى)

وفى هذه السنة قتل الوزير الكمال أبو طالب السميرمى وزير السلطان محمود سلخ صفر

وذلك باغراء البعض منهم فاستمروا فى عمل الحساب أياما فزاد حسين أفندى مائة وثمانون كيسا فلم يعجب الباشا ذلك واستخونهم فى عمل الحساب ثم الزمه بدفع اربعمائة كيس وقال أنا كنت أريد منه ستمائة كيس وقد سامحته فى مائتين فى نظير الذى تأخر له وطلع فى صحبها الى الباشا وخلع عليه فروة باستقراره فى منصبه ونزل الى داره فلما كان بعد الغروب حضر اليه جماعة من العسكر فى هيئة مزعجة ومعهم مشاعل وطلبوا الدفاتر وهم يقولون معزول معزول واخذوا الدفاتر وذهبوا وحولوا عليه الحوالات بطلب الاربعمائة كيس فاجتهد فى تحصيلها ودفعها ثم ردوا له الدفاتر ثانيا (وفيه) حصلت كائنة احمد أفندى المعروف باليتيم من كتاب الروزنامه وذلك ان الباشا كان بيت الازبكية فوصل اليه مكتوب من كاشف اقليم الدقهلية يعرفه فيه انه قاس قطعة أرض جارية فى اقطاع أحمد افندى المذكور فوجد مساحتها خلاف المقيد بدفتر المقياس الاول ومسقوط منها نحو الخمسمائة فدان وذلك من فعل المذكور ومخامرته مع النصارى البكتية والمباشرين لانهم يراعونه ويدلسون معه لان دفاتر الروزنامه بيده فلما قرأ المكتوب أمر

وكان قد برز مع السلطان ليسير الى همذان فدخل الحمام وخرج بين يديه الرجالة والخيالة وهو فى موكب عظيم فاجتاز بسوق المدرسة التى بناها انجار تمكين التقشى واجتاز فى منفذ ضيق فيه حفائر الشوك فتقدم اصحابه لضيق الموضع فوثب عليه باطنى وضربه بسكين فوقعت فى البغلة وهرب الى دجلة وتبعه الغلمان فخلا الموضع فظهر رجل آخر فضربه بسكين فى خاصرته وجذبه عن البغلة الى الارض وضربه عدة ضربات وعاد اصحاب الوزير فحمل عليهم رجلان باطنيان فانهزم وامنهما ثم عادوا وقد ذبح الوزير مثل الشاة فحمل قتيلا وبه نيف وثلاثون جراحة وقتل قاتلوه ولما كان فى الحمام كان المنجمون ياخذون له الطالع ليخرج فقالوا هذا وقت جيد وان تأخرت يفوت طالع السعد فاسرع وركب وأراد ان يأكل طعاما فمنعوه لاجل الطالع فقتل ولم ينفعه قولهم وكانت وزارته ثلاث سنين وعشرة اشهر وانتهب ماله واخذ السلطان خزانته ووزر بعده شمس الملك بن نظام الملك وكانت زوجة السميرمى قد خرجت هذا اليوم فى موكب كبير معها نحو مائة جارية وجمع من الخدم والجميع بمراكب الذهب فلما سمعن بقتله عدن حافيات حاسرات وقد تبددن بالعزهوانا و بالمسرة احزانا فسبحان من لا يزول ملكه وكان السميرمى ظالما كثير المصادرة للناس سيئ السيرة فلما قتل اطلق السلطان ما كان جدده من المكوس وما وضعه على التجار والباعة

(ذكر القبض على ابن صدقة وزير الخليفة ونيابة على بن طراد)

فى جمادى الاولى قبض الخليفة على وزيره جلال الدين بن صدقة وقد تقدم ذكره قبل واقيم نقيب النقباء شرف الدين على بن طراد الزينبى فى نيابة الوزارة فارسل السلطان الى المسترشد بالله فى معنى وزارة نظام الملك ابى نصر احمد بن نظام الملك وكان أخا شمس الملك عثمان بن نظام الملك وزير السلطان محمود فاجيب الى ذلك واستوزر فى شعبان وكان قد وزر للسلطان محمد سنة خمسمائة ثم عزل ولزم داره الى ان استجدها ببغداد الى الآن فلما خلع على نظام الملك وجلس فى الديوان طلب ان يخرج ابن صدقة عن بغداد فلما علم ابن صدقة ذلك طلب من الخليفة ان يسير الى حديثة عانة ليكون عند الامير سليمان ابن مهارش فاجيب الى ما طلب وسار الى الحديثة فخرج عليه فى الطريق انسان من مفسدى التركمان يقال له يونس الحرامى فاسره ونهب اصحابه فخاف الوزير أن يعلم دبيس فارسل الى يونس وبذل له مالا ياخذه منه للعداوة التى بينهما فقرر امره مع يونس على الف دينار يحمل منها ثلثمائة ويؤخر الباقى الى ان يرسله من الحديثة وارسل عامل بلد الفرات فى تخليصه وانفاذ من يضمن الباقى الذى عليه فاعمل العامل الحيلة فى ذلك فاحضر انسانا قلالا والبسه ثيابا فاخرة وطيلسانا واركبه وسير معه غلمانا وامره ان يمضى الى يونس ويدعى انه قاضى بلد الفرات ويضمن الوزير منه بما بقى من المال فسار السوادى الى يونس فلما حضر عند الوزير ويونس احترماه وضمن السوادى الوزير منه وقال له اقيم عندك الى ان يصل المال مع صاحب لك تنفذه مع الوزير فاعتقد يونس صدق ذلك واطلق الوزير ومعه جماعة من أصحابه فلما وصل الحديثة قبض على

من

من معه منهم فاطلق يونس ذلك السوادى والمال الذى أخذه حتى أطلق الوزير اصحابه وعلم الحيله التى بيت عليه ولما سار الوزير من عند يونس لقى انسانا انكره فاخذه فرأى معه كتابا من دبيس الى يونس يبذل ستة آلاف دينار ليسلم الوزير اليه وكان خلاصه من أعجب الاشياء

(ذكر قتل جيوش بك)

فى هذه السنة قتل الامير جيوش بك الذى كان صاحب الموصل وقد ذكرنا خروجه على السلطان محمود وعوده الى خدمته فلما رضى عنه أقطعه أذربيجان وجعله مقدم عسكره بخرى بينه وبين جماعة من الامراء منافرة ومنازعات فاغروا به السلطان فقتله فى رمضان على باب تبريز وكان تركيا من مماليك السلطان محمد عادلا حسن السيرة ولما ولى الموصل والجزيرة كان الاكراد بتلك الاعمال قد انتشروا وكثر فسادهم وكثرت قلاعهم والناس معهم فى ضيق والطريق خائفة فقصدهم وحصر قلاعهم وفتح كثيرا منها ببلد الهكارية وبلد الزوزان وبلدا المشنوية وخافه الاكراد وتولى قصدهم بنفسه فهربوا منه فى الجبال والشعاب والمضايق وامنت الطرق وانتشر الناس واطمانوا وبقى الاكراد لا يجسرون أن يحملوا السلاح لهيبته

(ذكر وفاة ايلغازى واحوال حلب بعده)

فى هذه السنة فى شهر رمضان توفى ايلغازى بن ارتق بميافارقين وملك ابنه حسام الدين تمرتاش قلعة ماردين وملك ابنه سليمان ميافارقين وكان بحلب ابن اخيه بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار بن ارتق فبقى بها الى ان اخذها ابن عمه

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة اقطع السلطان محمود الامير آقسنقر البرسقى مدينة واسط واعمالها مضافا الى ولاية الموصل وغيرها مما بيده وشحنكية العراق فلما أقطعها البرسقى سير اليها عماد الدين زنكى بن آقسنقر الذى كان والده صاحب حلب وامره بحمايتها فسار اليها فى شعبان وواليها وقد ذكرنا اخبار زنكى فى كتاب الباهر فى ذكر ملكه وملك اولاده الذين هم ملوكنا الآن فينظر منه وفيها ظهر معدن نحاس بديار بكر قريبا من قلعة ذى القرنين وفيها زاد الفرات زيادة عظيمة لم يعهد مثلها فدخل الماء الى ربض قلعة جعبر وكان الفرات حينئذ بالقرب منها فغرق أكثر دوره ومساكنه وحمل فرسا من الربض وألقاه من فوق السور الى الفرات وفيها بنيت مدرسة بحلب لاصحاب الشافعى وفيها توفيت ابنة السلطان سنجر زوج السلطان محمود وفيها فى شعبان قدم الى بغداد البرهان أبو الحسن على بن الحسين الغزنوى وعقد مجلس الوعظ فى جميع المواضع وورد بعده أبو القاسم على بن على العلوى ونزل رباط شيخ الشيوخ فوعظ فى جامع القصر والتاجية ورباط سعادة وصار له قبول عند الحنابلة وحصل له مال كثير لانه أظهر موافقتهم وورد بعده أبو الفتوح الاسفرايينى ونزل برباط شيخ الشيوخ

الالنى فترجيا عند الباشا واخبراه بان المذكور مريض بالسرطان فى رجله ولا يقدر على حركتها واستاذنه السيد الهروقى بان ياخذه الى داره فان داره باب من ابوابه فاجابه الى ذلك وركب فى الحال ولحق بالمعينين وكانوا قد وصلوا اليه وازعجوه فمنعهم عنه وأخذه الى داره وراجع الباشا فى امره فقرر عليه ثمانين كيسا بعد أن قال انى كنت اريد أن اقول ثلثمائة كيس فسبق لسانى فقلت مائة كيس وقد تجاوزت لاجلك عن عشرين كيسا وهو يقدر على اكثر من ذلك لانه يفعل كذا وكذا وعدد اشياء تدل على انه ذو غنية كبيرة منها انه لما سافر الى الباشا بدفتر الفرضة الى ناحية أسيوط طلع الى البلدة فى هيئة وصحبته فرش وسماحير وبشخانات وكرارات وفراشون وخدم وكيلا رجية ومصاحبية والحكيم والمزين فلما شاهد الباشا هيئته سال عنه وعن منصبه فقيل له انه جاجرت من كتبة الروزنامه فقال اذا كان جاجرت بمعنى تلميذ فكيف يكون باش جاجرت او قلفاوات الاقليم فضلا عن كبيرهم الروزنامجى واى شئ ذلك واسر ذلك فى

نفسه وطفق يسال ويتجسس عن احوالهم لانه من طبعه الحقد والحسد والتطلع لما فى

أيضا ووعظ فى هذه المواضع وفى النظامية وأظهر مذهب الاشعرى فصار له قبول كثير عند الشافعية وحضر مجلسه الخليفة المسترشد بالله وسلم اليه رباط الارجونية والدة المقتدى بالله بدرب زاخى وفيها توفى عبد الله بن أحمد بن عمر أبو محمد السمرقندى أخو أبى القاسم بن السمرقندى ومولده بدمشق سنة أربع وأربعين وأربعمائة ونشا ببغداد وسمع الصريفينى وابن النقور وغيرهما وسافر الكثير وكان حافظا للحديث عالما به وفى ذى الحجة توفى عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن محمد بن يوسف أبو طالب ومولده سنة ست وثلاثين وأربعمائة وسمع البرمكى والجوهرى والعشارى وكان ثقة حافظا للحديث

(ثم دخلت سنة سبع عشرة وخمسمائة)

(ذكر مسير المسترشد بالله لحرب دبيس)

فى هذه السنة كان الحرب بين الخليفة المسترشد بالله وبين دبيس بن صدقة وكان سبب ذلك ان دبيسا اطلق عفيفا خادم الخليفة وكان ماسورا عنده وحمله رسالة فيها تهديد للخليفة بارسال البرسقى الى قتاله وتقويته بالمال وان السلطان كحل أخاه وبالغ فى الوعد ولبس السواد وجز شعره وحلف لينهبن بغداد ويخربها فاغتاظ الخليفة لهذه الرسالة وغضب وتقدم الى البرسقى بالتبريز الى حرب دبيس فبرز فى رمضان سنة ست عشرة وتجهز الخليفة وبرز من بغداد واستدعى العساكر فاتاه سليمان بن مهارش صاحب الحديثة فى عقيل وأتاه قرواش بن مسلم وغيرهما وأرسل دبيس الى نهر ملك فنهب وعمل أصحابه كل عظيم من الفساد فوصل أهله الى بغداد فامر الخليفة فنودى ببغداد لا يتخلف من الاجناد أحد ومن أحب الجندية من العامة فليحضر فجاء خلق كثير ففرق فيهم الاموال والسلاح فلما علم دبيس الحال كتب الى الخليفة يستعطفه ويساله الرضا عنه فلم يجب الى ذلك وأخرجت خيام الخليفة فى العشرين من ذى الحجة من سنة ست عشرة فنادى أهل بغداد النفير النفير الغزاة الغزاة وكثر الضجيج من الناس وخرج منهم عالم كثير لا يحصون كثرة وبرز الخليفة رابع عشرى ذى الحجة وعبر دجلة وعليه قباء اسود وعمامة سوداء وطرحة وعلى كتفه البردة وفى يده القضيب وفى وسطه منطقة جديد صينى ونزل الخيام ومعه وزير نظام الدين أحمد بن نظام الملك ونقيب الطالبيين ونقيب النقباء على بن طراد وشيخ الشيوخ صدر الدين اسمعيل وغيرهم من الاعيان وكان البرسقى قد نزل بقرية جهارطاق ومعه عسكره فلما بلغهم خروج الخليفة عن بغداد عادوا الى خدمته فلما رأوا الشمسة ترجلوا باجمعهم وقبلوا الارض بالبعد منه ودخلت هذه السنة فنزل الخليفة مستهل المحرم بالحديثة بنهر الملك واستدعى البرسقى والامراء واستحلفهم على المناصحة فى الحرب ثم ساروا الى النيل ونزلوا بالمباركة وعبى البرسقى أصحابه ووقف الخليفة من وراء الجميع فى خاصته وجعل دبيس أصحابه صفا واحدا ميمنة وميسرة وقلبا وجعل الرجالة بين يدى الخيالة بالسلاح وكان قد وعد

أيدى الناس ولما قلد خليل افندى كتابة ٢٥٨ الذمة فى الروزنامه كما تقدم انضم اليه الكارهون للمذكور الذين كانوا خاملى الذكر بوجوده وتوصلوا الى باب الباشا وكتخدا بك وأنهوا فيه انه يتصرف فى الاموال الميرية كما يختار وان حسين أفندى الروزنامجى لا يخرج عن مراده واشارته وبيته مفتوح للضيفان ويجتمع عنده فى كل ليلة عدة من الفقراء يثرد لهم الثريد فى القصاع ويواسى الكثير من أهل العلم وغيرهم ويتعهد بكثير من الملتزمين بالفرض التى تقرر على حصصهم ويضمها فى حسابه ويصبر عليهم حتى يوفوها له فى طول الزمن ونحو ذلك وكل ما ذكر دليل على سعة الحال والمقدرة وأما الذنب الذى أخذه به فان القدر المذكور من الطين كان من الموات فاتفق المذكور مع شركائه ملتزمى الناحية وجرفوه وأحيوه وأصلحوه بعد ان كان خرسا ومواتا لا ينتفع به وجعلوه صالحا للزراعة وظن ان ذلك لا يدخل فى المساحة فاسقطه منها فوقع له ما وقع وأسقطوا اسمه من كتاب الروزنامه ومنعوه منها وانقطع فى داره وزاد به ألم رجله (وفيه انحرف) أيضا الباشا على الخواجا محمود حسن وعزله من الجمارك والبزرجانية وأكل عليه المطلوب له وهو مبلغ الفان وخمسون كيسا

(واستهل شهر ربيع الثانى بيوم السبت سنة ١٢٢٥)

فيه وصلت الاخبار من البلاد الحجازية بنزول سيل عظيم حصل منه ضرر كثير وهدم دورا كثيرة بمكه

اصحابه

أصحابه بنهب بغداد وسبى النساء فلما رأت الفتنان بادر أصحاب دبيس وبين أيديهم الامام يضرب بالدفوف والمخانيث بالملاهى ولم يرفى عسكر الخليفة غير قارئ ومسيح وداع فقامت الحرب على ساق وكان مع أعلام الخليفة الامير كرباوى بن خراسان وفى الساقة سليمان بن مهارش وفى ميمنة عسكر البرسقى الامير أبو بكر بن الياس مع الامراء البكجية فحمل عنتر بن أبى العسكر فى طائفة من عسكر دبيس على ميمنة البرسقى فتراجعت على أعقابها وقتل ابن أخ للامير أبى بكر البكجى وعاد عنتر وحمل حملة ثانية على هذه الميمنة فكان حالها فى الرجوع على أعقابها كحالها الاول فلما رأى عسكر واسط ذلك ومقدمهم الشهيد عماد الدين زنكى بن آقسنقر حمل وهم معه على عنتر ومن معه وأتوهم من ظهورهم فبقى عنتر فى الوسط وعماد الدين وعسكر واسط من ورائه والامراء البكجية بين يديه فاسر عنتر واسر معه بريك بن زائدة وجميع من معهما ولم يفلت أحد وكان البرسقى واقفا على نشز من الارض وكان الامير آق بورى فى الكمين فى جمع من فارس فلما اختلط الناس خرج الكمين على عسكر دبيس فانهزم وا جميعهم وألقوا نفوسهم فى الماء فغرق كثير منهم وقتل كثير ولما رأى الخليفة اشتداد الحرب جرد سيفه وكبر وتقدم الى الحرب فلما انهزم عسكر دبيس وحملت الاسرى الى بين يديه أمر الخليفة أن تضرب أعناقهم صبرا وكان عسكر دبيس عشرة آلاف فارس واثنى عشر الف راجل وعسكر البرسقى ثمانية آلاف فارس وخمسة آلاف راجل ولم يقتل من أصحاب الخليفة غير عشرين فارسا وحصل نساء دبيس وسراريه تحت الاسر سوى بنت ايلغازى وبنت حميد الدولة بن جهير فانه كان تركهما فى المشهد وعاد الخليفة الى بغداد فدخلها يوم عاشوراء من هذه السنة ولما عاد الخليفة الى بغداد ثار العامة بها ونهبوا مشهد باب التبن وقلعوا أبوابه فانكر الخليفة ذلك وأمر نظرا أمير الحاج بالركوب الى المشهد وتاديب من فعل ذلك وأخذ ما نهب ففعل وأعاد البعض وخفى الباقى عليه وأما دبيس بن صدقة فانه لما انهزم نجا بفرسه وسلاحه وأدركته الخيل فقاتلها وعبر الفرات فرأته امرأة عجوز وقد عبر فقالت له دبير جئت فقال دبير من لم يجئ واختفى خبره بعد ذلك وأرجف عليه بالقتل ثم ظهر أمره انه قصد غزية من عرب نجد فطلب منهم ان يحالفوه فامتنعوا عليه وقالوا انا نسخط الخليفة والسلطان فرحل الى المنتفق واتفق معهم على قصد البصرة وأخذها فساروا اليها ودخلوها ونهبوا أهلها وقتل الامير سخت كمان مقدم عسكرها وأجلى أهلها فارسل الخليفة الى البرسقى يعاتبه على اهماله أمر دبيس حتى تم له من امر البصرة ما أخربها فتجهز البرسقى للانحدار اليه فسمع دبيس ذلك ففارق البصرة وسار على البر الى قلعة جعبر والتحق بالفرنج وحضر معهم حصار حلب واطعمهم فى اخذها فلم يظفروا بها فعادوا عنها ثم فارقهم والتحق بالملك طغرل ابن السلطان محمد فاقام معه وحسن له قصد العراق وسنذكره سنة تسع وعشرين ان شاء الله تعالى

(وفيه) وصل الامراء المصريون الى ناحية الرقة واوائلهم وصلوا الى دهشور وخرج اليهم الاتباع بالملاقاة من بيوتهم واحبابهم وذهب اليهم مصطفى اغا لوكيل وعلى كاشف الصابونجى وديوان أفندى ثم الباشا ثم فى اثرهم طوسون ابن الباشا وقدم له ابراهيم بك تقادم وأقام بوطاقه أياما ثم رجعوا وكثر تردد المراسلات والاختلافات فى أمر الشروط (وفى خامسه) حضر عثمان بك يوسف وصحبته صنجق آخر فطلعا الى القلعة وقابلا الباشا ثم رجعا وحضرا فى ثانى يوم كذلك فخلع عليهما خلعا واعطاهما أكياسا وارسل الى ابراهيم بك هدايا والى سليم بك الفار مجى المرادى أيضا (وفى يوم الثلاثاء حادى عشره) وصل الجميع الى الجيزة ونصبوا وطاقهم خارج الجيزة وصحبتهم عربان وهوارة كثيرة وانتظروا ان الباشا يضرب لحضورهم مدافع فلم يفعل وقال ابراهيم بك سبحان الله مع هذا الاحتقار ألم يكن أمير مصر نيفا وأربعين سنة وتقلدت قائمقامية ولايتها ووزارتها مرارا وباخرة صار من أتباعى وأعطيه خرجه من كيلارى ثم أحضرا ناو باقى الامراء على صورة الصلح فلا يضرب لهم مدافع كما يفعل لحضور بعض الافرنج وتأثر من ذلك واشيع فى الناس

قصره وحضر اليه شاهين بك الالفي في سفينة ووقع بينهما مكالمات ورجع من عنده عائدا الى الجيزة منفعل الخاطر ثم ان الباشا عرض عساكره فاجتمع اليه الجميع وبدا اللغط وكثرت اللقلقة وعند ما وصل شاهين بك الى الجيزة أزر حريمه واركبهن وارسلهن الى الفيوم ونقل متاعه وفرشه من قصر الجيزة في بقية اليوم وكسر المرايات وزجاج الشبابيك التي في مجالسه الخاصة ثم ركب في طوائفه واتباعه وخشداشينه ومماليكه وذهب الى عرضي اخوانه وقبيلته ونصب خيامه ووطاقه بجذائهم واجتمع بهم وتصافى معهم وقد كان حضر اليه عبد الرحمن بك تابع عثمان بك المرادي المعروف بالطنبرجي وحول دماغه واتفق معه على الانضمام اليهم والخروج عن الباشا ففعل ما فعل وجعلوه رئيس الامراء المرادية

(وفي ذلك اليوم) عدى حسن باشا وصالح اغا قوج الى بر الجيزة وذهبا الى عرضي الامراء وسلما عليهم وتغديا عند شاهين بك وجرى بينهما وبين ابراهيم بك كلام كثير وقال له حسن باشا انكم وصلتم الى هنا لتمام الصلح على الشروط التي حصلت بينكم وبين الباشا والاتفاق الذي جرى باسيوط ويكون تمامه عند وصولكم الديماس

(ذكر ملك الفرنج حصن الاثارب)

في هذه السنة في صفر ملك الفرنج حصن الاثارب من اعمال حلب وسبب ذلك انهم كانوا قد اكثروا قصد حلب واعمالها بالاغارة والتخريب والتحريق وكان بحلب حينئذ بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار بن ارتق وهو صاحبها ولم يكن له بالفرنج قوة وخافهم فهادنهم على ان يسلم الاثارب ويكفوا عن بلاده فاجابوه الى ذلك وتسلموا الحصن وتمت الهدنة بينهم واستقام امر الرعية باعمال حلب وجلبت اليهم الاقوات وغيرها ولم تزل الاثارب بايدي الفرنج الى ان ملكها اتابك زنكي بن آقسنقر على ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر ملك بلك حران وحلب)

في هذه السنة في ربيع الاول ملك بلك بن بهرام مدينة حران وكان حصرها فلما ملكها سار منها الى مدينة حلب وسبب مسيره اليها انه بلغه ان صاحبها بدر الدولة قد سلم قلعة الاثارب الى الفرنج فعظم ذلك عليه وعلم عجزه عن حفظ بلاده فقوي طمعه في ملكها فسار اليها ونازلها في ربيع الاول وضايقها ومنع الميرة عنها واحرق زروعها فسلم اليه ابن عمه البلد والقلعة بالامان غرة جمادى الاولى من السنة وتزوج ابنة الملك رضوان وبقي مالكا لها الى ان قتل على ما نذكره

(ذكر الحرب بين الفرنج والمسلمين بافريقية)

قد ذكرنا ان الامير علي بن يحيى صاحب افريقية لما استوحش من زجار صاحب صقلية جد الاسطول الذي له وكثر عدده وعدده وكاتب امير المسلمين علي بن يوسف ابن تاشفين بمراكش بالاجتماع معه على قصد جزيرة صقلية فلما علم زجار ذلك كف عن بعض ما كان يفعله فاتفق ان عليا مات سنة خمس عشرة وولي ابنه الحسن وقد ذكرناه فلما دخلت سنة ست سير امير المسلمين اسطولا ففتحوا نقوطرة بساحل بلاد قلورية فلم يشك زجار ان عليا كان سبب ذلك فجد في تعمير الشواني والمراكب وحشد فاكثر ومنع من السفر الى افريقية وغيرها من بلاد الغرب فاجتمع له من ذلك ما لم يعهد مثله قيل كان ثلثمائة قطعة فلما انقطعت الطريق عن افريقية توقع الامير الحسن بن علي خروج العدو الى المهدية فامر باتخاذ العدد وتجديد الاسوار وجمع المقاتلة فاتاه من اهل البلاد ومن العرب جمع كثير فلما كان في جمادى الآخرة سنة سبع عشرة سار الاسطول الفرنجي في ثلثمائة قطعة فيها الف فرس وفرس واحد الا انهم لما سارو امن مرسى على فرقتهم الريح وغرق منهم مراكب كثيرة ونازل من سلم منهم جزيرة قوصرة ففتحها وقتل من بها وسبى وغنموا وساروا عنها فوصلوا الى افريقية ونازلوا الحصن المعروف بالديماس أو اخر جمادى الاولى فقاتلهم طائفة من العرب كانوا هناك والديماس حصن منيع في وسطه حصن آخر وهو مشرف على البحر وسير الحسن من عنده من الجموع الى الفرنج وأقام هو بالمهدية في جمع آخر يحفظها واخذ الفرنج حسن

الديماس وجنود المسلمين محيطة بهم فلما كان بعد ليال اشتد القتال على الحصن الداخل فلما كان الليل صاح المسلمون صيحة عظيمة ارتجت لها الارض وكبروا فوقع الرعب فى قلوب الفرنج فلم يشكوا ان المسلمين يهجمون عليهم فبادروا الى شوانيهم وقتلوا بايديهم كثيرا من خيولهم وغنم المسلمون منها اربعمائة فرس ولم يسلم معهم غير فرس واحد وغنم المسلمون جميع ما تخلف عن الفرنج وقتلوا كل من عجز عن الطلوع الى المراكب فلما صعد الفرنج الى مراكبهم اقاموا بها ثمانية ايام لا يقدرون على النزول الى الارض فلما أيسوا من خلاص اصحابهم الذين فى الديماس ساروا والمسلمون يكبرون عليهم ويصيحون بهم واقامت عساكر المسلمين على حصن الديماس فى ام لا يحصون كثرة فحصروه فلم يمكنهم فتحه لحصانته وقوته فلما عدم الماء على من به من الفرنج وضجروا من مواصلة القتال ليلا ونهارا فتحوا باب الحصن وخرجوا فقتلوا عن آخرهم وذلك يوم الاربعاء منتصف جمادى الآخرة من السنة وكانت مدة اقامتهم فى الحصن ستة عشر يوما ولما رجع الفرنج مقهورين أرسل الامير الحسن البشرى الى سائر البلاد وقال الشعراء فى هذه الحادثة فاكثروا وتركنا ذلك خوف التطويل

(ذكر استيلاء الفرنج على خرتبرت واخذها منهم)

فى هذه السنة فى ربيع الاول استولى الفرنج على خرتبرت من بلاد ديار بكر وسبب ذلك ان بلك بن بهرام بن ارتق كان صاحب خرتبرت فحصر قلعة كركر وهى تقارب خرتبرت فسمع الفرنج بالشام الخبر فسار بغدوين ملك الفرنج فى جموعه اليه ليرحله عنها خوفا ان يقوى بملكها فلما سمع بلك بقربه منه رحل اليه والتقيا فى صفر واقتتلا فانهزم الفرنج واسر ملكهم ومعه جماعة من اعيان فرسانهم وسجنهم بقلعة خرتبرت وكان بالقلعة ايضا جوسلين صاحب الرها وغيره من مقدمى الفرنج كان قد اسرهم سنة خمس عشرة وسار بلك عن خرتبرت الى حران فى ربيع الاول فملكها فاعمل الفرنج الحيلة باستمالة بعض الجند فظهروا وملكوا القلعة فاما الملك بغدوين فانه اتخذ الليل جملا ومضى الى بلاده واتصل الخبر ببلك صاحبها فعاد فى عساكره اليها وحصرها وضيق على من بالقلعة واستعادها من الفرنج وجعل فيها من الجند من يحفظها وعاد عنها

(ذكر قتل وزير السلطان وعود ابن صدقة الى وزارة الخليفة)

فى هذه السنة قبض السلطان محمود على وزيره شمس الملك عثمان بن نظام الملك وقتله وسبب ذلك انه لما اشار على السلطان بالعود عن حرب الكرج وخالفه وكانت الخيرة فى مخالفته تغير عليه وذكره اعداؤه عنده بسوء ونبهوا على تهوره وقلة تحصيله ومعرفته بمصالح الدولة فقد رأى السلطان فيه ثم ان الشهاب ابا المحاسن وزير السلطان سنجر كان قد توفى وهو ابن اخى نظام الملك ووزر بعده ابو طاهر القمى وهو عدو للبيت النظامى فسعى مع السلطان سنجر حتى أرسل الى السلطان محمود يأمره بالقبض على وزيره شمس الملك فصادف وصول الرسول وهو متغير عليه فقبض عليه وسلمه الى طغايرك فبعثه

وهو يوليكم المناصب التى تريدونها بشرط ان تقوموا بدفع الفرض التى يقررها على النواحى والغلال الميرية والخراج وتعيين من يريده منكم صحبة العساكر الموجهة الى البلاد الحجازية لفتح الحرمين وتكونوا معه امراء مطيعين وهو يعطيكم الامريات والانعامات الجزيلة ويعمر لكم ما تريدونه من الدور والقصور التى لكم ولاتباعكم على طرفه لا يكلفكم بشئ من الاشياء وقد رأيتم وسمعتم ما فعله من الاكرام والانعام على شاهين بك وما اعطاه من المماليك والجوارى الحسان وشفاعاته عنده لا ترد واطلق له التصرف فى البر الغربى من رشيد الى الفيوم الى بنى سويف والبهنسا وما هو تحت حكمه ويراعى جانبه الى الغاية فقال له ابراهيم بك نعم انه فعل مع شاهين بك ما لا تفعله الملوك فضلا عن الوزراء وليس ذلك لسابق معروف فعله شاهين بك معه ليستحق به ذلك بل هو لغرض سوء يكمنه فى نفسه وشبكة يصطاد بها غيره فاننا سبرنا احواله وخيانته وشاهدنا ذلك فى كثير ممن خدموه ونهضوا معه حتى ملكوه هذه المملكة قال ومن هم قال اولهم مخدومه محمد باشا خسرو ثم كتخداه وخازندار عثمان اغا جنج الذى خامر معه وملك مع اخيه المرحوم

ومساعدتنا وصير نفسه من عسكرنا واتحد بعثمان بك البرديسى واظهر له خلوص الصداقة والاخوة وعاهده بالايمان حتى اغراه على على باشا الطرابلسى وجرى ما جرى عليه من القتل ونسب ذلك اليناثم اشتغل معه على خيانته لاخيه الالفى واتباعه ثم سلط علينا العساكر بطلب العلوفة واشار على عثمان بك بطلب المال من الرعية حتى وقع لنا ما وقع وخرجنا من مصر على الصورة التى خرجنا عليها ثم احضر احمد باشا خورشيد وولاه وزيرا وخرج هو لمحاربتنا ثم اتضح امره لاحمد باشا واراد الايقاع به فجعل العود الى مصر واوقع بينه وبين جنده حتى نفروا منه ونابذوه والقى الى السيد عمر والقاضى والمشايخ ان احمد باشا يريد القتل بهم فهيجوا العامة والخاصة وجرى ما جرى من الحروب وحرق الدور وبذل السيد عمر جهده فى النصح معه بما يظهره له من الحب والصداقة وراجت عليه احواله حتى تمكن امره وبلغ مراده واوقع به ما اوقع واخرجه من مصر وغربه عن وطنه ونقض العهود والمواثيق التى كانت بينه وبينه كما فعل بعمر بك وغيره وكل ذلك معلوم ومشاهد لكم ولغيركم فمن يامن لهذا وبعقد معه صلحا واعلم يا ولدى اننا كنا بمصر نحو العشرة آلاف الخليفة

الى بلده خلخال فحبسه فيها ثم ان ابا نصر المستوفى الملقب بالعزيز قال للسلطان محمود لا تامن ان يرسل السلطان سنجر يطلب الوزير ومتى اتصل به لا تامن شره يحدث منه وكان بينهما عداوة فاغرا السلطان بقتله فلما دخل عليه السياف ليقتله قال امهلنى حتى أصلى ركعتين ففعل فلما صلى جعل يرتعد وقال للسياف سيفى اجود من سيفك فاقتلنى به ولا تعذبنى فقتل ثانى جمادى الآخرة فلما سمع الخليفة المسترشد بالله ذلك عزل اخاه نظام الدين احمد من وزارته واعاد جلال الدين ابا على بن صدقة الى الوزارة واقام نظام الدين بالمدرسة التى فى المدرسة النظامية ببغداد واما العزيز المستوفى فانه لم تطل أيامه حتى قتل على ما نذكره جزاء لسعيه فى قتل الوزير

(ذكر ظفر السلطان محمود بالكرج)

فى هذه السنة اشتدت نكاية الكرج فى بلد الاسلام وعظم الامر على الناس لاسيما أهل دربند شروان فسار منهم جماعة كثيرة من اعيانهم الى السلطان وشكوا اليه ما يلقون منهم واعلموه بما هم عليه من الضعف والعجز عن حفظ بلادهم فسار اليهم والكرج قد وصلوا الى شماخى فنزل السلطان فى بستان هناك وتقدم الكرج اليه فخافهم العسكر خوفا شديدا واشار الوزير شمس الملك عثمان بن نظام الملك على السلطان بالعود من هناك فلما سمع أهل شروان بذلك قصدوا السلطان وقالوا له نحن نقاتل معك انت عندنا وان تاخرت هنا ضعفت نفوس المسلمين وهلكوا فقبل قولهم واقام بمكانه وبات العسكر على وجل عظيم وهم بنية المصاف فاتاهم الله بفرج من عنده والقى بين الكرج وقفجاق اختلافا وعداوة فاقتتلوا تلك الليلة ورحلوا شبه المنهزمين وكفى الله المؤمنين القتال واقام السلطان بشروان مدة ثم عاد الى همذان فوصلها فى جمادى الآخرة

(ذكر الحرب بين المغاربة وعسكر مصر)

فى هذه السنة وصل جمع كثير من لواتة من الغرب الى ديار مصر فافسدوا فيها ونهبوها وعملوا اعمالا شنيعة فجمع المامون بن البطائحى الذى وزر بمصر بعد الافضل عسكر مصر وسار اليهم فقاتلهم فهزمهم وأسر منهم وقتل خلقا كثيرا وقرر عليهم خرجا معلوما كل سنة يقومون به وعادوا الى بلادهم وعاد المامون الى مصر مظفرا منصورا

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى صفر امر المسترشد بالله ببناء سور بغداد وان يجبى ما يخرج عليه من البلد فشق ذلك على الناس وجمع من ذلك مال كثير فلما علم الخليفة كراهة الناس لذلك أمر باعادة ما أخذ منهم فسر وا بذلك وكثر الدعاء له وقيل ان الوزير احمد بن نظام الملك بذل من ماله خمسة عشر ألف دينار وقال نقسط الباقى على أرباب الدولة وكان أهل بغداد يعملون بانفسهم فيه وكانوا يتناوبون العمل يعمل أهل كل محلة منفردين بالطبول والزمور وزينوا البلد وعملوا فيه القباب وفيها عزل نقيب العلويين وهدمت داره على بن أفلح وكان الخليفة يكرمه فظهر انهما عينا لدبيس يطالعانه بالاخبار وجعل

الخليفة نقابة العلويين الى علي بن طراد نقيب العباسيين وفيها جمع الامير بلاك عساكره وسار الى غزاة بالشام فالقيه الفرنج فاقتتلوا فانهزم الفرنج وقتل منهم وأسر بشر كثير من مقدميهم ورجالتهم وفيها كان في أكثر البلاد غلاء شديد وكان أكثره بالعراق فبلغ ثمن الكارة الدقيق الخشكار ستة دنانير وعشرة قراريط وتبع ذلك موت كثير وأمراض زائدة هلك فيها كثير من الناس وفيها في صفر توفي قاسم بن أبي هاشم العلوي الحسني أمير مكة وولي بعده ابنه أبو فليتة وكان أعدل منه وأحسن سيرة فاسقط المكوس وأحسن الى الناس وفيها توفي عبد الله بن الحسن بن أحمد بن الحسن أبو نعيم بن أبي علي الحداد الاصبهاني ومولده سنة ثلاث وستين وأربعمائة وهو من أعيان المحدثين سافر الكثير في طلب الحديث وفيها سار طغتكين صاحب دمشق الى حمص فهجم المدينة ونهبها وأحرق كثيرا منها وحصرها وصاحبها قرجان بالقلعة فاستمد صاحبها طغان ارسلان فسار اليه في جمع كثير فعاد طغتكين الى دمشق وفيها لقي أسطول مصر أسطول البنادقة من الفرنج فاقتتلوا وكان الظفر للبنادقة وأخذ من اسطول مصر عدة قطع وعاد الباقي سالما وفيها سار الامير محمود بن قراجة صاحب حماة الى حصن افامية فهجم على الربض بغتة فاصابه سهم من القلعة في يده فاشتد المه فعاد الى حماة وقلع الزج من يده ثم عملت عليه فمات منه واستراح أهل حمله من ظلمه وجوره فلما سمع طغتكين صاحب دمشق الخبر سير الى حماة عسكرا فملكها وصارت في جملة بلاده ورتب فيها واليا وعسكر الحمايتها

(ثم دخلت سنة ثمان عشرة وخمسمائة)

(ذكر قتل بلك بن بهرام بن ارتق وملك تمرتاش حلب)

في هذه السنة في صفر قبض بلك بن بهرام بن ارتق صاحب حلب على الامير حسان البعلبكي صاحب منبج وسار اليها فحصرها فملك المدينة وحصر القلعة فامتنعت عليه فسار الفرنج اليه ليرحلوه عنها فلما رأوه يأخذها فلما فارقوه ترك على القلعة من يحصرها وسار في باقي عسكره الى الفرنج فلقيهم وقاتلهم فكسرهم وقتل منهم خلقا كثيرا وعاد الى منبج فحصرها فبينما هو يقاتل من بها أتاه سهم فقتله لا يدري من رماه واضطرب عسكره وتفرقوا وخلص حسان من الحبس فكان حسام الدين تمرتاش بن ايلغازي بن ارتق مع ابن عمه بلك فحمله مقتولا الى ظاهر حلب وتسلمها في العشرين من ربيع الاول من هذه السنة وزال الحصار عن قلعة منبج وعاد اليها صاحبها حسان واستقر تمرتاش بحلب واستولى عليها ثم انه جعل فيها نائبا له يثق اليه ورتب عنده ما يحتاج اليه من جند وغيرهم وعاد الى ماردين لانه رأى الشام كثيرة الحرب مع الفرنج وكان رجلا يحب الدعة والرفاهة فلما عاد الى ماردين أخذت حلب منه على ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر ملك الفرنج مدينة صور بالشام)

ايراد كل قلم من اقلام المكوس بايراد اقليم من الاقاليم ويخل علينا بما نتعيش به نحن وعيالنا ومن بقي معنا من

مرفهي المعاش بانواع الملاذ كل امير مختص ومعتكف باقطاعه مع كثرة مصارفنا وانعاماتنا على اتباعنا ومن ينتسب الينا واسعطة الجميع ممدودة في الاوقات المعهودة ولا نعرف عسكرا ولا علوفة عسكر والقرى والبلاد مطمئنة والفلاحون ومشايخ البلاد مرتاحون في اوطانهم ومضايفهم مفتوحة للواردين والضيفان مع ما كان يلزم علينا من المصارف المرية ومرتبات الفقراء وخزينة السلطان وصرة الحرمين والحجاج وعوائد العربان وكلف الوزراء المتولين والاغوات والقابجية المعينين وخدمهم والهدايا السلطانية وغير ذلك وافندينا ما كفاه ايراد الاقليم وما احدثه من الجمارك والمكوس وما قرره على القرى والبلدان من فرض المال والغلال والجمال والخيول والتعدي على الملتزمين ومقاساتهم في فائظهم ومعاشهم وذلك خلاف مصادرات الناس والتجار في مصر وقراها والدعاوى والشكاوى والتزايد في الجمارك وما احدثه في الضرب بخانه من ضرب القروش النحاس واستغراقها اموال الناس بحيث صار

والدنا ابراهيم بك ولكن لايخفاكم ان الله اعطاه ولاية هذا القطر وهو يؤتي الملك من يشاء ولا ترضى نفسه من يخالف عليه او يشاركه بالقهر والاستيلاء فاذا صار الصلح ووقع الصفاء اعطاكم فوق مامولكم فهز ابراهيم بك راسه وقال صحيح يكون خيرا وانفض المجلس ورجع حسن باشا وصالح قوج وعديا الى البر مصر (وفي تلك الليلة) خرج جميع من كان بمصر من الامراء والاجناد المصرية بخيلهم وهجنهم ومتاعهم وعدوا الى برالجيزة ولم يبق منهم الا القليل واجتمعوا مع بعضهم وقسموا الامر بينهم ثلاثة اقسام قسم للرادية وكبيرهم شاهين بك وقسم للمحمدية وكبيرهم علي بك ايوب وقسم للابراهيمية وكبيرهم عثمان بك حسن وكتبوا مكاتبات وارسلوها الى مشايخ العربان لم اقف على مضمونها (وفي يوم الجمعة) رابع عشره اوقفوا عساكر على ابواب المدينة يمنعون الخارجين من البلد حتى الخدم ومنعوا التعدية الى البر الغربي وجمعوا المراكب والمعادي الى البر الشرقي ونقلوا البضائع التي في مراكب التجار والمعدة لسفر رشيد ودمياط المعروفة بالرواحل واخذوها اليهم وشرعوا في التعدية بطول يوم الجمعة والسبت وعدي الباشا آخر ما

كانت مدينة صور للخلفاء العلويين بمصر ولم تزل كذلك الى سنة ست وخمسمائة فكان بها وال من جهة الافضل أمير الجيوش وزير الآمر باحكام الله العلوي يلقب عز الملك وكان الفرنج قد حصروها وضيقوا عليها ونهبوا بلدها غير مرة فلما كان سنة ست تجهز ملك الفرنج وجمع عساكره ليسير الى صور فخافهم أهل صور فارسلوا الى أتابك طغتكين صاحب دمشق يطلبون منه ان يرسل اليهم أميرا من عنده يتولاهم ويحميهم وتكون البلد له وقالوا له ان ارسلت الينا واليا وعسكرا والا سلمنا البلد الى الفرنج فسير اليهم عسكرا وجعل عندهم واليا اسمه مسعود وكان شهما شجاعا عارفا بالحرب ومكايدها وأمده بعسكر وسير اليهم ميرة ومالا فرقه فيهم وطابت نفوس أهل البلد ولم تغير الخطبة للآمر صاحب مصر ولا السكة وكتب الى الافضل بمصر يعرفه صورة الحال ويقول متى وصل اليها من مصر من يتولاها ويذب عنها سلمتها اليه ويطلب ان الاسطول لاينقطع عنها بالرجال والقوة فشكره الافضل على ذلك وأثنى عليه وصوب رأيه فيما فعله وجهز اسطولا وسيره الى صور فاستقام أحوال اهلها ولم تزل كذلك الى سنة ست عشرة بعد قتل الافضل فسير اليها اسطولا على جاري العادة وأمر المقدم على الاسطول ان يعمل الحيلة على الامير مسعود الوالي بصور من قبل طغتكين ويقبض عليه ويتسلم البلد منه وكان السبب في ذلك ان أهل صور اكثروا الشكوى منه الى الآمر باحكام الله صاحب مصر بما يعتمده من مخالفتهم والاضرار بهم فسار الاسطول فارسى عند صور وخرج مسعود اليه للسلام على المقدم عليه فلما صعد الى المركب الذي فيه المقدم اعتقله ونزل البلد واستولى عليه وعاد الاسطول الى مصر وفيه الامير مسعود فاكرم وأحسن اليه وأعيد الى دمشق وأما الوالي من قبل المصريين فانه طيب قلوب الناس وراسل طغتكين يخدمه بالدعاء والاعتضاد وان سبب ما فعل هو شكوى أهل صور من مسعود فاحسن طغتكين الجواب وبذل من نفسه المساعدة ولما سمع الفرنج بانصراف مسعود عن صور وما ضمهم فيها وحدثوا نفوسهم بملكها وشرعوا في الجمع والتاهب للنزول عليها وحصرها فسمع الوالي بها للمصريين الخبر فعلم انه لاقوة له ولا طاقة على دفع الفرنج عنها لقلة من بها من الجند والميرة فارسل الى الآمر بذلك فرأى ان يرد ولاية صور الى طغتكين صاحب دمشق فارسل اليه بذلك فملك صور ورتب بها من الجند وغيرهم ما ظن فيه كفاية وسار الفرنج اليهم ونازلوهم في ربيع الاول من هذه السنة وضيقوا عليهم ولازموا القتال فقلت الاقوات وسئم من بها القتال وضعفت نفوسهم وسار طغتكين الى بانياس ليقرب منهم ويذب عن البلد ولعل الفرنج اذا رأوا قربه منهم رحلوا فلم يتحركوا ولزموا الحصار فارسل طغتكين الى مصر يستنجدهم فلم ينجدوه وتمادت الايام وأشرف أهلها على الهلاك فراسل حينئذ طغتكين صاحب دمشق وقرر الامر على ان يسلم المدينة اليهم ويمكنوا من بها من الجند والرعية من الخروج منها بما يقدرون عليه من أموالهم ورحالهم وغيرها فاستقرت القاعدة على ذلك وفتحت أبواب البلد وملكه الفرنج وفارقه أهله وتفرقوا في البلاد وحملوا

ما أطاقوا وتركوا ما عجزوا عنه ولم يعرض الفرنج الى احد منهم ولم يبق لا الضعيف عجز عن الحركة وملك الفرنج البلد فى الثالث والعشرين من جمادى الاولى من السنة وكان فتحه وهنا عظيما على المسلمين فانه من أحصن البلاد وأمنعها فالله يعيده الى الاسلام ويقر أعين المسلمين بفتحه بمحمد وآله

(ذكر عزل البرسقى عن شحنكية العراق وولاية يرنقش الزكوى)

فى هذه السنة عزل البرسقى عن شحنكية العراق وواليها سعد الدولة يرنقش الزكوى وسبب ذلك ان البرسقى نفر عنه المسترشد بالله فارسل الى السلطان محمود يلتمس منه ان يعزل البرسقى عن العراق ويعيده الى الموصل فاجابه السلطان الى ذلك وأرسل الى البرسقى يامره بالعود الى الموصل والاشتغال بجهاد الفرنج فلما علم البرسقى الخبر شرع فى جباية الاموال ووصل نائب يرنقش فسلم اليه البرسقى الامر وارسل السلطان ولده الصغير مع أمه الى البرسقى ليكون عنده فلما وصل الصغير الى العراق خرجت العساكر والمواكب الى لقائه وحملت له الاقامات وكان يوم دخوله يوما مشهودا وتسلمه البرسقى وسار الى الموصل وهو ووالدته معه ولما سار البرسقى الى الموصل كان عماد الدين زنكى بن آقسنقر بالبصرة فسيره البرسقى اليها لحميتها فظهر من حمايته لها ما عجب منه الناس ولم يزل يقصد العرب ويقاتلهم فى حلهم حتى أبعدوا الى البر فارسل اليه البرسقى يامره باللحاق به فقال لاصحابه قد ضجرنا مما نحن فيه كل يوم للموصل أمير جديد ونريد نخدمه وقد رأيت ان أسير الى السلطان فاكون معه فاشاروا عليه بذلك فسار اليه فتقدم عليه باصبهان فاكرمه وأقطعه البصرة وأعاده اليها

(ذكر ملك البرسقى مدينة حلب)

فى هذه السنة فى ذى الحجة ملك آقسنقر البرسقى مدينة حلب وقلعتها وسبب ذلك ان الفرنج لما ملكوا مدينة صور على ما ذكرناه طمعوا وقويت نفوسهم وتيقنوا الاستيلاء على بلاد الشام واستكثروا من الجموع ثم وصل اليهم دبيس بن صدقة صاحب الحلة فاطمعهم طمعا ثانيا لا سيما فى حلب وقال لهم ان اهلها شيعة وهم يميلون الى لاجل المذهب فمتى رأوني سلموا البلد الى وبذل لهم على مساعدته بذولا كثيرة وقال انى أكون ههنا نائبا عنكم ومطيعا لكم فسار وامعه اليها وحصروها وقاتلوا قتالا شديدا ووطنوا نفوسهم على المقام الطويل وانهم لا يفارقونها حتى يملكوها وبنوا البيوت لاجل البرد والحر فلما رأى أهلها ذلك ضعفت نفوسهم وخافوا الهلاك وظهر لهم من صاحبهم تمرتاش الوهن والعجز وقلت الاقوات عندهم فلما رأوا ما دفعوا اليه من هذه الاسباب اعملوا الرأى فى طريق يتخلصون به فرأوا انه ليس لهم غير البرسقى صاحب الموصل فارسلوا اليه يستنجدونه ويسألونه المجئ اليهم ليسلموا البلد اليه فجمع عساكره وقصدهم وارسل الى من بالبلد وهو فى الطريق يقول انى لا أقدر على الوصول اليكم والفرنج يقاتلونكم الا اذا سلمتم القلعة الى نوابى وصاحبى فيها لانى لا أدرى

وتحققت المفاقمة والاعراء المصرية خلف السور وفى مقابلتهم واستمروا على ذلك الى ثانى يوم والناس متوقعون حصول الحرب بين الفريقين ولم يحصل وانتقل المصرية وترفعوا الى قبلى الجيزة بناحية دهشور وزنين (وفى يوم الاثنين والثلاثاء) انفق الباشا على العسكر وكان له مدة شهور ولم ينفق عليهم (وفى ليلة الثلاثاء) ركب الباشا ليلا وسافر الى ناحية كرداسة على جرائد الخيل ورجع فى ثانى ليلة وكان سبب ركوبه انه بلغه ان طائفة من العربان مارين يريدون المصرية فاراد أن يقطع عليهم الطريق فلم يجد احدا وصادف نجعا مقيمين فى محطة فنهب مواشيهم ورجع تعبا وانقطع عنه افراد من العسكر ومات بعضهم من العطش (وفى يوم الجمعة) ارتحل المصرية وترفعوا الى ناحية جزا الهوى بالقرب من الرقق (وفيه) حضر مشايخ عربان اولاد على للباشا فكساهم وخلع عليهم والبسهم شالات كشميرى عدتها ثمان شالات وانعم عليهم بمائة وخمسين كيسا وحضر عند المصرية (وفى يوم الاحد ثالث عشرينه)

عربان الهنادى ومشايخهم وانصرفوا اليهم

طبعه من هذه الحادثة بعد ان حصلوا بالجيزة وكاديتم قصده فيهم وخصوصا ما فعله شاهين بك الذى انفق عليه الوفا من الاموال ذهبت جميعها فى الفارغ البطال (وفى هذه الايام) اعنى منتصف شهر بشنس القبطى زاد النيل زيادة ظاهرة اكثر من ذراع ونصف واستمر اياما ثم رجع الى حاله الاول وهذا من جملة عجائب الوقت

(واستهل شهر جمادى الاولى بيوم الاحد سنة ١٢٢٥)

فيه عمل الباشا ميدان رماحة بالجيزة فتقاطر به الحصان ووقع به الارض فاقاموه واصيب غلام من مماليكه برصاصة فمات و يقال ان الضارب لها كان قاصد الباشا فاخطاته واصابت ذلك المملوك والاجل حسن (وفيه) نبهوا على العسكر بالخروج فسعوا بالجد والعجلة فى قضاء اشغالهم ولوازمهم وطفقوا يخطفون جميع الناس وجمالهم ومن يصادفونه و يقدرون عليه من اهل البلد وخلافهم و يقولون فى غد مسافرون وراحلون لمحاربة المصريين والمصريون ايضا مستمرون فى منازلتهم لم ينتقلوا عنها (وفى خامسه) خرج حسن باشا و برز خيامه بناحية الاثار وخرج ايضا محمد بك بعسكره وطوائفه ومعهم بيارق وسافر جملة عساكر فى المراكب ليرابطوا خراسان

ما يقدره الله تعالى اذا انا لقيت الفرنج فان انهزمنا منهم وليست حلب بيد اصحابى حتى احتمى انا وعسكرى بها لم يبق منا احد وحينئذ تؤخذ حلب وغيرها فاجابوه الى ذلك وسلموا القلعة الى نوابه فلما استقروا فيها واستولوا عليها سار فى العساكر التى معه فلما اشرف عليها رحل الفرنج عنها وهو يراهم فاراد من فى مقدمة عسكره ان يحمل عليهم فمنعهم هو بنفسه وقال قد كفينا شرهم وحفظنا بلدنا منهم والمصلحة تركهم حتى يتقرر امر حلب ونصلح حالها ونكثر ذخائرها ثم حينئذ نقصدهم ونقاتلهم فلما رحل الفرنج خرج اهل حلب ولقوه وفرحوا به واقام عندهم حتى اصلح الامور وقررها

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة انقطعت الامطار فى العراق والموصل وديار الجزيرة والشام وديار بكر وكثير من البلاد فقلت الاقوات وغلت الاسعار فى جميع البلاد ودام الى سنة تسع عشرة وفيها وصل منصور بن صدقة أخو دبيس الى بغداد تحت الاستظهار فرض بها فاحضر الخليفة الاطباء وامرهم بمعالجته واحضره عنده وجعل فى حجره وأدخل اصحابه اليه وفيها سار دبيس من الشام بعد رحيله عن حلب وقصد الملك طغرل فاغراه بالخليفة واطمعه فى العراق وكان ما نذكره سنة تسع عشرة ان شاء الله تعالى وفيها مات الحسن بن الصباح مقدم الاسماعيلية صاحب الموت وقد تقدم من اخباره ما يعلم به محله من الشجاعة والرأى والتجربة وفيها ايضا توفى داود ملك الابخاز وشمس الدولة بن نجم الدين ايلغازى وفيها ثار أهل آمد بمن فيها من الاسماعيلية وكانوا قد كثروا فقتلوا منهم نحو سبعمائة رجل فضعف أمرهم بها بعد هذه الوقعة وفيها فى صفر توفى محمد بن مرزوق بن عبد الرزاق الزعفرانى وهو من اصحاب الخطيب البغدادى وفيها توفى أحمد بن على بن برهان أبو الفتح الفقيه المعروف بابن الجامى لان أباه كان جاميا وكان حنبليا تفقه على ابن عقيل ثم صار شافعيا وتفقه على الغزالى والشاشى

(ثم دخلت سنة تسع عشرة وخمسمائة)

(ذكر وصول الملك طغرل ودبيس بن صدقة الى العراق وعودهما عنه)

قد ذكرنا مسير دبيس بن صدقة الى الملك طغرل من الشام فلما وصل اليه لقيه واكرمه واحسن اليه وجعله من اعيان خواصه وامرائه فحسن اليه دبيس قصد العراق وهون أمره عليه وضمن له أنه يملكه فسار معه الى العراق فوصلوا قرقوفا فى عساكر كثيرة فكتب مجاهد الدين بهروز من تكريت يخبر الخليفة خبرهما فتجهز للمسير ومنعهما وأمر ينقش الزكوى شحنة العراق ان يكون مستعدا للحرب وجمع العساكر والامراء البكجية وغيرهم فبلغت عدة العساكر اثنى عشر الفا سوى الرجالة وأهل بغداد وفرق السلاح فى زهاء خمس صفوف بين يديه أرباب الدولة رجالة وخرج من باب النصر وكان قد أمر بفتحه ثلاثة ايام وسماه باب النصر ونزل صحراء الشماسية ونزل ينقش عند السبتى ثم سار فنزل الخالص تاسع صفر فلما سمع طغرل بخروج الخليفة عدل الى طريق

خراسان وتفرق اصحابه فى النهب والفساد ونزل هو رباط جلولاء فسار اليه الوزير جلال الدين بن صدقة فى عسكر كثير فنزل الدسكرة وتوجه طغرل ودبيس الى الهارونية وسار الخليفة فنزل بالدسكرة هو والوزير واستقر الامر بين دبيس وطغرل ان يسيرا حتى يعبرا ديالى وتامرا ويقطعا جسر النهروان ويقيم دبيس ليحفظ المعابر ويتقدم طغرل الى بغداد فيملكها وينهبها فسارا على هذه القاعدة فعبرا تامرا ونزل طغرل بينه وبين ديالى وسار دبيس على أن يلحقه طغرل فقدر الله تعالى ان الملك طغرل لحقه حمى شديدة ونزل عليهم من المطر مالم يشاهدوا مثله وزادت المياه وجاءت السيول والخليفة بالدسكرة وسار دبيس فى مائتى فارس وقصد معرة النهروان وهو تعب سهران وقد لقى هو واصحابه من المطر والبلل ما آذاهم وليس معهم ما يأكلون ظنا منهم ان طغرل واصحابهم يلحقونهم فتأخروا لما ذكرناه فنزلوا جياعا قد نالهم البرد واذ قد طلع عليهم ثلاثون جملا تحمل الثياب المخيطة والعمائم والاقبية والقلانس وغيرها من الملبوس وتحمل ايضا انواع الاطعمة المصنوعة قد حملت من بغداد الى الخليفة فاخذ دبيس الجميع فلبسوا الثياب الجدد ونزعوا الثياب الندية واكلوا الطعام وناموا فى الشمس مما نالهم تلك الليلة وبلغ الخبر اهل بغداد فلبسوا السلاح وبقوا يحرسون الليل والنهار ووصل الخبر الى الخليفة والعسكر الذين معه ان دبيسا قد ملك بغداد فرحل من الدسكرة ووقعت الهزيمة على العسكر الى النهروان وتركوا اثقالهم ملقاة بالطريق لا يلتفت اليها احد ولولا أن الله تعالى لطف بهم بحمى الملك طغرل وتأخره والا كان قد هلك العسكر والخليفة ايضا واخذوا وكان السواقى مملوأة بالوحل والماء من السيل فتمزقوا ولو لحقهم مائة فارس لهلكوا ووصلت رايات الخليفة ودبيس واصحابه نيام وتقدم الخليفة واشرف على ديالى ودبيس نازل غرب النهروان والجسر ممدود شرق النهروان فلما ابصر دبيس شمسة الخليفة قبل الارض بين يدى الخليفة وقال انا العبد المطرود فليعف امير المؤمنين عن عبده فرق الخليفة له وهم بصلحه حتى وصل الوزير ابن صدقة فثناه عن رأيه وركب دبيس ووقف بازاء عسكر يرنقش الزكوى يحادثهم ويتماجن معهم ثم أمر الوزير الرجالة فعبروا ليمدوا الجسر آخر النهار فسار حينئذ دبيس عائدا الى الملك طغرل وسير الخليفة عسكرا مع الوزير فى اثره وعاد الى بغداد فدخلها وكانت غيبته خمسة وعشرين يوما ثم ان الملك طغرل ودبيسا عادا وسارا الى السلطان سنجر فاجتازا بهمذان فقطعا على أهلها مالا كثيرا وأخذوه وعاثوا فى تلك الاعمال فبلغ خبرهم السلطان محمودا فجد السير اليهم فانهزموا من بين يديه وتبعتهم العساكر فدخلوا خراسان الى السلطان سنجر وشكيا اليه من الخليفة ويرنقش الزكوى

(ذكر فتح البرسقى كفرطاب وانهزامه من الفرنج)

فى هذه السنة جمع البرسقى عساكره وسار الى الشام وقصد كفرطاب وحصرها فملكها من الفرنج وسار الى قلعة عزاز وهى من أعمال حلب من جهة الشمال وصاحبها

فى البنادر فانها خالية ليس بها احد من المصريين وفى كل يوم يخرج عساكر ثم يرجعون الى المدينة وهم مستديمون على خطف الدواب وحمير البطيخ وجمال السقائين والباشا يعدى الى بر مصر فى كل يومين او ثلاثة ويطلع الى القلعة ثم يعود الى مخيمه فى الجيزة وامتنع سفر المسافرين قبلى وبحرى (وفى يوم الثلاثاء سابع عشره) بلغ الباشا ان الامراء المرادية والابراهيمية وغالب المصرية لهم مراسلات ومعاملات مع السيد سلامة النجارى واخيه وابن اخيه وانه يرسل لهم جميع ما يلزم من اسلحة وامتعة وخلافها بواسطة بعض عملائهم من العربان خفية وانه اشترى جملة اسلحة وخيول وثياب وغيرها واخذ أشياء من بيوت بعضهم لاجل ان يرسل الجميع اليهم وان جميع ذلك موجود عند المذكور الآن ومن جملة ايام حضر رسول من عندهم بدراهم ومعه حصان نعمان بك وهو عنده ايضا فامر بجلبه وحبسه وهجم منزله وضبط اوراقه وضبط ما يوجد بها ففعلوا ذلك وحبسوا معه ابن اخيه وازعجوهما وهجموا منزله فوجدوا فيه خمسة خيول وجملة اسلحة فطغوا وبغوا ونهبوا متاعه وبددوا شمل كتب ابيه ولم يجدوا مكاتبات من الامراء القبالى ولا اثر لذلك بل انهم وجدوا جوابا من اخيه السيد احمد مضمونه اننا عند وصولنا الى مكة المشرفة اشترينا اربعة

جوسلين فحصرها فاجتمعت الفرنج فارسها وراجلها وقصدوه ليرحلوه عنها فلقيهم وضرب معهم مصافا واقتتلوا قتالا شديدا صبروا كلهم فيه فانهزم المسلمون وقتل منهم وأسر كثير وكان عدد القتلى أكثر من ألف قتيل من المسلمين وعاد منهزما الى حلب فخلف بها ابنه مسعودا وعبر الفرات الى الموصل ليجمع العساكر ويعاود القتال وكان ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر قتل المامون بن البطائحي)

في هذه السنة في رمضان قبض الآمر باحكام الله العلوي صاحب مصر على وزيره أبي عبد الله بن البطائحي الملقب بالمامون وصلبه واخوته وكان ابتداء أمره ان أباه كان من جواسيس الافضل بالعراق فمات ولم يخلف شيئا فتزوجت امه وتركته فقيرا فاتصل بانسان يتعلم البناء بمصر ثم صار يحمل الامتعة بالسوق الكبير فدخل مع الحمالين الى دار الافضل أمير الجيوش مرة بعد أخرى فرآه الافضل خفيفا رشيقا حسن الحركة حلو الكلام فاعجبه فسال عنه فقيل هو ابن فلان فاستخدمه مع الفراشين ثم تقدم عنده وكثرت منزلته وعلت حالته حتى صار وزيرا وكان كريما واسع الصدر قتالا سفاكا للدماء وكان شديد التحرز كثير التطلع الى أحوال الناس من العامة والخاصة من سائر البلاد مصر والشام والعراق وكثر الغمازون في أيامه وأما سبب قتله فانه كان قد أرسل الامير جعفرا أخا الآمر ليقتل الآمر ويجعله خليفة وتقررت القاعدة بينهما على ذلك فسمع بذلك أبو الحسن بن أبي أسامة وكان خصيصا بالآمر قريبا منه وقد ناله من الوزير اذى واطراح فحضر عند الآمر واعلمه الحال فقبض عليه وصلبه وهذا جزاء من قابل الاحسان بالاساءة

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة توفي شمس الدولة سالم بن مالك صاحب قلعة جعبر وتعرف قديما بقلعة دوس وفيها قتل القاضي ابو سعد محمد بن نصر بن منصور الهروي بهمذان قتله الباطنية وكان قد مضى الى خراسان في رسالة الخليفة الى السلطان سنجر فعاد فقتل وكان ذا مروءة غزيرة وتقدم كثيرا في الدولة السلجوقية وفي هذه السنة توفي هلال بن عبد الرحمن ابن شريح بن عمر بن احمد وهو من ولد بلال بن رباح مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنيته ابو سعد طاف البلاد وسمع وقرا القرآن وكان موته بسمرقند

(ثم دخلت سنة عشرين وخمسمائة)

(ذكر حرب الفرنج والمسلمين بالاندلس)

في هذه السنة عظم شان ابن ردمير الفرنجي بالاندلس واستطال على المسلمين فخرج في عساكر كثيرة من الفرنج وجاس في بلاد الاسلام وخاضها حتى وصل الى قريب قرطبة وأكثر النهب والسبي والقتل فاجتمع المسلمون في جيش عظيم زائد الحد في الكثرة

خيول نجدية بها العلامات التي اقدمونا منها وهي مرسلة لكم عسى ان تفوزوا بتقديمها لافندينا ولما سئل عن الاسلحة والخيول التي عنده قال ان السلاح عندنا من قديم وله مدد ورؤيته تدل على ذلك واما الخيول فمنها اربعة احضرتها هدية لافندينا وجاءت ضعيفة فابقيتها عندي حتى تتقوى واقدمها اليه والحصان الخامس اشتريته لنفسي من رجل عميلنا اسمه عطوان احمد من اهالي كفر حكيم اخبرني انه اشتراه من ناحية صول ولما رايت فيه علامات الجودة وجاءت الاربعة خيول تركت ركوبه وابقيته معها حتى اقدم الجميع لافندينا فعند ذلك توجه محمد افندي طبل للباشا وفهمه براءة ذمة المذكور واخبره بما صار وما وجدوه وما قاله المذكور وسعى في ازالة هذه التهمة عنه وعرفه ان هذا الرجل مستقيم الاحوال وانه من وقت توظيفه معه لم ينظر عليه ما يخالف وصدق عليه الحاضرون فلما ظهر للباشا كذب التهمة وتحقق براءته وانه احضر هذه الخيول هدية له امر باطلاقه من السجن واسترجاع ما نهبته الاعوان من منزله وتخلق عليهم بسبب ذلك ثم امر باحضاره واحضار الخيول المهداة له فقبلها منه ثم ساله عن علامات الجودة وما يحمد في الخيل وما يذم فيها فاجابه باجوبة مفيدة

وقصدوه

وقصدوه فلم يكن لهم طاقة فتحصن منهم فى حصن منيع له اسمه ارنيتول فحصروه وكبسهم ليلا فانهزم المسلمون وكثر القتل فيهم وعاد الى بلاده

(ذكر قصد بلاد الاسماعيلية بخراسان)

فى هذه السنة امر الوزير المخلص ابو نصر احمد بن الفضل وزير السلطان سنجر بغزو الباطنية وقتلهم اين كانوا وحيثما ظفر بهم ونهب اموالهم وسبى حريمهم وجهز جيشا الى طريثيث وهى لهم وجيشا الى بيهق من اعمال نيسابور وكان فى هذه الاعمال قرية مخصوصة بهم اسمها طرز ومقدمهم بها انسان اسمه الحسين بن سمين وسير الى كل طرف من اعمالهم جمعا من الجند ووصاهم ان يقتلوا من لقوه منهم فقصد كل طائفة الى الجهة التى سيرت اليها فاما القرية التى باعمال بيهق فقصدها العسكر فقتلوا كل من بها وهرب مقدمهم وصعد منارة المسجد والقى نفسه منها فهلك وكذلك العسكر المنفذ الى طريثيث قتلوا من اهلها فاكثروا وغنموا من اموالهم وعادوا

(ذكر ملك الاسماعيلية قلعة بانياس)

فى هذه السنة عظم امر الاسماعيلية بالشام وقويت شوكتهم وملكوا بانياس فى ذى القعدة منها وسبب ذلك ان بهرام ابن اخت الاسدابادى لما قتل خاله ببغداد كما ذكرناه هرب الى الشام وصار داعى الاسماعيلية فيه وكان يتردد فى البلاد يدعو الناس وطغامهم الى مذهبه فاستجاب له منهم من لا عقل له فكثر جمعه الا انه يخفى شخصه فلا يعرف واقام بحلب مدة ونفق على ايلغازى صاحبها وارادايلغازى ان يعتضد به لاتقاء الناس شره وشر اصحابه لانهم كانوا يقتلون كل من خالفهم وقصد من يتمسك بهم واشار ايلغازى على طغتكين صاحب دمشق بان يجعله عنده لهذا السبب فقبل رايه واخذه اليه فاظهر حينئذ شخصه واعلن عداوته فكثر اتباعه من كل من يريد الشر والفساد واعانه الوزير ابو طاهر بن سعد المرغينانى قصدا للاعتضاد به على ما يريد فعظم شره واستفحل امره وصار اتباعه اضعافا مما كانوا فلولا ان عامة دمشق يغلب عليهم مذاهب اهل السنة وانهم يشددون عليه فيما يذهب اليه الملك البلد ثم ان بهرام راى من اهل دمشق فظاظة وغلاظة عليه فخاف عاديتهم فطلب من طغتكين حصنا ياوى اليه هو ومن اتبعه فاشار الوزير بتسليم قلعة بانياس اليه فسلمت اليه فلما سار اليها اجتمع اليه اصحابه من كل ناحية فعظم حينئذ خطبه وجلت المحنة بظهوره واشتد الحال على الفقهاء والعلماء واهل الدين لاسيما اهل السنة والستروا لسلامة الا انهم لا يقدرون على أن ينطقوا بحرف واحد خوفا من سلطانهم اولا ومن شر الاسماعيلية ثانيا فلم يقدم احد على انكار هذه الحال فانتظروا بهم الدوائر

(ذكر قتل البرسقى وملك ابنه عز الدين مسعود)

فى هذه السنة ثامن ذى القعدة قتل قسيم الدولة آقسنقر البرسقى صاحب الموصل بمدينة الموصل قتلته الباطنية يوم جمعة بالجامع وكان يصلى الجمعة مع العامة وكان قد

وصالح قوج وعابدين بك وعساكر الارنؤد وصلوا الى ناحية صول والبرنبل فوجدوا المصريين جعلوا متاريس ومدافع على البر ليمنعوا مرور المراكب فحاربوهم حتى اجلوهم عنها وملكوا المتاريس وقتل رجل من الاجناد وهو الذى كان محافظا على المتاريس يقال له ابراهيم انما سقط به الجرف الى البحر فاخذوه اليهم ومعه آخر وقتلوهما وقطعوا رؤسهما وارسلوهما صحبة المبشرين الى الباشا فعلقوا الراسين بباب زويلة ولما بلغ الامراء المصريين اخذ المتاريس تاهبوا وساروا من اول الليل وهى ليلة السبت رابع عشره مكمنين وكاتمين امرهم فدهموا الارنؤد من كل ناحية فوقع بينهم مقتلة عظيمة واخذوا منهم عدة بالحياة واخذوا منهم اشياء وكان حسن باشا واخوه عابدين بك صعدا بمراكبهما الى قبلى المتاريس فاحترق من مراكب اخيه مركب والقى من فيها انفسهم الى البحر فمنهم من نجا ومنهم من غرق واما مراكب حسن باشا فانه ساعدها الريح ايضا فسارت الى ناحية بنى سويف ثم ان المصريين عدى منهم طائفة الى شرق اطفيح وانتقل بوافيهم راجعين الى ناحية الجيزة قريبا من عرضى الباشا (وفى ليلة الخميس تاسع عشره) عدى الباشا الى

برمصر وطلع الى القلعة فلما كان الليل وصل ٢٧٠ طائفة من المصريين الى المرابطين لخفارة عرضى الباشا واحتاطوا بهم
وساقوهم اليهم فانزعج العرضى وحصل فيهم غاغة فارسل طوسون باشا الى ابيه فركب ونزل من القلعة فى سادس ساعة من الليل وعدى الى البر الغربى وما سمعته ان الباشا عند ما نزل المعدية وسار بها فى البحر سمع واحدا يقول لآخر قدم حتى نقتل المصريين ونبدد شملهم ويكرر ذلك فارسل الباشا مركبا وارسل بعض اتباعه بها لينظروا هذين الشخصين ولاى شئ نزلا البحر فى هذا الوقت فلما ذهبوا الى الجهة التى سمع منها الصوت لم يجدوا أحدا وتفحصوا عنهما فلم يجدوهما فاعتقد من له اعتقاد منهم انهما من الاولياء وان الباشا مساعد باهل الباطن (وفى عشرينه) ظهر التفاشل بين الامراء المصريين وتبين ان الذين كانوا عدوا الى البر الشرقى هم ثلاثة امراء من الالفية وهم نعمان بك وامين بك ويحيى بك وذلك انهم لما تصالحوا مع الباشا واميرهم شاهين بك وهو الرئيس المنظور اليه ومطلق التصرف فى معظم البر الغربى والفيوم يتحكم فيهم وفى طوائف العربان واهالى البلاد والفلاحين بما يريد وكذلك أموال المعادى بناحية الاخصاص وانبابة والجيزى وغير ذلك وهو شئ له قدر كبير وزاد فيهم أيضا اضعاف المعتاد فياخذ جميع قد

راى تلك الليلة فى منامه ان عدة من الكلاب ثاروا به فقتل بعضها ونال منه الباقى ما آذاه فقص رؤياه على اصحابه فاشاروا عليه بترك الخروج من داره عدة ايام فقال لا اترك الجمعة لشئ ابدا فغلبوا على رايه ومنعوه من قصد الجمعة فعزم على ذلك فاخذ المصحف يقرا فيه فاول ما راى وكان امر الله قدرا مقدورا فركب الى الجامع على عادته وكان يصلى فى الصف الاول فوثب عليه بضعة عشر نفسا عدة الكلاب التى راآها فجرحوه بالسكاكين فجرح هو بيده منهم ثلاثة وقتل رحمه الله وكان مملوكا تركيا خيرا يحب اهل العلم والصالحين ويرى العدل ويفعله وكان من خير الولاة يحافظ على الصلوات فى اوقاتها ويصلى من الليل متهجدا حكى لى والدى رحمه الله عن بعض من كان يخدمه قال كنت فراشا معه فكان يصلى كل ليلة كثيرا وكان يتوضا هو بنفسه ولا يستعين باحد ولقد رأيته فى بعض ليالى الشتاء بالموصل وقد قام من فراشه وعليه فرجية صغيرة وبرو بيده ابريق فمشى نحو دجلة ليأخذ ماء فمنعنى البرد من القيام ثم انى خفته فقمت بين يديه لآخذ الابريق منه فمنعنى وقال يا مسكين ارجع الى مكانك فانه برد فاجتهدت لآخذ الابريق فلم يعطنى وردنى الى مكانى ثم توضا وقام يصلى ولما قتل كان ابنه عز الدين مسعود بحلب يحفظها من الفرنج فارسل اليه أصحاب أبيه بالخبر فسار الى الموصل ودخلها اول ذى الحجة وأحسن الى أصحاب ابيه بها واقر وزيره المؤيد أبا غالب بن عبد الخالق بن عبد الرزاق على وزارته وأطاعه الامراء والاجناد وانحدر الى خدمة السلطان محمود فاحسن اليه وأعاده ولم يختلف عليه أحد من أهل بلاد ابيه ووقع البحث عن حال الباطنية والاستقصاء عن اخبارهم فقيل انهم كانوا يجلسون الى اسكاف بدرب ايليا فاحضر ووعده الاحسان ان اقر فلم يقر فهدد بالقتل فقال انهم وردوا من سنين لقتله فلم يتمكنوا منه الى الآن فقطعت يداه ورجلاه وذكر ورجم بالحجارة فمات ومن العجب ان صاحب انطاكية ارسل الى عز الدين بن البرسقى يخبره بقتل والده قبل ان يصل اليه الخبر وكان قد سمعه الفرنج قبله لشدة عنايته بمعرفة الاحوال الاسلامية ولما استقر عز الدين فى الولاية قبض على الامير بابكر بن ميكائيل وهو من اكابر الامراء وطلب منه ان يسلم ابن اخيه قلعة اربل الى الامير فضل وابى على ابنى ابى الهيجاء وكان ابن اخيه قد اخذها منه سنة سبع عشرة فارسل ابن اخيه فسلم اربل الى المذكورين

(ذكر الاختلاف الواقع بين المسترشد بالله والسلطان محمود)

كان قد جرى بين يزيز نقش الزكوى شحنة بغداد وبين نواب الخليفة المسترشد بالله نفرة تهدده الخليفة فيها فخافه على نفسه فسار عن بغداد الى السلطان محمود فى رجب من هذه السنة وشكا اليه وحذره جانب الخليفة واعلمه انه قد قاد العساكر ولقى الحروب وقويت نفسه ومتى لم تعاجله بقصد العراق ودخول بغداد ازداد قوة وجمعا ومنعك عنه وحينئذ يتعذر عليك ما هو الآن بيده فتوجه السلطان نحو العراق فارسل اليه الخليفة يعرفه ما البلاد واهلها عليه من الضعف والوهن بسبب دبيس وافساد عسكره فيها وان الغلاء

قد اشتد بالناس لعدم الغلات والاقوات لهرب الاكرة عن بلادهم ويطلب منه ان يتاخر هذه الدفعة الى ان يتصلح حال البلاد ثم يعود اليها فلا مانع له عنها وبذل له على ذلك مالا كثيرا فلما سمع السلطان هذه الرسالة قوى عنده ما قرره الزكوى وابى أن يجيب الى التاخر وصمم العزم وسار اليها مجدا فلما بلغ الخليفة الخبر عبر هو واهله وحرمه ومن عنده من اولاد الخلفاء الى الجانب الغربى فى ذى القعدة فظهر الغضب والانتزاح عن بغداد ان قصدها السلطان فلما خرج من داره بكى الناس جميعهم بكاء عظيما لم يشاهد مثله فلما علم السلطان ذلك اشتد عليه وبلغ منه كل مبلغ فارسل يستعطف الخليفة ويساله العود الى داره فاعاد الجواب انه لابد من عودك هذه الدفعة فان الناس هلكى بشدة الغلاء وخراب البلاد وانه لا يرى فى دينه ان يزداد مابهم وهو يشاهدهم فان عاد السلطان والا رحل هو عن العراق اثر ما يشاهد ما يلقى الناس بمجىء العساكر فغضب السلطان لقوله ورحل نحو بغداد واقام الخليفة بالجانب الغربى فلما حضر عيد الاضحى خطب الناس وصلى بهم فبكى الناس لخطبته وارسل عفيفا الخادم وهو من خواصه فى عسكر الى واسط ليمنع عنها نواب السلطان فارسل السلطان اليه عماد الدين زنكى بن آقسنقر وكان له حينئذ البصرة وقد فارق البرسقى واتصل بالسلطان فاقطعه البصرة فلما وصل عفيف الى واسط سار اليه عماد الدين فنزل بالجانب الشرقى وكان عفيف بالجانب الغربى فارسل اليه عماد الدين يحذره القتال وياموره بالانتزاح عنها فابى ولم يفعل فعبر اليه عماد الدين واقتتلوا فانهزم عسكر عفيف وقتل منهم مقتلة عظيمة واسر مثلهم وتغافل عن عفيف حتى نجا لمودة كانت بينهما ثم ان الخليفة جمع السفن جميعها اليه وسد ابواب دار الخلافة سوى باب النوبى وامر حاجب الباب ابن الصاحب بالمقام فيه لحفظ الدار ولم يبق من حواشى الخليفة بالجانب الشرقى سواه ووصل السلطان الى بغداد فى العشرين من ذى الحجة ونزل بباب الشماسية ودخل بعض عسكره الى بغداد ونزلوا فى دور الناس فشكا الناس ذلك الى السلطان فامر باخراجهم وبقى فيها من له دار وبقى السلطان يراسل الخليفة بالعود ويطلب الصلح وهو يمتنع وكان يجرى بين العسكرين مناوشة والعامة من الجانب الغربى يسبون السلطان أحيانا ثم ان جماعة من عسكر السلطان دخلوا دار الخلافة ونهبوا التاج وحجر الخليفة اول المحرم سنة احدى وعشرين وضج اهل بغداد من ذلك فاجتمعوا ونادوا الغزاة فاقبلوا من كل ناحية ولما رآهم الخليفة خرج من المرادق والشمسة على راسه والوزير بين يديه وامر بضرب الكوسات والبوقات ونادى باعلى صوته يا لهاشم وامر بتقديم السفن ونصب الجسر وعبر الناس دفعة واحدة وكان له فى الدار الف رجل مختفين فى السراديب فظهروا وعسكر السلطان مشتغلون بالنهب فاسر منهم جماعة من الامراء ونهب العامة دار وزير السلطان ودور جماعة من الامراء ودار عز الدين المستوفى ودار الحكيم اوحد الزمان الطبيب وقتل منهم خلق كثير فى الدروب ثم عبر الخليفة الى الجانب الشرقى ومعه ثلاثون الف مقاتل من اهل بغداد والسواد وامر

ويشترى المماليك والجوارى الحسان ولا يدفع لهم ثمنا فيشكون الى الباشا فيدفعه الى اليسرجية من خزينته وهو منشرح الخاطر واخوانه يتاثرون لذلك وتاخذهم الغيرة ويطمعون فى جانبه وهو يقصر فى حقهم ولا يعطيهم الا الشئ مع المن والتضجر وفيهم من هو اقدم منه هجرة ويرى فى نفسه انه احق بالتقدم منه ولما دنت وفاة استاذهم احضر شاهين بك وسلمه خزينته واوصاه بان يعطى لكل أمير من خشداشينه سبعة آلاف مشخص ولم يعطهم وطفق كلما اعطاهم شيئا حسبه عليهم من الوصية حتى اذا اعطى اليلك والبنش لنعمان بك مثلا يعطيه له أنقص من بنش أمين بك نصف ذراع ويقول هو قصير القامة ونحو ذلك فيحقدون ذلك عليه ويتشكون من خسته وتقصيره فى حقهم ويعلم الباشا ذلك فلما نقض شاهين بك عهده وانضم الى الخائنين وخشداشينه المذكورون معه بالتنافر القلبى واسلمهم الباشا سرا ووعدهم ومناهم بانهم اذا حضروا اليه وفارقوا شاهين بك الخائن المقصر فى حقهم أنزلهم منزلة شاهين بك وزيادة واختص بهم اختصاصا كبيرا فمالت نفوسهم لذلك القول واعتقدوا بخساءة عقولهم صحته وانهم اذا رجعوا اليه هذه المرة ونبذوا الخائنين اعتقد صداقتهم وخلوصهم

عمروها بالجيزة والبيوت التى اتخذوها بداخل المدينة والرفاهية والفرش الوطيئة وتحركت غلمتهم للنساء والسرارى التى انعم عليهم الباشا بها وقالوا ما لنا والغربة وتعب الجسم والخاطر والانزعاج والحروب والالقاء بنفوسنا فى المهالك وعدم الراحة فى النوم واليقظة فردوا الجواب بالاجابة وتمنوا عليه ايضا ما حالك فى نفوسهم بشرط طرح المؤاخذة والعفو الكامل بواسطة من يعتمد صدقه فاجابهم لكل ما سالوه وتمنوه بواسطة مصطفى كاشف المورلى وهو معدود سابقا منهم وانفصل عنهم وانتمى الى كخدا بك وصار من اتباعه فعند ذلك شرعوا فى مناكدة أخيهم شاهين بك ومفارقته وعقدوا معه مجلسا وقالوا له قاسمنا فى ربع المملكة التى خصونا به فى القسمة التى شرطوها فاننا شركاؤك فان ابراهيم بك قسم مع جماعته وكذلك عثمان بك وعلى بك أيوب فقال لهم وما هو الذى ملكناه حتى اقاسمكم فيه فقالوا انت تجعف علينا وتختص بالشئ دوننا فانك لما اصطلحنا معك مع الباشا وصرفك فى البر الغربى اختصيت بايراده وهو كذا وكذا دوننا ولم تشركنا معك فى شئ ولولا ان الباشا كان يراعينا ويواسينا من عنده لمتنا جوعا فنحن لا نرافقك ولا

وكان

بحفر الخنادق فحفرت بالليل وحفظوا بغداد من عسكر السلطان ووقع الغلاء عند العسكر واشتد الامر عليهم وكان القتال كل يوم عليهم عند ابواب البلد وعلى شاطئ دجلة وعزم عسكر الخليفة على ان يكبسوا عسكر السلطان فغدر بهم الامير ابو الهيجاء الكردى صاحب اربل وخرج كانه يريد القتال فالتحق هو وعسكره بالسلطان وكان السلطان قد ارسل الى عماد الدين بواسط يامره ان يحضر هو بنفسه ومعه المقاتلة فى السفن وعلى الدواب فى البر فجمع كل سفينة فى البصرة الى بغداد وشحنها بالرجال المقاتلة واكثر من السلاح واصعد فلما قارب بغداد امر كل من معه فى السفن وفى البر بلبس السلاح واظهار ما عندهم من الجلد والنهضة فسارت السفن فى الماء والعسكر فى البر على شاطئ دجلة قد انتشروا واملؤا الارض براو بحرا فراى الناس منظرا عجيبا كبر فى اعينهم وملأ صدورهم وركب السلطان والعسكر الى لقائهم فنظروا الى ما لم يروا مثله وعظم عماد الدين فى اعينهم وعزم السلطان على قتال بغداد حينئذ والجد فى ذلك فى البر والماء فلما راى الامام المسترشد بالله الامر على هذه الصورة وخروج الامير ابى الهيجاء من عنده أجاب الى الصلح وترددت الرسل بينهما فاصطلحا واعتذر السلطان مما جرى وكان حليما يسمع سبه باذنه فلا يعاقب عليه وعفا عن أهل بغداد جميعهم وكان أعداء الخليفة يشيرون على السلطان باحراق بغداد فلم يفعل وقال لا تساوى الدنيا فعل مثل هذا وأقام ببغداد الى رابع شهر ربيع الآخر سنة احدى وعشرين وحمل الخليفة من المال اليه كل ما استقرت القاعدة عليه وأهدى له سلاحا وخيلا وغير ذلك فرض السلطان ببغداد فاشار عليه الاطباء بمفارقتها فرحل الى همذان فلما وصلها عوفى

(ذكر مصاف بين طغتكين أتابك والفرنج بالشام)

فى هذه السنة اجتمعت الفرنج وملوكها وقمامصتها وكنودها وساروا الى نواحى دمشق فنزلوا برج الصفر عند قرية يقال لها شقحب بالقرب من دمشق فعظم الامر على المسلمين واشتد خوفهم وكاتب طغتكين أتابك صاحبها أمراء الاتراك من ديار بكر وغيرها وجمعهم وكان هو قد سار من دمشق الى جهة الفرنج واستخلف بها ابنه تاج الملوك بورى فكان بها كلما جاءت طائفة احسن ضيافتهم وسيرهم الى ابيه فلما اجتمعوا سار بهم طغتكين الى الفرنج فالتقوا واخوذى الحجة واقتتلوا واشتد القتال فسقط طغتكين عن فرسه فظن أصحابه انه قتل فانهزموا وركب طغتكين فرسه ولحقهم وتبعهم الفرنج وبقى التركمان لم يقدروا أن يلحقوا بالمسلمين فى الهزيمة فتخلفوا فلما رأوا فرسان الفرنج قد تبعوا المنهزمين وان معسكرهم وراجلهم ليس له مانع ولا حام حملوا على الرجالة فقتلوهم لم يسلم منهم الا الشريد ونهبوا معسكر الفرنج وخيامهم وأموالهم وجميع ما معهم وفى جملته كنيسة فيها من الذهب والجواهر ما لا يقوم كثرة فنهبوا ذلك جميعه وعادوا الى دمشق سالمين لم يعدم منهم أحد ولما رجع الفرنج من اثر المنهزمين وراوا رجالتهم قتلى واموالهم منهوبة عادوا منهزمين لا يلوى الاخ على اخيه

وكان هذا من الغريب ان طائفتين تنهزمان كل واحدة منهما من صاحبتها

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة حصر الفرنج رفنية من ارض الشام وهى بيد المسلمين وضيقوا عليها فملكوها وفيها توفى ابو الفتح احمد بن محمد بن محمد الغزالى الواعظ وهو اخو الامام ابى حامد محمد وقد ذمه ابو الفرج بن الجوزى باشياء كثيرة منها روايته فى وعظه الاحاديث التى ليست بصحيحة والعجب انه يقدح فيه بهذا وتصانيفه هو ووعظه محشو به مملوء منه نسال الله ان يعيذنا من الوقيعة فى الناس ثم يا ليت شعرى اما كان للغزالى حسنة تذكر مع ما ذكر من المساوى التى نسبها اليه لئلا ينسب الى الهوى والغرض

(ثم دخلت سنة احدى وعشرين وخمسمائة)

(ذكر ولاية الشهيد اتابك زنكى شحنكية العراق)

فى هذه السنة فى ربيع الآخر اسند السلطان محمود شحنكية العراق الى عماد الدين زنكى بن آقسنقر وكان سبب ذلك ان عماد الدين لما اصعد من واسط فى التجمل والجمع الذى ذكرناه وقام فى حفظ واسط والبصرة وتلك النواحى القيام الذى عجز غيره عنه عظم فى صدر السلطان وصدور امرائه فلما عزم السلطان على المسير عن بغداد نظر فيمن يصلح ان يلى شحنكية العراق يامن معه من الخليفة فاعتبر امراءه واعيان دولته فلم ير فيهم من يقوم فى هذا الامر مقام عماد الدين فاستشار فى ذلك فكل اشار به وقالوا لا يقدر على رفع هذا الحرق واعادة ناموس هذه الولاية ولا تقوى نفس احد على ركوب هذا الخطر غير عماد الدين زنكى فوافق ما عنده فاسند اليه الولاية وفوضها اليه مضافة الى ما له من الاقطاع وسار عن بغداد وقد اطمان قلبه من جهة العراق فكان الامر كما ظن

(ذكر عود السلطان عن بغداد ووزارة انوشروان بن خالد)

فى هذه السنة فى عاشر ربيع الآخر سار السلطان محمود عن بغداد بعد تقرير القواعد بها ولما عزم على المسير جعل اليه الخليفة الخلع والدواب الكثيرة فقبل ذلك جميعه وسار ولما بعد عن بغداد قبض على وزيره ابى القاسم على بن القاسم الانسابادى فى رجب لانه اتهمه بمكاتبة المسترشد بالله القيامه فى امره واتمام الصلح مقاما ظهر اثره فسعى به اعداؤه فلما قبض عليه ارسل السلطان الى بغداد أحضر شرف الدين انوشروان بن خالد وكان مقيما بها فلما علم بذلك جاءته الهدايا من كل احد حتى من الخليفة وسار عن بغداد خامس شعبان فوصل الى السلطان وهو باصبهان فخلع عليه خلع الوزارة وبقى فيها نحو عشرة اشهر ثم استعفى منها وعزل نفسه وعاد الى بغداد فى شعبان سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة واما الوزير ابو القاسم فانه بقى مقبوضا الى ان خرج السلطان سنجر الى الرى سنة اثنتين وعشرين فاخرجه من الحبس فى ذى الحجة واعاده الى وزارة

فى يوم الخميس خامس عشرينه وقابلوا الباشا وخلع عليهم واعطاهم تقادم عنه ونقلوا خيامهم الى ناحية البحر واعتزلوه وفارقوا عرضى الجميع فلما علم بذلك ابراهيم بك الكبير تنكد خاطره وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم أى شئ هذا الفشل وخساسة العقل والتفرق بعد الالتئام والاجتماع وذهب اليهم ليصالحهم ويضمن لهم كل ما طلبوه وما معوا فيه عند تملكهم وقال لهم ان كنتم محتاجين فى هذا الوقت لمصرف أنا اعطيكم من عندى عشرين ألف ريال اقسموها بينكم وعودوا المضربكم معنا فامتنعوا من صلحهم مع شاهين بك فرجع ابراهيم بك يريد اخذ شاهين بك اليهم فامتنع من ذهابه اليهم وقال انا لست محتاجا اليهم وان ذهبوا قلدت امراء خلافهم وعندى من يصلح لذلك ويكون مطيعا لى دونهم فان هؤلاء يرون انهم احق منى بالرياسة والجماعة شرعوا فى التعدية وانتقلوا الى البر الشرقى وحال البحر بين الفريقين ووصل اليهم مصطفى كاشف المورلى برسوم الباشا واجتمعوا معه عند عبد الله اغا المقيم بناحية بنى سويف وضربوا لهم شنكا ومدافع ثم انهم عزموا على الحضور الى مصر فوصلوا

السلطان محمود وهي الوزارة الثانية

(ذكر وفاة عز الدين بن البرسقي وولاية عماد الدين زنكي الموصل واعمالها)

في هذه السنة توفي عز الدين مسعود بن البرسقي وهو صاحب الموصل وكان موته بمدينة الرحبة وسبب مسيره اليها انه لما استقامت اموره في ولايته وراسل السلطان محمودا وخطب له ولاية ما كان ابوه يتولاه من الموصل وغيرها فاجاب السلطان الى ما طلب فرتب الامور وقرر احوالها فكثر جنده وكان شجاعا شهما فطمع في التغلب على بلاد الشام فجمع عساكره وسار الى الشام يريد قصد دمشق فابتدا بالرحبة فوصل اليها ونازلها وقام يحاصرها فاخذه مرض حاد وهو محاصر لها فتسلم القلعة ومات بعد ساعة فندم من بها على تسليمها اليه ولما مات بقي مطروحا على بساط لم يدفن وتفرق عنه عسكره ونهب بعضهم بعضا فاشغلوا عنه ثم دفن بعد ذلك وقام بعده اخ له صغير واستولى على البلاد مملوك للبرسقي يعرف بالجاولي ودبر امر الصبي وارسل الى السلطان يطلب ان يقرر البلاد على ولد البرسقي وبذل الاموال الكثيرة على ذلك وكان الرسول في هذا الامر القاضي بهاء الدين ابو الحسن علي بن القاسم الشهرزوري وصلاح الدين محمد امير حاجب البرسقي فحضر ادركاه السلطان ليخاطبا في ذلك وكانا يخافان جاولي ولا يرضيان بطاعته والتصرف بما يحكم به فاجتمع صلاح الدين ونصير الدين جقر الذي صار نائبا عن اتابك عماد الدين بالموصل وكان بينهما مصاهرة وذكر له صلاح الدين ما ورد فيه واقشى اليه سره فخوفه نصير الدين من جاولي وقبح عنده طاعته وقرر في نفسه انه انما ابقاه وامثاله لحاجته اليهم ومتى اجيب الى مطلوبه لا يبقي على احد منهم وتحدث معه في المخاطبة في ولاية عماد الدين زنكي وضمن له الولايات والاقطاع الكثيرة وكذلك للقاضي بهاء الدين الشهرزوري فاجابه الى ذلك واحضره معه عند القاضي بهاء الدين وخاطباه في هذا الامر وضمنا له كل ما اراده فوافقهما على ما طلبا وركب هو وصلاح الدين الى دار الوزير وهو حينئذ شرف الدين انوشروان بن خالد وقالا له قد علمت انت والسلطان ان ديار الجزيرة والشام قد تمكن الفرنج منها وقويت شوكتهم بها فاستولوا على اكثرها وقد اصبحت ولايتهم من حدود ماردين الى عريش مصر ما عدا البلاد الباقية بيد المسلمين وقد كان البرسقي مع شجاعته وتجربته وانقياد العساكر اليه يكف بعض عاديتهم وشرهم فقد قتل ازداد طمعهم وهذا ولده طفل صغير ولا بد للبلاد من رجل شهم شجاع ذي رأي وتجربة يذب عنها ويحفظها ويحمي حوزتها وقد انهينا الحال لئلا يجري خلل او وهن على الاسلام والمسلمين فيختص اللوم بنا ويقال لم لا انهيتم الينا جلية الحال فرفع الوزير قولهما الى السلطان فاستحسنه وشكرهما عليه واحضرهما واستشارهما فيمن يصلح للولاية فذكرا جماعة منهم عماد الدين زنكي وبذلا عنه تقربا الى خزانة السلطان مالا جليلا فاجاب السلطان الى توليته لما يعلمه من كفايته لما يليه فاحضره وولاه البلاد كلها وكتب منشوره بها وسار فبدأ بالبوازيج ليملكها ويتقوى

وارجعوا الى مضر بهم ناحية الانبار وصحبتهم عليهم الباشا بما ئتي كيس لكل كبير من الاربعة وعشرون كيسا ومائة وعشرون كيسا لبقيتهم واشتروا دورا واسعة وشرعوا في تعميرها وزخرفتها على طرف الباشا فاشترى امين بك دار عثمان كتخدا المتفوخ بدرب سعادة من عتقائه ودفع له الباشا ثمنها وامر لكل امير منهم بسبعة آلاف ريال ليصرفها فيما يحتاج اليه في العمارة واللوازم وحولهم بذلك على المعلم غالي ولما تحققوا شاهين بك انفصالهم قلد اربعة من اتباعه امرياتهم واعطاهم بيرقا وخيولا وضم لهم مماليك وطوائف وتمت حيلة الباشا التي احكمها بمكره وعند ذلك اشيع في الاقليم القبلي والبحري تفرقهم وتفاشلهم ورجع من كان عازما من القبائل والعربان عن الانضمام اليهم وطلبوا الامان من الباشا وحضروا اليه ودخلوا في طاعته وانعم عليهم وكساهم وكانت اهالي البلاد عند ما حصلت هذه الحادثة عصت عن دفع الفرض والمغارم وطردوا المعينين وتعطل الحال وخصوصا عند ما شاع غلبة المصريين على الارنؤد وتفرقت عنهم العربان الذين كانوا انضموا اليهم واطاع المخالف والعاصي والممانع وكلها اسباب لبروز المقدور المستور في غيبه سبحانه بها

وتعالى (وفى أواخره) حضر كثير من عسكر الدلاة من الجهة الشامية وكذلك حضر أتراك من على ظهر البحر كثيرون (واستهل شهر جمادى الثانية بيوم الثلاثا سنة ١٢٢٥)

بهما ويجعلها ظهره لانه خاف من جاولى انه ربما صده عن البلاد فلما دخل البوازيج سار عنها الى الموصل فلما سمع جاولى بقربه من البلاد خرج الى تلقيه ومعه جميع العسكر فلما رآه جاولى نزل عن فرسه وقبل الارض بين يديه وعاد فى خدمته الى الموصل فدخلها فى رمضان واقطع جاولى الرحبة وسيره اليها واقام بالموصل يصلح امورها ويقرر قواعدها فولى نصير الدين دزدارية القلعة بالموصل وجعل اليه سائر دزدارية القلاع وجعل صلاح الدين محمدا اميرا حاجبا وبهاء الدين قاضى قضاة بلاده جميعها وزاده املاكا واقطاعا واحتراما وكان لا يصدر الا عن رايه فلما فرغ من امر الموصل سار عنها الى جزيرة ابن عمر وبها مماليك البرسقى فامتنعوا عليه فحصرهم وراسلهم وبذل لهم البذول الكثيرة ان سلموا فلم يجيبوه الى ذلك فجد فى قتالهم وبينه وبين البلد دجلة فامر الناس فالقوا انفسهم فى الماء ليعبروه الى البلد ففعلوا وعبر بعضهم سباحة وبعضهم فى السفن وبعضهم فى الاكلاك وتكاثروا على اهل الجزيرة وكانوا قد خرجوا عن البلد الى ارض بين الجزيرة ودجلة تعرف بالزلاقة ليمتنعوا من يريد من عبور دجلة فلما عبر العسكر اليهم قاتلوهم ومانعوهم فكثر عسكر عماد الدين عليهم فانهزم اهل البلد ودخلوه وتحصنوا باسواره واستولى عماد الدين على الزلاقة فلما راى من بالبلد ذلك ضعفوا ووهنوا وايقنوا ان البلد يملك سلما او عنوة فارسلوا يطلبون الامان فاجابهم الى ذلك وكان هو ايضا مع عسكره بالزلاقة فسلموا البلد اليه فدخله هو وعسكره ثم ان دجلة زادت تلك الليلة زيادة عظيمة لحقت سورا لبلد وصارت الزلاقة ماء فلو اقام ذلك اليوم لغرق هو وعسكره ولم ينج منهم احد فلما راى الناس ذلك ايقنوا بسعادته وايقنوا ان امره هذا بداية له عظيم ثم سار عن الجزيرة الى نصيبين وكانت لحسام الدين تمرتاش صاحب ماردين فلما نازلها سار حسام الدين الى ابن عمه ركن الدولة داود بن سقمان بن ارتق وهو صاحب حصن كيفا وغيرها فاستنجده على اتابك زنكى فوعده النجدة بنفسه وجمع عسكره وعاد تمرتاش الى ماردين وارسل رقاعا على اجنحة الطيور الى نصيبين يعرف من بها من العسكر انه وابن عمه سائران فى العسكر الكثير اليهم وازاحة عماد الدين عنهم ويامرهم بحفظ البلد خمسة ايام فبينما اتابك فى خيمته اذ سقط طائر على خيمة فتقابله فاخذه فصيد فراى فيه رقعة فقراها وعرف ما فيها فامر ان يكتب غيرها يقول فيها انى قصدت ابن عمى ركن الدولة وقد وعدنى النصرة وجمع العساكر وما يتاخر عن الوصول اكثر من عشرين يوما ويامرهم بحفظ البلد هذه المدة الى ان يصلوا وجعلها فى الطائر وارسله فدخل نصيبين فلما وقف من بها على الرقعة سقط فى ايديهم وعلموا انهم لا يقدرون ان يحفظوا البلد هذه المدة فارسلوا الى الشهيد وصالحوه وسلموا البلد اليه فبطل على تمرتاش وداود ما كانا عزما عليه وهذا من غريب ما يسمع فلما ملك نصيبين سار عنها الى سنجار فامتنع من بها عليه ثم صالحوه وسلموا البلد اليه وسير منها الشحن الى الخابور فملكه جميعه ثم سار الى حران وهى للمسلمين وكانت الرها وسروج والبيرة وتلك النواحى جميعها للفرنج واهل حران معهم فى ضر عظيم وضيق شديد لخلو البلاد

(واستهل شهر جمادى الثانية بيوم الثلاثا سنة ١٢٢٥)

فى ثالثه يوم الخميس قلد الباشا ديوان افندى نظر مهمات الحرمين والتاهب لسفر الحجاز لمحاربة الوهابية وسكن ببيت قصبة رضوان كل ذلك مع توجه الهمة والاستعداد لمحاربة الامراء المصريين والمذكورون بناحية قنطرة اللاهون (واما حسن باشا وصالح قوج وعابدين بك ومن معهم) فانهم صعدوا الى قبلى وملكوا البنادر الى حد جرجا واستقر دبوس اوغلى بمنية ابن خصيب (وفى يوم السبت خامسه) ارتحل الباشا بعساكره من الجيزة وانتقل الى جزيرة الذهب ونودى فى المدينة بخروج العساكر المقيمين بمصر ولا يتخلف منهم احد فزاد تعديهم وخطفهم الحمير والجمال والرجال الفلاحين وغيرهم لتسخيرهم فى خدمتهم وفى المراكب عوضا عن النوتية والملاحين الذين هربوا وتركوا سفاتنهم فكانوا يقبضون على كل من يصادفونه ويحبسونهم فى الحواصل بيولاق واتفق انهم حبسوا نحو ستين نفرا فى حاصل مظلم واغلقوه عليهم وتركوهم من غير اكل ولا شرب اياما حتى ماتوا عن

اخرهم وانجدر قبطان بولاق واعوانه فى طلب المراكب من بحر النيل فيكانوا يقبضون على المراكب الواصلة الى

والجيزة الان يعطوهم براطيل على ترك هم الغلة بالمراكب حتى يصلوا بها الى ساحل بولاق فيخرجونها منها ثم ياخذون المركب وهكذا كان دأبهم بطول هذه المدة (وفى عاشره) ارتحل الباشا من جزيرة الذهب يريد محاربة المصريين (وفى منتصفه) ورد الخبر بان حسين بك تابع حسين بك المعروف بالوشاش الالفى أراد الهروب والمجىء الى الباشا فقبض عليه شاهين بك واهانه وسلب نعمته وكتفه واركبه على جمل مغطى الرأس وارسله الى الواحات فاحتال وهرب وحضر الى عرضى الباشا فاكرمه وانعم عليه واعطاه خمسين كيسا واستمر عنده (وفى خامس عشرينه) وصلت الاخبار بان الباشا ملك قناطر اللاهون وان المصريين ارتحلوا الى ناحية البهنسا ولم يقع بينهم كبير محاربة وان الباشا استولى على الفيوم وأرسل الباشا هدايا لمن فى سرايته ولكتخدا بك من ظرائف الفيوم مثل ماء الورد والعنب والفاكهة وغير ذلك واستولى على ما كان مودعا للمصريين من الغلال بالفيوم (وفى أواخره) وصلت اخبار من ناحية الشام بان طائفة من الوهابية جردوا جيشا الى تلك الجهة فتوجه يوسف باشا الى المزيريب وحصن الى

من حام يذب عنها وسلطان يمنعها فلما قارب حران خرج اهل البلد واطاعوه وسلموا اليه فلما ملكها ارسل الى جوسلين صاحب الرها وتلك البلاد وراسله وهادنه مدة يسيرة وكان غرضه ان يتفرغ لاصلاح البلاد وجند الاجناد وكان اهم الامور اليه ان يعبر الفرات الى الشام و يملك مدينة حلب وغيرها من البلاد الشامية فاستقر الصلح بينهم وامن الناس ونحن نذكر ملك حلب ان شاء الله تعالى

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة قتل معين الملك ابو نصر احمد بن الفضل وزير السلطان سنجر قتلته الباطنية وكان له فى قتالهم آثار حسنة ونية صالحة فرزقه الله الشهادة وفيها ولى السلطان شحنكية بغداد مجاهد الدين بهروز لما سار اتابك زنكى الى الموصل وفيها رتب الحسن بن سليمان فى تدريس النظامية ببغداد وفيها اوقع السلطان سنجر بالباطنية فى ألموت فقتل منهم خلقا كثيرا قيل كانوا يزيدون على عشرة آلاف نفس وتوفى هذه السنة على بن المبرك ابو الحسن المقرى المعروف بابن الفاعوس الحنبلى ببغداد فى شوال وكان صالحا وفى شوال توفى محمد بن عبد الملك بن ابراهيم بن احمد ابو الحسن بن ابى الفضل الهمذانى الفرضى صاحب التاريخ

(ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة)

(ذكر ملك اتابك عماد الدين زنكى مدينة حلب)

فى هذه السنة اول المحرم ملك عماد الدين زنكى بن آقسنقر مدينة حلب وقلعتها ونحن نذكر كيف كان سبب ملكها فنقول قد ذكرنا ملك البرسقى لمدينة حلب وقلعتها سنة ثمان عشرة واستخلافه بها ابنه مسعودا ولما قتل البرسقى سار مسعود عنها الى الموصل وملكها واستناب بحلب اميرا اسمه قومان ثم انه ولى عليها اميرا اسمه قتلغ ابه وسيره بتوقيع الى قومان بتسليمها فقال بينى وبين عز الدين علامة لم ارها ولا اسلم الا بها وكانت العلامة بينهما صورة غزال وكان مسعود بن البرسقى حسن التصوير فعاد قتلغ ابه الى مسعود وهو بحاصر الرحبة فوجده قد مات فعاد الى حلب مسرعا وعرف الناس موته فسلم الرئيس فضائل بن بديع البلد واطاعه المقدمون به واستنزلوا قومان من القلعة بعد ان صح عنده وفاة صاحبه مسعود واعطوه الف دينار فتسلم قتلغ القلعة فى الرابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة احدى وعشرين فظهر منه بعد ايام جور شديد وظلم عظيم ومد يده الى اموال الناس لاسيما التركمان فانه اخذها وتقرب اليها الاشرار فنفرت قلوب الناس منه وكان بالمدينة بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار بن ارتق الذى كان قديما صاحبها فاطاعه اهلها وقاموا ليلة الثلاثاء ثانى شوال فقبضوا على كل من كان بالبلد من اصحاب قتلغ ابه وكان اكثرهم يشربون فى البلد صبحة العيد وزحفوا الى القلعة فتحصن قتلغ ابه فيها بمن معه فحصروه ووصل الى حلب حسان صاحب منبج وحسن صاحب بزاعة لاصلاح الامر فلم ينصلح وسمع الفرنج بذلك فتقدم جوسلين بعسكره

الى المدينة فصونع بمال فعاد عنها ثم وصل بعده صاحب انطاكية فى جمع من الفرنج فخندق الحلبيون حول القلعة فمنع الداخل والخارج اليها من ظاهر البلد واشرف الناس على الخطر العظيم الى منتصف ذى الحجة من السنة وكان عماد الدين قد ملك الموصل والجزيرة فسير الى حلب الامير سنقر دراز والامير حسن قراقوش وهما من اكابر امراء البرسقى وقد صار وامعه فى عسكر قوى ومعه التوقيع من السلطان بالموصل والجزيرة والشام فاستقر الامران يسير بدر الدولة بن عبد الجبار وقتلغ ابه الى الموصل الى عماد الدين فسارا اليه وأقام حسن قراقوش بحلب والياعليها ولايه مستعارة فلما وصل بدر الدولة وقتلغ ابه الى عماد الدين اصلح بينهما ولم يرد واحد منهما الى حلب وسير حاجبه صلاح الدين محمدا البا شيسيانى اليها فى عسكر فصعد الى القلعة ورتب الامور وجعل فيها واليا وسار عماد الدين زنكى الى الشام فى جيوشه وعساكره فلما فى طريقه مدينة منبج وبزاعة وخرج اهل حلب اليه فالتقوه واستبشروا بقدومه ودخل البلد واستولى عليه ورتب اموره وأقطع اعماله الاجناد والامراء فلما فرغ من الذى اراده قبض على قتلغ ابه وسلمه الى ابن بديع فسكن له بداره بحلب فمات قتلغ ابه واستوحش ابن بديع فهرب الى قلعة جعبر واستجار بصاحبها فاجاره وجعل عماد الدين فى رياسة حلب ابا الحسن على بن عبد الرزاق ولولا ان الله تعالى من على المسلمين بملك اتابك بيلاد الشام لملكها الفرنج لانهم كانوا يحصرون بعض البلاد الشامية واذا علم ظهير الدين طغتكين بذلك جمع عساكره وقصد بلادهم وحصرها واغار عليها فيضطر الفرنج الى الرحيل لدفعه عن بلادهم فقدر الله تعالى انه توفى هذه السنة فخلا لهم الشام من جميع جهاته من رجل يقوم بنصرة اهله فلطف الله بالمسلمين بولاية عماد الدين ففعل بالفرنج ما نذكره ان شاء الله تعالى

* (ذكر قدوم السلطان سنجر الى الرى) *

فى هذه السنة خرج السلطان سنجر من خراسان الى الرى فى جيش كثير وكان سبب ذلك ان دبيس بن صدقة لما وصل اليه هو والملك طغرل على ما ذكرناه لم يزل يطمعه فى العراق ويسهل عليه قصده ويلقى فى نفسه ان المسترشد بالله والسلطان محمود متفقان على الامتناع منه ولم يزل به حتى اجابه الى المسير الى العراق فلما ساروا وصل الى الرى وكان السلطان محمود بهمذان فارسل اليه السلطان سنجر يستدعيه اليه لينظر هل هو على طاعته ام قد تغير على ما زعم دبيس فلما جاءه الرسول بادر الى المسير الى عمه فلما وصل اليه أمر العسكر جميعه بلقائه وأجلسه معه على التخت وبالغ فى اكرامه واقام عنده الى منتصف ذى الحجة ثم عاد السلطان سنجر الى خراسان وسلم دبيسا الى السلطان محمود ووصاه باكرامه واعادته الى بلده ورجع محمود الى همذان ودبيس معه ثم سارا الى العراق فلما قاربا بغداد خرج الوزير الى لقائه وكان قدومه تاسع المحرم سنة ثلاث وعشرين وكان الوزير ابو القاسم الانبارى قد قبض السلطان محمود عليه فلما اجتمع بالسلطان سنجر امر باطلاقه فاطلقه وقرره سنجر فى وزارة ابنته التى زوجها

---

* واستهل شهر رجب بيوم الخميس سنة ١٢٢٥ * فيه وردت الاخبار بورود قزلار اغا من طرف الدولة وعلى يده أوامر وخلعة وسيف وخنجر لمحمد على باشا ومخبته أيضا مهمات وآلات مراكب ولوازم حروب لسفر البلاد الحجازية ومحاربة الوهابية وهو يسمى عيسى أغا وانه طلع الى ثغر سكندرية (وفى يوم السبت عاشره) الموافق لسادس مسرى القبطى أوفى النيل وحصلت الجمعية وحضر كتخدا بك والقاضى وباقى الاعيان وكسر السد بحضرتهم فى صبحها يوم الاحد وجرى الماء فى الخليج (وفيه) وصل الاغا شبرا وعملوا له هناك شنكا وحراقات وتعليقات قبالة القصر الذى انشاه الباشا بساحل شبرا وخرجوا الملاقاته فى صبحها بعد ثلاث ليال فى يوم الثلاثاء ثالث عشره وعملوا له موكبا عظيما وطلع الى القلعة وضربوا عند طلوعه الى القلعة مدافع وهذا الاغا اسمر اللون حبشى مخصى لطيف الذات متعاظم فى نفسه قليل الكلام وفى حال مروره كان بجانبه شخصان ينثران الذهب والفضة الاسلامبولى على الناس المتفرجين وحضر صحبته وصحبة اتباعه السكة

الجديدة التى ضربت باسلامبول من الذهب والفضة وهى دراهم فضة خالصة سالمة من الغش زنة

الدرهم منها درهم وزنى كامل ستة عشر قيراطا يصرف بخمسة وعشرين نصفا من الانصاف المعاملة العددية المستعملة فى معاملة الناس الآن وكذلك قطعة مضروبة وزن درهمين بالدرهم الوزنى تصرف بخمسين وكذلك قطعة مضروبة وزنها أربعة دراهم وتصرف بمائة نصف وقطعة وزنها ثمانية دراهم وتصرف بمائتين وكذلك ذهب فندقلى اسلامى يصرف بار بعمائة نصف وأربعين نصفا ونصفه وربعه (وفى يوم الجمعة سادس عشره) حضر الاغا المذكور الى المسجد الحسينى وصلى به الجمعة وخرج وهو يفرق على الفقراء والمتجدين ارباع الفنادقة واقطى خدمة الضريح وخدمة المسجد قروشا اسلامبولى فى صرة أقل ما فى الصرة الواحدة عشرة قروش (وفى يوم السبت سابع عشره) عملوا دوانا بالقلعة واحضروا خلعة وصلت صحبة الاغا المذكور أرسلها صحبة خازندار والبسوها لابن الباشا وجعلوه باشا ميرميران وابن الباشا المذكور ولد مراهق صغير يسمى اسمعيل وضربوا شنكا ومدافع وأشيع انه وصلت مبشرون من الجهة القبلية بنصرة الباشا على المصريين وأرسلوا بذلك أوراقا للاعيان أخبروا فيها بوقوع الحرب بين الفريقين ليلة السبت أو يوم السبت عاشر رجب (وفى ليلة الثلاثاء عشرينه) ارسلوا تنابيه الى المشايخ بالحضور من الغد لما

بالسلطان محمود فلما وصل معه الى بغداد أعاده محمودا الى وزارته فى الرابع والعشرين من المحرم وهى وزارته الثانية

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة ثامن صفر توفى اتابك طغتكين صاحب دمشق وهو مملوك الملك تتش ابن ألب أرسلان وكان عاقلا خيرا كثيرا الغزوات والجهاد للفرنج حسن السيرة فى رعيته مؤثرا العدل فيهم وكان لقبه ظهير الدين ولما توفى ملك بعده ابنه تاج الملوك بورى وهو اكبر أولاده بوصية من والده له بالملك واقروز يرابيه اباعلى طاهر بن سعد المزدقانى على وزارته وفيها مستهل رجب توفى الوزير جلال الدين أبو على بن صدقة وزير الخليفة وكان حسن السيرة جميل الطريقة متواضعا محبا لاهل العلم مكرما لهم وله شعر حسن فمنه فى مدح المسترشد بالله

وجدت الورى كالماء طعما ورقة * وان أمير المؤمنين زلاله
وصورت معنى العقل شخصا مصورا * وان امير المؤمنين مثاله
ولولا طريق الدين والشرع والتقى * لقلت من الاعظام جل جلاله

واقيم فى النيابة بعده شرف الدين على بن طراد الزينبى ثم جعل وزيرا وخلع عليه آخر شهر ربيع الآخر من سنة ثلاث وعشرين ولم يوزر للخلفاء من بنى العباس هاشمى غيره وفيها هبت ريح شديدة اسود لها الآفاق وجاءت بتراب احمر يشبه الرمل وظهر فى السماء اعمدة كانها نار فخاف الناس وعدلوا الى الدعاء والاستغفار فانكشف عنهم ما يخافونه

(ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة)

(ذكر قدوم السلطان محمود الى بغداد)

فى هذه السنة فى المحرم قدم السلطان محمود بغداد بعد عوده من عند عمه السلطان سنجر ومعه دبيس بن صدقة ليصلح حاله مع الخليفة المسترشد بالله فتاخر دبيس عن السلطان ثم دخل بغداد ونزل بدار السلطان واسترضى عنه الخليفة فامتنع الخليفة من الاجابة الى ان تولى دبيس شيئا من البلاد وبذل مائة الف دينار لذلك وعلم اتابك زنكى ان السلطان يريد ان يولى دبيس الموصل فبذل مائة الف دينار وحضر بنفسه الى خدمة السلطان فلم يشعر السلطان به الا وهو عند الستر وحمل معه الهدايا الجليلة فاقام عند السلطان ثلاثة ايام وخلع عليه واعاده الى الموصل وخرج السلطان يتصيد فعمل له شيخ المزرفة دعوة عظيمة امتار منها جميع عسكر السلطان وادخله الى حمام فى داره وجعل فيها عوض الماء الورد فاقام السلطان الى رابع جمادى الآخرة وسار عنها الى همذان وجعل بهروز على شحنكية بغداد وسلمت اليه الحلة ايضا

(ذكر ما فعله دبيس بالعراق وعود السلطان الى بغداد)

لما رحل السلطان الى همذان ماتت زوجته وهي ابنة السلطان سنجر وهي التي كانت تعني بار دبيس وتدافع عنه فلما ماتت انحل أمر دبيس ثم ان السلطان مرض مرضا شديدا فاخذ دبيس ايناله صغير او قصد العراق فلما سمع المسترشد بالله بذلك جند الاجناد وحشد وكان بهروز بالحلة فهرب منها فدخلها دبيس في شهر رمضان فلما سمع السلطان الخبر عن دبيس احضر الامير بن قزلو والاحديلي وقال انتما ضمنتما دبيسا مني وأريده منكما فسار الاحديلي الى العراق الى دبيس ليكف شره عن البلاد ويحضره الى السلطان فلما سمع دبيس الخبر أرسل الى الخليفة يستعطفه ويقول ان رضيت عني فانا أرد أضعاف ما اخذت وأكون العبد المملوك فتردد الرسل ودبيس يجمع الاموال والرجال فاجتمع معه عشرة آلاف فارس وكان قد وصل في ثلثمائة فارس ووصل الاحديلي بغداد في شوال وسار في اثر دبيس ثم ان السلطان سار الى العراق فلما سمع دبيس بذلك أرسل اليه هدايا جليلة المقدار وبذل ثلثمائة حصان منعلة بالذهب ومائتي ألف دينار ليرضى عنه السلطان والخليفة فلم يجبه الى ذلك ووصل السلطان الى بغداد في ذي القعدة فلقيه الوزير ابن يغبي وأرباب المناصب فلما تيقن دبيس وصوله رحل الى البرية وقصد البصرة وأخذ منها أموالا كثيرة وما للخليفة والسلطان هناك من الدخل فسير السلطان اثره عشرة آلاف فارس ففارق البصرة ودخل البرية

(ذكر قتل الاسماعيلية بدمشق)

قد ذكرنا فيما تقدم قتل ابراهيم الاسداباذي ببغداد وهرب ابن اخته بهرام الى الشام وملكه قلعة بانياس وسيره اليها ولما فارق دمشق اقام له بها خليفة يدعو الناس الى مذهبه فكثروا وانتشروا وملك هو وعدة حصون من الجبال منها القدموس وغيره وكان بوادي التيم من اعمال بعلبك أصحاب مذاهب مختلفة من النصيرية والدرزية والمجوس وغيرهم وأميرهم اسمه الضحاك فسار اليهم بهرام سنة اثنتين وعشرين وحصرهم وقاتلهم فخرج اليه الضحاك في ألف رجل وكبس عسكر بهرام فوضع السيف فيهم وقتل منهم مقتلة كثيرة وقتل بهرام وانهزم من سلم وعادوا الى بانياس على أقبح صورة وكان بهرام قد استخلف في بانياس رجلا من أعيان أصحابه اسمه اسمعيل فقام مقامه وجمع شمل من عاد اليه منهم وبث دعاته في البلاد وعاضده المزدقاني أيضا وقوى نفسه على ما عنده من الامتعاض بهذه الحادثة والهم بها ثم ان المزدقاني أقام بدمشق عوض بهرام انسانا اسمه أبو الوفا فقوى أمره وعلا شانه وكثر أتباعه وقام بدمشق فصار المستولي على من بها من المسلمين وحكمه أكثر من حكم صاحبها تاج الملوك ثم ان المزدقاني راسل الفرنج ليسلم اليهم مدينة دمشق ويسلموا اليه مدينة صور واستقر الامر بينهم على ذلك وتقرر بينهم الميعاد يوم جمعة ذكروه وقرر المزدقاني مع الاسماعيلية أن يحتاطوا ذلك اليوم بابواب الجامع فلا يمكنوا أحدا يخرج منه ليجيء الفرنج ويملكوا

اليوم حضر شيخ السادات وهو الناظر على اوقاف المشهد الى قبة المدفن وحضر الشيخ البكري واغلقوا باب القبة ومنعوا الناس من العبور بالمتجهد متشوفين لثمرة هذا الاجتماع وكل من حضر من الاشياخ المشاهير استاذنوا له وادخلوه الى القبة وحضر الشيخ الامير والشيخ المهدي وتاخر حضور الشيخ الشرقاوي لكونه كان يبيت في بولاق ثم حضر الاغا المذكور ودخل الى القبة وصحبته ظرف من خشب ففتحه واخرج منه لوحا طوله ازيد من ذراعين في عرض ذراع ونصف مكتوب فيه البسملة بخط الثلث مموه بالذهب وهي بخط يد السلطان محمود وتحتها طرة العلامة السلطانية فعلقوه على مقصورة المقام وقرؤا الفاتحة ودعا السيد محمد المنزلاوي خطيب المسجد بدعوات للسلطان ولما فرغ دعا ايضا السيد بدر الدين المقدسي ثم خلع على المشايخ خلعا وفرق ذهبا ثم خرج الجميع وركبوا الى دورهم فكان هذا الجمع جمع سخف لاغير (وفي يوم الجمعة) ركب الاغا المذكور وذهب الى ضريح السادات الوفائية بالقرافة بصحبة الشيخ المتولي خلافتهم فزاروا مقابرهم وعلق هناك لوحا ايضا وفرق دراهم وخلع على الشيخ المذكور خلعة (ومن

راس زيد بن على زين العابدين ابن الحسين بن على بن ابى طالب رضى الله عنهم ويعرف هذا المشهد عند العامة بزين العابدين وبذلك اشتهر ويقصدونه بالزيارة صبح يوم الاحد فلما كانت الحوادث ومجى الفرنسيس اهملوا ذلك وتخرب المشهد واهيلت عليه الاتربة فاجتهد عثمان اغا المذكور فى تعمير ذلك فعمره وزخرفه وبيضه وعمل به سترا وتاجا ليوضعا على المقام وارسل فنادى على اهل الطرق الشيطانية المعروفين بالاشاير وهم السوقة وارباب الحرف المرذولة الذين ينسبون انفسهم لارباب الضرائح المشهورين كالاحمدية والرفاعية والقادرية والبرهامية ونحو ذلك واكد فى حضورهم قبل الجمع بايام ثم انهم اجتمعوا فى يوم الاحد خامس عشرينه بانواع من الطبول والزمامير والبيارق والاعلام والشراميط والخرق الملونة والمصبغة ولهم انواع من الصياح والنياح والجلبة والصراخ الهائل حتى ملؤا النواحى والاسواق وانتظموا وساروا وهم يصيحون ويترددون ويتجاوبون بالصلوات والآيات التى يحرفونها وانواع التوسلات ومناداة اشياخهم ايضا المنتسبين اليهم باسمائهم كقولهم برفع الصوت وضرب الطبلات المقدمين

البلاد فبلغ الخبر تاج الملوك صاحب دمشق فاستدعى المزدقانى اليه فحضر وخلا معه فقتله تاج الملوك وعلق راسه على باب القلعة ونادى فى البلد بقتل الباطنية فقتل منهم ستة آلاف نفس وكان ذلك منتصف رمضان من السنة وكفى الله المسلمين شرهم ورد على الكافرين كيدهم ولما تمت هذه الحادثة بدمشق على الاسماعيلية خاف اسمعيل والى بانياس ان يثوروا به ويمن معه من الناس فيهلكوا فراسل الافرنج وبذل لهم تسليم بانياس اليهم والانتقال الى بلادهم فاجابوه فسلم القلعة اليهم وانتقل هو ومن معه من أصحابه الى بلادهم ولقوا شدة وذلة وهوانا وتوفى اسمعيل أوائل سنة أربع وعشرين وكفى الله المؤمنين شرهم

(ذكر حصر الفرنج دمشق وانهزامهم)

لما بلغ الفرنج قتل المزدقانى والاسماعيلية بدمشق عظم عليهم ذلك وتاسفوا على دمشق حيث لم يتم لهم ملكها وعمتهم المصيبة فاجتمعوا كلهم صاحب القدس وصاحب انطاكية وصاحب طرابلس وغيرهم من الفرنج وقاصتهم ومن وصل اليهم فى البحر للتجارة والزيارة فاجتمعوا فى خلق عظيم نحو الفى فارس وأما الراجل فلا يحصى وساروا الى دمشق ليحصروها ولما سمع تاج الملوك بذلك جمع العرب والتركمان فاجتمع معهم ثمانية آلاف فارس ووصل الفرنج فى ذى الحجة فنازلوا البلد وارسلوا الى اعمال دمشق لجمع الميرة والاغارة على البلاد فلما سمع تاج الملوك ان جمعا كثيرا قد ساروا الى حوران لنهبه واحضار الميرة سير اميرا من امرائه يعرف بشمس الخواص فى جمع من المسلمين اليهم وكان خروجهم فى ليلة شاتية كثيرة المطر ولقوا الفرنج من الغد فواقعوهم واقتتلوا وصبر بعضهم لبعض فظفر بهم المسلمون وقتلوهم فلم يفلت منهم غير مقدمهم ومعه أربعون رجلا واخذوا ما معهم وهى عشرة آلاف دابة موقرة وثلثمائة اسير وعادوا الى دمشق فلم يمسسهم قرح فلما علم من عليها من الفرنج ذلك ألقى الله فى قلوبهم الرعب فرحلوا عنها شبه المنهزمين وأحرقوا ما تعذر عليهم حمله من سلاح وميرة وغير ذلك وتبعهم المسلمون والمطر شديد والبرد عظيم يقتلون كل من تخلف منهم فكثر القتلى منهم وكان نزولهم ورحيلهم فى ذى الحجة من هذه السنة

(ذكر ملك عماد الدين زنكى مدينة حماة)

فى هذه السنة ملك عماد الدين زنكى بن آقسنقر صاحب الموصل مدينة حماة وسبب ذلك انه عبر الفرات الى الشام واظهر انه يريد جهاد الفرنج وارسل الى تاج الملوك بورى بن طغتكين صاحب دمشق يستنجده ويطلب منه المعونة على جهادهم فاجاب الى المراد وارسل من اخذ له العهود والمواثيق فلما وصلت الوثقة جرد عسكرا من دمشق مع جماعة من الامراء وارسل الى ابنه سونج وهو بمدينة حماة يامره بالنزول الى العسكر والمسير معهم الى زنكى ففعل ذلك فساروا جميعهم فوصلوا اليه فاكرمهم واحسن لقاءهم وترحم ايامًا ثم انه غدر بهم فقبض على سونج ولد تاج الملوك وعلى جماعة الامراء

وقولهم ياهو وياهو وياجباوى وياجباوى وياجباوى وياسوقى وياسوقى وياسوق

قليلون وطلع من البحر من برطرا والمعيصرة وركب من هناك خيولا من خيول العرب وطلع الى القلعة على حين غفلة فضربوا فى ذلك الوقت مدافع اعلاما بحضوره (وفى ثانى ليلة) صعد اليه عيسى اغا المذكور عند الغروب وقابله وسلم عليه (وفى يوم الاثنين ثالثه) عمل الباشا ديوانا وركب ذلك الاغا من بيت عثمان اغا الوكيل الكائن بدرب الجمامين فى موكب وطلع الى القلعة وقرأ المرسوم الذى وصل صحبته بالمعنى السابق وهو الامر بالخروج الى الحجاز ولبس الباشا الخلعة والسيف بحضرة الجمع وضربوا مدافع كثيرة عقيب ذلك (وفيه) وردت الاخبار بمجىء يوسف باشا والى الشام الى ثغر دمياط وكان من خبر وروده على هذه الصورة انه لما ظاهر أمره وأتته ولاية الشام فاقام العدل وابطل المظالم واستقامت أحواله وشاع أمر عدله النسبى فى البلدان فثقل امره على غيره من الولاة واهل الدولة لما افقده طرائقهم فقصدوا عزله وقتله فارسلوا له ولوا الى مصر اوامر بالخروج الى الحجاز فحصل التوانى وفى اثناء ذلك حضر فرقة من العربان الوهابيين وخرج اليهم يوسف باشا المذكور وحصن المزيريب كما تقدم ورجع الى الشام وتفرقت الجموع ثم وصل

*(ذكر

اذ راى اثنى عشر رجلا فى السلاح التام فقبض عليهم وعاقبهم فاقروا ان محمد خان ارسلهم ليقتلوه فقتلهم ثم سار الى سمرقند فملكها عنوة ونهب بعضها ومنع من الباقى وتحصن منه محمد خان ببعض تلك الحصون فاستنزله السلطان سنجر بامان بعد مدة فلما نزل اليه اكرمه وارسله الى ابنته زوجة السلطان سنجر فبقى عندها الى ان توفى واقام سنجر بسمرقند مدة حتى اخذ المال والسلاح والخزائن وسلم البلد الى الامير حسن تكين وعاد الى خراسان فلم يلبث حسن تكين أن مات فملك سنجر بعده عليها محمود بن محمد خان بن سليمان بن داود المقدم ذكره وقيل ان السبب غير ماذكرناه وسيرد ذكره سنة ست وثلاثين للحاجة الى ذكره هناك

(ذكر فتح عماد الدين زنكى حصن الاثارب وهزيمة الفرنج)

لما فرغ عماد الدين زنكى من أمر البلاد الشامية حلب واعمالها وما ملكه وقرر قواعده عاد الى الموصل وديار الجزيرة ليستريح عسكره ثم أمرهم بالتجهز للغزاة فتجهزوا واعدوا واستعدوا وعاد الى الشام وقصد حلب فقوى عزمه على قصد حصن الاثارب ومحاصرته لشدة ضرره على المسلمين وهذا الحصن بينه وبين حلب نحو ثلاثة فراسخ بينها وبين انطاكية وكان من به من الفرنج يقاسمون حلب على جميع اعمالها الغربية حتى على رحالها هل حلب بظاهر باب الجنان بينها وبين البلد عرض الطريق وكان اهل البلد معهم فى ضر شديد وضيق كل يوم قد اغاروا عليهم ونهبوا اموالهم فلما رأى الشهيد هذه الحال صمم العزم على حصرهذا الحصن فسار اليه ونازله فلما علم الفرنج بذلك جمعوا فارسهم وراجلهم وعلموا أن هذه وقعة لها ما بعدها فحشدوا وجمعوا ولم يتركوا من طاقتهم شيئا الا واستنفدوه فلما فرغوا من أمرهم ساروا نحوه فاستشار اصحابه فيما يفعل وكل اشار بالعود عن الحصن فان لقاء الفرنج فى بلادهم خطر لا يدرى على اى شئ تكون العاقبة فقال لهم ان الفرنج متى راونا قد عدنا من ايديهم طمعوا وساروا فى اثرنا وخربوا بلادنا ولابد من لقائهم على كل حال ثم ترك الحصن وتقدم اليهم فالتقوا واصطفوا للقتال وصبر كل فريق لخصمه واشتد الامر بينهم ثم ان الله تعالى انزل نصره على المسلمين فظفروا وانهزم الفرنج اقبح هزيمة ووقع كثير من فرسانهم فى الاسر وقتل منهم خلق كثير وتقدم عماد الدين الى عسكره بالانجاز وقال هذا اول مصاف عملناه معهم فلنذقهم من باسنا ما يبقى رعبه فى قلوبهم ففعلوا ما أمرهم ولقد اجترت بتلك الارض سنة اربع وثمانين وخمسمائة ليلا فقيل لى ان كثيرا من العظام باق الى ذلك الوقت فلما فرغ المسلمون من ظفرهم عادوا الى الحصن فتسلموه عنوة وقتلوا واسروا كل من فيه واخربه عماد الدين وجعله دكا وبقى الى الآن خرابا ثم سار منه الى قلعة حارم وهى بالقرب من انطاكية فحصرها وهى ايضا للفرنج فبذل له اهلها نصف دخل بلد حارم وهادنوه فاجابهم الى ذلك وعاد عنهم وقد استدار المسلمون بتلك الاعمال وضعفت قوى الكافرين وعلموا ان البلاد قد جاءها ما لم يكن لهم فى حساب وصار قصاراهم حفظ ما بايديهم بعد ان كانوا قد طمعوا فى ملك الجميع

(ذكر ملك عماد الدين زنكي أيضا مدينة سرجي ودارا)

لما فرغ من امر الاثارب وتلك النواحي عاد الى ديار الجزيرة وكان قد بلغه عن حسام الدين تمرتاش بن ايلغازي صاحب ماردين وابن عمه ركن الدولة داود بن سقمان صاحب حصن كيفا قوارص فعاد اليهم وحصر مدينة سرجي وهي بين ماردين ونصيبين فاجتمع حسام الدين وركن الدولة وصاحب آمد وغيرهم وجمعوا خلقا كثيرا من التركمان بلغت عدتهم عشرين الفا وساروا اليه فقصدوا بتلك النواحي فهزمهم عماد الدين وملك سرجي فحكى لي والدي قال لما انهزم ركن الدولة داود قصد بلد جزيرة ابن عمر ونهبه فبلغ الخبر عماد الدين فسار نحو الجزيرة واراد دخول بلد داود ثم عاد عنه لضيق مسالكه وخشونة الجبال التي في الطريق وسار الى دارا فملكها وهي من القلاع في تلك الاعمال

(ذكر وفاة الآمر وخلافة الحافظ العلوي)

في هذه السنة ثاني ذي القعدة قتل الآمر باحكام الله ابو علي بن المستعلي العلوي صاحب مصر خرج الى منتزه له فلما عاد وثب عليه الباطنية فقتلوه لانه كان سيئ السيرة في رعيته وكانت ولايته تسعا وعشرين سنة وخمسة اشهر وعمره اربعا وثلاثين سنة وهو العاشر من ولد المهدي عبيد الله الذي ظهر بسجلماسة وبنى المهدية بافريقية وهو ايضا العاشر من الخلفاء العلويين من أولاد المهدي أيضا ولما قتل لم يكن له ولد بعده فولي بعده ابن عمه الميمون عبد المجيد ابن الامير ابي القاسم بن المستنصر بالله ولم يبايع بالخلافة وانما بويع له لينظر في الامر نيابة حتى يكشف عن حمل ان كان للآمر فتكون الخلافة فيه ويكون هو نائبا عنه ومولد الحافظ بعسقلان لان اباه خرج من مصر اليها في الشدة فاقام بها فولد ابنه عبد المجيد هناك ولما ولي استوزر اباه علي أحمد بن الافضل بن بدر الجمالي واستبد بالامر وتغلب على الحافظ وحجر عليه واودعه في خزانة ولا يدخل اليه الا من يريده أبو علي وبقي الحافظ له اسم لا معنى تحته ونقل ابو علي كل ما في القصر الى داره من الاموال وغيرها ولم يزل الامر كذلك الى أن قتل ابو علي سنة ست وعشرين فاستقامت امور الحافظ وحكم في دولته وتمكن من ولايته وبلاده

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة توفيت الخاتون ابنة السلطان سنجر وهي زوجة السلطان محمود وفيها قتل بيمند الفرنجي صاحب انطاكية وفيها توفي نصير الدين محمود بن مؤيد الملك بن نظام الملك في شعبان ببغداد ووقع الحريق في داره بعد وفاته وفي حظائر الحطب والسوق التبني فذهب من الناس أموال كثيرة وفيها وزر الرئيس أبو الذواد المفرج بن الحسن ابن الصوفي لصاحب دمشق تاج الملوك وفيها كان الرصد بالدار السلطانية شرقي بغداد تولاه البديع الاصطرلابي ولم يتم وفيها ظهر ببغداد عقارب طيارة ذوات شوكتين فنال الناس منها خوف شديد وادى عظيم وفيها في ذي الحجة خرج الملك

سليمان باشا تابع الجزار من عكا في جمع وخرج يوسف باشا بجموعه ايضا فتحاربا فانهزم يوسف باشا ونزل بالمزرة واستعجل الرجوع الى الشام فقامت عليه عساكره ونهبوا متاعه وخرج سليمان باشا تابع الجزار من عكا وتفرقوا عنه فاوسعه الا الفرار وترك ثقله واموالة ونزل في مركب ومعه نحو الثلاثين نفرا وحضر الى مصر ملتجئا لوالي محمد علي باشا لان بينهما صداقة ومراسلات فلما وصلت الاخبار بوصوله ارسل الى ملاقاته طاهر باشا وحضر صحبته الى مصر وانزله بمنزل مطل على بركة الازبكية وعين له ما يكفيه وارسل اليه هدايا وخيولا وما يحتاج اليه (وفي هذه) الايام اختل سد ترعة الفرعونية وانفتح منه شرم واندفع فيه الماء فضج الناس وتعين لسدها ديوان افندي واخذ معه عراكب واحجارا واخشابا وغاب يومين ثم رجع واتسع الخرق واستمر عمر بك تابع الاشقر مقيما عليها لحفارتها وليمنع مرور المراكب ويقوى ردمها لئلا تفرها المياه فيزداد اتساع الخرق (وفي هذه الايام) توقفت زيادة النيل فكان يزيد من بعد الوفاء قليلا ثم ينقص قليلا ثم يرجع النقص وهكذا فاشار البعض بالاجتماع بالاستسقاء بالازهر فتجمع القليل ثم تفرقوا

وذلك يوم الثلاثاء رابعة وخرج النصارى الاقباط يستسقون ايضا واجتمعوا بالروضة وصحبتهم القساقسة والرهبان وهم راكبون الخيول والرهوانات والبغال والحمير في تجمل زائد وصحبتهم طائفة من اتباع الباشا بالعصى المفضضة وعملوا في ذلك اليوم سياقة وحانات وقهوات واسمطة وسكردانات عند جميع العبد ويقولون ان النيل لما توقفت زيادته في العام الذي قبل العام الماضي وخرج الناس يستسقون بجامع عمرو وخرج النصارى في ثاني يوم فزاد النيل تلك الليلة وذلك لا اصل له على انه لا استغراب للزيادة في اوانها وهذه الايام ايضا اواخر مسرى وايام النسيء وفيها قوة الزيادة وايام النوروز (وفي يوم السبت) خرج المشايخ والناس الى جامع عمرو بمصر القديمة وارسلوا تلك الليلة فجمعوا الاطفال من مصر وبولاق فحضر الكثير وخطبوا وصلوا واضربالمجتمعين الجوع في ذلك اليوم ولم يجدوا ما يأكلونه (وفي ثاني يوم) نقص النيل واستمر ينقص في كل يوم (وفي يوم الخميس) ثالث عشره حضرت العساكر والتجريدة الى نواحي الآثار والبساتين ودخلوا في صبيحة يوم الجمعة رابع عشره بطموشهم وحملاتهم حتى ضاقت بهم الارض وحضر صحبتهم الكثير من الاجناد المصرية اسرى ومستامنين (وفيه) حضر يوسف باشا المنفصل عن الغوطة

مسعود بن محمد من خراسان وكان عند عمه السلطان سنجر ووصل الى ساوة ووقع الارجاف ان عزمه على مخالفة اخيه السلطان محمود قوي وان عمه سنجر امره بذلك فاستشعر السلطان محمود وسار عن بغداد الى همذان فلما وصل الى كرمانشاهان وصل اليه اخوه الملك مسعود وخدمه ولم يظهر للارجاف اثر فاقطعه السلطان مدينة كنجة واعمالها وسيره اليها وفيها كانت زلزلة عظيمة في ربيع الاول بالعراق وبلد الجبل والموصل والجزيرة فخربت كثيرا وفيها ملك السلطان محمود قلعة الموت وفيها توفي ابراهيم بن عثمان بن محمد ابو اسحق الغزي من أهل غزة مدينة بفلسطين من الشام ومولده سنة أحدى واربعين واربعمائة وهو من الشعراء المجيدين فمن قوله من قصيدة يصف فيها الاتراك

في فتية من جيوش الترك ما تركت * الرعد كراتهم صوتا ولا صيتا
قوم اذا قوبلوا كانوا ملائكة * حسنا وان قوتلوا كانوا عفاريتا

وله في الزهد

انما هذه الحياة متاع * والسفيه الغوي من يصطفيها
ما مضى فات والمؤمل غيب * ولك الساعة التي أنت فيها

وفيها توفي الحسين بن محمد بن عبد الوهاب بن احمد بن محمد الدباس ابو عبد الله النحوي الشاعر المعروف بالبارع اخو ابي المكارم بن فاخر النحوي لامه ولد سنة ثلاث واربعين واربعمائة وله شعر مليح فمنه قوله

ردي على الكرى ثم اهجري سكني * فقد قنعت بطيف منك في الوسن
لا تحسبي النوم قد اوحشت اطلبه * الا رجاء خيال منك يؤنسني
تركتني والهوى فردا اغالبه * ونام ليلك عن همي يؤرقني

وهي طويلة وفيها توفي هبة الله بن القاسم بن محمد بن عطاء بن محمد أبو سعد المهروانى النيسابوري ومولده سنة احدى وثلاثين واربعمائة وكان محدثا حافظا صالحا

(ثم دخلت سنة خمس وعشرين وخمسمائة)

(ذكر اسر دبيس بن صدقة وتسليمه الى عماد الدين زنكي)

في هذه السنة في شعبان اسر تاج الملوك بوري بن طغتكين صاحب دمشق الامير دبيس ابن صدقة صاحب الحلة وسلمه الى أتابك الشهيد زنكي بن آقسنقر وسبب ذلك انه لما فارق البصرة على ما ذكرناه جاءه قاصد من الشام من صرخد يستدعيه اليها لان صاحبها كان خصيا فتوفي في هذه السنة وخلف جارية سرية له فاستولت على القلعة وما فيها وعلمت أنها لا يتم لها ذلك الا بان تتصل برجل له قوة ونجدة فوصف لها دبيس بن صدقة وكثرة عشيرته وذكر لها حاله وما هو عليه بالعراق فارسلت تدعوه الى صرخد لتتزوج به وتسلم القلعة وما فيها من مال وغيره اليه فاخذ الادلاء معه وسار من ارض العراق الى الشام فضل به الادلاء بنواحي دمشق فنزل بناس من كلب كانوا اشرق

(واستهل شهر رمضان بيوم الاحد سنة ١٢٢٥)

فى سابع عشره قبض الباشا على المعلم غالى كبير المباشرين الاقباط والمعلم فلتيوس والمعلم جرجس الطويل والمعلم فرنسيس اخى المعلم غالى وباقى اعيان المباشرين فاما غالى وفلتيوس فنزلوا بهما تلك الليلة الى بولاق وانزلوهما فى مركب ليسافرا الى دمياط وحبسوا الباقين بالقلعة وختموا على دورهم ووجدوا عند المعلم غالى نيفا وستين جارية بيضاء وسوداء وحبشية ثم قلدوا المباشرة الى المعلم منصور ضريون الذى كان معلم ديوان الجمرك ببولاق سابقا والمعلم بشارة ورزق الله الصباغ مشار كان معه ثم انزلوا النصارى المعتقلين من القلعة الى بيت ابراهيم بك الدفتردار

الغوطة فاخذوه وحملوه الى تاج الملوك صاحب دمشق فحبسه عنده وسمع اتابك عماد الدين زنكى الخبر وكان دبيس يقع فيه وينال منه فارسل الى تاج الملوك يطلب منه دبيسا ليسلمه اليه ويطلق ولده ومن معه من الامراء المأسورين وان امتنع من تسليمه سار الى دمشق وحصرها وخربها ونهب بلدها فاجاب تاج الملوك الى ذلك وارسل اتابك سونج بن تاج الملوك والامراء الذين معه وأرسل تاج الملوك دبيسا فايقن دبيس بالهلاك فعمل زنكى معه خلاف ما ظن واحسن اليه وحمل له الاقوات والسلاح والدواب وسائر امتعة الخزائن وقدمه حتى على نفسه وفعل معه ما يفعل مع اكابر الملوك ولما سمع المسترشد بالله بقبضه بدمشق ارسل سديد الدولة بن الانبارى وابا بكر بن بشر الجزرى من جزيرة ابن عمر الى تاج الملوك يطلب منه ان يسلم دبيسا اليه لما كان مستحقا به من عداوة الخليفة فسمع سديد الدولة بن الانبارى بتسليمه الى عماد الدين وهو فى الطريق فسار الى دمشق ولم يرجع وذم اتابك زنكى بدمشق واستخف به وبلغ الخبر عماد الدين فارسل الى طريقه من ياخذه اذا عاد فلما رجع من دمشق قبضوا عليه وعلى ابن بشر وحملوهما اليه فاما ابن بشر فاهانه وجرى فى حقه مكروه واما ابن الانبارى فسجنه ثم ان المسترشد بالله شفع فيه فاطلق ولم يزل دبيس مع زنكى حتى انحدر معه الى العراق على ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر وفاة السلطان محمود وملك ابنه داود)

فى هذه السنة فى شوال توفى السلطان محمود بن السلطان محمد بهمذان وكان قبل مرضه قد خاف وزيره أبو القاسم الانسابادى من جماعة من الامراء واعيان الدولة منهم عز الدين أبو نصر أحمد بن حامد المستوفى والامير أنوشتكين المعروف بشير كير وولده عمر وهو امير حاجب السلطان وغيرهم فاما عز الدين فارسله مقبوضا عليه الى مجاهد الدين بهروز بتكريت ثم قتل بها واما شير كير وولده فقتلا فى جمادى الآخرة ثم ان السلطان مرض وتوفى فى شوال واقعد ولده الملك داود فى السلطنة باتفاق من الوزير ابى القاسم واتابكه آقسنقر الاحديلى وخطب له فى جميع بلاد الجبل واذربيجان ووقعت الفتنة بهمذان وسائر بلاد الجبل ثم سكنت فلما اطمان الناس وسكنوا سار الوزير باموالها الى الرى فامن فيها حيث هى للسلطان سنجر وكان عمر السلطان محمود لما توفى نحو سبع وعشرين سنة وكانت ولايته للسلطنة اثنتى عشرة سنة وتسعة اشهر وعشرين يوما وكان حليما كريما عاقلا يسمع ما يكره ولا يعاقب عليه مع القدرة قليل الطمع فى اموال الرعايا عفيفا عنها كافا لاصحابه عن التطرق الى شئ منها

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة ثار الباطنية بتاج الملوك بورى بن طغتكين صاحب دمشق فجرحوه جرحين فبرأ احدهما وتنسر الآخر وبقى فيه المه الا انه يجلس للناس ويركب معهم على ضعف فيه وفيها توفى الامير ابو الحسن بن المستظهر بالله اخو المسترشد بالله فى رجب

حسابهم ثم دار الشغل وسعت الساعون فى المصالحة على غالى ورفقائه الى ان تم الامر على اربعة وعشرين الف كيس ونزل له فرمان الرضا والخلع والبشائر وذلك فى آخر رمضان

(واستهل شهر شوال بيوم الثلاثا سنة ١٢٢٥)

فيه نزلت طبلخانة الباشا الى بيت المعلم غالى واستمروا يضربون النوبة التركية ثلاثة ايام العيد ببيته وكذلك الطبل الشامى وباقى الملاعيب وترمى لهم الخلع والبقاشيش (وفى سابعه) حضر المعلم غالى وطلع الى القلعة وخلع عليه الباشا خلع الرضا والبسه فروة سمور وانعم عليه ونزل له عن اربعة آلاف كيس من اصل الاربعة وعشرين الف كيس المطلوبة فى المصالحة ونزل الى داره وامامه الجاويشية والاتباع بالعصى المفضضة وجلس بدكة داره واقبل عليه الاعيان من المسلمين والنصارى للسلام عليه والتهنئة له بالقدوم المبارك واما المعلم منصور ضريون يخبروا خاطره بان قيدوه بخدمة بيت ابراهيم بك ابن الباشا الدفتردار وقيدوا رفيقيه فى خدم اخرى (وفى يوم الخميس) عاشر شوال حضر شاهين بك الالفى ومن معه الى مصر ونصب وطاقه بناحية الشر

وفيها فى شوال توفى الحسن بن سلمان بن عبد الله ابو على الفقيه الشافعى الواعظ مدرس النظامية ببغداد واصله من الزوزان والخطيب ابو نصر احمد بن عبد القاهر المعروف بابن الطوسى خطيب الموصل توفى فى ربيع الاول وحماد بن مسلم الدباس الرحبى الزاهد المشهور صاحب الكرامات وسمع الحديث وله اصحاب وتلامذة كثيرون سار واورايت الشيخ ابا الفرج بن الجوزى قد ذمه وثلبه ولهذا الشيخ اسوة بغيره من الصالحين فان ابن الجوزى قد صنف كتابا سماه تلبيس ابليس لم يبق فيه على احد من سادة المسلمين وصالحيهم وهبة الله بن محمد بن عبد الواحد بن الحصين الشيبانى الكاتب ومولده سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة سمع ابا على بن المذهب وابا طالب بن غيلان وغيرهما وهو راوى مسند احمد بن حنبل والغيلانيات وغيرها ومحمد بن الحسن ابن على بن الحسن ابو غالب الماوردى ولد سنة خمسين واربعمائة بالبصرة وسمع الحديث الكثير وروى سنن ابى داود السجستانى وكان صالحا

(ثم دخلت سنة ست وعشرين وخمسمائة)

*(ذكر قتل ابى على وزير الحافظ ووزارة ياتس وموته)

فى هذه السنة فى المحرم قتل الافضل ابو على بن الافضل بن بدر الجمالى وزير الحافظ لدين الله العلوى صاحب مصر وسبب قتله انه كان قد جرى على الحافظ ومنعه ان يحكم فى شئ من الامور قليل او جليل واخذ ما فى قصر الخلافة الى داره واسقط من الدعاء ذكر اسمعيل الذى هو جدهم واليه تنسب الاسماعيلية وهو ابن جعفر بن محمد الصادق واسقط من الاذان حى على خير العمل ولم يخطب للحافظ وامر الخطباء ان يخطبوا له بالقاب كتبها لهم وهى السيد الافضل الاجل سيد مماليك ارباب الدول والحامى عن حوزة الدين وناشر جناح العدل على المسلمين الاقربين والابعدين ناصر امام الحق فى حالتى غيبته وحضوره والقائم بنصرته بماضى سيفه وصائب رايه وتدبيره امين الله على عباده وهادى القضاة الى اتباع شرع الحق واعتماده ومرشد دعاة المؤمنين بواضح بيانه وارشاده مولى النعم ورافع الجور عن الامم ومالك فضيلتى السيف والقلم ابو على احمد ابن السيد الاجل الافضل شاهنشاه امير الجيوش وكان امامى المذهب يكثر ذم الآمر والتناقص به فنفر منه شيعة العلويين ومماليكهم وكرهوه وعزموا على قتله فخرج فى العشرين من المحرم من هذه السنة الى الميدان يلعب بالكرة مع اصحابه فكمن له جماعة منهم مملوك افرنجى كان للحافظ فخرجوا عليه فحمل الفرنجى عليه فطعنه فقتله وحزوا راسه وخرج الحافظ من الخزانة التى كان فيها وذهب الناس دار ابى على واخذ منها ما لا يحصى وركب الناس والحافظ الى داره فاخذ ما بقى فيها وحمله الى القصر وبويع يومئذ الحافظ بالخلافة وكان قد بويع له بولاية العهد وان يكون كافلا لحمل ان كان للآمر فلما بويع بالخلافة استوزر ابا الفتح ياتس الحافظى فى ذلك اليوم بعينه ولقب امير الجيوش وكان عظيم الهيبة بعيد الغور كثير

الشر فخافه الحافظ على نفسه وتخيل منه يانس فاحتاط ولم ياكل عنده شيئا ولا شرب فاحتال عليه الحافظ بان وضع له فراشه في بيت الطهارة ماء مسموما فاغتسل به فوقع الدود في سفله وقيل له متى قمت من مكانك هلكت فكان يعالج بان يجعل اللحم الطري في الخل فيعلق به الدود فيخرج ويجعل عوضه فقارب الشفاء فقيل للحافظ انه قد صلح وان تحرك هلك فركب اليه الحافظ كانه يعوده فقام له ومشى بين يديه وقعد الحافظ عنده ثم خرج من عنده فتوفي من ليلته وكان موته في السادس والعشرين من ذي الحجة من هذه السنة ولما مات يانس استوزر الحافظ ابنه حسنا وخطب له بولاية العهد وسيرد ذكر قتله سنة تسع وعشرين وانما ذكرت القاب ابي علي تعجبا منها ومن حماقة ذلك الرجل فان وزير صاحب مصر وحدها اذا كان هكذا فينبغي ان يكون وزير السلاطين السلجوقية كنظام الملك وغيره يدعون الربوبية على ان تربة مصر هكذا تولد الا ترى الى فرعون يقول انا ربكم الاعلى والى اشياء اخر لا نطيل بذكرها

(ذكر حال السلطان مسعود والملكين سلجوقشاه وداود واستقرار السلطنة بالعراق لمسعود)

لما توفي السلطان محمود ابن السلطان محمد وخطب ببلاد الجبل واذربيجان لولده الملك داود على ما ذكرناه سار الملك داود من همذان في ذي القعدة من سنة خمس وعشرين الى زنجان فاتاه الخبر ان عمه السلطان مسعودا قد سار من جرجان ووصل الى تبريز واستولى عليها فسار الملك داود اليه وحصره بها وجرى بينهما قتال الى سلخ المحرم سنة ست وعشرين ثم اصطلحا وتاخر الملك داود مرحلة وخرج السلطان مسعود من تبريز واجتمعت عليه العساكر وسار الى همذان وارسل يطلب الخطبة ببغداد وكانت رسل الملك داود قد تقدمت في طلب الخطبة فاجاب المسترشد بالله ان الحكم في الخطبة الى السلطان سنجر من اراد خطب له وارسل الى السلطان سنجر ان لا ياذن لاحد في الخطبة فان الخطبة ينبغي ان تكون له وحده فوقع ذلك منه موقعا حسنا ثم ان السلطان مسعودا كاتب عماد الدين زنكي صاحب الموصل وغيرها يستنجده ويطلب مساعدته فوعده النصر فقويت بذلك نفس مسعود على طلب السلطنة ثم ان الملك سلجوقشاه ابن السلطان محمد سار به اتابكه قراجة الساقي صاحب فارس وخوزستان في عسكر كثير الى بغداد فوصل اليها قبل وصول السلطان مسعود ونزل في دار السلطان واكرمه الخليفة واستحلفه لنفسه ثم وصل رسول السلطان مسعود يطلب الخطبة ويتهدد ان منعها فلم يجب الى ما طلبه فسار حتى نزل عباسية الخالص وبرز عسكر الخليفة وعسكر سلجوقشاه وقراجة الساقي نحو مسعود الى ان يفرغ من حرب اتابك عماد الدين زنكي وسار يوما وليلة الى المعشوق وواقع عماد الدين زنكي فهزمه واسر كثيرا من اصحابه وسار زنكي منهزما الى تكريت فعبر فيها دجلة وكان الدزدار بها حينئذ نجم الدين ايوب فاقام له المعابر فلما عبر امن الطلب وسار الى بلاده لاصلاح حاله وحال رجاله وهذا

بمصر حضر مع رفقائه وقابل الباشا وهو ببيت الاز بكية فبش في وجهه فقال شاهين بك نرجو سماح افندينا وعفوه عما اذنبناه فقال نعم من قبل مجيئكم بزمان وهو مصر لهم على كل كريهة واخلى له بيت محمد كتخدا الاشقر بجوار طاهر باشا بالاز بكية وفرشوه ونظموه ووعده برجوعه الى الجيزة في مناصبه كما كان حتى يتحول منها محرم بك صهر الباشا لانه عند انتقال شاهين بك من الجيزة عدى اليها محرم بك بحريمه وهي ابنة الباشا وسكن القصر بعسكره وكذلك اسكن كبار اتباعه وخواصه القصور التي كان يسكنها الالفية وكذلك البيوت والدور فوعده بالرجوع الى محله وظن بخساسة عقله صحة ذلك وحضر صحبة شاهين بك جملة من العسكر والدلاة وغيرهم واستمرت جلاتهم وامتعتهم تدخل الى المدينة ارسالا في عدة ايام (وفي يوم الجمعة) عمل الباشا ديوانا بالاز بكية في بيت ابنه ابراهيم بك الدفتردار واجتمع عنده المشايخ والوجاقلية وغيرهم فتكلم الباشا وقال يا احبابنا لا يخفاكم احتياجي الى الاموال الكثيرة لنفقات العساكر والمصاريف والمهمات والايراد لا يكفي ذلك فلزم الحال لتقرير الفرض على البلاد والاطيان وقد اجحف

والقصد ان تدبروا لنا تدبيرا وطريقا لتحصيل المال من غير ضرر ولا اجحاف على اهل القرى وتعود مصلحة التدبير عليهم وعلينا فقال الجميع الراى لك فقال انى فوضت الراى فى تدبير الامور السابقة لجماعة الكتبة وهم الافندية والاقباط فوجدت الجميع خائنين وانى دبرت رايا لا تدخل له التهمة وهو ان من المعلوم ان جميع الحصص لها سندات ومعين بها مقدار الميرى والفائظ فنقرر على كل حصة قدر ميريها وفائظها اما سنة او سنتين فلا يضر ذلك بالملتزمين ولا بالفلاحين فانتبذ ايوب كتخدا الفلاح وهو كبير الاختيارية وقال لكن يا افندينا الى مساواة الناس فان حصص كثير من المشايخ مرفوع ما عليها من المغارم ويرجع تتميم الغرامة على حصص الشركاء فحنق من كلامه الشيخ الشرقاوى وقال له انت رجل سوء وثار عليه باقى المشايخ الحاضرين وزاد فيهم الصياح فقام الباشا من المجلس وتركهم وذهب بعيدا عنهم وهم يترادون ويتشاجرون فارسل اليهم الباشا الترجمان وقال انكم شوشتم على الباشا وتكدر خاطره من صياحكم فسكتوا وقاموا من المجلس وذهبوا الى دورهم وهم منفعلون المزاج

الفعل من نجم الدين ايوب كان سببا لاتصاله به والمصير فى جملته حتى آل بهم الامر الى ملك مصر والشام وغيرهما على ما نذكره واما السلطان مسعود فانه سار من العباسية الى المليكية ووقعت الطلائع بعضها على بعض ثم لم تزل المناوشة تجرى بينه وبين أخيه سلجوقشاه يومين وارسل سلجوقشاه الى قراجة يستحثه على المبادرة فعادسريعا وعبر دجلة الى الجانب الشرقى فلما علم السلطان مسعود بانهزام عماد الدين زنكى رجع الى ورائه وارسل الى الخليفة يعرفه وصول السلطان سنجر الى الرى وانه عازم على قصد الخليفة وغيره وان رأيتم ان تتفق على قتاله ودفعه عن العراق ويكون العراق لوكيل الخليفة فانا موافق على ذلك فاعاد الخليفة الجواب يستوقفه وترددت الرسل فى الصلح فاصطلحوا على ان يكون العراق لوكيل الخليفة وتكون السلطنة لمسعود ويكون سلجوقشاه ولى عهده وتحالفوا على ذلك وعاد السلطان مسعود الى بغداد فنزل بدار السلطان ونزل سلجوقشاه فى دار الشحنكية وكان اجتماعهم فى جمادى الاولى

(ذكر الحرب بين السلطان مسعود وعمه السلطان سنجر)

لما توفى السلطان محمود سار السلطان سنجر الى بلاد الجبال ومعه الملك طغرل ابن السلطان محمد وكان عنده قد لازمه فوصل الى الرى ثم سار منها الى همذان فوصل الخبر الى الخليفة المسترشد بالله والسلطان مسعود بوصوله الى همذان فاستقرت القاعدة بينهما على قتاله وان يكون الخليفة معهم وتجهز الخليفة فتقدم قراجة الساقى والسلطان مسعود وسلجوقشاه نحو السلطان سنجر وتاخر المسترشد بالله عن المسير معهم فارسل الى قراجة والزمه وقال ان الذى تخاف من سنجر آجلا انا أفعله عاجلا فبرز حينئذ وسار على تريث وتوقف الى أن بلغ الى خانقين واقام بها وقطعت خطبة سنجر من العراق جميعه ووصلت الاخبار بوصول عماد الدين زنكى ودبيس بن صدقة الى قريب بغداد فاما دبيس فانه ذكر ان السلطان سنجر أقطعه الحلة وارسل الى المسترشد بالله يضرع ويسال الرضا عنه فامتنع من اجابته الى ذلك واما عماد الدين زنكى فانه ذكر ان السلطان سنجر قد اعطاه شحنكية بغداد فعاد المسترشد بالله الى بغداد وامر اهلها بالاستعداد للمدافعة عنها وجند اجنادا جعلهم معهم ثم ان السلطان مسعودا وصل الى دارج فلقيهم طلائع السلطان سنجر فى خلق كثير فتاخر السلطان مسعود الى كرمانشاهان ونزل السلطان سنجر فى اسداباذ فى مائة الف فارس فسار مسعود واخوه سلجوقشاه الى جلبلين يقال لهما كاو وماهى فنزلا بينهما ونزل السلطان سنجر كنكور فلما سمع بانحرافهم اسرع فى طلبهم فرجعوا الى ورائهم مسيرة اربعة أيام فى يوم وليلة فالتقى العسكران بحولان عند الدينور وكان مسعود دافع الحرب انتظارا القدوم المسترشد فلما نازله السلطان سنجر لم يجد بدا من المصاف وجعل سنجر على ميمنته طغرل ابن أخيه محمد وقماج وامير اميران وعلى ميسرته خوارزمشاه اتسز بن محمد مع جمع من الامراء وجعل مسعودا على ميمنة قراجة الساقى والامير قزل وعلى ميسرته يرنقش بازدار ويوسف

ولعل كلام أيوب كذا واتفق غرض الباشا أو هو باغرائه ثم شرعوا فى تحرير الدفاتر وتبديل الكيفيات وكان فى

جاووش وغيرهما وكان قزل قد واطأ سنجر على الانهزام ووقعت الحرب وقامت على ساق وكان يوما مشهودا فحمل قراجة الساقى على القلب وفيه السلطان سنجر فى عشرة آلاف فارس من شجعان العسكر وبين يديه الفيلة فلما حمل قراجة على القلب رجع الملك طغرل وخوارزمشاه الى وراء ظهره فصار قراجة فى الوسط فقاتل الى ان جرح عدة جراحات وقتل كثير من اصحابه واخذوا سيراوبه جراحات كثيرة فلما رأى السلطان مسعود ذلك انهزم وسلم من المعركة وقتل يوسف جاووش وحسين أزبك وهما من اكابر الامراء وكانت الوقعة ثامن رجب من هذه السنة فلما تمت الهزيمة على مسعود نزل سنجر وا حضر قراجة فلما حضر قراجة سبه وقال له يا مفسد أى شئ كنت ترجو بقتالى قال كنت ارجو ان أقتلك واقيم سلطانا أحكم عليه فقتله صبرا وارسل الى السلطان مسعود يستدعيه فحضر عنده وكان قد بلغ خوتج فلما رآه قبله واكرمه وعاتبه على العصيان عليه ومخالفته واعاده الى كنجة واجلس الملك طغرل ابن اخيه محمد فى السلطنة وخطب له فى جميع البلاد وجعل فى وزارته ابا القاسم الانسا باذى وزيرا السلطان محمود وعاد الى خراسان فوصل الى نيسابور فى العشرين من رمضان سنة ست وعشرين واما المسترشد بالله فسكان منه ما نذكره

(ذكر مسير عماد الدين زنكى الى بغداد وانهزامه)

لما سار المسترشد بالله من بغداد وبلغه انهزام السلطان مسعود عزم على العود الى بغداد فاتاه الخبر بوصول عماد الدين زنكى الى بغداد ومعه دبيس بن صدقة وكان السلطان سنجر قد كاتبهما وامرهما بقصد العراق والاستيلاء عليه فلما علم الخليفة بذلك اسرع العود اليها وعبر الى الجانب الغربى وسار فنزل بالعباسية ونزل عماد الدين بالمناربة من دجيل والتقيا بحصن البرامكة سابع عشرى رجب فابتدأ زنكى فحمل على ميمنة الخليفة وبها جمال الدولة اقبال فانهزم وامنه وحمل نظر الخادم من ميسرة الخليفة على ميمنة عماد الدين ودبيس وحمل الخليفة بنفسه واشتد القتال فانهزم دبيس واراد عماد الدين الصبر فرأى الناس قد تفرقوا عنه فانهزم ايضا وقتل من العسكر جماعة واسر جماعة وبات الخليفة هناك ليلته وعاد من الغد الى بغداد

(ذكر حال دبيس بعد الهزيمة)

وفيها عاد دبيس بعد انهزامه المذكور ولاذ ببلاد الحلة وتلك النواحى وجمع جمعا وكانت تلك الولاية بيد اقبال المسترشدى فامد بعسكر من بغداد فالتقى هو ودبيس فانهزم دبيس واختفى فى أجمة هناك وبقى ثلاثة أيام لم يطعم شيئا ولم يقدر على التخلص منها حتى أخرجه جمال على ظهره ثم جمع جمعا وقصد واسط وانضم اليه عسكرها وبختيار وشاق وابن أبى الجبر ولم يزل فيها الى ان دخلت سنة سبع وعشرين فنفذ اليهم يرتقش بازدار واقبال الخادم المسترشدى فى عسكر فاقتتلوا فى الماء والبر فانهزم الواسطيون ودبيس وأسر بختيار وشاق وغيره من الامراء

(ذكر وفاة تاج الملوك صاحب دمشق)

العزم أولا ان يجعلها على ذمم الاطيان شارقا وغاربا بما فيها من الاوسية التى للملتزمين والارزاق ومسموح مشايخ البلاد وذكر ذلك فى المجلس فقيل له ان الاوسية معايش الملتزمين والرزق قسمان قسم داخل فى زمام اطيان البلد ومحسوب فى مساحة فلاحتها وقسم خارج عن زمامها والقسمان من الارصادات على الخيرات وعلى جهات البر والصدقة والمساجد والاسبلة والمكاتب والاحواض لسقى الدواب وغير ذلك فيلزم منه ابطال هذه الخيرات وتعطيلها فقال الباشا ان المساجد غالبها متخرب ومتهدم فقالوا له عليك بالفحص والتفتيش والزام المتولى على المسجد بعمارته اذا كان ايراده رائجا الى آخر ما قيل (وفى يوم الاثنين حادى عشرينه) قتلوا شخصا من الاجناد الافية وقطعوا رأسه بباب الخرق بسبب انه قتل زوجته من غير جرم يوجب قتلها

(واستهل شهر ذى القعدة بيوم الاربعاء سنة ١٢٢٥)

(فى ثانيه) سافر الباشا الى ثغر سكندرية ليكشف على عمارة الابراج والاسوار ويبيع الغلال التى جمعها من البلاد فى الفرض التى فرضت عليهم وكذلك ما أحضره من البلاد القبلية فجمعوا المراكب وشحنوها بالغلال وأرسلها

الى الاسكندرية ليبيعها على الافرنج فباع عليهم أزيد من مائتى الف اردب كل أردب بمائة قرش وسعرها بمصر ثمانية عشر قرشا وهو لم يشترها ولم تكن عليه بمال بل اخذها من زراعات الفلاحين من اصل ما فرضه عليهم من الظلم مع تطفيف الكيل عليهم والزامهم بكلفة شيله واجرة نقله الى المحل الذى يلزمونهم بوضعه فيه وأخذ من الافرنج فى ثمنه أصناف النقود من الذهب المشخص البندقى والهجر والفرانسه وعروض البضائع من الجوخ المتنوعة والدودة التى يقال لها القرمز والقزدير واصناف البضائع الافرنكية واحدث وهو بالاسكندرية احداثا ومكوسا

(واستهل شهر ذى الحجة الحرام بيوم الاحد سنة ١٢٢٥)

فى ثانى عشرينه حضر الباشا من الاسكندرية الى مصر وذلك يوم الجمعة آخر النهار وحضر فى العشية الى بيت الازبكية وبات عند حريمه وطلع فى صبح يوم السبت الى القلعة وضرب مدافع كثيرة لحضوره وبذلك علم الناس حضوره وانقضت السنة بحوادثها التى قصصنا بعضها اذ لا يمكن استيفاؤها للتباعد عن مباشرة الامور وعدم تحققها على الصحة وتحريف النقلة وزيادتهم ونقصهم فى الرواية فلا اكتب حادثة حتى اتحقق صحتها بالتواتر والاشتهار وغالبها من الامور العكلية التى لا تقبل الكثير من التحريف وربما أخرت الخلاف

فى هذه السنة فى رجب توفى تاج الملوك بورى بن طغتكين صاحب دمشق وسبب موته ان الجرح الذى كان به من الباطنية وقد ذكرناه اشتد عليه الآن واضعفه واسقط قوته فتوفى فى الحادى والعشرين من رجب ووصى بالملك بعده لولده شمس الملوك اسمعيل ووصى بمدينة بعلبك واعمالها لولده شمس الدولة محمد وكان بورى كثير الجهاد شجاعا مقداما سديد الرأى وفاق عليه وكان ممدحا اكثر الشعراء مدائحه لاسيما ابن الخياط ومدائحه بعده ابنه شمس الملوك وقام بتدبير الامر بين يديه الحاجب يوسف بن فيروز شحنة دمشق وهو حاجب أبيه واعتمد عليه وابتدأ امره بالرفق بالرعية والاحسان اليهم فكثر الدعاء له والقصاد عليه

(ذكر ملك شمس الملوك حصن اللبوة وحصن راس وحصره ببعلبك)

فى هذه السنة ملك شمس الملوك اسمعيل صاحب دمشق حصن اللبوة وحصن راس وسبب ذلك انهما كانا لابيه تاج الملوك وفى كل واحد منهما مستحفظ يحفظه فلما ملك شمس الملوك بلغه ان أخاه شمس الدولة محمدا صاحب بعلبك قد راسلهما واستمالهما اليه فسلما الحصنين اليه وجعل فيهما من الجند ما يكفيهما فلم يظهر بذلك أثر بل راسل أخاه بلطف يفيح هذه الحال ويطلب ان يعيدهما اليه فلم يفعل فاغضى على ذلك وتجهز من غير ان يعلم احدا وسار هو وعسكره آخر ذى القعدة فطلب جهة الشمال ثم عاد مغربا فلم يشعر من بحصن اللبوة الا وقد نزل عليهم وزحف لوقته فلم يتمكنوا النصب منجنيق ولا غيره فطلبوا الامان فبذله لهم وتسلم الحصن من يومه وسار من آخر النهار الى حصن راس فبغتهم وجرى الامر فيه على تلك القضية وتسلمه وجعل فيهما من يحفظهما ثم رحل الى بعلبك وحصرها وفيها اخوه شمس الدولة محمد وقد استعد وجمع فى الحصن ما يحتاج اليه من رجال وذخائر فحصرهم شمس الملوك وزحف فى الفارس والراجل وقاتله اهل البلد على السور ثم زحف عدة مرات فلك البلد بعد قتال شديد وقتلى كثيرة وبقى الحصن فقاتله وفيه اخوه ونصب المجانيق ولازم القتال فلما راى اخوه شمس الدولة شدة الامر ارسل يبذل الطاعة ويسأل ان يقر على ما بيده وجعله ابوه باسمه فاجابه الى مطلوبه واقر عليه ببعلبك واعمالها وتحالفوا وعاد شمس الملوك الى دمشق وقد استقامت له الامور

(ذكر الحرب بين السلطان طغرل والملك داود)

فى هذه السنة فى رمضان كانت الحرب بين الملك طغرل وبين ابن اخيه الملك داود بن محمود وكان سببها ان السلطان سنجرا جلس الملك طغرل فى السلطنة كما ذكرناه وعاد الى خراسان لانه بلغه ان صاحب ماوراء النهر احمد خان قد عصى عليه فبادر الى العود لتلافى ذلك الخرق فلما عاد الى خراسان عصى الملك داود على عمه طغرل وخالفه وجمع العساكر باذربيجان وبلاد كنجة وسار الى همذان فنزل مستهل رمضان عند قرية يقال لها وهان بقرب همذان وخرج اليه طغرل وعبى كل واحد منه اصحابه ميمنة وميسرة وكان على ميمنة السلطان طغرل ابن برسق وعلى ميسرته قزل وعلى مقدمته قراسنقر وكان على ميمنة داود ديرنقش الزكوى ولم يقاتل فلما راى الترکمان ذلك نهبوا اخيمه وبركه جميعه ووقع

الخليفة في عسكر داود فلما رأى اتابكه قسنقر الاحمدي ذلك ولى هاربا وتبعه الناس في الهزيمة وقبض طغرل على برنقش الزكوي وعلى جماعة من الامراء واما الملك داود فانه لما انهزم بقي متحيرا الى اوائل ذي القعدة فقدم بغداد ومعه اتابكه قسنقر الاحمدي فاكرمه الخليفة وانزله بدار السلطان وكان الملك مسعود بكنجة فلما سمع انهزام الملك داود توجه نحو بغداد على ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة قبض المسترشد بالله على وزيره شرف الدين علي بن طراد الزينبي واستوزر انوشروان بن خالد بعد ان امتنع وسال الاقالة وفي هذه السنة قتل أحمد بن حامد بن محمد ابو نصر مستوفي السلطان محمود الملقب بالعزيز بقلعة تكريت وقد تقدم سبب ذلك سنة خمس وعشرين وفي المحرم منها قتل محمد بن محمد بن الحسين ابو الحسين بن أبي يعلى ابن الفراء الحنبلي مولده في شعبان في سنة احدى وخمسين واربعمائة وسمع الحديث من الخطيب ابي بكر وابن الحسين بن المهتدي وغيرهما وتفقه قتله اصحابه غيلة واخذوا ماله وفي جمادى الاولى توفي احمد بن عبيد الله بن كادش ابو العز العكبري وكان محدثا مكثرا وتوفي فيها ابو الفضل عبد الله بن المظفر بن رئيس الرؤساء وكان اديبا وله شعر حسن فمنه ما كتبه الى جلال الدين بن صدقة الوزير

مولانا جلال الدين يامن * اذكره بخدمتي القديمه
الم تك قد عزمت على اصطناعي * فما اصدعن تلك العزيمه

(ثم دخلت سنة سبع وعشرين وخمسمائة)

(ذكر ملك شمس الملوك بانياس)

في هذه السنة في صفر ملك شمس الملوك صاحب دمشق حصن بانياس من الفرنج وسبب ذلك أن الفرنج استضعفوه وطمعوا فيه وعزموا على نقض الهدنة التي بينهم فتعرضوا الى أموال جماعة من تجار دمشق بمدينة بيروت وأخذوها فشكا التجار الى شمس الملوك فراسل في اعادة ما أخذوه وكرر القول فيه فلم يردوا شيئا فحملته الانفة من هذه الحالة والغيظ على ان جمع عسكره وتاهب ولا يعلم أحد أين يريد ثم سار وسبق خبره أواخر المحرم من هذه السنة ونزل على بانياس أول صفر وقاتله اشد قتال وزحف اليه زحفا متتابعا وكانوا غير متاهبين وليس فيه من المقاتلة من يقوم به وقرب من سور المدينة وترجل بنفسه وتبعه الناس من الفارس والراجل ووصلوا الى السور فنقبوه ودخلوا البلد عنوة والتجا من كان من جند الفرنج الى الحصن وتحصنوا به فقتل من البلد كثيرا من الفرنج واسر كثيرا وانهبت الاموال وقاتل القلعة قتالا شديدا ليلا ونهارا فلما كان رابع صفر بالامان وعاد الى دمشق فوصلها سادسه وأما الفرنج فانهم لما سمعوا نزوله على بانياس شرعوا يجمعون عسكرا يسيرون به اليه فاتاهم خبر فتحها فبطل ما كانوا فيه

(ذكر حرب بين المسلمين والفرنج)

في هذه السنة في صفر سار ملك الفرنج صاحب البيت المقدس في خيالته ورجالته الى

هذه الكتابة وكل ذلك من تشويش البال وتكدر الحال وهم العيال وكثرة الاشتغال وضعف البدن وضيق العطن (ومن حوادثها) احداث عدة مكوس زيادة على ما أحدث على الارز والكتان والحرير والحطب والملح وغير ذلك مما لم يصل الينا خبره حتى غلت أسعارها الى الغاية وكان سعر الدرهم الحرير نصفين فصار بخمسة عشر نصفا وكنا نشتري القنطار من الحطب الرومي في اوانه بثلاثين نصفا وفي غير أوانه باربعين نصفا فصار بثلثمائة نصف وكان الملح يأتي من ارضه بثمن القفاف التي يوضع فيها لا غير ويبيعه الذين ينقلونه الى ساحل بولاق الاردب بعشرين نصفا واردبه ثلاثة أرادب ويشتريه المسيب بمصر بذلك السعر لان اردبه أردبان ويبيعه ايضا بذلك السعر ولكن اردبه واحد فالتفاوت في الكيل لا في السعر فلما احتكر صار الكيل لا يتفاوت وسعره الآن اربعمائة وخمسون نصفا والتزم به من التزم واوقف رجاله في موارده البحرية لمنع من يأخذ منه شيئا من المراكب المارة بالسعر الرخيص من اربابه ويذهب به الى قبلي او نحو ذلك (ومنها) وهي من الحوادث الغريبة انه ظهر بالتل الكائن خارج رأس الصوة المعروفة

الآن بالحطابة قبالة الباب الاتربة واشتهر أمرها وشاع ذكرها وزادظهورها فى اواخر هذه السنة فيظهر من خلال التراب ثقب ويخرج منها الدخان بروائح مختلفة كرائحة الخرق البالية وغير ذلك وكثر تردد الناس للاطلاع عليها افواجا افواجا نساء ورجالا واطفالا فيمشون عليها وحولها ويجدون حرارتها تحت ارجلهم فيحفرون قليلا فتظهر النار مثل نار الدمس فيقربون منها الخرق والحلفاء ونحو ذلك فتدق فيها النار وتورى ويصعد منها الدخان وان غوصوا فيها خشبة او قصبة احترقت ولما شاع ذلك واخبروا بها اتخذا بك نزل اليها بجمع من اكابره واتباعه وغيرهم وشاهد ذلك فامر والى الشرطة بصب الماء عليها واهالة الاتربة من اعالى التل فوقها ففعلوا ذلك واحضروا السقائين وصبوا عليها بالقرب ماء كثيرا واهالوا عليها الاتربة وبعد يومين صارت الناس المتجمعة والاطفال يحفرون تحت ذلك الماء المصبوب قليلا فتظهر النار ويظهر دخانها فيقربون منها الخرق والحلفاء واليدكات فتورى وتدخن واستمر الناس يغدون ويروحون للفرجة عليها نحو شهرين وشاهدت ذلك فى جملتهم ثم بطل ذلك

اطراف أعمال حلب فتوجه اليه الامير اسوار النائب بحلب فيمن عنده من العسكر وانضاف اليه كثير من التركمان فاقتتلوا عند قنسرين فقتل من الطائفتين جماعة كثيرة وانهزم المسلمون الى حلب وتردد ملك الفرنج فى اعمال حلب فعاد اسوار وخرج اليه فيمن معه من العسكر فوقع على طائفة منهم فاوقع بهم واكثر القتل فيهم والاسر فعاد من سلم منهزما الى بلادهم وانجبر ذلك المصاب بهذا الظفر ودخل أسوار حلب ومعه الاسرى ورؤس القتلى وكان يوما مشهودا ثم ان طائفة من الفرنج من الرها قصدوا أعمال حلب للغارة عليها فسمع بهم اسوار فخرج اليهم هو والامير حسان البعلبكى فاوقعوا بهم وقتلوهم عن آخرهم فى بلد الشمال واسروا من لم يقتل ورجعوا الى حلب سالمين

* (ذكر عود السلطان مسعود الى السلطنة وانهزام الملك طغرل)

قد تقدم ذكر انهزام السلطان مسعود من عمه السلطان سنجر وعوده الى كنجة وولاية الملك طغرل السلطنة وانه تحارب هو والملك داود ابن اخيه محمود وانهزام داود ودخوله بغداد فلما بلغ السلطان مسعودا انهزام داود وقصده بغداد سار هو الى بغداد ايضا فلما قاربها القيه داود وترجل له وخدمه ودخلا بغداد ونزل مسعود بدار السلطنة فى صفر من هذه السنة وخاطب فى الخطابة له فاجيب الى ذلك وخطب له ولداود بعده وخلع عليهما ودخلا الى الخليفة فاكرمهما ووقع الاتفاق على مسير مسعود وداود الى اذربيجان وان يرسل الخليفة معهما عسكرا فساروا فلما وصلوا الى مراغة حمل آقسنقر الاحمدیلى مالا كثيرا واقامة عظيمة وملك مسعود سائر بلاد اذربيجان وانهزم من بها من الامراء مثل قراسنقر وغيره من بين يديه وتحصن منه كثير منهم بمدينة اردبيل فقصدهم وحصرهم بها وقتل منهم مقتلة عظيمة وانهزم الباقون ثم سار بعد ذلك الى همذان لمحاربة اخيه الملك طغرل فلما سمع طغرل بقربه برز الى لقائه فاقتتلوا الى الظهر ثم انهزم طغرل وقصد الرى واستولى السلطان مسعود على همذان فى شعبان ولما استقر مسعود بهمذان قتل آقسنقر الاحمدیلى قتله الباطنية فقيل ان السلطان مسعودا وضع عليه من قتله ثم ان طغرل لما بلغ قم عاد الى اصبهان ودخلها واراد التحصن بها فسار الية اخوه مسعود ليحاصره بها فرأى طغرل ان اهل اصبهان لا يطاوعونه على الحصار فرحل عنهم الى بلاد فارس واستولى مسعود على اصبهان وفرح اهلها به وسار من اصبهان نحو فارس يقتص اثر اخيه طغرل فوصل الى موضع بقرب البيضاء فاستأمن اليه امير من امراء اخيه معه اربعمائة فارس فامنه فخاف طغرل من عسكره ان ينحازوا الى اخيه فانهزم من بين يديه وقصد الرى فى رمضان وقتل وزيره ابا القاسم الانسابادى فى الطريق وفى شوال قتله غلمان الامير شير كير الذى سعى فى قتله كما تقدم ذكره وسار السلطان مسعود يتبعه فلحقه بموضع يقال له ذكرا وقع بينهما المصاف هناك فلما اشتبكت الحرب انهزم الملك طغرل فوقع عسكره فى أرض قد نضب عنها الماء وهى وحل فاسر منهم جماعة من الامراء منهم الحاجب تنكر وابن بغرافا ملقهم السلطان مسعود ولم يقتل فى هذا المصاف الا نفر يسير ورجع السلطان مسعود الى همذان

* (تم الجزء العاشر ويليه الجزء الحادى عشر واوله ذكر حصر المسترشد بالله الموصل) *

JAN 7 1924

COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES
0315333191